مرآة الزمان في تواريخ الأعيان

تصنيف

شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله
المعروف بسبط ابن الجوزي
٥٨١ - ٦٥٤ هـ

الجزء العاشر

٩٤ - ١١١ هـ

حققه هذا الجزء وعلق عليه

محمد رضوان عرقسوسي   عمار ريحاوي

الرسالة العالمية

بسم الله الرحمن الرحيم

مرآة الزمان
في تواريخ الأعيان

١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
٢٠١٣م / ١٤٣٤هـ

دار الرسالة العالمية

شركة الرسالة العالمية م.م.
Al-Resalah Al-A'lamiah m. Publishers

الإدارة العامة
Head Office

دمشق - الحجاز
شارع مسلم البارودي
بناء خولي و صلاحي

2625
(963)11-2212773
(963)11-2234305

الجمهورية العربية السورية
Syrian Arab Republic

info@resalahonline.com
http://www.resalahonline.com

فرع بيروت
BEIRUT/LEBANON
TELEFAX: 815112- 319039- 818615
P.O. BOX:117460

السنة الرابعة والتسعون

وفيها كان بالشام زلازل هائلة، ذكر محمد بن موسى الخُوارزمي أن في هذه السنة لعشرين من آذار دامت الزلازل في الدنيا أربعين يوماً، فهدمت الأبنية الشاهقة، ووقع معظم أنطاكية.

وفيها غزا عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك بن مروان أرض الروم، فأوغل فيها ووصل إلى غزالة، وفتح العباس بن الوليد أنطاكية.

وفيها هرب يزيد بن المهلب وإخوته من حبس الحجاج إلى الشام[(١)].

وكان الحجاج قد حبس يزيد وإخوته، وعَذَّبهم وضيّق عليهم، وأخذ منهم ستة آلاف ألف درهم واستصفاهم، وكان يزيد يصبر على العذاب صبراً جميلاً، وكان الحجاج يغيظه ذلك، فأمر به يوماً أن يُجعل الدَّهَق[(٢)] على ساقه، فلما وضعوه على ساقه صاح، وكانت هند بنت المُهَلَّب تحت الحجاج، فصاحت وناحت وبكت على أخيها، فطلقها الحجاج، ثم كفَّ عن عذابه.

وكانت الأكراد قد غلبوا على أرض فارس وعاثوا، فخرج الحجاج فنزل رُسْتَقُباذ، وصحب معه يزيد وإخوته، واحتاط عليهم، وحفر حولهم الخنادق، وأقام الحرس، وضرب عليهم فُسطاطاً، وهم يعملون في الخلاص لنفوسهم، فبعثوا إلى مروان بن المهلّب ـ وكان بالبصرة ـ أن يهيِّء لهم سُفناً وخَيلاً ورجالاً ففعل، وواعدوه ليلةً بعينها، فلما كان في تلك الليلة أمر يزيد أن يصنع للحرس طعام كثير، فأكلوا وشربوا، وكان في حبس الحجاج منهم يزيد والمفضل وعبد الملك.

---

(١) ذكر الطبري ٦/٤٤٨ ، وابن الجوزي في «المنتظم» ٦/ ٢٩٥ـ٢٩٦ أن ذلك كان في سنة تسعين. والخبر بطوله ليس في (ص).

(٢) خشبتان تُشَدّان على الساق.

فلما غفل الحرس خرج يزيد وعليه ثياب طَبَّاخه، وعلى رأسه سَلَّة فيها زبادي، وقد جعل على وجهه لحية بيضاء، فرآه بعض الحرس فقال: هذه مشية يزيد، فجاء فنظر إلى وجهه، فرأى بياض اللحية فانصرف عنه وقال: هذا شيخ، وخرج المفضّل على أثره، وقد هُيِّئت لهم السفن في البطائح، وبينهم وبين البصرة ثمانية عشر فرسخاً، ولما وصلوا إلى السفن أبطأ عليهم أخوهم عبد الملك، فقال يزيد للمفضّل: اركب بنا فهو يلحقنا، فقال المفضل: لا والله لا أبرح حتى يأتي عبد الملك ولو رجعت إلى السجن، وكان المفضل شقيق عبد الملك [لأمه] وأمهما بَهْلَة؛ هندية.

ولحقهما عبد الملك، وركبوا السفن وساروا ليلتهم حتى أصبحوا، ولم يعلم بهم الحرس حتى طلع النهار، فخافوا من الحجاج، وأخفوا أمرهم عامة النهار وهربوا، واتّفق أن الحجاج لم يأمر بتعذيبهم في ذلك النهار.

ولما علم الحجاج بهم جَزِع، وظنّ أنهم يقصدون خراسان، فكتب إلى قتيبة بن مسلم يأمره أن يَحترز منهم، وبعث إلى أمراء الثُّغور يُحذّرهم، ويأمرهم برصدهم، وقال: هذه مثل نَوبة ابنِ الأشعث، وكتب إلى الوليد يخبره، وقلق الحجاج لهرَبهم، وشَغله ذلك عن الأمور، وأقام أياماً واجماً.

وأما يزيد وإخوته فاستقبلتهم الخيل من تحت البطائح، فخرجوا من السفن، وركبوا ومعهم دَليل يقال له: عبد الجبار بن يزيد بن ربيعة[1]، كلبي، فقصدوا أرض الحجاز، ثم تيامَنوا إلى السَّماوَة يريدون الشام، وقصدوا أرض فلسطين، فنزلوا على وُهَيب بن عبد الرحمن الأزدي ـ وكان كريماً على سليمان بن عبد الملك، وكان سليمان نازلاً بفلسطين ـ فدخل وُهَيب على سليمان فقال: هذا يزيد بن المهلّب وإخوته في منزلي، وقد جاؤوك مُستجيرين بك من الحجاج، فقال سليمان: ائتني بهم فهم آمنون، لا يوصل إليهم وأنا حي، فجاء بهم فدخلوا على سليمان، فأكرمهم وأحسن إليهم، وأقاموا عنده في أمن، وقال دليلهم الكلبي في مسيرهم: [من الطويل]

ألا جعل الله الأخلّاء كلَّهم فِداءً على ما كان لابنِ المُهلَّبِ

---

(١) في الطبري ٦/ ٤٤٩: بن الربعة، وما سلف بين معكوفين منه.

لنعم الفتى يا معشرَ الأزْدِ أسْعَفَتْ رِكابُكمُ بالرَّكب شَرقيَّ مَنْقَبِ
عَدَلْنَ يميناً عنهمُ رَمْلُ عالِجٍ وذات يمين القوم أعلامُ غُرَّبِ
بقومٍ همُ كانوا الملوكَ هَدَيْتُهم بظَلْماءَ لم يُبْصَر بها ضَوءُ كوكبِ
تؤمُّ بهم من بعد عَشْرٍ ركابُنا سليمانَ من أهل النُّهى والمناقِبِ

من أبيات.

وسبب قول الكلبي هذا الشعر أنهم ساروا إليه، فسقطت عمامة يزيد، فقال له: ارجع فاطلبها لي، فقال: مثلي لا يؤمر بهذا، فأراد أن يُقَنِّعَه بالسوط، فانتسب له، فخجل يزيد منه وتركه.

وكتب الحجاج إلى الوليد: إن يزيد وإخوته اختانوا مال الله، وهربوا مني ولحقوا بسليمان، وكان الوليد قد خاف أن يقصدوا خراسان، ويفعلوا مثل فعل ابن الأشعث، وقد كان لهم بخراسان صنائع معروف عظيم، والناس يختارونهم، فلما بلغه وصولهم إلى سليمان هان عليه الأمر، وغضب للمال الذي عندهم.

وكتب سليمان إلى الوليد: إن بني المهلب عندي، وقد أمّنتُهم، وإنما عليهم ثلاثة آلاف ألف درهم، وقد أغرمهم الحجاج ستة آلاف ألف، فإن كان قد بقي عليهم شيء فهو عندي.

فكتب إليه الوليد: لا أُؤمّنهم حتى تبعث بهم إلي، فكتب إليه سليمان: لئن بعثت بهم إليك لأجيئنّ معهم، فأَنشدُك الله أن تَخْفِر ذِمامي وتفضحني، فكتب إليه الوليد: والله لئن جئتَني لا أؤمنهم، فقال يزيد لسليمان: والله ما أُحبُّ أن أوقع بينكما عداوة، ويَتشاءم الناس بقدومنا عليك، فابعث بنا إليه، وأرسل معنا ولدك، ولاطفه مهما تقدر عليه.

وكان الوليد قد قال: ابعث بهم إليّ في وَثاق، فبعث بهم سليمان مع ابنه أيوب، وقال لابنه: إذا قربتم من الوليد فادخل عليه أنت ويزيد في سلسلة، وكتب إليه سليمان:

بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله الوليد أمير المؤمنين من سليمان بن عبد الملك، سلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، أما بعد يا أمير المؤمنين، فوالله إني لأظن أنه لو استجار بي عدوٌّ قد جاهدك ونابذك أنك لا تَخْفِر جِواري ولا تُذلّ جاري، وما

أجرتُ إلا سامعاً مطيعاً، حسنَ البلاء والأثر في الإسلام هو وأبوه وأهل بيته، وقد بعثتُ به إليك، وأنا أُعيذك بالله من قطيعتي، وانتهاك حُرمتي، وتَرْك برِّي وصلتي، فوالله ما تدري كم بقائي وبقاؤك، ولا متى يفرق الموت بيننا، والله ما أصبحتُ لشيءٍ من أمور الدنيا بعد تقوى الله بأسرّ مني برضاك عني، وإنما ألتمس به رضى الله تعالى، فإن كنتَ تريد بِرّي وصِلتي وإكرامي فأكرم يزيد، وتجاوز عنه، وكل ما طلبتَ منه فهو عليّ والسلام.

ولما قَرُب أيوب من الوليد جعل نفسه مع يزيد في سلسلة، ودخل عليه، فلما رأى الوليد ابنَ أخيه مع يزيد في سلسلة قال: والله لقد بلغنا من سليمان، ثم ناوله أيوب الكتاب، وقال له: يا أمير المؤمنين، نفسي فداؤك لا تَخفِر ذمة أبي، ولا تقطع رجاءنا منك، ولا تُذلّ من رجا العزَّ بنا لعزِّنا بك.

ولما قرأ الوليد الكتاب قال: لقد شَقَقْنا على سليمان، ثم دعا بابن أخيه فأدناه منه، وتكلّم يزيد بن المهلب فحمد الله، وأثنى عليه، وصلى على رسول الله ﷺ، ثم قال:

يا أمير المؤمنين، إن بلاءكم عندنا أحسنُ البلاء، فمن نسي ذلك فلسنا بناسيه، وقد كان من بلائنا أهلَ البيت في طاعتكم والطّعن في عين أعدائكم في المواطن العظام في المشارق والمغارب ما قد كان، وأمير المؤمنين أعلم بذلك، فقال له الوليد: اجلس فأنت آمن، وأعاده وإخوته إلى سليمان، وكتب إليه بإجابة سؤاله، والرّضى عن آل المهلب، وكتب إلى الحجاج: إني لم أصل إلى يزيد، وأهلُ بيته مع سليمان، فاكفف عنهم، والْهُ عن الكتاب إليّ فيهم، فكفَّ الحجاج عنهم، وأسقط عن حبيب بن المهلب وآل المهلب ما كان يطالبهم به.

وأقام يزيد عند سليمان على أحسن حال، فكان يُلاطفه بالهدايا، فلا يؤتى سليمان بهدية إلا وبعث إلى يزيد بنصفها، ولا جارية تعجبه إلا بعث بها إلى يزيد، وبلغ الوليد، فبعث إلى سليمان الحارثَ بنَ مالك الأشعريّ، وحمّله إليه رسالة غليظة، وقال له: قَبِّح عليه ما يفعل مع يزيد؛ حتى يبعث إليه بجواريه.

فجاء الأشعريّ، فدخل على سليمان وهو يقرأ في المصحف، فسلم عليه، فلم يرد عليه السلام حتى فرغ من القراءة، فأبلغه الرسالة فقال: والله لئن قدرت عليك يوماً من

الدهر لأقطعنّ منك طابقاً، فقال: إنما أنا رسول، وكان قد أهدي لسليمان هدايا فقال: ابعثوا بنصفها إلى يزيد، فعلموا أن سليمان لا يطيع في يزيد أحداً.

وأقام يزيد عند سليمان تسعة أشهر، ومات الحجاج، ولما مات الوليد كان أولَ من بايع سليمانَ يزيدُ وإخوته.

وفيها غزا قتيبة ما وراء النهر، وبلغ فَرْغانة وخُجَنْدَة، ولما قطع النهر فرض على أهل بُخارى وكَش ونَسَف وخُوارِزم عشرين ألف مقاتل، وساروا معه إلى خُجَنْدة، فنازلها، فقاتلوه، وفي كل مرة يُنصَر عليهم، فقال في قتالهم قائل: [مجزوء الكامل]

فَسَلِ الفَوارسَ في خُجَنْـ ـدَةَ تحت مُرهَفَةِ العَوالي
هل كنتُ أجمعهم إذا هُزِموا وأُقدِم في قِتالي
أم كنتُ أضربُ هامةَ الـ ـعاتي وأَصبِرُ للنِّزالِ

واختلفوا فيمن حجّ بالناس في هذه السنة؛ فقال أبو مَعْشر: سليمان بن عبد الملك، وقال خليفة: مَسْلَمة بن عبد الملك، وقال الهيثم: عثمان بن حَيَّان المُرِّي وكان على المدينة، وقد نصّ المسعودي على سليمان بن عبد الملك(١).

وكان على مكة خالد بن عبد الله القَسْري، وعلى العراق والمشرق الحجاج، وعلى خراسان قُتيبة بن مسلم، وعلى مصر قُرَّة بن شَريك.

[فصل]: وفيها توفي

الحسن بن محمد

ابن الحَنَفيّة(٢)، وأمه جَمال بنت قيس بن مَخْرَمَة بن المُطَّلب بن عبد مَناف [وكنية الحسن] أبو محمد.

---

(١) من قوله: واختلفوا فيمن حج... إلى هنا من (ص)، وجاءت في (خ) و(د) مختصرة، وقول أبي معشر، ونصُّ المسعودي على أن الذي حج في هذه السنة مسلمة بن عبد الملك، انظر «تاريخ الطبري» ٦/ ٤٩١ ، و«مروج الذهب» ٩/ ٦٠ ، و«تاريخ خليفة» ٣٠٦ .

(٢) بعدها في (ص): محمد بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

[ذكره ابن سعد] في الطبقة الثالثة من التابعين من أهل المدينة وقال: كان من ظُرفاء بني هاشم، وأهل العقل منهم[(١)]، وكان يُقدَّم على أخيه أبي هاشم عبد الله بن محمد في الفضل والهَيْبَة، وهو أول من تكلّم في الإرجاء بالمدينة.

تكلّم قوم في عثمان وعلي وطلحة والزبير وعائشة رضوان الله عليهم فأكثروا والحسن ساكت، فقيل له: تكلَّم، فقال: لم أر شيئاً أمثل من أن يُرْجَأ أمرُ هؤلاء، فلا تتولّونهم ولا تتبرَّؤون منهم، وبلغ أباه محمداً فضربه فشجَّه وقال: ويلك، ألا تتولّى أباك علياً، فوضع كتاباً في الإرجاء، ثم ندم على وضعه، ودخل عليه زاذان وميسرة فلاماه على وضعه، فقال: لوَدِدْتُ أني مت ولم أكتبه.

وكان الحسن يَلبَس الرِّقاق من الثياب.

[وحكى يعقوب بن أبي شيبة عنه أنه] قال: يا أهل الكوفة، اتّقوا الله ولا تقولوا في أبي بكر وعمر إلا خيراً، فإن أبا بكر كان مع رسول الله ﷺ في الغار، وعمر أعزّ الله به الدين.

[واختلفوا في وفاته، فقال الواقدي: مات سنة الفقهاء، وهي سنة أربع وتسعين، وقال ابن سعد: مات في خلافة عمر بن عبد العزيز، وقيل: في سنة إحدى ومئة، وقيل: في سنة الجَماجم، وليس له عقب.

أسند عن أبيه، وجابر بن عبد الله، وابن عباس، وابن عمر، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخُدري، وسَلَمة بن الأكوع وغيرهم، وروى عنه عمرو بن دينار، والزُّهري، والشَّعبي في آخرين[(٢)].

[فصل: وفيها توفي]

سعيد بن جُبَير

مولى لبني وَالِبة [بن الحارث بن أَسَد بن خُزَيمة بن أسد.

---

(١) بعدها في (ص): وكان يلبس الرقاق من الثياب، هذه صورة ما حكاه ابن سعد. اهـ. وانظر «طبقات ابن سعد» ٧/ ٣٢٢.

(٢) انظر «طبقات ابن سعد» ٧/ ٣٢٢، و«تاريخ دمشق» ٤/ ٥٨٩ (مخطوط)، و«السير» ٤/ ١٣٠. وما بين معكوفات من (ص).

ذكر طرف من أخباره:

وهو] من الطبقة الثانية من أهل الكوفة، وكان من كبار العلماء، والزُّهَّاد، والعُبَّاد الورعين، وكان ابن عباس يُعَظِّمه[١]، ومعظم علم ابن عباس إنما انتشر عنه.

وقال [ابن سعد:] قال ابن عباس [لسعيد بن جُبير]: حَدِّث، فقال: أُحَدِّث وأنت ههنا! قال: أوليس من نعم الله عليك أن تُحدِّث وأنا شاهد؟! فإن أصبتَ فذاك، وإن أخطأتَ عَلَّمتُك.

[قال:] ولما أضرَّ ابنُ عباس كانوا يسألونه، فقال: أتسألوني وفيكم ابن أمِّ دَهْماء، يعني سعيد بن جبير.

وجاء رجل إلى ابن عمر يسأله عن فريضة فقال: سل سعيد بن جُبير، فإنه أعلم بالحساب مني.

وكان سعيد كاتباً لعبد الله بن عتبة بن مسعود، ثم كتب لأبي بُرْدَة وهو على القضاء وبيت المال.

وكان أسود اللون[٢] أبيضَ الرأس واللحية.

[وقال ابن سعد:] قيل له: ألا تخضِب بالوَسِمة؟ فغضب وقال: يكسو الله العبدَ النُّورَ في وجهه فيُطفئه بالسواد!

وكان يقول: لَأن أُضربَ على رأسي بالسِّياط أحبُّ إليَّ من أن أتكلَّم والإمام يخطب للجمعة.

وكان يقصُّ على الناس كلَّ يوم مرتين: بعد صلاة الفجر، وبعد العصر.

[وقال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل: كان سعيد] إذا قام إلى الصلاة كأنه وَتد، وبكى حتى عَشِي بصَرُه.

---

(١) في (ص) تقديم وتأخير في أخبار سعيد، وسنثبت سياق النسختين (خ) و(د)، ونزيد من (ص) بين معكوفين ما ليس فيهما.

(٢) في (ص): وقال ابن قتيبة كان أسود اللون، ولم أقف على كلام ابن قتيبة، انظر «المعارف» ٤٤٥ .

[وحكى أبو نعيم[(١)]، عن] القاسم بن أبي أيوب قال: سمعتُ سعيداً يُردِّد في الصلاة ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] بضعاً وعشرين مرة.

وكان يخرج[(٢)] إلى مكة في كل سنة مرتين مرة للحج ومرة للعمرة، ويختم القرآن في كل ليلتين.

[وذكر ابن أبي الدنيا عن أَصْبَغ بن زيد الواسطي قال:] كان لسعيد ديك يقوم من الليل بصياحه، فلم يَصِح ليلةً من الليالي حتى أصبح، فلم يُصلِّ سعيد تلك الليلة، فشقّ عليه وقال: ماله قطع الله صوته! فما سُمع له صوت بعدها، فقالت له أُمه: يا بُنيّ، لا تَدْعُ الله على شيء بعدها.

[وروى أبو نعيم عن سعيد أنه] لَدَغَتْه عقرب، فقالت له أمه: يا بني، أقسمتُ عليك أن تَسترقي، قال: فأعطيت الراقي يدي التي لم تُلدغ كراهية أن أُحنث أمي.

[وقال أبو نعيم:] كان يصلي الفجر، ولا يتكلم حتى تطلع الشمس، وختم القرآن في ليلة مرتين ونصفاً، وقرأ القرآن في الكعبة في ركعة.

[وقال ابن سعد:] أبصر سعيد دُرَّةً مُلقاةً على الأرض فلم يأخذها.

وكان يقول: عليك باليأس مما في أيدي الناس فإنه الغناء الأكبر، وإياك وما يُعتَذر منه؛ فإنه لا يُعتَذَرُ من خير.

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾[العنكبوت: ٥٦] قال: إذا عُمل فيها بالمعاصي فاخرجوا منها. وقال: هلاك هذه الأمة من علمائها.

ذكر مقتله:

[قد ذكرنا أن سعيداً كان مع ابن الأشعث رئيساً على القراء] وكان الحجاج قد ولّاه عطاء الجند الذين كانوا مع ابن الأشعث لما سار إلى سِجستان لقتال رُتبيل، فلما خلع ابن الأشعث الحجاج خلعه سعيد وقاتله، فلما انهزم ابن الأشعث هرب سعيد إلى أصبهان، فأقام بها زماناً، فكتب الحجاج إلى عاملها يطلبه، وكان العامل يخاف الله،

(١) في «الحلية» ٤/ ٢٧٢.

(٢) في (ص): قال الهيثم كان يخرج. والخبر في «الحلية» ٤/ ٢٧٥ من طريق هلال بن خباب، وليس فيه ذكر للهيثم.

فأرسل إلى سعيد يقول له: اخرج عني لئلا ألقى الله بدمك، فخرج إلى أذربيجان، فأقام بها مدة، فضَجِر فخرج إلى مكة مستجيراً بالله، ومستعيذاً به من الحجاج، وملتجئاً إلى حرم الله تعالى وبيته.

[واختلفوا في كيفية إحضاره عند الحجاج، منها: قال هشام:] كتب الحجاج إلى الوليد: إن جماعة من المنافقين قد التجؤوا إلى مكة، فكتب الوليد إلى خالد بن عبد الله القَسْري، وكان على مكة: احملهم إلى الحجاج، وكانوا خمسة: سعيد بن جُبير، وعطاءً، ومُجاهداً، وعَمرو بن دينار، وطَلْقَ بنَ حبيب، فأما عمرو وعطاء فأُطلِقا، وأما طلق فمات في الطريق، وأما مجاهد فحُبس حتى مات الحجاج، وأما سعيد فقُتل.

وقال أبو حَصين: أتيت سعيد بن جبير وقلت له: إن هذا الرجل قادم ـ يعني خالد القَسْري ـ ولا آمنه عليك، فأطعني واخرج، فقال: والله لقد فررتُ حتى استحييتُ من الله، فقلت: والله إني لأراك كما سَمَّتك أُمُّك سعيداً.

ولما أُخذ قال: ما أراني إلا مقتولاً وسأخبركم: إني كنتُ أنا وصاحبان لي دعونا الله حين وجدنا حلاوة الدعاء، ثم سألنا الله الشهادة، فكلا صاحبيَّ رُزقَها، وأنا أنتظرها، فكأنه رأى أن الإجابة عند حلاوة الدعاء.

فخرج سعيد مع حَرَسِيَّين، فنزلا منزلاً، ثم نام أحدهما وانتبه فقال: يا سعيد، رأيتُ الساعة في المنام قائلاً يقول: برَّأك الله من دم سعيد ـ وكان قد رآه يصوم النهار ويقوم الليل ـ فقال: اذهب حيث شئت، فوالله إني ذاهب بك إلى مَن يقتلك، فقال له سعيد: إنه سيبلغ الحجاج فيقتلك، ولكن اذهب بي إليه.

[قال هشام، وذكر طرفاً منه ابن سعد قال:] فلما دخل على الحجاج قال له: ألم أُشرِكْك في أمانتي؟ ألم أستعملك على الجُند وبيت المال؟ ألم أَقْدَم على الكوفة فولَّيتُك القضاء، فضج أهلها وقالوا: ما يصلح للقضاء لأنه مولى، ولا يصلح للقضاء إلا العربي، فولَّيتُ أبا بُردة القضاء وأمرتُه أن لا يقطع أمراً دونك؟ أما أعطيتُك كذا وكذا من المال؟ وأمرتُك أن تُفرِّقه في ذوي الحاجات، ثم لم أسألك عن شيء منه؟ وسعيد يقول: بلى بلى، حتى ظنّ مَن حضر أنه يُطلِقه، ثم قال: فلم خرجتَ عليّ؟

فقال: عزم عليَّ ابنُ الأشعث، وكانت له في عُنقي بيعة، فغضب الحجاج حتى وقع طرف ردائه عن مَنكِبه وقال: ألم أقدم مكة فقتلتُ ابنَ الزُّبير، وأخذتُ بيعةَ أهلها وبيعتك، وقدمت الكوفة فأخذتُ بيعةَ أهلها وبيعتك؟ قال: بلى، قال: فرأيتَ لِعَزْمةِ عدو الله ابن الأشعث حقاً، ولم تره لله ولا لأمير المؤمنين ولا لي، فنكثتَ بيعتَين، ووفيتَ لابن الحائك بَيعة؟! وفي البيعتين يقول جرير: [من الكامل]

يـا رُبَّ نـاكِـثِ بـيـعـتَـيـن تـركـتَـه وخِـضـابُ لـحـيـتِـه دَمُ الأوداجِ

وقيل: إن الحجاج كان قد وضع إحدى رجليه في الرِّكاب فقال: والله لا أضع الأخرى حتى تَبَوَّأ مَقعدَك من النار، فقال: إن القِصاصَ أمامك فاختر لنفسك.

وكان سعيد مُقيَّداً، فأمر الحجاج بقتله، فبكى ابن لسعيد، فقال له سعيد: ما يُبكيك؟ ما بقاءُ أبيك بعد سبع وخمسين سنة! فضرب عنقه، فاختلط الحجاج من ساعته وجعل يقول: قُيودُنا قيودنا، فظنوه يقول: اقطعوا القيود، فقطعوا القَيدَين من رجلَي سعيد وأخذوا القيود.

[وقال ابن سعد:] لما قال الحجاج: يا حَرَسِيّ اضرب عُنقه، قال له سعيد: دعني أصلّي ركعتين، فقال الحجاج: لا، إلا إلى المشرق، فقرأ سعيد: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ الآية[البقرة: ١١٥] فلما قُتل نَدَر رأسُه فهَلَّل ثلاثاً.

[وقال أبو نعيم بإسناده إلى الحسن قال:] لما أتي بسعيد بن جبير إلى الحجاج قال له: ما اسمُك؟ قال: سعيد بن جُبير، قال: بل أنت الشَّقيُّ بن كُسَير، قال: كانت أمي أعرفَ باسمي منك، قال: ما تقول في محمد؟ قال: تعني رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قال: سيد ولد آدم المصطفى، خير من بقي وخير من مضى، قال: فما تقول في أبي بكر؟ قال: الصدِّيق خليفة رسول الله ﷺ، عاش سعيداً، ومضى حَميداً على منهاج نبيّه، لم يُبَدِّل ولم يُغَيِّر، قال: فما تقول في عمر؟ قال: الفاروق، خِيرة الله وخيرةُ رسوله، مضى حميداً على منهاج صاحبيه، قال: فعثمان؟ قال: المقتولُ ظُلماً، المُجَهِّز جيشَ العُسْرَة، الحافرُ بئرَ رُومة، المشتري بها بيتاً في الجنة، صهر رسول الله ﷺ على ابنتيه، قال: ما تقول في علي؟ قال: ابن عم الرسول، وأول مَن أسلم، وزوج فاطمة، وأبو الحسن

والحسين، قال: ما تقول في الخلفاء منذ كان رسول الله ﷺ وإلى اليوم؟ قال: سيُجزون بأعمالهم فمَسْرور ومَثْبور، قال: فما تقول في عبد الملك بن مروان؟ قال: إن يكن مُحسناً فعند الله ثوابُ إحسانه، وإن يكن مُسيئاً فلن يُعجزَ الله، قال: ما تقول فيّ؟ قال: أنت أعلم بنفسك، قال: بُثَّ علمَك فيَّ، قال: إذاً أَسُوءَكَ ولا أسرَّك، قال: بثّ، قال: أعفِني، قال: لا عفا الله عني إن عفوتُ عنك، قال: أنت مُخالفٌ لكتاب الله، تُرِي من نفسك أموراً تريد بها الهَيبة وهي تُقحمك في النار، ظهر منك جَور وجُرأة على معاصي الله بقتلك أولياءه، وسترد فتعلم، فقال: لأقتلنَّك قتلة لم أقتلها لأحد قبلك، ولا أقتلها أحداً بعدك، قال: إذاً تُفسدُ عليّ دنياي، وأفسد عليك آخرتك، قال: والله لأُقَطِّعَنَّك إرْباً إرْباً، قال: القصاص أمامك، قال: الويل لك من الله، قال: الويل لمن زُحزِحَ عن الجنة وأُدخل النار، فقال: يا غلام، السَّيف والنِّطع، فضحك سعيد، فقال الحجاج: بلغني أنك لم تضحك منذ سنين، فما الذي أضحكك عند القتل؟ قال: من جُرأتك على الله وحلمه عنك، فقال: يا غلام، اقتله، فاستقبل القبلة وقال: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا﴾ الآية [الأنعام: ٧٩] قال: اصرف وَجْهه عن القبلة، فصرفه فقال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] قال: اضرب به الأرض، قال: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ الآية [طه: ٥٥]، قال: اذبح عدوّ الله فما أنزعه لآيات القرآن منذ اليوم[1]! فقال سعيد: إني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فقال: اذهبوا به فاضربوا عنقه، ثم ذُبح من قفاه، [قال ابن ذكوان:] فبلغ الحسن البصري فقال: اللهم يا قاصم الجبابرة اقصم الحجاج، فما بقي إلا ثلاثاً حتى وقع في جوفه الدود فمات.

[وروى أبو نعيم، عن يعلى كاتب الحجاج قال: كنت أكتب له وأنا يومئذ غلام حديث السن، فدخلتُ عليه يوماً بعدما قتل سعيد بن جبير وهو في قبة لها أربعة أبواب، فوقفت مما يلي ظهره، فسمعته وهو يقول: مالي ولسعيد بن جبير؟! فلم ينشب بعدها إلا يسيراً ثم مات.]

---

(١) «حلية الأولياء» ٤/ ٢٩١_٢٩٥ ، قال الذهبي في «السير» ٤/ ٣٣٢ : هذه حكاية منكرة غير صحيحة.

وفي رواية أنه عاش بعده خمسة عشر يوماً.

[وقال الطبري:] أربعين يوماً، وكان يقول: مالي ولسعيد بن جبير[١]، كلما أردتُ أن أنام أخذ برجلي ويقول: أي عدو الله لِمَ قتلتَني؟

[وقال هشام:] ندم الحجاج على قتله، فكان يقول: لعن الله ابن النصرانية ـ يعني خالداً القسري ـ أتُراني ما كنتُ أعرف البيت الذي كان فيه بمكة، يعني سعيداً.

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله عليه: لقد قتل الحجاج سعيد بنَ جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه.

واختلفوا في أي سنة قتل على قولين: أحدهما: في سنة أربع وتسعين، والثاني: سنة خمس وتسعين، وهو الأظهر لأن الحجاج مات فيها في شهر رمضان.

واختلفوا في سنّ سعيد؛ فقد روينا أنه عاش سبعاً وخمسين سنة، وقال ابن سعد: عاش تسعاً وأربعين سنة، وقال علي بن المديني: عاش اثنتين وأربعين سنة، والأول أشهر والله أعلم[٢].

أسند سعيد رحمة الله عليه عن علي، وابن عمر، وأبي موسى، وابن المُغَفَّل، وعديّ بن حاتم، وابن عباس وأكثر رواياته عنه.

وروى عنه مجاهد، والزهري، والنَّخَعي، والشعبي، والحسن البصري، وابنُ سِيرين في خلق كثير، وكان ثقةً كثيرَ الحديث[٣].

سعيد بن المُسَيّب

ابن حَزْن بن أبي وَهْب بن عمرو بن عائذ بن عِمران بن مَخْزوم، وأمه أم سعيد بنت عثمان بن حَكيم السُّلَمي[٤]، وكنيته أبو محمد.

---

(١) ما بين معكوفين من (ص)، وانظر «الحلية» ٤/ ٢٩١ ، و«تاريخ الطبري» ٦/ ٤٩١ .

(٢) من قوله: واختلفوا في أي سنة... إلى هنا من (ص)، وجاءت مختصرة في (خ) و(د).

(٣) انظر في ترجمته ومقتله رحمه الله: «طبقات ابن سعد» ٨/ ٣٧٤ ، و«تاريخ الطبري» ٦/ ٤٨٧ ، و«أنساب الأشراف» ٦/ ٤٨٠ ، و«حلية الأولياء» ٤/ ٢٧٢ ، و«المنتظم» ٦/ ٣١٨ ، و«السير» ٤/ ٣٢١ .

(٤) في «طبقات ابن سعد» ٧/ ١١٩ : أم سعيد بنت حكيم بن أمية بن حارثة السلمي، والمثبت موافق لنسب قريش ٣٤٥ .

وهو من الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة، وكان أبوه المُسَيّب يتَّجر في الزّيت، ولم يزل سعيد مهاجراً لأبيه حتى مات.

ذكر طرف من أخبار سعيد:

[قد أثنى عليه العلماء، فقال ابن سعد:] كان جامعاً، ثقة، كثير الحديث، ثبتاً، فقيهاً مفتياً، مأموناً، ورعاً، عالياً، رفيعاً(١).

[وقال الموفق رحمه الله:] كان يقال له: فقيه الفقهاء، وعالم العلماء الذين يؤخذ عنهم العلم بالمدينة، وهو سيّدهم، وهم سبعة، وفيهم يقول الشاعر [وقد جمعهم في بيت واحد:] [من الطويل]

ألا كـلُّ مَـن لا يَـقـتـدي بـأئـمـةٍ فقِسمته ضِيزَى عن الحقِّ خارِجَهْ

فـخُذْهـم عُـبـيـد الـلـه عَـروةُ قـاسـمٌ سعيدٌ سليمان أبو بكر خارِجَهْ(٢)

[وقال الزبير بن بكار:] لما مات العبادلة: ابن عمر، وابن عباس، وابن عمرو، وابن الزبير؛ صار الفقه في جميع البلدان إلى الموالي، فكان فقيه أهل مكة عطاء بن أبي رباح، وفقيه اليمن طاوس، وفقيه أهل خُراسان عطاء الخُراساني، إلا المدينة فإن الله خصَّها بقُرشيّ، فكان فقيهها سعيد بن المسيب غير مُدافَع(٣).

[واختلفوا في مولده؛ فروى ابن سعد، عن الواقدي، عن أشياخه قال:] ولد سعيد بعد أن استُخلف عمر رضي الله عنه بأربع سنين.

[وروى ابن سعد، عن الواقدي أيضاً أنه قال: حدثني طلحة بن محمد بن سعيد بن المسيب، عن أبيه قال: ولد سعيد قبل موت عمر بسنتين.

قال الواقدي: والذي رأيت عليه الناس أنه ولد لسنتين خلتا من خلافة عمر، قال: ويروى أنه سمع من عمر، ولم أر أهل العلم يصحّحون ذلك وإن كانوا قد رووه.](٤)

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٧/ ١٤٣ .

(٢) «التبيين» ٣٩٦ .

(٣) «المنتظم» ٦/ ٣١٩-٣٢٠ من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، ليس فيه ذكر للزبير، وما بين معكوفات من (ص).

(٤) ما بين معكوفات من (ص)، بدله في (خ) و(د): وقيل لسنتين مضتا من خلافة عمر وقيل قبل موته بسنتين. وانظر «طبقات ابن سعد» ٧/ ١٢٠ .

وقال الشعبي: كان ابن المسيب عالم الدنيا في وقته، لا يُضاهيه أحد في العلم والزّهد والوَرَع والعبادة، وكان عبد الله بن عمر يرسل إليه فيسأله ويقول: اذهبوا إلى راوية عمر؛ لأنه كان يتبع آثار عمر وأقضيته فيتعلمها.

[وحكى ابن سعد عن ابن المسيب أنه كان يقول:] ما بقي أحد أعلم بكلِّ قضاء قضاه رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان مني[١].

[وروى أبو نعيم، عن عبد الرحمن[٢] بن حَرْملة قال:] ما كان إنسان يجترىء عليه فيسأله عن شيءٍ حتى يستأذنه كما يستأذن الأمير.

[وروى ابن سعد، عن معن، عن مالك قال:] كان عمر بن عبد العزيز يقول: ما كان بالمدينة عالم إلا يأتيني بعلمه، وأوتى بما عند سعيد بن المسيب.

[وروى ابن سعد، عن مالك بن أنس قال:] كان عمر بن عبد العزيز لا يقضي بقضاءٍ حتى يسأل عنه ابنَ المسيب، فأرسل إليه إنساناً يسأله، فدعاه فجاءه حتى دخل، فقال له عمر: لقد أخطأ الرسول، إنما أرسلناه يسألك، ارجع إلى مجلسك[٣].

[وروى أبو نعيم، عن أبي عيسى الخراساني قال:] قال سعيد بن المسيب: لا تملؤوا أعينكم من أعوان الظَّلَمة إلا بالإنكار عليهم بقلوبكم؛ لكيلا تَحْبَط أعمالُكم الصالحة.

[وروى أبو نعيم عنه أنه] قال: من استغنى بالله افتقر إليه الناس.

[وروى أبو نعيم، عن بُرد مولى ابن المسيب قال:] ما نودي للصلاة منذ أربعين سنة إلا وسعيد في المسجد.

وصلى الغَداة بوضوء العَتَمة خمسين سنة، وكان يَسْرد الصوم.

[وروى أبو نعيم عن] علي بن زيد قال: قال لنا سعيد وهو ابن أربع وثمانين سنة، وقد ذهبت إحدى عينيه، وهو يعشو بالأخرى: ما من شيء عندي أخوفُ من النساء، [وفي رواية:] فما يئس الشيطان من شيء إلا وأتاه من قِبل النساء[٤].

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٧/ ١٢١ .

(٢) في (ص) وما بين معكوفين منها: عبد الله، والمثبت من الحلية ٢/ ١٧٣ .

(٣) «طبقات ابن سعد» ٧/ ١٢٢ من طريق الواقدي، عن معن عن مالك، به .

(٤) «حلية الأولياء» ٢/ ١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٦٣ ، ١٦٦ (على الترتيب) وما بين معكوفين من (ص).

[وروى ابن سعد] عن الزهري وسئل: عمن أخذ العلمَ ابنُ المسيب؟ فقال: عن زيد ابن ثابت، وجالس سعدَ بنَ أبي وقّاص، وابن عباس، وابن عمر، ودخل على أزواج رسول الله ﷺ: عائشة، وأم سلمة، وسمع من عثمان، وعلي، وصُهيب، ومحمد بن مَسْلمة، وجلُّ رواياته عن أبي هريرة المُسْنَدة، وكان زوجَ ابنته.

[وروى ابن سعد، عن الواقدي قال:] كان سعيد يفتي وأصحاب رسول الله ﷺ أحياء(١).

ذكر طرف من تعبيره للرؤيا(٢):

قال ابن سعد بإسناده إلى عمر بن حَبيب بن قُلَيع قال: كنت جالساً عند سعيد بن المسيب يوماً، وقد ضاقت عليَّ الدنيا ـ أو قد ضاقت بي الأشياء ـ ورَهَقني دَين، فجاءه رجل فقال: يا أبا محمد، إني رأيتُ رؤيا، قال: وما هي؟ قال: رأيتُ كأني أخذتُ عبد الملك بن مروان، فأضجعتُه إلى الأرض، ثم بَطَحتُه، فأوتدتُ في ظهره أربعة أوتاد، فقال سعيد: ما أنت رأيتَها، قال: بلى، قال: لا أخبرك أو تخبرني، قال: ابن الزبير رآها وهو بعثني إليك، قال: لئن صدقتْ رؤياه ليقتُلَنّه عبد الملك، ويخرج من صُلب عبد الملك أربعة يكون كلهم خليفة.

قال عمر بن حبيب: فرحلتُ إلى عبد الملك بالشام وأخبرته، فسَرّه ذلك، وسألني عن سعيد وعن حاله، وأمر بقضاء دَيني، وأصبتُ منه خيراً.

قال محمد بن عمر: كان ابن المسيب من أعبر الناس للرؤيا، وكان أخذ ذلك عن أسماء بنت أبي بكر، وأخذته أسماء عن أبيها.

وقال ابن سعد: وسأله شَريك بن أبي نَمِر قال: رأيتُ في المنام كأن أسناني سقطت في يدي ثم دفنتُها، فقال: إن صدقت رؤياك دفنتَ أسنانَك من أهل بيتك.

[وقال ابن سعد بإسناده عن مسلم الخياط قال:] قال له رجل: إني أراني أبول في يدي، فقال: اتَّق الله فإن تحتك ذات محرم، فنظر فإذا هي امرأة بينه وبينها رضاع.

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٧/ ١٢١ والخبر الثاني عن الواقدي عن قدامة بن موسى الجمحي.

(٢) وقع في هذا الفصل بين النسخ تقديم وتأخير، وسنثبت ما في (ص) لوضوحه.

وقال له آخر: رأيت كأني أبول في أصل زيتونة، فقال: انظر مَن تحتك، فنظر فإذا هي امرأة لا يحلّ له نكاحُها.

قال: وجاءه آخر فقال: رأيت كأن حمامة وقعت على منارة المسجد، فقال: يتزوج الحجاج ابنة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.

وجاءه آخر فقال: رأيتُ كأن تيساً أقبل يشتدُّ من الثَّنيّة، وقائل يقول: اذبح اذبح، قال: ذبحتُ، قال سعيد: مات ابنُ أمّ صِلاء، فما برح حتى جاء الخبر بموته، قال: وابن أم صلاء من موالي المدينة يسعى بالناس.

قال: وجاءه رجل فقال: رأيت في المنام كأني أخوض النار، فقال: تركب البحر وتُقتل، فركب البحر، وقُتل يوم قُدَيْد.

قال: والكبل في النوم ثبات في الدين.

قال: وقال له رجل: رأيتُ في المنام كأني جالسٌ في الظلّ فقمتُ إلى الشمس، فقال: لئن صدقتْ رؤياك لتَخرجنّ من الإسلام، قال الرجل: إني أُراني أُخرجتُ حتى أُدخلتُ في الشمس، قال: تُكره على الكفر، فخرج في زمن عبد الملك فأسر، فأُكره على الكفر، ثم رجع إلى المدينة[1].

وقال الزبير بن بكار، حدثني مصعب الزبيري قال: كان سعيد لا يُقبل بوجهه على هشام بن إسماعيل المخزومي إذا خطب يوم الجمعة، فقال هشام لبعض أعوانه: اعطِفْ وجْهَ سعيد إليّ، فعطفه فأبى، فعطفه ثانياً فصاح سعيد: يا هشام، إنما هي أربع بعد أربع، فقال هشام: جُنَّ سعيد، فسئل سعيد: أي شيء أربع بعد أربع؟ فقال: رأيتُ في المنام في هذه الليلة أن موسى عليه السلام قد غَطّس عبد الملك في البحر ثلاثاً، ثم مات في الرابعة، فأَوَّلتُه بموت عبد الملك، لأن موسى بُعث على الجبَّارين، وأما الأربع الأخرى فمسافة الشام إلى المدينة، فجاء الخبر بعد أربعة أيام بموت عبد الملك[2].

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٧/ ١٢٣ـ١٢٦ .

(٢) القصة في «المنتظم» ٦/ ٣٢٣ ، و«التبيين» ٣٩٧ عن المصعب.

وقال: آخر الرؤيا أربعون سنة، يعني في تأويلها[١].

ذكر تزويجه ابنته[٢]:

[روى عبد الله بن سليمان بن الأشعث، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، حدثني عمي عبد الله بن وهب، عن عطّاف بن خالد، عن ابن حرملة، عن ابن] أبي وَداعة قال: كنتُ أجالس سعيد بن المسيب ففقدني أياماً، فلما جئته قال: أين كنت؟ قلت: تُوفّيت أهلي فاشتغلتُ بها، فقال: هلّا أخبرتَنا فكنا شهدناها، ثم أردت أن أقوم فقال: هل استحدثْتَ امرأةً؟ قلت: يرحمك الله، ومَن يزوّجني وما أملك إلا ثلاثة دراهم؟ فقال: أنا، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ زوّجني على درهمين، فقمتُ وما أدري ما أصنع من الفرح، وصرتُ إلى منزلي، وجعلتُ أفكّر ممّن أستدين؟ فصلّيتُ المغرب، وقدّمت عَشائي وكان خُبزاً وزيتاً، وجلستُ أُفطر، وإذا ببابي يُقرَع، فقلت: من هذا؟ قال: سعيد، فأفكرتُ في كلِّ إنسان اسمه سعيد إلا ابن المسيب؛ فإنه لم يُرَ أربعين سنة إلا من بيته إلى المسجد، فقمتُ وخرجت، وإذا به سعيد بن المسيب، فظننتُ أنه قد بدا له، فقلت: يا أبا محمد ألا أرسلتَ إلي فآتيَك؟ فأنت أحقُّ أن تُؤتى، فما الذي جاء بك؟ فقال: إنك كنتَ رجلاً عَزَباً تزوَّجت، فكرهتُ أن أبيتك الليلة وحدك، وهذه امرأتك، وإذا هي قائمةٌ من خلفه بطوله، ثم أخذ بيدها فدفعها في الباب، وردَّ الباب، فسقطت المرأة من الحياء، فأغلقتُ الباب، وغطَّيت القَصْعة التي فيها الخبز والزيت، وصَعدت إلى السّطح، وصُحت بالجيران، فجاؤوني وقالوا: ما شأنُك؟ قلت: زوَّجني سعيدٌ ابنتَه اليوم، وجاء بها الليلة على غفلة، قالوا: سعيد زوّجك؟ قلت: نعم، وها هي في الدار، فنزلوا إليها، وبلغ أمي فجاءت وقالت: وجهي من وجهك حرام إن مَسَسْتَها قبل أُصلحها إلى ثلاثة أيام، فأقمتُ ثلاثاً، ثم دخلتُ بها، فإذا هي من أجمل النساء، قارئة لكتاب الله، عالمة بالسنة، عارفة بحق الزوج.

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٧/ ١٢٥ .

(٢) لم يرد هذا الفصل في (ص)، ووردت القصة التالية ضمن ذكر ضربه رحمه الله، والمثبت من (خ) و(د)، وما سيرد بين معكوفين من (ص)، والقصة في «الحلية» ٢/ ١٦٧ـ١٦٩ ، و«المنتظم» ٦/ ٣٢٤ـ٣٢٥ .

ثم أقمتُ شهراً لم آت سعيداً ولا يأتيني، ثم أتيتُه بعد ذلك وهو في حلقته، فسلّمت عليه فردَّ ولم يكلّمني، فلما تقوّض المجلس ولم يبق غيري قال: ما حال ذلك الإنسان؟ قلت: بخير، قال: إن رابك شيء فالعصا، فانصرفتُ إلى منزلي، فوجّه إليّ سعيد بعشرين ألف درهم.

قال عبد الله بن سليمان: وكان عبد الملك بن مروان قد خطب ابنة سعيد هذه على ابنه الوليد حين ولّاه العهد، فأبى سعيد أن يزوِّجه، فلم يزل عبد الملك يحتال عليه حتى ضربه مئة سَوط في يوم بارد، وصبَّ عليه جَرَّةً من ماء، وألبسه جُبَّة صُوف.

ذكر ضرب سعيد:

[قال علماء السير: ضُرب سعيد بن المسيب مراراً في أيام ابن الزبير، وفي أيام عبد الملك بن مروان، فأما في أيام ابن الزبير فحكى ابن سعد، عن الواقدي قال: حدثني عبد الله بن جعفر وغيره قالوا:] استعمل عبد الله بن الزبير جابر بن الأسود بن عَوف الزُّهري على المدينة، فدعا الناس إلى البيعة لابن الزُّبير، فقال سعيد: لا أبايع حتى يجتمع الناس على إمام، فضربه جابر ستين سَوطاً، وبلغ ابن الزبير، فكتب إلى جابر يلومه ويقول: ما لنا ولسعيد، دَعْه.

[وحكى ابن سعد، عن الواقدي، عن عبد الله بن جعفر، عن عبد الواحد بن أبي عَوْن قال: كان جابر بن الأسود عامل ابن الزبير على المدينة قد تزوج خامسة قبل أن تنقضي عدة الرابعة، فلما ضُرب سعيد بن المسيب صاح به والسياط تأخذه: يا جابر، والله ما ربَّعتَ على كتاب الله تعالى، فإن الله تعالى يقول: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء: ٣] وأنت خالفتَ كتاب الله، وإنما هي لَيالٍ، فاصنع ما بدا لك فسوف يأتيك ما تكره، فما مكث إلا يسيراً حتى قُتل ابن الزبير(١).

قلت: وهذا الأثر يقوي مذهب أبي حنيفة أنه لا يجوز نكاح الأخت في عدة الأخت، وبه قال الإمام أحمد، وقال مالك والشافعي: يجوز إذا كان في طلاق بائن أو ثلاث.

(١) «طبقات ابن سعد» ٧/ ١٢٣.

واتفقوا على أنه لو كان الطَّلاق رَجْعيّاً لا يجوز، وقد قرّرناه في «الخلافيات»[(١)].

وأما ضَرْبُ سعيد في أيام عبد الملك بن مروان؛ فقال ابن سعد بإسناده إلى عبد الله ابن جعفر وغيره من أصحابنا: إن عبد العزيز بن مروان توفي بمصر في جمادى سنة أربع وثمانين، فعقد عبد الملك لابنيه الوليد وسليمان بالعهد، وكتب بالبيعة لهما إلى البلدان، وعامِلُه يومئذ على المدينة هشام بن إسماعيل المخْزوميّ، فدعا الناس إلى البيعة لهما،] فبايعوه إلا سعيد بن المسيب فإنه أبى وقال: حتى أنظر، فضربه هشام ستين سوطاً، وطاف به في ثيابٍ من شعر حتى بلغ به رأس الثَّنيَّة، فلما كرُّوا به قال: أين تكرُّون بي؟ قالوا: إلى السجن، فقال: والله لولا أنني ظننتُ أنه الصَّلْبُ ما لبستُ هذه الثياب أبداً، فردوه إلى السجن، وكتب هشام إلى عبد الملك يُخبره بما كان من أمره، فكتب إليه عبد الملك يلومه ويقول: سعيد كان والله أحوج أن نصل رحمه من أن نضربه، وإنا لنعلم ما عند سعيد شقاق ولا خلاف.

[قال ابن سعد عن الواقدي: حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سَبْرة، عن المِسْوَر ابن رِفاعة قال: دخل قبيصة بن ذؤيب على عبد الملك بن مروان بكتاب هشام يذكر فيه أنه ضرب سعيد بن المسيب وطاف به،] فقال قبيصة: يا أمير المؤمنين، أيَفْتَاتُ عليك هشام بمثل هذا؟ يضرب ابنَ المسيب ويطوف به، ولو لم يبايع ما كان يكون منه؟ ما سعيد ممن يُخاف غائلتُه، والله إنه لمن أهل السنة والجماعة، فقال عبد الملك لقَبيصَة: اكتب إلى سعيد واعتذر إليه، فكتب قبيصة إلى سعيد فقال: الله بيني وبين من ظلمني، وندم هشام على ضربه وخلّى سبيله[(٢)].

[وقال ابن سعد: قال محمد بن عمر: صنعت ابنة سعيد بن المسيب لأبيها طعاماً كثيراً لما كان في الحبس،][(٣)] فأرسل إليها لا تعودي لمثله، وابعثي إلي بالقُوت الذي

---

(١) انظر «وسائل الأسلاف» ١٦٩ .

(٢) الخبران السالفان في «طبقات ابن سعد» ٧/ ١٢٦ـ١٢٧ وما بين معكوفين من (ص).

(٣) ما بين معكوفين من (ص)، بدله في (خ) و(د): ولما حبس سعيد صنعت ابنته طعاماً كثيراً. والخبر في «طبقات ابن سعد» ٧/ ١٢٧ـ١٢٨ .

كنتُ آكله في بيتي، ولا تُسرفي فهذا مقصود هشام: أن يذهب مالي، وأحتاج إلى ما في أيديهم، وأنا لا أدري كم أُقيم في الحبس.

[وقال هشام: قال ابن المسيّب: لا أُبايع لأحد وعبد الملك حيّ؛ فإن له في عُنقي بيعة، فضربه هشام ضرباً مُبَرِّحاً، وألبسه المُسُوح، وسيَّره إلى ذِباب؛ ثَنيَّةٍ بالمدينة كان يصلب عندها الناس، فلما ردَّه إلى الحبس قال: والله ما ظننتُ إلا أنهم يَصلبونني، ولولا ذلك ما لبست التُّبَّان؛ لأنه أستر بي.

قال: وبلغ عبد الملك فقال: قاتل الله هشاماً، كان الواجب أنه لما امتنع أن يَضرب عنقه[١].

قلت: يرحم الله سعيد بن المسيب، فلقد عرض نفسه على السيف والهوان في غير شيء، وقد قال ﷺ: «لا يحلُّ للمؤمن أن يُذلَّ نفسَه»[٢]، أليس قد بايع لعبد الملك في حياة مروان بن الحكم لما أخذ العهد لابنه عبد الملك، فأيّ فرقٍ بين مروان وعبد الملك.

وقال الهيثم: قُتل ابن الزُّبير عقيب ضرب ابن المسيب، ومات أيضاً عبد الملك بعد ضربه بقليل، وعُزل هشام بن إسماعيل.][٣]

وروى ابن سعد، عن علي بن زيد بن جُدعان قال: قلت لسعيد: يزعم قومُك أنه ما منعك من الحج إلا أنك جعلتَ لله عليك إذا رأيت الكعبة أن تدعوَ الله على بني مروان، قال: ما فعلت، وما أصلي صلاةً إلا دعوتُ الله عليهم.

وروى ابن سعد أيضاً عن أبي يونس قال: دخلتُ مسجد المدينة فإذا ابن المسيب جالس وحده، فقلت: ما شأنُه؟ قالوا: نُهي أن يُجالِسَه أحد.

---

(١) انظر «تاريخ الطبري» ٦/ ٤١٥-٤١٦، و«أنساب الأشراف» ٦/ ٣٧٤-٣٧٥، وقوله: وبلغ عبد الملك... جاء في (خ) و(د) قبل الخبر الذي فيه: صنعت ابنة سعيد لأبيها طعاماً، ولفظه فيهما: وقيل إن عبد الملك لما بلغه ما فعل هشام به قال.

(٢) أخرجه أحمد (٢٣٤٤٤) من حديث حذيفة بن اليمان ﷺ.

(٣) ما بين معكوفين من (ص)، وجاء بعده قصة تزويج سعيد ابنته، وقد سلفت قريباً.

وروى ابن سعد عن عمران قال: كان لابن المسيّب في بيت المال بضعة وثلاثون ألفاً عطاؤه، فكان يُدعى إليها فيأبى ويقول: لا حاجةَ لي فيها حتى يحكم الله بيني وبين بني مروان.

وقيل له: ما بال الحجاج لا يبعث إليك ولا يؤذيك ولا يحركك؟ فقال: والله لا أدري؛ إلا أنه دخل ذات يوم مع أبيه المسجد، فصلى صلاةً، فجعل لا يُتمُّ ركوعها ولا سجودها، فأخذتُ كفًّا من حصى فحصبتُه، فزعم الحجاج قال: ما زلتُ بعدها أُحسن الصلاة.

وقال عمران بن عبد الله الخزاعي: حج عبد الملك، فلما قدم المدينة جاء فوقف على باب المسجد، وأرسل إلى سعيد رجلاً يدعوه ولا يحرّكه، فأتاه الرسول فقال: أمير المؤمنين واقفٌ بالباب يريد أن يكلّمك، فقال: مالي إليه حاجة، وإن حاجته إليّ غير مقضيَّة، فرجع الرسول إلى عبد الملك فأخبره فقال: ارجع إليه وقل له: إنما أريد أن أكلمك، ولا تحرّكه، فجاء إليه فقال: أجب أمير المؤمنين، فقال له مثل ما قال أولاً، فقال الرسول: لولا أنه تقدَّم إليّ فيك ما رجعت إليه إلا برأسك، يرسل إليك أمير المؤمنين ليكلّمك وتقول مثل هذه المقالة؟ فقال سعيد: إن كان يريد أن يصنع بي خيراً فهو ذاك، وإن كان غير ذلك فلا أَحُلُّ حَبْوَتي حتى يَقضي ما هو قاض، فأتاه فأخبره فقال: يرحم الله أبا محمد، أبى إلا صَلابةً في دينه.

وقيل: إن [الوليد بن] عبد الملك همَّ به وفي الناس يومئذ بقية، فأقبل عليه أصحابه وجلساؤه ـ وكان في المسجد جالساً وسعيد عند أسطوانته ـ فقالوا: فقيه أهل المدينة، وشيخ قريش، وصديق أبيك، ولم يطمع ملك قبلك أن يأتيه، فما زالوا به حتى أضرب عنه[1].

وقال سعيد: لقد رأيتُني ليالي الحَرَّة وما في المسجد أحد من خلق الله غيري، وإن أهل الشام ليَدخلون زُمَراً زمراً يقولون: انظروا إلى هذا الشيخ المجنون، وما كان يأتي وقت صلاة إلا وأسمع أذاناً من قبر رسول الله ﷺ، فأقيم الصلاة وأصلي وحدي.

وكان سعيد يقصُّ على الناس فيُخَوِّف ويُذَكِّر.

---

(١) في (خ) و(د): فاضرب عنقه، والمثبت من «طبقات ابن سعد» ٧/ ١٣٠ ، وما بين معكوفين منه.

وقال له رجل: إن رأيتُ سكراناً يسعني أن لا أرفعه إلى السلطان؟ فقال له سعيد: إن قَدَرتَ أن تستره بثوبك فافعل.

قال ابن سعد: وهو القائل: قلة العِيال أحد اليَسارَين.

وكان بين عينيه أثر السجود، وكان أبيض الرأس واللحية(١).

[قال هشام:] كان الحسن البصري إذا أفتى بفتوى فقيل له: قد خالفك فلان وفلان لا يرجع عن فُتياه، فإذا قيل له: قد خالفك ابن المسيب؛ رجع إلى قول ابن المسيب ويَدَع قول نفسه.

وقال سعيد وقد مرَّ به [ابن] مُرخِية الكِلابي وهو في المسجد: هذا والله أكذب العرب، قيل: وكيف يا أبا محمد؟ قال: أليس الذي يقول: [من الطويل]

سألْتُ سعيدَ بنَ المُسيِّب مُفتيَ الـ ـمدينةِ هل في حبِّ ظَمياءَ من وِزْرِ
فقال سعيد بنُ المسيِّب إنما تُلامُ على ما تستطيعُ من الأمْرِ

كَذَب، لا والله ما سألني عن هذا قطُّ ولا أفتيتُه(٢).

ذكر وفاته:

[حكى ابن سعد قال:] دخل نافع بن جُبير بن مُطعِم على سعيد بن المسيب يعوده في مرض موته، فأغمي عليه، فقال نافع: وَجّهوه إلى القبلة، ففعلوا، فأفاق فقال: من أمركم أن تُحوِّلوا فراشي إلى القِبلة، أنافع أمركم؟ قال نافع: نعم، فقال سعيد: إذا لم أكن على القبلة لا ينفعني توجيهكم فراشي إليها.

[وفي رواية ابن سعد:] قال نافع: قلت لمحمد بن سعيد: حَوِّل فراش أبيك إلى القبلة، فقال سعيد: لا تفعل؛ عليها وُلدت، وعليها أموت، وعليها أُبعث إن شاء الله.

وقال سعيد: لا تُؤذنوا أحداً بي، ولا تضربوا عليّ فُسطاطاً، ولا تتبعني نائحة ولا نار.

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٧/ ١٢٨ ـ ١٤٠ .

(٢) «الأغاني» ٩/ ١٤٧ وما بين معكوفين منه.

[وقال ابن سعد: لما مات سعيد] ترك دنانير ثم قال: اللهم إنك تعلم أني لم أتركها إلا لأصون بها حَسَبي وديني.

وحكى ابن سعد، عن الواقدي، عن عبد الحكيم بن عبد الله بن أبي فروة قال: مات سعيد بن المسيب بالمدينة سنة أربع وتسعين، وهو ابن خمس وسبعين سنة، قال: وكان يقال لها سنة الفقهاء لكثرة من مات منهم فيها.

وقيل: مات سنة ثلاث وتسعين وهو ابن أربع وثمانين سنة على الاختلاف في مولده.

والأصحّ أنه مات في سنة أربع وتسعين.

وقيل: كان ابن اثنتين وسبعين سنة(١).

ذكر أولاده:

كان له من الولد: محمد، وسعيد، وإلياس، وأم عثمان، وأم عمرو، وفاخِتة، أمهم أمُّ حَبيب بنت أبي كَريم بن عامر، من دَوْس، ومريم لأم ولد.

وقيل: إن أولاده من بنت أبي هريرة.

وكان ولده محمد نَسَّابة، نفى قوماً من بني مخزوم، فشكَوه إلى الوليد بن عبد الملك، فجلده الحدّ.

وكان له مولى يقال له: بُرْد، فكان يقول له: يا بُرْد، لا تكذِبْ عليَّ كما كذب عكرمة على ابن عباس.

وكان يقول: لا تقبلوا روايته حتى يكون معه آخر.

أسند سعيد عن: عثمان، وعلي، وزيد بن ثابت، وسعد بن أبي وقّاص، وابن عمر، وابن عباس، وأُبيّ بن كعب، وصُهيب، ومحمد بن مَسْلمة، وأبي هريرة، وعمار بن ياسر، ومعاذ بن جبل، وأبي سعيد الخدري، وسلمان، وأنس، وعائشة، وأم سلمة رضي الله عنهم في آخرين.

---

(١) من قوله: وحكى ابن سعد عن الواقدي... من (ص)، وجاءت في (د) و(خ) مختصرة، وانظر «طبقات ابن سعد» ٧/ ١٤١_١٤٣ .

وكان حريصاً على طلب الحديث قال: إن كنتُ لأسير الليالي والأيام في طلب الحديث الواحد.

وروى عنه الجَمُّ الغَفير، فقهاء المدينة، وعمر بن عبد العزيز، والزّهري، وأهل العراق والشام ومصر.

وكان إذا قرىء عليه حديث وهو مريض مضطجع جلس وقال: لا أسمع حديث رسول الله ﷺ وأنا مضطجع، رحمه الله تعالى[١].

[فصل: وفيها توفي]

أبو سلمة

ابن عبد الرحمن بن عوف الزُّهري، واسمه عبد الله الأصغر، وأمه تُماضِر بنت الأَصْبغ الكَلْبيّة.

وأبو سلمة من فقهاء المدينة السبعة، [ذكره ابن سعد] في الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة، واستقضاه سعيد بن العاص عليها.

[وذكر ابن سعد] عن الشعبي قال: قدم علينا أبو سلمة الكوفة، فمشى بيني وبين أبي بُردة، فقلنا له: مَن أفقه من خَلَّفتَ ببلادك؟ فقال: رجل بينكما.

[قال:] وقدم البصرة في زمن بشر بن مروان، وكان رجلاً صَبيحاً، كأن وجهه دينارٌ هِرَقْلِيّ.

[قال: وكان يخضب بالحِنّاء والكَتَم، وفي رواية ابن سعد أيضاً: وكان يصبغ بالسواد، وفي رواية: بالوَسِمَة، وكان يلبس الخَزَّ الأصفر.

قال ابن عساكر: كان يقال: إن أبا سلمة أرضعته أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق] فكان يتولّج[٢] عليها وعلى عائشة بذلك الإرضاع.

---

(١) انظر «طبقات ابن سعد» ٧/ ١١٩ ، و«المعارف» ٤٣٨ ، و«السير» ٤/ ٢١٧ .

(٢) في (خ) و(د): وكان يخضب ويلبس الخز الأصفر، وكانت أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق أرضعته. والمثبت من (ص) وما بين معكوفين منها، وانظر «طبقات ابن سعد» ٧/ ١٥٣-١٥٥ ، ولم أقف على قول ابن عساكر في تاريخه، وانظر «أخبار القضاة» ١/ ١١٧ ، و«السير» ٤/ ٢٨٨ .

وقال الزهري: كان يُماري ابنَ عباس، فحُرم بذلك علماً كثيراً.

ذكر وفاته:

[قال ابن سعد:] توفي بالمدينة سنة أربع وتسعين وهو ابن اثنتين وسبعين سنة. وقيل: سنة أربع ومئة.

وكان له من الولد: سَلَمة، وتُماضِر، أمُّهما أم ولد، وحسن، وحُسين، وأبو بكر، وعبد الجبار، وعبد العزيز، ونائلة، وسالمة، أمهم أم حسن بنت سعد بن الأَصْبغ، قُضاعيّة، وعبد الملك، وأم كلثوم الصغرى، لأم وَلَد، وأم كلثوم الكُبرى، أمها أم عثمان بنت عبد الله بن عوف، تزوج أم كلثوم الكبرى بشر بن مروان فولدت له. وأم عبد الله، وتُماضِر الصّغرى، وأسماء، أمهم بُرَيْهة بنت عبد الرحمن بن عبد الله، من بني زُهْرَة، وعمر بن أبي سلمة.

أسند أبو سلمة عن أبيه، وزيد بن ثابت، وأبي قَتادة، وجابر بن عبد الله، وأبي هريرة، وابن عمرو، وابن عباس، وعائشة، وأم سلمة.

وكان ثقةً فقيهاً كثير الحديث.

وروى عنه الزُّهري، ومحمد بن إبراهيم التَّيمي، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وسعيد بن أبي سعيد المَقْبُريّ، وعبد الرحمن وأبو حازم الأعرجان، وعِراك بن مالك، والشَّعبي، وعمرو بن دينار في آخرين.

عبد الله بن مُحَيْرِيز

ابن جُنادة القُرشيّ المكي، أبو مُحَيْرِيز.

من الطبقة الثانية من التابعين من أهل الشام، والأولى من أهل مصر، والثالثة من أهل فلسطين.

لقي قَبيصة بن ذُؤيب فقال له: يا أبا إسحاق، عطَّلتم الثغور، وأغزيتم الجيوشَ إلى حرم الله وإلى مصعب بن الزّبير! فقال له قبيصة: اخْزِن من لسانك. وبلغ عبدَ الملك

فأرسل إليه، فأُتي [به] متقنّعاً، فوقف بين يديه فقال: ما كلمةٌ قلتَها نُغض لها مابين الفُرات وعريش مصر؟ ثم لان له وقال: الزم الصَّمت، فإن من رأيي البقيَّة في قريش والحلمَ عنها، فكان ابن مُحَيريز يرى أنه قد غنم نفسه يومئذ[1].

وكان الأوزاعي والأئمة يُعظّمونه، ويرفعون قَدْرَه، ونزل البيت المقدس فكان رجاء ابن حيوة يقول: إن أهل المدينة ليفتخرون علينا بعبد الله بن عمر، وإنا لنفتخر عليهم بعبد الله بن محيريز؛ إماماً صَموتاً مُعتزلاً في بيته.

وكان لا يقبل برَّ أحد، ولا عطاءَ خليفة ولا ملك ولا غيرهما، بعث إليه عبد الملك بجارية، فلما دخلت عليه بيته قام فخرج ولم يَعُدْ إليه، وبلغ عبد الملك فأرسل فأخذها، فرجع إلى بيته.

وكان يقول: كفى بالمرء شراً أن يشار إليه بالأصابع، وكان يمشي من قريته إلى الرَّمْلَة ليُصَلّيَ الجمعة، وبينهما أربعة أميال.

ودخل يوماً إلى السوق اشترى ثوباً، فعرفه رجل فقال للبائع: هذا ابن مُحَيريز فأحسِنْ بيعَه، فغضب وقال: إنما نشتري بأموالنا لا بأدياننا.

وتوفي سنة أربع وتسعين، وأسند عن عُبادة بن الصّامت، وأبي سعيد الخُدْريّ، ومعاوية، وأوس بن أوس الثّقفيّ، وأبي مَحْذُورة، وكان يتيماً في حجره، وفَضالة بن عُبيد، وعبد الله ابن السَّعدي وغيرهم.

وروى عنه الزُّهريّ، ومَكحول، وحسان بن عَطيّة، وابن أبي عَبْلَة، وأبو قِلابة الجَرْميّ، وعطاء الخُراسانيّ، وخالد بن مَعْدان في آخرين[2].

عُبيد الله بن عَديّ

ابن الخِيار بن عَديّ بن نوفل بن عبد مَناف بن قُصيّ، وأُمُّه أمُّ قِتال بنت أسيد بن أبي العِيص بن أمية.

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٩/ ٤٥٠ وما بين معكوفين منه، وهذه الترجمة وتاليتها ليستا في (ص).

(٢) «حلية الأولياء» ٥/ ١٣٨، و«صفة الصفوة» ٤/ ٢٠٦، و«السير» ٤/ ٤٩٤.

مات بالمدينة في خلافة الوليد بن عبد الملك، وروى عن عمر وعثمان رضوان الله عليهم.

وكان ثقةً قليلَ الحديث، وهو من الطبقة الأولى من أهل المدينة من التابعين.

وكان له من الولد المختار لأُمِّ وَلَد، وحميدة، وأمها ميمونة بنت سفيان، من فَهْم، وكان له ابنة أخرى أمها من بني فَهْم[١].

[فصل: وفيها توفي]

عُروة بن الزُّبير بن العَوَّام

أبو عبد الله الأَسَديّ، أحد الفقهاء السبعة من أهل المدينة.

[ذكره ابن سعد] في الطبقة الثانية من التابعين من أهل المدينة [وقال:] كان فقيهاً، عالماً، ثَبْتاً، مأموناً، ثقة[٢].

وأمُّه أسماء بنت أبي بكر رضوان الله عليه.

ولد سنة ثلاث وعشرين، وقيل: سنة تسع وعشرين، وكان بينه وبين أخيه عبد الله عشرون سنة، قال عروة: أذكر وأنا أتعلَّق بشعر كَتِفَي أبي الزبير بن العوام، وكان الزبير يُرَقِّصه ويقول: [من الرجز]

أبيضُ من آل بني عَتيقِ مُبارَكٌ من وَلَدِ الصِّدِّيقِ
أَلَذُّه كما أَلَذُّ رِيقي

[وقال ابن عساكر: كان حين حُصر عثمان غلاماً لم يُنبت، وقالَ ابن عساكر: عَرضت عائشة عروةَ يوم الجمل بذاتِ عِرْق وهي قاصدةٌ البصرة، فردّته لصغره.][٣]

وقال عروة: رُدِدتُ أنا وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام يوم الجمل، استصغرونا.

وكان عروة معتزلاً للفِتن، لم يدخل مع أخيه عبد الله في شيء، ولا مع غيره، وداره بالمدينة دار صفية بنت عبد المطلب، وهي دارٌ ربّة، أي: مرتفعة واسعة.

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٥٣.

(٢) «طبقات ابن سعد» ٧/ ١٧٨ وما بين معكوفين من (ص).

(٣) انظر «تاريخ دمشق» ٤٧/ ٢٥٥_٢٥٧.

وكان يَقدم على عبد الملك[١] فيُجلسه معه على سريره، فقال له الحجاج: تُجلس ابن العُمَيشاء معك على سريرك؟ فقال له عروة: أُمّي ذات النِّطاقَين من عجائز الجنة، وأمك المُتَمَنِّية، أشار إلى أن عمر رضي الله عنه سمعها ليلة وهي تقول: [من البسيط]

هل من سبيلٍ إلى خمرٍ فأشربها ... أم من سبيلٍ إلى نصرِ بن حَجّاجِ

[وقد ذكرناه].

وقال الزهري: جالستُ عروة فكان بَحْراً لا تُكَدِّره الدِّلاء.

[وقال مصعب الزبيري:] قال عروة: ربَّ كلمة ذُلٍّ احتملتُها أورثتني عزّاً طويلاً.

[وقال ابن سعد:] كان عروة يَسْرُد الصَّومَ جميع الدهر، إلا العيدين، ومات وهو صائم، وكان يُغيِّر شَيبه، ولا يُفطر في السَّفَر.

وقال عبد الله بن حسن بن حسن: كان علي بن الحسين يجلس كلَّ ليلة هو وعروة في مؤخّر مسجد رسول الله ﷺ بعد العشاء الآخرة، فتحدَّثا ليلةً فتذاكرا جورَ بني أمية، وأنهم لا يستطيعون تغيير ذلك، ثم ذكرا ما يخافان من عقوبة الله لهم حيث هم معهم، فقال عروة: إن مَن اعتزل أهل الجور والله يعلم منه سخطه لأعمالهم؛ فإن كان منهم على ميل ثم أصابتهم عقوبة من الله؛ رُجي أن يسلم منها، فخرج عروة فسكن العَقيق، وخرج علي فنزل سُوَيْقة.

وكان يقول لبنيه: سَلوني، فلقد تركتُ الحديث حتى كدتُ أنسى، وإني لأُسئل عن الحديث فينفتح لي حديث يومي[٢].

[وروى أبو نعيم، عن هشام بن عروة قال: قال أبي:] إذا رأيتَ الرجل يعمل الحسنة فاعلم أن لها أخوات عنده، وإذا رأيته يعمل السيئة فاعلم أن لها أخوات عنده، فإن الحسنة تدلُّ على أختها.

---

(١) بعدها في (ص): وابنه الوليد، ثم قول الزهري الآتي، وقول عروة، ونُسب هذا الخبر فيها إلى ابن قتيبة، وانظر «تاريخ دمشق» ٤٧/ ٢٨٧_٢٨٨.

(٢) «طبقات ابن سعد» ٧/ ١٧٨_١٨٠.

[وروى يعقوب بن شوذب قال:] كان عروة إذا كان أيام الرُّطَب ثَلَم حائطَه فيدخل الناس، فيأكلون ويحملون، وكان إذا دخله ردَّد هذه الآية فيه حتى يخرج منه ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾[الكهف: ٣٩].

وكان يقرأ ربع القرآن كل يوم نظراً في المصحف، ويقوم به الليل، فما تركه إلا ليلة قُطعت رجله، ثم عاود من الليلة المقبلة[(١)].

ذكر ما ابتلي به عروة وصبره على البلاء:

[قال ابن سعد بإسناده عن سعد بن إبراهيم قال: كان برجل عروة أَكِلَة فقطع رجله. هذا صورة ما ذكر ابن سعد[(٢)].

واختلفت الروايات في ذلك فروى أبو نعيم[(٣)]] عن هشام بن عروة قال: خرج أبي إلى الوليد بن عبد الملك، فوقعت في رجله الأكِلَة، فقال له الوليد: يا أبا عبد الله، أرى لك قطعها وإلا سَرَتْ، فقُطعت وإنه لصائم، فما تضوَّر وجهه، ودخل ابنٌ له أكبر ولده إلى اصطبل الوليد، فرفسته دابة فقتلته، فما سُمع من أبي في ذلك شيء حتى قدم المدينة، فقال: اللهم إنه كان لي أطراف أربعة، فأخذتَ واحداً وأبقيتَ لي ثلاثة، فلك الحمد، وكان لي بنون أربعة فأخذتَ واحداً وأبقيتَ لي ثلاثة فلك الحمد، وايْم الله، لئن أخذتَ لقد أبقيتَ، ولئن ابتَليتَ فلطالما عافيت.

[وقال أبو نعيم[(٤)] بإسناده إلى مَسْلَمة بن مُحارب قال:] وقعَتْ في رجل عُروة الأَكِلَة، ولم يَدَعْ في تلك الليلة وِردَه، فقُطعت ولم يُمسكه أحد.

[وحكى يعقوب بن سفيان أنه قال لما نُشِرت رجلُه: اللهم إنك تعلم أني ما مشيت بها إلى سوء قط.]

---

(١) «حلية الأولياء» ٢/ ١٧٧ـ١٨٠ وما بين معكوفين من (ص).

(٢) في طبقاته ٧/ ١٨٠ ، والأَكِلَة: داء في العضو يأتكلُ منه. ينظر القاموس (أكل).

(٣) في حليته ٢/ ١٧٩ . وما بين معكوفين من (ص).

(٤) في «حلية الأولياء» ٢/ ١٧٩ .

وروى ابن أبي الدنيا عن أشياخه قال: لما وقعت الأَكِلَة برجل عروة بعث إليه الوليد الأطبّاء، فأجمعوا على أنهم إن لم يَنْشُروها قتلته، فقال: شأنُكم بها، قالوا: نسقيك شيئاً لئلا تُحسَّ بما نصنع بك، قال: لا، شأنُكم بها، فنشروها بالمنشار، فما حرَّك عضواً من عضو وصبر، فلما رأى القَدَم بأيديهم دعا بها، فقبّلها ثم قال: والذي حملني عليك إنه ليعلم أني ما مشيتُ بها إلى مَعصية قطّ، ثم أمر بها فغُسلت وطُيِّبت، ودُفنت في مقابر المسلمين، وتمثَّل بأبيات مَعْن بن أوس بن نَصْر المازنيّ: [من الطويل]

لعَمْرُكَ ما أهويتُ كَفِّي لِريبةٍ ... ولا حَمَلَتْني نحو فاحِشةٍ رِجلي

ولا قادني سَمعي ولا بَصري لها ... ولا دَلَّني رأيي عليها ولا عقلي

وأعلم أني لم تُصبني مُصيبةٌ ... من الدَّهر إلا قد أصابتْ فتىً قبلي[1]

[وهذا مَعْن هو الذي دخل على معاوية بن أبي سفيان فأنشده، وكان معاوية يقول: هو أشعر الناس.]

ومن شعر مَعْن قوله[2]: [من الطويل]

لعَمْرُك ما أدري وإني لأَوجَلُ ... على أيِّنا تَعدو المَنِيَّةُ أوَّلُ

وإني أخوك الدَّائمُ العَهْدِ لم أَحُلْ ... إنَ ابْزاك خَصْمٌ أو نَبا بك مَنزِلُ

وإن سُؤتَني يوماً صَفَحتُ إلى غدٍ ... ليُعْقِبَ يوماً منك آخَرُ مُقبِلُ

وإنّي على أشياءَ منك تَرِيْبُني ... قديماً لَذو صَفْحٍ على ذاك مُجْمِلُ

ستَقطع في الدُّنيا إذا ما قَطَعْتَني ... يمينَك فانظُرْ أيَّ كفٍّ تَبدَّلُ

وفي الناس إنْ رثَّتْ حبالُك واصِلٌ ... وفي الأرضِ عن دارِ القِلَى مُتَحَوَّلُ

إذا أنتَ لم تُنْصِفْ أخاك وجدْتَه ... على طَرَفِ الهِجْرانِ إن كُنتَ تَعقِلُ

ولما قال له الأطبّاء: نَسقيك دواءً يَزول به عقلُك فلا تُحسُّ بشيء قال: إذا زال عقلي فبم أعرف ربي، ثم مدّ رجلَه فقُطعت بالمنشار وهو يسبّح لم يمسكه أحد، وقال: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢]، ولم يَدَعْ وِرْدَه تلك الليلة.

---

(١) «حلية الأولياء» ٢/ ١٧٨، و«تاريخ دمشق» ١٧/ ٤٦ (مخطوط).

(٢) الأبيات في «الحماسة» ١١٢٦ (بشرح المرزوقي)، وما سلف بين معكوفين من (ص).

وقال الواقدي: قُطعت رجل عروة والوليد حاضر، فلم يشعر[١] الوليد بها حتى كُويت، فشمّ رائحة الكيّ.

[وحكى ابن هشام عن الزهري قال: وقعت الأَكِلَة برجله وهو بوادي القُرى يريد الشام وافداً على الوليد، فلما قدم الشام وقُطعت رجله لم يَزد على قوله: حَسِّ حَسِّ[٢].

وقال أبو المُطَرِّف: البغلةُ التي قتلت محمد بن عروة كان الحجاج بعث بها إلى الوليد.

قال ابن أبي الدنيا:] وقدم على الوليد في ذلك اليوم قومٌ من بني عَبْس فيهم رجل ضرير، فسأله الوليد عن عينيه فقال: بتُّ ليلةً في بطن وادٍ، ولا أعلم عَبْسِيّاً في الأرض يزيد ماله على مالي، فطَرَقنا سَيلٌ، فذهب ما كان لي من أهل ومال وولد؛ غير صبيٍّ مولود وبعير، وكان البعير صَعْباً فنَدَّ، فوضعتُ الصّبيَّ واتَّبعت البعير، فلم أجاوزه حتى سمعتُ صَيحةَ الصّبيّ، فرجعتُ إليه ورأسُ الذئب في بطنه فأكله، واستدرْتُ إلى البعير لأحبسه، فنَفَحني برِجله، فأصاب وَجهي فحَطَمه، وذهبت عيناي، فأصبحتُ لا أهل، ولا مال، ولا وَلَد، ولا عينان، فقال الوليد: انطلقوا به إلى عروة فيخبره بخبره؛ ليعلَمَ أن في الناس مَن هو أشدُّ بلاءً منه وأعظم[٣].

وقال الواقدي: قُطعت رجل عروة من نصف الساق، وعاش بعدها ثماني سنين أو أكثر.

[وقال الواقدي:] ولما قدم المدينة تلقّاه الناس يَبكون وهو يَسترجِع، فقال له عطاء ابن أبي ذؤيب رجل من قومه: يا أبا عبد الله، والله ما كنا نحتاج أن نُسابق بك ولا نُصارع، وإنما كنّا مُحتاجين إلى رأيك، والأُنسِ بك، والاستفادة من علمك، وقد بقي لنا ما كنا نحبُّ منك، وما أُصبت به فهو ذَخيرةٌ لك عند الله[٤].

---

(١) في (خ) و(د): وكان الوليد حاضر قطعها فلم يشعر، والمثبت من (ص).

(٢) الخبر في «تاريخ دمشق» ٤٧/ ٢٧٢-٢٧٣ من طريق هشام بن عروة، عن أبيه، وما بين معكوفين من (ص).

(٣) الاعتبار (٢٩)، و«تاريخ دمشق» ١٩/ ٣٣٠ (مخطوط).

(٤) «تاريخ دمشق» ٤٧/ ٢٧٣.

[قال الواقدي: اعتزل عروة الناس، وقد ذكرنا أنه نزل العَقيق، ونزل على زين العابدين سُوَيقة.

وبنى عروة بالعَقيق قَصْراً، ونقل أهله وولده إليه، فقيل له: جَفوتَ مسجد رسول الله ﷺ والناس؟! فقال: نعم، رأيتُ مساجدَهم لاهية، وأسواقهم لاغية، والفاحشة في فجاجهم فاشية، فكان في البُعد منهم العافية، ولقد ذُكر لنا أن المدينة يصيبها بَلاء، فإن أصابها شيءٌ كنت متنحّياً عنها.

قال هشام: فكان يموت بعض ولده ـ يعني ولد عروة ـ بالمدينة فلا يأتيه[1].

ذكر وفاته

واختلفوا فيها؛ فحكى ابن سعد، عن الواقدي قال:] مات عروة في أمواله بالفُرْع بمكان يقال له: مَجاج، ودُفن هناك يوم الجمعة سنة أربع وتسعين قال: وهي سنة الفقهاء[2]. [وقد روينا أنه مات وهو صائم.

وقال هشام: وله ثمانون سنة، وعند قصره بئر يعرف به، ليس هناك أعذب من مائها.

وقال أبو نعيم وأبو سعيد بن يونس: مات سنة ثلاث وتسعين.] وقيل: سنة إحدى وتسعين، وقيل: سنة سبع أو تسع وتسعين، وقيل: سنة إحدى ومئة. [والأول أصح.

قال ابن عساكر:] وقيل له: ألا تُحملُ إلى البقيع فتُدفنَ فيه؟ قال: لا، إنما هو أحد رجلين: إما ظالم فلا أحب أن أُدفن معه، وإما صالح أو مظلوم فلا أحب أن تُنبش عظامُه بسببي.

قال: وكان قد ذهب بصره في آخر عمره فقال: [من البسيط]

إن تُمْسِ عيناي في ضُرٍّ أصابهما ... ريبُ المنون وأمر كان قد قُدِرا
فما بذلك من عارٍ على أحدٍ ... إذا اتَّقى اللهَ واستوصى بما أُمِرا[3]

(١) «حلية الأولياء» ٢/ ١٨٠، و«تاريخ دمشق» ٤٧/ ٢٩٣، ٢٩٤.

(٢) «طبقات ابن سعد» ٧/ ١٨١ وما بين معكوفين من (ص) وينظر تاريخ دمشق ٤٧/ ٢٩١.

(٣) «تاريخ دمشق» ٤٧/ ٢٩٥ـ٣٠٠ وما بين معكوفين من (ص)، وجاء فيها عقب الشعر: انتهت ترجمته والله أعلم.

ذكر أولاده:

فولد عروة: عبد الله، وعمر، والأسود، وأم كلثوم، وعائشة، وأم عمر. وأمهم فاختة بنت الأسود بن أبي البَخْتَريّ الأَسَدي.

ويحيى، ومحمداً، وعثمان، وأبا بكر، وعائشة، وخديجة. وأمهم أم يحيى بنت الحكم بن أبي العاص بن أمية.

وهشاماً، وصفية لأم ولد.

وعبيد الله، وأمه أسماء بنت سَلَمة بن عمر بن أبي سَلَمة المَخزوميّ.

ومصعباً، وأم يحيى لأمّ وَلَد اسمها واصِلة.

وأسماء أمها سَوْدة بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب، وأمها صفيّة بنت أبي عُبيد[١].

ذكر أعيانهم:

أما عبد الله فكان أكبر ولده، وكُنيته أبو بكر، وهو من الطبقة الرابعة من أهل المدينة، وكذا جميع أولاد عروة، وكان ذا عقلٍ وكَرَم وشَرَف وفَضْل.

وكان يُشَبَّه بعبد الله بن الزُّبير في لسانه، وكان عبد الله يُحبُّه ويقول لعروة: ولدك هذا لي، وزوّجه ابنتَه أمَّ حكيم.

أرسل معاوية بن أبي سفيان إلى عبد الله بن الزبير رسولاً يخطب إليه ابنتَه هذه على ابنه يزيد، فدعا عبد الله بن الزبير ابنَ أخيه عبد الله بن عُروة فزوّجه إياها، وكان أول مَن زوَّج ابن أخيه، فقال الرسول لعبد الله بن الزبير: ما أقول لأمير المؤمنين؟ قال: ما له عندي جواب غير هذا الذي رأيتَ. وحضر عبد الله بن عمر العقد، وحمل عروة إليها عشرين ألفاً، فرَدّ عبد الله بن الزبير المال وقال: لو أردتُ المال لكان في يزيد كفاية، وكانت أم حكيم أحبّ بنات عبد الله بن الزبير إليه.

وكان عروة يرسل ابنه عبد الله يَجُدُّ ثَمر أمواله ويبيعه في كل عام، فكان عبد الله يَدُقُّ الثُّلَم، ويأمر الناس بالدخول [والأكل] منها، ويبيع من الثمر، ويأتي أباه بالثَّمن،

(١) «طبقات ابن سعد» ٧/ ١٧٧ .

فقال يحيى بن عروة لأبيه: إن عبد الله يُبذِّر ثَمَرك، ويَتَسخّى فيه، ويُطعمه الناس، قال عروة: فلِهِ العام أنت، فوليه يحيى، ومنع الناس أن ينالوا منه شيئاً، وسدَّ الثّلمة، وباعه مثل ما باعه عبد الله في العام الماضي، فنقص نُقصاناً فاحشاً، فقال يحيى: والله ما رَزَأْتُ منه شيئاً، فقال عروة: قد كان عبد الله يأتينا بأرزاقنا، وكان الناس ينالون منه أرزاقهم، فمنعتَهم فمنَعَنا الله ذلك.

وبلغ عبد الله بن عروة ستاً وتسعين سنة، لم يكن بينه وبين أبيه إلا خمس عشرة سنة.

وهو كان رسول عبد الله بن الزبير إلى الحُصَين بن نُمَيْر حتى لحقه بمكة عند وفاة يزيد بن معاوية.

وكان عبد الله قد اعتزل الناس، وخرج عن المدينة، فقيل له: تركتَ المدينة دار الهجرة والسنة، فلو رجعت إليها ولقيتَ الناس، فقال: وأين الناس؟ إنما الناس رجلان: شامت بنكْبة، أو حاسدٌ لنِعمة.

وكان لعبد الله بن عروة من الولد: عمر، وصالح، وعائشة، أمهم أم حكيم بنت عبد الله بن الزبير، وسلمة، وسالم، ومسَالم، وخديجة، وصفية، وأمهم أم سَلَمة بنت حمزة بن عبد الله بن الزبير.

وروى عن عبد الله الزُّهريُّ، وكان ثقةً قليلَ الحديث(١).

وأما يحيى(٢) بن عروة فروى عنه الزهري، وكان قليل الحديث.

كان له من الولد: عروة، وأمه زينب بنت عُبيدة بن المنذر بن الزبير، ومروان الأكبر، ومحمد الأكبر، والزبير، لا بقيَّة لهم، وأم يحيى، وأسماء، وأمُّهم أم إبراهيم بنت إبراهيم بن عبد الله بن نُعيم بن النَّحّام العَدَويّ. والحكم، وأم عبد الله، وعائشة، وأمهم أم إبراهيم هذه، وعبد الملك، ومروان الأصغر، ومحمد، لأم ولد.

(١) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٤٦٠، و«نسب قريش» ٢٤٥ـ٢٤٦، و«المعارف» ٢٢٢، و«أنساب الأشراف» ٨/ ٦ـ٦٩، و«تاريخ دمشق» ٣٦/ ٦١٣، و«التبيين» ٢٦٤.

(٢) في (خ) و(د): عمرو، وهو خطأ.

وفد يحيى بن عروة على عبد الملك ـ وكان من أشراف بني عروة ـ فجلس ببابه، فسمع الحاجب يتناول عبد الله بن الزبير، فضربه يحيى فشجّه فأدماه، فدخل الحاجب على عبد الملك على تلك الحال فقال: مَن فعل بك هذا؟ قال: يحيى بن عروة، فقال: عليَّ به، وكان عبد الملك متكئاً فقعد، فلما دخل عليه يحيى قال له: لم فعلتَ بحاجبي هذا؟ فقال له يحيى: عمي عبد الله بن الزبير كان أحسن جواراً لعمتك منك لنا، والله لقد كان يقول لها: من سَبَّ أهلك فسُبّي أهله، ولقد كان ينهى حُجَّابه وأهلَه وعشيرته أن يسمعوها فيكم، فاضطجع عبد الملك، ولم يزل مُكرماً ليحيى بن عروة.

أشار يحيى إلى أُمِّه بنت الحكم أخت مروان، فإنها كانت زوجة عروة، وكان أيام حصار ابن الزبير بمكة.

أنكر يحيى على إبراهيم بن هشام عامل هشام بن عبد الملك على المدينة، فضربه فمات بعد الضَّرب، وله عَقِب في المدينة.

وكان أعلم من هشام بن عروة، وكان يلي عبد الله أخاه في السنّ، وله أشعار منها: [من الخفيف]

ابنُ عمي وقبل ذاك أبوه ... وقتيلُ العراقِ بين الجُسورِ
آثَروا العِزّ والعَلاء فماتوا ... قبل دَهرٍ يُشابُ بالتَّكْديرِ[1]

وأما محمد بن عروة فهو الذي دخل دار الدَّوابِّ وقتلته البَغْلة، وقيل: إن البغلة كان الحجاج بعث بها إلى الوليد، فحمل عليها عروة، وكان عروة يحبّ ولده محمداً، فما تجاسر أحد أن يخبره، وكان الماجشون قد صحبه إلى الشام فأخذ يُسلّيه ويُعزِّيه، ففطن فاسترجع، ولم يتأوّه، ولم يتكلّم.

وأمه أم يحيى أخت مروان.

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٤٦١، و«نسب قريش» ٢٤٧، و«المعارف» ٢٢٣، و«أنساب الأشراف» ٨/ ٧٠، و«تاريخ دمشق» ١٨/ ١٦٦، ١٦٨، و«التبيين» ٢٦٥.

وكان بارع الجمال، دخل يوماً على الوليد وله غَديرتان، وهو يتبختر في مشيته، فقال الوليد: هذا والله التَّغَطْرُف، هكذا تكون فِتيان قريش، فأصابه بالعين، فقام من نومه مَتَوَسِّناً، فوقع في إصطبل الدوابّ، فلم تزل تَطَؤه حتى مات.

وكانت له ابنة يقال لها: أم يحيى، وأمها حفصة بنت عبد الرحمن بن عمرو بن سعد ابن معاذ.

أسند محمد عن أبيه، وعمه عبد الله، وروى عنه الزهري، وأخوه هشام بن عروة، وليس له عقب من قبل الرجال(١).

وأما عثمان بن عروة فتوفّي أول خلافة أبي جعفر، وكان قليل الحديث، روى عنه ابن أبي عامر(٢).

وكان له أولاد: عروة، وأبو بكر، وعبد الرحمن، ويزيد، وأم يحيى، وكلْثَم، وحفصة، وأمهم قريبة بنت عبد الرحمن بن المنذر بن الزبير، ويحيى، وهشام، لأم ولد، وخديجة، وأُبَيّة، وفاطمة، وأمهم أمُّ حَبيب بنت عبد الله بن عبد الله بن حَنْظَلة ابن الراهب، من الأوس.

وأما عُبيد الله بن عروة فكنيته أبو بكر، كان له من الولد: عروة، وعاصم، ومصعب، وحفصة، وأمهم بنت رياح بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب.

وكان عبيد الله أصغر ولد عروة، وبقي حتى أدركه الواقدي وسمع منه، قال الزهري: قلت له: ابن كم أنت يوم مات عروة؟ قال: ابن تسع سنين.

ومن شعر عبيد الله: [من الطويل]

يحبُّ الفتى المالَ الكثيرَ وإنما ... لنَفسِ الفتى مما يَحُوزُ نَصيبُ

ترى المرءَ يُبكيه الذي مات قبلَه ... وموتُ الذي يَبكي عليه قَريبُ(٣)

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٤٦١ ، و«نسب قريش» ٢٤٧ ، و«المعارف» ٢٢٣ ، و«أنساب الأشراف» ٨/ ٦٩ ، و«تاريخ دمشق» ٦٣/ ٢٢٩ .

(٢) كذا في (خ) و(د)، ولم أقف عليه، فلم يذكروه في الرواة عنه، انظر «طبقات ابن سعد» ٧/ ٤٦٢ ، و«نسب قريش» ٢٤٨ ، و«المعارف» ٢٢٣ ، و«أنساب الأشراف» ٨/ ٧٠ ، و«تاريخ دمشق» ٤٥/ ٣٠٧ ، و«التبيين» ٢٦٦ .

(٣) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٤٦٢ ، و«نسب قريش» ٢٤٨ ، و«أنساب الأشراف» ٨/ ٧٠ ، و«المعارف» ٢٢٣ ، و«التبيين» ٢٦٦ .

وأما هشام بن عروة فتوفي في أيام أبي جعفر سنة ست وأربعين ومئة، وسنذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر مسانيد عروة:

أسند عن أبيه، وعن زيد بن ثابت، وأسامة بن زيد، وعبد الله بن الأرقم(١)، وأبي أيّوب، والنعمان بن بشير، وأبي هريرة، ومعاوية، وعبد الله بن عمرو، وابن عباس، وعبد الله بن الزبير، والمِسْوَر بن مَخْرَمة، وعائشة، ومروان، وزينب بنت أبي سلمة، وعبد الرحمن بن عبد القاري، وبشير بن أبي مسعود، وزُبيد بن الصَّلْت، ويحيى بن عبد الرحمن، وغيرهم.

وكان ثقة كثير الحديث.

وقيل: أسند عن علي بن أبي طالب، وعبد الرحمن بن عوف، وسعيد بن زيد رضي الله عنهم، وروى عن أمه أسماء، والحسن والحسين رضي الله عنهم، والمغيرة بن شُعبة، وعبد الله بن جعفر.

وروى عنه خلق كثير، منهم: بنوه يحيى، وهشام، ومحمد، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، والزهري، وصفوان بن سُلَيم، وعلي بن زيد بن جُدْعان، وسليمان وعطاء ابنا يسار، وعطاء بن أبي رباح، وعِراك بن مالك، وسعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، والشعبي، والنخعي وغيرهم.

وقال الزهري: ما ماتت عائشة رضي الله عنها حتى أخذ عروة جميع ما كان عندها من العلم.

وكان يتألَّف الناس على العلم وحديثه ويقول: سلوني؛ فإنني أتمنّى أن يُؤخذ عني العلم.

---

(١) في (خ) و(د): وثمامة بن زيد وعبد الرحمن بن الأرقم، وهو خطأ صوابه من «تاريخ دمشق» ٤٧/ ٢٤٦، و«تهذيب الكمال» (٤٤٩٤)، و«السير» ٤/ ٤٢١-٤٢٢.

[فصل: وفيها توفي]

عطاء بن يَسار

مولى ميمونة زوج النبي ﷺ، وكنيته أبو محمد، وقيل: أبو يسار، وهو من الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة.

[وهو أخو سُليمان بن يسار، وكان عطاء بن يسار يَقصُّ في مسجد رسول الله ﷺ والقاسم وسالم يجلسان إليه.]

قال ابن بُكير: كان بالمدينة ثلاثة إخوة لا يُدرى أيّهم أفضل: عطاء وسليمان وعبد الله بنو يسار، وثلاثة إخوة: محمد وأبو بكر وعمر بنو المُنْكَدِر، وثلاثة إخوة: بُكَير بن عبد الله بن الأشجّ ويعقوب وعمر.

وسئل الإمام أحمد رحمه الله عن عطاء وإخوته فحَسَّن القول فيهم.

وحجَّ عطاء من المدينة إلى مكة ثلاثاً وستين حجة.

وخطب رجل من العرب ابنةَ عطاء فقال له: ما نُنكر نَسبك ومَوضعك، ولكنا نُزَوِّج مثلَنا، وتزوَّج أنت في عشيرتك، وبلغ ابنَ المسيب فقال: أحسن عطاء ما شاء.

ذكر وفاته:

واختلفوا فيها؛ فقال هشام مات في سنة أربع وتسعين سنة الفقهاء.

وحكى ابن سعد عن الواقدي أنه مات في سنة ثلاث ومئة وهو ابن أربع وثمانين سنة.

قال ابن سعد: وقال غير محمد بن عمر: إنه توفي سنة أربع وتسعين، وهو أشبه بالأمر.

وقال أبو سعيد بن يونس(١): قدم عطاء مصر وحدَّث بها، وخرج إلى الإسكندرية، فزعم سعيد بن عُفَير أنه توفي بها [ولم يذكر تاريخ وفاته].

---

(١) من قوله: ذكر وفاته... إلى هنا من (ص)، وجاءت في (خ) و(د) مختصرة.

وكان عطاء بن يسار ثقةً كثير الحديث.

سمع عطاء ابنَ مسعود، وأبيّ بن كعب، وخَوّات بن جُبير، وأَبا أيّوب الأنصاريّ، وأبا واقد اللّيثي، وأبا رافع، وعبد الله بن سَلام، وعائشة، وميمونة وغيرهم.

وروى عنه زيد بن أسلم، وعبيد الله بن مِقْسَم وبُكَير بن عبد الله بن الأَشَجّ، وأبو سلمة ابن عبد الرحمن، وشَريك بن عبد الله بن أبي نَمِر[(١)]، وصفوان بن سُلَيم، في آخرين.

[فصل: وفيها توفي]

عليّ بن الحُسين

ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويلقب بزَين العابدين.

[ذكره ابن سعد في] الطبقة الثانية من التابعين من أهل المدينة.

وكنيته أبو محمد [وقيل: أبو الحسين.

واختلفوا في اسم أُمِّه، فقال ابن سعد:] أمه أمُّ وَلَد يُقال لها: غَزالة[(٢)]. [وقال الهيثم بن عَديّ: كان اسمها: السُّلافَة، وقيل: سَلّامة، وقيل: شاه زنان.

قال ابن قتيبة: كان عليّ بارّاً بها، وكانت سِنديّة، ما أكل معها في قَصْعَةٍ قط، فقيل له في ذلك فقال: أخاف أن تسبق يدي إلى ما وقعت عينُها عليه؛ فأكون قد عَققتُها.

وزوَّجها عليّ من مولاه زُيَيْد، وأعتق جاريةً له وتزوَّجها، فكتب إليه عبد الملك يُعيِّره بذلك، فكتب إليه علي رحمة الله عليه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، قد أعتق رسول الله ﷺ صَفيَّة بنت حُيَيّ وتزوَّجها، وأعتق زيدَ بنَ حارثة وزوَّجه ابنةَ عَمَّته زينب بنت جحش[(٣)].

---

(١) في (خ) و(د): بن نُمير، وهو خطأ. وانظر مصادر ترجمته في «طبقات ابن سعد» ٧/ ١٧١-١٧٢، و«تاريخ دمشق» ٤٨/ ٢٨، و«تهذيب الكمال» ١٢/ ٤٧٥، و«السير» ٤/ ٤٤٨.

(٢) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٠٩.

(٣) «المعارف» ٢١٥، وفي «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢١٢ أن علياً زوّج ابنة له من مولاه.

فولدت عبد الله بن زُبَيد، فهو أخو علي لأمّه، ولزُبَيْد عقب بيَنْبُع.

ذكر مولد علي بن الحسين:

واختلفوا فيه على أقوال؛ أحدها سنة ثلاث وثلاثين من الهجرة في خلافة عثمان؛ حكاه ابن عساكر.

والثاني سنة سبع وثلاثين، ذكره أبو اليقظان.

والثالث: سنة ثمان وثلاثين؛ قاله الهيثم.

وقال ابن سعد:] كان[1] علي بن الحسين مع أبيه يوم الطَّفوف وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، وكان مريضاً على الفراش.

وهذه الرواية تدل على أنه ولد سنة سبع وثلاثين [لأن أباه قتل في أول سنة إحدى وستين.

قال ابن سعد:] ولعلي بن الحسين هذا العَقِب من ولد الحسين، وهو علي الأصغر [أما علي الأكبر فقتل مع أبيه يوم الطّفوف، وقد ذكرناه[2].

ذكر طرف من أخباره:

ذكر المدائني عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه] أتى أبا جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي إلى الكُتَّاب وهو صغير، فقال له: رسول الله ﷺ يسلم عليك، فقال: يا جابر، وكيف هذا؟ فقال: كنت جالساً عند رسول الله ﷺ والحسين في حجره وهو يداعبه فقال: «يا جابر، يولد له مولود اسمه علي، فإذا كان يوم القيامة نادى مُنادٍ: هَلُمَّ سيّد العابدين ـ أو زين العابدين ـ فيقوم ولده علي، ثم يولد لعلي مولود اسمه محمد، فإن أدركتَه يا جابر فأقرئه مني السَّلام».

[وقد رواه ابن عساكر في «تاريخه»[3] وقال: قد سمّاه رسول الله ﷺ قبل أن يوجد سيّد العابدين.

---

(١) ما بين معكوفين من (ص) وجاء مختصراً في (خ) و(د). وانظر «تاريخ دمشق» ٤٨/ ٨٨ ، و«طبقات ابن سعد» ٧/ ٢١٠.

(٢) ما بين معكوفين من (ص) وجاء مختصراً في النسختين. وانظر «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٠٩ـ٢١٠.

(٣) «تاريخ دمشق» ٤٨/ ٩٧ ، وما بين معكوفين من (ص). والحديث موضوع، ينظر الموضوعات (٨٦٤).

وقد روينا عن علي عليه السلام أنه قال: املكوا عَلَيَّ هذين الغلامين - يعني الحسن والحسين، وهما يتنازعان القتال يوم صفّين - فإني أخاف أن ينقطع نسلُ رسول الله ﷺ، لا شَهِدا معي حَرْباً بعد اليوم.

وقال ابن سعد:] كان علي بن الحسين ثقة مأموناً كثير الحديث عالياً رفيعاً ورعاً عفيفاً(١).

[وقد ذكرنا ما جرى بين علي بن الحسين وبين ابن زياد لما قُتل الحسين عليه السلام، وما جرى بينه وبين يزيد بن معاوية وأنه ردّه مع السَّبايا والرأس إلى المدينة.

وقال ابن سعد: حدثنا الفَضْل بن دُكَين، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن] العَيْزار بن حُرَيث قال: كنت عند ابن عباس وأتاه علي بن الحسين فقال: مرحباً بالحبيب بن الحبيب.

وبعث إليه المختار بن أبي عُبيد بمئة ألف، فكره أن يقبلها، وخاف أن يردَّها عليه، فاحتبسها عنده، فلما قُتل المختار وولي عبد الملك كتب إليه يخبره وقال: كرهتُ أن آخُذها، فابعث مَن يقبضها، فكتب إليه عبد الملك: يابن عَمّ، خذها فقد طَيَّبْتُها لك، فأخذها.

وكان عليّ يلعن المختار، فقيل له: تلعنه وإنما ذُبح فيكم؟ فقال: إنه كان كذّاباً يكذب على الله ورسوله، يزعم أنه يوحى إليه.

وقال: التَّارك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كالنابذ لكتاب الله وراء ظهره، إلا أن يَتَّقي تُقاة، قيل: وما تُقاة؟ قال: يخاف جبّاراً عنيداً، يخاف أن يَفْرُطَ عليه أو أن يطغى.

وقال: يا أيها الناس، أحبُّونا حُبَّ الإسلام، فما برح بنا حبُّكم حتى بَغَّضتمونا إلى الناس.

وأصاب الزهريُّ دماً خطأً، فخرج وترك أهله، وضرب فُسطاطاً وقال: لا يُظِلُّني سقفُ بيت، فمر به علي بن الحسين فقال: يا ابن شِهاب؛ قُنوطك أشدُّ من ذنبك،

(١) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢١٩ .

فاستغفر الله، وابعث إلى أهله بالدِّية، وارجع إلى أهلك، فكان الزهري يقول: علي ابن الحسين أعظم الناس عليَّ مِنَّةً.

وقال عبد الله بن علي بن الحسين: لما قُتل الحسين قال مروان لأبي: إن أباك كان سألني أربعة آلاف دينار فلم تكن حاضرة عندي، وهي اليوم عندي مُتيسّرة، فإن أردتَها فخُذها، فأخذها أبي، ولم يُكلّمه أحدٌ من بني مروان؛ حتى قام هشام بن عبد الملك فقال لأبي: ما فعل حَقُّنا قِبَلَكم؟ قال: مُوَفَّر مَشكور، قال: هو لك.

وكان علي بن الحسين أحسن أهل بيته طاعة، وأحبّهم إلى مروان وابنه عبد الملك.

قلت: قوله[1]: حتى قام هشام بن عبد الملك فيه نظر؛ فإن علي بن الحسين ﵄ مات في هذه السنة كما ذكر، وهشام إنما ولي بعد ذلك بعدة سنين.

[وقال ابن سعد، عن عبد الله بن داود قال:] كان علي إذا أتاه سائل قام بنفسه فناوله ويقول: إن الصدقة لتقع بيد الله قبل أن تقع بيد السائل.

[وحكى ابن سعد عنه أنه] قال: والله ما قُتل عثمان على وجه الحقّ.

وكان إذا قام إلى الصلاة أخذته رِعْدة، فيقال له: ما لك؟ فيقول: ما تدرون بين يدي من أقوم ولمن أُناجي؟!

قال: وكان يخرج على راحلته إلى مكة، ويرجع ولا يقرعها بسَوْط.

قال: وكان يَخضِب بالحِنَّاء والكَتَم، وفي رواية بالسَّواد.

قال: وكان له كِساءُ خَزٍّ يلبَسه يوم الجمعة، وكان له فَروةٌ من ثعالب، فإذا أراد الصلاة نَزعها.

وكانت له جُمَّة إلى المَنْكِب وكان يَفرِق شَعَره.

وكان يشتري كِساء الخَزِّ بخمسين دِيناراً فيشتو فيه، ثم يبيعه ويتصدّق بثمنه، وكذا كان يفعل في ثياب الصّيف.

---

(١) يريد ابن سعد، فما سلف من أخبار في طبقاته ٧/ ٢١١_٢١٣.

[وقال ابن سعد أيضاً بإسناده عن ثابت الثّماليّ قال: سمعت أبا جعفر قال:] دخل عليُّ ابن الحسين الكَنيف ثم خرج فقال: رأيت الذُّباب يَقَعْن على العَذِرات، ثم يَطِرنَ فيقعن على الثّياب، فأردتُ أن أتّخذ ثوباً للكنيف، ثم قلت: لا ينبغي لي شيءٌ لا يَسَع الناس.

وقيل إنه قال: كيف أصنع شيئاً لم يَصنعْه رسول الله ﷺ ولا الخلفاء بعده؟! ما كان لهم إلا ثوبٌ واحد.

وفي رواية أنه قال: أُحدث حَدَثاً فأنا أستغفر الله منه[(١)].

[قلت: وأصل هذا أن يَسير النَّجاسات مَعْفُوٌّ عنها؛ لأن الاحتِراز عنه غير ممكن، ولهذا قال محمد رحمه الله: فإن انتَضح عليه البول مثل رؤوس الإبَر يجب غسلُه؛ لقوله عليه السلام: «استَنزهوا من البَول» من غير فَصْلٍ بين القليل والكثير.][(٢)]

وكان يقول: المؤمن مُفَتَّنٌ تَوّاب، إن الله يحبُّ المؤمن المُذْنِبَ التوَّاب.

[وقال ابن أبي الدُّنيا بإسناده إلى عبد الرحمن بن حَفْص القُرشيّ قال:] كان علي بن الحسين إذا توضأ اصْفَرَّ، فيقول له أهلُه: ما هذا الذي يَعتادك عند الوضوء؟ فيقول: تَدرون بين يدي من أُريد أن أقوم؟!

[وروى ابن أبي الدنيا، عن أبي نُوحٍ الأنصاريّ قال:] وقع حَريقٌ في بيت علي بن الحسين وهو ساجد، فجعلوا يقولون له: يابن رسول الله النّار، يابن رسول الله النّار، فما رفع رأسه حتى أُطفئت، فقيل له: ما الذي ألهاك عنها؟ فقال: النار الأخرى.

[وقال سفيان:] جاء رجل إلى علي فقال: إن فلاناً آذاك ووقع فيك، قال: فانطلق بنا إليه، فانطلق معه وهو يرى أنه سيَنتصر لنفسه، فلما أتاه قال: يا هذا، إن كان ما قلتَ فيَّ حقّاً فغفر الله لي، وإن كان ما قلتَ باطلاً فغفر الله لك.

وكان بين حَسن بن حسن وبينه بعض الأمر، فجاء حسن إليه وهو مع أصحابه في المسجد، فما ترك شيئاً إلا قاله له، وعليٌّ ساكت، وانصرف حسن، فلما كان في الليل

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢١٣ ـ ٢١٦، وما بين معكوفين من (ص)، والخبر الأخير من (ص) فإنه جاء في النسختين (خ ـ د) مختصراً.

(٢) ما بين معكوفين من (ص)، ومحمد هو ابنُ الحسن الشيباني. وانظر حاشية ابن عابدين ١/ ٣٢٣.

أتاه عليّ في منزله، فقرع بابه فخرج، فقال له علي: يا أخي، إن كنتَ صادقاً فيما قلتَ فغفر الله لي، وإن كنتَ كاذباً فغفر الله لك، والسلام عليك، وولّى، فتبعه حسن، والتزمه من خلفه وبكى حتى رثى له، ثم قال: لا جرم، لا عُدتُ في أمرٍ تكرهه، قال علي: وأنت في حلٍّ مما قلتَ لي(١).

وقال(٢): فَقْدُ الأحبَّةِ غُربة.

وكان يقول: اللهم إني أعوذ بك أن تَحسُنَ في لوامع العيون علانيتي، وتَقْبُحَ سريرتي، اللهم إني أسأتُ وأحسنتَ إليّ، فإذا عُدْتُ فعُدْ عليَّ.

وقال: إن أقواماً عبدوا الله رهبةً فتلك عبادة العبيد، وآخرين عبدوه رغبة فتلك عبادة الأحرار(٣).

وقال(٤): عجبتُ للمتكبّر الفَجور؛ الذي كان بالأمس نُطفةً ثم غدا جِيفة، وعجبتُ لمن شكَّ في الله وهو يرى عجائبَ خَلْقه، وعجبتُ لمن أنكر النَّشأةَ الأُخرى وهو يرى النشأة الأولى، وعجبتُ لمن عَمل لدار الفَناء، وترك العمل لدار البقاء.

قال: وكان إذا أتاه السائل رحَّب به ويقول: مَرْحباً بمَن يحمل.

وكان يُبَخَّل، فلما مات وجدوه يَقوت مئةَ أهلِ بيتٍ بالمدينة.

[وقال محمد بن إسحاق:] كان ناسٌ من أهل المدينة يعيشون لا يُدرى من أين كان معاشُهم، فلما مات علي فقدوا ما كان يأتيهم بالليل [أو فقدوا ما كانوا يُؤتون به في الليل.

وروى أبو نعيم عن أبي حَمْزة الثّمالي قال:] كان علي بن الحسين يحمل جِراب الدَّقيق على ظهره بالليل، فيتصدق به ويقول: إن صَدَقةَ السِّرِّ تُطفىء غَضبَ الربّ عز وجل، فلما مات وغَسّلوه جعلوا ينظرون إلى آثارٍ سُود في ظهره، فقالوا: ما هذا؟ فقيل: كان يحمل جِراب الدّقيق ليلاً على ظهره، فيعطيها فقراءَ المدينة.

(١) «تاريخ دمشق» ٤٩/ ١٠٤_١٠٥، ١١٩_١٢٠.

(٢) في (ص): وروى أبو نعيم، عن جعفر بن محمد، عن أبيه أنه قال، ولم أقف على الخبر في «الحلية» في ترجمته.

(٣) «تاريخ دمشق» ٤٩/ ١٣٦، و«السير» ٤/ ٣٩٦.

(٤) في (ص): وروى أبو نعيم عن جعفر بن محمد عن أبيه أيضاً أنه قال، ولم أقف عليه في «الحلية» في ترجمته.

[قال ابن عائشة:] فكان أهل المدينة يقولون: ما فقدنا صَدقةَ السِّر حتى مات علي ابن الحسين[١].

[وروى ابن أبي الدُّنيا عن سفيان قال:] أراد علي بن الحسين الخروج في حجٍّ أو عُمرة، فاتَّخذت له سُكينة بنت الحُسين سُفرة أنفقت عليها ألفَ درهم أو نحوَها، وأرسلت بها إليه، فلما كان بظَهر الحَرَّةِ أمر بها فقُسمت على المساكين.

وأتاه نَفَرٌ[٢] من أهل العراق فقالوا: ما تقول في أبي بكر وعمر وعثمان ـ ﵃؟ فقال: أخبروني، أنتم المهاجرون الأوَّلون ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾؟ قالوا: لا، قال: فأنتم الذين ﴿تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ﴾؟ قالوا: لا، قال: أمّا أنتم فقد أقررتم أنكم لستم من أحدٍ من هذين الفريقين، وأنا أشهد أنكم لستم من الذين ﴿جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ الآية [الحشر: ٨ـ١٠]، اخرجوا فعل الله بكم وصَنع.

[وروى أبو نعيم، عن] نافع بن جُبَير أنه قال لعلي بن الحسين: أنت سيِّدُ الناس وأفضلُهم، تذهب إلى هذا العَبد فتجلسُ معه ـ يعني زيد بن أسلم؟ فقال: إنه ينبغي للعلم أن يُتْبَع حيث كان[٣].

وقال سعيد بن مَرْجَانة[٤]: أعتق علي بن الحسين عبداً له قيمة، سمعني وأنا أروي حديثَ أبي هريرة فقال: هو حُرٌّ، والحديث أخرجاه في «الصحيحين»، ورواه الإمام أحمد في «المسند»[٥] فقال: حدثنا مكّي بن إبراهيم، ثنا عبد الله ـ يعني ابن سعيد بن أبي هِند ـ عن إسماعيل بن أبي حَكيم مولى آل الزُّبير، عن سعيد بن مَرْجانة أنه قال: سمعتُ

---

(١) «حلية الأولياء» ٣/ ١٣٥ـ١٣٦، وما بين معكوفين من (ص).

(٢) في (خ) و(د): فقير، وهو تصحيف، وليس الخبر في (ص)، والمثبت من «حلية الأولياء» ٣/ ١٣٧، و«تاريخ دمشق» ٤٩/ ١١٤، ١١٥، و«المنتظم» ٦/ ٣٢٧، و«صفة الصفوة» ٢/ ٩٧ـ ٩٨.

(٣) «حلية الأولياء» ٣/ ١٣٨.

(٤) هذا الخبر من (ص)، وجاء في (خ) و(د) مختصراً، وهو في «صفة الصفوة» ٢/ ٩٧.

(٥) صحيح البخاري (٦٧١٥)، وصحيح مسلم (١٥٠٩)، ومسند أحمد (٩٤٤١).

أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «مَن أعتق رَقَبةً مؤمنةً أعتق الله بكلِّ إرْبٍ منها إرْباً منه من النار، حتى إنه ليُعْتِق باليد اليد، وبالرجل الرجل، وبالفرج الفرج».

فقال علي بن الحسين لسعيد بن مَرْجانة: أنت سمعتَ هذا من أبي هريرة؟ قال: نعم، فقال لغُلامٍ له أَفْرَهِ غِلمانه: ادع لي مُطَرِّفاً ـ لغلامٍ لم يكن له مثلُه ـ فلما وقف بين يديه قال: اذهبْ فأنت حُرٌّ لوجه الله تعالى. متّفق عليه.

قال عبد الله بن جعفر: وكان عليٌّ قد أُعطي في هذا الغلام ألف دينار، أو عشرة آلاف درهم.

قلت: ولهذا الحديث استحبَّ العلماء أن يُعتق الذكرُ الذكرَ، والأنثى الأنثى.

[وروى أبو نُعيم، عن صالح بن حسّان قال:] قال رجلٌ لابن المسيب: ما رأيتُ أحداً أَوْرَعَ من فلان، فقال ابن المسيب: فهل رأيتَ علي بن الحسين؟ قال: لا، قال: ما رأيتُ أحداً أَوْرَعَ منه[1].

[وروى ابن عائشة، عن أبيه[2]، عن طاوس قال:] رأيت علي بن الحسين ساجداً في الحِجْر ويقول: عُبيدُك بفِنائك، مسكينُك بفِنائك، سائلُك بفِنائك، فقيرُك بفِنائك.

قال طاوس: فوالله ما دعوتُ اللهَ بها في كَرْبٍ إلا وفَرَّجَ عني.

وكان علي يصلي[3] في كل يوم وليلة ألف ركعة، ولا يُمكِّن أحداً أن يستقيَ له ماءً لوضوئه، ولا يُعينَه عليه.

وكانت الرّيحُ إذا هبَّت عاصفةً يسقط من الخوف مَغشيّاً عليه.

[وروى ابن أبي الدُّنيا، عن عبد الغفّار بن القاسم قال:] خرج علي من المسجد، فلقيَه رجل فسَبَّه، فثار إليه العبيد والموالي، فنهاهم علي وقال للرجل: ما ستر الله

---

(١) «حلية الأولياء» ٣/ ١٤١.

(٢) في (ص): عن عائشة، وهو خطأ، فإن ابن عائشة هو: عبيد الله بن محمد بن حفص بن عمر القرشي التيمي، المعروف بابن عائشة لأنه من ولد عائشة بنت طلحة بن عبيد الله، وهو يروي هذا الخبر عن أبيه عن طاوس، انظر «مجالس ثعلب» ٤٦٢، و«تاريخ دمشق» ٤٩/ ١٠٧، و«المنتظم» ٦/ ٣٢٩.

(٣) في (ص): وقال أبو نعيم كان علي يصلي، ولم أقف عليه في «الحلية» في ترجمته، وهو في «تاريخ دمشق» ٤٩/ ١٠٥ من طريق آخر.

عنك من أمرنا أكثر، ألك حاجةٌ نُعينك عليها؟ فاستحيى الرجل، فألقى عليٌّ عليه خَميصة كانت عليه، وأمر له بألف درهم، فكان الرجل بعد ذلك إذا رآه يقول: أشهد أنك من أولاد المرسلين.

[وروى ابن أبي الدنيا، عن رجل من أولاد عمار بن ياسر قال:] كان عند علي بن الحسين قومٌ، فاستعجل خادماً له بشِواء كان في التَّنُّور، فأقبل به الخادمُ مُسرعاً، فسقط السَّفُّود من يده على بُنَيٍّ صغيرٍ لعلي، فأصاب رأسه فقتله، فقال علي للغلام أو الخادم: أنت حُرٌّ؛ فإنك لم تَتَعَمَّدْه(١).

[وروى أبو نعيم، عن عمرو بن دينار قال:] دخل علي بن الحسين على محمد بن أسامة بن زيد في مرضه يعوده، فجعل محمد يبكي، فقال له علي: ما الذي يُبكيك؟ قال: عليَّ دَيْن، فقال علي بن الحسين: كم هو؟ قال: خمسة عشر ألف دينار، فقال عليٌّ: هو عليَّ(٢).

وقال أبو جعفر محمد بن علي: أوصاني أبي علي فقال: يا بُنيّ، لا تصحَبَنَّ خمسةً ولا تُحادثهم ولا تُرافقهم في طريق، قلت: مَن هم؟ فقال: لا تصحبَنّ فاسقاً؛ فإنه يبيعُك بأَكْلَة فما دونها، ولا تصحبَنّ بَخيلاً؛ فإنه يقطع عنك مالَه أحوجَ ما كنتَ إليه، ولا تصحبَنَّ كذّاباً؛ فإنه بمنزلة السَّراب، يُبعد منك القريب، ويُقَرّب منك البعيد، ولا تصحبنَّ أحمق؛ فإنه يريد أن يَنفعك فيَضُرَّك، ولا تصحبَنّ قاطعَ رَحِمٍ؛ فإني وجدتُه مَلعوناً في كتاب الله في ثلاثة مواضع(٣).

[وقال أبو نعيم بإسناده إلى ابن عائشة، عن أبيه قال:] حجَّ هشام بنُ عبد الملك قبل أن يَليَ الخلافة [فاجتهد أن يَستلم الحَجَر فلم يُمْكنه، وجاء علي بن الحسين فوقف له الناس، فتنَحَّوا حتى استلم(٤).

---

(١) «تاريخ دمشق» ٤٩/١١٩، ١٢٠، وما بين معكوفين من (ص).

(٢) «حلية الأولياء» ٣/١٤١ وما بين معكوفين من (ص).

(٣) «تاريخ دمشق» ٤٩/١٣٥.

(٤) «حلية الأولياء» ٣/١٣٦ وما بين معكوفين من (ص).

وذكر الموفق طَرفاً من ذلك فقال: حجّ هشام] فأراد أن يستلم الحَجَر فلم يقدر عليه من الزّحام، فنُصب له مِنبَرٌ فجلس عليه، وطاف به أهلُ الشام، فبينا هو كذلك أقبل عليُّ بن الحسين ـ وكان أحسنَ الناس وَجْهاً، وأطيبَهم ريحاً ـ فطاف بالبيت، فكان إذا بلغ الحَجَر تنحَّى الناسُ عنه حتى يَستَلِمَه هيبةً له وإجلالاً، فغاظ ذلك هشاماً، وقال رجل من أهل الشام: مَن هذا الذي قد هابه الناس هذه الهَيبة؟ فقال هشام: لا أعرفه ـ مخافةَ أن يرغَبَ فيه أهلُ الشام ـ فقال الفرزدق: ولكنّي أعرفُه، فقال الشامي: من هو يا أبا فراس؟ فاندفع الفرزدق يقول وأنشد[1]: [من البسيط]

هذا ابنُ خيرِ عبادِ اللهِ كُلّهمُ ... هذا التَّقيُّ النَّقيُّ الطَّاهِرُ العَلَمُ[2]

هذا الذي تعرفُ البطحاءُ وَطْأتَهُ ... والبيتُ يَعرِفُه والحِلُّ والحَرَمُ

يكاد يُمسِكُه عِرفانَ راحَتِهِ ... رُكْنُ الحَطيمِ إذا ما جاء يَستلِمُ

إذا رأتْه قريشٌ قال قائلُها ... إلى مكارمِ هذا ينتهي الكَرَمُ

إن عُدَّ أهلُ التُّقى كانوا أئمَّتَهم ... أو قيل مَن خيرُ أهلِ الأرضِ قيل هُمُ

هذا ابنُ فاطمةٍ إن كُنتَ جاهِلَهُ ... بجدِّه أنبياءُ اللهِ قد خُتِموا

وليس قولُك مَن هذا بضائِرِه ... العُرْبُ تَعرفُ ما أنكرتَ والعَجَمُ

يُغضي حَياءً ويُغْضَى من مَهابتِهِ ... فلا يُكلَّمُ إلا حين يَبْتَسِمُ

يَنمي إلى ذِرْوَةِ العِزِّ التي قَصُرَتْ ... عن نَيْلها أمَّةُ[3] الإسلامِ والعَجَمُ

مَن جَدُّه دانَ فَضْلُ الأنبياءِ له ... وفَضْلُ أُمَّتِه دانتْ لها الأُمَمُ

يَنشَقُّ نورُ الهُدى عن صُبْحِ غُرَّتِهِ ... كالشَّمسِ تَنجابُ عن إشراقِها الظُّلَمُ

---

(١) بعدها في (ص): الأبيات الثمانية وقال فيه مدح كثير (كذا)، قال هشام بن الكلبي فلما سمع هشام بن عبد الملك. والمثبت من (خ) و(د).

(٢) جاء هذا البيت في المصادر بعد البيت الذي يليه، والأبيات ليست في (ص)، وينظر «التبيين» لابن قدامة ١٣١، وقد روى ثلاثة عشر بيتاً من القصيدة، و«تاريخ دمشق» ٤٩/ ١٢٦ـ١٢٨ وفيه القصيدة كاملة.
وفي ترتيب الأبيات هنا اختلاف عما في المصادر. هذا وقد ذكر هذا الخبر كل الذين ترجموا لعلي بن الحسين ﷺ وعن آبائه، وانظر الخلاف في نسبة الأبيات في «الأغاني» ١٥/ ٣٢٥.

(٣) في «تاريخ دمشق»، و«المنتظم» ٦/ ٣٣١: عَرَبُ.

مُشْتَقَّةٌ من رسول الله نَبْعَتُهُ ... طابَتْ عَناصِرُه والخِيْمُ والشِّيَمُ
اللهُ شرَّفه قِدْماً وفَضَّله ... جَرى بذاك له في لَوْحِه القَلَمُ
كِلتا يدَيْه غِياثٌ عَمَّ نَفْعُهُما ... يَسْتوكِفَانِ ولا يَعْرُوهما(١) العَدَمُ
سَهْلُ الخَليقَةِ لا تُخْشى بَوادِرُه ... يَزِيْنُه اِثْنَتانِ الحِلْمُ والكَرَمُ(٢)
حَمَّالُ أثقالِ قَوم إذ هُمُ فُدِحُوا ... رَحْبُ الفِناءِ أريبٌ حين يَعْتَزِمُ
أيُّ البَرِيَّةِ ليستْ في رِقابهمُ ... لأوَّلِيَّةِ هذا أو له نِعَمُ
عَمَّ البَرِيَّةَ بالإحسانِ فانْقَشَعَتْ ... عنه الغَيايَةُ لا هِرْقٌ ولا كَهَمُ(٣)
من مَعْشَرٍ حُبُّهم دينٌ وبُغْضُهُمُ ... كُفرٌ وقُرْبُهمُ مَنْجًى ومُعْتَصَمُ
لا يَستطيعُ جَوادٌ بُعْدَ غايَتهم ... ولا يُدانِيهِمُ قَومٌ وإن كَرُموا
همُ الغُيوثُ إذا ما أَزْمَةٌ أَزِمَتْ ... والأُسْدُ أُسْدُ الشَّرَى والبَأْسُ مُحْتَدِمُ
لا يَنْقُصُ العُسْرُ بَسْطاً من أكُفِّهمُ ... سِيَّانَ ذلك إن أَثْرَوْا وإن عَدِموا
يُستَدفَعُ السُّوءُ والبَلوى بحُبِّهمُ ... ويُسْتَرَبُّ به الإحسانُ والنِّعَمُ
مُقَدَّمٌ بعد ذِكرِ اللهِ ذِكرُهُمُ ... في كلِّ فَضْلٍ(٤) ومَخْتُومٌ به الكَلِمُ
يأبى لهم أن يَحُلَّ الذَّمُّ ساحَتَهم ... خِيمٌ كريمٌ وأَيْدٍ بالنَّدى هُضُمُ
في كَفِّه خَيزُرانٌ ريحُه عَبِقٌ ... من كفِّ أَرْوَعَ في عِرْنينِه شَمَمُ(٥)
لا يُخلِفُ الوَعْدَ مَيمونٌ نَقِيبَتُه ... حُلْوُ الشَّمائلِ تَحْلُو عنده نَعَمُ

فلما سمع ذلك هشام غضب، وانقلبَتْ حَولتُه، وأمر بحبس الفرزدق، فحُبِس بمنزلٍ يقال له: عُسْفَان بين مكة والمدينة، فهجا الفرزدقُ هشاماً فقال: [من الطويل]

أَيَحبِسُني بين المدينةِ والتي ... إليها قلوبُ الناسِ يَهوي مُنيبُها

---

(١) في النسختين: عم ناملها... لا يغروهما. والمثبت من «تاريخ دمشق» و«المنتظم».

(٢) في النسختين: بريبه اثنيان الخلق والكظم؟!

(٣) في المصادر: عنه (عنها) الغياية والإملاق والعدم (أو الظلم)، والغَيايةُ: كلُّ ما أظلَّك، كالسحابة، والهرق بكسر الهاء وتسكين الراء الثوب البالي الخَلَق، ورجل كهام بفتحتين: كليل بطيء مسنّ لا غناء عنده.

(٤) في «الأغاني» ٢١/ ٣٧٧، و«المنتظم»: في كل بدء. وقوله: يسترب: يستزاد.

(٥) هذا البيت في المصادر عقب: يغضي حياء. قوله: خيم: أصل، هضم: كثيرة الإنفاق. الأروع: الذي يروعك حسنه وشجاعته. العرنين: الأنف. الشمم: ارتفاع قصبة الأنف مع حسنها واستوائها.

يُقلِّبُ رأساً لم يكن رأسَ سَيِّدٍ وعَيْناً له حَولاءَ بادٍ عُيوبُها

وبعث إليه زين العابدين بألف دينار وقال: اعذرني يا أبا فراس، فلو كان عندي أكثر منها لوصلتُك، فردّها وقال: والله ما قلتُ ما قلتُ لهذا؛ بل غضباً لله ولرسوله، فلا آخذُ عليه أجراً، فقال علي: نحن أهل بيت لا يعودُ إلينا ما خرج منا، فبحقّي عليك إلا قبلتَها؛ فقد رأى الله مَقامَك. وعرف رسوله، فقبلها.

[ويقال: إن زين العابدين شفع إلى هشام فأطلقه.

وحكى ابن حَمدون في «التَّذكرة» عن] الزهري قال: حمل عبد الملك بن مروان عليّ بنَ الحسين من المدينة إلى الشام مُقَيَّداً مُكَبَّلاً، قال الزهري: فدخلتُ عليه لأُودِّعَه والغُلُّ في يديه، والقُيودُ في رجلَيه، فبكيتُ ـ وكان في قُبَّة ـ وقلتُ له: وَدِدتُ والله أني مكانَك وأنت سالم، فقال: لو شئتُ لما كان هذا، ثم تحرَّك فوقع الغلُّ من يديه، والقَيد من رجليه، ثم قال: وإنه ليُذَكّرني هذا عذابَ الله، والله لا سِرتُ معهم ليلتين على هذا، فلما كان بعد أربعة أيام وإذا بالموكَّلين قد عادوا، فسُئلوا عن عَودهم فقالوا: رَصَدْناه ليلةً إلى الفجر ثم فقدناه، فلا ندري ما أصابه.

قال الزُّهري: فدخلتُ بعد ذلك على عبد الملك، فسألني عنه فحدَّثتُه الحديث، فقال: والله لقد جاءني يوم فَقَدَه الأعوان، فدخل عليّ فقال: ما أنا وأنت؟! قلت: أقِم عندي، قال: ما أُحبُّ ذلك، ثم خرج عني وقد مُلئتُ منه خِيفَةً[1].

قال الزهريّ: دخلتُ ليلةً مسجدَ رسول الله ﷺ وقتَ السَّحَر، وإذا بشخصٍ ساجدٍ في جانب الرَّوضة، وهو يقول في سجوده: إلهنا وسيّدنا ومولانا، لو بَكينا حتى تَسقُطَ أشفارُنا، وانتَحَبْنا حتى تنقطعَ أصواتُنا، وقُمنا حتى تَيْبَسَ أقدامُنا، وركعنا حتى تَنخَلِعَ أوصالُنا، وسجدنا حتى تَتَفَقَّأَ أحداقُنا، وأكلنا تُرابَ الأرض طُولَ أعمارِنا، وذكرناك حتى تَجِفَّ ألسنُتنا؛ ما استوجبنا بذلك مَحْوَ سيِّئةٍ من سيّئاتنا، قال: فبكيتُ لتَضَرُّعِه وحُسنِ عبارته، فلم يزل كذلك إلى وقت الأذان، فلما أذَّن المؤذن رفع رأسه، وإذا به زين العابدين.

---

(١) تذكرة ابن حمدون ١/ ١٠٩، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٣/ ١٣٥، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٤٩/ ٩٩ـ١٠٠.

ذكر وفاته واختلافهم فيها(١):

قال ابن سعد: حدثنا محمد بن عمر، حدثني عبد الحكيم بن عبد الله بن أبي فَرْوَة قال: مات علي بن الحسين بالمدينة، ودُفن بالبَقيع سنةَ أربعٍ وتسعين، وكان يقال لها: سنة الفُقهاء؛ لكثرةِ من مات منهم فيها.

وقيل: سنة اثنتين وتسعين.

وقال ابن سعد بإسناده إلى جعفر بن محمد قال: مات علي بن الحسين وهو ابن ثمانٍ وخمسين سنة.

وقيل: سبعاً وخمسين سنة.

وحكى ابن سعد، عن الواقديّ، عن أبي مَعْشَر، عن المَقْبُريّ: أن سعيد بن المسيّب لم يشهد جَنازة علي بن الحسين قال: لما وُضع عليّ بنُ الحسين ليُصَلّى عليه اندفع الناس إليه وأهلُ المسجد ليَشهدوه، وبقي ابن المسيب وحده، فقيل له في ذلك: يا أبا محمد، ألا تشهد جنازة هذا الرجلِ الصَّالح؟! فقال: أصلّي ركعتين في المسجد أحبُّ إليَّ من أن أشهدَه وأصلّيَ عليه(٢).

وقال الزهري: وقد كان ابن المسيب يَعترف بفضْلِ علي بن الحسين ويقول: ما رأيتُ أورَعَ منه.

ولعلّه إنما امتنع من الصلاة عليه لأن عُثمان بن حَيَّان المُرِّي كان والياً على المدينة، وكان ظالماً مُتَعدِّياً، فلعله امتنع من الصلاة عليه خلفه لهذا السبب، أو لعُذرٍ آخر.

قال الواقدي: وعلي أولُ مَن مات من الفقهاء في هذه السنة، ثم تتابع الفقهاء بعده(٣).

ذكر أولاده:

كان له من الأولاد: الحسن، درج. والحسين الأكبر، درج. ومحمد، وهو أبو جَعفر الفقيه، وعبد الله، وأمُّهم أمُّ عبد الله بنت الحسن بن علي بن أبي طالب. وعُمر، وزيد

---

(١) جاءت أخبار وفاته في (خ) و(د) مختصرة، والمثبت من (ص).

(٢) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢١٨-٢١٩ .

(٣) بهذا تنتهي ترجمته في (ص)، ثم تأتي فيها ترجمة أبي بكر بن عبد الرحمن. والمثبت من (خ) و(د).

المقتول بالكوفة في خلافة هشام، قتله يوسف بن عمر الثقفي وصَلَبه. وعلي بن علي، وأم موسى، وخديجة، وأمهم أمُّ ولد. وحُسَين الأصغر، وأم علي و[هي] عُلَيَّة، وأمهما أم ولد. وكَلْثم، وسُلَيمان لا عقب له، ومُلَيكة، لأمَّهات أولاد شتّى. والقاسم، وأم الحَسَن ـ وهي حَسنة ـ وأم الحسين، وفاطمة، لأمهات أولاد شتى[١].

والنَّسْلُ لمحمد الباقِر، ونذكره في سنة سبع عشرة ومئة.

وأما زيد فنذكره سنة عشرين ومئة. وأما علي بن علي فكان يُلقَّب بالأَفْطَس، وله عَقِب.

وحسين بن علي الأصغر، وكان له أولاد: عبد الله، [وعبيد الله] الأعرج، وعلي، وهُشَيْمَة، وأمهم أم خالد بنت حمزة بن مُصعب بن الزبير، ومحمد لأم ولد.

وكان حسين هذا أصغر ولد أبيه زين العابدين.

وأما أم موسى بنت زين العابدين فتزوّجها داود بن علي بن عبد الله بن عباس، وتزوّج بعدها أختَها أمّ الحسن. وتزوّج أختها خديجة محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب[٢].

أسند زين العابدين الحديث عن أبيه، وعمِّه الحسن، وابن عباس، وجابر، وأنس، وأبي سعيد الخدري، والمِسْوَر بن مَخْرَمَة، وعائشة، وصَفيَّة، وأم سَلَمة، في آخَرين. وروى أيضاً عن سعيد بن المسيّب، وعمرو بن عثمان، وخلقٍ كثير.

وروى عنه الزُّهري، وزيد بن أَسْلم، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وحَكيم بن جُبَير، وعبد الله بن مُسلم بن هُرْمُز، ومحمد الباقر، في آخرين.

[فصل: وفيها توفي]

أبو بكر بن عبد الرحمن

ابن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مَخزوم المَخزوميّ، وأمُّه فاخِتة بنت عِتبَة بن سُهَيل بن عمرو.

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٠٩ وما بين معكوفين منه.

(٢) «المعارف» ٢١٤ـ٢١٥ ، و«طبقات ابن سعد» ٧/ ٣٢١ وما بين معكوفين منه.

وأبو بكر من الطبقة الثانية من التابعين من أهل المدينة، من الفقهاء السبعة.

[قال ابن سعد:] كان ثقةً، كثيرَ الحديث، فقيهاً، عالماً، عاقلاً، عالياً، رفيعاً، سخيّاً.

[وحكى ابن سعد، عن الواقديّ قال:] وُلد أبو بكر في خلافة عمر بن الخطاب، وكان يقال له: راهب قريش؛ لكثرة صلاته وفضله، وكُنيته اسمُه.

[قال: واستُصغر يوم الجَمل هو وعُروة بن الزُّبير فرُدَّا[1].

وقال هشام: وأبوه عبد الرحمن تُوفّي بطاعون عَمَواس[2]، ولما قبض رسول الله ﷺ كان لأبيه عبد الرحمن عشر سنين. وقد ذكرناه.

قال: وأبو بكر بن عبد الرحمن هو الذي كانت عائشة ﵂ تقول:] وَدِدْتُ أني كان لي عشرة من الولد من رسول الله ﷺ، كلٌّ واحد مثل أبي بكر بن عبد الرحمن[3]، كنتُ ثَكِلْتُهم ولا خرجتُ مَخرجي إلى البصرة.

[قال: وأمُّ أبي بكر ـ وهي فاخِتَة[4] بنت عِنَبة ـ تزوّجها عبد الرحمن، وهي التي قال فيها عمر بن الخطاب: زَوِّجوا الشَّريدَ الشَّرِيدَةَ؛ وذلك لأن الحارث بن هشام وسُهيل ابن عَمرو خرجا إلى الشام بأهلهما، فماتوا كلهم، ولم يرجع إلا عبد الرحمن وفاختة، فلذلك قال عمر: زَوِّجوا الشَّريد الشَّريدة، فزوّجها بعبد الرحمن، وأقطعهما عمر خُطَّةً بالمدينة، وأوسع لهما، فقيل له: أكثرتَ، فقال: عسى الله أن يَنْشُرَ منهما ولداً كثيراً رجالاً ونساء، فوُلد لهما: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعكرمة، وخالد، ومحمد.

والحارث بن هشام هو أخو أبي جَهْل بن هشام شهد بدراً مع المشركين وانهزم.]

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٠٦ وما بين معكوفين من (ص).

(٢) كذا نقل المصنف عن هشام، والذي في «طبقات ابن سعد» ٧/ ٦ ، و«المعارف» ٢٨٢ ، و«التبيين» ٣٥٨ أن المتوفى بطاعون عمواس: الحارث بن هشام، أبو عبد الرحمن.

(٣) كذا وقع، والكلام في طبقات ابن سعد ٧/ ٦ في أبيه عبد الرحمن. وما بين معكوفين من (ص).

(٤) في (ص) والكلام منها: فاطمة، وهو خطأ. وانظر «نسب قريش» ٣٠٣ ، و«المعارف» ٢٨٢ ، و«التبيين» ٣٥٨ـ٣٥٩ .

وكان لعبد الرحمن أولاد، وكان له خمسةَ عشر بنتاً نَوافِق، مَرغوبٌ فيهنّ، وفيهن يقول ابن هَرْمة: [من الطويل]

فمَنْ لم يُرِدْ مَدحي فإن قَصائدي نَـوافِـقُ عـنـد الأكْـرَمِـيـنَ سَـوام
نَوافقُ عند المُشْتَري الحمدَ بالنَّدى نِفاقَ بناتِ الحارثِ بنِ هِشامِ(١)

وكان أبو بكر سَيِّدَ ولد عبد الرحمن [قال ابن سعد، عن الواقديّ قال:] كان عبد الملك بن مروان مُكرِماً لأبي بكر، مُجِلّاً له، وأوصى الوليدَ وسليمان بإكرامه، وكان يقول: إني لَأَهُمُّ بالشيء أفعلُه بأهل المدينة لسوء أثرِهم عندنا، فأذكر أبا بكر بن عبد الرحمن فأستحي منه، فأدَعُ ذلك الأمر.

[وروى ابن سعد، عن عثمان بن محمد قال:] استودع عُروة(٢) أبا بكر مالاً، فأُصيب ذلك المال، فأرسل إليه عُروة بن الزبير: لا ضَمانَ عليك، إنما أنت مُؤْتَمَن، فقال: قد علمتُ ذلك، ولكن لا تتحدَّث قريش أن أمانتي خَرِبت، فباع مالاً وقضاه.

[وقال الموفَّق:] زوَّج المغيرةُ بن عبد الرحمن أخو أبي بكر بن هشام(٣) ابنتَه الحجاج ابنَ يوسف الثقفي، وخَرَقَ له خَوْخَةً من خلْفِ داره يدخل الحجاج منها، فهجره بنو عبد الرحمن كلهم حيث هجره أبو بكر.

ووفد أبو بكر على عبد الملك بن مروان(٤)، فأجلسه معه على سريره، وأقطعه أموالَ [بني] طلحة بن عُبيد الله، وكان قد سَخِط على بعضهم، فلما عاد أبو بكر إلى المدينة أتاه بنو طلحة مسلِّمين عليه، فقال لهم: إن الله قد ردَّ عليكم أموالَكم، وما قبلتُها إلا مخافةَ أن تصيرَ إلى غيري، ابعثوا مَن يَقبِضُها، فقال له بنوه: هلا تركتَ القوم حتى يسألوك، فقال: فماذا أبقيتُ عليهم بعد بَذْلِ وجوههم.

---

(١) «التبيين» ٣٥٩_٣٦٠.

(٢) قوله: عروة؛ من «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٠٦ والخبر السالف فيه ٢٠٧، وما بين معكوفين من (ص).

(٣) يعني أبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام صاحب الترجمة، وينظر «التبيين» ٣٦١.

(٤) كذا في النسخ، وفي «تاريخ دمشق» ٢٨/ ١٥٠ _ (المختصر) وما سيرد بين معكوفين منه _ أنه وفد على الوليد ابن عبد الملك، قال ابن عساكر: وأنا أستبعد ذلك _ يعني وفادته _ لأنه كان ضرير البصر، والمحفوظ أن دخوله عليه كان بالمدينة عام حج الوليد بعدما استخلف.

[وقال الزبير بن بكار: وكان يُقال له: راهب المدينة، قال:] وذهب بَصَرُه في آخر عمره[١].

ذكر وفاته:

[حكى ابن سعد، عن الواقدي قال: حدثني عبد الحكيم بن عبد الله بن أبي فَرْوَة قال: دخل أبو بكر بن عبد الرحمن مُغْتَسَله، فمات فيه فجأة.

وقال الواقدي أيضاً: حدثني عبد الله بن جعفر قال:] صلّى أبو بكر العصر، ودخل مُغْتَسَلَه فسقط، فجعل يقول: والله ما أحدثْتُ في صدر نهاري هذا شيئاً، قال: فما علمتُ غربت الشمس حتى مات، وذلك في سنة أربع وتسعين، [وقال الواقدي: وهي سَنَة الفقهاء][٢].

وقيل: إنه مات في سنة ثلاث وتسعين، أو خمس وتسعين، والأول أظهر، والله أعلم[٣].

ذكر أولاده:

فولد: عبدَ الرحمن لا بقيّةَ له، وعبد الله، وعبد الملك، وهشاماً، وسهيلاً، لا بقية لهم. والحارث، ومريم، وأمهم سارة بنت هشام بن الوليد بن المغيرة المخزوميّ، وأبا سلمة لا بقية له، وعمر، وأم عمرو ـ وهي ربيحة ـ وأمهم قَريبة بنت عبد الله بن زَمْعَة بن الأسود، وأمُّها زينب بنت أبي سَلَمة، وأمها أمُّ سَلَمة زوج النبي ﷺ، وفاطمة، وأمُّها رُمَيْثَة بنت الوليد بن طَلَبَة بن قيس بن عاصم المِنْقَرِيّ[٤].

وكان لعمر بن أبي بكر ولدٌ يقال له: عيسى، كان جواداً، وفيه يقول أبو الأبيض: [من الرمل]

كان مـمّـا زانَـنـي ربِّـي بـه ... طَـيِّـبُ الأثـوابِ عـيـسـى بـنُ عـمـرْ

---

(١) «نسب قريش» ٣٠٣ وما بين معكوفين من (ص).

(٢) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٠٦ .

(٣) انظر «مختصر تاريخ دمشق» ٢٨/ ١٥٥ ـ١٥٦ و ما بين معكوفات من (ص)، وتنتهي فيها ترجمة أبي بكر.

(٤) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٠٥ .

حَسَنُ الوَجْهِ كريمٌ ماجدٌ   سَبِطُ الكفَّينِ وَهَّابُ الغُرَرْ
إنّ عيسى لا رَأينا فَقْدَه   أعلمُ الناسِ بدينٍ قد ظَهَرْ[(١)]

ذكر إخوة أبي بكر بن عبد الرحمن:

كان له إخوةٌ من الطبقة الثانية من التابعين من أهل المدينة، منهم:

عكرمة بن عبد الرحمن، وأمه فاخِتة أيضاً، وكُنيته أبو عبد الله، وكان ثقةً، قليلَ الحديث.

ومنهم: محمد بن عبد الرحمن، وأمّه فاخِتة أيضاً، روى عنه الزُّهري، وكان ثقةً، قليلَ الحديث.

ومنهم: المُغيرة بن عبد الرحمن، وأمه سُعْدَى بنت عَوف بن خارِجة، من بني مُرَّة، وكنيته أبو هاشم، خرج إلى الشام غازياً غير مرة، وكان في جيش مسلمة بن عبد الملك الذين احتبسوا بأرض الروم؛ حتى أقفلهم عمر بن عبد العزيز، وذهبت عينُه، ثم رجع إلى المدينة[(٢)] فمات بها، وأوصى أن يُدفَن بأُحُد مع الشُّهداء، فلم يفعل أهلُه، ودفنوه بالبقيع، وكان ثقةً، قليلَ الحديث.

أسند أبو بكر بن عبد الرحمن عن أبي مسعود الأنصاري، وأبي هريرة، وأبيه عبد الرحمن، وعائشة، وأم سلمة، وأسماء بنت عُمَيْس، وأم مَعْقِل الأَسَديّة، وغيرهم.

وروى عنه ابناه عبد الله وعبد الملك، والزُّهري، والشَّعبيّ، وعمرو بن دِينار، وعُمر بن عبد العزيز، ومُجاهد، وعِراك بن مالك، والحكم بن عُتَيْبَة، في آخرين.

السنة الخامسة والتسعون

فيها مات الحجَّاج بن يوسف.

[وقال الطّبري:] وفيها وُلد أبو جعفر المنصور.

وفيها فتح العبّاس بن الوليد طُولس، والمَرْزُبانين، وهِرَقْلَة بأرض الروم.

(١) «التبيين» ٣٦١.

(٢) في (خ) و(د): بالشام، والمثبت من «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٠٨، وانظر «التبيين» ٣٦١-٣٦٣.

وفيها غزا قُتيبة بن مُسْلم أرض الشَّاش، وقطع النَّهر، وبلغ الشّاش فجاءه خبر الحجاج، ونُعي إليه في شوال فحزن عليه، ورجع إلى مَرْو بعد أن فَرَّق الجيوش في بُخارى ونَسَف وغيرها، وتمثّل: [من الطويل]

لعَمري لنِعْمَ المرءُ من آل جَعْفرٍ بحَورانَ أمسى أعلَقَتْه الحَبائلُ
فإن تَحْيَ لا أَمْلَل حياتي وإن تَمُتْ فما في حياةٍ بعد موتِك طائِلُ

وأقام بمَرْوَ حزيناً، فبينما هو كذلك جاءه كتاب الوليد بن عبد الملك يقول: قد عرف أمير المؤمنين بَلاءَك وجِدّك واجتهادك وجِهادك لأعداء المسلمين، وأمير المؤمنين رافعُك، وصانعٌ بك ما تحبّ، فالْمُمْ مغازيك، وانتظر ثوابَ ربّك، ولا تتأخّر عنه كتبُك كأنه ينظر إلى ما أنت فيه، والسلام.

[فصل:] وفيها قفل موسى بن نُصَيْر من الأندلس إلى إفريقية.

وفيها أخرج الوليد بنُ عبد الملك عليَّ بنَ عبد الله بن العبّاس من دمشق إلى الحمَّة، فأقام بها هو وولده، ويقال: إن أبا جعفر وُلد بالحمَّة، وقيل: بدمشق.

وقال ابن قتيبة: ضربه الوليد سبعين سَوطاً، وأخرجه إلى الحَمَّة؛ لأنه اتَّهمه بأنه قتل سَليطاً المنتسب إلى أبيه عبد الله بن عباس(١)، وسنذكره.

ووُلد لعلي بالحَمّة نَيِّفٌ وعشرون ولداً، ولم يزالوا بها حتى زال ملك بني أمية لما نذكر.

وحجّ بالناس في هذه السنة بشر بن الوليد بن عبد الملك بالاتِّفاق.

وكان على خُراسان قتيبة، وعلى الكوفة والبصرة على الحرب يزيد بن أبي كَبْشة، وعلى خَراجها يزيد بن أبي مُسلم، استخلفهما الحجاج لما احتُضر، فأقرّهما الوليد. وقيل: إنما ولّى الحجاجُ ابنَه عبد الله على الصّلاة.

وكان على المدينة عُثمان بن حَيَّان المُرِّي، وعلى مصر قُرَّة بن شَريك(٢).

---

(١) «المعارف» ١٢٤ .

(٢) «تاريخ الطبري» ٦/ ٤٩٢_٤٩٤ .

وفيها توفي

جَعفر بن عمرو

ابن أُميَّة بن خُوَيْلِد بن عبد الله الضَّمْرِيّ.

من الطبقة الثانية من التابعين من أهل المدينة.

وكان أخا عبد الملك من الرَّضاعة، فوفد عليه في خلافته، فجلس في مسجد دمشق وأهل الشام يُعرَضون على ديوانهم، وتلك اليَمانيَةُ حوله يقولون: الطّاعة الطاعة، فقال جعفر: لا طاعةَ إلا لله، فوثبوا عليه وقالوا: تُوهِنُ طاعة أمير المؤمنين؟ حتى ركبوا الأسطوان عليه، فما أفلت إلا بعد جهد، وبلغ عبد الملك فأرسل إليه، فأُدخل عليه فقال: أرأيتَ هذا من عملك؟ أما والله لو قتلوك ما كان عندي فيك شيء، ما دخولك في أمر لا يَعنيك؟ ترى قوماً يَشُدُّون مُلكي وطاعتي فتجيءُ فتُوهِنُه، إيّاك إياك.

مات جعفر بالمدينة في خلافة الوليد بن عبد الملك، وقد روى عن أبيه، وروى عنه الزُّهري، وكان ثقةً وله أحاديث.

وقال الإمام أحمد رحمه الله: جعفر بن عمرو بن أُمَيَّة الضَّمْرِي تابعيٌّ ثقة، وله أحاديث.

وأخوه الزِّبرقان بن عمرو رَوَى عنه أيضاً[1].

[وفيها مات]

الحجَّاج بن يوسف

ابن الحَكَم بن أبي عَقيل بن مسعود بن عامر بن مُعَتِّب ـ من الأَحْلاف ـ بن مالك بن كعب بن عمرو بن سَعْد بن عَوف بن ثَقيف، واسمه قَيْس بن مُنَبِّه بن بَكْر بن هَوازن، أبو محمد الثَّقفيّ.

وقال الشعبي: كان بينه وبين الجُلَنْدَى الذي ذكره الله تعالى في كتابه في قوله: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[الكهف: ٧٩] سبعون جدّاً.

(١) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٤٣ـ٢٤٤، و«مختصر تاريخ دمشق» ٦/ ٧٦، و«تهذيب الكمال» ٥/ ٦٧.

وقيل: كان من ولد عبد من عبيد الطائف لبني ثقيف من ولد أبي رِغال دليلِ أبرهةَ إلى الكعبة[١].

[وقال في «الصّحاح»:] كان الحجاج مُكْتِباً بالطّائف، أي: مُعَلّماً للصبيان.

[وذكر المبرّد في «الكامل» ما يدلُّ على قول الجوهري: إنه كان معلّماً بالطائف، فقال: كان الحجاج وأخوه معلِّمَين بالطائف] وفيه يقول مالك بن الرَّيْبِ المازِنيّ ـ وقيل هي للفَرَزْدَق: [من الطويل]

إن تُنصِفونا آلَ مروانَ نقتربْ ... إليكم وإلا فأْذَنوا ببِعادِ
فإنّ لنا عنكم مَزَاحاً ومَذْهباً ... بعِيْسٍ إلى ريح الفَلاةِ صَوادي
ففي الأرض عن ذي الجَوْرِ مَنأًى ومَذْهَبٌ ... وكلُّ بلادٍ أُوطِنَتْ كبلادي
فماذا عسى الحجاجُ يَبْلُغ جُهدُه ... إذا نحن خلَّفْنا حَفيرَ زيادِ
فباسْتِ أبي الحجَّاجِ واسْتِ عجوزِه ... عُتَيِّدُ بَهْم تَرْتَعي بوِهادِ
فلولا بنو مروانَ كان ابنُ يوسفٍ ... كما كان عَبْداً من عَبيدِ إيادِ
زمانَ هو العبدُ المُقِرُّ بذِلَّةٍ ... يُراوِحُ صِبيانَ القُرى ويُغادي[٢]

وكان الحجّاج يُلقَّبُ كُلَيباً، وفيه يقول الشاعر: [من المتقارب]

أيَنسى كُلَيبٌ زمانَ الهُزالِ ... وتَعلِيْمَه سورةَ الكَوثَرِ
رَغيفٌ له فَلْكَةٌ ما تُرى ... وآخرُ كالقمرِ الأزْهَرِ

أشار إلى خُبز المعلمين؛ فإنه مُختلفٌ في الصِّغَر والكبر، والجَودة والرَّداءة، والمكسور والصّحيح؛ لأنه يجيء من بيوت الصِّبيان.

وقال آخر: [من المتقارب]

كُلَيْبٌ تمكَّنَ من أرضنا ... وقد كان فيها صَغيرَ الخَطَرْ[٣]

---

(١) هذا القول وسابقه من (خ) و(د) وليسا في (ص)، وكان فيهما: كان عبيداً من عبيد الطائف، وما أثبتناه من النجوم الزاهرة ١/ ٢٣٠ فقد ذكر القولين.

(٢) قوله: مزاحاً هو من زاح يزيح إذا ذهب، والعيس: الإبل البيض ألفت المفاوز، صوادي: عطشى، عُتَيِّد: تصغير عتود؛ ما رعى وقوي من أولاد الغنم، والبهم: صغار أولاد الغنم.

(٣) «الصحاح» (كتب) ١/ ٢٠٩، و«المعارف» ٥٤٨، و«الكامل» ٦٣٠ـ٦٣١، وشرح المرزوقي للحماسة ٢/ ٦٧٦.

[وقال ابن قتيبة:] لما احتُضر الحجاج قال للمُنَجِّم: هل ترى مَلِكاً يموت؟ قال: نعم ولستَ به، ذاك اسمُه كُلَيْب، فقال: أنا والله إياه؛ كانت أمّي تسمّيني كُلَيباً[(١)].

وقال أبو الفرج الأصبهاني: ذكر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه على منبر الكوفة ثقيفاً وقال: لقد هَممتُ أن أضعَ عليها الجِزية؛ وذلك لأن ثقيفاً كان عبداً لصالح نبي الله، وأنه سَرَّحه إلى عاملٍ له على الصَّدقة، فأخذها وهرب إلى الطائف فاستوطنه، وإني أُشهدكم أنّي رَدَدْتُهم في الرّقّ.

وروى [عكرمة] عن ابن عباس: أن ثقيفاً كان عبداً لامرأة صالح [واسمه قيس بن مُنَبِّه] واسم مَولاته الهَيْجمانة بنت سعد، فوهبته لصالح، فبعثه إلى عامل له ليأتيه بصدقة، فمرَّ برجلٍ معه غَنَم، وله ابنُ صغير قد ماتت أمُّه، وهو يَرضع من شاةٍ ليس في الغنم لَبُون غيرها، فأخذ الشّاة، فناشده الله فأبى، فأعطاه عشرَ شِياه عِوضها فأبى، فأعطاه جميعَ غنمه فأبى، فرماه الرجل بسهم فقتله، وأتى صالحاً فأخبره فقال: أبعده الله، وأمر بقَبره فرُجِم، ويقال: إنه أبو رغال من ولد ثَقيف.

[وقال أبو الفرج الأصفهاني:] خطب الحجاج بالعراق وقال: بلغني أنكم تقولون: إن ثَقيفاً بقيَّةُ ثَمود، وهل نجا من ثمود إلا خيارُهم، ومَن آمن بصالح بقي معه، أليس الله يقول: ﴿وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ﴾[النجم: ٥١]؟ وبلغ الحسن البصري فتضاحك وقال: حكم اللُّكَعُ لنفسه، وليس الأمر كما قال؛ لأن معنى قوله تعالى: ﴿وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ﴾ أي: أهلكهم، وبلغ الحجاج فتوارى حتى مات الحجاج.

وكان يوسف أبو الحجاج رجلاً عاقلاً، وكان يَذُمُّ الحجاج، ويُقَبِّح أفعالَه في صغره وقبل ولايته.

ذكر مولد الحجاج [وما يتعلق به:

واختلفوا فيه، فذكر أبو القاسم بن عساكر[(٢)] رحمه الله أنه] وُلد في سنة تسع وثلاثين، وقيل: سنة أربعين، أو إحدى وأربعين، أو اثنتين وأربعين.

---

(١) «المعارف» ٣٩٧، وما بين معكوفين من (ص).

(٢) في تاريخه ٤/ ٢٠٩ (مخطوط). وما بين معكوفات من (ص).

[واتفقوا على أنه وُلد] بمصر؛ [فذكر أبو سعيد بن يونس في «تاريخ مصر» وقال: أقام يوسف أبو الحجاج بمصر، واختطَّ بها في السَّرَّاجين مع ثقيف، وكان قد قدم إليها قديماً، ووُلد بها الحجاج] والغُرفة التي وُلد بها معروفة بدَرْب السَّرَّاجين، ثم خرج به أبوه يوسف مع مروان إلى الشام والحجاج صغير.

[قال: وكان أبو الحجاج يوسف فاضلاً من خيار المسلمين(١).]

وأمُّ الحجاج الفارعة بنت هَبَّار الثقفي [كانت تحت الحارث بن كَلَدَة الطبيب طبيب العرب، دخل عليها في السَّحَر وهي تَتَخَلَّل فطلَّقها(٢).

وحكى ابن عساكر(٣)، عن الشافعي: أن أم الحجاج] كانت تحت المغيرة بن شُعبة، [وأن الواقعة كانت مع المغيرة] دخل عليها وقتَ السَّحَر وهي تَتَخَلَّل، فقَذِرها فقال لها: كُنْتِ فبِنْتِ، فقالت: ولم؟ قال: لأنك إن كُنتِ باكَرْتِ الغَداء فأنت شَرِهَة، وإن كنتِ بِتِّ والطعامُ بين أسنانِك فأنت قَذِرة، فقالت: لاذا، ولاذاك؛ وإنما تخلَّلْتُ من شظايا السِّواك كما تُباكر الحُرَّةُ السِّواك، ما فَرِحنا إذ كُنّا، ولا أَسِفْنا إذ بِنّا.

فندم المغيرة على طلاقها، وقال ليوسف: قد نزلتُ الساعة عن سيِّدة نساء ثقيف، فتزوَّجْها ففعل.

[قال الشافعي: فأُخبرت أن يوسف] لما واقعها أُتي في منامه فقيل له: ما أسرعَ ما أَلْقَحْتَ بالمُبِيْر.

ويقال: إن عُروة بن مَسعود الثقفي كان جدّ الحجاج لأُمِّه(٤).

وكتب الشعبيّ إلى الحجاج يسأله حاجَتَه، فاعتلَّ عليه، فكتب إليه الشعبي: والله لا عَذَرْتُك وأنت ابنُ عظيم القَريَتَيْن(٥)، ووالي العِراقَين.

(١) «مختصر تاريخ دمشق» ٢٨/ ٦٨، وهذا القول وقع في (خ) و(د) بعد قوله: وكان يوسف أبو الحجاج رجلاً عاقلاً. وهذا الكلام وما بعده الواقع بين معكوفين من (ص).

(٢) «مروج الذهب» ٦/ ٢٨٨_٢٨٩، وقوله: تَتَخَلَّلُ، أي: تُخرِجُ ما بين أسنانها من بقية الطعام.

(٣) في تاريخه ٤/ ٢٠٩، وذكره ابن عبد ربه في «العقد» ٥/ ١٣.

(٤) في (خ) و(د): جد أم الحجاج، والمثبت من (ص).

(٥) في (خ) و(د): ابن بنت القريتين، وليس الخبر في (ص)، والمثبت من «العقد الفريد» ١/ ٢٥٤.

والأصحُّ أن أمَّ الحجاج بنتُ هبّارٍ الثقفي، وهي المُتَمَنِّيَة التي سمعها عمر بن الخطاب رضوان الله عليه وهي تقول: [من البسيط]

هل من سبيلٍ إلى خَمرٍ فأشرَبها[1]

[وقال الزهري:] وهي القائلة: [من الطويل]

تطاوَلَ هذا الليلُ وامتدّ[2] جانبُه وليسَ إلى جنبي حَبيبٌ ألاعِبُه

[وقال هشام:] وُلد الحجّاج مُشَوَّه الخَلْق، قبيحَ الصُّورة، لا دُبُرَ له، فلم يَقبل ثديَ أحدٍ؛ لا ثَدْيَ أُمِّه ولا غيرها، فقال بعض أطبّاء العرب: اذبَحوا له جَدْياً أسود، واذبحوا له هذه الحيَّة التي يُقال لها: أَسْوَدُ سالخ، فأَلْعِقوه دمَهما، ففعلوا، فكان أولَ ما دخل جَوفه الدَّمُ؛ فلهذا كان سفّاكاً للدّماء، مقدماً على الأهوال، ثم أمرهم الطبيب فشَقُّوا دُبُرَه[3].

[وبعض الرواة يقول: إن الذي أمرهم بذَبْح الجَدْي وأَسْود سالخ الحارثُ بن كَلَدَة الطبيب طبيب العرب، وهو خطأ، الحارث مات في السنة التي مات فيها أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وقد ذكرناه.]

ذكر طرف من أخبار الحجاج وسيرته:

[اتّفق علماء السِّير على أنه] كان جبّاراً، ظالماً، غَشوماً، عَسوفاً، حاسداً، حقوداً، سفّاكاً للدم الحرام، متجرِّئاً على الله تعالى، أباد العلماء، وقتل الأشراف، وأذلَّ الصَّحابة، وختم في أيديهم وأعناقهم بالرّصاص.

[وقال الهيثم بن عَديّ:] كان الحجاج زِنديقاً، يتستَّر بالإسلام، وبقراءة القرآن، وإطعام الطعام، وكان يتفاصَح، ويَتَفَيْهَق في كلامه، وكان لُحَنَة.

(١) تمامه: أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج. انظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٢٦.

(٢) في (ص): واشتد.

(٣) «مروج الذهب» ٦/ ٢٨٩-٢٩٠.

ذكر طرف من أخباره وإطعامه الطعام:

[ذكر أحمد بن محمد الهَمْداني في كتاب «البُلدان» قال:] أول من أطعم على ألف خِوان الحجاج بن يوسف، كان يُقعد على كلِّ خِوان عشرةَ رجال، وعليه جَنْبُ شِواء، وثَرِيدة، وسَمَكة، وبَرْنِيَّةٌ فيها عَسَل، وأخرى فيها لَبَن، وكان يقول لمن يَحضر غدَاءه وعَشاءه: رسولي إليكم الشَّمس، فإذا طلعت فاغدوا على غدائكم، وإذا غربت فروحوا إلى عشائكم.

[وكذا ذكر ابن عساكر: أنه كان يُطعم كل يوم على ألف خِوان[1]، قال: وكان له دار بدمشق بقُرب قَصر ابن أبي الحديد، ويقال لها: دار الزَّاوية.]

وقال الشعبي: رأيتُ موائدَ الحجاج، وكان على كلِّ خِوان عشرة ألوان، وإوزّة، وسمكة، وكان الحجاج يُحمَل في مِحَفَّة، ويُدار به على الموائد يتفقَّدها ويقول: اكسروا الأرغفة لئلا تُعاد إليكم.

قال: ورأى يوماً إوَزّة وليس عليها سُكّر، فأمر بضرب الطبَّاخ مئتَي سَوط، فكان الغِلمان لا يمشون إلا وخرائط السُّكَّر على أوساطهم.

[قال الشعبي:] وكان طعامُه لأهل الشام خاصّةً دون أهل العراق، فلما ولي يوسف ابن عمر لهشام [بن عبد الملك العراق] كان طعامه للناس عامّة، كان يُطعم في كل يوم على خمسة آلاف خِوان لأهل الشام وأهل العراق، فكانوا يرون طعامَ يوسف بن عمر أحمد عند الله وعند الناس[2].

وذكر عند أبي وائل[3] طعام الحجاج وإطعامه للناس فقال: اللهم أطعم الحجاج من ضَريع، لا يُسمن ولا يُغني من جُوع.

وقيل للشَّعبي: من أين كان يُطعم الحجاج؟ فقال: كان بيده مَغَلُّ العِراقَين وخُراسان، لا يَحمل منه إلى بني مروان شيئاً.

---

(١) لم أقف على هذا القول في «تاريخ دمشق»، وما بعده فيه ٤/ ٢٠٨ . وما بين معكوفين من (ص).

(٢) انظر «العقد الفريد» ٥/ ١٤_١٥ ، و «أنساب الأشراف» ١٢/ ٣٥٥ .

(٣) في (ص): وحكى يوسف بن سعد بن أبي وائل. ولعله تحريف صوابه: وحكى محمد بن سعد عن أبي وائل. والخبر في طبقاته ٨/ ٢١٩ ، و«تاريخ دمشق» ٤/ ٢٥١ . وأبو وائل: هو شقيق بن سَلَمة.

[وذكر المعافى بن زكريا أن] الحجاج قال يوماً: ما لي أرى الناس قد قَلُّوا على موائدي؟ فقال له الصلت بن قُران العَبديّ: أيها الأمير، إنك أكثرتَ خيرَ البيوت، فقلَّ غِشيان الناس لموائدك، فقال: الحمد لله، بارك الله عليك، وأحسن إليه.

[وقال المعافى:] أُتي الحجاج برجلٍ يرى رأيَ الخوارج، فقال له: أخارجيٌّ أنت؟ فقال: والذي أنت بين يديه غداً أذلّ مني بين يديك اليوم، ما أنا بخارجيّ، فقال الحجاج: إني يومئذٍ لذَليل، وأطلقه[1].

[وذكر القاضي التَّنوخي في كتاب «الفَرَج بعد الشدّة» عن أبي عمرو بن العلاء قال:][2] كنت أقرأ: ﴿إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غَرْفَةً بِيَدِهِ﴾[البقرة:٢٤٩]، بفتح الغين، وبلغ الحجاج وكان يقرأ: «غُرفة»، بالضم، فطَلبني، فهربتُ منه إلى بَراري صَنعاء، قال: فأقمتُ زماناً، فسمعتُ أعرابياً ليلةً يُنشد أبياتَ أُميَّة بن أبي الصَّلْت: [من الخفيف]

يا قليلَ العَزاءِ في الأموالِ ... وكثيرَ الهُموم والأشغالِ
صَبِّر النَّفْسَ عند كلِّ مُلِمٍّ ... إن في الصَّبرِ حيلةَ المُحتالِ
لا تَضِيقَنَّ في الأمورِ فقد تُكْـ ... ـشَفُ غَمَّاؤها بغيرِ احتيالِ
رُبَما تَجزَعُ النُّفوسُ من الأمـ ... ـرِ له فَرْجَةٌ كَنَشْطِ العِقالِ

قال: فاستَطْرَفْتُ قولَه: فَرجة بالفتح، وقلت: أَخْصِم الحجاج بها، فبينما أنا كذلك إذ سمعتُ قائلاً يقول: مات الحجاج، فلم أدرِ بأيِّ شيءٍ كنتُ أشدَّ فرحاً؛ بموت الحجاج، أم بسماع البيت!

[وقد رواه الأصمعي، وذكر أن الذي أنشد البيت أخبره بموت الحجاج.][3]

ذكر مكاتبات عبد الملك إلى الحجاج:

[ذكر هشام بن محمد، عن أبيه قال:] كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج: جَنِّبْني دماءَ آل أبي طالب، فإني رأيتُ المُلْكَ استوحش من آل حرب لمّا سفكوا دماءهم.

---

(١) «تاريخ دمشق» ٤/ ٢٢٥-٢٢٦ من طريق المعافى، وما بين معكوفين من (ص).

(٢) ما بين معكوفين من (ص)، وبدله في (خ، د): وقال أبو عمرو بن العلاء. هذا والأخبار الثلاثة الأخيرة وردت في (ص) بعد قوله: ذكر مكاتبات عبد الملك إلى الحجاج بثلاثة أخبار.

(٣) «الفرج بعد الشدة» ٤/ ٦٩-٧٤. وما بين معكوفين من (ص).

قال: وكتب إليه عبد الملك يقول: اكتب لي بسيرتك، فكتب إليه الحجاج: أما بعد، فإني أيقظْتُ رأيي، وأنَمتُ هواي، وأدنيتُ السيِّد المُطاعَ في قومه، ووَلَّيتُ الحرْبَ الحازم في أمره، وقَلَّدتُ الخراج الموصوفَ في أمانته، وجعلت لكلٍّ حَظّاً من عنايتي، وصَرفتُ السَّيفَ إلى المُسيء، فخاف المُريبُ صَولَةَ العِقاب، وتمسَّك المُحسِن بحظِّه من الثّواب.

[وقال أبو عبيدة:] كتب عبد الملك إلى الحجاج: أنت عندي سالم. فجمع العلماء فلم يعرفوا معناه، فقال له قتيبة بن مُسْلم: إن أخبرتُك بمعناه تَوَلّيني خراسان؟! قال: نعم، قال: قد أخبرك أنك عنده في أرفع المنازل، قال: ومن أين لك هذا؟! قال: أراد قول عبد الله بن عمر في ابنه سالم: [من الطويل]

يُديرونَني عن سالمٍ وأَلومُهم وجِلدَةُ بين العينِ والأنفِ سالمُ

فولّاه خُراسان.

ويقال للجلدة التي بين العين والأنف: سالم. وهذا المعنى أراد عبد الملك في جوابه عن كتاب الحجاج: أنت عندي سالم[1].

والبيت لعبد الله بن معاوية الفَزاري في ابنه سالم، وكان يقال له: الأشيم، وابن عمر استَشهد به.

قلت[2]: وفي الباب حكاية ذُكرت في باب الظّراف والمتماجنين عن الرِّياشِيِّ قال: نزل ضيف ببعض الناس فوجده يشرب، فجلس معه، فجعل الرجل يكثر الشراب، ويميل على الضيف وينشده:

يَلومونَني في سالمٍ وأَلومُهم وجِلدةُ ما بين العينِ والأنفِ سالمُ

فزاد في البيت لفظة: «ما»، وجعل يُرَدِّدها، فقال له الضيف: يا هذا، قد أَبْرَمْتَ، اجعل ما التي في شعرك في قَدَحِك، وقد عَدَّلْتَ شِعرك وشرابَك.

[وقال الأصمعي:] كتب عبد الملك إلى الحجاج يقول له: أنت عندي قَدَحُ ابنِ مُقْبِل.

---

(١) في (خ) و(د): عبد الملك في كتابه، والمثبت من (ص)، وانظر «صحاح الجوهري» ٥/ ١٩٥٢ (سلم).

(٢) في (خ) و(د): قال المصنف رحمه الله.

[واختلفوا في معناه؛ قال الأصمعي:] عَنى به الشدَّة والصَّلابة، [وقال الرِّياشيّ: إن عبد الملك][١] قصد هَوانه؛ لأنه لما كتب إليه: أنت عندي سالم؛ تداخله العجب حتى ولَّى قتيبة خراسان، فأراد عبد الملك أن يُذِلّه، وكان قَدَح ابنِ مقبل يُهان ويُبْذَل، ولا يُمنع منه أحد[٢].

وكان الحجاج يتفاصح على عبد الملك فكان عبد الملك يرميه في كتبه بالقَوارع؛ كتب إليه مرة:

أوصيك بما أوصى به البَكريُّ زيداً، فلم يَدْرِ ما معناه، وجمع الناس وسألهم فلم يفهموا، فدخل عليه أعرابيٌّ فقال: فيمَ أنتم؟ فأخبروه، فقال: عندي ـ والله ـ علمُه، قال: وما هو؟ قال: قول القائل: [من الطويل]

أقولُ لزيدٍ لا تُتَرْتِر فإنهم ... يَرونَ المنايا دون قتلِكَ أو قتلي
فإن وَضَعوا حَرْباً فضعها وإن أَبَوا ... فشُبَّ وقود النَّارِ بالحطب الجَزْلِ

فقال الحجاج: صدق، قد أكثرنا على أمير المؤمنين فقال: لا تترتر، ووصل الأعرابي[٣].

وقتل الحجاجُ عِمران بن عِصام العَنَزِيّ ـ وكان فاضلاً شجاعاً شاعراً فصيحاً ـ فكتب إليه عبد الملك: ويلك يا بن أبي رِغال، يا عبدَ ثقيف، يا بقايا ثمود، قتلتَ عمران بعد قوله: [من الكامل]

وبَعَثْتَ من وَلَدِ الأَغَرِّ مُعَتِّبٍ ... صَقْراً يلوذ حَمامُه بالعَوْسَجِ
فإذا طَبَخْتَ بنارِه أنضَجْتَه ... وإذا طَبَخْتَ بغيرها لم تُنْضِجِ
وهو الهِزَبْرُ إذا أَرَدْتَ فَريسةً ... لم يُنْجِها منه صَريخُ الهَجْهَجِ[٤]

وبلغ عبد الملك تَبَرُّمَ الناس بالحجاج، وإقدامه على سفك الدماء، فكتب إليه:

---

(١) ما بين معكوفين من (ص) بدلهما في (خ، د): وقيل.
(٢) انظر الخبرين في «أمالي القالي» ١/ ١٥، وشرحه للبكري ١/ ٦٦، و«التذكرة الحمدونية» ٨/ ٢٨٧ـ٢٨٨، ٣٩٨.
(٣) «تاريخ اليعقوبي» ٢/ ٢٦٦، و«مروج الذهب» ٦/ ٣٨٧ـ٣٨٨، و«الأمالي» ٣/ ٧١.
(٤) «العقد الفريد» ٥/ ٥٤، و«أنساب الأشراف» ٦/ ٥٠٠.

أما بعد، يا ابن المُتَمَنِّية، فإني عَلِمتُ فتعامَيتُ، وسمعتُ فتَصامَمْتُ، وقد أصبحتُ بأمرك مُتَبَرِّماً يُقعدني الإشفاق، ويُقيمني الرَّجاء، وقد أشركتُك فيما طَوَّقني الله حَمْلَه من أمانة الخَلْق، وظننتُ بك الحَزْمَ، والأخذ في إحياء سُنَّة، وإماتة بِدعة، فقعدتَ عن الأولى، وقُمتَ في إحياء الثانية، حتى صِرتَ حُجَّةً للغائب، وعذراً للّاعن، فلعن الله أبا عَقيل وما نَجَل، ولَعَمري ما ظَلَمكم الزمان، ولا قَعدت بكم الرُّتَب، وكنتم بين حافِرين وماتح قَليب، وما الطَّائفُ منكم ببعيد.

ثم عوّل أميرُ المؤمنين بإخراجك من أعوان رَوْحِ بن زِنْباع وشُرطَتِه، فهفا أميرُ المؤمنين ـ والله يُصلحه ـ فكان ما كان منك من مُخالفته، والفتك في الأمة، وبَسَطْتَ يدَك تَحقِن بها من كرائم ذوي الحقوق اللازمة، والأرحام الوَاشِجة، وتضعه في أوعية ثقيف، وقد كان رسول الله ﷺ ائتَمَن ثقيفاً على الصَّدقات فخانوه[1]، كما فعل بأمير المؤمنين فيما نَصَّبَك به ظَنُّه. فاعتزلْ عمَلَ أميرِ المؤمنين، واظْعَن عنه باللّعنة اللازمة، والعقوبة المُهلِكَةِ النّاهكة إن شاء الله تعالى.

ثم دعا عبد الملك مولاه نُباتة فقال: خذ هذا الكتاب، وسِرْ إلى الحجاج فناوِلْه إياه، فإن غضب عند قراءته فاعزِلْه، وأحضِرْه إليَّ خاسئاً مَذْموماً، وإن هَشَّ للجواب فأقِرَّه على عَمله.

فلما قدم نُباتة على الحجاج أعظم قدومه؛ لأنه ما كان يُفارق عبد الملك، فقال له الحجاج: ما الذي أقدمك؟ فناوله الكتاب، فلما قرأه هَشّ إليه، وكتب جوابَه، وأجاز نُباتة بجائزةٍ سَنيَّة، ورَدَّه إلى عبد الملك.

فسار من يومه، فقدم على عبد الملك، فقال له: ما استَقَرَّ بك المَضْجَع؟! فقال له نباتة: من خاف أدْلَج، وناوله الكتاب، فقرأه وابتسم، ثم رمى به إلى نُباتة، وإذا فيه:

---

(١) كذا وقع وهو خطأ صوابُه أن النبيَّ صالحاً بعث ثَقِيفاً على الصدقات. . . وسلف ص ٦٤، وفي «العقد الفريد» ٥/ ٢٢ : فلئن استقال أمير المؤمنين فيك الرأي فلقد جالت البصيرة في ثقيف بصالح النبي ﷺ؛ إذا ائتمنه على الصدقات، وكان عبده فهرب بها عنه.

لعبد الملك أمير المؤمنين، وخليفة رب العالمين، وإمام المسلمين، المعصوم من خَطَل القول، وزَلَلِ الفعل، من عبد اكتنَفَتْه الذِّلَّة[١]، ومَدَّ به الصَّغارُ إلى وَبيءِ المَكْرَع: السلام عليك ورحمةُ الله التي اتَّسعت فوَسِعت، فإني أحمَدُ إليك اللهَ الذي لا إله إلا هو، راجياً لعَطْفِك بعَطفِه، أما بعد:

فكان الله لك بالدَّعَة في دار الزَّوال، والأمنِ في دار الزِّلْزال كفيلاً، فاستعِذْ بالله يا أمير المؤمنين من الشَّيطان الرجيم، إنما سُلطانه على الذين يتوَلَّونه[٢]، وأمير المؤمنين قد كفاه الله وَسْوَسَته. وذكر كلاماً طويلاً استعطف به عبد الملك، وقال في آخره:

والأمر لأمير المؤمنين، إن شاء استبدل، وإن شاء أقرَّ، وكلاهما عَدْلٌ مُتَّبَع، وصَوابٌ مُعْتَدل[٣]، والسلام.

قال المصنف رحمه الله: ومعنى قول عبد الملك: وعوَّلَ أميرُ المؤمنين بإخراجك من شُرطة رَوْح بن زِنْباع؛ أن الحجاج كان في عَديد شُرطة رَوْح، وكان روح عظيماً عند عبد الملك، وهو الذي ولّى مروان الخلافة، فشكا عبد الملك إلى رَوْح قلَّةَ مُبالاة الجُندِ به، وأنهم لا يرحلون لرحلته، ولا ينزلون لنزوله، فقال له روح: في شرطتي رجلٌ لو قلَّدْتَه هذا الأمر لكفاك، فقال: ومن هو؟ قال: الحجاج بن يوسف، فقلّده عبد الملك، فاستقام أمر الجُنْد، فكان لا يتخلَّف عن الرَّحيل إلا أعوان روح.

فرحل عبد الملك يوماً، وتخلّف أعوان رَوْح في فُسطاطه، فمرّ بهم الحجاج وهم يأكلون طعاماً فقال: ما منعكم أن ترحلوا لرحيل أمير المؤمنين؟ فقالوا: يابن اللخناء، انزل فكُلْ، فقال: هيهات ذهب ما هنالك، ثم أمر بهم فجُلدوا بالسِّياط، وطِيف بهم في العسكر، وأحرق فُسطاطَ رَوْح بالنار، فقام روح فدخل على عبد الملك وهو يبكي، فقال له: ما الذي بك؟ فأخبره، فاستدعى الحجاج وقد استشاط عبد الملك غضباً فقال: وَيْلك، ما حَملك على ما صنعتَ؟ فقال: ما فعلتُ شيءٌ أنت فعلتَه، قال عبد الملك: لا والله ما فعلتُه، قال الحجاج: بلى، يدي يدُك، وسيفي سيفُك، وما عليك

(١) في (خ) و(د): من عبد السفيه الذلة، وليس الخبر في (ص)، والمثبت من «العقد» ٥/ ٢٥ .

(٢) في «العقد» ٥/ ٢٦ : فواغوثاه استعاذة بأمير المؤمنين من رجيم إنما سلطانه على الذين يتولونه.

(٣) كذا في (خ) و(د)، وبعض نسخ العقد ٥/ ٢٩ ، وأثبتها محققوه: معتقد.

أن تُخلِف لروح فُسطاطين، ولا تكسرني فيما قدَّمْتَني له، فأخلف له عبد الملك فسطاطين، ولم يُغيِّر على الحجاج شيئاً، وقامت الهَيبة(١).

وكتب(٢) الحجاج إلى عبد الملك كتاباً يُعظِّمه فيه ويقول: إن الخليفة عند الله أفضل من الملائكة المقرَّبين، والأنبياء والمرسلين [وذلك أن آدم] خلقَه الله بيده، وأسكنه جنّته ثم أهبطه إلى الأرض، وجعل الملائكةَ رُسلاً إليه، فأعجب عبدَ الملك كتابُه، وعرضه على الحاضرين، فاستهجنوا عبد الملك حيث أعجبه كلامُ الحجاج، ثم قال عبد الملك: ليت لي رجلاً من الخوارج أخاصمه بهذا الكتاب، فقيل له: إن ها هنا خارجياً، فأعطاه الأمان، فلما دخل عليه أعطاه كتابَ الحجاج، فقرأه وقال: لعن الله الحجاج؛ قد جعلك خليفةً، فمَن ولّاك؟ أعن مَشورةٍ من جميع المسلمين، أم وَثبتَ على الأمر بالسّيف؟! ثم قام فخرج.

[وقال ابن عيّاش:] كتب الحجاج إلى عبد الملك: بلغني أن أمير المؤمنين عَطس، فشَمَّتَه مَن حضر، وأنه ردَّ عليهم، يا ليتني كنتُ معهم فأفوزَ فوزاً عظيماً.

[وقال هشام:] كتب عبد الملك إلى الحجاج: ليس أحد إلا ويعرف عَيبَ نفسه، فأخبرني ما عيبُك؟ فكتب إليه الحجاج: أنا حَسود حَقود لَجوج، فكتب إليه عبد الملك: حسْبُك، فقد وافقتَ إبليس.

ولما وَلي الحجاجُ العراق بلغ عبدَ الملك إسرافُه في القتل، وأنه يُعطي أصحابه الأموال، فكتب إليه:

أما بعد فقد بلغَني سَرَفُك في الدِّماء، وبَذْلُ الأموال، وهذا فلا أحتمله لأحد من الناس، وقد حكمتُ عليك في القتل العمد بالقَوَد، وفي الخطأ بالدِّيَة، وأن تَرُدَّ الأموال إلى مواضعها، فإنما المال مالُ الله، ونحن خُزَّانه، وسيَّان منع حقٍّ وإعطاء باطل، فلا يُؤمنك إلا الطاعة، ولا يُخيفنّك إلا المعصية، وكتب في أسفل كتابه: [من الطويل]

(١) «العقد» ٥/ ١٤.

(٢) في (ص) وقال أبو بكر بن عباس كتب، وفي العقد ٥/ ٥١ الشيباني عن الهيثم عن ابن عياش قال: كنا عند عبد الملك إذ أتاه كتاب من الحجاج، وما سيرد بين معكوفين من العقد.

إذا أنتَ لم تترُك أموراً كرهتُها وتطلبْ رضايَ في الذي أنا طالبُهْ
وتخشى الذي يَخشاه مثلُك هارباً إلى الله منه ضَيّع الدّرَّ جالِبُه
فإن ترَ منّي غفلةً قُرشيَّةً فيا ربّما قد غَصَّ بالماء شارِبُه
وإن ترَ منّي وَثْبةً أُمويَّةً فهذا وهذا كلُّه أنا صاحِبُهْ
فلا تَعْدُ ما يأتيك منّي وإن تَعُدْ تَقُمْ فاعلَمَنْ يوماً عليك نوادِبُه

فلما قرأ الحجاج كتابه كتب إليه: أما بعد، فقد جاءني كتابُ أمير المؤمنين يذكر فيه سَرَفي [في] الدّماء، وتبذيري في الأموال، والله ما بالغتُ في عقوبة أهل المعصية، ولا قضيتُ حقوقَ أهل الطّاعة، فإن يك قَتْلي العُصاةَ سَرَفاً، وإعطائي أهلَ الطاعة تبذيراً، فليُمْضِ لي ما سلف، وليُحَدّد لي أمير المؤمنين حدّاً فيما يحدث؛ أنتهي إليه ولا أتجاوزه، وكتب في أسفل الكتاب: [من الطويل]

إذا أنا لم أطلبْ رِضاك وأتّقي أذاكَ فليلي لا تَوارَتْ كَواكِبُهْ
إذا قارفَ الحجاجُ فيك خطيئةً فقامتْ عليه في الصَّباح نَوادِبُهْ
أُسالم مَن سالَمْتَ من ذي هَوادَةٍ ومَن لم تُسالِمْه فإني مُحارِبُهْ
إذا أنا لم أُدنِ الشَّفيقَ لنُصحِه وأُقْصِ الذي تَسري إليَّ عقارِبُه
فمَن يتَّقي يومي ويَرجو إذاً غدي [على ما أرى و] الدُّهرُ جَمٌّ نَوائبُه[(١)]

قصة الحجاج مع أم البَنين بنت عبد العزيز [بن مروان:

ذكر علماء السِّيَر أن الحجاج] قدم على الوليد بعد وفاة أبيه عبد الملك، فدخل عليه وعلى الحجّاج دِرْعُه وسلاحُه، والوليد في غِلالة، فجعل يُحدِّثه خالياً وأمّ البنين تراهما من وراء الستر، فأرسلت إلى الوليد خادماً، فسارَّه وقال: تقول أم البنين: يدخل عليك الحجّاج مُسْتَلْئماً وأنت في غِلالة، وقد قتل ما قتل من الناس؟! فضحك الوليد [فقال الحجاج: ما يُضحك أميرَ المؤمنين؟ فقال له وهو يُمازحُه: هذا خادم بنت عميّ يقول كذا وكذا] فقال له الحجاج: يا أمير المؤمنين، دع عنك مُفاكَهَةَ النِّساء بزُخْرُفِ القول، فإنما المرأةُ رَيحانة وليست بقَهْرَمانة، وإياك أن تُطلعَهنَّ على سِرِّك، ومُكايَدةِ عَدوِّك،

(١) «مروج الذهب» ٥/٣٠٨-٣١٢، و«تاريخ دمشق» ٤/ ٢٣٢-٢٣٣ (مخطوط) وما بين معكوفين منه، جاء بدله في (خ) و(د) بياض، والخبر بطوله ليس في (ص).

وإياك ومُشاورتهنّ؛ فإنَّ رأيَهنّ إلى أَفَن، وعَزْمَهنّ إلى وَهَن، وعَرَقَهنَّ إلى عَفَن، ولا تُطمِعْهنَّ في الشَّفاعة عندك، ولا تُطِل الجلوسَ معهن؛ فإن ذلك أوفرُ لعقلك، وأغزرُ لفضلك.

ثم قام الحجاج فخرج، ودخل الوليد على أم البنين فقالت: ما دار بينك وبين الحجاج، فأخبرها بمقالته، فوَجَمت ساعةً ثم قالت: أُحبُّ غداً أن تأمره بالتّسليم عليّ، فقال: نعم.

فلما دخل عليه الحجاج من الغد قال له: صِر إلى أم البنين فسلِّم عليها، فقال: أوَتُعْفِيني؟ قال: لا أُعفيك، فمضى الحجاج إلى بابها، فحبسْته طويلاً، ثم أذِنتْ له، فدخل ووقف عند السّتر، وسلَّم وهو قائم، فلم تأذن له في الجلوس وقالت:

لا مرحباً بك ولا أهلاً يا أُخَيفِشَ ثَمود، وعبدَ بني ثَقيف، يا عدوَّ الله وعدوَّ رسوله، أنت المُمْتَنُّ على عبد الملك بقتل ابنِ حَواريّ رسول الله ﷺ، وابنِ ابنة أبي بكر الصّديق ذات النّطاقَين، أولِ مولودٍ وُلد في المدينة من المهاجرين الصّوّام القوّام، وبقتل عبد الرحمن بن الأشعث سيّد كِندة وزعيمها، وقتلِ سعيد بن جُبير وكُمَيل بن زياد، وأولياءِ الله والعلماء، ورميك بيت الله والبلد الحرام ـ الذي مَن دخله كان آمناً ـ بالمجانيق، وتحريقك الكعبة، وسفكِ الدم الحرام في مكان يأمَن فيه الطيرُ والوَحْش، وقد والى عليك ابنُ الأشعث الهَزائم، حتى عُذتَ بعبد الملك، فأعانك بجُندِ الشام، وأنت في أضيق من القَرَن، فأظلَّتْك رماحُهم، وأعانك كفاحُهم، ولولاهم لكنتَ كأمسِ الذّاهب، أنسيتَ رِماح غزالة في أكتافك، ودقَّها قفاك برُمحها، ولله درُّ القائل:

هـلّا بـرَزْتَ إلـى غـزالـةَ فـي الـوَغـى[(١)]

وذكرت الأبيات.

يابن أبي رِغال، طالما نقَض عبدُ الملك المِسْكَ من غدائرِ نسائه، والحُليّ من آذانهن وأيديهن، وبِعنَه في الأسواق لأجل البعوث إليك، ولولا ذلك لكنت أذلَّ من نَعْل، وأهون من بَقَّة، وأقلّ من لا.

---

(١) تمامه: بل كان قلبك في جناحي طائر، انظر «مروج الذهب» ٥/ ٣٦٧، و«العقد» ٥/ ٤٤.

ثم إنك أشرتَ على أمير المؤمنين بتَرْك لذّاته، وبلوغ أوطاره من نسائه، فإن كنّ يُفرِجن عن مثله فإنهن ريحان، وإن كنّ يُفرجن عن مثلك فهن أقذارٌ وأنتان.

ثم قالت لجواريها وخَدَمها: ادفعوا في قفاه وأخرجوه مَذموماً مَدحوراً، ففعلوا. فدخل على الوليد وهو في أسوأ حال، فأخبره بما قالت وقال: والله ما سكتت حتى كان بطنُ الأرض أحبَّ إليَّ من ظهرها، فضحك الوليد وقال: إنها ابنةُ عبد العزيز.

ذكر بعض خُطَبه:

قال الشَّعبي: حدثني الربيع[١] بن خالد قال: سمعتُ الحجاج يقول على المنبر: أخليفةُ أحدكم في أهله أكرمُ عليه أم رسوله في حاجته؟ قال: فجعل عبد الملك أفضل من رسول الله ﷺ، ثم قال الربيع: لا جرم، والله لا أصلّي بعدها خلفك، ولأُجاهدنّك ما استطعتُ، قال: فلما كان يومُ الجَماجم أبلى الربيع بلاء حسناً، وقصد قتلَ الحجاج فلم يصل إليه.

وصَعد المنبر يوماً فخطب، فضرب برجله المنبر فانكسر لوحٌ منه، فسُرَّ الناس بذلك وتفاءلوا به، وفهم الحجاج فقال: شاهت الوجوه، وتبّت الأيدي، وبُؤتم بغضبٍ من الله، إنه إنما انكسر عُودٌ ضعيفٌ من خِرْوَع تحت قَدم أيِّدٍ شَديد، يا أعداء الله، تفاءلتم بالشُّؤم، وإني والله عليكم أنكَدُ من الغُراب الأبْقَع، وأشأمُ من يومِ نَحسٍ مُسْتَمِرّ، وإني لأعجب من قول لوط: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٖ شَدِيدٖ﴾ [هود: ٨٠] وأيُّ رُكْنٍ أشدّ من الله، وآوي إلى أمير المؤمنين، ثم نزل[٢].

ومرض فأُرجف عليه بالموت، ثم برىء، فصعد المنبر فقال: يا أهل العراق، يا أهل الشِّقاق والنِّفاق، مَرضتُ فقلتم مات الحجاج، أما والله إني لأُحبّ الموت، وهل أرجو الخيرَ كلَّه إلا بعد الموت، وما رأيتُ اللهَ قضى الخلودَ في الدنيا إلا لأبغض خلقه

(١) كذا في «مروج الذهب» ٥/ ٣٣٨-٣٣٩، و«العقد» ٥/ ٥٢، و«التهذيب». وفي «توضيح المشتبه» ١/ ٤٩٠: بزيغ.
(٢) «التذكرة الحمدونية» ٨/ ٢٨.

إليه وهو إبليس، ولقد سأل العبدُ الصَّالحُ ربَّه فقال: ربِّ هَبْ لي مُلكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعدي، فوهب له، ثم اضْمَحلّ فكأنه لم يكن[١].

وأراد سَفراً فاستخلف على الناس ابنه محمداً، ثم صعد المنبر فقال: قد استخلفتُ عليكم ابني محمداً، وأمرتُه فيكم بخلاف ما أمر رسول الله ﷺ في الأنصار وهو أن يقبلَ من مُحسنهم، ويتجاوز عن مُسيئهم، ألا وإنكم قائلون بعدي مَقالةً لا يَمنعكم من إظهارها إلا خوفي، لا أحسن الله صحابتكم، ولا الخلافةَ عليكم[٢].

ومات محمد بن الحجاج بُكرة الجمعة، وجاءه نَعيُ أخيه محمد بن يوسف عَشيَّة، ففرح أهل العراق وقالوا: انقطع ظَهره، وقُصَّ جَناحُه، فصعد المنبر وقال: محمدان في يوم واحد؟! أما والله ما كنتُ أحبُّ أن يكونا معي في الدنيا لما أرجو لهما من ثواب الله في الأخرى، وايْمُ الله، ليُوشكَنَّ الباقي مني ومنكم أن يَفنى، والجديد منا أن يَبلى، وتُدال الأرض منا؛ فتأكل من لُحومنا، وتشرب من دمائنا، كما مشينا على ظهرها، وأكلنا من ثمارها، وشربنا من أنهارها، ثم قرأ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾[يس: ٥١] ثم نزل وجلس للتَّعزِية[٣].

وخطب يوماً فقال: إن مَثَلَ عثمان عند الله كمثَل عيسى بن مريم، قال له الله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾الآية[آل عمران: ٥٥] وبلغ الحسن البصري فقال: لعن الله الفاجر فقد كذب وكفر.

وقال الشعبي: سمعتُ الحجاج يتكلم بكلامٍ ما سبقه أحد إليه؛ سمعتُه يقول: أما بعد، فإن الله كتب على الدنيا الفناء، وعلى الآخرة البقاء، فلا فناء لما كتب عليه البقاء، ولا بقاء لما كتب عليه الفناء، فلا يَغُرَّنكم شاهدُ الدنيا على غائب الآخرة، واقهروا طولَ الأمَل بقِصَر الأجَل.

---

(١) «العقد» ٤/ ١٢٣ و٥/ ٤٦ـ٤٧ ، و«المنتظم» ٦/ ٣٤٢ .

(٢) في «العقد» ٤/ ١١٩ و٥/ ٤٧ ، و«المنتظم» ٦/ ٣٤٣ : لا أحسن الله له الصحابة وإني أعجل لكم الجواب فلا أحسن الله عليكم الخلافة .

(٣) «العقد الفريد» ٤/ ١٢٢ـ١٢٣ و٥/ ٤٧ .

وقال الحسن البَصريّ: لقد وَقَذَتْني كلمةٌ سمعتُها من الحجاج بن يوسف، فقيل له: أكلام الحجّاج يَقِذُك؟ قال: نعم، سمعتُه يقول على هذه الأعواد: إن امرأً ذهبت ساعةٌ من عُمره لغير ما خُلق له لحَرِيٌّ أن تَطول عليها حَسْرتُه إلى يوم القيامة.

[قال حَفْص بن النَّضْر السُّلَمي:] قال الحجاج يوماً في خُطبته: أيها الناس، الصَّبر عن محارم الله أيسرُ من الصّبر على عذاب الله، فقام إليه رجل فقال: يا حجاج، ما أَصْفَقَ وَجْهك، وأقلَّ حياءك! تفعل ما تفعل وتقول هذا؟ فأمر به فأُخذ، ثم نزل من المنبر ودعا به وقال: لقد اجترأتَ عليَّ، فقال له: يا حجاج، أنت تجترىء على الله فلا تُنكره على نفسك، وأجترىء أنا عليك فتُنكره عليّ! فوَجَم وقال: خَلُّوا سبيلَه[(١)].

ذكر كتاب سليمان بن عبد الملك إلى الحجاج في زمن أخيه الوليد:

كتب إليه في أسباب فلا يقرؤها، ولا ينظر إليها[(٢)]، فلما طال ذلك على سليمان كتب إليه:

من سليمان بن عبد الملك؛ سلام على أهل الطاعة من عباد الله، فإنك امرؤ مَهتوكٌ عنك حجابُ الحقّ، مُولَعٌ بما عليك لا لك، مُنصرفٌ عن مَنافعك، تاركٌ لحظِّك، مُستَخفٌّ بحقِّ ربك وحقِّ أوليائه، مَنكوسٌ في أمرك، مَعتوهٌ في عقلك، لا تَتَلبَّث عن قبيح، ولا ترعوي عن إساءة، ولا ترجو لله وقاراً، حتى دُعيتَ فاحشاً متفحِّشاً، ولله عليّ لئن أمكنني الله منك لأدوسَنَّك دَوسَةً تَلين منها فرائصُك، ولأجعلنَّك شَريداً في البلاد والجبال تلوذ بأطرافها، ولأُعَلِّقَنَّ الرُّوميَّةَ الطويلة الحمراءَ بثدييها - يعني أختَه - فقِدْماً ما غَرَّتْك العافية، وإنْ أَخَّرني الزَّمان فسوف ترى، وإن تكن الأخرى فأرجو أن تؤول بك إلى مَذَلَّةٍ ذليلة، وخِزيةٍ طويلة، وأن يُجعل مصيرُك في الآخرة شرَّ مَصير.

فكتب إليه الحجاج: [من الحجاج] بن يوسف إلى سليمان بن عبد الملك، سلام على من اتّبع الهُدى، أما بعد، فإنك كتبتَ إليَّ تذكر أني مَهتوكٌ عنّي حجابُ الحقِّ،

---

(١) الأخبار الثلاثة في «تاريخ دمشق» ٤/ ٢٢٤-٢٢٥ وما بين معكوفين من (ص).

(٢) كذا في (خ) و(د)، وليس في (ص)، وفي «العقد» ٥/ ٤١ : كان سليمان يكتب إلى الحجاج في أيام أخيه الوليد كتباً فلا ينظر له فيها. وما سيرد بين معكوفين من العقد.

ولَعَمري إنك صَبيٌّ حَدَثُ السنِّ، سخيفُ العقل، وقد دلَّ كتابُك على ذلك، فهلا اقتصرتَ على قضاء الله دون قضائك، فأمرُ الله حائلٌ دونَ أمرك، ولكنك لم تستوف الأمورَ علماً، ولم تُرزق من أمرك حَزْمًا، ولقد دلَّاك الشَّيطان بغُرور.

وأما قولك: إنك تُعلِّق زينب بنت يوسف بثدييها؛ فأرجو أن لا يُوفّقك الله لذلك، ولقد كتبتَ إليّ والشيطان بين فَكَّيك يُملي عليك، فشرُّ مُمْلٍ على شرِّ كاتب، ثم تُمنّي نفسَك بالخلافة ولعلَّك لا تبلغ أمرَها، ولو بلغتَه فأرجو أن تكون لي كما كان أبوك وأخوك، أكن لك مثلما كنتُ لهما... وذكر كلاماً وقال في آخره: وأنا الحجاج والسلام.

حديث ابن[1] نُمَيْر الثَّقَفيّ مع الحجاج:

قد ذكرناه في ترجمة عبد الملك بن مروان، وأن عبد الملك كتب له كتاباً إلى الحجاج بأمانه، وكان قد شَبَّب بأخت الحجاج [وكان اسمها] زينب.

[وقال أبو الفرج الأصفهاني: كان ابن نُمير يُشَبِّب بأخت الحجاج] فأباح الحجاج دمَه، فهرب إلى اليمن وركب البحر وقال: [من الطويل]

أتتني[2] عن الحجّاج والبحرُ بيننا	عقاربُ تسري والعيونُ هَواجِعُ
فضُقْتُ به ذَرْعاً وأوجَسْتُ خِيفةً	ولم آمَنِ الحجاجَ والأمرُ قاطعُ
وحلَّ بيَ الأمرُ الذي جاءني به	سَميعٌ فليست تستَقِرُّ الأضالِعُ
فبِتُّ أُديرُ الأمرَ والرَّأيَ ليلتي	وقد أخضلَتْ خدِّي الدُّموعُ الهوامِعُ
وفي الأرضِ ذاتِ العَرْضِ عنك ابنَ يوسفٍ	إذا شئتُ مَنْأًى لا أبا لك واسعُ

ثم طالت عليه الغُربة، واشتاق إلى وطنه، فما علم به الحجاج إلا وهو واقفٌ على رأسه، فرفع رأسه إليه وقال: أنت القائل:

وفي الأرض ذات العَرْض عنك ابنَ يوسفٍ

(١) في النسخ: أبي، هنا وفيما سيرد، والمثبت من «الأغاني» ٦/ ١٩٨، و«الفرج بعد الشدة» ٤/ ٤٩، وهو محمد بن عبد الله بن نمير الثقفي، من شعراء الدولة الأموية.

(٢) في النسخ: أسير، وهو خطأ، والمثبت من المصدرين.

فقال: بل أنا القائل: [من الطويل]

أخافُ من الحجاج ما لستُ خائفاً ... من الأَسَدِ العِرْباض لم يَنْهَهُ ذُعْرُ
أخافُ يديه أن تنالا مَفاصِلي ... بأبيضَ عَضْبٍ ليس من دونه سِتْرُ

حديث قتيبة بن مسلم مع الرجل الذي أراد الحجاج قتله:

[حكاه المدائنيّ والقاضي التَّنوخي في كتاب «الفرج بعد الشدّة» كلاهما عن أبي عُبيدة مَعْمر، إلا أن المدائني ذكر أن الذي كفل الرجل عَنْبَسةُ بن سعيد، والتنوخي قال: كفله قُتيبة بن مُسلم، قالوا:] أُتي الحجاج بقومٍ كانوا ممَن خرج عليه فقتلهم، وأقيمت الصلاة، وبقي واحد منهم، فقال الحجاج لقُتيبة بن مُسلم: انصرف بهذا إلى غد، واغْدُ به عليّ.

قال قتيبة: فخرجتُ به، فلما كنا ببعض الطريق قال: هل لك في خير؟ قلت: وما هو؟ قال: عندي ودائعُ للناس وأموال، ووالله ما خرجتُ على الحجاج ولا على غيره، ولا أستحلُّ دمَ مسلم ولا مالَه، فإن رأيتَ أن تَمُنَّ عليّ حتى أذهبَ، وأدفعَ الودائعَ إلى أربابها، ولله عليَّ أن أرجع إليك من الغد، قال: فلم أكلّمه تعجُّباً منه، فأعاد عليّ القول فقلت: اذهب، فلما توارى عني شَخصُه ندمتُ، وبتُّ بليلةٍ طويلة، فلما كان من الغد وإذا بالرجل قد أقبل، فقلت له: جئت؟! فقال: سبحان الله، جعلتُ الله بيني وبينك كفيلاً ولا أرجع؟!

فانطلقتُ به إلى الحجاج فقال: وأين أسيرُنا؟ فأخبرتُه بالقصة فقال: أوَتحبُّ أن أَهَبه لك؟ قلت: نعم، فقال: خذه، قال: فخرجتُ فأخبرتُه، فرفع طَرْفَه إلى السماء وقال: الحمد لله، ومضى ولم يكلِّمني كلمة، فقلت: هذا مجنون، فلما كان من الغد أتاني وقال: والله ما جهلتُ ما صنعتَ معي، ولكني كرهتُ أن أشرك في حمد الله أحداً، قال: فقلت له: فبذلك نَجوتَ[1].

---

(١) «الفرج بعد الشدة» ٤/ ١٢١-١٢٣ وفيه رواية المدائني.

حديث الحجاج مع الأعرابي:

[حكى المدائني قال:] خرج الحجاج يتصيَّدُ ظاهرَ الكوفة [وقال أبو عمرو الشيباني: ظاهر المدينة] فوقف على أعرابيٍّ يرعى إبلاً، فقال له: كيف سيرةُ أميركم؟ فقال: ظَلوم غَشوم، قال: فهلا شكيتموه[١] إلى عبد الملك؟ فقال: هو أغشَمُ منه وأظلم، فعليهما لعنة الله.

قال: وتلاحق أصحاب الحجاج، فقال: من هذا؟ قالوا: الأمير، فناداه الأعرابي: أيها الأمير، السرُّ الذي بيني وبينك ما أحبُّ أن يَطَّلع عليه أحد، فضحك الحجاج وقال: لا، ولم يَعرِض له.

جلس الحجاج يوماً على المائدة يأكل ومعه محمد بن عُمير بن عُطارد بن حاجب بن زُرارة التَّميمي وحجار بن أَبْجر العجليّ، فأقبل في وسط الطعام على محمد بن عُمير وقال له: يا محمد، يدعوك قُتيبة بن مُسلم إلى نُصرتي يوم رستقباذ فتقول: لا ناقةَ لي فيها ولا جَمَل! يا حَرَسِيّ، خذ بيده فاضرب عُنقه، فجرَّد الحرسيُّ سيفَه، وجذب بيد محمد فأقامه.

وحانت من الحجاج التفاتة إلى حجار بن أبجر فرآه يتبسّم، فدخلت الحجاجَ العصبيَّةُ، وكان مكان حجار من ربيعة مثل مكان محمد من مُضَر، فأمر بردّ محمد إلى المائدة، وقال للحرسي: شِمَّ سيفَك. وأتى الخَبَّاز بفُرْنِيّة، فقال الحجاج للخبّاز: ضعها بين يدي محمد فإن اللبن يعجبه[٢].

أخبار متفرقة من أخبار الحجاج:

[روى الشعبي أنه قال:] أذنب رجل فطلبه الحجاج فهرب، فجاء إخوته فقالوا: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٧٨]، فقال الحجاج: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَـٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾ [يوسف: ٧٩].

---

(١) كذا في النسخ، وفي «العقد» ٣/ ٤٧٧ : شكوتموه، وهو الجادة.

(٢) «الفرج بعد الشدة» ٤/ ١٢٣-١٢٤ . وقوله: شِمَّ سيفَك، أي: أغْمِدْه.

وجيء بجماعة فقتل أكثرهم، فقال له واحد منهم: أيها الأمير، إن كنا أسأنا في الذَّنب؛ فما أحسنتَ في العفو، فعفا عن الباقين[١].

[وقال أبو العَيناء:] أخذ الحجاج أعرابياً قد جنى، فأمر بضَرْبه، فلما ضُرب السَّوط الأول قال: الشكر لله، فضربه سبع مئة سوط، فلما أطلقه لقي أعرابياً آخر، فحكى له ما جرى عليه فقال: تدري لمَ ضربك سبع مئة سوط؟ قال: لا، قال: لأنك شكرتَ الله في أول سوط، وقد قال الله: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[٢][إبراهيم: ٧].

وكتب إليه قتيبة يشكو ما حلّ بالبلاد من شدَّةِ القَحْطِ والجَراد، فكتب إليه: إذا أَزِف خراجُك فانظر لرعيّتك في مصالحها، فبيتُ المال أشدُّ اضطلاعاً بذلك من الأرملة واليتيم وصاحب العيال، ولا تُخاطر بالمسلمين في عبور النهر، حتى ترى موضعَ قدمك، ومَرمى سَهْمك، ومُرْ عسكرك بتلاوة القرآن؛ فهو أمنع لحصونك[٣].

[وحكى العُتبيّ قال: كان الحجاج يقول:] لو أدركتُ أربعة نَفَرٍ لتقرَّبتُ إلى الله بدمائهم، قيل: ومَن هم؟ قال: مُقاتل بن مِسْمَع والي سجستان؛ أتاه الناس فأعطاهم الأموال، فلما قدم البصرة بسط له الناسُ أردِيَتَهم [فمشى عليها] فقال: لمثل هذا فليعمل العاملون.

وعُبيد الله بن ظَبيان[٤]، قام خطيباً فأوجز، فصاح به الناس من جوانب المسجد كثَّر الله فينا أمثالَك، فقال: لقد سألتم الله شَطَطا.

ومَعْبَد بن زُرارة، رأته امرأة في الطريق فقالت له: يا عبد الله، أين الطريق إلى مكان كذا؟ فغضب وقال: ألمثلي يقال: يا عبد الله؟!

---

(١) الخبر في «الفرج بعد الشدة» ٤/ ١٢١.

(٢) «العقد الفريد» ٣/ ٤٧٩. وما بين معكوفين من (ص).

(٣) في «العقد» ٤/ ٢١٨: من حصونك.

(٤) في (خ) و(د): وعبد الله بن حلتان، والمثبت من (ص) و«العقد» ٢/ ٣٥٣ و٥/ ٥٢_٥٣.

[وأبو سليمان الحنفي: أضلَّ ناقته فقال: لئن لم تردَّها عليّ لا صليت لك أبداً، فلما وجدها قال: علم أن يميني كانت صِرَّى[1]].

قال راوي الحكاية: قبَّح الله الحجاج، لقد ارتكب ما هو أقبح من هذا.

[وقال أبو اليقظان:] كتب إليه محبوس رقْعةً يذكر فيها أنه قد تاب، فكتب عليها: ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ﴾ [التوبة: ٩١].

[وقال هشام:] لما أُتي الحجاج بامرأة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث قال لها: يا عدوّة الله، أين مال الله الذي جعلتِهِ تحت ذَيلك؟ [فبكت] فقال لها حرسي: ويلك، أخرجي مال الله الذي جعلتِهِ تحت اسْتِك، فقال له الحجاج: قاتلك الله، ما قلنا كذا، أطلقْها، وخلّى سبيلها[2].

وقال الشعبي: كنت عنده فدخل الحاجب فقال: بالباب رُسُل، فأذِن لهم، فدخل قومٌ من بني سُلَيم، يَقدمهم شَبابة بن عاصم، فقال: من أين؟ قال: من الشام، قال: هل وراءك من غَيث؟ قال: نعم، أصابتنا دون الأمير سحائب، فقال: صِف لنا كيف كان وَقعُ المطر وتباشيره، فقال: أصابتنا سحابةٌ لَبَّدَت الدِّماث، وأسالت العَزاز، وأدْحَضَت التِّلاع[3]، وصَدَعت عن الكَمأة أماكنَها، وأصابتنا سحابةٌ ملأت الأخاديد، وأفعَمت الأوديةَ، وجئناك في مثل وِجار الضَّبُع.

ثم دخل رجل من أهل اليمامة فقال له: هل وراءك من غيث؟ قال: نعم، قال: صفه، قال: سمعتُ الرُّوَّاد يقولون: هلمُّوا ظُعنَكم إلى محلَّةٍ تَطفأ فيها النِّيران، وتَشَكَّى منها النساء، وتتنافس فيها المِعزى، فلم يدر الحجاج ما قال، فقال: إنك لَتُحدِّث أهلَ الشام فأفهِمْ، قال: نعم، أخصب الناسُ فكثر الزُّبد والسَّمن واللّبن والتمر، فلا توقد نار يُختَبَز بها، وأما تشكّي النساء؛ فإن المرأة تَمْخَضُ لَبَنها، فتبيتُ ولها أنينٌ من

---

(١) في (ص) (والكلام منها): ضراراً، وهو تصحيف، وذكره ابن الأثير في «النهاية» (صرا) ٣/ ٢٨ عن أبي سَمَّال الأسديّ، وفي «العقد الفريد» ٥/ ٥٣ : بَرَّة، والخبر فيه عن أبي سِماك.

(٢) «العقد» ٥/ ١٦ ، ٣١ وما بين معكوفين من (ص).

(٣) في (خ) و(د): سحابة لينت الرمات وأسالت الفرات، وليس الخبر في (ص)، والمثبت من «العقد الفريد» ٥/ ٣٤ . قوله الدماث: الأرض السهلة، والعزاز: الأرض الصلبة.

عَضُدَيها، وأما تنافُس المِعزى؛ فإنها ترعى من أنواع الثَّمَر ونَوْرِ النبات ما يُشبع بطونَها، ويملأ عُيونَها[١].

وهناك رجل من الموالي فقال له: هل كان وراءك من غيث؟ قال: نعم، غير أني لا أُحسن أن أقولَ ما يقول هؤلاء، أصابتني سَحابةٌ بحُلْوان، فلم أزل أطَأُ في أَثَرها حتى دخلتُ عليك، فقال الحجاج: لئن كنتَ أقصرَهم في وصف المطر خُطبة، إنك لأطولهم بالسيف خُطوة.

[وقال أبو عمرو الشَّيبانيّ:] قرأ الحجاج سورة هود، فلما انتهى إلى قصة نوح لم يدر كيف يقرأ ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ [هود:٤٦]، فقال: انظروا مَن ها هنا من القُرَّاء، فقالوا: رجل بالباب، وشُغل الحجاج فحُبس، فأقام ستة أشهر لا يذكره، فعرض الحجاج السجون يوماً فرآه، فقال: فيمَ حُبست؟ فقال الرجل: في ابن نوح، فضحك الحجاج وأطلقه[٢].

وقُدِّم بين يديه يوم الجماجم أسير، فقال: على أيِّ دينٍ أنت؟ فقال: على دين إبراهيم حنيفاً مسلماً فقتله، وقُدِّم آخر فقال: على أيِّ دينٍ أنت؟ فقال: على دين أبيك يوسف، فقال: كان والله صوَّاماً قوّاماً وأطلقه[٣].

وقال الشعبي: كان الحجاج يطوف في الليل، فإن رأى واحداً بعد العشاء قتله، فبينا هو ليلة يمشي إذ نظر إلى غلامين يتناظران، فقال: من أنتما؟ فقالا: أخوان في الإسلام، معروفان في الأنام، كلّ واحدٍ منا ينطق بلسان صاحبه، يفرح لفرحه، ويتألّم لألمه، فقال: انْتَسِبا، فقال أحدهما: [من الطويل]

أنا ابنُ الذي لا يُنزل الدهرَ قِدرَه ... وإن أُنزلتْ يوماً فسوف تعودُ
ترى الناسَ أفواجاً إلى ضوء ناره[٤] ... فمنهم قيامٌ تحتها وقُعودُ

---

(١) في «العقد» ٥/ ٣٥: ما يشبع بطونها ولا يشبع عيونها.
(٢) «العقد» ٥/ ٣٦ وما بين معكوفين من (ص).
(٣) «العقد» ٥/ ٥٣_٥٤.
(٤) في (ص، د) باب داره، والمثبت من (خ).

فقال الحجاج: لله درُّ أبيك، مِطعامٌ للطعام، مُقَدَّمُ الكِرام، وقال للآخر: وأنت؟

فقال: [من الطويل]

أنا ابنُ الذي يَعلو الرجالَ بسيفه ويضربُ أعناق الأُسودِ القَشاعِمِ

ولا ذاك من ذَحْلٍ ولا هو ثائرٌ ولكنه حاوي الغِنى والمكارمِ

فقال: لله درُّ أبيك من شُجاعٍ مِطعان، مُجَدِّلِ الأقران، ثم مضى ولم يعرض لهما.

فلما كان من الغد دخل عليه أيّوب بن القِرِّيّة، فذكر ذلك له، فضحك أيوب وقال: بلغني أنه كان لتاجرٍ على شاعر دَين فمَطَله، فتعلَّق به التاجر فقال: إما أن تدفعَ إليَّ حَقِّي، وإما أن تهجوَ نفسَك، وإما أن تمدحَني، فقال الشاعر: أما الحق فأنا عاجزٌ عنه، وأما هجو نفسي فلا أتناول عرضي، وأما مدحُك فنعم، وكان التاجر ابنَ حجَّام فقال: [من المنسرح]

أبوك أوهى النّجاد عاتقه كم من كَميٍّ أدْمى ومن بَطلِ

يأخذُ من ماله ومن دمِه لم يُمسِ من ثائرٍ على وَجَلِ

بكفِّه مُرهَفٌ يقلِّبُه يضربُ أعناقَ سادةٍ فُضُلِ

والله إن أحدهما ابنُ حجّام، والآخر ابن باقِلاوي، فغضب الحجاج، وطلب الغلامين فجيء بهما فقال: والله لا يُنجيكما إلا الصِّدق، فاعترفا فأطلقهما.

[وذكر الزمخشري في «ربيع الأبرار» قال:] تغدَّى الحجاج عند عبد الملك، ثم دعا عبد الملك بشراب فقال الحجاج: أعفِني؛ فأنا أضرب مَن يشربه بالعراق، ووالله لئن شربتُه لا أضرب عليه أحداً قط، فقال عبد الملك: أما إنه نَبيذ الرُّمّان، يُشهّي الطعام، ويزيد في الباه، فقال الحجاج: أما كونه يشهي الطعام؛ فوالله لوَددت أن هذه الأكلة تكفيني حتى أموت، وأما كونه يزيد في الباه؛ فحسب الرجل أن يُصرَع في الشهر مرة.

وحضر عند الوليد فأُحضر النّبيذ، وأمره بشُربه فقال: يا أمير المؤمنين، الحلال ما أحللتَ، ولكني أنهى عنه أهلَ عملي، وأكره أن أُخالف قول العبد الصالح: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُۚ﴾[1][هود: ٨٨].

(١) «تاريخ دمشق» ٤/ ٢٣٢ (مخطوط).

وولَّى الحجاج بعضَ الأعراب على أصبهان، وكان له أخٌ من أبيه، فقصده أخوه، فأقام ببابه شهراً لا يصل إليه، وكان اسم الوالي زيداً، فرصده أخوه يوماً، ودخل مع الناس ثم قام فقال: [من الوافر]

ولستُ مُسَلِّماً ما عشتُ يوماً ... على زيدٍ كتسليم الأميرِ

فقال زيد: ما أبالي، فقال:

أتذكرُ إذ لِحَافُك جلدُ شاةٍ ... وإذ نَعلاك من جلدِ البعيرِ

فقال زيد: نعم، فقال أخوه:

فسبحان الذي أعطاك مُلكاً ... وعلَّمك الجلوسَ على السَّريرِ

فقال زيد: سبحانه، ولم يعطه شيئاً.

وبلغ الحجاج فقال: إلى هنا انتهى اللّؤم، فعزل زيداً عن أصبهان وولاها أخاه[1].

[وقال الهيثم:] كان للحجَّاج طبيبٌ ومُنَجِّم، فالطبيب يقال له: تياذوق، وكان قد أدرك الأكاسرة، وعُمِّر طويلاً، فقال له الحجاج يوماً: صف لي صِفةً لا أعدوها، فقال: لا تتزوَّجَنّ من النساء إلا شابّة، ولا تأكل من اللحم إلا فتيّاً، ولا تأكله حتى يَنضج، ولا تشرَبنّ دواءً إلا من علَّة، ولا تأكل من الفاكهة إلا نَضيجها، ولا تأكل طعاماً إلا وتُجيد مَضغَه، وإذا أكلتَ فلا تشرب، وإذا شربتَ فلا تأكل، ولا تحبس الغائط ولا البول، وإذا أكلت في النهار فَنَمْ، وإذا أكلتَ في الليل فامشِ قبل أن تنام ولو مئة خطوة. فكان الحجاج لا يُخلّ بهذه الوصيّة.

[قال:] وقال يوماً للمنجّم وقد أخذ في كفّه حصى: أخبرني كم في يدي حصاة، فحسب فأصاب، ثم أخذ الحجاج مرة ثانية غير ذلك الحصى وقال: كم في كفي حصاة؟ فحسب فأخطأ، فقال له: ما هذا؟! فقال: أيها الأمير، أقسمتُ عليك هل أحصيتَ الأول دون الثاني؟ قال: نعم، من أين علمتَ؟ قال: لأنك لما أحصيتَ الأول دخل في علمي وعلمك، ولما لم تُحصِ الثاني دخل في علم الغيب، ولا يعلم الغيبَ إلا الله. فاستحسن الحجاج منه ذلك ووصله.

---

(١) «المنتظم» ٦/ ٢٨٠، وهذا الخبر وسابقه ليس في (ص).

[وقال الهيثم:] دخل رجل على الحجاج فقال: أيها الأمير أرْعِني سمعَك، واغضُضْ عني بَصرك، فإن سمعتَ خطأً فدونك والعقوبة، قال: قل، قال: عصى عاصٍ من عُرض العشيرة، فضُرب على اسمي، وهُدم منزلي، ومُنعت عطائي، فقال الحجاج: أما سمعتَ قول الشاعر: [من الكامل]

جانيك مَن يجني عليك وربما[1] تُعدي الصِّحاحَ مَباركُ الجُرْبِ
ولَرُبَّ مأخوذٍ بذَنْبِ قريبه ونجا المُقارفُ صاحبُ الذَّنبِ

فقال الرجل: إن هذا خلاف قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء: ١٥] فقال: صدقتَ، وأمر ببناء داره، وردّ عطائه، ثم أمر الحجاج منادياً فنادى: صدق الله وكذب الشاعر.

[وذكر القصة صاحب «العقد» وقال: فقال الرجل: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾ [يوسف: ٧٩]، فقال الحجاج: صدق الله وكذب الشاعر.

وذكر أبو القاسم بن عساكر عن الهيثم بن عدي: أن هذه الواقعة جرت مع أبي بن الإباء، دخل على الحجاج فقال له: أيها الأمير، إني موسوم بالميل، مشهور بالطاعة، خرج أخي مع ابن الأشعث، فهُدِم منزلي، ومُنِعتُ عطائي، وذكره وقال: إن الرجل لما أنشده الحجاج قال: إني سمعت الله يقول غير هذا، قال: وما قال جل شأنه؟ قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٧٨ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ﴾[يوسف: ٧٨-٧٩] فقال الحجاج: يا غُلام، اردد اسمه، وابنِ دارَه، وأعطه عطاءه، وأمر منادياً ينادي: صدق الله وكذب الشاعر.

وحكى أبو القاسم الحافظ أيضاً عن الهيثم بن عَديّ قال:] كتب عبد الملك إلى الحجاج: أما بعد، فإذا ورد عليك كتابي فابعث إليّ برأس أسْلم بن عَبد الكندي[2]؛ لما قد بلغني عنه. فأحضره وقال: هذا كتاب أمير المؤمنين، فقال: أعزَّ الله

---

(١) في العقد ٥/ ١٥، و«تاريخ دمشق» ٤/ ٢٢٦ (مصورة دار البشير): وقد.

(٢) في «تاريخ دمشق» ٤/ ٢٢٦، ومختصره ٦/ ٢١٠: البكري.

أمير المؤمنين الغائب وأنت الحاضر، والله تعالى يقول: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ الآية [الحجرات:٦]، وما بلغه عني باطل، وإني أعول أربعاً وعشرين امرأةً ليس لهنّ كاسِبٌ غيري، قال: ومَن لي بتصديق ذلك؟ قال: هنّ على الباب، فأمر بإدخالهن، فجعل يُسائلهنّ فتقول هذه: أنا عمته، وتقول هذه: أنا خالته، وتقول أخرى: أنا زوجته، إلى أن انتهى إلى جارية فوق الثمانية ودون العشارية، فقال لها: مَن أنت؟ فقالت: ابنته أصلح الله الأمير، ثم جثَتْ بين يديه وقالت: [من الطويل]

أحجَّاجُ لم تَشهدْ مَقامَ بناتِه ... وعمَّاتِه يَندُبْنَه الليلَ أجْمَعا
أحجاجُ كم تقتُل به إن قتلتَه ... ثماناً وعشراً واثنتين وأربعا
أحجاج مَن هذا يقومُ مَقامَه ... علينا فمهلاً أن تزِدْنا تَضَعْضُعا
أحجاجُ إما أن تجودَ بنعمةٍ ... علينا وإما أن تُقَتِّلَنا معاً

فبكى الحجاج وقال: لا والله لا أزيدُكُنّ تَضَعْضُعًا، وكتب إلى عبد الملك يخبره الخبر وما قالت الجارية، فكتب إليه عبد الملك بن مروان أن يُحسن صِلته ويُطلقَه.

وأمر الحجاج محمد بن المُنْتَشِر ابن أخي مَسروق[1] بن الأَجْدع أن يُعذّب آزادمرد ابن الفرند على مال، فقال له آزادمرد: يا محمد، إن لك شَرفاً قديماً، وإن مثلي لا يُعطي على الذلِّ شيئاً، فارفق بي واسْتأْدِني، فاستأداه في جمعة ثلاث مئة ألف، فغضب الحجاج، وأمر صاحب العذاب أن يُعذّبَه، قال محمد: فعذّبه حتى دَقَّ يديه ورجليه، فلم يعطه شيئاً.

فمر بي على بَغْلٍ مُعترضاً قد دُقَّت يداه ورجلاه فقال: يا محمد، فكرهت أن آتيه فيبلغ الحجاج، وتذمَّمتُ من تركه إذ دعاني، فدنوت منه فقال: قد وَلِيتَ مني مثل ما ولي هذا فلم تُعذّبني، وأحسنتَ إلي، ولي عند فلان مئة ألف درهم، فاذهب فخذها لنفسك، فقلت: والله لا آخذ منها درهماً وأنت على هذه الحال، قال: فإني أحدّثك حديثاً سمعتُه من أهل دينك يقولون: إذا أراد الله بالعبيد خيراً أمطرهم في أوانه،

(١) في النسخ: مروان، وهو خطأ، والمثبت من «الفرج بعد الشدة» ١/ ٣٩٨، وترجمة محمد في «تهذيب الكمال» (٦٢٢٠)، والخبر في «الكامل» ٣٩٥-٣٩٧، و«العقد» ٥/ ٢٩. وليس في (ص).

واستعمل عليهم خيارَهم، وجعل المال عند سُمحائهم، وإذا أراد بهم شراً أمطرهم في غير أوانه، واستعمل عليهم شرارَهم، وجعل المال في أشِحَّائهم، ومضى.

وأتيتُ منزلي وإذا برسول الحجاج، فأتيتُه وقد اخترط سيفه وهو في حِجْره، فقال: ادْنُ، فقلت: كيف أدنو وهذا السيف مشهور في حِجْرك، لا دُنُوَّ لي إليك، فأضحكه والله، وأغمد السيف وقال: ما الذي قال لك الخبيث؟ فقلت: والله ما غششتُك منذ استنْصَحْتَني، ولا كَذَبْتُك منذ صدقتني، ولا خنتك منذ ائتمنتني، فأخبرته بما قال، فلما أردتُ ذكر الرجل الذي عنده المال صرف وجهه عني وقال: لا تُسمِّه، ولقد سمع عدو الله الأحاديث.

[ذكر بعض وقائع الحسن البصري معه:

روى الهيثم بن عدي، عن الشعبي قال:] كان الحسن البصري يُفَسِّق الحجاج ولا يأمر بقتاله، فأرسل إليه، فجاء الحسن والسيف بين يديه والنِّطع، فلما دخل عليه قال له: أنت القائل: اتَّخذُوا عبادَ الله خَوَلاً، ومالَ الله دُوَلاً، وكتابَهُ دَخلاً، يأخذون من غضب الله، وينفقونه في سخط الله، والحساب غداً عند البيدر ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧]؟ قال الحسن: نعم، قال: فما حملك على ذلك؟ قال: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران:١٨٧]. فأطرق الحجاج وقال: يا جارية، هاتي الغالية، فجاءت بحُقٍّ، فغلَّفه منها بيده، وقال: اخرج فنعم المؤدِّب أنت، فلما خرج إذا بأصحابه على الباب ينتظرون ما يجري له، منهم ثابت البُناني وابن عَون وغيرهما، فسألوه عما بدا من الحجاج في حقّه فقال: دخلت على هذا العبد، فإذا هو في سَبَنِيَّةٍ رقيقةٍ مُتوشّح بها ذات عَلَم، في جُنْبُذَةٍ من خلاف، سقفُها الثَّلج، وهو يقطر عليه، وهو جِبْلٌ، يُطَرْطِبُ شُعيرات له، فأخرج إليّ ثياباً قصيرة قلّما عَرِقت فيها الأعنّة في سبيل الله[١].

---

(١) «تاريخ دمشق» ٤/ ٢٤٥. والخَوَل: العبيد، والدَّخَل: الفساد والرِّيبة.

الجُنْبُذَةُ: القُبَّة، والسَّبَنِيَّة: ضربٌ من الثياب، والحِبْل بكسر الحاء المهملة والباء: الدَّاهية، والجمع الحُبول، ويُطَرْطِبُ؛ أي: يُدخل شَفَته في شاربه غيظاً وحنقاً وتكبُّراً. [وسنذكر وقائع الحسن معه في ترجمة الحسن إن شاء الله تعالى.]

وقد ذكرنا قصته مع سعيد بن المسيب، وأنه دخل المسجد مع أبيه فأساء في صلاته، قال ابن الكلبي: ناداه سعيد: يا سارقَ صلاته، وقام فهزّه هزَّةً شديدة، ولزم بثوبه وقال: لقد هممتُ أن أضرب به وجهك، ثم خرج الحجاج إلى الشام، فأقام مدة، فلما قَتل ابنَ الزبير، ووُلِّي على المدينة، ودخلها؛ بدأ بالمسجد، وجاء إلى سعيد، فقال الناس: اليوم ينتقم منه، فجلس بين يديه وقال له: أنت صاحب الكلمات؟ قال: نعم، قال: جزاك الله من معلّمٍ خيراً، ما صليتُ بعدك صلاةً إلا ذكرتُ قولك، ثم كان يُكرم سعيداً، ويرفع منه.

ذكر قصة الحجاج مع المرأتين:

[حكى الأصمعي قال:] أُتي الحجاج بامرأتين من الخوارج، فجعل يُكلِّم واحدةً وهي مُعرضة عنه، فقال لها بعضُ الشُّرَط: الأمير يكلمك وأنت تُعرضين عنه، فقالت: إني لأستحي من الله أن أنظر إلى مَن لا ينظر الله إليه، فأمر بقتلها، ثم استشار أصحابَه في قتل الأخرى فقالوا: عاجلها بالقتل، فقالت: يا حجاج، وزراءُ فرعون كانوا خيراً من وزرائك، قال: ولمَ؟ قالت: استشارهم في قتل موسى وأخيه فقالوا: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ [الشعراء: ٣٦] وهؤلاء أمروك بمعاجَلَتي، فأعجبه كلامَها، وخلَّى سبيلَها.

حديث ابن أخت الحجاج [مع المرأة:

حدثنا غير واحد عن شُهدة الكاتبة بنت أحمد قالت: نبأنا جعفر بن أحمد السرَّاج، نبأنا أبو طاهر أحمد بن علي السَّوَّاق، نبأنا محمد بن أحمد بن فارس، نبأنا عبد الله بن إبراهيم الزَّبيبي، نبأنا محمد بن خَلَف، حدثنا أبو بكر العامري، حدثنا عبد الله بن عمر، حدثنا] أبو عبَّاد قال: أدركتُ الخادم الذي كان يقف على رأس الحجاج فقلت: أخبرني بأعجب شيءٍ رأيتَه منه، فقال:

كان قد ولَّى واسطاً ابنَ أخته أميراً عليها، وكان بواسط امرأةٌ لم يكن بها في ذلك الوقت امرأة أجمل منها، فأرسل إليها مع خادم يريدها على نفسها، فأبت عليه وقالت: إن

أرادني حَلالاً خطبني من أهلي وإخوتي، وأما الحرام فلا أفعله، وكان لها أربعة إخوة، فأبى عليها، وراسلها مراراً وهي تأبى عليه، فبعث إليها وقال: أنا آتيكِ الليلة، فأخبرتْ أمَّها بذلك، وأخبرت أمها إخوتها، فأنكروا ذلك أشد الإنكار، فقالت: إنه الليلة يأتي، فرصدوه، فجاء على دابَّته مُتنكِّراً، فنزل عنها وقال للخادم: إذا كان وقتُ الغَلَس فأتني بها، ودخل وهي مستلقية على سريرها، وإخوتها في بيت بإزاء السرير، فاستلقى إلى جنبها، ووضع يده عليها وقال: إلى كم ذا المَطْل؟ فقالت له: كُفَّ يدك يا فاسق، وخرج إخوتُها فضربوه بالسيوف حتى بَرَد، ولفُّوه في نِطع، ورموه في بعض السِّكَك.

وجاء الخادم بالدابة وقتَ الغَلَس، فدقَّ الباب دقاً خفياً فلم يكلِّمه أحد، فخاف طلوعَ الفجر، فذهب بالدابة، وأصبح الناس فوجدوه مقتولاً، وأُخبر الحجاج ففَطِن وقال: عليَّ بمَن كان خصيصاً به، فجيء به، فقال له: والله لئن لم تَصدُقْني لأضربنَّ عُنقَك، فحدَّثه الحديث، فأرسل فأحضر المرأة وإخوتها، وسألهم فاعترفوا، فأمر برقيقه وماله ودوابّه فدُفع إلى المرأة وقال: خذيه، بارك الله لك فيه، وكثَّر في النساء أمثالَك، ثم قال: مثل هذا لا يُدْفَن، فتركوه حتى أكلته الكلاب[1] [وهذه أكبر مناقب الحجاج].

وقال عمر بن شَبَّة: مرض الوليد بن عبد الملك مرضاً أشرف على الموت، فغُشي عليه فقالوا: مات، وخرجت البُرُد إلى البلاد بموته، وقدم بريد على الحجاج بذلك، فاسترجع، ثم شدَّ نفسَه بحبلٍ إلى أسطوانة وقال: اللهم لا تسلِّط علينا مَن لا رحمةَ له، فقد طالما سألتُك أن تجعل مَنيَّتي قبل مَنِيَّتِه، وجعل يتضرَّع ويقول ويدعو، فبينما هو على ذلك إذ قدم البريد بعافية الوليد، قال: فأعتق كلّ عبدٍ، وكلَّ أمةٍ.

ولما أفاق الوليد قال: ما أحدٌ أسرَّ بعافيتي من الحجاج، فقال له عمر بن عبد العزيز: كأني بكتاب الحجاج قد جاء يقول: إنه لما بلغه عافيتُك أعتق كلَّ مملوك له، وأخرج من الأموال كذا وكذا، وبعث بقواريرَ من طيبِ الهند، قال: فما لبث أن وصل كتابُه بذلك.

---

(١) «مصارع العشاق» ١/ ٣٠٧.

وكان الحجاج قد ثَقُل على الوليد، حكى خادم الوليد قال: كنتُ أصبُّ الماء على الوليد ليلةً، وهو ساهٍ والماء يسيل، ولا أقدر أن أكلِّمه، فرفع رأسه إليّ وقال: ويحك، تدري ما الخبر؟ قلت: لا، قال: مات الحجاج، فاسترجعتُ، فقال: اسكت ما يسرُّ مولاك أن في يده تفاحةً يَشمّها[١].

ورُوي عن الوليد خلافُ هذا؛ فإنه لما مات الحجاج قال عمر بن عبد العزيز: الحمد لله الذي لم يقطع مدَّتي حتى أراني موت الحجاج، فقال له الوليد: يا أبا حفص، وهل كان الحجاج إلا منّا أهل البيت، فقال له عمر: صدقت.

وقال الهيثم: لما مات الحجاج حزن عليه الوليد بن عبد الملك حُزناً شديداً، وقال: كان أبي يقول: الحجاج جلدةُ ما بين عيني وأنفي، وأنا أقول: هو وجهي كلّه. فألحقه الله به عن قريب.

ذكر وفاته:

[حكى القاضي التَّنوخيّ عن] مُلازم بن حُرَيث[٢] الحنفي قال: كنتُ في حبس الحجاج بسبب الحَروريّة، فحُبس معنا رجل، فأقام حيناً لا يتكلّم، حتى كان اليوم الذي مات فيه الحجاج في عشيّته، إذ أقبل غُراب، فوقع على حائط السجن، فنَعق نَعْقَةً، فتكلّم الرجل وقال: مَن يقدر على ما تقدر عليه يا غراب، ثم نعق ثانية، فقال: مثلُك مَن بشّر بخير، ثم نعق ثالثة فقال: يا غراب، من فيك إلى السماء.

قال: فقلنا له: ما رأيناك تكلَّمتَ منذ حُبستَ إلى الساعة، فما هذا؟! فقال: إني زَجَرتُ الطَّير، أما في أول مرة فإنه نعق وقال: إني وقفتُ على سترة الحجاج، فقلت: ومَن يقدر على ما تقدر عليه يا غراب، ثم نعق الثانية فقال: إن الحجاج مريض، ثم نعق الثالثة وقال: الليلة يموت الحجاج.

---

(١) «تاريخ الطبري» ٦/ ٤٩٧.

(٢) كذا في النسخ، وفي «الفرج بعد الشدة» ٢/ ١٦٠: ملازم بن قريب، وفي نسخة (غ) منه: حريب. وما بين معكوفين من (ص).

ثم قال الرجل: إن طلع الفجر قبل أن أخرج فليس عليَّ بأس، وإن دُعيتُ قبل الصبح فستُضرب عُنقي، ثم تلبثون ثلاثاً بعدي لا يدخل عليكم أحد، ثم يُدعى بكم في اليوم الرابع، فمن وجد له كفيلاً خُلِّي سبيلُه، ومن لم يوجد له كفيل فويله طويل، فلما كان قبل الصبح دُعي الرجل فقُتل، وسمعنا الصُّراخ على الحجاج، ومكثنا ثلاثاً لا يدخل علينا أحد، ثم دُعي بنا، فطُلب منا الكُفَلاء فأُطلقنا.

[وقال الواقدي:] مات الحجاج لخمس بقين من رمضان سنة خمس وتسعين بواسط، وكانوا يسمون ذلك اليوم: عُرْسَ أهل العراق.

وقيل: مات في شوال، وروى ابن أبي الدنيا عن أشياخه قالوا: لم يُعلم بموته حتى أشرفت جارية من قصره وهي تبكي وتقول: ألا إن مُطعِمَ الطعام، ومُفَلِّق الهام، وسيّد أهل الشام قد مات، ثم قالت: [من البسيط]

اليومَ يرحَمُنا مَن كان يَغبِطُنا ... واليومَ يأمنُنا مَن كان يَخشانا

[وذكر الزمخشري في «ربيع الأبرار» أنه] لما احتُضر وأَيِس من نفسه تمثَّل بقول عُقبة ابن زيد العَنبريّ: [من البسيط]

يا ربِّ قد حلف الأعداءُ واجتهدوا ... أيمانهم أنني من ساكني النّارِ
أيحلفون على عَمياءَ وَيحَهمُ ... ما ظَنُّهم بعظيمِ العفوِ غَفَّارِ

[قال الزمخشري:] فيقال إن الحسن لما بلغه ذلك قال: إن نجا فبهما.

[وأما الهيثم فإنه روى] أن الحسن قال: هيهات! ذلَّ اللُّكَع، ثم قرأ ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١].

وقال ابن سيرين(١): لما دفنوه سمعوا جرَّ السَّلاسل في قبره، وسمعوا صُراخَه بُكرةً وعشيّاً وفي وسط الليل، فأجْرَوْا على قبره الماء، وعَفَّوا آثارَه، وأقاموا الحرسَ عليه خوفاً أن يُنْبَش.

وقال أبو اليقظان: لما سمعوا جرَّ السلاسل في قبره قال ابنه عبد الله: قاتل الله أبي، هذا بتقصيره في حقِّ الخلائق أصابه ما تسمعون.

---

(١) في (ص): وقال الحسن.

[وقال أبو بكر بن عيّاش:] أُخبر يزيد بن أبي مسلم بذلك، فركب في أهل الشام، فسمعوا صراخَه وجرَّ السلاسل، فقال يزيد: رحمك الله أبا محمد؛ ما تدع قراءة القرآن حياً ولا ميتاً، فتضاحك أهلُ الشام.

وكان يزيد بن أبي مسلم كاتبَ الحجاج، وكان أظلمَ منه، وأقرَّه الوليد بعد الحجاج على ولايته، فتجاوز طغيانُه طغيانَ الحجاج، فقال الوليد: كنتُ كمن سقط منه درهم فوجد ديناراً، فقال سليمان بن عبد الملك: الحمد لله على وجدان ضالته.

[واختلفوا في مدة ولاية الحجاج على العراق؛ فقال ابن المديني:] ولي الحجاج العراق وله ثلاثون سنة، ومات وهو ابن ثلاث أو أربع وخمسين سنة، فكانت ولايته عشرين سنة، وقيل: اثنتين وعشرين سنة.

والأول أصح [أنه أقام عشرين سنة؛ لأنه ولي في سنة خمس وسبعين، ومات في هذه السنة سنة خمس وتسعين].

ذكر أقوال العلماء فيه:

[حكى أبو القاسم بن عساكر عن] عاصم بن أبي النَّجود أنه قال: ما أبقى الحجاج لله حُرمةً إلا انتهكها[1].

وقال طاوس: عجبتُ لمن يُسمّي الحجاجَ مؤمناً.

وقال النَّخَعي: كفى بالمرء عَمًى أن يَعمى عن أمر الحجاج.

وقال أبو رَيحانة: إني لأجد في بعض كتب الله المنزلة: الأبتر القصير، مُبدِّل السنّة بالبدعة، والملّة بغيرها، لعنه الله في سماواته، وملائكتُه، وأهلُ الأرض، فويل له، وويل لمن يحبّه.

وقال الشعبي: كان الحجاج يفتخر ويقول: قتلتُ العبادلة الثلاثة، ووددتُ أني قتلتُ الرابع وإن كان ما فاتني، ثم يقول: قتلت عبد الله بن الزبير، وعبد الله بن مُطيع، وعبد الله بن صفوان، والرابع عبد الله بن عمر، ووددتُ أني قتلتُ ابنَ مسعود المنافق.

---

(١) «تاريخ دمشق» ٤/ ٢٥١ وما بين معكوفين من (ص).

[وقال الهيثم بن عَديّ:] قيل لطاوس اليماني: مات الحجاج، فقال: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[الأنعام: ٤٥].

ولما بلغ الحسنَ البصريَّ موتُه سجد وقال: اللهم ادْحَض سنَّته وآثارَه كما أرحتَنا منه.

وقال حمّاد بن أبي سليمان: بَشَّرت إبراهيم النَّخَعي بموته فبكى وقال: ما كنتُ أرى أن أحداً يبكي من الفرح.

وقال الشعبي: ما رأينا مثل الحجاج، كان إنساناً في زيٍّ شيطان، وكلامه كلام الخوارج، وصولته صولة الجبّارين، وكان يخضب أطرافَه، ويُرَجِّل شعرَه.

وقال مَيمون بن مِهران: كان نصلِّي خلفه وكان من الأزارقة، قيل: وما الأزارقة؟! قال أصحاب نافع بن الأزرق[١]، وهو الذي إن خالفتَ رأيَه سمَّاك كافراً واستحلّ دمَك، وكان مُنافقاً يقتل من الخوارج مَن خالف الأزارقة.

وروى رجاء بن حَيْوة، عن عمر بن عبد العزيز أنه قال[٢]: لو جاءت الفرس بأكاسِرَتها، والروم بقياصرتها، واليمن بتبابِعتها، والعمالقة بفراعنتها، وجميع الأمم بجبابرتها وخبثائها، وجئنا بالحجاج لغلبناهم.

وكان عمر يسأل الله أن يُميتَه على فراشه ليكون أطولَ لعذابه.

وقال ابن سيرين: كنتُ عند الحسن وجاءه رجل فقال: ما تقول فيمن حلَف بالطّلاق على امرأته أن الحجاج في النار؟ فقال له الحسن: أنت الحالف؟ قال: نعم، قال: إن لم يكن الحجاج في النار فما تبالي إذا زانيت امرأتَك. ومعناه: إننا على باطل.

[قال هشام:] بلغ الحسن أن ثابتاً البُناني يقول: إني لأرجو له، فقال الحسن: إني لأرجو أن يُخلف الله ظنَّه.

[وحكى ابن عساكر، عن ميمون بن مِهْران قال:] كان أنس وابن سيرين والحسن وجماعة لا يبيعون ولا يشترون بالدراهم التي ضربها الحجاج.

---

(١) هنا تعود نسخة (ب) بعد انقطاع وخرم طويل سلفت الإشارة إليه.

(٢) في (خ) و(د): وقال عمر بن عبد العزيز، والمثبت من (ص).

[وقال الشعبي:] كان الحسن يقول: لعن الله الدَّانِق ومَن دَنَق الدانق، يعني الحجاج، وهو أول مَن فعله.

وكان الحسن يُعظم أمر الحجاج ويقول: أليس هو القائل: لو أدركتُ عبدَ هُذَيل لضَربتُ عُنُقَه، وأليس هو القائل على المنبر ـ وذكر حديث أمِّ أيمن لما زارها أبو بكر وعمر فبكت وقالت: إنما أبكي لانقطاع الوحي من السماء، ثم قال الحجاج ـ كذبت أم أيمن، ما أعمل إلا بوحي، وما انقطع الوحي عن الخلائف ـ يعني بني أمية.

وقال ابن عساكر: قد روى الحجاج عن ابن عباس، وأنس، وسَمُرة بن جُندب، وأبي بُردة بن أبي موسى، وعبد الملك بن مروان.

وقد روى عنه أنس، وثابت البُناني، وحُمَيد الطَّويل، ومالك بن دينار، وقُتيبة بن مسلم، وسعيد بن أبي عروبة[١].

قال المصنف رحمه الله: واختلفوا في روايته؛ فأجازها بعض الجُهَّال، ومنع منها عامة العلماء، فسئل الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله عليه عنها فقال: ومَن يروي عن الحجاج؟! لا ولا كرامة.

وقال عبد الرزاق: لا تصح روايته ولا الرواية عنه. وكذا قال علماء الأمصار.

وحكى ابن عساكر[٢]، عن ثابت قال: خطب الحجاج على المنبر وقال: تزعمون أني شديد العقوبة وقد حدثني أنس بن مالك؛ وذكر حديث العُرَنِيِّين، وأن النبي ﷺ قطع أيديهم وأرجلهم، وسَمل أعينهم، فقال أنس: وددتُ أني متُّ قبل أن أحدّثَه.

وقال أبو عبد الرحمن: الحجاج ليس بثقة ولا مأمون.

ذكر مَن قتل الحجاج ومَن مات في حبسه:

[حكى الحافظ ابن عساكر بإسناده عن هشام بن حسان قال:] أحْصَوا ما قتل الحجاج صَبْراً فكان مئةَ ألف وعشرين ألفاً، ومات في سجنه ثمانون ألفاً منهم ثلاثون

(١) «تاريخ دمشق» ٤/ ٢٠٨ وما سلف بين معكوفين من (ص).

(٢) في تاريخه ٢/ ٩١ (مخطوط).

ألف امرأة، وعُرضت سجونه بعد موته فوجدوا فيها ثلاثين ألفاً لم يجب على أحدٍ منهم حدٌّ، ولا جنى جِناية.

وقال الشعبي: رأيت حبس الحجاج لم يكن له سَقفٌ ولا ظِلٌّ صيفاً وشتاء.

وكان يحبس الرجال مع النساء، ولم يكن في الحبس مطاهر، وكان الرجل يبول إلى جانب المرأة، والمرأة تبول إلى جانب الرجل فتبدو العورات. وكان كل عشرة في سلسلة، ويطعمهم خُبزَ الدَّخَن مخلوطاً بالملح والرماد.

وقال الشعبي: أُحصيت ما في سجونه فكانوا يوم مات ثلاثون ومئة ألف من أهل القبلة؛ ليس لواحد منهم ذنب يستوجب به الحبس.

قال: واجتاز يوماً على الحبس فصاح من فيه وبكوا، فالتفت إليهم وقال: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، فما تكلم بعدها، ومات بعد يومين أو خمسة أيام.

ذكر أولاده ونسائه:

كان له من الولد: محمد، مات في حياة أبيه وقد ذكرناه. وعبد الله، أقره الوليد موضع أبيه. وعبد الملك، وأبان، والوليد، وجارية، عذَّبهم سليمان بعد موت الحجاج. ولم يبق له عَقِب إلا من قِبل عبد الملك بالبصرة.

وكان له من النساء أربع: أم الجُلَاس بنت سعيد بن العاص، أمويّة. وهند بنت أسماء بن خارجة، فَزاريّة. وأم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر، وهند بنت المُهَلَّب بن أبي صُفْرة.

ذكر ما رؤي للحجاج من المنامات:

قال أبو مَعْشَر: مات رجل، فلما وُضع على مُغْتَسَله استوى قاعداً وقال: بَصُرتُ بعينيّ - وأهوى بيده إلى عينيه - الحجاجَ وعبد الملك في النار يسحبان أمعاءهما، ثم عاد ميتاً كما كان.

[وحكى ابن عساكر عن] سِماك بن حَرْب قال: رأيت في منامي قائلاً يقول: إياك والصلاةَ خلف الحجاج، لأقصِمنّه كما يَقصم عبادي.

وحكى أيضاً عن الأصمعي، عن أبيه قال: رأيت الحجاج في منامي فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: قتلني بكلِّ قَتلة قتلتُ قَتلة، ثم رأيته في رأس الحول في منامي فسألته فقال: يا ماصّ، أما أخبرتُك عام أول، وقتلني بقتلة سعيد بن جبير سبعين قتلة، وأنا أرجو ما يرجو أهل لا إله إلا الله(١).

[ورآه عمر بن عبد العزيز في منامه، وسنذكره في ترجمة عمر](٢).

ورثاه الفرزدق فقال: [من الطويل]

لِيَبْكِ على الإسلام مَن كان باكياً ... على الدِّين من مُستوحِشِ الليلِ خائفِ
وأرملةٌ لما أتاها نَعِيُّهُ ... لجادَتْ له بالواكفاتِ الذَّوارِفِ
وقالت لعبدَيها أنيخا فأعقِلا ... فقد مات راعي ذَوْدِنا بالتَّنائفِ
فليت الأكفَّ الدافناتِ ابنَ يوسُفٍ ... يُقَطَّعن إذ يَحثين فوق السَّقائفِ

قال أبو بكر بن عياش: فلقيتُ الفرزدق بالكوفة فقلت: أخبرني عن قولك:

فليت الأكف الدافنات ابن يوسف

ما معناه؟ فقال: وَدِدْتُ والله أن أرجُلَهم تُقطَع مع أيديهم أيضاً.

فلما مات الوليد، وقام سليمان، واستعمل يزيد بن المهلَّب على العراق، وأمره بقتل بني عَقيل واستئصالهم؛ قال الفرزدق: [من الطويل]

لقد أصبح الأحياءُ منهم أذِلَّةً ... وموتاهمُ في النار كُلْحاً سِبالُها
وكانوا يَرون الدَّائراتِ بغيرهم ... فصار عليهم بالغَداةِ انتقالُها
وكنَّا إذا قُلنا اتَّقِ الله شَمَّرَتْ ... به عِزَّةٌ لا يُستطاع جِدالُها
ألِكْني إلى مَن كان بالصِّين أو رَمَتْ ... به الهندَ ألواحٌ عليها جلالُها
هلمَّ إلى الإسلام والعَدْلِ عندنا ... فقد مات مِن أرض العراق عُضالُها

---

(١) «تاريخ دمشق» ٤/٢٥٨ (مخطوط) وما بين معكوفين من (ص).

(٢) ما بين معكوفين من (ص) وبعدها: انتهت سيرة الحجاج فصل، وفيها توفي عبد الرحمن بن معاوية.

قال ابن عيّاش: فلقيتُ الفرزدق، فقلت: ما ندري بأي قوليك نأخذ، بمدحك الحجاج أم بهجائه؟! فقال: إنما نكون مع أحدهم إذا كان الله معه، فإذا تخلّى عنه تخلّينا عنه[١].

وخطب خالد بمكة وهو عامل للوليد عليها، فأثنى على الحجاج كثيراً، فلما نزل جاءه كتاب سليمان بن عبد الملك يأمره بلعنة الحجاج على المنبر، وسبِّه، وذكرِ مَثالبه، فصعد المنبر الجمعةَ الأخرى، فلعنه، وسبه، وعدّ قبائحه، فناداه رجل: بالأمس تمدحه واليوم تلعنه؟! فقال له خالد: إن إبليس كان من الملائكة، وكان يُظهر من العبادة لله ما كانت الملائكة تعترف له بالفضل عليها، وإن الحجاج كان يُظهر من الطاعة لأمير المؤمنين ما كنا نرى له الفضل علينا، وكان يُضمِر من الغِلِّ في قلبه، ومن الغشِّ في صدره؛ ما كان يَخفى علينا، فلما أراد الله تعالى أن يَفضحه فضحه على لسان أمير المؤمنين، فالعنوه لعنه الله، ثم نزل[٢].

وقد جاءت عن الحجاج آثار، منها: قول عمر بن الخطاب رضوان الله عليه لما بلغه أن أهل العراق حصبوا عامله فقال: اللهم سلِّط عليهم الغلامَ الثَّقفيّ، يحكم فيهم بحُكم الجاهلية، لا يقبل من مُحسنهم، ولا يتجاوز عن مُسيئهم.

ومنها: أن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال لرجل: لا مِتَّ حتى تُدرك فتى ثقيف، قيل: يا أمير المؤمنين، وما فتى ثقيف؟! قال: ليُقالَنَّ له يوم القيامة: اكفنا زاويةً من زوايا جهنم، يملك عشرين سنة، لا يدع معصيةً لله إلا ارتكبها، حتى لو لم يبق إلا معصيةٌ واحدة بينها وبينه باب مُغلق إلا كسره حتى يرتكبها، يقتل بمَن أطاعه مَن عصاه، يأكل خُضرتَها، ويَلبس فَروتها، ويحكم فيها بحُكم الجاهلية.

قال الحسن البصري: وما خُلق الحجاج يومئذ. وفي رواية: ولا يُبقي بيتاً من العرب إلا ألبسهم الذلّ[٣]. انتهت ترجمته.

---

(١) «العقد الفريد» ٥/ ٥٦ـ٥٧.

(٢) انظر «العقد» ٥/ ٣٠.

(٣) «تاريخ دمشق» ٤/ ٢٤٠ـ٢٤١.

حُمَيد بن عبد الرحمن

ابن عَوف الزُّهريّ أبو عبد الرحمن.

من الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة، وأمُّه أم كُلثوم بنت عُقبة بن أبي مُعَيط.

توفِّي بالمدينة سنة خمس وتسعين وهو ابن ثلاث وسبعين سنة. وقيل: مات سنة خمس ومئة[١].

وروى عن سعيد بن زيد، ومعاوية بن أبي سفيان، وأبي هريرة، والنعمان بن بشير، وأم كلثوم بنت عُقبة.

وكان ثقةً كثير الحديث، عالياً رفيعاً.

وكان له مالٌ وجاه، وحُمل عنه الحديث، وهو شيخ الزهري.

ومن ولده: غُرَيْر [واسمه] عبد الرحمن[٢] بن المغيرة بن حُمَيد بن عبد الرحمن بن عَوف.

كان جواداً مُمَدَّحاً، وكان بنو غُرَيْر: إسحاق، ويعقوب، ومحمداً، فيهم يقول الصُّهَيْبيّ: [من الطويل]

نفى الجوعَ من بغدادَ إسحاقُ ذو النَّدى ... كما قد نفى جوعَ الحجازِ أخوه

وما يكُ من خيرٍ أتَوه فإنما ... فِعالُ غُرَيرٍ قبلَهم ورثوه

فأُقسم لو ضافَ الغُرَيْرِيَّ بَغتةً ... جميعُ بني حوَّاء ما حَفَلُوه

هو البحرُ [بل] لو حَلَّ في البحر رِفْدُه ... ومَن يَجتَديه ساعةً نَزَفوه[٣]

---

(١) رد هذا القول ابن سعد ٧/ ١٥٣، ونقله عنه الذهبي في «السير» ٤/ ٢٩٣ دون نسبة.

(٢) في (خ) و(د) و(ب): غرير بن عبد الرحمن، وهو خطأ والمثبت من «طبقات ابن سعد» ٧/ ٤٦٦، و«جمهرة ابن حزم» ١٣٣، و«التبيين» ٢٩٨.

(٣) «التبيين» ٢٩٨، و«تاريخ بغداد» ٧/ ٣٢٢ وما بين معكوفين منهما.

[فصل: وفيها توفي]

عبد الرحمن بن مُعاوية

ابن حُدَيْج الكِنديّ [وكُنيته أبو معاوية] وأبوه معاوية من الصحابة، وهو الذي قتل محمد بن أبي بكر الصديق [وحرَّقه بالنار، وقد ذكرناه].

وَلي عبد الرحمن قضاء مصر في سنة ست وثمانين، وكان على الشُّرطة أيضاً.

[قال ابن لَهيعة:] وهو أول قاضٍ نظر في أموال اليتامى بمصر، وأقام لها العُرفاء.

وولّاه عبد الملك قضاء الإسكندرية بعد موت عبد العزيز بن مروان بشهرين، ووفد على الوليد ببيعة أهل مصر، ومات بمصر في هذه السنة، وكان ثقةً من التابعين.

أسند عن أبيه، وعن ابن عمرو، وأبي بَصْرة الغِفاريّ، وغيرهم، وروى عنه يزيد بن أبي حَبيب، وعُقبة بن مُسلم، وجماعة من أهل مصر[1].

[فصل: وفيها توفي]

قُرَّة بن شَريك العَبْسيّ

[قال علماء السِّير:] كان من أمراء بني أمية، ولّاه الوليد مصر، وكان سيِّىء السِّيرة، خبيثاً، ظالماً، غَشوماً، عَسوفاً، فاسقاً، مُتَهتّكاً.

[وذكره أبو سعيد بن يونس في «تاريخ مصر» فقال:] هو من أهل قِنَّسْرِين، قدم مصر سنة تسع وثمانين أو سنة تسعين، فأقام والياً عليها ست سنين أو خمس سنين.

وكان الوليد قد عزل عبد الله بن عبد الملك بن مروان، وولّى قُرَّة، وأمره ببناء جامع مصر والزيادة فيه سنة اثنتين وتسعين، فأقام في بنائه سنتين، وكان الناس يصلُّون الجمعة في قَيسارية العسل حتى فرغ من بنائه.

[قال ابن يونس:] وكان الصُّنَّاع إذا انصرفوا من البناء دعا بالخمور والزُّمور والطُّبول، فيشرب الخمر في المسجد طول الليل ويقول: لنا الليل، ولهم النهار.

---

(١) «تاريخ دمشق» ٤٢/٥ وما بين معكوفين من (ص).

وكان أشرَّ خلق الله، وتحالفت الأزارقة على قتله، فعلم فقتلهم.

وكان عمر بن عبد العزيز يَعتب على الوليد بتولية قرة على مصر.

[وقال عمر في كتابه إلى الوليد: وأظلم مني مَن ولّى قُرة مصر.

وحكى ابن يونس قال:] مات قرة في سنة خمس وتسعين بمصر.

[وحكى ابن عساكر، عن صالح بن الوجيه قال:] وَرد على الوليد البريد في يوم واحد بموت الحجاج وموت قرة بن شريك، فصعد المنبر، وهو كاسفُ البال، حاسر، مُشْعَانّ الرأس، [أي: مُنَشّر الشَّعَر] فنعاهما إلى الناس وقال: والله لأشفعنّ لهما شفاعةً تنفعُهما، فقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: انظروا إلى هذا الخبيث، لا أناله الله شفاعة محمد ﷺ، وألحقه بهما، فاستجاب الله دعاءه، وأهلك الوليد بعدهما بثمانية أشهر أو أقل(١).

السنة السادسة والتسعون

فيها شتَّى بشر بن الوليد ببلاد الروم، فقفل وقد مات الوليد.

وفيها عزم الوليد على خلع أخيه سليمان، وكان قد شاور الحجاج فأشار عليه بخلعه.

وكان عبد الملك قد عهد إلى سليمان بعد الوليد، فأقام على ذلك مدة إلى السنة الماضية فأراد أن يبايع لابنه عبد العزيز بن الوليد ويخلع سليمان، فامتنع سليمان وكان مقيماً بفلسطين، فعرض عليه الوليد أموالاً كثيرة فأبى، فكتب الوليد إلى عماله أن يَخلعوا سليمان ويبايعوا لعبد العزيز، فلم يُجبْه إلى ذلك سوى الحجاج، وقُتيبة بن مُسلم، وبعض الناس، ودسّ الوليد إلى الشعراء أن يذكروه في أشعارهم، فقال جرير: [من الطويل]

إذا قيل أيّ الناس خيرُ خليفةٍ ... أشارَتْ إلى عبد العزيز الأصابعُ

رأوه أحقَّ الناس كلِّهمُ بها ... وما ظلموا إذْ بايعوه وسارعوا

وقال أيضاً: [من الوافر]

(١) «تاريخ دمشق» ٥٩/١٦-٢٠ وما بين معكوفين من (ص).

إلى عبد العزيز سَمَتْ عيونُ الرَّ ... عِيَّةِ إذ تحيَّرتِ الرِّعاءُ
إليه دعَتْ دَواعيه إذا ما ... عمادُ الملك تَعْتَعَ واللِّواءُ
رأوا عبدَ العزيز وليَّ عَهْدٍ ... وما ظلموا بذاك ولا أساؤوا
وماذا ينظرون بها وفيكم ... جُسورٌ بالعظائم واعتِلاءُ
فزَحْلِفْها بأَزْمَلِها إليه[1] ... أميرَ المؤمنين إذا تَشاءُ
فإن الناس قد مدُّوا إليه ... أكفَّهمُ وقد بَرِح الخَفاءُ
ولو قد بايعوه وليَّ عهدٍ ... لقام الوَزْنُ واعتدل البِناءُ

وقال لعمر بن عبد العزيز: بايع لعبد العزيز، فقال له عمر: إنما بايعناك وسليمان في عقد واحد، فكيف نخلعه ونتركك؟ فأخذ الوليد منديلاً، فجعله في عُنق عمر، ولواه حتى كاد أن يموت، فصاحت أختُه أمّ البَنين، فحبسه في بيت، وطين عليه الباب، فأقام ثلاثاً، فقالت له أم البنين: أطلق أخي، فأخرجه وقد كاد يموت، وعُنقه قد التوى، فلم يزل مائلاً حتى مات، وقالت أم البنين: اللهم لا تُبلّغ الوليد في ولده أملَه[2].

وقال الوليد ليزيد بن حُصَين بن نُمَيْر السَّكوني: بايع لعبد العزيز، فقال: أما بيميني فقد بايعتُ بها لسليمان، فإن شئتَ بايعتُ لعبد العزيز بشمالي بايعت.

وقال له عباد بن زياد: إن الناس لا يجيبونك إلى هذا، ولو أجابوك لم آمنهم على الغَدْر بابنك، فاكتب إلى أخيك سليمان فليقدم عليك، فاطلب إليه أن يُبايع لعبد العزيز من بعده، فإنه لا يقدر أن يمتنع إذا كان عندك، ولو امتنع كان الناس معك عليه، ولا يتغيّر ما قرَّره أبوك.

فكتب إلى سليمان يأمره بالقدوم عليه فأبطأ، فعزم الوليد على المسير إليه، وشرع في الجهاز، وأمر الناس بذلك، فمرض ومات قبل أن يسير إلى أخيه.

---

(١) يعني ادفعها بأجمعها إليه، وكان في النسخ (ب، خ، د): فزخلفها لان لها إليه؟!، والمثبت من الطبري ٦/ ٥٠٧ ، والخبر بطوله ليس في (ص).

(٢) «تاريخ دمشق» ٤٣/ ٣٥ .

وقال [الهلواث] الكلبي: كتب الحجاج إلينا ـ وكنا بالهند مع محمد بن القاسم، وقد قُتل داهر ملك الهند ـ يقول: اخلعوا سليمان، واخطبوا لعبد العزيز.

فلما مات الوليد وولي سليمان كتب إلينا: أقيموا مكانكم، وازرعوا واحصدوا فلا شام لكم، فأقاموا بالهند مدة خلافة سليمان، حتى قام عمر بن عبد العزيز فأَقْفَلَهم(١).

وفيها توفي الوليد بن عبد الملك منتصف جمادى الآخرة يوم السبت، وولي أخوه سليمان.

وفيها انتهى بناء جامع دمشق قبل وفاة الوليد بن عبد الملك بن مروان.

ذكر ما يتعلق بالجامع الأموي:

ذكر أبو القاسم بن عساكر في «تاريخه» حكايةً في الأموال التي بنى بها الوليد جامع دمشق وسببها، فحكى عن أصبغ بن محمد بن لَهيعة السَّكسكي ـ من أهل بيت قوفا قرية بغوطة دمشق ـ قال: مرَّ الوليد برجل من العمال في المسجد، فرآه يبكي فقال: ما يبكيك؟ فقال: كنت حمالاً، فلقيني رجل فقال: أتحملني إلى موضع كذا وكذا؟ فذكر مكاناً في البرية، فقلت: نعم، فحملتُه وسرنا فقال: إن بلَغْنا المكان الذي ذكرت لك أغنيتُك، وإن مت قبل البلوغ إليه فاحمل جثتي إلى المكان الذي أصف لك، فإن ثَمَّ قصراً خراباً، فإذا وصلت إليه فعدَّ سبع شرافات من الناحية الفلانية، واحفر تحتها قدر القامة، فإنه سيظهر لك بلاطة فاقلعها، فإنك تجد مغارة فيها سريران؛ على أحدهما رجل ميت، فاجعلني على السرير الآخر، وحمِّل جِمالك وحمارك من المغارة ما استطعت، وكان معي أربعة أجمال وحمار.

قال: ومات في الطريق، فأتيت القصر، وحفرت تحت الشرافة، فظهرت المغارة، فنزلت إليها وإذا بالرجل مسجى على سرير، وإلى جانبه سرير وليس عليه أحد، فأضجعته كما قال، ووجدتُ من الأموال والجواهر ما لا يوصف، فحمَّلتُ الجمال والحمار، وكان معي مِخْلاة فنسيتُ أن أملأها، وتداخلني الشرَّه فعُدتُ إلى المكان، وتركت الجمال بحالها، فلم أجد المكان، وغُمَّ علي فلم أعرفه، وعدت إلى الجمال

(١) «تاريخ الطبري» ٦/ ٤٩٩، وما بين معكوفين منه.

فلم أجدها، فدرت في البرية أياماً فلم أظفر بها، فعدت إلى دمشق، وألجأني الزمان إلى أن أعمل في التراب كل يوم بدرهم، فكيف لا أبكي؟! فقال له الوليد: لم يكن لك رزق في تلك الأموال، وقد صارت إليّ، وأنا أبني بها هذا الجامع[١].

وقال الوليد بن مسلم: لما حفروا الأساسات وجدوا باباً صغيراً وعلى أُسكُفَّته حروف بالمُسْنَد، فلم يفهموها، فبعث الوليد إلى الآفاق، فجمع العلماء فحلوها إلى العربية، فإذا هي: لما رأينا هذين النيّرين والفلك الدائر؛ أيقنَّا أن لهم صانعاً، فبنينا هذا الهيكل لنعبده فيه، وكان ذلك الباب في أعلى الهيكل، فصار تحت الأرض قامات.

وقال الوليد بن مسلم: كان نقش هذا اللوح بالمسند: لما كان العالم مُحدَثاً بدليل أمارات الحَدَث عليه؛ ثبت أن له مُحدِثاً، فانتدب لبناء هذا الهيكل نجب الخير[٢]، فإن رأى الداخل فيه ذكر بانيه عند بارئه بخير فعل أو شكر فعله، وكتب لسبعة آلاف سنة خلت من سني ملك الاسطوان.

وحكى ابن عساكر عن أبي مُسهر الغَسَّاني قال: حيطان جامع دمشق من بناء هود عليه السلام، وما كان من الفسيفسات فمن عمل الوليد.

وقال أبو مُسهر: وجدوا حجراً في حائط جامع دمشق، عليه مكتوب بالمسند، فلم يحله سوى وهب بن منبه، وإذا فيه: يا ابن آدم، لو عايَنْتَ ما بقي من يسير أجَلك لزَهِدْتَ فيما بقي من طويل أملك، وإنما يستولي عليك ندمك إذا زَلّت بك قدمُك، وأسلمك أهلُك وحَشَمُك، وانصرف عنك الحبيب، وهجرك القريب، فلا أنت إلى أهلك عائد، ولا في عملك زائد، فاغتنم الحياة قبل الموت، والمبادرة قبل الفوت، قبل أن يُؤخذ منك بالكظم، ولا ينفعك النَّدم. وكتب في أيام سليمان بن داود نبي الله. فأمر الوليد أن تُكتب هذه السطور بماء الذهب على حائط الجامع.

وحكى ابن عساكر، عن أبي مروان عبد الرحيم قال[٣]: لما احتفروا أساس الجامع وجدوا مغارةً فيها تمثال إنسان من حجارة، على فرس من حجارة، وفي يده الواحدة

---

(١) «تاريخ دمشق» ٣/ ٦٤ (مخطوط).

(٢) في مختصر تاريخ دمشق ٣/ ٢٩٦، والدارس ٢/ ٣٧٣: مُحِبُّ الخير.

(٣) في النسخ: مروان بن عبد الرحيم، والتصويب من «تاريخ دمشق» ١/ ٣١٦. والخبر قبله فيه ١/ ٣٠١.

دُرَّة، والأخرى مقبوضة، فأمر بها الوليد ففُتحت، فإذا فيها حبَّةُ قمح وحبة شعير، فقال الوليد: لو تُركت على حالها لم يُسوِّس قمح ولا شعير في هذه المدينة.

وقال ابن خُرداذبة في كتاب «المسالك والممالك»: وبدمشق مسجد ليس في الإسلام مثله ولا أحسن منه، كان مصلّى الصَّابئة، ثم صار إلى اليونان، ثم إلى اليهود، ثم إلى عَبَدة الأوثان، فقُتل فيه يحيى بن زكريا، ثم غلبت عليهم النصارى، فصار في أيديهم كنيسةً يُعظّمونها حتى جاء الإسلام، فصار للمسلمين مسجداً، فلما كان في أيام الوليد بن عبد الملك عمره، فجعل أرضه مَفْروشة رخاماً، وجدرانه رخاماً مُجَزّعاً، وأساطينه رخاماً مُوَشًّى، ومعاقِدَ رؤوس أساطينه ذهباً، ومحرابه مُرَصَّعاً بالجواهر، وسطحُه معمول بالرصاص، ويقال: إنه أنفق عليه خراج الشام خمس سنين.

وقال الوليد بن مسلم: وكان سليمان بن عبد الملك يتولَّى عِمارته، فكمل في تسع سنين، وغرم عليه أربع مئة صندوق، في كل صندوق أربعون ألف دينار، وقيل: في كل صندوق أربعة عشر ألف دينار، وقيل: ثمانية وعشرون ألف دينار، وأكل صُنّاعُه بقلاً وخلاً بعشرة آلاف دينار.

[وحكى الحافظ ابن عساكر:] قال إبراهيم بن هشام: رخامتا المقام، يعني المحراب، من عرش بلقيس، وكان في الجامع اثنا عشر ألف مُرَخِّم(١).

وقال الوليد بن مسلم: غرم على المحراب خمسون ألف دينار، وفي رواية: سبعون ألفاً، وعلى قبة النَّسر مئتا ألف دينار.

ولما سقفوه بالرصاص بقي في القُبَّة مكانُ لوح، فلم يقدروا عليه، فقيل هو عند امرأة فقيرة، فطُلب منها فقالت: ما أَبيعه إلا بوزنه ذهباً، فقال الوليد: أعطوها، فلما قبضت المال دفعت إليهم اللوح وردَّت المال، فقيل لها في ذلك فقالت: الجواب بحضرة أمير المؤمنين، فأُخبر الوليد، فأمر بإحضارها فحضرت، فقال: لم رَدَدْتِ المال؟ فقالت: ظننت أنك تظلم الناس في عمارة المسجد، فلما رأيت إنصافَك أردتُ

---

(١) «تاريخ دمشق» ١/ ٣١١ وما بين معكوفين من (ص).

أن أبقي لك ذكراً في الغابرين، فيتحدّث الركبان بأنك دفعتَ في لوحٍ من رصاص مثله ذهباً، ويُخلَّد ذلك في السِّيَر، وقد جعلته لله تعالى، فأعجب الوليد حالها وقال: اكتبوا اسمها على لوحها فكتبوه، وفي رواية: فكتبوا على اللوح: لله، طبعوه بطابع، ولم يُدخِله الوليد في عمله، وقيل: كانت المرأة يهودية، فكتبوا عليه: هذا لوح الإسرائيلية، فكان يقرأ ما عليه إلى زمان حريق الجامع[1].

وقال الوليد بن مسلم: لما وضعوا أساس الجامع نزلوا في الأرض قامات، فظهرت ألواح مكتوب عليها بأقلام لم يقدر أحد أن يَحلَّها.

وقال إبراهيم بن هشام: لما تكامل بناءُ قبَّة الجامع وقعت، فشق على الوليد فجاءه صانع فقال: أنا أبنيها بناءً مُحكَماً لا يتغير، فحفر موضع الأركان حتى بلغ الماء، ووضع الأساس، فلما ارتفع البناء واستقلّت القبة على وجه الأرض؛ غطاها بحُصُر وهرب، فطُلِب فلم يوجد، وغاب سنة، ثم ظهر فلم يشعر الوليد إلا وهو على بابه، فأدخل عليه فقال: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: يا أمير المؤمنين، قم معي حتى ترى العجب، فقام معه فكشف الحصر، فإذا البنيان قد صار مع وجه الأرض، فقال: من ههنا كان يؤتى البنيان، ثم رفع البناء فتمّ على ما هو عليه اليوم لم يتغير.

قال الوليد بن مسلم: وكان فيه ست مئة سلسلة من ذهب فكان لا يستطيع أحد أن يصلي فيه من شعاعها، وعلى أبوابه صفائح الذهب.

[وقال أبو مُسْهِر:] لما انتهى الجامع خطب الوليد فقال: أيها الناس، إنكم تفتخرون على البلاد بحُسن بلدكم، وكثرة خيره، وفواكهه ومياهه، فافخروا على أهل الدنيا بجامعكم.

[وقال أبو مروان عبد الرحيم:] كان على باب الساعات كهيئة البيكار، عليه عصافير من نحاس، وحية من نحاس، وغراب، فإذا انقضت ساعة خرجت الحية فصفرت، فصاحت العصافير، ونعق الغراب، وسقطت حصاة في الطست، وكان في سقوف

---

(١) «تاريخ دمشق» ١/ ٣١٠.

الجامع طِلَّسمات لسائر الحيوانات والحشرات فيما يلي السبع، فلما احترق الجامع ليلة نصف شعبان سنة إحدى وستين وأربع مئة ذهب الكل.

وفوّارة جَيرون أُحدثت سنة تسع وستين وثلاث مئة، ثم جُدِّدت مراراً؛ منها سنة ست عشرة وأربع مئة، ساق إليها الشريف فخر الدولة أبو يعلى حمزة بن الحسين الحسيني[١] الماء من قصر الحجاج، وبنى عليها قبة، ثم وقعت في صفر سنة سبع وخمسين وأربع مئة، ثم وقعت حيطانها في حريق اللبّادين سنة اثنتين وستين وخمس مئة في شوَّال، ثم جُدِّدت.

وأول مَن أحدث القراءة في جامع دمشق هشام بن إسماعيل بن هشام المخزومي.

قال المصنف رحمه الله: وأخبرني الشيخ الصالح أبو عمر محمد بن أحمد المقدسي رحمه الله قال: حدثني أبو محمد بن بَرّي بإسناده إلى كعب الأحبار قال: إنا نجد في كتب الله المنزلة أن الله أوحى إلى جبل قاسيون أن هب ظلَّك وبَركتك وخيرك لجبال بيت المقدس، فقال: قد فعلتُ، فأوحى الله إليه: لن تذهب الأيام والليالي حتى أردَّ عليك ظلَّك وخيرَك وبركتَك، وسيُبنى لي في ظلِّك بيت أُعبد فيه بعد خراب الدنيا أربعين عاماً.

قال: فقاسيون عند الله تعالى بمنزلة العبد الضعيف المتضرّع.

قال المصنف رحمه الله[٢]: ولما حدثني الشيخ أبو عمر بهذا الحديث في سنة ست وست مئة تبسم وقال: أرجو أن يكون لجامع الجبل الذي بناه.

[وقد أخرج أبو القاسم بن عساكر هذا الأثر في «تاريخه» من طريق الوليد بن مسلم، عن القاسم بن عبد الرحمن[٣]، وفيه: وأبني لي في حصنك بيتاً، قال الوليد بن مسلم: هو مسجد دمشق، ولم يذكر في هذه الرواية كعب الأحبار.

---

(١) كذا وهو خطأ، صوابه حمزة بن الحسن بن العباس بن الحسن، كما ذكر ابن عساكر في تاريخه ٥/ ٣٠٢، والخبر في ١/ ٣١١.

(٢) في (ص): قلت.

(٣) في «تاريخ دمشق» ١/ ٣٠٠: الوليد بن مسلم، عن عثمان بن أبي عاتكة، عن علي بن يزيد، عن القاسم بن عبد الرحمن.

وذكر في رواية أخرى عن كعب أنه قال: لَيُبنَينّ في دمشق مسجد يبقى بعد خراب الدنيا أربعين عاماً.

وروى ابن عساكر عن جماعة من التابعين في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ أن التين مسجد دمشق.

قال: وقد أدركوا فيه شجرات الزيتون قبل أن يبنيه الوليد.

قال: والزيتون مسجد بيت المقدس(١).

وذكر آثاراً كثيرة فيها للمحدثين نظر، منها قول سفيان الثوري: صلاة في جامع دمشق بثلاثين ألف صلاة(٢).

وقد أخرج مسلم عن سهل بن سعد أن النبي ﷺ قال: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة في غيره إلا المسجد الحرام».](٣)

وحُكي أنهم لما حفروا أساس جامع دمشق وجدوا مغارة، فنزل إليها الوليد في الليل بالشمع، وإذا هي كنيسة لطيفة ثلاثة أذرع في مثلها فيها صندوق، ففتحه وإذا بسَفَط فيه رأس مكتوب عليه: هذا رأس يحيى بن زكريا، فأمر به الوليد فرُدَّ إلى المكان، وقال: اجعلوا العمود الذي فوقه منفرداً عن الأعمدة، فجعلوه، وسفطوا رأس العمود.

وقال زيد بن واقد: رأيتُ رأس يحيى بن زكريا قد أُخرج من تحت ركن من أركان القُبَّة، فكانت الشَّعرة والبَشَرة لم تتغيَّر(٤).

[وأكثر الشعراء في وصف جامع دمشق، فقال بعض المحدَثِين: [من المنسرح]

دمشقُ قد شاع حُسنُ جامِعِها ... وما حوتْه رُبى مرابِعها

بديعةُ الحسنِ والكمالِ لما ... يُدركه الطرفُ من بدائعها

طيِّبةٌ أرضُها مباركةٌ ... باليُمنِ والسَّعدِ أخذُ طالِعها

(١) «تاريخ دمشق» ١/ ٢٩٩ـ٣٠٠.

(٢) انظر «تاريخ دمشق» ١/ ٣٠٢ـ٣٠٣.

(٣) ليس في صحيح مسلم حديث سهل بن سعد، إنما رواه من حديث أبي هريرة وابن عمر رضي الله عنهم (١٣٩٤ـ١٣٩٥). وما سلف بين معكوفين من (ص).

(٤) «تاريخ دمشق» ١/ ٣٠١.

جـامـعُـهـا جـامـعُ الـمـحـاسـنِ قـد فـاقـتْ بـه الـمُـدْنَ فـي جـوامـعِـهـا
بَـنـيَّـةٌ بـالإتـقـان قـد وُضِـعـتْ لا ضـيَّـع الـلـه سَـعْـيَ واضِـعـهـا
تُـذكـر فـي فـضـلِـه ورِفـعـتِـهِ أخـبـارُ صِـدْقٍ راقـت لـسـامـعِـهـا
إذا تـفـكَّـرت فـي الـفُـصـوصِ ومـا فـيـهـا تـيـقَّـنـتَ حِـذْقَ راصِـعِـهـا
أحـكـمَ تـرخـيـمَـهـا الـمُـرَخِّـمُ قـد بـان عـلـيـهـا إحـكـامُ صـانِـعـهـا
وإن تـحـكَّـمْـتَ[1] فـي قـنـاطـرِهِ وسـقـفِـه بـان حِـذقُ رافِـعـهـا
وإن تـبـيَّـنْـتَ حُـسْـنَ قُـبَّـتِـهِ تـحـيَّـرَ الـلُّـبُّ فـي أضـالِـعـهـا
تـختـرِق الـرِّيـحُ فـي مَـخـارِمـهـا عَـصْـفـاً فـتـقـوى عـلـى زَعـازِعـهـا
وأرضُـه بـالـرّخـامِ قـد فُـرِشَـتْ يَـنـفَـسِـحُ الـطَّـرفُ فـي مـواضـعـهـا
مـجـالـسُ الـعـلـمِ فـيـه مُـونـقـةٌ يَـنـشـرح الـصَّـدرُ فـي مـجـامـعِـهـا
وكـلُّ بـاب عـلـيـه مَـطـهـرَةٌ قـد أمِـنَ الـنـاسُ دَفْـعَ مـانِـعـهـا[2]

من أبيات.]

وقال الوليد بن مسلم: ولما ولي عمر بن عبد العزيز أراد نقض الجامع، وإدخال ما فيه في بيت المال، فعزَّ على أهل دمشق والأشراف، فخرجوا إليه، فقال لهم خالد بن عبد الله القَسْرِيّ: ائذنوا لي حتى أُكلِّمه، فأذنوا، وكان عمر بدَيْر سَمعان، فقدموا عليه، فلما دخلوا قال له خالد: بلغنا أنك تريد أن تفعل في جامعنا كذا وكذا، قال: نعم، أموال أُنفقت في غير وجهها فأنا رادُّها في بيت المال، فقال خالد: والله ليس لك ذلك، فقال عمر رضي الله عنه: فهو لأمك النصرانية، فقال خالد: إن كانت نصرانية فقد ولدت مسلماً، فاستحى عمر وقال: صدقت، وجرى بينهما كلام، ورجع عمر رضي الله عنه عن رأيه في خراب الجامع لمعنيين:

أحدهما: أن رُسُل الروم كانوا إذا وردوا عليه سألوه أن يدخلوا الجامع، فيأذن لهم، فإذا رأوه هابوا الإسلامَ وأهلَه، وقد كان أقسَّاؤهم يقولون لهم: إن العرب لا

(١) في «تاريخ دمشق» ١/ ٣١٣، و«البداية والنهاية» ٩/ ١٥٣: تفكرت، وهي الأشبه.
(٢) في (ص): سابعها، والمثبت من المصدرين، وما بين معكوفين من (ص).

مُقام لهم بالشام، وكأنكم بهم وقد عادوا إلى الحجاز، ولهم مدة يبلغونها، فكان الكفار يُغيظهم ما يَرون من حُسن الجامع.

والثاني: أنه قيل لعمر: إنك إذا جَرَّدتَ الذهب من الحيطان لم يَحصل منه ما تنتفع به، وتَهدم ما هو أعظم شرائع الإسلام(١)، فإن هذا المكان والبيت المقدس يُبقي لبني مروان في العالمين ذكراً ليس لغيرهم، فتركه.

وفيها غزا قتيبة الصِّين وكاشْغَر، وكان قتيبة موافقاً للحجاج على خلع سليمان، فكان في هذه السنة قطع النهر خوفاً من سليمان، وولّى النهر رجلاً من أصحابه يقال له: الخُوارِزمي، وأمره أن لا يُمكّن أحداً من عبور النهر إلا بجواز، ومضى إلى فَرْغانة، وأرسل إلى شِعب عصام مَن يُسهِّل له الطريق إلى كاشْغَر ـ وهي أدْنى مدائن الصِّين ـ فجاءه الخبر بموت الوليد وهو بفَرْغانة.

وكان قتيبة قد أوغل في بلاد الصين، فأرسل إليه ملك الصين: ابعث إلينا رجلاً من أشراف قومك نسائله عن دينكم وما تدعون إليه، فانتدب له قتيبة عشرة من أشراف القبائل، لهم هَيبة وجَمال وحُسن، وألبسهم الثّياب الجميلة، وحملهم على الخيل العِتاق، وقدَّم عليهم هُبَيْرَةَ بن المُشَمْرِجِ الكلابي، وكان فصيحاً، وأوصاه فقال: أيها الأمير، قد كُفيتَ الأدب، وقل ما شئت، فقال: تُخبره أني قد حلفتُ أن لا أنصرف حتى أطأ بلادَه، وأختم ملوكهم، وأَجبي خراجَهم.

وساروا، فلما قدموا على الملك دخلوا عليه وعنده علماء أهل مملكته، وكانوا قبل دخولهم عليه قد غيَّروا ثيابَهم، واغتسلوا وتطيّبوا، فلما دخلوا على الملك لم يكلّمهم أحد، فنهضوا، فقال الملك لجلسائه: كيف رأيتم هؤلاء؟ [قالوا:] ما بقي منا أحد حين رآهم ووجد رائحتهم إلا انتشر ما عنده.

فأرسل إليهم في اليوم الثاني، فجاؤوا وقد لبسوا الوَشْيَ، وعمائمَ الخزِّ والمطارف، فدخلوا فلم يكلّمهم أحد، فنهضوا، فقال الملك لأصحابه: كيف رأيتموهم؟ قالوا: هذه الهيئة أشبه(٢) بهيئة الرجال من تلك.

---

(١) «تاريخ دمشق» ١/ ٣١٤ـ٣١٥.

(٢) في (ب) و(خ) و(د): ليست، والمثبت من الطبري ٦/ ٥٠٢ وما بين معكوفين منه. والخبر بطوله ليس في (ص).

فلما كان اليوم الثالث دعاهم، فدخلوا وعليهم البِيض والمغافر والسلاح، وقد تقلّدوا السيوف، وتنكّبوا القِسِيَّ، وأخذوا الرماح بأيديهم، وركبوا خيولَهم، وأقبلوا كأمثال الجبال فردُّوهم، وقال الملك لأصحابه: كيف رأيتم؟ قالوا: ما رأينا مثلَ هؤلاء قط.

ثم أرسل إليهم: أن ابعثوا زعيمَكم، فبعثوا إليه هُبيرة، فلما دخل عليه قال: قد رأيتُم مُلكي وسعتَه، وإنكم في قبضتي، وإني مسائلك عن أمر، فإن صدقتَني وإلا قتلتُك ومن معك، قال: سل، قال: لم صنعتم في اليوم الأول والثاني والثالث ما صنعتم؟ فقال:

أما اليوم الأول فذاك زينتُنا عند أهلنا ونسائنا، وأما اليوم الثاني فتهيَّأنا لأمرنا، وأما اليوم الثالث، فزيَّنا لعدوّنا، فقال: أحسنتم فيما دبَّرتُم، فانصرفوا إلى صاحبكم وقولوا له ينصرف، فقد عرفتُ حرصَه وقلَّةَ أصحابه، وإلا بعثتُ إليه مَن يُهلكه ومَن معه، فقال له هُبيرة: كيف تقول هذا لمَن خيلُه في أول بلادك، وآخرها في منابت الزيتون، وقد غزاك في بلادك فدوَّخها، وقتل وسبى، وهو في طَلَبك لا تُرَدُّ له راية؟ قال: فما الذي يريد؟ قال: إنه قد أقسم أن لا يرجع حتى يَطأ أرضَك، ويختم أعناق الملوك، ويأخذ الجزية، قال الملك: فنحن نَبُرُّ قَسَمه، ونبعث إليه من تراب أرضنا فيَطَؤه، وببعض أبنائنا فيختمهم، ونبعث إليه بمال.

ثم دعا بصِحاف من ذَهَب، وجعل فيها من تراب أرضه، ودعا بأربعة غِلْمة من أولاد الملوك، وبعث له مالاً كثيراً، وأحسن جائزة هُبيرة وأصحابه، ووصلهم وأحسن إليهم، وانصرفوا عنه.

فأخبره هبيرة خبره وقال: الحَزْمُ في إجابته إلى ما سأل، فوطىء قتيبة التراب، وختم الغِلْمة وردَّهم، وقبل الجِزية، فقال سَوادة بن عبد الله السَّلولي يُخاطب قتيبة: [من الكامل]

لا عَيبَ في الوفدِ الذين بعثتَهم ... للصِّين إذ سَلَكوا سبيلَ المَنْهَجِ

كسروا الجُفونَ على القَذى خَوْفَ الرَّدى ... حاشا الكريم هُبَيرةَ بنَ مُشَمْرِجِ

لم يَرْضَ إلا الخَتْم[1] في أعناقهم ... ورهائنٍ دُفِعتْ بحَمْلِ سَمَرَّجِ

---

(١) في (ب) و(د): بغير الختم، وفي الطبري ٦/ ٥٠٣ : غير الختم.

أدَّى رسالتَك التي حمَّلْتَهُ ... وأتاك من حِنثِ اليمين بمَخْرَجِ

فبعث قتيبة هُبيرة وافداً على الوليد، فمات بقرية(١) من قُرى فارس.

وفيها قُتل قتيبة بخراسان، وسنذكره إن شاء الله تعالى.

وفيها عزل سليمان بن عبد الملك عثمانَ بنَ حيَّان عن المدينة لسبع بقين من رمضان، فكانت إمرتُه عليها ثلاث سنين، وقيل: سنتين وأياماً.

وكان عثمان قد عزم على أن يجلد أبا بكر بن عَمرو بن حَزْم مئةَ جَلْدة، ويحلق رأسه ولحيته؛ لأنه كان يكرهه، ثم قال: إلى غداة غد، وقدم رسول سليمان وقت السحر بتأمير أبي بكر وعزل عثمان، فجلس أبو بكر على كرسي، ودعا بعثمان بن حيّان، ودعا بحدّاد وقال: ضع الحديدَ في رجل هذا، فتمثل بعضهم، وقيل إن أبا بكر قال: [من الكامل]

آبوا على أدبارهم سَفَهاً(٢) ... والأمرُ يَحدث بعده الأمرُ

وفيها ولي سليمان بن عبد الملك الخلافة.

الباب السابع في ولايته

وكنيته أبو أيوب، وأمه وَلَّادة بنت العباس أم الوليد.

[قال علماء السير:] لما توفي الوليد بدمشق كان سليمان بالرَّمْلَة، فكتب عمر بن عبد العزيز إليه يُخبره، فسار حتى قدم دمشق، فوجد الناس على فاقَةٍ من جَور الوليد، وكان عمر قد أخذ له البيعة يوم مات أخوه الوليد، وذلك مُنتصف جمادى الآخرة.

[قال هشام:] ولما قدم سليمان دمشق بدأ بالجامع، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسوله وأنشد: [من الكامل]

رَكْبٌ تَخُبُّ به المَطِيُّ فغافلٌ ... عن سيرِه ومُشَمِّرٌ لم يَغْفُلِ

لابدَّ أن يَرِدَ المُقَصِّرُ والذي ... رامَ النَّجاءَ مَحَلَّةً لم تُحْلَلِ

(١) في الطبري أن اسمها قرية وأورد على ذلك شعراً.

(٢) في (ص): وقيل إن أبا بكر قال نكصوا على أعقابهم ويروى أنه قال: آبوا على أدبارهم.. وفي الطبري ٦/ ٥٠٥ : أدبارهم كشفاً.

ثم قال: أيها الناس، وخنقته العَبْرَة، رحم الله مَن ذُكِّر فاذَّكر، وزُجِر فانزجر، فإن العظة تجلو عَمى القلوب، وتغسل دَرَن الذُّنوب، ألا وإنكم قد استوطنتم دارَ الغرور، ونسيتم الرحلة إلى القبور، وغرَّتكم الأمانيّ وغرَّكم بالله الغَرور، ألا وإنكم سَفْر وإن أقمتم، ومرتحلون وإن قَطَنْتُم، لا تَتَشكَّى مطاياكم ألمَ الكَلال، ولا يُتعبها دَأَب السَّير، ليل يُدْلِجُ بكم وأنتم نائمون، ونهار يَجِدُّ بكم وأنتم غافلون، لكم في كل يوم مُشَيِّع لا يستقبل، ومودِّع لا يؤوب.

أما ترون رحمكم الله إلى ما أنتم فيه متنافسون وعليه متهافتون؛ من كثير يَفنى، وجديد يَبلى، كيف أخذه المخلَّفون، وحوسبتم عليه دون المتنعم به[١]، فأصبح كل منهم رهيناً بما كسبت يداه، وما الله بظلام للعبيد.

ثم نزل بعد أن بكى وأبكى الناس، وهو أول من قال في خطبته: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٥-٢٠٧]، واقتدى به عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فكان يقرؤها دائماً.

ولما نزل اتّخذ عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وزيراً ومُشيراً، ونظر في المظالم فردّها، وفك الأسرى، وأحسن إلى الناس، وهدم كل قاعدة بناها الوليد في الظلم، فأحبه الناس، وعزل الولاة الظالمين، وأقر خالداً القَسْرِيّ على مكة.

وخالد أول من أدار الصفوف حول الكعبة، ولم تكن مستديرة [بل كانت كصفوف الناس]، ومنع النساء أن يطفن مع الرجال حول الكعبة. قال الهيثم: سمع قائلاً يقول: [من السريع]

وحبَّذا اللاتي يُزاحِمْنَني عند استلامِ الحجرِ الأسودِ

فقال: والله لا زاحَمْنك بعد اليوم[٢].

ثم عزل خالداً في آخر السنة وولاها طلحة بن داود الحَضْرَميّ.

---

(١) في «المنتظم» ٧/ ١٣ : كيف أخذ به المخلفون له وحوسبوا عليه دون المتنعم به.

(٢) «أخبار مكة» ٢/ ٢١ ، و«مروج الذهب» ٥/ ٣٩٩ .

[فصل:] وفيها عزل سليمان ولاة الحجاج عن العراق، وولّى العراق يزيد بن المهلب واستعمل صالح بن عبد الرحمن على الخراج، وأمره بِبَسْطِ العذاب على آل أبي عَقيل وقتلِهم.

ولما قدم صالح العراق أخذ آل أبي عَقيل، وولّى عذابهم عبد الملك بن المهلب، وقتل الحكم بن أيوب بالعذاب.

وفيها ولّى سليمان دمشق محمد بن سويد بن كلثوم بن قيس الفهري، وهو ابن أخي الضحاك بن قيس، وكانت أمه ماتت وهو يَركُض في بطنها، فخرج حياً. وكان الوليد قد ولى ابنه عبد العزيز دمشق فعزله سليمان وولى محمداً.

[وقال الزبير بن بكار:] وقال سليمان لعمر بن عبد العزيز: مهما رأيتَ من مصالح المسلمين فمُرْ به يُكتَب؛ فإنك لا تُخالَف، فقال عمر: أرى عَزْلَ ولاةِ الحجاج، وإخراج من كان في حُبوسه بالعراق، وردّ الصلاة إلى أوقاتها فإن الحجاج كان قد ضيعها، فكتب بذلك.

وحج بالناس أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم الأنصاري، وكان على المدينة، وعلى مكة طلحة بن داود الحضرمي، وعلى العراق يزيد بن المهلب، وعلى قضاء البصرة عبد الرحمن بن أُذَينَة، وعلى قضاء الكوفة أبو بكر بن أبي موسى، وعلى خراسان بعد قتيبة وكيع بن أبي سُود.

[فصل:] وفيها توفي

إبراهيم بن عبد الرحمن

ابن عوف الزهري، أبو إسحاق.

[ذكره ابن سعد] في الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة[١].

وقيل: إنه أدرك رسول الله ﷺ، [وقال ابن منده: لم يدركه].

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٥٩.

وأمُّه أم كُلثوم بنت عُقبة بن أبي مُعَيط، وأدرك عمر بن الخطاب رضوان الله عليه.

قال إبراهيم: إن عمر بن الخطاب حَرَّق بيت رُوَيْشِد الثَّقفيّ، وكان حانوتاً للشراب، وكان عمر قد نهاه، قال: فلقد رأيتُه يلتهب كأنه جَمرة.

قال محمد بن عمر: ولا نعلم أحداً من ولد عبد الرحمن بن عوف روى عن عمر سماعاً ورؤية غير إبراهيم، وقد روى عن أبيه، وعن عثمان، وعلي، وسعد بن أبي وقاص، وأبي بَكْرة وعمرو بن العاص، وغيرهم من الصحابة. ومات سنة ست وتسعين وهو ابن خمس وسبعين سنة، وقيل: مات سنة خمس وتسعين.

وكان من رجالات قريش، وكان له ثمانية عشر ولداً ذكوراً وإناثاً[1].

[فصل: وفيها توفي]

إبراهيم بن يزيد

ابن الأسود بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن سعد بن مالك بن النَّخَع، من مَذْحِج، أبو عمران النَّخعي، من الطبقة الثانية من التابعين من أهل الكوفة.

وقال هشام: أصله من اليمن، وهو مولى النَّخَع، غير أن العرب ولدته، حُمل عنه العلم وهو ابن ثماني عشرة سنة، وكان يكره الفتوى؛ فإذا جاء أحد يستفتيه يقول: أما وجَدْتَ أحداً غيري تستفتيه؟

وكان إذا قام من مجلسه ختمه بالسلام، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً، ويقوم الليل في حُلّة، وكان يكره الشُّهْرة، وكان يجالس الناس وكأنه ليس معهم.

[وروى ابن سعد عن] سعيد بن جبير أنه كان يقول: أتستفتوني وفيكم إبراهيم بن يزيد؟

[قال ابن سعد:] وكان يُهاب كما يُهاب الأمير.

[وحكى ابن سعد عن أبي مَعْشر قال: كان يدخل إبراهيم على بعض أزواج النبي ﷺ وهي عائشة، فيرى عليهن ثياباً حمراً، قيل لأبي معشر: كيف كان يدخل عليهن؟ قال:

---

(١) انظر «تاريخ دمشق» ٢/ ٤٥٨، و«السير» ٤/ ٢٩٢.

كان يحج مع عمه وخاله علقمة والأسود قبل أن يحتلم، وكان بينهم وبين عائشة إخاء ومودة.

وروى ابن سعد عن عبد الحميد بإسناده إلى حماد قال: بشّرت إبراهيم بموت الحجاج فبكى. قال: وقال حماد: ما كنتُ أرى أحداً يبكي من الفَرح. وكان إبراهيم يسبُّ الحجاج.][(١)]

وكان يحدّث بالمعاني، وكان لا يجلس إلى أسطوانة يتوقّى الشهرة، وكان صَيْرَفيَّ الحديث، وكان إذا سئل عن مسألة ظهر عليه أثر الكراهة ويقول: إن زماناً صرتُ فيه فقيهَ أهل الكوفة لزمان سوء.

وقال: كنا إذا حضرنا جنازة، أو سمعنا بميت، عُرف ذلك فينا أياماً، لأنا قد عرفنا أنه قد نزل به أمر صيَّره إما إلى الجنة وإما إلى النار، وإنكم في جنائزكم تتحدَّثون بحديث دنياكم.

[وروى عبد الله بن الإمام أحمد بإسناده عن] الأعمش قال: كنت عند إبراهيم وهو يقرأ في المصحف، فدخل عليه، أو استأذن عليه رجل، فغطَّى المصحف وقال: لا يظن هذا أني أقرأ فيه كل ساعة.

وقال المغيرة: كان إبراهيم يلبس الثوب المصبوغ بالزعفران أو بالعصفر، وكان من يراه لا يدري أمن القراء هو أم من الفتيان.

وقال إبراهيم: كانوا يجلسون؛ فأطولهم سكوتاً أفضلهم في نفسه.

وكان يقول: إذا رأيت الرجل يتهاون بالتكبيرة الأولى فاغسل يدك منه.

وقال المغيرة: كان رجل على حالة حسنة، فأحدث حدثاً وأذنب ذنباً، فرفضه أصحابه ونبذوه، وبلغ إبراهيم فقال: مه، تداركوه وعِظوه ولا تدعوه.

وقال ابن سعد: كان النَّخَعيّ أعور[(٢)].

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٨/ ٣٨٩_٣٩٠، ٣٩٣، ٣٩٧. وما بين معكوفين من (ص).

(٢) «طبقات ابن سعد» ٨/ ٣٨٨.

ذكر وفاته:

[واختلفوا فيها على قولين؛ أحدهما قبل الحجاج وكان مستخفياً، وروى أبو نعيم عن عمران] الخياط قال: دخلنا على إبراهيم نعودُه وهو يبكي، فقلنا: ما يبكيك يا أبا عمران؟ فقال: أنتظر ملك الموت يُبشّرني بالجنة أم بالنار.

[وروى أبو نعيم عن] شُعيب بن الحَبْحاب قال: كنتُ فيمن صلى على إبراهيم ليلاً، ودفن في زمان الحجاج، ثم أصبحتُ فغدوتُ على الشعبي فقال: دفنتم ذاك الرجل الليلة؟! قلت: نعم، قال: دفنتم أفقهَ الناس، قلت: ومن الحسن؟ قال: ومن الحسن، وأهل البصرة، وأهل الكوفة، والشام، والحجاز. [وقد روى ابن سعد بمعناه.][١]، وقال ابن عون: دفناه ونحن خائفون.

[والقول الثاني أنه مات بعد الحجاج، فروى أبو نعيم عن] الفَضْل بن دُكين[٢] قال: سألت ابن بنت إبراهيم عن موته فقال: بعد الحجاج بأربعة أشهر أو خمسة. [قال أبو نعيم: كأنه مات في أول سنة ست وتسعين.

وقد روينا أنه لما مات الحجاج سجد وبكى من الفرح.

وقال ابن سعد:] أجمعوا على أنه توفي بالكوفة في أيام الوليد بن عبد الملك وهو ابن تسع وأربعين سنة لم يستكمل الخمسين[٣]، وصلى عليه عبد الرحمن بن الأسود بن يزيد.

وقيل: مات وهو ما بين الخمسين إلى الستين.

أدرك إبراهيم جماعة من الصحابة منهم: أبو سعيد الخُدري، وأنس، وعائشة ﭫ، وعامة ما يرويه عن التابعين.

حارثة[٤] بن بدر

التَّميمي، البصري، كُنيته أبو العَنْبَس.

---

(١) «حلية الأولياء» ٤/ ٢٢٤، ٢٢٠ (على الترتيب) وما بين معكوفين من (ص)، و«طبقات ابن سعد» ٨/ ٤٠١.

(٢) ما بين معكوفين من (ص)، بدله في النسخ: وقيل مات بعد الحجاج، وقال الفضل بن دكين.

(٣) «طبقات ابن سعد» ٨/ ٤٠١-٤٠٢.

(٤) من هنا إلى ترجمة الوليد بن عبد الملك ليس في (ص).

عاش حارثة إلى أيام الوليد بن عبد الملك ومدحه، وكان يوم صفّين مع معاوية، وهو القائل: [من الكامل]

خَلَتِ الدِّيارُ فسُدْتُ غيرَ مُسَوَّدِ ومن العَناء تَفَرُّدي بالسُّودَدِ

وكان رجلَ بني تميم في وقته، وكانت له منزلة عند زياد بن أبيه، وكان قد غلب عليه الشراب، فقيل لزياد: إن هذا ليس من شاكلتك، ولا يَحسُن بك أن يصحبك، فقال زياد: كيف لا أصحب رجلاً ما سألتُه عن شيءٍ إلا وجدتُ عنده علماً منه، ولا مضى أمامي فاضطرني إلى أن أناديه، ولا مشى خلفي وأحوجني أن ألتفتَ إليه، ولا سايرني فمسّت رُكبته ركبتي، ولا أخذ عليَّ الشمسَ في شتاء قط، ولا الرَّوْحَ في صيف قط. وفي رواية: ولا تقدَّمني فنظرتُ إلى قفاه، ولا تأخَّر عني فلويتُ عُنقي إليه.

فلما مات زياد جفاه عبيد الله بن زياد، فقال له حارثة: يا عُبيد الله، ما هذا الجفاء مع معرفتك بحالي عند أبي المغيرة؟ فقال له عبيد الله بن زياد: إن أبا المغيرة كان قد بَرع بُروعاً لا يلحقه معه عيب، وأنا حَدَث، وإنما أُنسب إلى من [غلب] علي، وأنت يغلب عليك الشراب، ومتى قَرَّبتُك لم آمن على نفسي أن يُظنّ بي ما يتيقن منك، فدع الشراب وكن أول داخل عليّ وآخر خارج، فقال حارثة: أنا لا أدعه لمن يَملك ضَرِّي ونفعي، أفأدعه لك؟ قال عبيد الله: فقد ولَّيتُك رَامَ هُرْمُز وسُرَّق؛ فإن الشراب بهما كثير، فقال أبو الأسود الدِّيلي: [من الطويل]

أحارِ بنَ بدرٍ قد وَليتَ وِلايةً فكن جُرَذاً فيها تَخونُ وتَسرِقُ
وباهِ تميماً بالغِنى إن للغِنى لساناً به المرءُ الهَيوبَةُ يَنطِقُ
ولا تحقِرَنْ يا صاحِ شيئاً أصبتَهُ فحظُّك من مُلكِ العراقَين سُرَّقُ
فإني رأيتُ الناسَ إما مكذِّبٌ يقول بما يَهوى وإما مُصَدِّقُ
يقولون أقوالاً بظَنٍّ وشُبْهةٍ فإن قلتَ هاتوا حقِّقوا لم يُحَقِّقوا

ويقال: إن عبيد الله كتب إليه بهذه الأبيات.

قال الهيثم: دخل حارثة يوماً على زياد، فرأى في وجهه أثراً فقال: ما هذا؟ فقال: ركبتُ الأشقر فجَمَح بي ـ يعني الشراب ـ فقال له زياد: أما إنك لو ركبت الأَشْهب لما جَمَحَ بك.

وقال أبو الفرج الأصفهاني: حارثة بن بَدْر الغُداني كان من فرسان تميم وساداتها، وأحسب أنه أدرك رسول الله ﷺ في حال صباه، وكان من دُهاة العرب، وكان علي رضوان الله عليه قد نذر دمه لفساده في الأرض.

قال العتبي: فاستجار بسعيد بن قيس الهمداني، فأخذ له أماناً من علي رضوان الله عليه.

قال الأصمعي: مات برَامَهُرْمُز، وقال الهيثم: بنيسابور؛ خرج إليها غازياً فمرض، ومعه غلام فعصى عليه، فقال حارثة: [من البسيط]

يا كعبُ ما طلعتْ شمسٌ ولا غَربتْ ... إلا تُقَرِّب آجالاً لميعادِ
لا أُلفينَّك بعد الموت تَنْدُبُني ... وفي حياتيَ ما زوَّدْتَني زادي
إذا لقيتَ بوادٍ حيَّةً ذَكَراً ... فاهدأ ودَعْني أُمارسْ حيَّةَ الوادي

قد استشهد الزبير رضي الله عنه بالبيت الأوسط، فيحتمل أن يكون هنا تضمين، والله أعلم[١].

الحكم بن أيوب

ابن الحكم بن أبي عَقيل، ابن عم الحجاج بن يوسف.

ولاه الحجاج البصرة، وزوّجه أخته زينب بنت يوسف، وكان قد عرض عليها الحجاج أن يزوجها محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل، وهو ابن سبع عشرة سنة، وهو يومئذ أشرف ثقفي في زمانه، والحكم شيخ كبير، فاختارت الحكم.

ثم عزل الحجاج الحكم عن البصرة بسعد العُذْرِيّ[٢].

وكان الحكم بخيلاً، ولّى العِرْق رجلاً من بني مازن يلقب العَطَرَّق، وخرج الحكم يوماً مُتنزّهاً، فنزل بالعِرق ودعا بغدائه، فتغدّى معه العَطَرَّق، فأخذ دُرَّاجةً، فانتزع

(١) انظر «الكامل» ٤١٠-٤١٢، و«العقد» ٦/ ٣٤١، و«الأغاني» ٨/ ٣٨٤، و«تاريخ دمشق» ٤/ ٧٩ (مخطوط).
(٢) كذا في النسخ، والذي في «تاريخ دمشق» ٥/ ١٩٦، و«الأغاني» ٦/ ٢٠٠ أنه الحكم بن سعد العذري.

فخذها وناولها غلاماً له فعزله الحكم، وولّى على العِرْق نُوَيرة، وكان ابنَ عم العَطَرَّق، فقال نويرة: [من البسيط]

قد كان بالعِرْقِ صَيْدٌ لو قَنِعتَ به ... به غِنًى لك عن دُرَّاجَةِ الحكَم

وفي عَوارضَ ما تنفكُّ تأكلُها ... لو كان يَشفيك لحمُ الجُزْرِ من قَرَمِ[(١)]

قتل الحكمَ صالح بنُ عبد الرحمن الكاتب، مع جماعة من موالي الحجاج، في العذاب على الأموال التي اخترموها بأمر سليمان بن عبد الملك لما ولي الخلافة.

ربيعة بن عبَّاد

الدِّيلي، الحجازي. رأى رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز، وشهد اليرموك، وغزا الروم في خلافة عثمان رضوان الله عليه.

قال: رأيتُ أبا لهب بعُكاظ وهو وراء رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ يَلوذ منه، ويقول: إن هذا قد سَفَّه مآثِرَ آبائكم فاحذروه[(٢)].

العباس بن سهل

ابن سعد السَّاعدي الأنصاري، من الطبقة الثانية من التابعين من أهل المدينة.

قُتل عثمان رضوان الله عليه والعباس ابن خمس عشرة سنة، وقد روى عنه، وكان منقطعاً بعد ذلك إلى عبد الله بن الزبير، وخرج معه، وتوفي في خلافة الوليد بن عبد الملك بالمدينة، وروى عن أبي حُمَيد السّاعدي، وكان ثقةً قليلَ الحديث[(٣)].

قال المدائني: لما فرغ مُسْرِف بن عُقبة المُرِّي من أهل الحَرَّة استؤمن لعباس فلم يُؤمنه، فجاء العباس ومُسرِف يأكل فقال: أيها الأمير لكأنها والله جفان أبيك؛ كان يخرج وعليه مُطْرَفٌ من خَزٍّ، فيجلس في فِنائه، فقال مُسرف: مَن أنت؟ قال: العباس،

---

(١) تعليق من أمالي ابن دريد (١١٦)، و«أنساب الأشراف» ١٢/ ٣٧٦ـ٣٧٧، و«تاريخ دمشق» ٥/ ١٩٨، و«التذكرة الحمدونية» ٢/ ٣٢١. والدُّرَّاجة: ضرب من الطير.

(٢) «طبقات ابن سعد» ٥/ ١٣٣، و«مختصر تاريخ دمشق» ٨/ ٢٧٩.

(٣) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٦٦ـ٢٦٧.

فقال: أنت آمن، فقيل للعباس بعد ذلك: أكذا كان أبوه؟ فقال: لا والله، لقد رأيته وعليه عباءة قد خلّها، وهو يجرها على الشَّوك، ما نخاف على متاعنا يَسرقه غيره[١].

عبد الله بن عمرو

ابن عثمان بن عفان، المُطْرَف.

أمه حفصة بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب، وأمها صَفيَّة بنت أبي عُبيد بن مسعود الثقفي، وأمها عاتكة بنت أَسِيد بن أبي العِيص، وأمها زينب بنت أبي عمرو بن أمية[٢].

وحكى ابن عساكر أن أُمَّ المِطْرَف: رَمْلة بنت معاوية بن أبي سفيان.

وعبد الله من الطبقة الثالثة من التابعين من أهل المدينة، ويقال له المِطرف لجماله وحُسنه، وفيه يقول موسى شَهَوات: [من الخفيف]

ليس فيما بدا لنا منك عَيبٌ عابه الناس غيرَ أنَك فانِ
أنت خيرُ المتاع لو كنتَ تبقى غير أنْ لا بقاءَ للإنسانِ

وقال جميل لبُثينة: ما رأيتُ عبد الله بن عَمرو يَخطر بالبلاط إلا غرتُ عليك وأنت بالجَنَاب.

قال ابن عساكر: كان ثابت بن عبد الله بن الزبير إذا وَفد على عبد الملك بن مروان نهى بني أمية عن كلامه، فخرج ثابت يوماً من عنده، فمرّ بعبد الله بن عمرو بن عثمان، وهو جالس في نَفَرٍ من أهل الشام، فجعل ثابت يتصفّح وجوهَهم، فقال له عبد الله: إلام تنظر؟ فهؤلاء قتلَةُ أبيك، فقال ثابت: لكن أبوك ما قتله إلا حَمَلَةُ القرآن.

وكان عبد الله مُمَدَّحاً؛ مدحه الفرزدق وغيره، وتوفي بمصر سنة ست وتسعين[٣].

ذكر أولاده:

فولد عبد الله: خالداً، وعبد الله، وعائشة؛ تزوجها سليمان بن عبد الملك فولدت له، وأمهم أسماء بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وأمها أم الحسن بنت الزبير ابن العوام. وأمها أسماء بنت أبي بكر الصديق رضوان الله عليهما.

---

(١) «تاريخ دمشق» ٣٢/ ٩٢ . وقوله: خَلَّها أي: جمعَ أطرافَها بخِلالٍ؛ من عُودٍ أو حديد.
(٢) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٣٩٧ .
(٣) «تاريخ دمشق» ٣٧/ ١٩٣ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، وانظر «أنساب الأشراف» ٥/ ٢٦٠ .

وعبد العزيز، وأمية، وأم عبد الله؛ تزوجها الوليد بن عبد الملك فولدت له، وأم عثمان، وأمهم أم عبد العزيز بنت عبد الله بن خالد بن أَسِيد بن أبي العِيص.

وعمرو، وأم سعيد؛ تزوجها يزيد بن عبد الملك فولدت له، وأمهما أم عمرو بنت أبان بن عثمان.

ومحمداً وهو الدِّيباج، والقاسم، ورُقيَّة؛ تزوجها هشام بن عبد الملك، وأمهم فاطمة بنت الحسين بن علي، وأمها أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله.

ومحمداً الأكبر وهو الحازوق لأم ولد.

وأم عبد العزيز، تزوّجها الوليد بن يزيد بن عبد الملك فولدت له، وأمها الحَلال بنت بُخَيت بن عبد الرحمن بن الأسود بن أبي البَخْتَرِيّ من بني أسد بن عبد العُزَّى[1].

وقد اتّفق لعبد الله بن عمرو ما لم يتفق لغيره، زوّج لخمسة من الخلفاء خمساً من بناته.

ذكر أعيان أولاده:

أما خالد بن عبد الله فكان من نُبلاء قريش وأشرافها، ووفد على يزيد بن عبد الملك، فخطب إليه يزيد أُختَه، فقال له: إن عبد الله بن عمرو بن عثمان أبي قد سنَّ لبناته عشرين ألف دينار، فإن أعطيتَنيها زوَّجُتك، فقال له يزيد: ما ترانا أكفاء إلا بالمال؟ قال: بلى والله إنكم لبنو عمِّنا، قال: إني لأظنك لو خطب إليك رجل من قريش لزوجتَه بأقلّ مما ذكرتَ من المال، قال: إي لَعَمري؛ لأنها تكون عنده مالكة، وهي عندكم مملوكة مقهورة، فأمر بأن يُحمل إلى المدينة على بعير [ثم] يُنْخَس به، وكتب إلى عامله عبد الرحمن بن الضَّحَّاك بن قيس الفِهري أن وَكِّلْ بخالد كلَّ يوم مَن يحمله إلى الكتَّاب، ثم إلى شَيبة القارىء يقرأ عليه القرآن، وأظهِرْ أنه سفيه يكون مع الصبيان، فلما قرأ على شَيبة قال: أجهل من هذا مَن بعثه يقرأ عليّ، والله ما قرأ عليّ أحدٌ مثله.

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٣٩٧ـ٣٩٨.

واختلفوا في مماته على أقوال؛ أحدها: أنه لما حُمل إلى الكتَّاب أقام أياماً ومات كَمَداً.

والثاني: ضربه الفِهري حتى مات.

والثالث: أنه عاش إلى أيام هشام بن عبد الملك، ووفد عليه مع أخيه محمد الملقَّب بالدِّيباج ومع عبد الله بن حسن بن حسن، فأمر هشام حاجبَه أن يبدأ بالإذن لمحمد قبل خالد، ودخل خالد فقال لهشام: يا أمير المؤمنين، أتأذن لأخي محمد قبلي وأنا أسنُّ منه؟! فقال هشام: إنما قدَّمتُه عليك لأن رسول الله ﷺ وَلَده، فقال خالد: فهذا عبد الله بن حسن بن حسن قد وَلده رسول الله ﷺ مرَّتين ولم تأذن له؟ فقال هشام لحاجبه: ابدأ بالإذن لعبد الله بن حسن، ثم لمحمد، ثم لخالد[١].

ومعنى ولده مرتين: أن عبد الله بن حسن بن حسن أمه فاطمة بنت الحسين، وأبوه حسن بن حسن بن علي. والديباج أمُّه فاطمة بنت الحسين.

وأما القاسم بن عبد الله المُطْرَف فكان شديد النَّفْس، بعث إليه هشام بن عبد الملك وهو خليفة يخطب ابنته على ابن هشام، [فأبى أن يزوجه، ومات في خلافة هشام] فزوّج ابنَه ابنةَ القاسم[٢].

أسند عبد الله المطرف عن: [عبد الله بن] عمر، وابن العباس، والحسين بن علي رضي الله عنهم، وأبيه عمرو بن عثمان وغيرهم.

وروى عنه أبو بكر بن محمد بن عمر بن حَزْم، وهشام بن سعد، وابنه محمد الدِّيباج في آخرين[٣].

قال يزيد بن عِياض: خرج الحسن بن الحسن بن علي وعبد الله بن عمرو بن عثمان إلى الصحراء، فأخذتهما السماء، فأويا إلى سَرحة، فكتب الحسن بن الحسن على السَّرْحة: [من الخفيف]

---

(١) «أنساب الأشراف» ٥/ ٢٦٢-٢٦٣، و«تاريخ دمشق» ٥/ ٤٨٤-٤٨٥ (مخطوط)، وما بين معكوفين منهما.

(٢) «أنساب الأشراف» ٥/ ٢٦٢، وما بين معكوفين منه.

(٣) «تهذيب الكمال» (٣٤٣٩)، وما بين معكوفين منه.

خَبِّرينا خُصِصْتِ يا سَرْحُ بالغيـ ـثِ بصِدقٍ والصِّدقُ فيه شِفاءُ
هل يموتُ المُحبُّ من لاعجِ الشَّو قِ ويشفي من الحبيبِ اللقاءُ

وكتب عبد الله بن عمرو: [من الخفيف]

إن جَهْلاً سؤالك السَّرْحَ عما ليس فيه على اللبيبِ خَفاءُ
ليس للعاشقِ المحبِّ من الحـ ـب سوى لذَّةِ اللّقاءِ شِفاءُ[1]

عبد الرحمن بن أبي بَكْرة

من الطبقة الثانية من التابعين من أهل البصرة، وهو أول مولود وُلد بالبصرة، فنحروا يومئذ جَزوراً، فأطعم أهل البصرة فكفاهم، وكانوا قدر ثلاث مئة، وكان ثقة له أحاديث ورواية، وأمُّه هَوْلَة بنت غَليظ من بني عِجْل، وتوفي وله عقب[2].

وكنيته أبو بَحْر، وقيل: أبو حاتم، أدرك فتح تُسْتَر، ورأى عمر بن الخطاب رضوان الله عليه، وكان قد خرج مع ابن الأشعث، ومات سنة ستّ وتسعين، وصلى عليه الجرَّاح بالرَّحبة وهو ابن اثنتين وثمانين سنة.

أسند عن علي، وعبد الله بن عمرو، وأبيه أبي بَكْرة ﷺ.

وروى عنه ابن سيرين، وعبد الملك بن عُمَير، وخالد بن مِهران وغيرهم[3].

قُتَيبة بن مسلم

ابن عمرو بن حُصَين بن أَسيد بن زيد بن قُضاعة الباهليّ[4]، من التابعين، وكنيته أبو صالح[5].

---

(١) «تاريخ دمشق» ٣٧/ ١٩٨ـ١٩٩.

(٢) «طبقات ابن سعد» ٩/ ١٨٩.

(٣) «تاريخ دمشق» ٤٢/ ٥٧، ٥٩، ٦٥، وانظر السير ٤/ ٣١٩.

(٤) «المعارف» ٤٠٦. ونسبه كاملاً في «أنساب الأشراف» ١٢/ ١٩٤، و«جمهرة أنساب العرب» ٢٤٦، و«وفيات الأعيان» ٤/ ٨٦: قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين بن ربيعة بن خالد بن أسيد الخير بن قضاعي بن هلال.

(٥) هذه كنية أبيه مسلم بن عمرو، أما كنية قتيبة فهي أبو حفص، انظر «المعارف»، و«وفيات الأعيان»، و«المنتظم» ٧/ ٢٢، و«السير» ٤/ ٤١٠.

وكان من أكابر أمراء بني أمية، ولّاه الحجاج خُراسان، وكان شديد الوطأة على الكفار، وعبر النَّهر مراراً، وفتح الفتوحات: بُخارى، وسَمَرْقَند، وكاشْغَر، وبلاد التُّرك، والهند، والسِّند، وفَرْغانة، والشاش، ووصل إلى الصين، ولم يفتح أحد من الأمراء ما فتح، ولم يبلغ ما بلغ.

وكان جواداً، مُمَدَّحاً، شجاعاً، مِقداماً، مُدَبِّراً للأمور، عارفاً بالحرب والسياسة، صاحب همَّة وعَزيمة، وفيه يقول الشاعر: [من المتقارب]

إذا ما قُريشٌ خلا مُلكُها فإنَّ الخلافةَ في باهِلَهْ
لِرَبِّ الحَرونِ أبي صالحٍ وناهيك بالسُّنَّةِ العادِلَهْ[1]

وأقام والياً على المشرق ثلاث عشرة سنة، وكان قد اتّفق هو وأصحابه والحجاج على خلع سليمان، فلما مات الحجاج سُقط في يده، فلما مات الوليد خاف أن يَعزله سليمان ويولِّي يزيد بن المهلَّب خُراسان، فألجأه ذلك إلى العِصيان، وكان قد استوحش منه.

ذكر مقتله:

لما أتاه الخبر بموت الوليد وقيام سليمان أشفق لما كان يسعى فيه من بيعة عبد العزيز، فكتب إلى سليمان ثلاثة كتب؛ كتاباً يهنِّئه فيه بالخلافة، ويُعزّيه في الوليد، ويُعلمه بلاءه وطاعته لعبد الملك وللوليد، وأنه له مثل ما كان لهما إن لم يَعزله عن خراسان.

وفي الكتاب الثاني يُخبره فيه بفتوحه ونِكايته، وعِظَم قدره عند ملوك العجم، وهيبته في صدورهم، ويَذُمُّ فيه آل المهلَّب، ويحلف بالله لئن استعمل يزيد على خراسان لَيَخْلَعَنّه.

وفي الكتاب الثالث خَلْعه.

(١) البيتان في «نسب الخيل» لابن الكلبي ٦٤ ، والمعارف ٤٠٦ ، والصحاح (حرن) ٥/ ٢٠٩٧ ، و«أنساب الأشراف» ١٢/ ٢٠٢ .

وبعث بالكتب مع رجل من باهِلة، وقال له: ادفع إليه هذا الكتاب، فإن كان يزيد بن المُهلَّب حاضراً فقرأه ثم ألقاه إليه فادفع إليه الكتاب الثاني، فإن قرأه ثم ألقاه إلى يزيد فادفع إليه الثالث. وإن قرأ الأول ولم يدفعه إلى يزيد فاحبس الكتابين الآخرين.

فقدم رسول قُتيبة على سليمان وعنده يزيد بن المهلب، فدفع إليه الكتاب فقرأه، ثم ألقاه إلى يزيد، فدفع إليه الثاني فقرأه، ثم ألقى به إلى يزيد، ثم أعطاه الثالث فقرأه، فتمعَّر لونُه، ثم دعا بطِين، ثم ختمه بيده، ثم أمسكه، وأمر بإنزال الباهليّ، وأحسن نُزُلَه.

فلما كان في الليل دعاه سليمان، وأعطاه صُرَّة فيها دنانير وقال: هذه جائزتُك، وهذا عَهْدُ صاحبك على خُراسان، وبعث معه رجلاً من عبد القيس وقال: هذا رسولٌ معك ـ واسمه صَعْصَعَة، وقيل: مصعب ـ فلما كانا بحُلْوان تلقَّاهما الناس بخَلْعِ قتيبةَ سُليمان، فرجع العَبديّ، ودفع العهد إلى رسول قتيبة، فقدم على قتيبة بالعهد، فاستشار إخوته فقالوا: لا يَثِق بك بعدها أبداً.

وقال مقاتل: لما همَّ قُتيبة بخَلْع سليمان استشار إخوته، فقال له عبد الرحمن: اقطع بَعْثاً ووَجِّهْ فيه كلَّ مَن تخافُه، وسِرْ حتى تنزل سَمَرْقَند، ثم قل لمن معك: مَن أحبَّ المقام فله المواساة، ومَن أراد الانصراف فغير مُسْتَكره، فلا يُقيم معك إلا ناصح.

وقال له عبد الله: اخلعه مكانَك، وادْعُ الناس إلى خلْعه، فليس يختلف عليك اثنان، فأخذ برأي عبد الله فخلع سليمان، وأمر الناس بخلعه، ثم خطب فقال:

أيها الناس، إني قد جمعتكم من عَيْن التَّمْر وفَيْض البحر، فضَمَمتُ الولد إلى أبيه، والأخ إلى أخيه، وقسمتُ بينكم فَيئكم، وأجريتُ عليكم أعطياتكم غير مُكَدَّرة ولا مُؤَخَّرة، وقد جَرَّبتم الولاة قبلي، وَلِيكم أمية بن عبد الله، فكتب إلى عبد الملك: إن خراج خُراسان لا يُقيم بمطابخي[1]، ثم جاءكم أبو سعيد، فدوَّخ بكم البلادَ ثلاث سنين، لا تدرون في طاعة أنتم أم في معصية، ولم يَجْبِ فَيئاً، ولم يَنْكأ عدواً، ثم جاءكم بنوه بعده: يزيد وإخوته، ففعلوا ما فعلوا، وقد رأيتُ أن أخلع خليفتكم يزيد بن ثَرْوان هَبَنَّقة القَيسيّ. فلم يُجِبْه أحد.

---

(١) في الطبري ٦/ ٥٠٩: لا يقوم بمطبخي.

وهَبَنَّقَة لَقَبُ رجل يقال له: ذو الوَدَعات، واسمه: يزيد بن ثَرْوان، أحد بني قيس بن ثَعلبة، وكان يُضرب به المثل في الحُمْق، قال الشاعر: [من الخفيف]

عِشْ بجَدٍّ وكن هَبَنَّقَةَ القيسيَّ أو مثلَ شيبةَ بنِ الوليدِ

وكان هَبَنَّقَة يخصُّ سِمانَ الإبل بالمَرْعى، ويدع المهازيل تموت جوعاً، ويقول: أنا لا أُصلح ما أفسده الله، ولا أُفسد ما أصلح، فنسب إلى الحُمق[1]، وكان سليمان يُعطي أهلَ الشرف واليسار، ولا يصطنع خاملاً، ولا يرفع خسيسةً فنُسب إلى هَبَنَّقَة.

ولما خلع قتيبةُ سليمان ولم يجبه أحد غضب وقال: لا أعزَّ الله مَن نصرتُم، والله لو اجتمعتم على عَنْز ما كسرتم قرنها، يا أهل السافلة، ولا أقول: يا أهل العالية، يا أوباش الصَّدقة، جمعتكم كما تُجمع إبل الصدقة من كلِّ أَوْب، يا معاشر بكر بن وائل، يا أهل النَّفْخ والكذب والبُخل، بأيِّ يومَيكم تفخرون، بيوم حربكم، أم بيوم سِلمكم؟ فوالله لأنا أعزُّ منكم يا أصحاب مُسَيْلمة، يا بني ذَميم، ولا أقول: يا بني تميم، يا أهل الخَوَر والقَصف والغَدْر، كنتم تُسمُّون الغَدْر في الجاهلية كَيْسان، يا معاشر عبد القيس القُساة، تبدَّلتُم بأَبْر النَّخل أعنَّةَ الخيل، يا معاشر الأزْد، تبدَّلتُم بقُلوس السُّفُن أعنَّةَ الخيل، يا معاشر الأعراب وما الأعراب! لعن الله الأعراب، يا كُناسةَ المِصْرَين، جمعتُكم من منابت الشِّيح والقَيصوم والقِلْقِل، تركبون البقر والحمير في جزيرة ابن كاوان، حتى إذا جمعتُكم قلتم كَيْتَ وكيت، أما والله لأَعْصِبَنَّكم عَصْبَ السَّلَمَة.

يا أهل خراسان، هل تدرون مَن وَلِيُّكم؟! وليُّكم أبو نافع هَبَنَّقَة، وكأني به قد بعث إليكم مَن يغلبكم على فَيْئكم وفتوحكم، وقد فتح الله لكم البلاد، وذَلّل لكم العباد، وآمن سُبُلَكم، فالظَّعِينة تخرج من بَلْخ إلى مَرْو بغير جواز، فاحمدوا الله على النعمة، وسَلوه الشُّكرَ والمزيد... وذكر كلاماً طويلاً.

ونزل وقد أَوْغَر الصُّدور، وأفسد النيّات، فاجتمع أهلُ بيته إليه وقالوا: ما رأينا كاليوم قط، ما اقتصرتَ على أهل العالية وهم شِعارك ودِثارُك، حتى تناولتَ بَكْراً وهم

---

(١) انظر «الدرة الفاخرة» ١٣٥، و«جمهرة الأمثال» ١/ ٣٨٥، و«المستقصى» ١/ ٨٥، و«مجمع الأمثال» ١/ ٢١٧.

أنصارك، ثم لم ترضَ حتى تناولتَ تَميماً وهم إخوتُك، ثم لم ترض حتى تناولتَ الأَزْد وهم يدك، فقال: لما تكلمتُ ولم يُجبني أحد غضبتُ فلم أدْرِ ما أقول، إن أهل العالية كإبلِ الصَّدَقة قد جُمعت من كلّ أَوْب، وأما بَكْر فإنها لا تَمنَعُ يدَ لامِس، وأما تميم فجملٌ أجْرَب، وأما الأَزْد فأعلاج، شِرارُ خلقِ الله، لو مَلَكتُ أمرَهم لوَسَمْتُهم، وأما عبد القَيْس فكما يضرب البعير بذَنَبه.

فغضب الناس، وكرهوا خَلْعَ سليمان، وغضبت القبائل من شَتْمِ قتيبة لهم، فأجمعوا على خلافِه وخَلْعِه، فكان أول من سعى في ذلك الأزد، فأتوا حُضَين بن المنذر وقالوا: إن هذا قد دعا إلى ما دعا إليه من خَلْع الخليفة، وفيه من فساد الدين ما قد علمت والدنيا، ثم لم يَقْنَع بذلك حتى شَتَمنا وقال ما قال، فما ترى يا أبا حفص؟ ـ وقيل: يا أبا ساسان ـ فقال: إن جعلتم هذه الرِّياسة في بني تميم تَمَّ أمرُكم؛ فإن تميماً فرسان خراسان، ولا يَرضَون أن يصير الأمر في غير مُضَر، فإن أخرجتموهم من الأمر أعانوا قتيبة، قالوا: فإنه قد وَتَر بني تميم بقتله ابنَ الأَهْتَم! فقال: لا تنظروا إلى هذا فإنهم يتعصَّبون للمُضَرِيّة، قالوا: نحن نُولِّيك الأمر، قال: لا ناقةَ لي في هذا ولا جمل، قالوا: فأَشِرْ علينا، فقال: ما أرى له أحداً غير وكيع بن [أبي] سُوْد الحَنْظَليّ؛ فإنه مِقدام لا يُبالي بما يفعل، ولا ينظر في عاقبة، وله عشيرة، وقد وَتَره قتيبة بصَرْفِه عن رياسته التي صرفها عنه وصيَّرها في غيره[1].

فاتفقوا مع وكيع على قتال قتيبة، وبخراسان يومئذٍ من المقاتلة من أهل البصرة ومن أهل العالية تسعة آلاف، وبكر سبعة آلاف، ورئيسهم الحُضَين بن المنذر، وتميم عشرة آلاف عليهم ضرار بن حُصَين الضَّبيّ، وعبد القيس أربعة آلاف عليهم عبد الله بن عُلْوان، والأَزْد عشرة آلاف عليهم جَهم بن زَحْر بن قيس، ومن الموالي سبعة آلاف وعليهم حيّان مولى بني شيبان، فكانوا سبعة وأربعين ألفاً.

وأتى ضرار بن حُصَين مُقدَّم بني تميم إلى قتيبة فقال: إن الناس يختلفون إلى وكيع يبايعونه، وبلغ وكيعاً فقال لقتيبة: احذر ضراراً فإني لا آمنه عليك، وتَمارض وكيع،

---

(١) في الطبري ٦/ ٥١١ أن قائل ذلك حيان مولى بني شيبان.

فدسّ قتيبة ضرار بن سنان الضَّبِّي إلى وكيع فبايعه سرّاً، فحينئذٍ علم قتيبة صِدق ضِرار ابن حُصَين فقال له: قد تيقَّنتُ صِدقَ مقالتك.

وأرسل قتيبة إلى وكيع يستدعيه، فتعلّل عليه بمرضه، فقال قتيبة لشرَيك بن الصَّامت الباهلي صاحب شُرطته: اذهب فأتني به، فإن تعلَّل فاضرب عُنقه، وسبق الخبر إلى وكيع، فنادى في الناس، وخرج وهو يقول: [من الرجز]

لَبِّث قليلاً تَلحق الكتائب

واجتمع إليه الناس، وأقبلت الرّايات والكتائب، فأحدقوا بوكيع.

واجتمع إلى قتيبة أهلُه وخواصُّه وثقاتُه، وقال قتيبة لرجل من أصحابه: نادِ: أين بنو عامر؟ فناداه مِحْفَن بن جَزْء الكِلابيّ - وقد كان قتيبة جفاهم: حيث وضعتَهم، فقال قتيبة: نادِ: أُذكّركم اللهَ والرَّحِمَ، فقال محفن: أنت قطعتها، فقال: نادِ: لكم العُتبى، فقال محفن: لا أقالَنا الله إذاً، فقال قتيبة:

يا نفسُ [صَبْراً] على ما كان من أَلَمٍ إذْ لم أجِدْ لفُضول القومِ أَقْرانا

ثم دعا بعمامة كان يتعمَّم بها في الحروب، وبفرس يقال له: مدرب[1] كان يَعدُّه للشدائد، فقدَّموه إليه، فلم يمكنه من ركوبه، وجعل يَشمس حتى أعياه، فقال: دعوه فهذا أمر يُراد، ثم عاد إلى سريره فجلس عليه.

وتهايج الناس، وأقبل عبد الرحمن، وصالح، وعبد الله، وعبد الكريم بنو مُسلم فحملوا على الناس، وحمل عليهم الناس فقتلوهم، وقتلوا ابنَ قتيبة واسمه كثير، وعامّة أهل بيته، ووصلوا إليه وهو جالس على سريره عند فُسطاطه، فقاتل حتى أُثخن جِراحاً.

ثم هجموا عليه، فنزل جَهْم بنُ زَحْر بن قيس الجُعفيّ فحزَّ رأسه وقال: [من الرجز]

مَن يَنِكِ العَيْرَ يَنِكْ نَيَّاكا

ونجا ضرار بن مُسلم استنقذه أخواله، وأمُّه غَرَّاء بنت ضِرار بن القعقاع بن مَعْبد بن زُرارة، وفي ذلك يقول الفرزدق من أبيات: [من الطويل]

---

(١) في الطبري ٦/ ٥١٥: ودعا ببرذون له مُدرَّب، وما سلف بين معكوفين في الشعر منه.

ومنَّا الذي سلَّ السيوفَ وشامَها عَشيَّةَ بابِ القَصْرِ من فَرَغانِ
عَشيَّةَ ما وَدَّ ابنُ غَرَّاءَ أنه له من سِوانا إذ دعا أَبَوانِ[1]

قال أبو عبيدة: قُتل من بني مسلم أحدَ عشر رجلاً، فصلبهم وكيع، سبعة منهم لصُلْب مسلم، وأربعة من أبنائهم: قتيبة، وعبد الرحمن، وعبد الله الفَقير، وعبيد الله، وصالح، وبشار، ومحمد بنو مسلم، وكَثير بن قتيبة، ومُغَلِّس بن عبد الرحمن، ولم ينجُ من صُلْب مسلم غير عمرو، كان عاملاً على الجُوزجان، وضرار.

ولما احتزَّ جَهْم بن زَحْر رأس قتيبة قال الحُضَين بن المنذر ـ وكان ابن سعد قد ساعد [ابن] زَحْر: [من الطويل]

وإن ابنَ سعدٍ وابنَ زَحْرٍ تعاورا بسيفيهما رأسَ الهُمامِ المُتَوَّجِ

ولما قُتل يزيد بنُ المهلَّب، وحُبِس عمالُه؛ كان فيهم جَهْم بن زَحْر، فولي عذابَه رجلٌ من باهِلة، فقيل له: هذا قاتلُ قتيبة، فبسط عليه العذاب حتى قتله.

ووقعت على قتيبة يوم قُتل جاريةٌ خُوارزميّة، فلما قُتل أُخذت، فوصلت بعد ذلك إلى يزيد بن المهلَّب، فأولدها خُلَيْدَة.

ولما قُتل قتيبة قال وكيع: مَثلي ومثل قُتيبة كما قيل: [من الرجز]

مَن يَنِكِ العَيْرَ يَنِكْ نَيَّاكا

أراد قتيبة أن يقتلني فقتلتُه، أنا أبو المُطَرِّف، وصعد المنبر وأنشد: [من البسيط]

أنا ابنُ خِنْدِفَ تَنميني قبائلُها للصالحاتِ وعمِّي قيسُ عَيلانا

ثم قال: والله لأُقتِّلَن، ثم لأُصلِّبَنّ، وطلب رأسَ قتيبة وخاتمه، فقيل: هو مع الأزد، فقال: والله لا أبرح حتى أوتى بالرأس أو يذهب رأسي، فجاؤوه به، فبعث بالرأس مع سَليط بن عبد الكريم الحَنَفيّ ورؤوس أهله إلى سليمان بن عبد الملك، فلما وُضعت بين يدي سليمان قال: ما أردتُ هذا كلَّه، ثم سأله خُرَيم بن عمرو والقعقاع بن خُلَيد في مواراتهم فأذن في ذلك.

---

(١) «ديوان الفرزدق» ٢/ ٣٣١ـ٣٣٢، و«تاريخ الطبري» ٦/ ٥١٦، ٥٢٠.

وقال رجل من العَجَم من أهل خراسان لما قُتل قتيبة: يا معشر العرب، قتلتم قتيبة؟! والله لوكان منا فمات فينا لجعلناه في تابوت، واستفتحنا به غزونا، واستسقينا به إذا قُحِطنا.

وقال الإصبهبذ لرجل: يا معاشر العرب، قتلتم قتيبة ويزيد وهما سيّدا العرب؟! فقال: فأيُّهما كان أعظم عندكم وأهيب؟ قال: لو كان قتيبة بأقصى جُحْرٍ بالمغرب مُكبَّلاً بالحديد، ويزيد معنا والٍ علينا؛ لكان قتيبة أعظم هيبةً في صدورنا من يزيد.

وقال الفرزدق من أبيات: [من الطويل]

أتاني ورَحْلي بالمدينة وَقعَةٌ ... لآل تميمٍ أقعدتْ كلَّ قائم

وقال الطِّرِمَّاح في هذه الوقعة: [من الكامل]

لولا فوارسُ مَذْحِجَ ابنةَ مَذْحِجٍ ... والأزْدِ زُعزِعَ واستُبيحَ العَسْكَرُ
وتقطَّعتْ بهم البلادُ ولم يَؤُب ... منهم إلى أهلِ العراق مُخَبِّرُ
واستَطْلَقَتْ عُقَدُ الجماعةِ وازدُري ... أمرُ الخليفة واستُحِلَّ المنكَرُ
قومٌ هم قتلوا قتيبةَ عَنْوةً ... والخيلُ جانحةٌ عليها العِثْيَرُ
بالمَرْجِ مرجِ الصّين حيث تَبيَّنَتْ ... مُضَرُ العراق مَن الأعزُّ الأكثرُ
إذ حَالفتْ جَزَعاً ربيعةُ كلُّها ... وتفرَّقتْ مُضَرٌ ومَن يَتَمَضَّرُ
وتقدَّمتْ أزدُ العِراق ومَذْحِجٌ ... للموت يَجمعها أبوها الأكبرُ
فبعِزِّنا نُصِرَ النبيُّ محمدٌ ... وبنا تَثَبَّتَ في دمشقَ المِنبرُ
قحطانُ تضربُ رأسَ كلِّ غَضَنْفَرٍ ... بالسَّيف يَقدَمُهنَّ موتٌ أحمرُ[1]

ذكر أولاد قُتيبة:

وهم سَلْم، وإبراهيم، وقَطَن، وكثير، والحجاج، وعبد الرحمن، ومسلم، ويوسف، وعمرو.

فأما سَلْم فولي البصرة مرتين؛ مرةً لابن هُبَيرة، ومرةً لأبي جعفر المنصور، وكان سيّدَ قومه، ومات بالرّي، وكنيته أبو قتيبة، وكان له أولاد: سعيد، وإبراهيم، وقطن، و[عمرو] بنو سَلْم.

---

(١) «تاريخ الطبري» ٦/ ٥١٩-٥٢١، و«ديوان الطرماح» ٢٤٨-٢٥٢.

فأما سعيد بن سلم فولي أرمينية، والموصل، والسّند، وطبرستان، والجزيرة، وله عَقِب كثير.

وأما إبراهيم بن سَلْم فولي اليمن لموسى الهادي.

وأما عمرو بن سلم فولي الرّي، وبَلْخ.

وأما قطن بن سلم فولي سَمَرْقند وغيرها من كُور خُراسان، وله بها عَقِب[١]، وأما كثير بن قتيبة فولي سِجستان، وقُتل مع أبيه.

ذكر إخوة قتيبة:

وهم عبد الرحمن، وعبد الله، وصالح، وحصين، وعبد الكريم، وضِرار، وبشار، وزياد، وحمّاد، وزُرَيق، وعمرو، ومَعْبد، وكلهم أشراف سادات أجواد، وكان سيدهم بشار حتى بَسَق عليه قتيبة، وهو صاحب نهر بشار[٢].

وقال ابن عساكر: أسند قتيبة عن أبي سعيد الخدري، والشعبي.

محمود بن لَبيد

ابن عُقبة بن رافع بن امرىء القيس الأنصاري.

من الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة، وأمُّه أم مَنظور بنت محمود بن مَسْلَمة، من الأوس.

وُلد محمود بن لبيد في زمن رسول الله ﷺ، وأبوه من الصحابة، وفي أبيه جاءت رُخصة الإطعام لمن لا يَقدر على الصيام.

---

(١) كذا وقع هنا وفي «الوافي بالوفيات» ٢٤/ ١٩٨ من عدّ قطن في أبناء سَلْم بن قتيبة، وهو خطأ صوابه: قطن ابن قتيبة بن مسلم كما في «المعارف» ٤٠٧ ، وقد ذكر الطبري ٧/ ٨١ في حوادث سنة (١٠٢هـ) أن قطن بن قتيبة كان على بخارى لما قصده خاقان.

هذا، وقد ذكر ابن عساكر في تاريخه ٥٩/ ٤٣ قطن بن سلم بن قتيبة، فلم يذكر له ولاية، واكتفى من ترجمته بقوله: كان مضموماً إلى عبيد الله بن مروان بن الحكم بن أبي العاص، فلم يزل معه في العسكر حتى قتل مروان بن محمد.

(٢) «المعارف» ٤٠٦ .

وتوفي بالمدينة سنة ست وتسعين، وقد سمع محمود من عمر بن الخطاب رضوان الله عليه، وكان ثقةً قليلَ الحديث، وكان له عقب فانقرضوا[١].

[وفيها توفي

يزيد بن مَرْثَد الهَمْداني

قال ابن عساكر: أراد الوليد أن يولِّيه القضاء، فلبس فَروة مقلوبة، وأخذ بيده رغيفاً وقطعة لحم، وخرج حافياً وعلى رأسه قلنسوة طويلة، وجعل يمشي في الأسواق ويأكل، فبلغ الوليد، فظن أنه قد اختلط فتركه، وإنما فعل ذلك ليتخلَّص منه.

ويزيد بن مرثد من صنعاء دمشق، وصنعاء الشام كانت على الشَّرف القِبلي من دمشق، ومكانها اليوم مسجد خاتون، وقد دَرَست.

وقال ابن عساكر: كان يزيد بن مَرثد من الصالحين البكّائين، قال له رجل: ما يُبكيك يا بن مَرثد؟ قال: ما سؤالك عن هذا؟ قال: لعل الله أن ينفعني به، فقال: والله لو تواعدني أن يحبسني في حمَّام إن أنا عصيتُه لقد كان ينبغي أن لا تجف لي دمعة، فكيف وقد تواعدني أن يحبسني في نار جهنم! قال: فأنت في خلواتك كذا؟ فقال: والله إني لأكون في خلوتي مع أهلي، فأريد أن أصيب منها، فأذكر حالي فأمتنع من ذلك، ويغلبني البكاء، وكذا عند الطعام، فتقول امرأتي: ماذا بُليت به معك من بين نساء المسلمين؟! وتبكي ويبكون صبياننا ولا يدرون ما بنا، رحمه الله تعالى[٢].]

الوليد بن عبد الملك

ابن مروان، وكنيته أبو العباس، من الطبقة الثالثة من أهل الشام، رأى سَهْل بن سعد السَّاعِديّ، وابنَ المسيب، وابن سيرين.

وكان عند أهل الشام أفضل خلفائهم، بنى المساجد والجوامع، وجامع دمشق، ومسجد المدينة، وهو أول من اتّخذ دار الضيافة للقادمين، وبنى المارستانات

(١) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٨٠.

(٢) هذه الترجمة من (ص) وهنا جاء موضعها، وانظر «حلية الأولياء» ٥/ ١٦٤، و«تاريخ دمشق» ١٨/ ٣٧٩-٣٨١ (مخطوط)، و«المنتظم» ٦/ ٢٩١ (وفيات سنة ٨٩هـ)، و«تهذيب الكمال» ٣٢/ ٢٣٩.

للمرضى، وساق المياه إلى مكة والمدينة، وبنى الأعلام في المفاوز، وغزا أرض الروم سنة سبع وثمانين وسبع وسبعين، ووضع المنابر في الأمصار، وفرض للجَذْمَى والأضِرَّاء، وأعطى كل ضرير قائداً، ومنع الفقراء أن يسألوا الناس، وكانت في أيامه فتوحات عظيمة: فتح قتيبة بن مسلم من مرو إلى مَطْلع عين الشمس، ومحمد بن القاسم بلاد الهند، وجاوز طليطلة[1]، وأذل الكفار.

والوليد أول من كتب في الطَّوامير، وعظَّم الكتب، وقد كان رسول الله ﷺ والخلفاء بعده يكتبون: من فلان بن فلان، إلى فلان بن فلان، سلام عليك، أما بعد، وكذا فعل بنو أمية، فلما قدم الوليد غيّر ذلك، وأمر أن يُفَخَّم ويُعظَّم في كتبه.

ولما مات الوليد أقام سليمان على ذلك، فلما قام عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه غيّر ذلك، وفعل كما كان يفعل رسول الله ﷺ والخلفاء بعده، فلما ولي يزيد بن عبد الملك ردَّها إلى ما كانت عليه في أيام الوليد بن عبد الملك؛ حتى قام يزيد الناقص يغير الحال إلى ما سنّه الوليد بن عبد الملك وإلى هلم جرّا.

وقال الواقدي: حج الوليد بن عبد الملك في سنة إحدى وتسعين في خلافته، ونزل بدار مروان، فأحسن إلى أهل المدينة ووصلهم، وسأل عمن بقي من الصحابة فقيل: سهل بن سعد، فأرسل إليه، فلما دخل عليه رحَّب به وأكرمه وأعطاه مئة دينار[2].

وقال هشام بن محمد: كان الوليد صاحب بناء واتّخاذ للمصانع، وأجرى المياه، فكان الناس يلتقون في زمانه، فيقول بعضهم لبعض: ماذا بنيت؟ ماذا جدَّدت؟ فولي سليمان فكان صاحب طعام ونكاح، فكان الناس يسأل بعضهم بعضاً عن التزويج والطعام، فلما قام عمر بن عبد العزيز كان صاحب نُسُك وعبادة، فكانوا يلتقون فيقول الرجل للرجل: ما وِردك الليلة، وكم تحفظ من القرآن، ومتى ختمتَ، وما تصوم من كل شهر، ومتى تختم القرآن؟ ونحو ذلك[3].

---

(١) الذي فتح بلاد الأندلس وجاوز طليطلة موسى بن نصير، فلعل في النص سقطاً. انظر «تاريخ الطبري» ٦/ ٤٩٦، و«المنتظم» ٦/ ٢٦٩.

(٢) في «تاريخ دمشق» ١٧/ ٨٤١ أن ذلك كان سنة (٧٨هـ) وأن الوليد كان فيها ولي عهد.

(٣) «المنتظم» ٦/ ٢٦٨-٢٦٩، و«أنساب الأشراف» ٧/ ١٣.

وقال عمر بن شبَّة: جاءه رجل من بني مَخزوم، فسأله قضاءَ دَينه، فقال: أقرأت القرآن؟ قال: لا، فقال لرجل: علِّمه القرآن، فإذا علم قضينا دينَه[١]. وكان يعطي على قراءة القرآن.

وقال إبراهيم بن أبي عبلة: قال لي الوليد: في كم تختم القرآن؟ قلت: في كذا وكذا، فقال: لكن أمير المؤمنين على شغله يختمه في كل سبعة أيام، وفي رواية في كل ثلاثة أيام، وكان يختمه في رمضان سبع عشرة مرة، وكان عبد الملك يختمه في كل ثلاثة أيام[٢].

قال الهيثم: كان الوليد لُحَنة، وكان عبد الملك يحبه ولا يفارقه، فمنعه التأدُّب، ولم يُغربه إلى البادية، مع عادة بني أمية مع أبنائهم، فخطب يوماً وعبد الملك حاضر فلحن لحناً فاحشاً، فقال عبد الملك: أضرَّ حُبُّنا بالوليد.

قال ابن عساكر: خطب الوليد يوماً فقرأ: ﴿يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ﴾[الحاقة: ٢٧]، فرفع التاء من ليتها وهو يومئذٍ خليفة، فقال عمر بن عبد العزيز: [يا ليتها كانت] عليك وأراحنا الله منك[٣].

وقال أبو اليقظان: خطب الوليد يوماً فقال: من أمير المؤمنين علي، وقال: أنتم تروون أن النبي ﷺ قال في حق أبي تُراب: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» وإنما الحديث: أنت مني بمنزلة قارون من موسى، فلعنه كلُّ مَن حضر[٤].

وقال هشام: كان الوليد جباراً بطاشاً، وكانت في أيامه الزّلازل هدمت عامّة الحصون والبلاد، وكان مُغرى بالمسابقة بين الخيل، فإذا سُبق يتألَّم ويَعقِر خيلَ مَن يسبقه، فسابق يوماً بين أفراس له وبين فرس لخالد بن هشام بن عبد الملك[٥]، فسبق فرس خالد، فقال الوليد: لمن هذا الفرس؟ فقال خالد: هذا فرس أمير المؤمنين أهديتُه له البارحة، فقال: وصَلَ رَحِمَك الله، قد قبلنا هديَّتَك، وأعطاه عوض الفرس ألف دينار.

---

(١) «تاريخ الطبري» ٦/ ٤٩٦ ، و«أنساب الأشراف» ٧/ ٢١ .

(٢) «تاريخ دمشق» ١٧/ ٨٤٥ .

(٣) «تاريخ دمشق» ١٧/ ٨٤٦ . وما بين معكوفين منه .

(٤) ذكر نحو هذه القصة المزي في «تهذيب الكمال» في ترجمة حريز بن عثمان.

(٥) في «تاريخ دمشق» ٥/ ٥٦٩ (مخطوط) أنه خالد بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة.

وقال المدائني: جلس الوليد يوم جمعة على المنبر حتى اصفرَّت الشمس، فقام إليه رجل فقال: إن الوقت لا يَنتظرك، وإن الربّ لا يَعذرك، فقال: صدقت، ومَن قام فقال مثل مقالتك لا ينبغي أن يقوم، مَن ههنا من الحرس يقوم فيضرب عنقه[(١)]؟

وقيل له وقد فرَّ من الطاعون: إن الله يقول: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[الأحزاب: ١٦]، فقال: وذاك القليل يُطلب[(٢)].

ودخل بعض الخوارج على الوليد، فسبّه وسبَّ أباه وأهله، وكان عمر بن عبد العزيز عنده، فقال الوليد لعمر: ما ترى؟ فقال: أظنه مغلوباً على عقله، والعفو أقرب للتقوى، فقال الوليد لعمر: أنت حَرُورِيّ، فقال عمر للوليد: أمجنون أنت؟ وكان خالد ابن أبان[(٣)] صاحب شرطة الوليد واقفاً على رأسه، فاخترط السيف ظناً منه أن الوليد يأمره بقتل عمر، وقام الوليد مغضباً فدخل على أم البنين أخت عمر، فشكاه إليها وقال: إن أخاكِ لحروري أحمق، فقالت: يا وليد، أنت والله أهل لما قلت ووالله ما أسقط عمر سقطة منذ كان غلاماً، ثم قال عمر لخالد: ويلك لو أمرك بقتلي أكنت قاتلي؟ قال: إي والله، فقال عمر: أي أحمق، ما أجرأك على الله في طاعة مخلوق، ثم إن أم البَنين نفت خالداً إلى بلد آخر.

ذكر وفاة الوليد بن عبد الملك بن مروان[(٤)]:

اتفقوا على أنه توفي يوم السبت منتصف جمادى الآخرة سنة ست وتسعين، وإنما اختلفوا في مدّة ولايته؛ فقال الزهري: ولي عشر سنين إلا شهراً، وقال أبو مَعْشر: تسع سنين وسبعة أشهر، وقال الواقدي: تسع سنين وثمانية أشهر، وقال هشام بن محمد: ثمان سنين وستة أشهر.

---

(١) «العقد الفريد» ١/ ٥٣.

(٢) «البيان والتبيين» ٢/ ٢٠٣.

(٣) كذا، وصوابه: ابن الريان، كما في «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٨.

(٤) هذه الفقرة وردت في (خ، ب، د) مختصرة حتى شعر جرير، فأثبت نص (ص) وسياقه.

قلت: والعجب من هذا الخلاف وقد اتّفقوا على أنه ولي الخلافة يوم مات أبوه عبد الملك في شوال سنة ست وثمانين، ومات يوم السبت منتصف جمادى الآخرة، فتكون ولايته تسع سنين وثمانية أشهر وأياماً كما قال الواقدي.

واختلفوا في سنِّه؛ قال الواقدي: توفي وهو ابن ستّ وأربعين سنة وأشهر، وقال هشام بن محمد: توفي وهو ابن خمس وأربعين سنة، وقيل: ابن اثنتين وأربعين سنة، وقيل: جاوز الخمسين.

وكانت وفاته بدمشق بدير مُرَّان.

واختلفوا فيمن صلّى عليه؛ فقال الواقدي: عمر بن عبد العزيز، وقال هشام: ابنُه عبد العزيز بن الوليد، وكان سليمان غائباً بالرَّمْلَة، ودُفن في مقابر الباب الصغير، وقيل: بين باب الصغير وباب الجابية، وقيل: بباب الفَراديس[١].

وقد رثاه جماعة منهم جرير فقال: [من البسيط]

يا عينُ جُودي بدَمْعٍ هاجَه الذِّكَرُ ... فما لدمعِك بعد اليوم مُدَّخَرُ
إن الخليفةَ قد وارتْ شمائلَه ... غَبْراءُ مُلْحَدَةٌ في جَوفِها[٢] زَوَرُ
أضحى بَنوه وقد جلَّتْ مُصيبتُهم ... مثلَ النُّجوم هوى من بينها القَمَرُ
كانوا جميعاً فلم يَدفع منيَّتَه ... عبدُ العزيز ولا رَوْحٌ ولا عُمَرُ

كان له من الولد: العباس، وعبد العزيز، ومروان، وعَنْبَسة، ومحمد، وعائشة، أمهم أمُّ البَنين بنت عبد العزيز بن مروان[٣]، ويزيد وهو النّاقص، وإبراهيم، ولِيا الخلافة، وأمهما شاهفَرِيد بنت يَزْدَجِرد[٤]، وعمر، وأمه بُنانة كندية[٥] أم ولد، وأبو

---

(١) انظر «المعارف» ٣٥٩ ، و«تاريخ الطبري» ٦/ ٤٩٥ ، و«تاريخ دمشق» ١٧/ ٨٤٧ـ٨٥١ (مخطوط)، و«المنتظم» ٧/ ٢٣ ، و«السير» ٤/ ٣٤٨ .

(٢) في (ص): في حرفها، وفي ديوانه بشرح ابن حبيب ٢٤٢ ، والطبري ٦/ ٤٩٨ : جَوْلِها، وأجوال البئر: نواحيها.

(٣) لم يعد أحد العباس من أولاد أم البنين، وإنما ذهبوا إلى أن أمه نصرانية، انظر «نسب قريش» ١٦٥ ، و«أنساب الأشراف» ٦/ ٧ ، وجمهرة أنساب العرب» ٨٩ ، و«تاريخ الطبري» ٦/ ٤٩٦ ، و«العقد الفريد» ٤/ ٤٢٢ ، و «تاريخ دمشق» ٣٢/ ٢٦٨ ، و«المنتظم» ٦/ ٢٦٨ ، و«المعارف» ٣٥٩ .

(٤) في «جمهرة ابن حزم»: شاهفريد بنت كسرى بن فيروز بن يزدجرد بن شهريار ملك الفرس.

(٥) انظر «تاريخ دمشق» ٥٤/ ٢٨٦ ، ٢٨٧ .

عُبيدة لأم وَلَد فَزارية، وعبد الرحمن أمه أم عبد الله بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، ويحيى وتمَّام، ومَسرور، وبِشر، ورَوْح، وجَزْء، ومنصور، ومُبَشّر، وخالد[١]، وصَدَقة، لأمهات أولاد شتّى.

ذكر أعيانهم:

فأما العباس فكنيته أبو الحارث، وكان أكبر ولده، وبه كان يُكنى، ويُسمّى فارس بني مروان، وقيل: كنيته أبو الوليد.

كان جواداً مُمَدَّحاً، وفيه يقول جرير: [من البسيط]

إن النَّدى حالفَ العباس إن له   بيتَ المكارم يَنْمي جَدُّه صُعُدا[٢]

وتزوَّج ابنةَ قَطَري بن الفُجاءة الخارجي، فأولدها المؤمّل والحارث، وقيل: إنه لم يتزوّجها، بل أولدها على وجه السَّبْي، فلما ولي عمر بن عبد العزيز ﷺ قال له: خلٍّ سبيلَها وإلا رجمتك، فتركها.

[وقال ابن عساكر:] استعمله أبوه على حمص، فأقام بها حتى مات الوليد، وولّاه أبوه المغازي، فافتتح مدناً وحصوناً كثيرة في بلاد الروم، وكانت داره بدمشق بالخضراء[٣]، ويقال: إن أمَّه كانت نصرانية.

وكان علي بن عبد الله بن العباس، وعلي بن الحسين بن علي، وعلي بن عبد الله بن جعفر؛ إذا قَدموا على الوليد يقول للعباس: جالس عمومتك، فكان يجالسهم أحسن مجالسة، فقال علي بن عبد الله بن عباس: لو قيل لي: إن هذا الأمر لا يخرج من آل مروان، ثم قيل: اختر رجلاً، لاخترتُ العباس، فإني ما سمعتُ منه كلمة خَنا عند مجالسته قط، فقال له مولى للعباس: كيف تسمعها أنت وما سُمعت منه يوماً قط؟ وكان

---

(١) في (خ، ب، د): ومبشر وعتبة وخالد، ولم يذكر أولاده في (ص)، وذكر عتبة في أولاد الوليد خطأ، إنما هو عنبسة السالف، فلم يذكر أحد أن في أولاده عتبة، انظر المصادر قبل تعليقين.

(٢) «أنساب الأشراف» ٧/ ٩ ، ورواية الشطر الأول في شرح ديوان جرير ٣٩٥:

أُمّي النَّدى مِنْ جَدَا العباس إن له

وهي أجود وأعلا

(٣) في «تاريخ دمشق» ٣٢/ ٢٦٨ : وكانت داره بدمشق قبلة زقاق العجم ممايلي درب السلم والخضراء.

الوليد يُحبّه فأحسن تأديبَه، وكان في عزمه توليته الخلافة، وإنما مال إلى عبد العزيز لأجل أمه أُمّ البَنين.

وقال هشام: وفي سنة ثمان وثمانين كانت وقعة عظيمة للعباس ولمسلمة بن عبد الملك يوم الطُّوانة، قتل العباس بضعة وثمانين ألفاً من الرّوم[1]، وأسر أبناء الملوك والبَطارقة، فبلغت سُهمان المسلمين: مئة دينار، مئة دينار، وفي سنة تسعين بلغ العباس أَرْزَن من بلاد الروم وفي سنة ثلاث وتسعين افتتح طُوَيْس، والمرزبانين، ودَلَسَه، وكَاشْتَه، ودمنقة، ودُرْدُور، وله وقائع عظيمة.

وكان شاعراً، فلما أراد يزيد بن الوليد خلع الوليد بن يزيد لفساده[2] قال من أبيات:

يا قومَنا لا تَمَلُّوا نِعمةً لكم	إن الإله لكم فيما مضى صَنعُ
إن الكبير عليكم في ولايتكم	أن تُصْبِحوا وعَمودُ الدِّين مُنْصَدِعُ
فانفوا عدوَّكم عن نَحْتِ أَثْلَتكم	واستجمِعوا إن أمر الدِّين مُجتَمِعُ
لا تُلْحِمُنَّ ذئابَ الناسِ أنفسَكم	إن الذئاب إذا ما أُلْحِمَتْ رَتَعوا

مات العباس بحبس مروان بن محمد الجَعْدِيّ بَحرَّان، وأرسل الحديث عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، وروى عنه مَكْحُول الشاميّ.

وأما عبد العزيز بن الوليد فكنيته أبو الأصبغ، وقيل: أبو مروان.

[وقال المدائني:] كان عبد العزيز سيِّد ولد الوليد، وأراد الوليد أن يُبايع له ويخلع سليمان، فمات الوليد [وقد ذكرناه].

وزوّجه الوليد أم أيوب بنت سليمان أخيه، فماتت عنده، فلما ولي سليمان تلقّاه عبد العزيز، فقال له سليمان: دفنتَ أم أيوب ثم جئتني؟ فقال عبد العزيز: مصيبتي بها أعظم.

ولم يزل طامعاً في الخلافة يُحدِّث نفسه بها حتى مات سليمان، وكان بالرَّمْلة، فجمع الجيوش، وعقد الألوية، وسار إلى دمشق، فلما وصل طبرية قيل له: إن خالك

---

(١) في «تاريخ دمشق» ٣٢/ ٢٧٤ : وقتل منهم بضعة وثلاثين ألفاً.

(٢) في «تاريخ دمشق» ٣٢/ ٢٧٥ أن الذي هم بخلع الوليد بن يزيد: هشام بن عبد الملك، وفي «تاريخ الطبري» ٧/ ٢٣٩ ، و«أنساب الأشراف» ٧/ ٥٢١ أنه بشر بن الوليد.

عمر بن عبد العزيز قد استُخلف، فحلَّ ألويتَه، وقدم دمشق فبايع، فقال له عمر ﵁: يا عبد العزيز، أردتَ أن تَشُقَّ عصا المسلمين، وتضرب بعضهم ببعض، لقد كنتُ أَرْبَأُ بك عن هذا الرأي، فقال: يا أمير المؤمنين، الحمد لله الذي استنقذني بك، والله لولا مكانُك ما ملكها أحد غيري، فقال له عمر ﵁: يا ابن أخي، لو قمتَ بها ما نازعتُك، ولقعدت في بيتي، فقال له عبد العزيز: أنت والله أحقُّ بها مني ومن غيري.

وكان الوليد بن عبد الملك يقول: سيّدنا عبد العزيز، وفارسنا العباس، وفتانا بشر، وفحلُنا عمر.

وقال أبو مُسْهِر: لو وُزن عبد العزيز ببني مروان لرجحهم.

وكان مُمَدَّحاً، وفيه يقول الشاعر: [من الطويل]

وأنت ابنُ ليلى الخيرِ خيرِ ظَعينةٍ ... وليلى عَديٌّ لم تلِدْك الزَّعانِفُ[(١)]

وأم عبد العزيز: أم البنين، واسمها ليلى، وأمها ليلى من بني عَديّ، وأمها ليلى بنت سُهيل بن عامر بن كِلاب.

وكان الوليد قد ضَمَّه إلى أبي عُبيدة محمد بن عمار بن ياسر[(٢)]، وولَّى عبد العزيز دمشق، وكانت داره بها في موضع فندق الخشب الكبير، وله عقب[بمرج دمشق بمكان يقال له: الجامع][(٣)].

وفي سنة ثلاث وتسعين غزا الروم حتى بلغ غزالة، وحجّ بالناس في هذه السنة[(٤)].

وكان أعقَلَ بني أمية، ولما ولي دمشق كان شاباً قال الناس: إنه حَدَثٌ غِرٌّ لا عِلْمَ له بالأمور، فجاء إليه شخص فقال: عندي نصيحة، قال: ما هذه النصيحة من غير يَدٍ سبقت مني إليك؟! قال: لي جارٌ عاصٍ متخلِّفٌ عن الغزو، فقال: والله ما اتَّقيتَ ربَّك، ولا أكرمتَ أميرَك، ولا حفظتَ جِوارك، فإن شئتَ نظرنا فيما تقول، فإن كنتَ

---

(١) «أنساب الأشراف» ٧/ ١٠.

(٢) في (ص): وقال ابن عساكر: كان الوليد قد ضم عبد العزيز...، وهذا الخبر ليس في «تاريخ دمشق» في ترجمة عبد العزيز ٤٣/ ٣٤ـ٣٩، وهو في «أنساب الأشراف» ٧/ ١١.

(٣) «تاريخ دمشق» ٤٣/ ٣٤، وما بين معكوفين من (ص).

(٤) في «تاريخ دمشق» ٤٣/ ٣٧ أنه حج في سنة ثلاث وتسعين، وغزا الروم في سنة أربع وتسعين.

صادقاً لم ينفعك ذلك عندنا، وإن كنت كاذباً عاقبناك، وإن شئتَ أقلْناك، قال: أقِلْني، فقال عبد العزيز: يا أهل دمشق، ما أعظم ما جاء به هذا الفاسق، إن السِّعاية أحسبها منه سجِيَّة، ولولا أنه لا ينبغي للوالي أن يعاقب قبل أن يعاتب لكان لي في ذلك رأي، فلا يأتيني أحد منكم بسِعاية، فإن الصادق فيها فاسق، والكاذب بَهَّات.

وبلغ هذا الكلام عبد الله بن داود فقال: ما أشبه هذا الكلام بكلام عمر بن عبد العزيز! فقيل له: إنه خاله.

ومات عبد العزيز في خلافة هشام بن عبد الملك، خرج وهو مريض إلى ظاهر دمشق، إلى منزل كان ينزله، ومعه حجر بن عقيل الرِّياحي، فأنشد حجر: [من الطويل]

وما أخرجَتْنا رغبةٌ من بلادنا ... ولكنَّ ما قد قَدَّر الله كائِنُ

لحَيْنِ نُفوسٍ لم تجدْ مُتأخَّراً ... فلا تَبعدنْ تلك النفوسُ الحَوائنُ[1]

فمات عبد العزيز في ذلك المنزل، فقال رجل من كَلْب يرثيه[2]: [من البسيط]

أقول للرَّكْب إذ عاجُوا مَطِيَّهُم ... هل كان من حَدَثٍ أو جاءكم خَبَرُ

قالوا نعم كلُّنا نَبكي لصاحبه ... يُمسي ويُصبح وِرْداً ماله صَدَرُ

ماتَ الكريمُ أبو مروانَ خيرُ فَتًى ... زَيْنُ العَشيرة قد حَلَّتْ به الغِيَرُ

وكان لعبد العزيز من الولد: عتيق، وعبد الملك، وأمهما من ولد أبي بكر الصديق رضوان الله عليه.

وأما محمد بن الوليد فأمه أم البنين أيضاً.

[وقال ابن عساكر:] وله آثار بدمشق منها المحمديات؛ فوق الأرزة ودير محمد عند المنيحة من إقليم بيت الآبار، وتزوج محمد هذا ابنة عمه يزيد بن عبد الملك[3].

وأما يزيد الناقص وإبراهيم فسنذكرهما فيما بعد.

---

(١) «أنساب الأشراف» ٧/ ١١.

(٢) الأبيات في «تاريخ دمشق» ٤٣/ ٣٠٣ في رثاء عبد الملك بن الوليد بن عبد الملك.

(٣) «تاريخ دمشق» ١٦/ ٩١ (مخطوط).

وأما عمر بن الوليد فأمه بُنانة كندية أم ولد، وهو فحل بني مروان، كان يركب في ستين ولداً من صُلبه، وكان جواداً مُمَدَّحاً، وفيه يقول الفرزدق: [من الطويل]

إليك سَمَتْ يا ابن الوليد ركابُنَا ... ورُكبانُها كانوا أجدَّ وأجْهَدا

إلى عُمرٍ أقبلْنَ معتمداته ... فنعم مناخ الرَّكبِ حين تَعَمّدا

فلم تجرِ إلا كنتَ في الخير سابقاً ... ولا عُدتَ إلا كنتَ في العودِ أحمدا[(١)]

ولّاه أبو الوليد الموسم والغزو، وكان على الأردن مدة ولاية أبيه، وحج بالناس سنة ثمان وثمانين[(٢)].

وأما أبو عُبيدة بن الوليد فكان ضعيفاً يقول الشعر، فقال له هشام بن عبد الملك: والله لئن قلتَ بيتاً لأحْلِقَنّ جُمَّتَك، وفيه يقول الشاعر: [من البسيط]

أبو عبيدة سَرَّاقُ الفراريجِ

وكان أجملَ ولد أبيه، ولما زال مُلك بني أمية لجأ إلى أخواله من فزارة فأخذه أبو العباس فقتله[(٣)].

وأما يحيى بن الوليد فهو قاتل حاجب بن حُمَيضة الكلابي، وكان نديمه، جلسا يوماً يشربان، فقال له يحيى: لم جلد الوليد أباك؟ وحاجب ساكت، فردَّ عليه يحيى القول [فذكر حاجب أم يحيى بسوء، وقيل: إنه] قال: من أجل أمّك، فألقاه يحيى من السطح فمات، وكان يقال لحاجب: ملاعب الأَسِنَّة[(٤)].

وأما تمَّام بن الوليد فلم يُعقِب.

وأما مَسرور بن الوليد فكان ناسكاً، وتزوّج ابنة الحجاج بن يوسف.

وأما بشر بن الوليد فكان من فتيانهم.

---

(١) «أنساب الأشراف» ٧/ ٨ .

(٢) «تاريخ دمشق» ٥٤/ ٢٨٣_٢٨٤ .

(٣) «أنساب الأشراف» ٧/ ٦ .

(٤) كذا، والذي في «أنساب الأشراف» ٧/ ٧ والنقل منه: حاجب بن حميضة الكلابي من ولد ملاعب الأسنة. وما بين معكوفين من (ص).

وأما رَوْح بن الوليد فكان من علمائهم.

وأما عبد الرحمن بن الوليد فكان من أجوادهم.

ذكر نساء الوليد:

قد روينا أنه كان مِطلاقاً وأنه أحصن ستين امرأة، والمشهور من نسائه:

أم البَنين بنت عبد العزيز بن مروان، ونَفِيسة بنت زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وأمها لُبابة بنت عبد الله بن عباس، تُوفِّيت عنده وهي حامل والولد يركض في بطنها، فهمَّ الوليد أن يبقر بطنها حرصاً على أن يكون له منها ولد يبقى بعده فنهي عن ذلك.

وآمنة بنت سعيد بن العاص، ثم تزوَّجها خالد بن أسيد بن أبي العِيص[1]، وأم عبد الله بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، وهي أم ولده عبد الرحمن، وعاتكة بنت عبد الله بن مطيع.

قال المدائني: تزوج الوليد في خلافته ثلاثاً وستين امرأة، وكان يُطلِّق الواحدة والثنتين والثلاث، فلما وصلت إليه عاتكة بنت عبد الله بن مطيع هذه من المدينة ودخلت عليه قالت له: إنا قد شرطنا على الحمالين الرجعة إلى المدينة فما رأيك؟ فقال: قاتل الله ابنة المنافق فما أظرفها، وقال: أقيمي، فأقامت عنده أربعة أشهر ثم طلقها.

وقيل: إن اسمها فاطمة بنت عبد الله بن مُطيع العَدَوِيّ، وأمها أم حكيم بنت عبد الله بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، فأبوها وأمها عَدَويّان.

ومعنى قول الوليد ابنة المنافق: لأن أباها عبد الله كان من رؤوس الحَرَّة[2]، [وقد ذكرناه.

فصل: ذكر مَن] كان في أيام الوليد من الخوارج:

زياد الأَعْسَم، وأبو بَيْهَس، واسمه: الهَيْصَم بن جابر، هرب من العراق إلى المدينة، فأخذه عثمان بن حيّان المُرِّي فقطع يديه ورجليه، ونِبْراس بن مالك العَنَزي،

---

(١) هو خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص، كما في «أنساب الأشراف» ٧/ ٥ .

(٢) «أنساب الأشراف» ٧/ ٦ ، و«تاريخ دمشق» ٢٨٨ـ٢٨٩ (تراجم النساء).

هرب من الحجاج ثم طلب منه الأمان فأمنه، وتاب وحسنت توبته، وصار يضرب أعناق الخوارج بين يدي الحجاج.

انتهت ترجمة الوليد بن عبد الملك وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

السنة السابعة والتسعون

فيها اهتم سليمان بن عبد الملك بالغزو للروم، فبعث ابنه داود، ففتح حصن المرأة، وبعث أخاه مَسلمة بن عبد الملك ففتح حصن الوضّاح، وأغزى عمر بن هبيرة البحر.

وفيها ولّى سليمانُ يزيد بنَ المهلَّب خراسان، وكان قد ولاه العراق في السنة الماضية قبل أن يُقتل قتيبة بن مسلم، فقال قتيبة: رمانا بجبَّار العراق.

ذكر القصة:

لما ولَّى سليمان بن عبد الملك العراق ليزيد بن المهلَّب نظر يزيد في نفسه وقال: إن الحجاج قد أخرب العراق، ومتى سلكتُ طريقه ازداد خراباً، ونَفِرت قلوب الناس مني، وهم يرجون الخير في أيامي، وإن لم أرفع الخراج إلى سليمان كما كان يرفع الحجاج لم يقبل مني، فقال يزيد لسليمان: ألا أدلُّك على رجلٍ بصيرٍ بأمر الخراج تولّيه إياه؟ قال: ومن هو؟ قال: صالح مولى بني تميم، قال: قد ولَّيناه.

وقدم صالح بن عبد الرحمن مولى بني تميم العراق قبل قدوم يزيد فنزل واسطاً، ثم قدم بعده يزيد بن المهلب إلى واسط، وخرج الناس لتلقِّيه، وخرج صالح بعدهم لما قرب يزيد من المدينة، وبين يدي صالح أربع مئة من أهل الشام، فلمَّا دخل البلد وصالح يسايره أشار صالح إلى دار وقال: قد أخليتُ لك هذه الدار، فنزل يزيد فيها، ومضى صالح إلى منزله، وأخذ صالح يضيّق على يزيد، فكان يكتب يزيد صِكاكاً فلا ينفذها صالح، فقال يزيد: هذا ما عملتُ بنفسي، وجاء صالح إلى يزيد فقال له: ما هذه الصِّكاك التي نفَّذتَ إلي بمئة ألف درهم؟! هذا شيء لا يقوم به بيت المال، ولا

يرضى به أمير المؤمنين، فقال له يزيد: أمضها هذه المرَّة، فقال: لا أفعل[١]، فأقام يزيد بالعراق على مَضَض.

وكان عبد الملك بن المهلَّب عند سليمان بالشام، فقال له سليمان: يا عبد الملك، ما رأيك في ولاية خُراسان؟ قال: يجدني أمير المؤمنين حيث أحب، ثم أعرض سليمان عن ذلك، وكتب عبد الملك إلى العراق فخَبَّر رجالاً بأن سليمان عرض عليه ولاية خراسان، وبلغ يزيد بن المهلب وقد ضَيَّق عليه صالح، فقال لعبد الله بن الأهتم: إني قد دعوتُك لأمر، وأحبُّ أن تكفينيه، فقال: مُرْني بما شئت، فقال: قد ضَجِرتُ من العراق، وقد بلغني أن سليمان يريد أن يولّي خراسان أخي وأنا أولى، فقال له: اكتم هذا[٢].

وكتب يزيد إلى سليمان كتاباً يذكر فيه أمر العراق، ويثني على ابن الأهتم ويقول: إنه عالم بأمر العراق وخراسان، ودفع إليه ثلاثين ألفاً، فسار سبعاً وقدم على سليمان، فدفع إليه كتاب يزيد، فلما قرأه قال: إن يزيد كتب إلي يذكر علمك بالعراق وخراسان، فكيف علمك بهما؟ فقال: أنا أعلم الناس بهما؛ لأني بهما ولدتُ ونشأتُ، فقال: أشر عليَّ برجلٍ أولّيه خراسان، فقال ابن الأهتم: أمير المؤمنين أعلم بمن يولّي، فإن رأى أن يَذكر رجالاً فأخبره بمَن يصلح منهم، فسمّى رجالاً من قريش، فقال ابن الأهتم: ليس هؤلاء من رجال خراسان، قال: فعبد الملك بن المهلَّب، قال: لا، قال: فوكيع بن أبي سُود، يعني الذي قتل قتيبة بن مسلم، فقال ابن الأهتم: وكيع رجلٌ شجاع مِقدام، إلا أنه لم يَقُد ثلاث مئة رجل قط فرأى لأحد عليه طاعة، قال: صدقت، فمن ترى لها؟ قال: رجل ليس لها سواه، قال: من هو؟ قال: لا أذكره حتى يضمَن لي أمير المؤمنين ستْر ذلك، وأن يجيرني منه، فإنه إن علم قتلني، قال: أنت آمن فمن هو؟ قال: يزيد بن المهلَّب، فقال سليمان: إن المقام بالعراق أحبّ إليه من المقام بخراسان، فقال: صدق أمير المؤمنين فتكرهه على ولاية خراسان فليس لها غيره، ويستخلف على العراق رجلاً، ويَتوجه هو إلى خراسان، فقال: أصبت.

---

(١) في «تاريخ الطبري» ٦/ ٥٢٤: قال صالح: فإني أجيزها فلا تكثرنّ علي.

(٢) في «تاريخ الطبري» ٦/ ٥٢٥ أن قائل ذلك يزيد بن المهلب.

وكتب سليمان جواب كتاب يزيد، وهو يثني على ابن الأهتم وعقله وفضله.

فسار ابن الأهتم سبعاً حتى قدم على يزيد، فدفع إليه الكتاب، فقال: ويحك، أعندك خير؟ فدفع إليه العهد، فسار يزيد من يومه، وبعث بين يديه ابنه مَخْلَداً، واستخلف يزيد على واسط الجرَّاح بن عبد الله الحَكَميّ، واستعمل على البصرة عبد الله بن هلال الكلابيّ، وجعل مروان بن المهلب على أمواله بالبصرة وأسبابه ـ وكان أوثق أخوته عنده ـ واستعمل على الكوفة حَرْمَلة بن عُمير اللّخمي أشهراً، ثم عزله وولاها بشير بن حَسّان.

وقال أبو عبيدة مَعْمر: لما بعث وكيع بن أبي سُود برأس قتيبة إلى سليمان وقع منه كل موقع، فجعل يزيد بن المهلَّب لعبد الله بن الأهتم مئة ألف درهم على أن يُنَفِّر سليمان عن وكيع، فقال ابن الأهتم يوماً لسليمان: يا أمير المؤمنين، ليس لأحد عندي يد، ولا أوجب شكراً مني لوكيع، قال: ولم؟ قال: لأنه أدرك ثأري، وشفى صدري من عدوي، لكن أمير المؤمنين أعظم منه عندي وأوجب حقاً من جميع الناس، وإن النصيحة له تلزمني، قال: وماذاك؟ قال: إن وكيعاً لم يجتمع عنده مئة عَنان قط إلا حدَّث نفسَه بغَدرة، وإنه خاملٌ في الجماعة، ظاهر في الفتنة، فقال سليمان: فليس هذا ممن يُستعان به في الأمور.

وكانت قيس تزعم أن قتيبة لم يخلع سليمان، فاستعمل سليمان يزيد على العراق، وأمره إن قامت البيّنة على أن قتيبة لم يخلع تبرأً من طاعة: أن يُقيد وكيعاً به، فسار يزيد إلى خراسان، ولم يعطِ ابنَ الأهتم شيئاً.

وقال أبو مخنف: ولما سار مَخْلَد بن يزيد إلى خراسان بين يدي أبيه؛ قدَّم بين يديه عمرو بن عبد الله بن سنان العَتَكي، فلما قرب من مَرْو بعث إلى وكيع بن أبي سود أنِ الْقَني، فلم يلقه، وقدم مَخْلَد مرو، ولم يخرج إليه وكيع فقال: هذا الأعرابي الأحمق الجِلف الجافي، ثم أرسل فأخذه وأصحابه فبسط عليهم العذاب قبل وصول أبيه.

وقدم يزيد مرو بعد مقتل قتيبة بتسعة أشهر أو عشرة أشهر، ولما نزل يزيد مرو؛ أدنى أهل الشام وقوماً من أهل خراسان، فقال نَهار بنُ تَوسِعَة[١]: [من الوافر]

وما كنَّا نُؤَمِّل من أميرٍ ... كما كنا نُؤمِّل من يزيد
فأخطأ ظَنُّنَا فيه وقِدْماً ... زَهِدْنا في معاشَرة الزَّهيدِ
إذا لم يُعطنا نَصَفاً أميرٌ ... مَشَينا نحوه مَشْيَ الأُسودِ
فمهلاً يا يزيدُ أنِبْ إلينا ... ودَعْنا من مُعاشَرةِ العبيدِ
نجيءُ فلا نرى إلا صُدوداً ... على أنَّا نُسَلِّمُ من بعيدِ
ونرجعُ خائبينَ بلا نَوالٍ ... فما بالُ التَّجَهُّمِ والصُّدودِ

ونَهار بن تَوْسِعَة من شعراء الحماسة، وهو القائل من أبيات: [من الكامل]

وفَقَدتُ إخواني الذين بعَيْشِهم ... قد كنتُ أُعطي مَن أشاءُ وأَمنَعُ
فلمن أقول إذا تُلِمُّ مُلِمَّةٌ ... أرني برأيك أم إلى مَن أفزعُ
فليَأْتينَّ عليك يوم مرةً ... يُبكى عليك مُقَنَّعاً لا تَسمعُ[٢]

ووصل يزيد عبد الله السَّلولي بمال فقال: [من الكامل]

مازال سَيْبُك يا يزيد يَجُودُني ... حتى ارتَويتُ وجُودُكم لا يُنْكَرُ[٣]
أنت الربيع إذا تكون خَصاصةٌ ... عاش السَّقيمُ به وراشَ المُقْتِرُ
عَمَّتْ سَحَائبُه جميعَ بلادِكم ... فَرَوَوْا وأغْدَقَهم سَحابٌ مُمْطِرُ
فسَقاك ربُّك حيث كنتَ مَخِيْلَةً ... ريًّا سَحائبُها تَروحُ وتُبْكِرُ

قال الواقدي: وفيها جمع يزيد بن المهلَّب لسليمان بن عبد الملك من آل الحجاج أموالاً عظيمة، وعذَّب الحكم بن أيوب بن الحكم بن أبي عَقيل زوج أخت الحجاج، حتى مات تحت العقوبة، وكان الحكم قد عذَّب آل المهلَّب واستصفى أموالهم بأمر الحجاج، فأخذ منهم ستة آلاف ألف درهم، وعذَّب يزيد يوسف بن عمر، ثم هرب يوسف.

---

(١) «تاريخ الطبري» ٦/ ٢٥٨.

(٢) «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي ٩٥٣-٩٥٤.

(٣) في النسخ: لا يتكدر، والمثبت من الطبري ٦/ ٥٢٩.

وكان الحجاج قبل أن يموت قد جهَّز أمواله وأثقاله إلى الشام إلى البَلْقاء، وكان فيهم أم الحجاج بنت محمد بن يوسف أخي الحجاج، وكانت امرأة يزيد بن عبد الملك ابن مروان، وهي أم الوليد بن يزيد المقتول، فأرسل يزيد بن المهلب أخاه عبد الملك، فاستولى على أموال الحجاج وأثقاله، وعَذَّب أمَّ الحجاج بأمر يزيد بن المهلَّب، وقيل: إنما عذّبها يزيد بن المهلَّب، فقال له يزيد بن عبد الملك بن مروان: أما علمتَ بأنها زوجتي وجميع ما تَطلب من المال عليّ، فلم يشفعه فيها، فقال يزيد بن عبد الملك: يا بن المهلّب، والله لئن صار إليَّ من هذا الأمر شيء لأقطعنّ منك طابقاً، فقال له ابن المهلب: لئن كان ذلك لأَرمِيَنَّك بمئة ألف عَنان.

وقيل: إن يزيد بن عبد الملك حمل إلى أخيه سليمان مئة ألف دينار عنها.

وقيل: إن التي عُذِّبت أخت أمّ الحجاج لا أم الحجاج[1].

[وفيها] حجّ بالناس سليمان بن عبد الملك، ولما صَدَر من الحج عزل طلحة بن داود الحَضْرمي عن مكة ـ وكانت ولايته عليها ستة أشهر ـ وولّى عليها عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أَسيد بن أبي العِيص بن أمية.

[قال الشعبي:] ولما كان سليمان بالمَسْعى نظر إلى كثرة الخلق فعجب، فقال لعمر ابن عبد العزيز: يا أبا حَفْص، ألا ترى إلى هذا الخلق الذي لا يُحصي عددَهم إلا الله، ولا يَسع رزقَهم غيره؟ فقال له عمر: هم اليوم رَعيَّتُك، وغداً خصماؤك، فبكى سليمان وقال: استعنتُ بالله.

وقال الزهري: أشرف سليمان من عقبة عُسفان، فأعجبه ما رأى من كثرة الناس وعسكره وأبنيته، فقال لعمر: كيف ترى ما ههنا؟ فقال له عمر رضي الله عنه: أرى دنيا تأكل بعضها بعضاً، وأنت المسؤول عنها والمأخوذ بها، فاسترجع سليمان، وكف عما كان فيه[2].

---

(١) «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٣١ـ٢٣٢.

(٢) في (ص): ولهى عما كان.

ذكر اجتماع سليمان بأبي حازم الأعرج[1]:

واسمه سَلَمة بن دينار، حدثنا عبد الجبار بن عبد العزيز بن أبي حازم، عن أبيه قال: بعث سليمان بن عبد الملك إلى أبي حازم فجاءه، فقال له: يا أبا حازم، ما لنا نكره الموت؟ فقال: لأنكم أخربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم، فأنتم تكرهون أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب، قال: صدقت، فكيف القُدوم على الله؟ قال: أما المحسن فكالغائب يَقْدَم على أهله، وأما المسيء فكالعبد الآبق يقدم على مولاه، فبكى سليمان وقال: ليت شِعري، ما حالنا، أو ما لنا عند الله؟ فقال: اعرض عملك على كتاب الله فإنك تعلم ما لك عند الله، قال: يا أبا حازم، وأين أُصيب ذلك؟ قال: عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ * وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾[الانفطار: ١٣-١٤] قال سليمان: فأين رحمة الله؟ قال: ﴿قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦] قال: ما تقول فيما نحن فيه؟ قال: أعفني من هذا، قال سليمان: إنها نصيحة تُلقيها إلي، قال أبو حازم: إن ناساً أخذوا هذا الأمر عَنوة من غير مشورة من المسلمين، ولا اجتماع من رأيهم، فسفكوا الدّماء على طلب الدنيا، ثم ارتحلوا عنها، فليت شِعري ما قالوا وما قيل لهم. فقال بعض جُلَساء سليمان: بئس ما قلتَ أيها الشيخ. فقال أبو حازم: كذبتَ، إن الله أخذ الميثاق على العلماء ليُبيِّنُنَّه للناس ولا يكتمونه، فقال سليمان: اصْحَبْنا يا أبا حازم تُصِب منّا ونُصِبْ منك، قال: أعوذ بالله من ذلك، قال: ولم ؟ قال: أخاف أن أركن إليكم شيئاً قليلاً؛ فيُذيقني ربّي ضِعْفَ الحياة وضِعفَ الممات، قال سليمان: فأشِرْ عليّ، قال: اتّقِ الله أن يراك حيث نَهاك، وأن يفقدك حيث أمرك، قال: يا أبا حازم، ادْعُ لي بخير، فقال: اللهم إن كان سليمان وليَّك فيسِّره للخير، وإن كان عدوَّك فخُذْ إلى الخير بناصيته، فقال سليمان: يا غلام، مئةَ دينار، فلما أحضرها قال: خذها يا أبا حازم، قال: لا حاجةَ لي فيها، إني أخاف أن تكون ثمناً لما سمعتَ من كلامي.

فكأن سليمان أُعجب بأبي حازم، وكان الزهري حاضراً فقال: إنه لَجاري منذ ثلاثين سنة، ما كلَّمتُه قط، فقال أبو حازم: إنك نسيتَ الله فنسيتني، ولو أحببتَ الله لأحببتني، قال الزهري: أتشتمني؟ فقال سليمان: بل أنت شتمتَ نفسَك، أما علمتَ

---

(١) جاء هذا الخبر في (ب، خ، د) مختصراً، والمثبت من (ص) لتفصيل الخبر فيها ووضوح سياقه.

أن للجار على جاره حقاً، فقال أبو حازم: إن بني إسرائيل لما كانوا على الصواب كانت الأمراء تحتاج إلى العلماء، وكانت العلماء تفِرُّ بدينها من الأمراء، فلما رأى ذلك قوم من أراذل الناس تعلَّموا العلم، وأتوا به إلى الأمراء، فاستغنوا به عن العلماء، واجتمع القوم على المعصية فسقطوا وانتكسوا، ولو كان علماؤنا يصونون علمَهم لم تزل الأمراء تهابهم، فقال الزهري: كأنك إياي تريد، وبي تُعرِّض، قال: هو ما تسمع[(١)].

قلت: كذا وقعت لنا هذه الحكاية بهذا الإسناد، ووقعت لنا بإسناد آخر عن الواقدي قال: لما حجَّ سليمان دخل المدينة وقال: هل ههنا أحدٌ يذكِّرنا بأيام الله تعالى؟ قيل له: ها هنا أبو حازم المدني، فأرسل إليه، فلما دخل عليه سلَّم، فردَّ عليه السلام، وقرَّبه وأدناه وقال: يا أبا حازم، ما هذا الجفاء؟ فقال: أُعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن تقول هذا، والله ما رأيتُك يا أمير المؤمنين قبل اليوم ولا رأيتَني، وذكر بمعنى ما تقدم.

وفيه: فقال سليمان: أيّ عباد الله أكرم؟ قال أبو حازم: أهل المروءة والتُّقى، قال: فأي الأعمال أفضل؟ قال: أداء الفرائض، واجتناب المحارم، قال: فأيُّ الدعاء أسمع؟ قال: دعوة المظلوم، قال: فأيُّ الصدقة أزكى؟ قال: على البائس الفقير من غير مَنٍّ ولا أذى، قال: فأي القول أعدل؟ قال: قول الحق عند مَن يُخاف ويُرجى، قال: فأي المؤمنين أكيس؟ قال: رجل عمل بطاعة الله ودعا إليها، قال: فأي الناس أحمق؟ قال: من باع آخرتَه بدنيا غيره، قال: فما تقول فيما نحن فيه؟ قال: إن آباءك قهروا الناس، وذكر بمعنى ما تقدم، فقال سليمان: فكيف المَهْرب أو المأخذ؟ فقال: تأخذ المال من حِلِّه، وتصرفه في وجهه.

وفيها لما قال له خذ المئة دينار قال: والله ما أرضاها لك فكيف أرضاها لنفسي؟ إن موسى عليه السلام لما وَرد ماء مَدْين واستدعاه شعيب؛ قَدَّم له طعاماً فامتنع وقال: أخاف أن يكون أجرَ ما سقيتُ لهما، فإن كانت هذه الدنانير عِوضَ ما حدَّثتُك؛ فالميتة والدم ولحم الخنزير أحلّ منها، وإن كانت من حقّي من بيت المال فإن واسَيتَ[(٢)] بيني

---

(١) «صفة الصفوة» ٢/١٥٨-١٦٠.

(٢) كذا في النسخ، وصوابه: ساويت.

وبين المسلمين قبلتُها، وإلا فلا حاجةَ لي فيها، قال سليمان: فمالَك مال؟ قال: بلى، الثقة بالله، واليأس مما في أيدي الناس، قال: فارفع إليَّ حوائجك، قال: لي حاجة واحدة، قال: وما هي؟ قال: تُنجيني من النار وتُدخلني الجنة، قال: ذاك ليس إليّ، قال: فدعني أسأل من هو إليه.

وفيه أن أبا حازم لما قال للزهري ما قال، قال سليمان: صدق والله يا زهري، لو قعدتَ في بيتك لأتيناك[١].

قلت: كان أبو حازم من أكابر العلماء والزُّهَّاد، مات بعد سنة أربعين ومئة في خلافة أبي جعفر المنصور، وسنذكره هناك إن شاء الله تعالى.

[قال هشام:] وفي هذه السنة حجّ طاوس اليماني، فمرض بمكة، فعاده سليمان بن عبد الملك لما حجّ فما أعاره طرفه، فلما خرج قيل لطاوس في ذلك فقال: أحببتُ أن أُعلمه أن في الناس مَن يستصغر ما هو فيه.

وقال أبو اليقظان: [بلغني أن سليمان بن عبد الملك لما حجَّ في سنة سبع وتسعين] وبينما الناس وقوف بعرفات رعدت السماء رعداً شديداً، وأظلمت الدنيا وتزلزلت، فخاف سليمان وغُشي عليه، فلما أفاق قال لعمر: هذه مئة ألف فتصدَّق بها، قال: أو خير من ذلك؟ قال: وما هو؟ قال: إن قوماً جاؤوا وراءك من البلدان في مظالم لم يصلوا إليك بسببها، فجلس سليمان وردَّ المظالم.

[فصل:] وفيها توفي

طلحة بن عبد الله

ابن عَوْف، ابن أخي عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، وكنيته أبو محمد، وهو من الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة، وأمه فاطمة بنت مُطيع بن الأسود العَدَويّ.

ولي طلحة المدينة، وكان من سَروات الناس، جواداً، مُمَدَّحاً، ويقال له: طلحة النَّدى، وتوفي بالمدينة في سنة سبع وتسعين وهو ابن اثنتين وسبعين سنة.

---

(١) انظر «حلية الأولياء» ٣/ ٢٣٤-٢٣٧.

وسمع من عمه عبد الرحمن، وأبي هريرة، وابن عباس رضي الله عنهم.

وكان ثقة كثير الحديث، قال ابن سعد: كان طلحة إذا كان عنده مال فتح بابه وفرَّقه، وإذا لم يكن عنده شيء لم يأته أحد، فقال له بعض أصحابه: ما في الدنيا أشرّ من أصحابك؛ يأتونك إذا كان عندك شيء، وإذا لم يكن عندك شيء لا يأتونك، فقال: ما في الدنيا خير منهم، لو أتَونا وقتَ العُسرة أحوجونا إلى أن نتكلَّفَ لهم، فإذا أمهلونا حتى يأتينا شيء كان إحساناً منهم إلينا.

أسند طلحة عن أنس وغيره، وروى عنه جماعة من العلماء[١].

فصل:[٢] في ذكر أعيان المغنِّين.

وفيها توفي

عبد الله بن سُرَيج المغنّي

مولى بني نَوفَل بن عَبد مَناف[٣].

قال الزبير بن بكار: وأمه مولاة لآل المُطَّلب يقال لها: رقية[٤]، وقيل: هند.

وهو المشهور بالغناء، وهو أول من ضرب العود بمكة والمدينة، وقيل: أول من ضرب أبوه في أيام عثمان رضي الله عنه؛ وكان أبوه تركياً يضرب بالعود والقضيب.

وقال أبو الفرج: رأى عبد الله بن سُرَيج العود مع العجم الذين قدم بهم ابن الزبير لبناء الكعبة فضرب به.

وقال ابن الكلبي: كان ابن سُرَيج أحول، أعمش، قبيح المنظر جداً، يُلَقَّب وَجْهَ الباب، وكان به تأنيث، وكان إذا غنَّى يُسبِل القِناع على وجهه من قبيح صورته.

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٧/ ١٥٩-١٦٠، و«تاريخ دمشق» ٥/ ٥٣١ (مخطوط)، و«المنتظم» ٧/ ٢٥، و«السير» ٤/ ١٧٤.

(٢) من هنا إلى ترجمة عبد الله بن عبد الله بن الحارث، زيادة من (ص) ليست في النسخ الأخرى.

(٣) ذكره ابن الجوزي في «المنتظم» ٧/ ٢٥٥ في وفيات سنة (١٢٦هـ)، وقد اختلف في اسمه، والأشهر أنه عبيد بن سريج، انظر «الأغاني» ١/ ٢٥٧، و«تاريخ دمشق» ٤٥/ ٣٣.

(٤) في «الأغاني» ١/ ٢٥٩: راقية.

واختلفوا في وفاته؛ فقال ابن الكلبي: مات مَجْذوماً بمكة، ودفن بمكان يقال له: دَسْم.

وقال الهيثم: عاش إلى زمان يزيد بن عبد الملك صاحب حَبابة، وناح عليها وعليه، وقال أبو اليقظان: عاش إلى أيام هشام بن عبد الملك، ومات بظاهر مكة في بستان بني عامر، وكان عمره خمسة وسبعين سنة؛ لأنه وُلد في خلافة عمر بن الخطاب، فإن صحَّت هذه الرواية فإنه ما أدرك يزيداً ولا حَبابة لأنهما كانا بعد المئة.

وقال الهيثم: أصل الغناء من تِهامة، ومكة، والطائف، والمدينة، ووادي القُرى، ودُومة الجَندل، وذي القُرى، وذي المَجاز، ومَجَنَّة، وعكاظ وغيرهم، وذلك لأن هذه الأماكن كانت تقام بها أسواق العرب، ويحضرها العُشَّاق والمتيَّمون، فيتناشدون الأشعار فيما بينهم، فولَّد ذلك الغناء.

وكانت العرب تُسمّي العود: الكِران، والمِزْهَر، والبَرْبَط.

واختلف الناس في الغناء، فأجازه أهل الحجاز، وتِهامة، ومكة، والمدينة، ومنع منه بعض العراقيين.

فمَن مَنع منه تعلَّق بقوله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [لقمان:٦]، قال مجاهد: هو الغناء، وهو اللعب واللهو[١]، واللعب حرام، ألا ترى أنه لو اشترى جارية مُغَنِّية بأربعة آلاف درهم فنسيت الغناء عند المشتري عادت إلى قيمتها ساذجة[٢].

وأما مَن أجازه فاحتجَّ بما روى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال لعائشة: «أهديتم الفتاة إلى أهلها ـ بعلها؟» قالت: نعم، قال: «وبعثتم معها نَعِيرَ اللَّهو ومَن يغنّي؟»، قالت: لا، قال: «أما علمتِ أن الأنصار يُعجبهم اللهو، هلا بعثتُم معها مَن يقول:

أتـيـنـاكـم أتـيـنـاكـم   فـحـيُّـونـا نُـحَـيِّـيـكـم

(١) انظر «تفسير الطبري» ١٨/ ٥٣٢ـ٥٣٨ (طبعة هجر).

(٢) انظر خبايا الزوايا (١٨٥) ٢٠٢.

فَــلــولا الــحَــبَّــةُ الــسَّــمــرا ءُ لــم نَــحْــلُــلْ بِــواديــكــم[١]

وبما روى أنس: أن النبي ﷺ مرَّ بجارية في ظلِّ قصرٍ وهي تقول:

هــل عــلــيَّ وَيْــحــكــم إن لــهــوتُ مــن حَــرَج

فقال رسول الله ﷺ: «لا حَرَج إن شاء الله»[٢].

قالوا: وأما قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ نزلت في قوم كانوا يشترون الكتب من الأسمار والأحاديث وأخبار الأوائل القديمة، فيُضاهُون به القرآن، ويقولون: هي أقدم وأفضل، فنُهوا عن ذلك[٣].

وقد ذكرنا حديث ابن عمر والشبابة والراعي، وفيه كلام طويل.

وروى إبراهيم بن مُنذر الحِزامي قال: قدم ابنُ جامِع مكة بمال كثير، ففرَّقه في الضعفاء، فسأل عنه سفيان الثوري أو ابن عُيَيْنة، فقيل له: إنه يغني الملوك فيعطونه المال الكثير، فقال: كيف تَغَنَّى؟ فقال له بعض تلامذته: إنه يقول: [من المتقارب]

أطـوِّف بـالـبـيـت مـعْ مَـن يـطـوف وأرفـع [مـن] مِـئـزَري الـمُـسْـبَـلِ

فقال سفيان: بارك الله عليه، ما أحسن ما قال! ثم قال: وماذا؟ فقال:

وأسـجـدُ بـالـلـيـل حـتـى الـصَّـبـاحِ وأتـلـو مـن الـمُـحْـكَـمِ الـمُـنْـزَلِ

فقال: أحسن الله إليه، ثم ماذا؟ فقال:

عـسـى فـارجُ الـهـمِّ عـن يُـوسـفٍ يُـسـخِّـر لـي ربَّـةَ الـمَـحْـمِـلِ

---

(١) لم أقف عليه من حديث أبي هريرة ﷺ، وأخرجه أحمد من حديث جابر بن عبد الله (١٥٢٠٩) وإسناده ضعيف، وأصله في صحيح البخاري (٥١٦٢) من حديث عائشة ﷺ أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار فقال نبي الله ﷺ: «يا عائشة، ما كان معكم لهو، فإن الأنصار يعجبهم اللهو». وانظر «فتح الباري» ٩/ ٢٢٥.

(٢) أخرج ابن الجوزي في «الموضوعات» (١٥٧٤) من طريق عبد الله بن عبد الله أبي أويس، عن حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس، عن عكرمة، عن ابن عباس أن النبي ﷺ مرّ بحسان بن ثابت وقد رشّ فِناء أُطُمه، وجلس أصحاب النبي ﷺ سِماطين، وجارية يقال لها سيرين معها مزهرها تختلف به بين القوم وهي تغنيهم...

قال ابن الجوزي: وحسين متروك، وأبو أويس ضعيف.

وذكر الخبرين ابن عبد ربه في «العقد» ٦/ ٧-٨ دون إسناد، ولم أقف عليه من حديث أنس ﷺ.

(٣) انظر «العقد الفريد» ٦/ ٩، وأسباب النزول ٣٦٢.

فقال: أمسك، فقد أفسد أخيراً ما أصلح أوّلاً.

وقال الهيثم: أصلُ الغناء من أربعة: ابن سُرَيْج، ومَعْبَد، والغَرِيض، وابنُ مُحْرِز. ومَعْبَد مات في سنة خمس وعشرين ومئة.

وقال إسحاق الموصلي: أول مَن غنّى في الإسلام الغناء الرقيق: طُوَيْس، ودلال، ونَوْمة الضُّحى، وأول شعر غُنِّي في الإسلام: [من مجزوء الرمل]

قد براني الشَّوقُ حتى كِدتُ من وَجدي أذوبُ

قال: وقد غنَّى طُوَيْس في أيام عثمان بن عفان ﷺ[1].

وقال أبو الحارث: اختلف الناس في الغناء بمكة عند محمد بن إبراهيم والي مكة، فأرسل إلى ابن جُرَيج وعمرو بن عُبيد فسألهما، فقال ابن جُريج: لابأس به، شهدتُ عطاءَ بن أبي رباح في خِتان ولده وعنده ابن سُرَيْج يُغنّي، وكان إذا لحن ردَّ عليه عطاء، وإذا غنى لا يقول له: اسكت، وإذا سكت لا يقول له: غَنِّ، فقال عمرو بن عبيد: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨] فمَن يكتب الغناء الملك الذي عن اليمين أو الذي عن الشمال؟ فقال ابن جُريج: لا يكتبه أحد منهما؛ لأنه بمنزلة اللغو وحديث الناس فيما بينهم من أخبار جاهليتهم وتناشدِ أشعارِهم.

وقال الأصمعي: سأل الرشيد إبراهيم بن سعد الزهري هذا المذكور فقال: بلغني أن مالكاً يُحرِّم الغناء، فقال: يا أمير المؤمنين، وهل يجوز لمالك أن يُحلِّل ويُحَرِّم؟ والله ماذاك إلا لابن عمِّك محمد ﷺ كان يفعله بوحي من الله[2]، فمن جعل ذلك إلى مالك؟ والله لقد سمعت مالكاً[3] في عرس ابن حَنْظلة يتغنَّى أو يتمثّل: [من مجزوء الوافر]

سُلَيْمى أزْمَعَتْ بَينا فأينَ تَظُنُّها أينا

وقال العُتبيّ: دخل عبد الله بن عمر يوماً على عبد الله بن جعفر، وبين يديه جارية في حجرها عود، فقال ابن عمر: هذا ميزان؟ قال ابن جعفر: هذا ميزان روميّ

---

(١) الخبران في «العقد» ٦/ ١٠ ، ٢٧ ، وما بين معكوفين منهما.

(٢) في «العقد» ٦/ ١١ : والله ما كان ذلك لابن عمك محمد ﷺ إلا بوحي من ربه.

(٣) في «العقد»: فشهادتي على أبي أنه سمع مالكاً.

والجارية لك، قال: وما معنى روميّ؟ قال: يوزن به الكلام[١]، وقال لها عبد الله: غني، فقالت: [من الوافر]

أيا شَوقاً إلى البلدِ الأمينِ وحيٍّ بين زمزمَ والحَجُونِ

ثم قال ابن جعفر لابن عمر: هل ترى بهذا بأساً؟ قال: لا.

وقال الأصمعي: سمع ابن عمر يوماً [ابنَ] مُحرِز يُغنّي ويقول: [من الكامل]

لو بُدِّلَتْ أعلا منازِلِها سُفلاً فأصبح سفلُها يَعلُو
لعَرفْتُ مَغناها بما اشتملَتْ منّي الضُّلوعُ لأهلِها قَبْلُ

فقال له ابن عمر: قل: إن شاء الله.

وقال الهيثم: مرَّ عبد الله بن جعفر ببعض أزِقَّة المدينة، فسمع غناء من دار، فأصغى إليه فسمع: [من الكامل]

قُلْ للكرامِ ببابنا يَلِجوا ما في الغرامِ على الفتى حَرَجُ

فنزل عن دابَّته، ودخل الدار بغير إذن، وإذا بجماعة من الأشراف، فقاموا إليه وقبّلوا قدميه وقالوا: أنت مولانا وابنُ عمِّ نبينا، وقال له صاحب المنزل: قد قلَّدْتَني مِنَّةً بدخولك إليّ بغير إذن، وما أجد لك مكافأة، فقال: بل أنتم أذِنْتم بقول مغنّيكم: قل للكرام ببابنا يَلجوا، فقال: أنا عبدك، والدار وما فيها لك، فدعا عبد الله بثياب ودنانير وطيب وجارية، فوهب ذلك لصاحب المنزل[٢].

ومن أعيان المغنّين:

قال الأصمعي: منهم عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصّدِّيق، ويقال له: ابن أبي عَتيق، وأمه عائشة بنت طلحة بن عبيد الله، وكانت عائشة رضي الله عنها تُحبُّه وتُعجَب به.

---

(١) في «العقد» ٦/ ١٢: فدخل عليه يوماً وبين يديه جارية في حجرها عود فقال: ما هذا يا أبا جعفر؟ قال: وما تظن به يا أبا عبد الرحمن؟ فإن أصاب ظنك فلك الجارية، قال: ما أراني إلا قد أخذتها هذا ميزان رومي، فضحك ابن جعفر وقال: صدقت، هذا ميزان يوزن به الكلام.

(٢) «العقد» ٦/ ٢٠.

ومنهم آخر يقال له: ابن عائشة، وقال ابن الكلبي: كان ابن عائشة من أحسن الناس خَلْقاً وغناءً، وأضيقهم خُلُقاً؛ إذا قيل له: غنِّ يقول: ألمثلي يقال هذا؟ عليَّ عِتقُ رَقَبة إن غنَّيتُ يومي هذا كلّه، وإذا قيل: أحسنتَ يقول: ألمثلي يقال هذا؟ عليّ عِتقُ رَقَبة إن غنيتُ في يومي هذا.

فلما كان في بعض السنين سال وادي العَقيق، فلم يبق بالمدينة بِكر ولا عاتِق، ولا شابّ، ولا كَهْلٌ، ولا شيخ، إلا وخرجَ يُبصر السيل، فخرج ابنُ عائشة وهو مُعْتَجِرٌ بفضلِ ردائه، وكان الحسن بن علي بن أبي طالب قد خرج فيمن خرج، وبين يدي الحسن غِلمانه، وفيهم أسودان كالسَّارِيَتين، فقال لهما الحسن: والله لئن لم تفعلا ما أقول لكما لأفعلنّ بكما ولأصنعن، اذهبا إلى المُعْتَجِر بردائه، فخذا بضَبْعَيه، فإن فعل ما آمره به وإلا فاقذفاه في العَقيق، فلم يشعر ابن عائشة إلا وقد أخذا بضَبْعَيه والحسن خلفهما، فقال الحسن: أنا فلان، فقال: مرحباً بك وأهلاً، ما الذي تأمر؟ فقال: أقسم بالله لئن لم تُغنِّ مئةَ صوت ليَقذفَنَّك هذان في العقيق، فصاح ووَلْول، فقال له الحسن: دع عنك هذا وخذ فيما يُخَلِّصُك، فقال: سمعاً وطاعة، أقِمْ مَن يُحصي عليَّ، وشرع في الغناء، فترك الناس العَقيق وأقبلوا عليه، فلما غنّى مئةَ صوت كبَّر الناسُ تكبيرةً واحدة ارتجَّت لها المدينة وأقطارها، ودَعَوا للحسن وقالوا: صلى الله على روحك حيّاً وميتاً، فما اجتمع لنا سرور مثل اليوم.

ولما عاد الحسن إلى المدينة أرسل إليه بدنانير وثياب وطيب كثير وقال: ما فعلتُ بك ذلك إلا لشراسة أخلاقك، فكان ابن أبي عتيق يقول: ما مرَّ بي مثل يوم العَقيق[١].

قصة ابن أبي عَتيق مع عثمان بن حيَّان المُرِّي:

حكى ابن الكلبي، عن أبيه قال: لما ولي عثمان المدينة حَرَّم الغناء، وكان ابنُ أبي عَتيق غائباً، فقدم فنزل على سلَّامة الزَّرقاء ـ وكانت حاذقةً بالغناء ـ فأخبرته، فدخل على عثمان فصوَّب رأيَه في تحريم الغناء، ثم قال له: هل لك في امرأة أرسلتني إليك

---

(١) «العقد» ٦/ ٣٥ـ٣٦.

تقول: قد تُبتُ من صنعة الغناء، وأسألك أن لا تحول بيني وبين مجاورة رسول الله ﷺ ـ وكان قد أجَّل المغنِّين ثلاثاً ـ فقال: ومَن يحول بينها وبين ذلك؟ فقال: لابأس أن يراها الأمير؟ فقال: نعم، فجاءت فجلست، وشَرعت تُحدِّثه عن مآثر آبائه، فأعجبه ذلك، فقال لها ابن أبي عتيق: أسمعي الأمير قراءتَك، فقرأت فازداد بها عجباً، فقال: احديه فَحَدَت، فحرَّكه حُداؤها، فقال: غَنِّ فغنَّت، فطرب عثمان حتى نزل من السرير فجلس بين يديها وقال: والله لا يخرج مثلها من المدينة، فقال له: أفتأذن لها وحدها؟ فقال عثمان: قد أذِنتُ للناس كلّهم من أجلها[١].

ومنهم طُوَيْس، وقد ذكرناه في صدر الكتاب في باب الأمثال.

[وله قصة] مع أبان بن عثمان بن عفان بالمدينة[٢] لما ولّاه معاوية المدينة، قال هشام: جاءه طُوَيْس وقد خضب يديه غَمْساً، وبيده دُفّ، وعليه مُلاءةٌ صفراء، فقال: إني نذرتُ عليّ لله إن وَليتَ أن آتيك على هذه الحال، وأغنّيك صوتاً، فقال له أبان: ليس هذا موضعه، فقال: جُعلتُ فِداك بأبي وأمي، لابدَّ من الوفاء بنَذري، فقال: قُلْ، فحسر عن ذراعيه، ومشى بين السِّماطَين وقال:

ما بالُ أهلِكِ يا رباب ... خُزْراً كأنهمُ غِضاب

من أبيات، قال: فصفَّق أبان بيديه، ثم قام من مجلسه فاحتضنه، وقبَّل ما بين عَينيه وقال: تلومونني في طُوَيس؟! ثم قال: أيُّما أسَنّ أنا أم أنت؟ فقال: وحياتك، لقد شهدتُ زفافَ أمِّك المباركة على أبيك الطيّب.

وكان في المدينة السَّائب خاثِر المغني، وقد ذكرناه في قَتْلى الحَرَّة، وأبو قَطيفة بن الوليد بن عُقبة بن أبي مُعَيط، وقد ذكرناه، ومنهم دَلال، ونَومة الضُّحى، ومن طُوَيْس تعلّموا الغناء، والغَرِيض قتلتْه الجنّ لحسن صوته، وقد ذكرناه في صدر الكتاب، وجماعة ما سمَّيتُهم.

---

(١) «العقد» ٦/ ٤٩ـ٥٠ .

(٢) ما بين معكوفين زيادة لتوضيح السياق، وانظر قصته في «العقد» ٦/ ٢٧ـ٢٨ .

رجعنا إلى مَن توفّي في هذه السنة:

عبد الله بن عبد الله

ابن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، أبوه يعرف ببَبَّة، وكنيته أبو يحيى.

من الطبقة الثالثة من أهل المدينة، وكان من أصحاب سليمان بن عبد الملك، خرج حاجاً معه فقتلته السَّموم بالأبواء في طريق مكة، فصلى عليه سليمان ودفنه، وكان ثقةً قليلَ الحديث[١].

عبد الرحمن بن كعب

ابن مالك بن أبي كعب بن القَيْن الأنصاري الخَزْرَجيّ، وأمه أم ولد.

من الطبقة الثانية من التابعين من أهل المدينة، توفي في خلافة سليمان.

وأخوه عبد الله بن كعب قائد أبيه، أمه عُمَيرة بنت جُبير، من بني سَلِمة.

وأخوهما عبيد الله، كنيته أبو فضالة، وأمه عُميرة أيضاً، وكان ثقة، قليل الحديث.

وأخوهم مَعْبد، أمه عُميرة أيضاً، روى عن أبي قتادة.

وكلهم من الطبقة الثانية من تابعي المدينة، ولم يُذكر تاريخ وفاة أحدٍ منهم إلا عبد الرحمن[٢].

محمد بن جُبَير

ابن مُطْعِم بن عَدِيّ بن نَوْفل بن عَبْدِ مَناف بن قصي، كنيته أبو سعيد، وأمه قتيلة بنت عمرو بن الأزرق، من بكر بن وائل[٣].

ومحمد من الطبقة الثانية من التابعين من أهل المدينة، كان ثقةً قليلَ الحديث، وأخوه نافع بن جبير مات في سنة تسع وتسعين[٤].

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٣١١، و«مختصر تاريخ دمشق» ١٢/ ٣٣١، وهذه الترجمة وتاليتاها ليست في (ص).

(٢) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٦٨_ ٢٦٩.

(٣) في «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٠٣: من تغلب بن وائل، وهو الصواب.

(٤) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٠٥.

[فصل: وفيها توفي]

موسى بن نُصَير

صاحب فتوح المغرب، كنيته أبو عبد الرحمن.

[واختلفوا فيه؛] فقيل: أصله من عَين التَّمر، وقيل من (إراشة)، سُبي أبوه من جبل الجليل ـ بجيم ـ وهو جبل صيدا وبيروت، [وكان اسم أبيه نَصر، فصغِّر فقيل: نُصَير]، وقيل: هو مولى لبني أمية، وقيل: لامرأة من لَخْم.

ومولده بقرية كَفَر مُثْرَى[١] من قرى الجزيرة في سنة تسع عشرة [في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه].

وولّاه معاوية غزو البحر، وغزا قُبرس، وبنى بها حصوناً، واتَّخذ ميناوات، وشهد تَلَّ راهط ونِيرَبَا، ثم هرب.

ولما فتح مروان مصر، وعاد إلى الشام، واستخلف ابنَه بمصر، فقصده موسى بن نصير، فاستوهبه عبد العزيز من أبيه مروان.

[وقد ذكرنا أنه غزا المغرب، وأنه قدم على الوليد بمائدة سليمان بن داود عليه السلام.

وذكره الحميدي في «تاريخ المغرب» وقال: كان أميراً بإفريقية، وليها في سنة تسع وسبعين، وكانت الولاة بالمغرب من قبله[٢].

وذكره خليفة فقال:] وفي سنة خمس وتسعين قفل موسى بن نُصير من إفريقية، واستخلف ابنه عبد الله بها، وحمل الأموال في البر والبحر، وكان معه ثلاثون ألف رأس، وقدم على الوليد بن عبد الملك[٣] ومعه المائدة التي زعم أهل الكتاب أنها مائدة سليمان بن داود عليه السلام.

---

(١) في (خ، د، ب): كفرتوثا، والمثبت من «تاريخ دمشق» ١٧/ ٤٠٧ وما سلف بين هلالين منه، و«معجم البلدان» ٤/ ٤٧١، وما سلف ويأتي بين معكوفين من (ص).

(٢) «جذوة المقتبس» ٤، و«تاريخ دمشق» ١٧/ ٤٠٧ (مخطوط).

(٣) «تاريخ خليفة» ٣٠٧.

[وقال يعقوب بن سفيان: كان ذلك في سنة أربع وتسعين]، وقدم معه بالتاج الذي أنزل من السماء على سليمان عليه السلام، فدخل موسى يوم الجمعة والوليد يخطب، فبهت الوليد مما رأى، وسأله عمر بن عبد العزيز ﷺ عن أعجب ما رأى في البحر، فقال موسى: انتهينا إلى جزيرة، فرأينا فيها ستة عشر جرة خضراء مختومة بخاتم سليمان عليه السلام، فأمرتُ بواحدة فنُقبت، وإذا بشيطان يُنغِض رأسَه ويقول: والذي بعثك بالحق وأكرمك بالنبوة؛ لا أعود بعدها أفسد في الأرض، ثم نظر فقال: والله ما أرى سليمان ولا ملكه، ثم ساح في الأرض فذهب، فرددتُ الجرار إلى مكانها[١].

[قال خليفة:] وفي سنة تسع وثمانين أغزى موسى ابنه مروان إلى السوس الأقصى، فبلغ السبي أربعين ألفاً[٢].

وولد مروان بن موسى: عبدَ الملك بنَ مروان بن موسى بن نُصَير، ولّاه مروان بن محمد الجَعديّ مصر، وكان حسن السيرة[٣].

[ذكر وفاته:

قال الحُميدي في «تاريخ المغرب»:] مات موسى بن نُصير مع سليمان في الحج سنة سبع وتسعين.

[واختلفوا في أي مكان؛ فقيل:] بالمدينة وقيل: بمرِّ الظَّهران، وقيل: بوادي القرى، وصلى عليه سليمان [بن عبد الملك.

وقال أبو القاسم بن عساكر:] وكان أعرج[٤].

أسند عن تميم الدّاري، وروى عنه ابنه عبد العزيز بن موسى، واستشهد ابنه عبد العزيز هذا في حياة أبيه، وروى عنه أيضاً يزيد بن مسروق[٥] اليَحْصُبيّ.

---

(١) «تاريخ دمشق» ١٧/ ٤١١_٤١٢.

(٢) «تاريخ خليفة» ٣٠٢، و«تاريخ دمشق» ١٧/ ٤٠٩ (مخطوط).

(٣) «تاريخ دمشق» ٤٣/ ٢٩٣_٢٩٤.

(٤) «تاريخ دمشق» ١٧/ ٤٠٧، ٤١٢_٤١٣، وجاء بعد هذا الكلام في (ص): تم الجزء العاشر بحمد الله وعونه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً برحمتك يا أرحم الراحمين ويتلوه في الجزء الحادي عشر السنة الثامنة والتسعون وفيها جهز سليمان بن عبد الملك بن مروان.

(٥) في النسخ خلا (ص): مروان، والمثبت من «تاريخ دمشق» ١٧/ ٤٠٧، و«السير» ٤/ ٤٩٧ والمصادر فيه.

ولما مات موسى عصى ابنُه عبد الله بن موسى على سليمان بن عبد الملك.

السنة الثامنة والتسعون[1]

وفيها جهَّز سليمان بن عبد الملك أخاه مسلمة إلى القسطنطينية بالجيوش، وأمره أن يقيم بها حتى يفتحها أو يأتيه أمره.

[قال الواقدي بإسناده:] لما دنا مسلمة من القسطنطينية أمر كلّ فارس أن يحمل على عجز فرسه مُدَّين من طعام حتى يأتي به القسطنطينية، فلما وصل إليها قال: ألقُوه فألقوه فكان كالجبال، فقال: لا تأكلوا منه شيئاً، وعليكم بالغارات فكلوا منها، وصنع بيوتاً من خشب فشتى فيها وقال: ازرعوا فزرعوا ولم يصيبوا من ذلك الطعام شيئاً، فأذلّ أهل القسطنطينية.

وكان معه من وجوه الناس: عبد الله بن أبي زكريا الخُزاعيّ، ومجاهد بن جَبْر وغيرهما.

وخرج سليمان فنزل مَرْج دابِق، وأقام يجهّز إلى أخيه الإقامات براً وبحراً، وحصر أهل البلد فضيّق عليهم، ومات ملكهم، وكان عندهم رجل يقال له: إليون فقالوا له: إن صرفتَ عنا مسلمة ملّكناك علينا، فأرسل إلى مسلمة يقول: نعطيك عن كل رأس دينار، فأجاب مسلمة، فأرسل إليه إليون يخدعه ويقول: قد أبَوا أن يُعطوك ما قلت لك، وهذا الطعام يحربهم عليك؛ لأنهم يظنون أنك تطاولهم ولا تَصدقهم القتال ما دام الطعام عندك، فلو أحرقتَ الطعام أجابوا إلى ما تريد، فأحرق الطعام وأقام أياماً، فغدر به إليون، وقوي العدو، وضاق على المسلمين حتى أشرفوا على التَّلَف.

وفي رواية: أن سليمان لما نزل مرج دابق عاهد الله لا يفارق المرج حتى يدخل الجيش الذي بعثه إلى القسطنطينية، وأقام مسلمة محاصرها، مستظهراً عليهم بما عنده من الطعام، وضعف القوم، ومات ملك القسطنطينية، فجاء إليون صاحب أرمينية إلى سليمان، فضمن له أن يسلم إليه أرض الروم إذا ملك البلد، ودخل إليون البلد فملّكوه عليهم، وأقام مسلمة يجمع الطعام حتى جمع شيئاً كثيراً، وبعث إليه إليون يقول: إنني

---

(١) قبلها في (ص): بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي إلا بالله.

قد اتَّفقتُ مع الروم بأن أيدينا معك واحدة، ونعطيك ما طلبت فلم يصدقوني وقالوا: نخاف على نفوسنا من السِّباء والقتل، فابعث إليهم من الطعام الذي عندك حتى يعلموا اتّفاقنا، وبعد ذلك يخرجوا من القسطنطينية بالأمان، فأذن لهم مسلمة في نقل الطعام وقد هيَّأ إليون السفن والرجال، فنقلوا ما كان في الحظائر، فلم يدعوا إلا التُّراب والتِّبن، وكانت خديعة من إليون، ثم أصبح إليون فناصبه الحرب، فأقام المسلمون في أسوأ حال من الضيق والجهد والجوع، حتى أكلوا الجلود وورَقَ الشَّجر والجِيف، وهجم الشتاء ونزل الثلج، وسليمان بدابق، فلم يقدر أن يُمدّهم، ومات سليمان فأرسل عمر بن عبد العزيز فأقفلهم، ولام الجند مَسلمة وقالوا: لو كنت امرأةً ما جرى عليك ما جرى من خديعة إليون.

وفي هذه السنة بايع سليمان لابنه أيوب بولاية العهد، وكان عبد الملك بن مروان قد أخذ العهد على الوليد وسليمان أن يُبايعا لأحد ابنَي عاتكة بنت يزيد بن معاوية وهما: مروان ويزيد، فمات مروان، وأمسك سليمان عن يزيد وتربّص عليه، وبايع لابنه أيوب رجاء أن يموتَ يزيد، فمات أيوب وبقي يزيد، فولي الخلافة بعد عمر، وبايع سليمان لابنه أيوب في سنة سبع وتسعين.

[وقد اختلفت الروايات في ذلك؛ فقال المدائني: سبب ولاية سليمان لابنه أيوب العهد أنه] كان جالساً يوماً عند أبيه، فتنحَّى عنه فقال: مالك يا بني؟ قال: خَدرت رجلي، فقال: اذكر أحبَّ الناس إليك، فقال: صلى الله على محمد، فقال سليمان: إن ابني هذا سيد، وإني عنه لغافل، فولّاه العهد.

وفي هذه السنة غزا يزيد بن المهلَّب جُرْجَان وطَبَرِسْتان وتلك النواحي، فغنم غنائم كثيرة، وقتل وسبى.

قال هشام بن محمد: إن يزيد بن المهلَّب لما قدم خراسان أقام ثلاثة أشهر أو أربعة، وسار إلى دِهِسْتان وجُرجان، واستخلف ابنه محمداً على خراسان، وكان أهل دِهِستان طائفة من التُّرك، فنازل دهستان ومعه مئة ألف مقاتل من أهل البصرة والكوفة والشام وخراسان، سوى الموالي والمطوِّعة، فأقام مدة يحاصرها، ويخرجون إليه فيقاتلونه، وقطع عنها المواد، وضيّق عليهم.

فأرسل دِهقان دِهِستان إلى يزيد يطلب منه الأمان على نفسه وأهله وماله، وأن يُسلّم إليه المدينة، فأجابه ففتح له الباب، فدخل المدينة فأخذ ما كان فيها من الأموال والكنوز والسبي ما لا يحصى، وقتل أربعة عشر ألف تركيٍّ صبراً، وكتب بالفتح إلى سليمان بن عبد الملك.

وخرج حتى أتى جُرجان، فاستقبلوه بالصلح، وكانوا قبله يصالحون أمراء المسلمين على مئة ألف، ومئتي ألف، وثلاث مئة ألف على قدر الأوقات، فزادوا يزيد بن المهلب على ذلك، وهابوه وخافوا منه، فاستخلف عليهم أسد بن عبد الله من الأزد.

وسار يزيد نحو طَبَرِسْتان وبها الأصبهبذ، فأقام يتهيأ لقتاله، فأرسل الأصبهبذ إلى يزيد يسأله الصلح، فأبى إلا افتتاح البلد، فاستجاش الأصبهبذ عليه الدَّيْلَم وغيرهم، فلم ينل منه يزيد طائلاً ودام القتال، ثم رأى يزيد الصلح، فصالح الأصبهبذ على سبع مئة ألف درهم، وأربع مئة ألف نقداً، وأربع مئة حمار موقرة زعفراناً، وأربع مئة رجل، على رأس كل رجل بُرْنُس، على البرنس طيلسان وجام فضَّة وسَرَقة من حرير، وقد كانوا صالحوا قبل ذلك على مئتي ألف درهم، ولولا ما صنع أهل جرجان لكان يزيد افتتحها عنوة.

وقال كُلَيْب بن خَلَف: كان سعيد بن العاص قد افتتح جرجان صلحاً، ثم نقضوا العهد، فلم يأتِ جرجان بعد سعيد أحد، وسدُّوا الطرق فلم يسلك إليها إلا من طريق واحد، فأتاهم يزيد بن المهلب، فصالحوه على صُلح سعيد بن العاص على ثلاث مئة ألف.

وقال كُلَيب بن خَلَف: لم تكن جرجان مدينة، وإنما كانت جبالاً وشعاباً، يقوم الرجل على باب منها فلا يقدم عليه أحد، وكان يقال لملكها: صول، فكان يخرج فيقاتل، ثم اشتدّ عليهم الحصار، فأرسل ملكُها صُول يطلب من يزيد الصُّلح فقال: لا إلا أن ينزل على حُكمي، فأبى وقال: أنا أصالحك على نفسي ومالي وخاصّتي وأهل بيتي، فصالحه ووفى له، ثم دخلها يزيد عَنوة، فقتل مَن كان بها.

وكان على خزائن يزيد شَهْر بن حَوْشب، فرُفِع إلى يزيد أنه أخذ خَريطة، فسأله عنها فأحضرها، فشتم يزيد مَن رفع على شهر، وقال لشهر: خذها فقال: لا حاجةَ لي فيها، فقال القُطاميّ الكَلبيّ، وقيل: سِنان بن مُكَمّل النُّميريّ: [من الطويل]

لـقـد بـاع شـهـرٌ ديـنـه بـخـريـطـةٍ فـمَـن يـأمَـنُ الـقُـرَّاءَ بـعـدك يـا شـهـرُ
أخـذتَ بـه شـيـئـاً طَـفـيـفـاً وبـعـتَـه بـشـيءٍ يـسـيـرٍ إن هـذا هـو الـغَـدرُ[١]

وقال أبو محمد الثَّقَفيّ: أصاب يزيد بجرجان تاجاً فيه جوهر له قيمة، فقال يزيد لأصحابه: أترون أحداً يَزهد في هذا التاج؟! قالوا: لا، فقال لمحمد بن واسع الأزدي: خذه فهو لك، فقال: لا حاجة لي فيه، فقال: عَزَمتُ عليك، فأخذه، فقال يزيد لرجل: اخرج خلفه فانظر ما يصنع به، فلقي سائلاً فدفعه إليه، فأخذ الرجلُ السائلَ، فأتى به إلى يزيد فأخبره الخبر، فأخذ يزيد التاج، وعوّض السَّائلَ مالاً.

وفي رواية: أن سليمان بن عبد الملك لما كان يزيد بن المهلب عنده؛ كان كلما فتح قتيبة بن مسلم[٢] فتحاً يقول ليزيد: أما ترى ما يصنع الله على يدي قتيبة؟ فيقول يزيد: ليست هذه الفتوح بشيء؛ إنما الشأنُ في جرجان التي حالت بين الناس والطريق الأعظم، وأفسدت قُومس والبلاد.

وكانت جرجان قد عَصَتْ على المهلَّب وقُتيبة والأمراء الذين كانوا بخراسان، فلما ولي يزيد خراسان لم يكن له همٌّ إلا جُرجان، فلما فتح طبرستان أحاط بها بالعساكر من كل وجه، وكانوا قد نقضوا عهد يزيد، وهذه المرة الثانية، وكانوا قد قتلوا من المسلمين أربعة آلاف مع عبد الله بن المُعَمَّر، فحلف يزيد لئن ظفر بهم لا يرفع السيف عنهم حتى يطحن بطواحين من دمائهم، ويخبز من ذلك الطحين، ويأكل منه، فتحصّنوا منه، وحولها غِياض وآجام، وليس يعرف لها إلا طريق واحدة، وقد عجز يزيد عنهم لأنهم أشحنوا ذلك الطريق بالرجال ووعروه.

فخرج رجل من عسكر يزيد واسمه الهيَّاج بن عبد الرحمن الأزدي، فأوغل وراء وَعِل، فأشرف به على عسكر القوم، فعاد إلى أصحابه، ودخل على يزيد فقال: تريد أن تظهر على القوم بغير قتال ولا تَعَب؟ قال: نعم، قال: أريد جَعالتي، فقال: احتكِم، فقال: أربعة آلاف، قال: هي لك وزيادة، فندب معه جماعة من الفرسان وقال: الموعد بيننا غداً وقت الظهر.

---

(١) «تاريخ الطبري» ٦/ ٥٣٩ .

(٢) من هنا إلى ما قبل ترجمة كريب بأسطر ليس في (ب).

وبات يزيد يُعبِّي أصحابه، وأصبح فأضرم النيران حول العسكر وفي الغِياض، فخرجوا يقاتلون، فما شعروا إلا بكمين المسلمين وقت الظهر قد حلَّ من ورائهم - وكانوا آمنين من تلك الناحية - فركبهم المسلمون، فدخلوا الحصن وأعطوا بأيديهم، ونزلوا على حكم يزيد، فسبى ذَراريهم، وقتل مُقاتلتهم، وصَلَبهم فرسخين على يمين الطريق ويساره، وقاد منهم اثني عشر ألفاً إلى الأندرهز - وادي جُرجان - وقال لأهل المقتولين بالأمس: اثْأروا، فكان الرجل يقتل الأربعة والخمسة، حتى أُجري الدم في الوادي على الماء، عليه أرحاء فدارت على دمائهم، ثم خبز وأكل ليبرَّ قَسَمه.

ويقال: إنه قتل منهم أربعين ألفاً، وبنى بجرجان مدينة لم يكن لها مدينة قبل ذلك، وعاد يزيد إلى مرو، واستعمل على جرجان جَهْم بن زَحْر بن قيس الجُعفيّ.

وكتب يزيد إلى سليمان بن عبد الملك: أما بعد، فإن الله قد فتح لأمير المؤمنين فتحاً عظيماً، وصنع للمسلمين صنعاً عظيماً وذلك فتح جرجان وطبرستان، وقد أعيى ذلك سابور ذا الأكتاف، وكسرى بن قُباذ، وكسرى بن هُرمز، وأعيى الفاروق وعثمان ابن عفان، ومَن بعدهما من خلفاء الله، فتحه لأمير المؤمنين كرامة من الله، وزيادة في نعمه عليه، وقد صار عندي من خُمس ما أفاء الله على المسلمين بعد أن صار إلى كلّ ذي حقٍّ حقُّه - وهم مئة وعشرون ألفاً - من الفيء والغنيمة ستة آلاف ألف، وفي رواية: أربعة آلاف ألف ألف، وأنا حامل ذلك إلى أمير المؤمنين، وباعث إليه بعَطِرات عليها الأموال والطّيب، أولها عنده وآخرها عندي، العَطِرات: النُّوق الكرائم.

فقال له كاتبه المغيرة بن أبي قُرَّة مولى بني سَدوس: لا تعيِّن مالاً، وأبْهِم الأمر، وأسقط التَّعيين من الكتاب فإنك بين أمرين: إما أن يستكثره فيأمرك بحمله، وإما أن تسخو نفسه فيُسَوِّغك إياه، فتتكلف الهدايا، فلا يأتيه شيء من قِبَلك إلا استقلَّه، وكأني بك وقد استغرقك ما سمَّيت، ولم يقع منه موقعاً، ويبقى المال المسمَّى مخلَّداً في دواوينهم، فإن ولي والٍ بعده أخذك به، وإن ولي مَن يتحامل عليك لم يرضَ منك

بأضعافه، فاكتب إليه بالفتح، وسَلْه القدوم عليه لتُشافهه بما أحببتَ. فأبى يزيد، وأمضى الكتاب على التَّسْمِية، فكان كما قال الكاتب: البلاء مُوكَّل بالمنطق، مات سليمان قبل وصول الكتاب إليه، فلما ولي عمر بن عبد العزيز ﷺ طلب من يزيد المال، وحبسه لما يذكر.

وفيها غزا داود بن سليمان بن عبد الملك أرض الروم، ففتح حصن المرأة مما يلي مَلَطْيَة.

وفيها عادت الزلازل أربعين يوماً، وقيل: دامت ستة أشهر، فهدمت القلاع والأماكن العالية.

وفيها استعمل سليمان بن عبد الملك عروة بن محمد بن عَطِيَّةَ السَّعديّ على اليمن، وأقرَّه عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه، ويزيد بن عبد الملك بن مروان.

وكان عروة من الزهَّاد، دخل إلى اليمن ومعه مصحفه وسيفه ورمحه وهو على ناقة فقال: يا أهل اليمن، إن خرجتُ من عندكم بغير ما دخلتُ به إليكم فأنا سارق، فأقام عندهم عشرين سنة، فخرج كما دخل إليها، وأقام أميراً إلى أيام مروان بن محمد.

وقال ابن عبد البر: كان عروة أميراً على الجند لمروان بن محمد، وهو الذي قتل أبا حمزة الخارجي، وقيل: إنما قتله عبد الملك أخو عروة، وكان عروة من رواة الحديث، أسند عن أبيه وجده عطيّة بن [عروة بن] القَين، وكانت له صحبة. وروى عن عروة جماعة من أهل اليمن وغيرهم[1].

وحج بالناس عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أَسيد، وقيل: إنما حجَّ بهم يزيد بن عبد الملك، وهو أصح.

وكان العمال في هذه السنة هم العمال الذين كانوا في السنة الماضية.

---

(١) انظر «تاريخ دمشق» ٤٧/ ٣٠١.

وفيها توفي

أيوب بن سليمان بن عبد الملك

وأم أيوب أم أبان بنت أبان[١] بن الحكم، وقيل: بنت خالد بن الحكم، وأمها أم عثمان[٢] بنت خالد بن عُقبة بن أبي مُعَيط.

وقد مدحه جرير فقال: [من الطويل]

وقد عرف الناسُ الخليفةَ بعده ... كما عرفوا مَجرى النجومِ الطَّوالعِ

وقال أيضاً: [من البسيط]

إن الإمامَ الذي تُرجَى فَواضِلُه ... بعد الإمام وليُّ العهدِ أيّوبُ

كونوا كيوسفَ لما جاء إخوتُه ... واستسلموا قال ما في اليوم تَثْريبُ[٣]

وحكى الهيثم: أن رجلاً جاء يطلب ميراثاً من بعض نساء الخلفاء من سليمان، فقال سليمان: ما إخالُ النساء يرثن من العقار شيئاً، فقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه: سبحان الله فأين كتاب الله؟ فقال سليمان: عليَّ بسِجِلّ عبد الملك الذي كتب في ذلك، فقال عمر رحمه الله: كأنك تطلب المصحف! وكان أيوب ولي العهد حاضراً فقال: ليوشكن الرجل يتكلم بمثل هذا عند أمير المؤمنين، ثم لا يشعر أن يفارقه رأسه، فقال له عمر رضي الله عنه: أما إذا أفضى الأمر إليك وإلى أمثالك؛ فما يدخل على أولئك أشد مما خشيت أن يصيبهم من هذا، فقال سليمان لابنه: مه، لأبي حفص تقول هذا[٤]؟

(١) في (خ) و(د): أم أبان بنت سليمان بن الحكم، وهو خطأ، والمثبت من «تاريخ دمشق» ٣/ ٢٧٤ (مخطوط)، وسماها المصعب الزبيري في «نسب قريش» ١٧١، وابن حزم في جمهرته ١١٠: مليكة، ووقع في «العقد الفريد» ٤/ ٤٢٦ سقط يستدرك من هنا والمصادر.

(٢) في النسختين: عمار، وهو خطأ، صوابه في «نسب قريش» ١٧١، و«أنساب الأشراف» ٧/ ٤١.

(٣) البيتان في ديوان جرير ٣٤٨-٣٤٩، والثلاثة في «تاريخ دمشق» ٣/ ٢٧٤، ٢٧٥، والبيت: إن الإمام؛ في «أنساب الأشراف» ٧/ ٤٠، و«العقد» ٤/ ٤٢٦.

(٤) «تاريخ دمشق» ٣/ ٢٧٦.

قال ابن أبي الدنيا: حدثني أبو صالح المروزي قال: سمعت حاتم بن عطارد قال: حدثني أبو الأبطال قال(١): بعثت إلى سليمان بن عبد الملك بستة أحمال مسك، فمررتُ بدار أيوب بن سليمان، فإذا بدار كلّها وما فيها بياض، ثم أُدخلتُ إلى دار فإذا كل ما فيها أصفر، ثم أُدخلت إلى دار وإذا كل ما فيها أحمر وهي حمراء، ثم أدخلت منها إلى دار خضراء وما فيها كذلك، فإذا بأيوب وجارية له على سرير ما أعرفه من الجارية، ولحقني من كان في تلك الدار فانتهبوا ما معي من المسك.

ثم خرجت، فلما صرت إلى سليمان صليت العصر في المسجد، وقلت لرجل إلى جانبي: هل شهد أمير المؤمنين الصلاة؟ فأشار إلى سليمان، فأتيته فكلّمته فقال: أنت صاحب المسك؟ قلت: نعم، قال: اكتبوا له بالموافاة، ثم مررت بعد سبعة عشر يوماً فإذا الديار بلاقع، قلت: ما هو؟ قالوا: طاعون أصابهم فماتوا كلهم.

[وروى ابن أبي الدنيا(٢) أن المسك بعثه يزيد بن المهلب من خراسان.]

وقال ابن أبي الدنيا: كان سليمان قد عهد إلى أيوب، فمرض ونزل به الموت، فدخل عليه أبوه وهو يجود بنفسه ومعه عمر بن عبد العزيز ﷺ ورجاء بن حَيْوَة وسعد بن عُقبة الكاتب، فلما نظر إلى وجه أيّوب خَنَقته العَبْرة فقال: ما يملك العبد أن يسبق إلى قلبه الوَجْد، وليست منكم حِشمة، وإني أجد في قلبي لوعة إن لم أُسكّنها بعَبرة انصَدعت كبدي كَمداً وأسفاً، فقال عمر: يا أمير المؤمنين، الصَّبرُ بك أولى، فنظر إلى سعد ورجاء نَظرَ مُستغيث، فقال له رجاء: افعل ما لم تأت بالأمر المُفرط، فقد بلغني أن رسول الله ﷺ وجد على ابنه إبراهيم وقال: «تَدمع العين، ويَخشع القلب، ولا نقول ما يسخط الربَّ».

فبكى سليمان بكاءً شديداً، ثم رقأت عَبرتُه، وغسل وجهَه، ومات أيوب، فصلّى عليه ومشى في جنازته، ثم وقف على قبره وقال: [من الطويل]

وقوفٌ على قبرٍ مُقيمٍ بقَفْرَةٍ   متاعٌ قليلٌ من حبيبٍ مُفارِقِ

ثم قال: عليك السّلام يا أيوب، ثم أنشد: [من السريع]

---

(١) قوله: قال ابن أبي الدنيا حدثني أبو صالح المروزي، من كتاب «الاعتبار» (١٦)، وما بعده إلى هنا من (ص).

(٢) في كتاب «الاعتبار» (٢٣)، وما بين معكوفين من (ص).

كـنـتَ لـنـا أُنْـسـاً فـفـارقْـتَـنـا ... فـالـعـيـشُ مـن بـعـدك مُـرُّ الـمـذاق

فقال له عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه: بل الصبر؛ فإنه أقرب إلى الله وسيلة، وليس الجزع بمُحْيٍ من مات، ولا برادٍّ ما فات، فقال له سليمان: صدقتَ، وبالله العصمة والتوفيق.

وقال ابن أبي الدنيا: اشتدّ جزع سليمان على ابنه أيوب، فجاءه المعزُّون من الآفاق، فقال رجل منهم: إن امرأً حدَّث نفسه بالبقاء في الدنيا، ثم ظن أن المصائب لا تصيبه فيها لَغيرُ جيِّد الرأي(١).

[واختلفوا في وفاته؛ فقال الواقدي:] توفي في آخر سنة ثمان وتسعين.

[وقال هشام: توفي] في المحرَّم لثمان خلون منه في سنة تسعٍ وتسعين، ومات أبوه في صفر لعشرٍ بقين منه سنة تسع وتسعين، فكان بينهما اثنان وأربعون يوماً، وكان عمر أيوب أربع عشرة سنة، وكان من أحسن الناس وَجْهاً، وأطيبهم خُلقاً.

[وقيل: إن سليمان أغزى ابنه أيوب مع مسلمة إلى بلد الروم، فعاد أيوب من الغزاة فمرض فمات.

وقال المدائني: الثبت عندنا أن أيوب مات بالشام مطعوناً، ولم يكن غازياً، إنما الغازي مسلمة بن عبد الملك.]

وذكر أبو محمد بن حزم في كتابه المسمَّى: «نقط العَروس»(٢): أن سليمان قتل ابنه أيوب سرّاً؛ لأنه ارتد إلى النصرانية، كان قد ضمَّه إلى عبد الله بن عبد الأعلى الشاعر، وكان زِنديقاً فزَنْدقه، فدسّ إليه سليمان سمّاً فقتل أيوب.

قال المصنف رحمه الله(٣): وقد أخطأ ابن حزم؛ فإنهم اتَّفقوا على أن سليمان حزن عليه، حتى قالوا: إنه انفلقت كبِدُه فمات كمداً، ثم ابن أربعة عشر سنة من أين تأتيه

---

(١) «الاعتبار» (١٧ـ٢٠).

(٢) ٢/ ٥١ (رسائل ابن حزم)، وما سلف بين معكوفين من (ص)، وانظر «أنساب الأشراف» ٧/ ٤١ ، ٤٢ ، ٥٦ ، و«تاريخ دمشق» ٣/ ٢٧٧ـ٢٧٨ (مخطوط).

(٣) في (ص): قلت.

الزندقة؟ وعبد الله بن عبد الأعلى لم يكن زنديقاً، وإنما المتَّهم بالزندقة أخوه عبد الصمد، وسنذكره.

ولما مات أيّوب قال بعض الرجّاز:

إن يكُ أيوبُ مضى لشَانِه فإن داودَ لفي مكانِه
يُقيمُ ما قد زال من سُلطانِه

يعني داود بن سليمان.

ثابت بن عبد الله

ابن الزبير بن العوام، وأمه بنت مَنْظور[1] بن زَبَّان.

من الطبقة الثالثة من التابعين من أهل المدينة، كُنيته أبو مصعب، وقيل: أبو حُكَيمة.

كان لسان آل الزبير جَلَداً وفصاحةً وبَياناً، جمع القرآن في ثمانية أشهر.

وكان يشهد القتال مع أبيه، ويبارز بين يديه، وغضب عليه يوماً فقيَّده، وهجم أهل الشام المسجد، فقال له أبوه: قم يا بني فرُدَّهم عني، فقام فردَّهم وهو مقيَّد، فلما قُتل أبوه لحق بعبد الملك فأكرمه.

وقال له يوماً: يا ثابت، لمَ غضب عليك أبوك فقيَّدك؟ هو كان أعرف بك حيث فعل بك ذلك، فقال: لأني نَهيتُه أن يقاتل بأهل مكة؛ لأنهم أخرجوا رسول الله ﷺ وأخافوه، ونهيته أن يقاتل بأهل المدينة[2]؛ لأنهم خذلوا عثمان وهو بينهم حتى قتل، فقال عبد الملك: شِنشِنَةٌ أعرفُها من أَخْزم.

ومن ولد ثابت: نافع، وخُبيب، ومُصعب.

فأما نافع: فكان من أعبد أهل زمانه، صام خمسين سنة، وكان يُعظِم المعاصي.

---

(١) في (خ) و(د): أم منظور، وهو خطأ، فإن اسمها تماضر بنت منظور، انظر «نسب قريش» ٢٣٩، و«جمهرة نسب قريش» ١/ ٨٣، و«طبقات ابن سعد» ٧/ ٤٠٦، و«تاريخ دمشق» ٣/ ٥٦٩ (مخطوط). وغيرها كثير. وهذه الترجمة وتاليتها ليستا في (ص).

(٢) في (خ) و(د): مكة، والمثبت من «تاريخ دمشق» ٣/ ٥٧٢، و«التبيين» ٢٦١.

وكان لنافع من الولد: عبد الله الأكبر، وعبد الله الأصغر، وكانا من أهل الفضل والصلاح، وكان الأكبر يلي أيتام آل الزبير بالكفاية والأمانة، وكان الأصغر حين توفي الأكبر هو المَنْظور إليه بالمدينة من قريش؛ في هديه وسَمْتِهِ وفقهه وعفافه، سَرد الدَّهر صياماً وحُمل عنه الحديث.

وأما خُبيب بن ثابت فكان شديدَ العارِضةِ أَيِّداً، وكان له ولد اسمه الزُّبير بن خُبيب، حمل عنه الحديث، وكان من وجوه قريش فقهاً وعلماً وعبادة وجمالاً، أقام بمسجده سبع سنين لا يخرج منه إلا للوضوء.

وكان لخُبيب ابن اسمه المغيرة، وكان يصحب المهدي، ويعطيه الأموال فيتصدَّق بها على أهل المدينة(١).

أسند ثابت بن عبد الله بن الزبير عن أبيه، وسعد بن أبي وقّاص، وقيس بن مَخْرَمة، وروى عنه نافع مولى [ابن] عمر وغيره، وكان ثقة(٢).

[جعفر بن الزبير] بن العوَّام(٣)

أمه زينب بنت مَرْثَد بن عَمرو بن ثَعلبة، وهو من الطبقة الثانية من التابعين من أهل المدينة، وكان قد كبر، وبقي حتى مات في آخر خلافة سليمان.

وكان له من الولد: يحيى وثابت، أمهما بَسَّامة بنت عُمارة، أنصارية، وصالح، وهند، وأم سلمة، ومحمد، وأم حسن، وحَمَّادة، وشُعيب، وآدم، ونوح، وعمرو، وأم صالح، وعائشة، وأم حَمزة، ومريم، وأم عروة، لأُمَّهات أولاد شَتّى.

عبد الرحمن بن الأسود

ابن يزيد بن قيس النَّخَعيّ، كُنيته أبو حَفْص، وقيل: أبو بكر، وفد على عمر بن عبد العزيز رحمه الله.

---

(١) «التبيين» ٢٦١_٢٦٢.

(٢) «تاريخ دمشق» ٣/ ٥٦٩ وما بين معكوفين منه.

(٣) ما بين معكوفين زيادة من طبقات ابن سعد ٧/ ١٨٢، وكان في (خ) و(د) بدلها: وقال ابن العوام؟!

قوله[١]: وفد على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فيه نظر، إن كان فقبل أن يلي الخلافة، وإلا لم يدرك خلافته على ما ذُكر من وفاته في هذه السنة.

وكان يدخل على عائشة رضوان الله عليها قبل أن يَحتلم بغير إذن، وبعدما احتلم بإذن فيسألها، قال: فأتيتُها يوماً بعد ما احتلمتُ، فناديتُها من وراء الحجاب فقالت: أفعلتَها أيْ لُكَع؟ فقلت: نعم، ما يُوجب الغُسل؟ فقالت: إذا التقت المَواسي.

وكان عبد الرحمن يصلّي بقومه في رمضان اثنتي عشرة تَرويحة، ويصلّي لنفسه بين كل ترويحتين اثنتي عشرة ركعة، ويقرأ بهم ثُلث القرآن كل ليلة، وكان يقوم بهم ليلة الفطر ويقول: إنها ليلة عيد.

وقال الشعبي: أهل بيت خُلقوا للجنة علقمة والأسود وابنه عبد الرحمن.

وصلّى عبد الرحمن الفجر بوضوء عشاء الآخرة ستين سنة.

واتّفقوا على ثقته ودينه وصلاحه، ومات بالكوفة في هذه السنة، وأدرك عمر بن الخطاب رضوان الله عليه، وحدَّث عن عائشة رضوان الله عليها، وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، وروى عن أبيه الأسود، وعلقمة، وروى عنه محمد بن إسحاق صاحب المغازي، ومالك بن مِغْوَل، والأعمش وغيرهم[٢].

[فصل: وفيها توفي]

عبيد[٣] الله بن عبد الله

ابن عُتبة بن مسعود الهُذَليّ، وكنيته أبو عبد الله.

وهو من الطبقة الثانية [من التابعين] من أهل المدينة.

وكان عالماً زاهداً عابداً ورعاً.

---

(١) أراد به ابن عساكر، انظر تاريخه ٩/ ٨٨١ (مخطوط).

(٢) «طبقات ابن سعد» ٨/ ٤٠٦، و«تاريخ دمشق» ٩/ ٨٧٩، و«السير» ٥/ ١١.

(٣) في (خ) و(ص) وما بين معكوفين منها: عبد، وهو خطأ. انظر «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٤٦، و«المعارف» ٢٥٠، و«حلية الأولياء» ٢/ ١٨٨، و«السير» ٤/ ٤٧٥.

قال الزُّهري: أدركتُ أربعةً من بحور العلم من قريش: سعيد بن المسيّب، وأبا سلمة بن عبد الرحمن، وعروة بن الزبير، وعُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة.

وحكى أبو نُعيم: أن عمر بن عبد العزيز كان يأتي في إمارته إلى عبيد الله، فربما أذِن له، وربما حَجَبه(١).

وكان عمر بن عبد العزيز يقول: مَن لي بليلةٍ من عُبيد الله بألف دينار.

وكان أحدَ الفقهاء السبعة، وكان الزهري يُلازمه ويأخذ عنه، وإذا رآه قام له، فلما استَنْفَذَ ما عنده جاءه يوماً فلم يقم له، فقال له: ويحك يا بن شهاب، أنت بعدُ في الكُتَّاب.

وجدُّه عُتبة أخو عبد الله بن مسعود لأبويه، قديمُ الإسلام، ولم يَرْوِ عن رسول الله ﷺ شيئاً، ومات في خلافة عمر بن الخطاب رضوان الله عليه، وأما ابنه عبد الله فإنه نزل الكوفة، ومات بها في خلافة عبد الملك.

[وقال الواقدي:] توفي عبيد الله بالمدينة سنة ثمان وتسعين أو تسع وتسعين وقد ذهب بصرُه، وكان ثقةً كثير العلم، [قال: وكان يقول الشعر فيقال له في ذلك فيقول: أرأيتم المَصْدور إذا لم يَنْفُث أليس يموت؟](٢).

روى عبد الرحمن بن أبي الزِّناد، عن أبيه قال: قدمت المدينةَ امرأةٌ من هُذَيل وكانت جميلة، فكادت تذهب بعقول أكثرهم فخطبوها، فقال عُبيد الله فيها: [من الطويل]

أُحِبُّكِ حباً لا يُحبُّك مثلَه ... قريبٌ ولا في العاشقين بعيدُ
أحبك حباً لو شَعرتِ ببعضه ... لجُدْتِ ولم يَصْعُب عليك شَديدُ
وحبُّكِ يا أمَّ الصَّبيِّ مُدَلِّهي ... شهيدي أبو بكرٍ فنعمَ شَهيدُ

(١) «حلية الأولياء» ٢/ ١٨٨ .

(٢) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٤٦ ، وما بين معكوفين من (ص).

ويَعرفُ وَجدي قاسم بنُ محمد وعروةُ ما أَلقى بكم وسَعيدُ
ويَعلم ما أُخفي سليمانُ علمَه وخارجةٌ يُبدي لنا ويُعيدُ
متى تسألي عما أقول وتُخْبَرِي فلله عندي طارِفٌ وتَليدُ

وبلغ ابنَ المسيّب فقال: أما أنت فقد أمنتَ أن تسألَنا، ولو سألْتَنا ما شهِدنا لك بزُور[١].

أسند عبيد الله عن: [أبي] طلحة، وسَهْل بن حُنَيف، وزيد بن خالد الجُهَنيّ، وأبي سعيد، وابن عباس، وأبي هريرة وغيرهم، وروى عنه الزهري وغيره[٢].

وولده عَون بن عبيد الله[٣]، كان عالماً شاعراً، وكانت له منزلة عند عمر بن عبد العزيز، ولما قدم الشعراء على عمر ولم يأذن لهم، خرج عَون يوماً من عند عمر، فناداه جرير فقال: [من البسيط]

يا أيُّها القارىء المُرْخي عِمامَتَه هذا زمانُك فامْرَح فيه لا زَمَني[٤]
أبلغْ خليفَتَنا إن كنتَ لاقِيَه أنّي لدَى البابِ كالمَصْفُود في قَرَنِ[٥]

[وقيل: إنما خاطب جرير مَسلمة بن عبد الملك، وسنذكر القصة في سيرة عمر.

وكان عَون من الشعراء الفصحاء، وهو القائل[٦]:]

---

(١) «الأغاني» ٩/ ١٤٨، و«اعتلال القلوب» ٢٥٤، و«ذم الهوى» ١٦٦، و«المنتظم» ٧/ ٣٠.

(٢) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٤٦ وما بين معكوفين منه، وانظر «السير» ٤/ ٤٧٥.

(٣) كذا في (خ)، وفي (ص): عبد الله، وصوابُ العبارة: وأخوه عَوْن بن عبد الله... فإن عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أخو عبيد الله بن عبد الله، وليس ولده. انظر «طبقات ابن سعد» ٨/ ٤٣٠، و«المعارف» ٢٥٠-٢٥١، و«الأغاني» ٩/ ١٣٩، و«أنساب الأشراف» ١٠/ ١٧٣، و«تاريخ دمشق» ٥٦/ ٢١٧، و«تهذيب الكمال» (٥١٤٢)، و«السير» ٥/ ١٠٣ وفيه مصادر أخرى.

(٤) ديوان جرير ٥٧٠، ٧٣٨، والمصادر في الحاشية السالفة، ورواية الشطر الثاني فيها:

إنـي قـد مـضـى زمـنـي

(٥) هنا ينتهي السقط في (ب) المشار إليه قبل صفحات.

(٦) لم أقف على نسبة الأبيات التالية لعون، وإنما نسبوها إلى عبيد الله بن عبد الله، انظر «أمالي القالي» ٢/ ٢٠، و«مجالس ثعلب» ٢٣٦-٢٣٧، و«الأغاني» ٩/ ١٤٩، ١٥٠، و«العقد» ٥/ ٢٨٨، و«مصارع العشاق» ١/ ٣٢١.

كتمتَ الهوى حتى أضرَّ بك الكَتْمُ ولامَك أقوامٌ ولومُهُمُ ظُلْمُ
ونمَّ عليك الكاشحون وقبلَهم عليك الهوى قد نَمَّ لو نَفعَ النَّمُّ
فيامَن لنفسٍ لا تموتُ فيَنقضي عَناها ولا تَحيا حياةً لها طَعْمُ
تَجَنَّبْتَ إتيانَ الحبيب تأثُّماً ألا إن هِجران الحبيب هو الإثمُ

[انتهت سيرتهم والله أعلم.]

كُرَيْب بن أبي مُسلم

مولى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، كنيته أبو رِشدين، ويقال: أبو راشد.

ذكره ابن سعد في الطبقة الثانية من أهل المدينة وقال: مات سنة ثمان وتسعين في آخر خلافة سليمان، وكان ثقةً حسنَ الحديث.

وقال موسى بن عُقبة: وضع عندنا كُريب حِمْلَ بعيرٍ من كتب ابن عباس، فكان عبد الله ابن عباس إذا أراد الكتاب كتب إليه: ابعث إليَّ بصحيفة كذا وكذا، فكان ينسخها ويبعث إليه بإحداهما(١).

وذكره خليفة في الطبقة الثانية من أهل مكة(٢)، وقال: بعثتْه أمُّ الفضل إلى معاوية رسولاً فقضى حاجتها.

وكان ابن عباس يبعثه إلى عائشة يسألها، وبعثه يوماً يسألها عن ركعتين بعد العصر فردَّته إلى أم سلمة.

وقال مجاهد: كان ابن عباس يُسمّي عَبيدَه بأسماء العرب؛ عكرمة، ومِسْمَع، وكُرَيْب، وكان يقول لهم: تزوَّجوا؛ فإن العبد إذا زنى نُزع منه نور الإيمان.

وقيل ليحيى بن مَعين: أيُّما أحب إليك عكرمة أو كريب؟ فقال: كلاهما ثقة.

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٨٨ـ٢٨٩، وترجمة كريب ليست في (ص).

(٢) «طبقات خليفة» ٢٨٠، وتاريخه ٣١٦، والقول الآتي ليس فيهما، وهو في «تاريخ دمشق» ٥٩/ ٣٣٥ من غير طريق خليفة.

أسند كريب عن ابن عباس مولاه، وأسامة بن زيد، ومعاوية، وعائشة وأم سلمة، وميمونة أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، والمِسْوَر بن مَخْرَمَة، وأم الفَضْل بنت الحارث.

وقال يعقوب بن شيبة: أدرك عثمان، وعلياً، وزيد بن ثابت وغيرهم.

وروى عنه الأئمة: عمرو بن دينار، وسالم بن أبي الجَعْد، والزُّهري، وشَريك بن عبد الله، ومَكحول، وابناه: رِشدين ومحمد ابني كُرَيب(١).

السنة التاسعة والتسعون

وفيها توفي سليمان بن عبد الملك [بن مروان]، وقام عمر بن عبد العزيز بن مروان رحمه الله.

الباب الثامن(٢) في خلافته

وأمُّه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، وكُنيته أبو حفص.

ذكره ابن سعد في الطبقة الثالثة من أهل المدينة. وذكره ابن سُميع في الطبقة الرابعة(٣).

واختلفوا في مولده؛ فقال ابن سعد: [ولد عمر بن عبد العزيز] سنة ثلاث وستين، [وهي السنة التي ماتت فيها ميمونة زوج النبي ﷺ].

وقال خليفة: [ولد] سنة إحدى وستين بمصر [في السنة التي قتل فيها الحسين بن علي عليهما السلام].

وقال الهيثم: سنة ستين أو تسع وخمسين(٤).

وقال الليث بن سعد: حدثني بعض ولد شُرَحْبيل بن حَسَنة قال: قال رجل: سمعتُ في الليلة التي وُلد فيها عمر منادياً ينادي بين السماء والأرض: أتاكم اللين والدّين والعمل الصالح، قال: فقلت: مَن هو؟ قال: فكتب في الأرض: (ع م ر)

---

(١) «تاريخ دمشق» ٥٩/ ٣٣٤_٣٣٧، و«السير» ٤/ ٤٧٩.

(٢) في (خ): الثاني، وهو خطأ، وفي (ص): فصل في خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه.

(٣) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٣٢٤، و«تاريخ دمشق» ٥٤/ ١٠٣_١٠٤.

(٤) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٣٢٤، و«تاريخ خليفة» ٢٣٤_٢٣٥، و«تاريخ دمشق» ٥٤/ ١٠٤_١٠٦.

[ذكر قصة عمر بن الخطاب في عسسه المدينة:]

روى يزيد بن هارون، عن يحيى بن المتوكّل، عن عبد الله بن نافع، عن أبيه، عن عبد الله ابن عمر قال(١): بينا أبي يَعُسُّ المدينة إذ سمع امرأةً تقول لابنتها: قومي فشوبي اللبن بالماء، فقالت: يا أمّاه، أما سمعتِ منادي أمير المؤمنين؟ إنه نادى أن لا يُشابَ اللبنُ بالماء، فقالت: وأين أنت ومناديه الساعة؟! قالت: فإذا لم يرني مناديه أما يراني ربُّ مناديه؟

فبكى عمر، ومضى وقد عَرّف المنزل، فلما أصبح دعا بالمرأة وابنتها، فسألها هل لها زوج؟ قالت: لا، فقال: يا عبد الله، تزوَّجْها؛ فلو كانت لي إلى النساء حاجة لتزوَّجتُها، قال: فقلت: أنا عنها في غِنى، فقال: يا عاصم تَزَوَّجْها، فتزوَّجها عاصم، فجاءت بابنة فهي أم عمر بن عبد العزيز(٢).

قال ابن سعد: فولد عاصم بن عمر بن الخطاب أمَّ عاصم، وهي أمُّ عمر بن عبد العزيز، وأختَها حفصة بنت عاصم، وأمُّها أم عمارة بنت سفيان بن عبد الله الثقفيّ(٣).

وقيل: كانت الجارية من بني هِلال.

وقال ابن عساكر: ويقال: إن اسم أم عمر ليلى، سكنت دمشق مدة، وروى عنها ابنها عمر، وروت عن أبيها عاصم، عن جدِّها عمر بن الخطّاب، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «نِعْمَ الإدامُ الخَلّ»(٤) أخرجه مسلم(٥).

---

(١) في (ص) وما بين معكوفين منها: عن يزيد بن هارون، عن عبد الله رضي الله عنه. ولم أقف على الخبر بهذا الإسناد، وقد ذكره دون إسناد شمس الدين بن خلكان ٦/ ٣٠٢-٣٠٣ ونقله عن كتاب «جوهرة الزمان في تذكرة السلطان» للمصنف سبط ابن الجوزي.
وأخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٥٣٧-٥٣٨ (تراجم النساء) من طريق محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، عن عبد الله بن زيد بن أسلم، عن جده أسلم قال: بينا أنا مع عمر...
وأخرجه كذلك ٥٣٨-٥٣٩ من طريق عبد الله بن صالح، عن الليث بن سعد، عن يزيد بن أبي حبيب أن عمر نهى الأعراب وتقدم إليهم ألا يمذقوا اللبن...

(٢) في (ص): فجاءت بابنة وجاءت الابنة بابنة فهي أم عمر بن عبد العزيز، وهو وهم، والصحيح ما أثبتناه من النسخ (ب) و(خ) و(د).

(٣) «طبقات ابن سعد» ٧/ ١٦ .

(٤) «تاريخ دمشق» ٥٣٣ (تراجم النساء).

(٥) من حديث عائشة رضي الله عنها (٢٠٥١)، ومن حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه (٢٠٥٢)، وأما حديث عمر فأخرجه ابن عساكر.

[وقال أبو اليقظان: وفي ذلك يقول] عُتْبة بن شَمّاس: [من الخفيف]

إن أولى بالحقِّ في كلِّ حقٍّ ... ثم أَحْرى بأن يكونَ حقيقا
مَن أبوه عبدُ العزيز بنُ مروا ... نَ ومَن كان جدُّه الفاروقا
ردَّ أموالَنا علينا وكانت ... في ذُرى شاهقٍ تَفوتُ الأَنوقا(١)

وقال آخر: [من الرجز]

يا أيها المظلومُ في بلاده ... إيتِ الإمامَ عُمراً فنادِهِ
خليفةَ الله على عباده ... لم يُؤثر الدُّنيا على معادِهِ
قد أسكنَ الوعيدَ في فؤاده ... خوفاً أطار النومَ عن رُقاده
يحكم بالحقِّ على أولاده ... قد أشبه الفاروقَ من أجداده
زُهداً ونُسكاً في ذُرى سداده ... أعانه الله على اجتهاده(٢)

قال ضمرة، عن ابن شَوْذَب: لما أراد عبد العزيز بن مروان أن يتزوّج أمَّ عمر بن عبد العزيز قال لقَيِّمه: اجمع لي أربع مئة دينار من طيّب مالي؛ فإني أريد أن أتزوّج إلى أهل بيت لهم صلاح، فتزوج أم عمر بن عبد العزيز.

ذكر صفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه:

[واختلفوا فيها؛] قال الواقدي رحمه الله: كان أسمر نَحيفاً حسن الوجه.

[وحكى ابن عساكر، عن إسماعيل بن علي الخطبي قال:] رأيت صفة عمر في بعض الكتب: أبيض(٣) رقيق الوجه جميلاً، قد وَخَطه الشَّيب، بجبهته أثر دابة؛ فلذلك سمِّي أشجَّ بني أمية.

[وقال ابن سعد: حدثنا سليمان بن حرب، قال: حدثنا المبارك بن فضالة، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر قال: كنت أسمع ابن عمر كثيراً يقول(٤):] يا ليت شعري، مَن هذا الذي من ولد عمر في وجهه علامة؛ يملأ الأرض عدلاً؟

---

(١) «الكامل» ٨٣١، و«العقد الفريد» ٥/ ٢٩١.
(٢) «تاريخ دمشق» ١٩/ ٣٤٥ (مخطوط).
(٣) في (ب) و(خ) و(د): قال ابن عساكر كان أبيض، والمثبت من (ص)، والخبر في «تاريخ دمشق» ٥٤/ ١٠٦.
(٤) في النسخ: قال نافع كنت أسمع ابن عمر كثيراً يقول، والمثبت من (ص)، وهو موافق لـ«طبقات ابن سعد» ٧/ ٣٢٥، وانظر «السير» ٥/ ١٢٢، و«تاريخ دمشق» ٥٤/ ١٢٣.

قال عبد الله بن دينار: كنا نتحدث أن هذا الأمر لا ينقضي حتى يلي هذه الأمة رجل من ولد عمر، يسير فيها بسيرة عمر، بوجهه شامة، فكنا نقول: هو بلال بن عبد الله بن عمر، وكانت بوجهه شامة، حتى جاء الله بعمر بن عبد العزيز، وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب.

وقال يزيد بن هارون: ضربته دابّة من دواب أبيه فشجَّته، فجعل أبوه يمسح الدم عن وجهه ويقول: سَعِدتَ إن كنتَ أشجَّ بني أمية.

وقال ابن الكلبي: دخل عمر دار الدوابّ وهو صغير، فرَمَحَتْه دابة، فسال الدم على وجهه، فدخل أبوه، فلامتْه أمه حيث لم يجعل معه خادماً، فقال لها أبوه: اسكتي، إن كان أشجَّ بني مروان فيا طُوباك.

وقال عبد الجبار بن أبي مَعْن: سمعت سعيد بن المسيب وسأله رجل عن المهدي، فقال له سعيد: أدخلتَ دارَ مروان؟ قال: لا، قال: فادخل تَرَ المهديَّ جالساً على السّرير، فدخل الرجل، فرأى عمر والناس حوله مجتمعون، فرجع إلى سعيد فقال له: يا أبا محمد، دخلتُ دار مروان فلم أرَ أحداً أقول هذا المهدي! فقال له ابن المسيب: هل رأيتَ الأشجَّ عمر بن عبد العزيز القاعد على السرير؟ قال: نعم، قال: فهو المهدي[(١)].

وقال ابن قُتيبة: صفة عمر في كتاب دانيال: الدَّرْدُوق الأشجّ، أي: القصير[(٢)].

وقال الهيثم: كان عبد الملك بن مروان يُحبّه، ويُدنيه، ويحنو عليه، ويرفعه فوق أولاده، وزوَّجه ابنته فاطمة، فقيل له في ذلك فقال: إنه سيلي الخلافة، وهو أشجُّ بني مروان.

ذكر بيعته بالخلافة:

قال سُهيل بن أبي سهيل: سمعتُ رجاءَ بن حَيْوة يقول: لما ثَقُل سليمان كتب كتابَ عهده إلى ابنه وهو غلام لم يبلغ، فقلت: ما تصنع يا أمير المؤمنين؟ إن مما يَحفظ الله به الخليفةَ في قبره أن يستخلف الرجل الصالح، فقال: سوف أنظر، فمكث يوماً أو

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٣٢٧.

(٢) «المعارف» ٣٦٢.

يومين ثم دعاني فقال: ما ترى في داود بن سليمان؟ فقلت: هو غائب في القُسطنطينية، ولا ندري أحيٌّ هو أم ميت، قال: يا رجاء، فمن ترى؟ قلت: رأيك يا أمير المؤمنين، فقال: كيف ترى في عمر بن عبد العزيز؟ فقلت: أعلمه والله فاضلاً خيراً مسلماً، فقال: هو على ذلك، والله لئن وَلَّيتُه ولم أولّ أحداً من بني عبد الملك لتكوننَّ فتنة، ولا يتركونه يلي عليهم أبداً؛ إلا أن أجعل أحدهم بعده ـ ويزيد بن عبد الملك يومئذ غائب على الموسم ـ فقلت: فاجعل يزيد بعده فإنهم يرضَون به ويُسكّنهم، فكتب بيده:

بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز، إني وَلَّيتُه الخلافة من بعدي، ومن بعده ليزيد بن عبد الملك، فاسمعوا له وأطيعوا، واتقوا الله، ولا تختلفوا فيُطمَع فيكم، وختم الكتاب، وأرسل إلى كعب بن حامِز صاحب شرطته: أن مُرْ أهل بيتي فليجتمعوا، فأرسل فجمعهم، ثم قال سليمان لرجاء: اخرج عليهم فأخبرهم أنه كتابي، ومُرْهم فليبايعوا مَن ولَّيت، قال: ففعل رجاء فقالوا: سمعاً وطاعة، قد بايعنا لمن فيه، ثم قالوا: ندخل فنسلّم على أمير المؤمنين؟ قال: نعم، فدخلوا فسلّموا، فأشار إليهم سليمان والكتاب في يد رجاء فقال: هذا عهدي، فاسمعوا وأطيعوا، وبايعوا لمن سمَّيتُ فيه، فبايعوا رجلاً رجلاً وانصرفوا.

فقال رجاء: فلما تفرَّقوا جاءني عمر بن عبد العزيز فقال: يا أبا المقدام، إن سليمان كانت لي به حُرمة ومَودَّة، وكان بي بَرّاً مُلطِفاً، وأخشى أن يكون أسند إليَّ من هذا الأمر شيئاً، فأَنشدك الله وحُرمتي ومَودَّتي إلا أعلمتني؛ إن كان ذلك حتى أستعفيه الآن قبل أن يأتي حال لا أقدر فيها على ما أقدر عليه الساعة، فقال له رجاء: لا والله ما أنا بمُخبِرك حرفاً واحداً، فانصرف عمر غضبان.

قال رجاء: ولقيني هشام بن عبد الملك فقال: يا رجاء، إن لي بك حُرْمة ومودَّة قديمة، وعندي شكر، فأعلمني أهذا الأمر إليّ؟ فإن كان إلي علمتُ، وإن كان إلى غيري تكلَّمتُ، فليس مثلي مَن يُقصّر به عنه، ولك اللهَ عليَّ أن لا أذكر اسمَك لأحد، قال: فقلت: والله لا أخبرك حرفاً واحداً مما أسرَّ إلي.

قال: فانصرف هشام وهو مُؤيَس، يضرب بإحدى يديه على الأخرى ويقول: والله إني لعين بني عبد الملك بن مروان.

قال رجاء: ودخلت على سليمان وهو يموت، فجعلتُ إذا أخذتْه سكرة من سَكَرات الموت حَرَفْتُه إلى القبلة فيقول: يا رجاء، لم يأنِ لذلك بعد، فعلتُ ذلك مرتين أو ثلاثاً، فلما كان في الثالثة قال: من الآن يا رجاء إن كنتَ تُريد شيئاً، وذكر الشهادتين، فحَرَفْتُه فمات، فأغمَضْتُه وسَجَّيتُه بقَطيفَةٍ خضراء، وأغلقتُ الباب، وأرسلتْ إليّ زوجتُه تسأل كيف أصبح، فقلت: قد نام وتغطّى، ونظر إليه رسولُها مُغطّى بالقَطيفة، فرجع فأخبرها، فقَبِلَتْ وظَنَّت أنه نائم.

قال رجاء: وأجلستُ على الباب مَن أثق به، وأوصيتُه أن لا يَريم حتى آتيه، ولا يُدخِل على سليمان أحداً، وأرسلتُ إلى كعب بن رجاء[1] العَنْسِيّ، فجمع أهل بيت أمير المؤمنين في مسجد دابِق، فقلت: بايعوا، فقالوا: بايعْنا مرَّةً أنبايع أخرى؟ قلت: نعم، فبايعوا، فلما أَحكمتُ الأمر قلت: قوموا إلى صاحبكم فقد مات، فاسترجعوا، وقرأت عليهم الكتاب، فلما وصلتُ إلى ذكر عمر قال هشام: لا نبايعه أبداً، قال رجاء: فقلت له: أَضربُ والله عُنُقَك، قم فبايع، فقام وهو يجرُّ رجلَيه.

قال رجاء: وأخذتُ بضَبْعَي عمر، فأجلستُه على المنبر وهو يَسترجع لما وقع فيه، وهشام يسترجع لما أخطأه، فلما انتهى هشام إلى عمر قال له: إنا لله وإنا إليه راجعون، أي: حين صار هذا الأمر إليك على ولد عبد الملك، فقال عمر: نعم فإنا لله وإنا إليه راجعون حين صار إلي لكراهتي له.

قال رجاء: وغُسِّل سليمان وكُفِّن، وصَلّى عليه عمر، فلما فرغ من دفنه أُتي بمراكب الخلافة: البراذين والخيل والبغال، ولكلِّ دابّة سائس فقال: ما هذا؟ قالوا: مراكب الخلافة، قال عمر: دابّتي أوفقُ لي، فركب بغلتَه وصرف تلك الدواب، ثم أقبل فقيل: تنزل منزل الخلافة، فقال: فيه عيالُ أبي أيوب، وفي فُسطاطي كفاية إلى أن يتحولوا، وأقام في منزله حتى فرغوه بعد ذلك. قال رجاء: فلما كان مساء ذلك اليوم قال: يا رجاء، ادعُ لي كاتباً ـ وقد رأيتُ منه كلّما سَرَّني ـ فدعوته له، فأملى عليه كتاباً بليغاً وَجيزاً بغير نسخة، ثم أمر بذلك الكتاب فنُسخ إلى كل بلد.

---

(١) كذا، وقد سلف أنه كعب بن حامز، انظر «طبقات ابن سعد» ٧/ ٣٣١، و«تاريخ الطبري» ٦/ ٥٥٢، و«تاريخ دمشق» ٥٤/ ١٣٣ـ١٣٤.

قال رجاء: وبلغ عبدَ العزيز بن الوليد ـ وكان غائباً ـ موتُ سليمان، ولم يعلم بمبايعة الناس عمر، وعهد سليمان إليه، فبايع مَن معه لنفسه، ثم أقبل يريد دمشق يأخذها، فبلغه بيعة عمر، فأقبل حتى دخل على عمر، فقال له: قد بلغني أنك كنتَ بايعتَ مَن قِبَلك، وأردتَ دخولَ دمشق، فقال: قد كان ذلك، ولم أعلم بمبايعتك، ولا أن الخليفة عَقَد لأحد، وخفتُ على الأموال أن تُنهب، فقال له: والله لو بويعتَ وقمتَ بالأمر ما نازعتُك، فقال عبد العزيز: ما أحب أنه ولي هذا الأمر غيرك، وبايع عمر رضي الله عنه.

وقال ابن سعد: قال رجاء بن حَيْوة: لما ثَقُل سليمان بن عبد الملك رآني عمر بن عبد العزيز أخرج وأدخل وأتردَّد، فدعاني فقال: يا رجاء، أُذكِّرك اللهَ والإسلام أن تَذكُرني لأمير المؤمنين، أو تُشيرَ بي عليه إن استشارك، فوالله ما أقوى على هذا الأمر، فأَنشُدك الله إلا صرفتَه عني.

قال: فانتَهَرْتُه وقلت: إنك لحَريصٌ على الخلافة، أتطمَعُ أن أُشير عليه بك، قال: فاستحيى.

ودخلتُ على سليمان فقال: يا رجاء، مَن ترى لهذا الأمر، وإلى مَن تَرى أعهد؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، إنك قادم على الله، وإنه سائلك عن هذا الأمر وما صنعتَ فيه، قال: فمن ترى؟ قلت: عمر بن عبد العزيز، قال: فكيف أصنع بعهد عبد الملك إليّ وإلى الوليد في ابنَي عاتكة أيّهما بقي؟ قلت: تجعله بعده، قال: أصبتَ ووُفِّقتَ، جئني بصحيفة، فأتيتُه بها، فكتب عهد عمر ويزيد من بعده.

ثم دعوتُ رجالاً فدخلوا عليه، فقال لهم: إني قد عهدتُ عَهدي في هذه الصحيفة، ودفعتُها إلى رجاء، وأمرتُه بأمري، فاشْهَدوا. فشهِدوا، فلم يلبث سليمان أن مات، فقال هشام: إن كان فيها رجل من أولاد عبد الملك وإلا فلا، فقال رجاء: نعم فيها رجل من ولد عبد الملك.

وقال ابن سعد: لما قرئ عهد سليمان بدابق وعمر ناحية؛ قام رجل من ثَقيف يقال له سالم من أخوال عمر، فأخذ بضَبْعَيْه فأقامه، فقال عمر: والله ما اللهَ أردتُ بهذا، ولن تُصيب بها مني دنيا[1].

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٣٣٢_٣٣٣.

وقال الهيثم: لما وفد الزهري ومكحول الشامي على سليمان بن عبد الملك استشارهما في توليته عمر لما مات أيوب، فصوَّبا رأيَه، فكتب عهده بمحضر منهما وأشهدهما عليه، ومات سليمان، فلما قرئ الكتاب قام مكحول فقال: أين أمير المؤمنين عمر، وكان في أخريات الناس في المسجد، فلم يقم، فمشى إليه، وأخذ بيده، وأقعده على المنبر وهو يقول: والله ما أردتُ هذا، فلما دُفن سليمان قُرِّبت إليه مراكب الملك فقال: بغلتي ـ وكانت شهباء ـ فقُرِّبت إليه.

وكان يرجى لسليمان بتوليته عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وتركه ولده.

وقال بشر: لما ولي عمر بن عبد العزيز خطب الناس، وفُرش له، فنزل وترك الفرش ناحية، فقيل له: لو تحوّلتَ إلى حُجْرة سليمان فتمثّل: [من الطويل]

فلولا التُّقى ثم النُّهى خشيةَ الرَّدى ... لعاصيتُ في حبِّ الصِّبا كل زاجرِ
قضى ما قضى فيما مَضى ثم لا تَرى ... له صَبْوَةً أُخرى الليالي الغَوابرِ

وقال أبو الحكم سيّار: كان أول ما أُنكر من عمر أنه لما دفن سليمان أُتي بدابة سليمان التي كان يركبها، فلم يركبها، وركب دابّته التي جاء عليها، فدخل القصر وقد مُهدت له الفُرش التي كانت لسليمان، فلم يجلس عليها، ثم خرج إلى المسجد، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أما بعد، فإنه ليس بعد نبيكم نبيٌّ، ولا بعد الكتاب الذي أنزل عليه كتاب، ألا إن ما أحلّ الله حلال إلى يوم القيامة، وما حرَّم حرام إلى يوم القيامة، ألا إني لست بقاضٍ ولكني منفذ، ألا إني لست بمبتدع ولكني رجل منكم، غير أن الله قد جعلني أثقلَكم حِملاً[1].

وقال عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز: لما دَفن عمر بن عبد العزيز سليمان بن عبد الملك وخرج من قبره سمع للأرض هَدَّة فقال: ما هذه؟ قيل: مراكب الخلافة، فقال: ما لي ولها؟! نَحّوها عني، قرِّبوا إليّ بغلتي، فركبها، فجاء صاحب الشرطة يمشي بين يديه بالحَربة، فقال: تنحَّ عني، مالي ولك؟! إنما أنا رجل من المسلمين.

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٣٣٤.

فسار وسار الناس معه حتى دخل المسجد، فصعد المنبر فقال: أيها الناس، إني قد ابتُليت بهذا الأمر من غير رضًى منكم، ولا طلبٍ له، ولا مشورة من المسلمين، وإني قد خلَعْتُ ما في أعناقكم من بيعتي، فاختاروا لأنفسكم، فصاح الناس صيحةً واحدة: قد اخترناك يا أمير المؤمنين ورضينا بك، فَلِ أمرَنا باليُمن والبركة، فلما رأى الأصوات قد هدأتْ، ورضوا به جميعاً حَمِد الله، وأثنى عليه، وصلى على رسوله ﷺ وقال:

أوصيكم بتقوى الله فإن تقواه خَلَف من كل شيء، وليس من تقواه خَلَف، فاعملوا لآخرتكم؛ فإنه من عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه، وأصلحوا سرائرَكم يُصلحِ الله علانيتَكم، وأكثروا ذكر الموت، وأحسنوا الاستعداد قبل أن ينزل بكم، فإنه هاذم اللذات، وإن مَن لا يذكر من آبائه مما بينه وبين آدم أباً حيّاً لَمُعْرِق في الموتى، وإن هذه الأمة لم تختلف في ربها ولا في كتابها، وإنما اختلفوا في الدينار والدرهم، وإني والله لا أُعطي أحداً باطلاً، ولا أمنع أحداً حقاً.

ثم رفع صوته حتى أسمع الناس وقال: أيها الناس مَن أطاع الله فقد وجبت طاعتُه، ومَن عصى الله فلا طاعةَ له، أطيعوني ما أطعتُ الله، فإذا عَصيتُ الله فلا طاعةَ لي عليكم.

ثم نزل فأمر بالستور فهُتِكت، والثيابِ التي كانت تُبسَط للخلفاء فحُمِلَتْ، وأمر ببيعها وإدخال ثمنها في بيت المال.

ثم ذهب يتبوَّأ مَقيلاً، فأتاه ابنُه عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين، ما تريد أن تصنع؟ فقال: يا بُنيَّ، أَقِيل، فقال له: أتَقِيل وما رَدَدْتَ المظالم؟! فقال: إني سَهرتُ البارحة مع عمك سليمان، فإذا صليتُ الظُّهر ردَدْتُ المظالم، قال: فمَن لك أن تعيشَ إلى الظهر؟ فقال: يا بني، ادْنُ مني، فدنا منه، فقبَّل ما بين عينيه وقال: الحمد لله الذي أخرج من صُلبي من يُعينني على الخير.

فخرج ولم يَقِل، وأمر مناديه ينادي: ألا مَن كانت له مَظلمة فليَرْفَعْها، فقام إليه رجلٌ ذِمِّي من أهل حمص أبيض الرأس واللحية فقال: يا أمير المؤمنين، أسألك كتابَ الله، قال: وما ذاك؟ قال: العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبني أرضي ـ وكان العباس

جالساً ـ فقال له: يا عباس، ما تقول؟ قال: أقطعني إياها أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك، وكتب لي بها سِجلاً، فقال عمر: كتاب الله أحقُّ أن يُتَّبَع، قم يا عبَّاس فادفع إليه أرضَه. فانتزعها منه ودفعها إلى الذِّمّي، وجعل لا يَدَعُ شيئاً مما كان في يد أهل بيته من المظالم إلا ردَّه.

وبلغ الخوارج ما هو عليه من حُسن السيرة فقالوا: ما ينبغي لنا أن نقاتل هذا الرجل.

وقال عمر بن ذَرّ: رجع عمر من جنازة سليمان مُغْتَمّاً، فقال له مولى له: مالي أراك مُغْتَمّاً؟ فقال: لمثل ما وقعتُ فيه فلْيُغْتَمّ، إنه ليس أحدٌ من أمةِ محمدٍ ﷺ في شرق الأرض ولا غربها إلا وأنا أريد أن أُؤدّي إليه حقَّه، غير كاتبٍ إليّ فيه، ولا طالبه مني.

وقال حمَّاد العَدَوي: سمع الناس عند وفاة سليمان صوتاً يقول: [من الطويل]

اليوم قَرَّتْ واستَقَرَّ قرارُها ... على عمرَ المهديِّ قامَ عَمودُها[1]

وقال: إنما سُمِّي المهدي لأن الخَضِر عليه السلام التقاه وقال: أنت المهديّ، وستلي الخلافة.

قال الواقدي: بويع لعشرٍ بَقِين من صفر سنة تسع وتسعين.

دخل عليه بلال بن أبي بُردة حين بويع فقال: يا أمير المؤمنين، مَن تكن الخلافةُ زانته فأنت زِنْتَها، وأنت وإياها كما قال القائل: [من الخفيف]

وتَزِيدينَ طَيِّبَ الطِّيبِ طِيباً ... إنْ تَمَسِّيه أين مِثْلُك أينا

وإذا الدرُّ زانَ حُسْنَ وجوهٍ ... كان للدرِّ حُسْنُ وَجهك زَينا

فقال له عمر: دعني منك، فأنا أعرف بنفسي، إني إلى عفو الله أحوجُ مني إلى مَدحكم[2].

وقال سَهل بن صَدَقة مولى عمر بن عبد العزيز: حدثني بعضُ خاصّة عمر بن عبد العزيز: أنه حين أفضَتْ إليه الخلافة سمعوا في منزله بكاء عالياً، فسئل عن البكاء فقيل: إن عمر بن عبد العزيز خيَّر جواريه وقال: قد نزل بي أمرٌ قد شغلني عنكن، فمَن

---

(١) الخبران في «تاريخ دمشق» ٥٤/ ١٣٥ ، ١٣٧ .

(٢) «تاريخ دمشق» ٣/ ٤٩٠ (مخطوط). ونسب هذا الخبر إلى خالد بن عبد الله القسري، انظر «أنساب الأشراف» ٧/ ٤٣٩ ، و«العقد» ٢/ ١٣٤ ، ونسب إلى رجل في «أنساب الأشراف» ٧/ ٧٧ ، و«تاريخ دمشق» ٥٤/ ١٨١ .

أحبَّتْ أن أُعتقها عَتَقْتُها، ومَن أرادتْ أن أُمسكها مَسكتُها ولم يكن مني إليها شيء، فبكين يأساً منه(١).

وقيل له في ذلك فقال: وهل يستطيع رجل أن يأتي ذلك وأمر أمة محمد ﷺ في عنقه؛ يسأله الله عنه يوم القيامة.

وقالت زوجته فاطمة: والله ما اغتسل عمر من جَنابة ولا احتلام حتى قبضه الله تعالى.

وقال العُتْبيّ: لما هجر عمر جواريه ونساءه كتبت إليه فاطمة بنت عبد الملك بن مروان: [من الوافر]

ألا [يا] أيها الملكُ الذي قد ... سبى عقلي وهام به فؤادي
أراك وَسِعتَ كلَّ الناسِ عَدْلاً ... وجُرْتَ عليَّ من بين العبادِ
وأعطيتَ الرَّعيةَ كلَّ فَضْلٍ ... وما أعطيتَني غيرَ السُّهادِ

فيقال: إنه عَطف عليها(٢).

وقال مالك بن دينار: لما ولي عمر بن عبد العزيز قالت رِعاءُ الشَّاء في رؤوس الجبال: مَن هذا الخليفةُ الصالح الذي قد قام على الناس؟ فقيل لهم: وما علمكم بذلك؟ قالوا: إنه إذا قام خليفة صالح كفَّت الذّئاب والأُسد عن شائنا.

وقال ابن سعد: إن عمر بن عبد العزيز لما ولي خرج إلى مسجد دابِق ليلة ومعه حَرَسيّ، فمرَّ في الظلمة في المسجد فعثر برجل نائم، فرفع رأسه وقال: أمجنونٌ أنت؟ قال: لا، فهمَّ به الحَرَسيّ، فقال له عمر: مَهْ، إنما سألني فأجبته(٣).

وقال رجاء بن حَيْوة(٤): كان عمر بن عبد العزيز من أعطر الناس ومن أَلْبَسِ الناس، وأخْيَلِهم في مشيه، فلما استُخلف قَوَّموا ثيابَه اثني عشر درهماً، كُمَّتَه وعِمامته وقميصه وقَباءه وقَرْطَقه وخُفَّيه ورداءه.

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٣٨٤_٤٨٥ .

(٢) «العقد الفريد» ٦/ ٤٠٩ .

(٣) الخبران في «طبقات ابن سعد» ٧/ ٣٧٦ ، ٣٨٥ .

(٤) في (ص): حدثنا يعقوب بإسناده قال أخبرني رجاء بن حيوة. والخبر في «طبقات ابن سعد» ٧/ ٣٨٩_٣٩٠ عن أحمد بن أبي إسحاق، عن أبي سعيد مولى بني هاشم، حدثنا أبو يعقوب، حدثني رجاء بن حيوة.

[وروى الإمام أحمد بن حنبل، عن أبي مِرداس (الرقي، عن إبراهيم بن بكار) الأسدي،] عن يونس بن أبي شَبيب قال[١]: شَهِدتُ عمر بن عبد العزيز وهو يطوف بالبيت وإن حُجْزَة إزاره لغائبة في عُكَنِه، ثم رأيتُه بعدما استُخلف، ولو شئتُ أن أعدَّ أضلاعَه من غير أن أَمَسَّها لفعلت.

وقال المدائني: لما ولي عمر الخلافة نظر إلى ما كان له من عبيد وإماء ورَقيق ومَتاع ولباس وعطر وجوهر وغير ذلك فباعه، فبلغت قيمتُه نيِّفاً وعشرين ألف دينار، فجعله في سبيل الله، وكان عند فاطمة بنت عبد الملك جوهر له قيمة مثل الدرَّة اليتيمة وقِرطَي مارية، فأمرها فأحضرتْه، فقال: من أين لكِ هذا؟ قالت: من أبي، فقال: إما أن تردّيه إلى بيت المال وإما فارقتك، فقالت: ما كنت لأختارَ عليك الدُّنيا، فردَّته إلى بيت المال، فلما توفي عمر وولي يزيد بن عبد الملك قال: إن شئتِ ردَدْتُه عليك، فقالت: لا والله ما كنتُ لأَطيب به نَفْساً في حال حياته، ثم أرجع فيه بعد وفاته، لا حاجة لي فيه، فقسمه يزيد في أهله وجواريه.

[وقد أخرج ابن سعد[٢] بمعناه، وفيه أن عمر قال لها: أخرجيه من بيتي فإني أكره أن أكون أنا وهو في بيت، فلما ولي يزيد قال: إن شئت رددته عليك أو قيمته، قالت: لا ذا، ولا ذاك، ولم تأخذ منه شيئاً.]

وقال البلاذري: لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة جاءه رجل نصراني فقال: يا أمير المؤمنين، إن هشام بن عبد الملك غصبني ضيعتي، فقال عمر: أين هشام؟ فجاء فقال: من أين لك هذه الأرض؟ فقال: وَرِثْتُها من أبي عبد الملك، فقال: قم فاقعد مع خصمك، قال: أوكّل وكيلاً، قال: لا، قم فاقعد معه، فقام هشام فقعد مع النصراني، وانتهر هشام النصراني وتوعَّده، فقال له عمر: يا أحول، أَتَنْتَهِره عندي، إن عُدتَ

(١) ما بين معكوفين من (ص)، وما بين قوسين من «حلية الأولياء» ٥/ ٢٥٧، وانظر «طبقات ابن سعد» ٧/ ٣٧٦.

(٢) في طبقاته ٧/ ٣٨١_٣٨٢، وما بين معكوفين من (ص).

عاقبتك، ثم أخرج هشام سِجلّاً من عبد الملك بالضيعة، وأخرج النصراني سجلاً بالملك، فقال عمر لابنه عبد الملك: انظر في السِّجِلّين، فنظر فقال: حجة النصراني غالبة، وحق الله أولى أن يُتَّبَع، فقال عمر: أحرِق سجل هشام، فأحرقه وردَّ على النصراني ضيعتَه، فلما ولي هشام الخلافة استُؤذن في أخذ الضَّيعة فقال: لا أردُّ حُكماً حكم به عمر[(١)].

[وحكى ابن سعد عن الواقدي قال: لما بدأ عمر بأهل بيته في ردِّ ما كان بأيديهم من المظالم قال عمر بن الوليد بن عبد الملك: لا تلوموه ولوموا أنفسكم، عمدتم إلى رجل من آل عمر بن الخطاب فوليتموه عليكم، ففعل بكم هذا.

وحكى ابن سعد عن] الواقدي قال: قال عمر لما ولي الخلافة: ينبغي أن أبدأ بنفسي، فنظر إلى ما في يده من أرض ومتاع فخرج منه، حتى فَصِّ خاتم أعطاه إياه الوليد من غنائم إفريقية، ومازال يردُّ المظالم من زمن معاوية بن أبي سفيان إلى زمن سليمان بن عبد الملك[(٢)].

وقال هشام بن محمد [عن أبيه قال:] لما جاءت الجمعة التي ولي عمر قبلها خطب، فلما بلغ المكان الذي كانت بنو أمية تسبُّ فيه أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه قال: ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ الآية[النحل: ٩٠] ثم نزل، فكان ذلك أشقّ على بني أمية من ردّ المظالم، وقالوا: غيَّر سنَّة الخلفاء، وبلغ عمر فقال على المنبر: إنما غيَّرتُ البِدعة وأحييتُ السنَّة.

وقيل: إن بني أمية كانوا يقولون: اللهم صلِّ على معاوية وجدِّه، لقد لقينا من علي جهده، فلما ولي يزيد أعاد سب أمير المؤمنين[(٣)].

وقال الهيثم: كان عمر بن عبد العزيز يختلف إلى عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مَسعود الهُذَليّ بالمدينة لما كان والياً، فذكر عمر علياً يوماً فنال منه، فقال له عبيد الله:

---

(١) «أنساب الأشراف» ٧/ ١١٤ .

(٢) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٣٣٥ وما بين معكوفين من (ص).

(٣) بعدها في (ص): قال الواقدي: ومازال عمر يرد المظالم حتى مات... وقد سلف هذا الخبر قريباً.

يا عمر، متى بلغك أن الله سخط على أهل بدر بعد أن رضي عنهم؟ ففهم عمر ما أراد فقال له: مَعذرةً إلى الله وإليك، والله لا عدتُ إلى مثلها أبداً، فما رؤي عمر بعدها ذاكراً علياً عليه السلام إلا بخير(١).

وقال الواقدي: كان سليمان قد ولّى أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم على المدينة، فلما ولي عمر أقرَّه عليها، فاستقضى أبا طُوالَة، وولّى الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن ابن زيد بن الخطاب، وضمّ إليه أبا الزناد كاتباً، فاستقضى عامراً الشعبيّ، وولّى البصرة عديَّ بن أرطاة، فاستقضى الحسنَ البصري، ثم استعفاه فأعفاه، وولّى اليمن عُروة بن محمد بن عَطيّة السَّعديّ، وولّى الجزيرة عديَّ بنَ عديّ الكنديّ، وولّى إفريقية إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر حتى توفي عليها، وولّى دمشق محمد بن سُوَيد الفِهريّ، وولى خراسان الجَرَّاح بن عبد الله الحكمي(٢)، وعزل عنها يزيد بن المهلَّب.

وكتب إلى مسلمة بن عبد الملك أن يَقْفُلَ بمن معه من المسلمين من بلاد الروم، وبعث إليه بالمال والطعام وخمس مئة فرس، فقَفَل راجعاً.

[فصل:] وفيها أسلم ملك الهند، قال ابن عساكر: كتب ملك الهند(٣) إلى عمر بن عبد العزيز: من ملك الهند والسِّند، مِلِك الأملاك؛ الذي هو ابن ألف ملك، وتحته ابنةُ ألف ملك، والذي في مملكته نهران يُنبتان العُودَ والكافور والأَلُوَّة التي يوجد ريحها من اثني عشر فرسخاً، والذي في مَرْبَطه ألفُ فيل، وتحت يده ألفُ ملك؛ إلى مَلِك العرب، أما بعد، فإن الله قد هداني للإسلام، فابعث إليَّ رجلاً يعلمني القرآن وشرائع الإسلام، وقد أهديتُ إليك هديَّةً من المسك والعَنْبر والنَّدِّ والكافور، فاقبلها فإنما أنا أخوك في الإسلام، والسلام.

وفيها حُمل يزيد بن المهلَّب من خُراسان إلى الشام(٤).

---

(١) «تاريخ دمشق» ٥٤/ ١٠٨ .

(٢) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٣٣٥ ، وانظر «تاريخ الطبري» ٦/ ٥٥٤ ، و«المنتظم» ٧/ ٤٨ .

(٣) في (ص): وقد ذكر القصة ابن عساكر عن نعيم بن حماد فقال: كتب ملك الهند. ولم أقف على الخبر في «تاريخ دمشق»، وهو في «العقد الفريد» ٢/ ٢٠٢ ، و«المنتظم» ٧/ ٤٥ .

(٤) في الطبري ٦/ ٥٥٦ ، و«المنتظم» ٧/ ٥٦ أن ذلك كان في سنة مئة.

[قال الواقدي:] وفيها اشترى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه مَلَطْيَة من الروم بأربع مئة ألف دينار، وخلَّص منها ألفَ أسير، وبناها وأسكنها المسلمين وإلى هلم جرّاً، وكانت مأوى اللصوص وقُطَّاع الطريق ومركزاً للروم، وكانوا يَشُنُّون منها الغارات إلى بلاد المسلمين، فجعلها منزلاً لعساكر المسلمين، فأمِنت البلاد، وكذا فعل بالجُحْفَة والحجاز؛ كان الأعراب يقطعون منها الطريق، فجعلها منزلاً.

وحج بالناس أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وكان على المدينة، وعلى مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد، وعلى قضاء البصرة بعد الحسن إياس ابن معاوية بن قُرَّة.

وقال أبو عبيدة مَعْمَر: لما ولّى عمر الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن خرج عليه شَوْذَب الخارجيّ - واسمه بِسطام من بني يَشْكُر - في ثمانين فارسًا أكثرهم من ربيعة، وكان خروجه بجُوخى، فكتب عبد الحميد إلى عمر بن عبد العزيز يُخبره، فكتب إليه عمر: جَهِّز إليهم جيشاً مع رجل حازم في ألفَين، ومُرْه ألا يتعرَّض لهم حتى يُفسدوا في الأرض، ويسفكوا دماً حراماً، فجهَّز إليهم محمد بن جرير بن عبد الله البَجَليّ، وأوصاه بما أوصاه به عمر.

وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى بِسطام يسأله عن مُخرَجِه، فوافاه كتاب عمر وقد قدم محمد بن جرير، فقام بإزائه لا يُحرِّكه ولا يَهيجه.

وكان في كتاب عمر إلى بسطام: بلغني أنك خرجتَ غَضَباً لله ورسوله، ولستَ أولى بذلك مني، فهلمَّ أُناظِرْك، فإن كان الحق بأيدينا فادخُلْ فيما دخل فيه الناس، وإن كان في يدك نَظَرْنا في أمرنا.

فكتب بسطام: قد أنصفتَ، وقد بعثتُ إليك رجلين يُناظرانك، أحدهما من بني شَيْبان، والآخر من بني يَشْكُر، فقدما على عمر فناظراه، فكان في جملة ما قالا له: لِمَ أقررْتَ يزيد بعدك خليفة؟ فقال: أقرَّه الذي ولّاه، وما ولَّيتُه أنا، قالا: أرأيتَ لو وَلِيتَ مالاً لغيرك ثم وكَّلتَه إلى غير مأمون عليه، أتُراك كنت قد أدَّيتَ الأمانة إلى من ائتمنَك؟ فقال: أنْظِراني ثلاثاً حتى أنظر.

قال أبو عبيدة: إنما كانت هذه المناظرة في سنة مئة[١]، فلما قال لهما عمر: أنظراني ثلاثاً؛ خاف بنو أمية أن يخلع يزيد فيخرج الأمر عنهم فتذهب أموالهم، فدسُّوا إلى عمر رضي الله عنه مَن سقاه سُمّاً فمات.

[فصل:] وفيها توفي

إبراهيم بن محمد

ابن طلحة التَّيمي، وهو من الطبقة الثالثة من التابعين من أهل المدينة، وأمُّه خَولة بنت مَنْظور بن زَبَّان بن سَيَّار بن عمرو بن جابر بن عَقيل بن هِلال بن سُمَيّ بن مازن بن فَزارة.

وكان إبراهيم أخا حسن بن حسن بن علي لأُمِّه، وكان أعرج، سيِّداً شريفاً صارماً، وكان يسمَّى أسدَ قريش وأسَدَ الحجاز، وكانت له نفسٌ شريفة، وعارضة، وإقدام على الخلفاء والأمراء بالكلام الحق.

وهو الذي ولّاه عبد الله بن الزبير خراج الكوفة، وهو الذي أقدمه الحجاج معه على عبد الملك بن مروان في سنة خمس وسبعين فكان سبب ولايته على العراق.

قال الشيخ أبو الفَرَج بن الجوزي في «المنتظم»: إنه مات في سنة تسع وتسعين مُحرِماً بمنى، ودفن في أسفل العَقَبة[٢].

[وقال ابن سعد عن الواقدي: مات إبراهيم (بمنى) أو ليلة جَمْع، فدفن أسفل العَقبة وهو مُحْرِم[٣]. ولم يذكر تاريخ وفاته رحمه الله تعالى.][٤]

وذكر ابن سعد والزبير بن بكار ما يدلُّ على أن وفاته تأخَّرت عن هذا التاريخ؛ قال ابن سعد: حجَّ هشام بن عبد الملك وهو خليفة، وخرج إبراهيم بن محمد بن طلحة تلك السنة فوافاه بمكة، فجلس إبراهيم على الحجر، وطاف هشام بالبيت، فلما مرَّ

---

(١) ذكرها الطبري ٦/ ٥٥٥_٥٥٦ ، وابن الجوزي ٧/ ٥٣ _٥٤ في سنة مئة.

(٢) تحرَّفت في النسخ الخطية إلى: الكعبة، وينظر المنتظم ٧/ ٤٦ .

(٣) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٤٠١ وما بين قوسين منه.

(٤) ما بين معكوفين من (ص) وبها انتهت ترجمته.

بإبراهيم صاح به إبراهيم: ناشَدْتُك اللهَ في ظُلامتي، فقال هشام: وما ظُلامتُك؟ قال: داري مقبوضة، قال: ما فعل عبد الملك فيها؟ قال إبراهيم: ترك الحق وهو يعرفه، قال: فما صنع الوليد؟ قال: اتَّبع آثارَ أبيه وقال ما قال القوم الظالمون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]، قال: فما فعل سليمان؟ قال: لا قفي ولا سيري، قال: فما فعل عمر؟ قال: رد الحقَّ إلى أهله[(١)] رحمه الله، فاستشاط هشام غضباً ـ وكان إذا غضب انقلبت حَوْلَتُه ـ وقال: أما والله لو كان فيك موضع ضَرْب لأدَّبتُك، فقال: فيَّ والله الدِّين والحَسَب، لا يَبعدنّ الدينُ والحقُّ وأهلُه، وسيكون غداً بحث وستعلم.

ومضى هشام، ثم دعا الأَبْرَش الكلبيّ ـ وكان خاصاً به ـ فقال: يا أبرش، كيف ترى هذا اللسان؟ هذا والله لسان قريش لا لسان كلب، إن قريشاً لا تزال فيهم بقيَّة ما كان فيهم مثل هذا.

قال ابن الزبير: كانت هذه الدار بين الصفا والمروة، وتسمَّى دار آلِ عَلْقمة، وكان لآل طلحة منها شيء، والذي أخذها نافع بن علقمة الكناني خال مروان بن الحكم، وصار عاملاً لعبد الملك على مكة، ولم ينصفهم عبد الملك من نافع[(٢)].

وقال الزبير: قدم إبراهيم على هشام وهو خليفة، فكلّمه هشام فلحن، فأجابه إبراهيم مثل لحنه، فقال له هشام: أتكلّمني وأنت تلحن؟ قال: ما عَدوتُ أن رَدَدْتُ عليك بمثل كلامك.

وقال الزبير: جاء إبراهيم إلى باب هشام وقد قام، فأخبره الحاجب بقيامه فقال: أُغلقت دونه الأبواب، وقام بعُذره الحاجب، وبلغ هشاماً فأذن له[(٣)].

قال عبد الله بن أبي عُبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر: جاء كتاب هشام بن عبد الملك إلى إبراهيم بن هشام المَخْزُومي وهو عامله على المدينة: أن يَحطَّ فَرْضَ آل

---

(١) في (ب) و(د): إلى أربابه.

(٢) «نسب قريش» ٢٨٣_٢٨٤، و«طبقات ابن سعد» ٧/ ٣٩٩، و«تاريخ دمشق» ٢/ ٥١١ (مخطوط)، و«التبيين» ٣٢٦_٣٢٧.

(٣) «تاريخ دمشق» ٢/ ٥١٠.

صُهيب بن سنان إلى فرض الموالي، ففزعوا إلى إبراهيم[١]، فوعدهم خيراً، ورصد إبراهيم بنَ هشام حتى خرج إلى زيارة قُباء، ولزمه في سوق المدينة وقال: أصلح الله الأمير، قد عرفتَ مكانة صُهيبٍ من الإسلام، وأولاده حُلفائي، قال: ما أصنع بكتاب أمير المؤمنين فيهم؟ فقال: والله إذا أردت أن تُحسنَ فعلت، فقال: مالك عندي إلا ما قلت ـ وكان إبراهيم بن محمد رئيسَ بني تَيْم ـ فقال للمخزومي: فإذا أبيتَ؛ فوالله لا يأخذ أحدٌ من بني تَيْم درهماً واحداً حتى يأخذ آل صُهيب، فأجابه إبراهيم المخزومي إلى ما أراد، وكان أبو عُبيدة بن محمد بن عمار مع المخزومي، فقال لأبي عبيدة: لايزال في قريش عزٌّ ما بقي هذا، فإذا مات ذلَّت قريش.

وقال ابن سعد: فولد إبراهيم: عمران وأمُّه زينب بنت عَمرو بن أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، ويعقوب، وصالحاً، وسليمان، ويونس، وداود، واليَسَع، وشعيباً، وهارون، وأمَّ كلثوم، وأمَّ أبان، وأمهم أم يعقوب بنت إسماعيل بن طلحة بن عُبيد الله، وأمها لُبابَة بنت عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، وعيسى، وإسماعيل، وموسى، ويوسفَ، ونوحاً، وإسحاق، لأمَّهات أولاد، وإسماعيلَ الأكبر، وأمَّ أبيها تزوجها عمر بن عبد العزيز بن مروان فولدت له، وأمَّ كلثوم، وأمهم أم عثمان بنت عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة، وأمها أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق[٢].

وابن ابنه محمد بن عمران بن إبراهيم بن محمد صاحب الواقعة مع الجَمَّالين والمنصور، وكان قاضي المدينة، وحكم لهم على المنصور، وكان المنصور يعظِّمه، ورماه المنصور بالبخل فقال: أنا لا أجمد في حق، ولا أذوب في باطل، فقال المنصور: أنت إذاً الرجل الكامل.

وكان لمحمد بن عمران ولد اسمه عبد الله، ولي القضاء مراراً[٣].

وروى إبراهيم بن محمد عن أبي هريرة، وابن عمر، وابن عباس، وأسند عن سعيد ابن زيد، وعبد الله بن عمرو، وعمه عمران بن طلحة، وعبد الله بن شداد بن الهاد، وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، وخلق من التابعين.

---

(١) يعني ابن محمد بن طلحة صاحب الترجمة، وينظر «طبقات ابن سعد» ٧/ ٣٩٩ـ٤٠٠ .

(٢) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٣٩٨ .

(٣) «نسب قريش» ٢٨٤ـ٢٨٥ ، و«التبيين» ٣٢٧ـ٣٢٨ .

سعيد بن أبي الحسن

أخو الحسن البصري، وكان أصغر من الحسن، وهو من الطبقة الثانية من التابعين من أهل البصرة، وكان الحسن يحبه حباً شديداً، ولما مات حزن عليه حزناً شديداً، وأمسك عن الكلام حتى عُرف ذلك في مجلسه وحديثه، فكُلِّم في ذلك فقال: الحمد لله الذي لم يجعل الحُزْنَ عاراً على يعقوب، ثم قال: بئست الدار المُفَرِّقة.

قال مُبارك بن فَضالة: دخلنا على الحسن حين نُعي له أخوه وهو يبكي، فعزَّاه بكر ابن عبد الله وقال: إن الناس يرونك تبكي فيذهبون بهذا إلى عشائرهم فيقولون: رأينا الحسن يبكي عند المصيبة، فيحتجُّون به على الناس، فحمد الله الحسن وأثنى عليه وقد خنقتْه العَبْرة وقال: إن الله جعل هذه الرحمة في قلوب المؤمنين؛ فيرحم بها بعضهم بعضاً، فتَدمع العين، ويَحزن القلب، وليس ذلك بجَزَع، إنما الجزع ما كان من اللسان واليد، ثم قال: إن الله لم يجعل حُزْنَ يعقوب عليه ذنباً ولا عاراً، قال: ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾[يوسف: ٨٤] ورحم الله سعيد بن أبي الحسن، ما كانت تنزل بي شِدّة إلا وكان يَودُّ أنه لو فداني بنفسه.

وقال ابن عَون: دفع إليَّ الحسن بُرنساً مُطَوَّساً كان لأخيه لأبيعه، فذهبت به فلم أُعطَ فيه إلا أربعة وعشرين درهماً، فقلت له: أفأشتريه أنا؟ قال: فأنت أعلم، ولكني لا أحب أن أراه عليك.

قال ابن سعد: مات سعيد قبل سنة مئة، وقد روى الحديث، ورُوي عنه[١].

[فصل: وفيها توفي]

سليمان بن عبد الملك

ابن مروان، وأمُّه وَلّادة بنت العباس أم الوليد، وكنيته أبو أيوب.

(١) «طبقات ابن سعد» ٩/ ١٧٨ـ١٧٩، و«المنتظم» ٧/ ٤٨ـ٤٩، و«السير» ٤/ ٥٨٨.

[ذكر طرف من أخباره:

قال الواقدي]: كان فصيحاً، لَسِناً، طُوالاً، أبيض، وقيل: أسمر، وكان يَخْمَع[1] من رجله، وكان مُعْجَباً بنفسه، حَسنَ السِّيرة، مُتَرفِّعاً عن سَفْك الدماء، مفتاحاً للخير، أذهب الله به عن الناس ظُلمَ الحجاج، وسَفْكَه للدماء، أطلق المُحَبَّسين من حبس الحجاج، وأباد آل الحجاج، وردَّ المُسَيَّرين، وأنصف المظلومين، وبنى مدينة الرَّمْلَة، ومسجدُها قائم اليوم، وأحسن إلى الرَّعِيَّة، وختم أفعالَه باستخلافه عمر بن عبد العزيز على الأمَّة، ولم يكن ممَّن تقدَّم من أهله أعلى هِمَّةً منه مع قصر أيامه، كانت أوائل خيله في الصين مع يزيد بن المهلب، وآخر خيله في طُلَيْطلة، وكان أخوه الوليد قد ولّاه فلسطين فأقام بها.

قال الواقدي: كان شَرِهاً أكولاً؛ يأكل في اليوم مئةَ رَطْل، ويتناول في ساعة واحدة أربعين رُقاقة مع عدة خِرفان، وكان نِكاحه على قدر أكله.

وقال هشام: كان الطبَّاخ يأتيه بالسَّفافيد وعليها الدجاج المشوي، فيُدخل يده في كُمِّه وعليه ثياب الوَشْي، فيمسك السَّفُّود بيده، ويأكل منه أربعين دجاجة.

وقال المدائني: حج سليمان فقال لقَيِّمه على طعامه: أطعمني من خِرفان المدينة، ودخل الحمام وخرج وقد شُوي له أربعة وثمانون خروفاً، فأكل من كل خروف جزمازجه[2] مع شحم كليته، حتى أتى على آخرها، ثم دعا الناس إلى الطعام، فأكل معهم مثل ما كان يأكل.

وأتى الطائف في حجته، فسأله ابن أبي زُهير الثقفي أن ينزل عليه فنزل، فجاءه برُمّان فأكل منه مئةً وسبعين رمانة، وخروفاً، وست دجاجات، وعشرين رقاقة، ثم أكل مع الناس.

---

(١) أي: يعرج.

(٢) في النسخ: جمازجه، والمثبت من «أنساب الأشراف» ٧/ ٥٠ ، ولعلها: بمعنى ثمر الأَثْل والطَّرْفاء، فيكون معناه: قطع اللحم المصنوعة مع هذا الثمر، انظر القاموس، ومعجم الألفاظ الفارسية ٤١ .

قال الأصمعي: كنت حاضراً عند الرشيد يوماً، فجيء بصناديق من ذخائر بني أمية، ففَتح صندوقاً منها، فوجد فيه ثياب الوَشْي وقد سال الدُّهن على صدورها وأكمامها، فسأل الناس عن ذلك فلم يجد عندهم علماً، وكان عنده رجل من بني أمية فقال: يا أمير المؤمنين، هذه ثياب سليمان بن عبد الملك، كان شَرِهاً أكولاً[١].

وكان سليمان غيوراً، روى الشعبي قال: كان سليمان يوماً جالساً بمَرْج دابِق في المخيم، وجارية تصبُّ على يديه الماء، فمالت إلى جهة المعسكر تستمع إلى غناء مغنٍّ، فلم يزل يبحث حتى عرف المغني، فأحضره وخصاه وقال: إذا هدر الجمل ضَبعَت الناقة، وإذا هدر الحمام زافت الحمامة، وإذا غنّى الرجل شَبَقَت المرأة، ثم سأل عن أصل الغناء فقيل: في المدينة، وهو في المخنَّثين أكثر، فكتب إلى والي المدينة ـ وهو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ـ أن: احْصِ مَن قِبلَك من المُخَنَّثين والمغنِّين، فتَشَظَّى قلم الكاتب، فوقعت على الحاء المهملة نقطة فصيَّرتها خاءً مُعجمة، فلما قرأ أبو بكر كتابه قال لكاتبه: لعل الكاتب تَشَظَّى قلمُه فجعل الحاء خاءً، فقال الكاتب: إن على الخاء نقطة كأنها تمرة، أو كأنها سُهَيل، فأحضرهم وخصاهم، فلما بلغ سليمان قال: ما قَصَدْنا هذا[٢].

وحكى ابن عساكر: أن خالد بن عبد الله القسري أخاف عبد الله بن شَيبة بن عثمان ابن أبي طلحة الحَجَبي ـ ويُسمَّى عبد الله الأصغر، ويُعرف بالأعجم لعُجْمَةٍ في لسانه ـ فوفد على سليمان مُستجيراً به فأجاره، وكتب إلى خالد: لا سبيل لك عليه، فلما قدم بالكتاب على خالد لم يفتحه، وضربه مئة سَوط، ثم فتحه وقرأه وقال: لو علمتُ ما فيه ما ضربتُك، فرجع عبد الله إلى سليمان فأخبره، فأمر بقطع يد خالد، فكلَّمه فيه يزيد بن المهلَّب، وقبَّل يده فعفا عن قطع يده، وكتب سليمان إلى طلحة بن داود الحَضْرَميّ قاضي مكة: إن كان خالد قرأ الكتاب ثم جَلَده فاقطع يده، وإن كان جلده قبل أن يقرأ الكتاب فاضربه مئةَ سَوط مثلَ ما ضرب عبد الله، وشَهِّرْه ثلاثَ ليال، فقرأ القاضي

(١) انظر «مروج الذهب» ٥/ ٤٠١.
(٢) «المنتظم» ٧/ ١٧ـ١٨.

كتابَه، فشهد جماعة أنه ضربه قبل أن يقرأ الكتاب؛ منهم: علي بن عبد الله بن العباس وكان [على أمر] زمزم[١]، وعبد الأعلى بن عبد الله بن عامر بن كُرَيْز، فضربه طلحة مئة سَوط وشهَّره ثلاثَ ليالٍ، فكان خالد يقول: التَّشهير أشدُّ عليَّ من الضَّرْب.

ومرَّ به الفرزدق الشاعر ـ وكان قد هجا خالداً لبُخْله ـ فقال له: اشدد ـ أو اضمم ـ إليك جناحك، قال خالد: فانتفعتُ بقوله، وفي ذلك يقول الفرزدق: [من الطويل]

لعَمري لقد سار ابنُ شَيبةَ سِيرةً ... أرتْك نجومَ اللَّيلِ ضاحيةً تجري
لعَمري لقد صُبَّت على ظهرِ خالدٍ ... شَآبيبُ ما استَهْلَلْنَ من سَبَلِ القَطْرِ
أتَضرِبُ في العصيان مَن ليس عاصياً ... وتعصي أميرَ المؤمنين أخا قَسْرِ
فلولا يزيد بنُ المهلَّب حَلَّقَتْ ... بكفِّك فَتْخاءُ[٢] إلى جانب الوَكْرِ

وقال فيه أيضاً: [من الطويل]

وكيف يَؤمُّ الناسَ مَن كانت امُّه ... تدينُ بأنّ اللهَ ليس بواحدِ[٣]

وقال الهيثم: لما عزل سليمان يزيد بن أبي مُسلم كاتب الحجاج عن العراق؛ أمر أن يُحمل إليه في قيوده، فلما دخل عليه ازدراه وقال: لعن الله مَن حكّمك في أمره، فقال: يا أمير المؤمنين، إنك رأيتَني والأمر عنّي مُدبر، وهو عليك مُقبل، ولو رأيتني والأمر عليَّ مقبل لاستَعْظَمتَ ما استصغرت، فقال له سليمان: ما أظنُّ الحجاج إلا إلى الآن يهوي في جهنم، وما استقر في قعرها بعد، فقال: إن الحجاج مَحَضَكم الوُدَّ، وبذل لكم الجهد، وإنه يأتي غداً بين يدي أبيك وأخيك، فاجعله أين شئت، فصاح سليمان: أخرجوه فأخرجوه[٤].

---

(١) في «أنساب الأشراف» ٧/ ٤٢٢، و«تاريخ دمشق» ٩/ ٤١٩: داود بن علي بن عبد الله بن العباس، وما بين معكوفين منه.

(٢) في النسخ غير (ص) فليس فيها الخبر: فتخاء عقاب، والكلمة الثانية تفسير للأولى. وانظر ديوان الفرزدق ١/ ٣٠١، و«تاريخ دمشق» ٩/ ٤٢٠ (مخطوط)، و«أنساب الأشراف» ٧/ ٣٩١، و«مروج الذهب» ٥/ ٤١١، و«العقد» ٤/ ٤٢٩.

(٣) «أنساب الأشراف» ٧/ ٣٨٢، و«تاريخ دمشق» ٩/ ٤٢٠.

(٤) «مروج الذهب» ٥/ ٤٠٤-٤٠٥، و«العقد» ٤/ ٤٢٧.

وقال الشعبي: جرى بين سليمان وعمر بن عبد العزيز كلام، فقال له سليمان: كذبتَ، فقال له عمر: والله ما كَذبتُ منذ شَدَدْتُ إزاري، وقام مُغضَباً وهو يقول: إن في غير هذا المجلس لنا سَعَةً، وتجهَّز إلى مصر، فأرسل إليه سليمان، فجاء فقال: يابن عَمّ، والله إن المُعاتَبة تَشُقُّ عليَّ، ولكن والله ما أهمَّني أمرٌ قط من ديني ودنياي إلا كنتَ أوّل مَن أذكره له.

وقال الشعبي: دخل عليه أعرابي فقال: يا أمير المؤمنين، إني مُكلِّمك بكلام فافهمه، فقال: إنا نجود بسَعَةِ الاحتمال على مَن نرجو نُصحه، ونأمَنُ غِشَّه، فقال الأعرابي: أما إذْ أَمِنتُ بادرةَ لسانك، ومَغَبَّةَ غضبِك، فإني سأُطلق لساني بما خَرَسَتْ عنه الألسنةُ من موعظتك تأديةً لحقِّ الله ولإمامتك، إنه قد اكتَنَفك رجالٌ أساؤوا الاختيار لأنفسهم، وباعوا دينهم بدنياهم، ورضاك بسخط ربهم، ولم يخافوا اللهَ فيك، حربٌ للآخرة، سِلمٌ للدنيا، فلا تأمَنْهم على ما ائتمنك الله عليه؛ فإنهم ضيَّعوا الأمانة، وعَسفوا الأُمَّة، وأنت مسؤولٌ عما اجتَرموا، وليسوا بمسؤولين عما اجترَمْتَ، فلا تُصلح دنياهم بفساد آخرتك، فإن أعظم الناس غُبْناً مَن باع آخرته بدنيا غيره، فقال له سليمان: أما أنت يا أعرابي فقد سَلَلْتَ لسانَك، وهو أمضى من سيفك، فقال: أجل ولكن لك لا عليك[1].

وقال [أبو القاسم] بن عساكر: كانت دار سليمان بدمشق موضع سقاية جيرون الآن، وبنى دوراً كثيرة مما يلي الباب الصغير موضع الدَّرْب الذي يقال له: درب مُحْرِز، وجعلها دار الإمارة، وبنى فيها قُبَّةً صفراء ضاهى بها القبة الخضراء التي بناها معاوية في دار الإمارة.

قال: وكان سليمان فصيحاً، مُؤثراً للعدل، محبّاً للغزو، وجّه جيشاً إلى القسطنطينية فحصرهم، فصالحوه على بناء الجامع بها.

وكان مقرباً لعمر بن عبد العزيز مستشيراً له.

وحج بالناس في سنة إحدى وثمانين قبل خلافته، وسنة سبع وتسعين في خلافته.

(١) «مروج الذهب» ٥/ ٤٠٧ـ٤٠٩ .

وقيل: إنه ولد سنة ستين بالمدينة في دار عبد الملك أبيه.

وقال الزُّبير بن بكّار: جمع عبد الملك بنيه: الوليد، وسليمان، ومَسْلَمة، وقال: لِيُنْشدني كلُّ واحدٍ منكم أرقَّ بيت قالته العرب، وقد أجَّلتُكم ثلاثاً، ومن أتاني به فله حُكمه، فخرج سليمان، فرأى أعرابياً يسوق إبلاً له وهو يقول: [من البسيط]

لو حُزَّ بالسيف رأسي في مَحبَّتِكم لمالَ يهوي سريعاً نحوكم رأسي

فرجع إليه، فأنشده إياه فأعجبه وقال: يا بنيّ، سَلْ حاجتَك، ولا تنسَ حظَّ الأعرابي، فقال: يا أمير المؤمنين، إن العَهْدَ ليس بمُقرِّبٍ أجلاً، ولا تركه بمُباعِدٍ حَتْفاً، وقد عَهِدتَ إلى الوليد فاجعلني بعده، فقال: نعم، فأقام عبد الملك الحجَّ بالناس سنة إحدى وثمانين، وعهد إليه، وأعطاه مئة ألف درهم فدفعها للأعرابي[1].

وقال الزبير: كان سليمان لما ولي الخلافة قد عزم على المقام بالبيت المقدس، ونقل إليه أمواله، فبلغه خروج الروم إلى ساحل حمص، وأنهم سَبَوا نساءً، فغضب وقال: والله لأَغْزُونَّهم غزاةً أفتح فيها القسطنطينية أو أموت دونها، فأغزى أهل مصر في ألف مركب في البحر إلى القسطنطينية، وقدَّم عليهم عُمر بن هُبَيرة الفَزاريّ، وأغزى أهلَ الشام في عشرين ومئة ألف إليها أيضاً في البرّ، وولّى على الجميع أخاه مَسْلَمة بن عبد الملك.

ثم قدم سليمان دمشق، فصعد المنبر يوم الجمعة وخطب، وأخبر الناس بيمينه التي حلفها على فتح بلد القسطنطينية، وأمرهم بالجَهَاز فتجهَّزوا، وخرج الناس من دمشق، وأتى مَرْج دابِق فنزل به، وأقام يُجَهِّز البعوث.

وقال الزبير: كان سليمان من أفصح ملوك بني أمية، وكان شاعراً، ومن شعره: [من الطويل]

ومن شيمتي ألّا أُفارقَ صاحِباً وإن مَلَّني إلا سألتُ له رُشْدا
فإن دام لي بالودِّ دُمتُ ولم أكن كآخرَ لا يَرعى ذِماماً ولا عَهْدا[2]

---

(١) نقله ابن كثير في «البداية» ١٢/ ٦٤٠ عن ابن عساكر.

(٢) «مختصر تاريخ دمشق» ١٠/ ١٧٦ ، و«البداية والنهاية» ١٢/ ٦٤٥ .

وقال الهيثم: كان الحسن البصري، وابن سيرين، والشعبي، وأبو حازم، والزُّهري، وعلماء ذلك العصر وزُهّادُه يدعون لسليمان، ويُثنون عليه ويقولون: افتتح الخلافة بإحياء الصلوات في مواقيتها، ومحا سُنَن الحجاج وسجونه وبِدَعه وما لقي منه الإسلام والمسلمون، ثم ختم خلافتَه باستخلاف العبد الصالح عمر بن عبد العزيز رحمه الله.

وقال عبد الله بن صفوان بن الأهتم: كنت أقوم على رأس سليمان بن عبد الملك، فدخل عليه رجل من حضرموت من حكمائهم، فقال له سليمان: تكلَّم بحاجتك، فقال: أصلح الله أمير المؤمنين، مَن كان الغالبُ على كلامه النَّصيحةَ وحسنَ الإرادة، أوفى به كلامُه على السَّلامة، وإني أعوذ بالذي أشخصني من أهلي حتى أوفدني عليك أن ينطقني [بغير] الحق، وأن يُذَلِّل لساني لك بما فيه مصلحةٌ لك وللرعية، وإن اقتصارَ الخطبة أبلغُ في أفئدة أولي الفهم من الإطالةِ والتَّشَدُّق في البلاغة، ألا وإن من البلاغة ما يُفهم وإن قلَّ، وإني مُقْتَصر على الاقتصار، مُجتنب لكثير من الإكثار، يا أمير المؤمنين، أشخَصَني إليك والٍ عَسوف، ورَعيَّة ضائعة، فإن تتعجَّلْ تستدركْ ما فات، وإن لم تعجل هَلَكت الرعيةُ ضَياعاً. فغضب سليمان وقال: البريد البريد، فحضر، فبعث عليه رجلاً وقال: لا تنزل من مركبك حتى تَعزلَ الوالي، ومَن كانت له ظُلامة فخُذْ له بحقّه، ثم أمر للحكيم بمال أو جائزة سنيَّة، فأبى أن يَقبلها وقال: يا أمير المؤمنين، أنا أحتَسِب سَفَري على الله، وأكره أن آخذ عليه أجراً من غيره، ولم يَقبلْه[١].

ذكر بعض خطبه:

[حكى هشام بن الكلبي عن أبيه قال: كان سليمان قد نشأ بالبادية عند أخواله، وكان فصيحاً] خطب يوماً فقال: أيها الناس، اتّخِذوا كتاب الله إماماً، وارضَوا به حَكَماً، واجعلوه لكم قائداً؛ فإنه ناسخ لما قبله، ولن ينسخه كتابٌ بعده. [قال: فما سمع الناس خطبة أبلغ منها و لا أوجز[٢].]

---

(١) «تاريخ دمشق» ٨/ ٣٤٠.

(٢) «مروج الذهب» ٥/٣٩٨ـ٣٩٩ ، و«العقد» ٤/ ٩١ـ٩٢ .

وخطبة أخرى: أيها الناس، أين الوليد، وأبو الوليد، وجدّ الوليد، أسمعهم الداعي، واستردَّ العواري؛ فاضْمَحَلَّ ما كان كأن لم يكن، وذهب عنهم طَيِّب الحياة، ففارقوا القصور، وسكنوا القبور، واستبدلوا بلين الوِطاء خَشِن التُّراب، فهم رهائنه إلى يوم المآب، فرحم الله عبداً مَهّد لنفسه، واجتهد لدينه، وأخذ من الاستعداد بحَظّه، وعمل في حياته، وسعى لصلاحه ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾(١) [آل عمران: ٣٠].

ومن أخرى: أيها الناس، إن الله جعل الموت حتماً سبق به حُكمُه، ونَفَذ به أمرُه؛ لئلا يطغى المُتَكَبِّر، ويَمدَّ عُنقه المتجبِّر، ألا وإن الله جعل الدنيا داراً لا تقوم إلا بأئمة العدل ودعاة الحق، وإن لله عباداً يُملِّكهم أرضَه، ويَسوس بهم عبادَه، ويُقيم بهم حُدودَه، وقد أصبحت في هذا المقام الذي أنا غير راغبٍ فيه، ولا مُنافس عليه، ولولا أن الخلافة تُحفةٌ من الله لتمنَّيتُ أن أكون كأحدكم، وما هو إلا العدلُ أو النار(٢).

ذكر وفاته:

قال أبو بكر بن عبد العزيز بن الضحاك بن قيس: شهد سليمان جنازةً بدابِق، فدُفنت في حقل، فجعل سليمان يأخذ من تلك التُّربة ويقول: ما أحسن هذه التربة، ما أطيب ريحها! فما أتى عليه جمعة ـ أو كما قال ـ حتى دُفن إلى جانب ذلك القبر(٣).

واختلفوا في سبب وفاته [على أقوال؛ أحدها:] قال الشعبي: مازال سليمان بعد وفاة ابنه أيوب يذوب ويَنْحل حتى مات كَمَداً.

وقال المدائني: أتاه دِهقان بدابِق ومعه زِنْبيل مملوء بيضاً، وآخر مملوء تيناً أخضر، فقدَّمه إليه، فجعل يُقَشِّر البيض ويأكل كل بيضة بتينة حتى أتى على الزِّنْبيلين، ثم أتوه بقَصْعَةٍ مملوءة مُخّاً مخلوطاً بالسُّكَّر فأكل الجميع، وكان قد أكل قبل التين والبيض والمخ ثلاث مئة وستين شاهلوكة ـ وهي عين البقر ـ فأُتخم ومرض ومات(٤).

---

(١) بعدها في (ص): وله خطب كثيرة، ذكر وفاته.

(٢) «المنتظم» ٧/ ١٤ـ١٥ .

(٣) «تاريخ الطبري» ٦/ ٥٤٩ .

(٤) «أنساب الأشراف» ٧/ ٥١ ، و«العقد» ٤/ ٤٣٠ .

وقال ابن أبي الدنيا: نزل سليمان بمَرْج دابِق من أرض قِنَّسرين، فنظر في المرآة يوماً فأعجبْته نفسُه فقال: أنا الملك الشَّابّ، أنا السلطان الوهَّاب ـ وكان جميلاً، وعليه حُلَّةٌ خضراء، وعلى رأسه وَصيفة ـ فلما قال: أنا الملك الشاب حرَّكت شفتيها، فقال لها: يا جارية، كيف ترينني؟ قالت: قُرَّة العين، ومُنى النَّفْس، قال: فما الذي حرَّكتِ به شفتيكِ؟

قالت: قلت: [من الخفيف]

أنت نعمَ المتاعُ لو كنتَ تَبقى غيرَ أن لا بَقاءَ للإنسانِ
أنت خِلْوٌ من العيوبِ ومما يَكرهُ الناسُ غير أنك فانِ

ثم خرج إلى الجمعة ليَخطبَ بالناس ويُصلّي، فشرع في الخطبة وصوته يُسمع من أقصى المسجد، فطعن، فلم يزل يَضعف صوتُه، وثَقُل حتى لم يسمعه القريب من المنبر، ثم حُمل إلى بيته فقال: عليَّ بتلك الوَصيفة ـ التي كانت قائمة على رأسه ـ فجاءت، فقال لها: أعيدي ما قلتِ، قالت: وما الذي قلت؟ قال: ألستِ القائلة:

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى؟

قالت: والله ما طَرقَ سَمعي هذا قط، ولا رأيتُك منذ شهر، فسأل القَيِّمةَ على الجواري فقالت: صدقت، فارْتَاعَ، وعلم أن نفْسَه قد نُعيت إليه، فما عاش إلا أسبوعاً[١].

واختلفوا في وفاته؛ فقال هشام بن محمد: تُوفّي بدابِق يوم الجمعة لعشرِ ليالٍ بقينَ من صفر سنة تسع وتسعين، فكانت خلافتُه سنتين وثمانية أشهر إلا خمسة أيام.

[وقال ابن عساكر: إنه توفي في رمضان، وهو وهم منه.]

وقال ابن أبي الدنيا: توفي لعشر ليال مضين من صفر.

واختلفوا في عمره، فقال قوم: [ولد سنة ستين، فيكون عمره] تسعاً وثلاثين سنة، وقيل: ثلاث وخمسون سنة، والأول أشهر[٢].

---

(١) انظر «تاريخ الطبري» ٦/ ٥٤٧، و«مروج الذهب» ٥/ ٤٠٢ـ٤٠٤، و«العقد» ٤/ ٤٢٥، و«المنتظم» ٧/ ٤٩ـ٥٠.

(٢) انظر «المعارف» ٣٦١، والطبري ٦/ ٥٤٦، و«مروج الذهب» ٥/ ٣٩٦ـ٣٩٨، و«العقد» ٤/ ٤٢٤ـ٤٢٥.

وقال الواقدي: صلى عليه عمر بن عبد العزيز، ونزل في قبره، فلما سوّى عليه اللَّبِن اضطرب، فقال ولد صغير لسليمان: عاش والله أبي، فقال عمر: بل عوجل أبوك[(١)].

قال: وقد جرى مثل هذا للوليد بن عبد الملك، فإن عمر نزل في قبره ومعه العباس ابن الوليد أو عبد العزيز بن الوليد. فجمع الوليد رجليه إلى صدره، فقال ولده: قد عاش أمير المؤمنين، فقال عمر: كلا والله، ولكنه عُوجل[(٢)].

وقد رثاه جماعة، منهم: الحارث الشاعر، فقال من أبيات: [من الطويل]

فهلّا على قبرِ الوليدِ سَفَحْتَها ... وقبرِ سُليمانَ الذي عند دابِقِ[(٣)]

وقال حمزة بن بِيْض الحَنَفيّ الشاعر: [من الكامل]

ساس الخلافةَ والداك كلاهما ... من بين سُخطَةِ ساخِطٍ أو طائعِ

ثم الوليدُ أخوك أصبح تالياً ... وعلى جبينك نورُ ملكٍ ساطعُ[(٤)]

يريد بوالديه: مروان وعبد الملك.

ذكر أولاد سليمان:

كان له أولاد عدة، منهم: أيوب، وداود، وعبد الواحد، ويزيد، وإبراهيم، ويحيى، وعبيد الله، والقاسم، وسعيد، ومحمد، وعمر، وعمرو، وعبد الرحمن، وأم أيوب.

فأما أيوب فقد ذكرناه، وقيل: لم يكن في أولاده مثله.

وأما داود فأُمّه أم ولد، وولّاه أبوه بعض الصَّوائف، وأراد أبوه أن يَعْهَد له في مرضه فمنعه رجاء بن حَيْوَة، وقيل: إنما منعه سليمان الخلافة لأنه كان ابنَ أَمَة، وهو الذي

---

(١) «المنتظم» ٧/ ٥٠ .

(٢) «تاريخ دمشق» ١٧/ ٨٤٧ (مخطوط). وجاء بعد هذا الخبر في (ص): انتهت ترجمة سليمان. ثم جاء ذكر القصة التي جرت لإبراهيم بن سليمان، وستأتي.

(٣) «معجم البلدان» ٢/ ٤١٧ (دابق)، وهو من أبيات للحزين الأشجعي في «أنساب الأشراف» ٧/ ٥٣ ، و«المؤتلف والمختلف» ١٢٣ .

(٤) «البيان والتبيين» ٣/ ٣٧١ وفيه إقواء.

عُيِّر فقيل له: مات أبوك بَشِماً وأمُّك بَغَراً[(١)]، وكانت أُمُّه قد حَجَّت فعَطِشت بطريق مكة، فأكثرت من شُرب الماء فماتت.

ويقال: إن صالح بن عبد الله قتله يوم نَهرِ أبي فُطْرُس[(٢)].

وأما عبد الواحد فكُنيته أبو عثمان، وقيل: أبو خالد، وأمه أم عمرو بنت عبد الله بن خالد بن أَسِيد بن أبي العِيص بن أُميَّة.

ولي الموسم لمروان بن محمد، وكان عاملَه على المدينة، وكان أميراً على الموسم سنة تسع وعشرين ومئة، ونزلت الحرورية بعرفات على الناس من كل وجه، فأرسل إليهم عبد الواحد جماعةً من قريش؛ منهم: عبد الله بن حسن بن حسن، وأُميّة بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، وعبد العزيز بن عبد الله [بن عبد الله] بن عمر بن الخطاب، فسألوهم أن يكفُّوا عن الناس حتى يَفْرُغوا من حجِّهم فكفّوا، فلما كان يوم النَّفْر الأول خرج عبد الواحد كأنه يُفيض، فركب رواحِلَه ومضى إلى المدينة، وترك أثقالَه بمِنًى.

وقال الزبير بن بكار: كان عبد الواحد جواداً مُمَدَّحاً، وقد مدحه إبراهيم بن هَرْمَة كثيراً، وكان قد أغناه، وأخذ عليه العَهد أن لا يمدحَ غيره، فلما عُزل عبد الواحد عن المدينة وجاء أميرٌ غيره مدحه ابن هَرْمَة، فعُزل ذلك الأمير وأُعيد عبد الواحد إلى المدينة، فجاء إليه ابن هرمة فحجبه، ولم يقبل فيه شَفاعةَ أحد، فتشفَّع إليه بعبد الله بن حسن بن حسن، فركب معه إليه، فلما دخل على عبد الواحد قام له وأكرمه وقال: ألك حاجة؟ قال: نعم، قال: كلُّ حوائجك مَقضيَّة إلا ما كان من ابن هَرْمة، فقال: ما أريد غيرها، فشفَّعه فيه، وأذن له فدخل فأنشده: [من الوافر]

أعبدَ الواحدِ المأمول إني ... أَغَصُّ حِذارَ سُخْطِك بالقَراحِ
رأينا غالباً خُلقتْ جَناحاً ... وكان أبوك قادِمَةَ الجَناحِ

---

(١) البشم: التخمة، والبغر: أن يشرب فلا يروَى، فيصيبه داء من كثرة الشرب. وانظر الخبر في «أنساب الأشراف» ٧/ ٤٣ ، و«تاريخ دمشق» ٦/ ٢٣-٢٤ (مخطوط).

(٢) رده ابن عساكر وقال: ولا أظنه بقي إلى ذلك الوقت.

وقام عبد الله بن حسن فخرج، وخرج خلفه ابن هرمة وقد تَجَوَّز في الإنشاد، فلحق عبد الله فقبَّل رِكابه، فقال له: وَيْحك، أما استحييتَ منّي تقول لابن مروان: وكان أبوك قادمةَ الجناح وأنا حاضر؟! وأبي الحسن بن علي، وأمي فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فقال له ابن هرمة: فقد قلتُ في إثر هذا البيت:

ولكن عُتبةٌ عتِبتْ علينا وبعضُ القول يَذْهب في الرِّياحِ

فضحك عبد الله وقال: قاتلك الله ما أظْرَفَك. وقيل: لم يكن هذا البيت في القصيدة، وإنما ارتجله ابن هرمة.

وحكى أبو الفرج الأصفهاني قال: قيل لابن هَرْمَة: بم استحقَّ منك عبد الواحد أن قلتَ فيه:

أعبد الواحد المأمول إني

فقال ابن هرمة: إن ذهبنا نُعَدِّد صنائعَه التي يستحقُّ بها هذا القول أطلْنا، ولكن أُخبركم ببعض صنائعه عندي؛ كان والياً على المدينة، وكنتُ مُنقطعاً إليه فأغناني عن مَن سواه، فعُزل عن المدينة، فظننتُ أنَّ مَن يلي بعده يكون مثله، فأقمتُ أغدو وأروح إلى الوالي إلى أن لم يبقَ لي شيء، وتعذَّر عليَّ القُوت، فقلت لأختي: أما تَرينَ ما نحن فيه، فمن أَقصِد؟ قالت: ما أُشير عليك إلا بعبد الواحد بن سليمان.

فباعت حُليَّها واشترت لي راحلة، فركبتُها وسرتُ حتى قدمتُ دمشق، فسألتُ عن عبد الواحد فقيل: هو في المسجد، فأَنَخْتُ راحلتي، ودخلت فسلَّمتُ عليه، فرحّب بي وقال: يا أبا إسحاق، كيف خبرك بعدنا؟ قلت: تلاعبتْ بي المِحَن، وجفاني الأخِلّاء، ونأى بي الوطن، فلم أجد مَن أَفْزَع إليه في الشدائد إلا إليك، ولا مُعَوَّلاً إلا عليك، فوالله ما بادرني إلا بدمعته، وأومأ إلى فتيان من أولاده فذهبوا.

ثم عاد الأول ومعه كيس يحمله خادم، فصبَّه في حجري، فقال عبد الواحد: كم هذا؟ قال: ألف وسبع مئة دينار، والله ما عندنا غيره.

ثم أقبل الثاني ومعه عبدان على رؤوسهما كارتان[١]، فحطّهما بين يدي، وإذا بها حليُّ نسائه وبناته، وقال له الغلام: والله يا أَبَة ما أبقينَ لهنّ من الحلي إلا ما بين يديك.

وجاء الغلام الثالث ومعه غلامان معهما من فاخر ثيابه، فوضع الجميع بين يدي وقال: يا أبا إسحاق، إني لمُعْتَذرٌ إليك من قلَّة ما حَبَوتُك به؛ مع بعد الشُّقَّةِ، وطول العهد، وسعةِ الأمل، وقد جئتَنا في آخر السنة، وقد تقسَّمت أموالَنا الحقوقُ، ونسفتها[٢] أيدي المؤمِّلين، فلم يبقَ إلا هذه الصُّبابة[٣]، فآثرناك بها على أنفُسنا، واستقللناها لك.

ثم نظر إلى ناقتي وقد ضَعُفَتْ فقال: يا غلام، ناقتي الفلانية فجاء بها، وهي والله أحبُّ إلي مما أعطاني، ووهب لي عبدين يخدماني. أفتلومني على مدحي إياه؟ فقال الرجل الذي سأله: والله إن هذا المدح استتر في جنب ما ذكرت[٤].

وقال الزبير: ولَّى مروانُ بنُ محمد عبدَ الواحد مكة والمدينة والطائف، فلما زالت أيام بني أمية قتله صالح بن عليّ بن عبد الله بن عباس، وأخذ مالَه، وله بالشام عَقِب[٥].

وأما يزيد بن سليمان فكان سيِّدَ ولد أبيه، وكان ينزل فلسطين، فلما قُتل الوليد بن يزيد أراده أهل فلسطين على البيعة بالخلافة، فلم يتمَّ له الأمر، فبعث إليه يزيد بن الوليد مَن ضمن له ما أراد، فأجابه وبايعه[٦].

وقال الزبير: يزيد والقاسم وسعيد بنو سليمان، أمهم أمُّ يزيد بنت عبد الله بن يزيد ابن معاوية بن أبي سفيان، مات سعيد بن سليمان صغيراً[٧].

---

(١) الكارة: ما يجمع ويشد ويحمل على الظهر من طعام وثياب.

(٢) في المصادر: ونهبتها.

(٣) البقية من كل شيء.

(٤) «الأغاني» ٦/ ١٠٧ـ١٠٩، و«الفرج بعد الشدة» ٣/ ١٦ـ١٨، و«تاريخ دمشق» ٤١/ ٦، وانظر ديوانه ٩٠ـ٩١.

(٥) «نسب قريش» ١٦٦، و«تاريخ دمشق» ٤١/ ٣.

(٦) «تاريخ دمشق» ١٨/ ٢٩٠ (مخطوط).

(٧) «نسب قريش» ١٦٥.

وأما إبراهيم بن سليمان فإنه عاش إلى أيام بني العباس، وله قصة عجيبة حكاها الزبير، وذكرها ابن عساكر، قال[١]:

لما أفضت الخلافة إلى بني العباس اختفى رجال من بني أمية، منهم إبراهيم بن سليمان، حتى أخذ له داود بن علي أماناً من أبي العباس، فقال له يوماً أبو العباس: حدِّثني بما مَرَّ عليك في اختفائك، فقال: كنت مطلوباً دون أهلي، فكنت أدور البلاد حتى دخلت الكوفة، فقصدتُ خرابها، فأفضيتُ إلى رَحْبَةٍ واسعة، ودار عالية، وعلى بابها رجلٌ له هيبة وغلمان، فسلَّمتُ عليه وقلبي خائف، فقال: ادخل فأنت آمن، فدخلتُ، فأفرد لي داراً عند حُرَمه، وأقام بي أحسن القيام، فأقمتُ عنده حَولاً لا يسألني عن شيء، وكان كلّ يوم يركب ويعود وهو مُتَلَهِّف، فقلت له يوماً: ما لي أراك قلقاً؟ فقال: إن إبراهيم بن سليمان قتل أبي، وقد أباح الخليفة دمه، وجعل لمن يأتي به مئة ألف درهم، وأنا كلّ يوم أركب وأُفتِّش الخراب عليه، وقد أُخبرت أنه فيه، قال: فعجبت من كوني في منزله وهو يريد قتلي منذ سنة ولا يعلم غريمه! فقلت: ما اسم أبيك؟ قال: فلان، فقلت: إنه قد وجب عليّ حَقُّك، ومن حَقِّك أن أُقَرِّب خُطاك، قال: وكيف؟ قلت: أنا قاتل أبيك، وأنا إبراهيم بن سليمان، فخذ بثأرك مني، فنظر إلي وقال: أحسب أن الاختفاء قد أضرَّ بك فاخترتَ الموت، فقلت: لا والله، فأنا قتلتُه في اليوم الفلاني بسبب كذا وكذا، فلما علم أني قاتلُه أطرق مفكّراً، واحمَرَّت عيناه ووجهه، ثم رفع رأسه وقال: أما أنت فستلقى ربك، وأبي فيأخذ له بحقِّه منك، وأما أنا فلا أُخفِر ذِمامي، فاخرج فلستُ آمَنُ نفسي عليك بعدها، فخرجتُ وأتبعني بألف دينار وقال: أنت ابنُ نِعمة فاستعن بها على طُرُقك، فلم أقبلها، فهذا أكرم مَن رأيت[٢].

---

(١) في (ص): وفيها أن لسليمان ابن يقال له إبراهيم له قصة عجيبة حكاها الزبير بن بكار وذكرها أبو القاسم الدمشقي قال.

(٢) «تاريخ دمشق» ٢/ ٤٣٦ (مخطوط)، وجاء بعد هذا في (ص): انتهت ترجمته والله أعلم، السنة المئة من الهجرة.

وأما يحيى وعبيد الله ابنا سليمان فأُمُّهما عائشة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان.

وأما أمُّ أيُّوب بنت سليمان فكانت عند عبد العزيز بن الوليد، فماتت في حياة سليمان.

أسند سليمان بن عبد الملك الحديث عن أبيه، وعبد الرحمن بن هُنَيْدة، وروى عنه ابنه عبد الواحد بن سليمان، والزُّهري.

سهل بن عبد العزيز بن مروان

كان فاضلاً زاهداً، روى الحديث عن أبيه، وروى عنه معاوية بن الريَّان.

عبد الله بن محمد ابن الحَنَفيَّة

كنيته أبو هاشم، وأمُّه أم ولد، وهو من الطبقة الثالثة من تابعي أهل المدينة.

وكان صاحب علم ورواية، ثقة، قليل الحديث.

وكانت الشيعة يتولَّونه، وكان بالشام مع بني هاشم، فحضرته الوفاة، فأوصى إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وقال: أنت صاحب هذا الأمر، وهو في ولدك، وصرف الشّيعة إليه، ودفع كتبه إليه، ومات بالحُمَيْمة في خلافة سليمان بن عبد الملك[1].

وقال الهيثم: جرت بينه وبين زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب مُنازَعة في صدقات علي عليه السلام، وكان قد شرط في صدقته أنها تكون إلى ذي الدِّين والفضل من أكابر ولده، فانتهت إلى زيد بن الحسن، فنازعه فيها أبو هاشم وقال: أنا وأنت في النسب إلى جدنا سواء، وإن كانت فاطمة ولدتك ولم تلدني فإن هذه الصدقة ليست لفاطمة، وإنما هي لجدّي، وأنا أعلم بالكتاب والسنة وأفقه منك.

فخرج زيد من المدينة، فقدم على الوليد بن عبد الملك بدمشق، فكثَّر على أبي هاشم، وأعلمه أن له شيعةً بالعراق يتخذونه إماماً، وأنه يدعو إلى نفسه حيث كان،

(١) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٣٢٢.

فوقر ذلك في صدر الوليد، وصدَّق زيداً، وحمله منه على النصيحة، وتزوج نَفيسة بنت زيد بن الحسن.

وكتب الوليد إلى عامله بالمدينة بإشخاص أبي هاشم فأشخصه، فلما وصل إلى باب الوليد أمر بحبسه، فأقام مدة، فوفد علي بن الحسين زين العابدين على الوليد بسببه، فقال علي للوليد: ما بال آل أبي بكر وعمر وعثمان يتقرَّبون بآبائهم فيُكْرَمون، وآل رسول الله ﷺ يتقربون بآبائهم فيُهانون؟ علام حبستَ ابن عمي أبا هاشم؟! فذكر له الوليد ما قال زيد فقال: إن بينهما منازعة في صدقة علي، فحمله ذلك على أن رماه عندك بالبُهتان، فصدّقه الوليد وأطلق أبا هاشم(١).

ذكر وفاته:

قال الواقدي: قدم أبو هاشم على سليمان بن عبد الملك، فأكرمه، وقضى حوائجه، وأُعجب بفصاحته وقال: ما كلَّمني قُرشيٌّ قط بمثل هذا، وإني لأظنّه الذي أُخبرنا عنه أنه يكون منه كذا وكذا، ووصله وأحسن جائزته، فخرج من دمشق يريد فلسطين، فأرسل سليمان مولى له أديباً فطناً، فسبق أبا هاشم إلى بلاد لَخْمٍ وجُذام، فواطأ قوماً منهم، فضربوا أبنيةً على الطريق كهيئة الحوانيت، بين كل واحد والآخر أقلّ من ميل، وأعدُّوا عندهم لَبناً مسموماً.

فمرَّ بهم أبو هاشم راكب على بغلته، فجعلوا ينادون: الشَّراب الشَّراب، اللَّبَن اللَّبن، فتاقت نفسُ أبي هاشم إلى اللبن فقال: هاتوا من لبنكم فناولوه قَدَحاً فشربه، فلما استقرَّ في جوفه وتجاوزهم قليلاً أحسَّ بالموت، وعلم أنه قد اغتيل، فقال لمن معه: أنا ميت، انظروا الذين سقوني اللبن، فعادوا إليهم فلم يجدوا أحداً، فقال أبو هاشم: ميلوا بي إلى ابن عمي محمد بن علي بالحُمَيْمَة ـ والحميمة من أرض الشَّراة ـ فمالوا به إليهم، فأخبرهم أنه سُمَّ في لبن غِيلة، وقال: إن هذا الأمر صائر إلى ولدك، وأوقف محمداً على كتب الشيعة، وأعطاه علامات، ومات عنده(٢).

---

(١) «تاريخ دمشق» ٦/ ٥٩٩ـ٦٠٠ (مخطوط).

(٢) «أنساب الأشراف» ٢/ ٥٥٥ـ٥٥٦ ، و«مختصر تاريخ دمشق» ١٣/ ٣٠١ـ٣٠٢ .

وقال مصعب الزُّبيري: مات أبو هاشم بالحِجْر من بلاد ثمود.

وقال عيسى بن علي: مات في عسكر الوليد. وقال أبو مَعْشر: والذي سمَّه الوليد، والأول أصح[(١)].

ذكر أولاده:

كان له من الولد هاشم وبه كان يُكنى، ومحمد الأصغر لا بقيَّة له، وأمهما أم خالد بنت علقمة[(٢)] بن الحُوَيْرث، من بني كنانة.

ومحمد الأكبر ولبابة، وأمهما فاطمة بنت محمد بن عبيد الله بن العباس.

وعلي، وأمُّه أم عثمان من قُضاعة.

وطالب، وعون، وعُبيد الله لأمهات أولاد.

ورَيْطة، وهي أم يحيى بن زيد بن علي المقتول بخراسان، وأمُّها رَيْطة بنت الحارث ابن نَوْفل بن الحارث بن عبد المطَّلب.

وأمُّ سَلَمة لأمِّ وَلَد.

قال الزبير: وقد انقرض ولد أبي هاشم إلا من قِبَل النساء.

عيسى بن طلحة

ابن عُبيد الله التَّيْميّ، كان من حُلَماء قريش وساداتهم، ووفد على معاوية، وأمُّه سُعْدى بنت عوف بن خارِجَة، من قيس عَيْلان.

وهو من الطبقة الثانية من أهل المدينة.

وقيل له: ما الحِلم؟ قال: الذُّل. وكان صديقاً لعروة بن الزبير.

---

(١) انظر «تاريخ دمشق» ٦/ ٦٠٠-٦٠١، ومختصره ١٣/ ٣٠١، و«تهذيب الكمال» (٣٥٣٢)، و«السير» ٤/ ١٢٩-١٣٠.

(٢) في «طبقات ابن سعد» ٧/ ٣٢١: وأمهما بنت خالد، وفي «نسب قريش» ٧٦: فولد أبو هاشم عبد الله بن محمد: هاشماً ومحمداً الأكبر، أمهما خلدة بنت علقمة.

دخل رجل على عيسى وهو ينشد: [من الطويل]

يقولون لو عَذَّبْتَ قلبَك لارْعَوى فقلتُ وهل للعاشقين قلوبُ
عَدِمْتُ فؤادي كيف عَذَّبه الهوى أما لفؤادي من هَواكِ نَصيبُ

فقام الرجل، فأسبل إزاره، ومضى إلى باب الحجرة يتبختر، ثم رجع كذلك إلى عيسى فقال: أحسنتَ والله، فضحك عيسى وجلساؤه من طَرَبه.

وقال عبد الله بن مُسلم بن جُندب: طَرَقَني عيسى بن طلحة في الليل، فأشرفت عليه وقلت: ما لك؟ فقال: إن جاريةَ ابنِ حمران غَنَّتني لك: [من الطويل]

تعالوا أعينوني على الليل إنه على كلِّ عينٍ لا تنامُ طَويلُ
فوَيْلي وعَوْلي فَرِّجوا بعضَ كُربتي وإلا فإني مَيِّتٌ بغَليلي

وجئتُك أعينُك على طول الليل، فقلت: أدَّى الله عنك الحق، أبطأتَ عليَّ حتى أتى الله بالفَرج(١).

توفي عيسى في خلافة عمر بن عبد العزيز، وحدَّث عن أبي هُريرة وأبيه، وعن ابن عمر، وعبد الله بن عمرو وغيرهم. وروى عنه الزهري، وكان ثقةً كثيرَ الحديث(٢).

القاسم بن مُخَيْمِرَة الهَمْدانِّي

من الطبقة الثانية من التابعين من أهل الكوفة.

وكان مؤدِّباً، وكان يدعو بالموت، فلما نزل به كرهه، توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز، وكان ثقةً وله أحاديث(٣).

وكان عالماً، زاهداً، إماماً، وَرِعاً.

قال: ما اجتمع على مائدتي لونان من طعام، ولا أغلقتُ بابي ولي خلفَه هَمّ.

---

(١) «اعتلال القلوب» ٣٤٦، و«تاريخ دمشق» ١٤/ ١٦ (مخطوط)، وانظر «شرح أشعار الهذليين» ٩٠٩.

(٢) انظر «طبقات ابن سعد» ٧/ ١٦٢، و«السير» ٤/ ٣٦٧.

(٣) «طبقات ابن سعد» ٨/ ٤١٩-٤٢٠.

قال: وأتيتُ عمر بن عبد العزيز فقضى عني سبعين ديناراً، وحملني على بغلة، وفرض لي في خمسين، فقلت: أغنيتني يا أمير المؤمنين عن التجارة، ثم سألني عن حديث فقلت: هِنتني يا أمير المؤمنين، كأنه كره أن يحدثه على هذا الوجه[١].

وكان القاسم يكره صيد الطير أيام فِراخه.

أسند عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وعن خلق من التابعين[٢].

قيس بن أبي حازم

عَوف بن عبد الحارث الأَحمَسيّ.

من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة، شهد مع خالد بن الوليد حين صالح أهلَ الحِيرة، والقادسية، وتوفي في آخر خلافة سليمان بن عبد الملك، وروى عن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزُّبير، وسعد بن أبي وَقَّاص، وابن مسعود، وخَبَّاب، وخالد بن الوليد، وحُذَيفة، وأبي هُريرة، وعُقبة بن عامر، وجرير بن عبد الله، وعَدي بن عَميرة، وأسماء بنت أبي بكر ﷺ[٣].

محمود بن الرَّبيع

ابن سُراقة الخَزْرَجي. من الطبقة الخامسة ممن مات رسول الله ﷺ وهم حُدَثاء الأسنان، وكنيته أبو نعيم، وأمُّه جَميلة بنت أبي صَعْصَعة من بني النجَّار، وكان يَعقل رسولَ الله ﷺ وأدركه.

مات محمود في سنة تسع وتسعين وهو ابن ثلاث وتسعين سنة.

أسند عن عِتْبان بن مالك، وعُبادة بن الصَّامت، وروى عنه رجاء بن حَيْوَة، والزُّهري، ومَكحول في آخرين.

---

(١) «تاريخ أبي زرعة» ١/ ٣٥٤، و«المعرفة والتاريخ» ٢/ ٣٣٦، و«الحلية» ٨/ ٨٢، و«تاريخ دمشق» ٥٨/ ٣٩١، و«المنتظم» ٧/ ٥٢.

(٢) انظر «تاريخ دمشق» ٥٨/ ٣٨٣، و«السير» ٥/ ٢٠١ والمصادر فيهما.

(٣) «طبقات ابن سعد» ٨/ ١٨٨-١٨٩، و«تاريخ دمشق» ٥٩/ ١٤٥، و«السير» ٤/ ١٩٨.

وكان له من الولد: إبراهيم ومحمد[١].

نافع بن جُبَير

ابن مُطْعِم بن عَدِيّ بن نَوْفَل بن عبد مَناف بن قُصَيّ، كنيته أبو محمد، وأمه أمُّ قِتال بنت نافع بن ظُرَيْب بن عمرو بن نَوْفل.

وهو من الطبقة الثانية من أهل المدينة، وكان يَخضِب بالسَّواد، ويَربِط أسنانَه بخُرْصان الذَّهَب، ولا يَلْبَس إلا البياض، وكان يمشي إلى الحج وراحلته تُقاد خلفَه، وكان من أصحاب زيد بن ثابت، وهو أحد الأئمة، وروى عنه الناس، وتُوفّي في سنة تسع وتسعين.

وكان له من الولد: محمد، وعمر، وأبو بكر، وأمُّهم أمُّ سعيد بنت عِياض بن عَديّ ابن الخِيار. وعلي وأمُّه مَيمونة بنت عُبيد الله بن العباس.

أسند نافع عن: علي، والعباس، وأبي هريرة، والزبير وغيرهم، وروى عنه الزهري، وعمرو بن دينار، والنَّخعي، والشَّعْبي، وخلق كثير، وكان ثقةً[٢].

السنة المئة[٣]

فيها خرجت طائفةٌ من الحَرورِيّة على عبد الحميد بالعراق، فكتب إلى عمر يخبره، فكتب إليه عمر يأمره أن يدعوهم إلى كتاب الله والعمل به وسنة رسوله ﷺ، فلما أعذر في دعائهم كتب إليه: قاتلهم فإن الله لم يجعل [لهم] سَلَفاً يحتجُّون به علينا، فبعث إليهم عبد الحميد جيشاً فهزموه، فلما بلغ عمر بعث إليهم مَسلمة بن عبد الملك في جيش من أهل الشام، وكتب إلى عبد الحميد: قد بلغني ما فعل جيشُك جيشُ السوء، وقد بعثت إليك مَسْلمة بن عبد الملك، فخَلْ بينه وبينهم.

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٦/ ٥٦٤، و«تاريخ دمشق» ٦٦/ ٢٨٦، و«المنتظم» ٧/ ٥٢، و«السير» ٣/ ٥١٩ والمصادر في حواشيها.

(٢) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٠٣-٢٠٥، و«تاريخ دمشق» ١٧/ ٤٩٨، و«السير» ٤/ ٥٤١.

(٣) ليس في (ص) من هذه السنة سوى ترجمة خارجة بن زيد.

فلقيهم مسلمة في أهل الشام، فلم يَنْشبوا أن ظهر عليهم، فلقد مات عمر وفي حبسه منهم عِدَّة.

وقال البَلاذُري: خرج بِسْطام بن مُرَيّ اليَشْكُرِيّ في زمن عمر، ولقبه شَوْذَب، فقال لقومه: إن هذا الرجل يأمر بالعدل ويعمل به، فادعوه إلى أمركم، وما أنتم عليه من البراءة من عثمان وعلي ومعاوية، وما حكم به الحَكَمان، وأن لا حكم إلا لله، فكتبوا إليه بذلك، فكتب إليهم:

من عبد الله عمر إلى العصابة الخارجين بزَعْمِهم يلتمسون الحق، أما بعد، فإن الله سبحانه لم يُلَبِّس على العباد أمورَهم، ولم يتركهم سُدى، ولم يجعلهم في عَمياء، حتى أرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، فبعث محمداً ﷺ بشيراً ونذيراً، وأنزل عليه كتاباً حَفيظاً؛ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد وقفتُ على كتابكم، وما دعوتموني إليه.

فأما التَّبَرُّؤ من الصحابة فمعاذ الله، كيف أتبرَّأ من قوم أخبرني الله في كتابه العزيز أنهم سبقونا بالإيمان، وأمرنا أن نستغفر لهم، وسألتموني ردَّ ما حكم به من كان في صدر الأمّة، وقولكم: لا حكم إلا لله، فأقول: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] وقد خاب مَن دُعي إلى الحقّ ولم يُجب.

ثم ختم الكتاب بقوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ الآية [يوسف: ١٠٨] وبعث بالكتاب مع عَوْن بن عبد الله بن عُتبة بن مَسعود الهُذَليّ ومحمد ابن الزُّبير الحَنْظَليّ، وقال لهما: ادعوهم إلى الجماعة، وردُّوهم إلى كتاب الله، واضمنا عني ما طلبوا من العمل به.

فلما قَدِما عليهم دفعا إليهم كتاب عمر، فلما وقفوا عليه قالوا: نبعث إليه برجلين يُكلِّمانه، فإن أجاب فذاك، وإن أبى فالله من ورائه، فقال لهم عون:

أيَّتُها العِصابة، إنا قد أقمنا من كتاب الله ما قد حَفِظنا، وعَمِلنا بما عَلِمنا، فهل عندكم من علم فتُخرجوه لنا؟! قالوا: نعم، نُكَفِّر أرباب الذنوب، قال: ولِمَ؟ قال:

لقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ فقال: أخطأتم في التأويل؛ لأن المراد من الآية الجَحْد، أما التأويل بأن يقع حدٌّ فيَدْرَأه عن صاحبه فليس بكفر، قالوا: فإن عُمَّال صاحبكم يظلمون، وقد قال الله: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨] قال: فتولَّوا أنتم أعمالَه، قالوا: نعمل له فنَشْرَكه فيما هو فيه؟ قال: فكونوا أُمَناء على العمال، أيّ عامل عمل بغير الحق فاعزلوه، فقالوا: نبعث معكما رجلين.

فبعثوا معهما رجلاً من بني يَشْكُر، ورجلاً من الموالي يقال له: عاصم، حَبَشيّ، فقدموا على عمر وهو بخُناصِرة في غرفة له، وعنده ابنُه عبد الملك وكاتبه مُزاحِم مولاه، فدخلا على عمر فأخبراه بوصول الرجلين فقال: فتِّشوهما، ففتَّشوهما فلم يجدوا معهما حديداً، فأذِن لهما.

فدخلا عليه فقالا: السلام عليك، فردَّ عليهما وأَذِن لهما بالجلوس، فجلسا، فقال عمر: ما الذي نَقَمتُم علينا؟ فقال عاصم: أخبِرْنا عن قيامك بهذا الأمر، أعن تَراضٍ من الأمة أم ابتزَزْتَهم أمرَهم؟ فقال: ما سألتُهم إياه، ولا غلبتُهم عليه، وإنما عهده إليَّ رجل لم أسأله إياه لا في سِرٍّ ولا في علانية، فقمتُ فيه قيامَ مُكْرَه، فلم يُنْكره أحدٌ غيركم.

فقال له اليَشْكُريّ: رأيناك خالفْتَ أهلَ بيتك، وسمَّيتَ أفعالَهم مظالم، وسلكتَ غير طريقهم، فإن كانوا على ضلالةٍ وأنت على هُدًى؛ فالعنْهم وتبرَّأ منهم ونحن موافقوك، فقال عمر: زعمتم أن لَعْنَ الظالمين فريضة، فمتى لعنتُم فرعون؟ فقال عاصم: ما أعلم أني لعنتُه، قال: ففرعون كان أخبثَ العالم ولم تَلْعَنْه، أفألعنُ أنا أهلَ بيتي وهم مسلمون مُصَلُّون إن كانوا ظالمين، فكفى بذلك ذَمّاً ونَقْصاً، أليس أن أبا بكر سَفَك دماء أهل الردَّة، وأخذ أموالَهم، وسبى ذَراريهم؟ قالا: بلى، قال: أليس عمر ردَّ السَّبايا بعده إلى عشائرهم بفِدية، فهل تبرَّأ عمر من أبي بكر؟ قالا: لا، قال: فأنتم تزعمون أن أبا بكر وعمر من أسلافكم، وقد فعلا ما فعلا، ولم تتبرَّؤوا منهما، أفأتبرَّأ أنا من أهلي؟ أليس من أسلافكم مَن سفك دم عبد الله بن خَبَّاب، وبقروا بطنَ امرأته، وقتلوا وأخذوا المال؟ قالا: بلى، قال: فهل تبرَّأتم منهم؟ قالا: لا، قال: فأهلي لم

يفعلوا مثل ذلك؛ ومع هذا ما تبرَّأتُم منهم، فكيف أتبرَّأ من أهلي؟ ثم بكى عمر، فقالا: نشهد أنك على الحق، وأنك تتحرَّى الخير والعدل والصدق.

ثم مضيا إلى الخوارج، وحكيا لهم ما جرى فقالوا: كُفُّوا عن هذا الرجل ما كَفَّ عنكم، وكان عمر ﷺ يقول: ما خصموني إلا بيزيد بن معاوية، فأستغفر الله.

ثم رحل بِسطام فنزل حَرَّة؛ مكاناً بأرض الموصل، وعاد عاصم الحَبشيّ إلى عمر ﷺ فأقام عنده، فأمر له بعطاء، فمات بعد خمسة عشر يوماً[1].

وفيها ولَّى عمر ﷺ عُمر بن هُبَيرة الفَزاري عاملاً على الجزيرة، فسار إليها فضبطها، ورحل الخوارج إلى أرمينية.

وكان بالجزيرة سِنان بن مُكمِّل النُّميري، فركب سنان يوماً على بغلة، فساير عمر بن هُبَيرة فزَحَمَتْه، فقال له عمر: غُضَّ من عِنان بغلتك، فقال له سِنان: إنها مكتوبة، فخجل عمر.

وذلك لأن عمر أراد أن يُخْجِل سِناناً بقول القائل: [من الوافر]

فغُضِّ الطَّرْفَ إنك من نُمَيْرٍ ... فلا سَعداً بلغْتَ ولا كِلابا

فَخجَّله سِنان، وأراد قولَ القائل: [من البسيط]

لا تأمَنَنَّ فَزاريّاً خَلوتَ به ... على قَلُوصِك واكتُبها بأسيارِ[2]

وفيها تزوج محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الحارثيَّة، فولدت له [أبا] العباس السفّاح في سنة أربع ومئة.

وفيها حُمل يزيد بن المُهَلَّب إلى عمر بن عبد العزيز ﷺ.

قال هشام بن محمد: إن عمر ﷺ لما عزل يزيد عن خُراسان جاء إلى واسط، وكان عَديُّ بن أَرْطاة أميراً على البصرة، فركب يزيد السُّفُن يريد البصرة ليلحق بأهله وأمواله، فأرسل عَديُّ بن أَرْطاة موسى بنَ الوجيه الحِميَريّ، فلحقه بنهر مَعْقِل قريباً من جسر البصرة، فأوثقه، وبعث به إلى عمر.

---

(١) ينظر «أنساب الأشراف» ٧/ ١٥١-١٥٧.

(٢) «العقد» ٢/ ٤٦٨. والبيت الأول لجرير من قصيدته المشهورة، والثاني لسالم بن دارة.

وكان عمر ﷺ يبغض آل المهلب ويقول: هم جبابرة، وكان يزيد يكره عمر ويقول: هو مراءٍ.

دخل يزيد يوماً على سليمان وهو يخطر بيده، فقال: إن هذه مِشية يكرهها الله، فقال سليمان لعمر: لا تقل هذا، فقال عمر ﷺ: والله إن في رأسه لغَدْرَة، فأغلظ يزيد لعمر وقال: ماذا لَقِينا من لَطِيم الحمار المرائي، فلما ولي عمر ﷺ علم يزيد أنه كان بعيداً عن الرياء.

وفي رواية أن عمر ﷺ كتب إلى عدي بأن يبعث بيزيد إليه موثقاً، فبعث به عديّ مع وكيع بن حسَّان بن أبي سُود التَّميمي مَغلولاً مقيَّداً في سفينة، فلما انتهى به إلى نهر أبان عرض له أناس من الأزد ليُخلّصوه، فوثب وكيع فقطع قَلْس السفينة، وانتَضى سيفَه، وحلف [بطلاق] زوجته لئن لم يتفرقوا ليضربنَّ عُنُقَ يزيد، فأشار إليهم يزيد فتفرقوا وجاء وكيع بيزيد إلى عين التَّمْر وهناك جند فسلّمه إليهم، فساروا به إلى الشام، ورجع وكيع إلى البصرة(١).

وقال الهيثم: لما ولي عمر بن عبد العزيز وقف على كتاب يزيد بن المهلب إلى سليمان ـ الكتاب الذي ذكر فيه حديث المال والفتوح، ولم يقف سليمان عليه ـ فكتب عمر إلى يزيد:

أما بعد، فإن سليمان كان عبداً من عبيد الله، قبضه الله إليه عند انقضاء أجله، ثم وَليتُ الأمرَ بعده، فبايع مَن قِبَلك، والسلام.

فلما قرأ يزيد كتابه قال: الرجل عازلُنا لا مَحالة، ثم كتب إليه عمر ﷺ كتاباً آخر يأمره بالقُدوم عليه، وأن يستخلف ابنَه مخلد بن يزيد على عمله، فخرج ومعه وجوه أهل خُراسان، وكان وكيع بن حسَّان بن أبي سُود محبوساً عنده فحمله معه، وكان في عزم يزيد العصيان على عمر ﷺ، فلما دخل واسط أراد أن يقصد البصرة؛ وبها عَديّ

---

(١) «تاريخ الطبري» ٦/ ٥٥٦ـ٥٥٨ وما بين معكوفين منه، و«أنساب الأشراف» ٧/ ٢٣٤ـ٢٣٦ ، و«المنتظم» ٧/ ٥٦ .

ابن أرطاة عامل من قبل عمر رضي الله عنه، وعلم عدي فأرسل موسى بن الوَجيه الحِمْيَريّ في جيش، فأدركوه عند نهر مَعْقِل فأوثقوه.

وقال المدائني: لما وصل يزيد إلى واسط وجد عديَّ بن أرطاة قد أقبل والياً على العراق وهو في سفينة، فصعد عديّ فدخل دار الإمارة، واستدعى بيزيد فقيَّده، وبعث به إلى عمر رضي الله عنه.

وقال هشام بن محمد: لما دخل يزيد على عمر سلَّم عليه بالخلافة، فرد عليه وقال: أين الأموال التي كتبتَ بها إلى سليمان؟ فقال يزيد: ما عندي مال، فقال عمر: فهذا كتابك إلى سليمان بفتوح جُرْجان وطَبَرِسْتان ودِهِسْتان، وأنَّ قِبَلَك ستة آلاف ألف درهم، أو ما هذا كتابُك؟ قال: بلى، وما قصدتُ به إلا السُّمعة بتعظيم الفتح عند الناس، فقال عمر: قد صار ذلك حقاً واجباً للمسلمين، ولا يَسَعني تركُه، فأصرَّ يزيد على الإنكار، فأمر بحبسه، فمرض في الحبس، فأمر عمر بفكّ قُيوده.

وبعث عمر رضي الله عنه على خراسان الجرَّاح بن عبد الله الحَكَميّ، وقفل عنها مَخْلَد بن يزيد؛ لا يمرُّ بكُورَةٍ إلا وفرَّق فيهم أموالاً عظيمة حتى قدم على عمر بن عبد العزيز، فدخل عليه فقال: يا أمير المؤمنين، إن الله قد صنع لهذه الأمة بولايتك عليها، وقد أبتُلينا بك، فلا نكن أشقى الناس بولايتك، علام تحبس هذا الشيخ؟ إنما أتحمَّل ما عليه فصالِحْني على البعض، فقال عمر رضي الله عنه: لا، إلا أن تحمل جميعَ ما كتب به إلى سليمان، فقال له مَخْلَد: يا أمير المؤمنين، إن كانت لك بيِّنة فخُذْ بها، وإن لم تكن لك بَيِّنة فصدِّق مقالةَ يزيد وإلا فاستَحْلِفْه، فقال عمر: لا، إلا أن يأتي بجميع المال الذي كتب به بخطه، فإن خطَّه شاهد عليه. وخرج مَخْلَد من عند عمر رضي الله عنه، فقال عمر: هذا خير من أبيه، فلم يلبث مخلد حتى مات عند عمر وأبوه في الحبس.

ولما أصرَّ يزيد على الامتناع بعث إليه عمر يقول: أدِّ المال واذهب حيث شئت؛ فإنك لستَ بفاجر، فنال من عمر وأغلظ للرسول، فقال عمر: ألبِسوه جُبَّةَ صوف،

واحملوه على جَملٍ إلى دَهْلَك، فألبسوه الجُبَّة، وحملوه على الجمل، فلما خرجوا به ومرُّوا على الناس أخذ يقول: أمالي عشيرة، أمالي قوم، أيُذْهَب بي إلى دَهْلَك؛ وإنما يُذهَب إليها بالفُسَّاق والمحاربين وأهل الريب؟!

فدخل سلامة بن نُعَيم الخَولانيّ على عمر وقال: يا أمير المؤمنين، ارْدُدْ يزيد إلى محبسه، فإني أخاف إن ذُهب به أن ينتزعه قومه، فإني رأيتُهم قد غضبوا، فردَّه إلى الحبس.

وقَدِمت هند بنت المهلَّب على عمر رضي الله عنه وهو بخُنَاصِرة فقالت: يا أمير المؤمنين، علام حبستَ أخي؟ قال: خفتُ أن يشقَّ عصا المسلمين، قالت: فالعقوبة إنما تكون بعد الذَّنب لا قبلَه(١).

وهذه هند ذكرها ابن أبي الدنيا في كتاب «الفوائد» قال: ذكرت امرأة عند هند بنت المهلب بجَمَال، فقالت هند: ما تحلَّيْنَ بحِليةٍ ـ يعني النساء ـ أحسن عليهن [من] لُبٍّ طاهر تحته أدبٌ كامل.

وقالت: إذا رأيتم النِّعَم مُستَدرّة فبادروها بالشُّكر قبل حلول الزَّوال.

وقالت أم أيوب بن صالح: كنا إذا دخلنا على هند وهي تسبّح باللؤلؤ، فإذا فرغت من التَّسبيح ألقَتْه إلينا وقالت: اقتسمْنَه بينكن.

وقالت هند: الطاعة مَقرونةٌ بالمحبَّة، فالمُطيع محبوب وإن نَأَتْ دارُه، والمعصية مقرونة بالبُغض، فالعاصي مَمقوت وإن قَرُبَت دارُه، ومَسَّك مَعروفُه(٢).

وقالت مولاة لهند إنها دخلت عليها ذات يوم وهي تقرأ: ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١] وتبكي حتى غُشي عليها.

وقالت هند: إن للكريم أخلاقاً لا يقدر على تغييرها، وكذا اللئيم.

وقالت: ليس بعد بَذْلِ الوجه غاية، ولا وراءه نهاية.

---

(١) «تاريخ دمشق» ٤٦٣ـ٤٦٤ (تراجم النساء).

(٢) «تاريخ دمشق» ٤٦٢ـ٤٦٦ .

ودَبَّرت هند مَمْلوكاً ثم كرهت بعضَ حالاته، فأرسلت إلى عكرمة مولى ابن عباس تقول: إذا دَبَّر المولى مملوكاً ثم كره بعض أمره؛ أله أن يبيعه ويجعل ثَمنَه في غيره أو في مثله؟ فقال عكرمة: إن كان المكروه منه شيئاً من معاصي الله بيع وجُعل ثمنُه في مثله، وإن كان من مساوىء الأخلاق أقرَّه على أمره. فقالت هند: أخطأ عكرمة، أبعد أن جَرت فيه أسبابُ الحريّة يجوز التصرُّف فيه؟! ما كلُّ العبيد لله مطيع، ثم قالت للمدبَّر: غيِّب وجهَك عني، فأنت حرٌّ لوجه الله.

وهي التي سألت الحسن فقالت: يا أبا سعيد، أينظر الرجل إلى شعر أخته، أو إلى عُنُقها، أو إلى قُرْطها؟ قال: لا ولا كرامة.

وكانت زوجةَ الحجاج، فطلَّقها لما صاحت عند تعذيب أخيها يزيد.

روت عن أبيها المهلَّب، والحسن البصري، وأبي الشَّعثاء جابر بن زيد وغيرهم.

وفيها كانت زلازل بالشام هَدمت الدُّور والقِلاع، فكتب عمر رضي الله عنه إلى الأمصار، وواعدهم يوماً بعينه يخرجون إلى المصلَّى، ثم خرج بنفسه في ذلك اليوم، وخرج معه الناس، فدعا وتضرَّع وبكى، فسكنت الزَّلازل.

وفيها عزل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الجرَّاح بن عبد الله عن خراسان، وولّاها عبد الرحيم بن نُعَيم القُشَيري، فكانت ولاية الجرّاح عليها سنة وخمسة أشهر، قدمها في سنة تسع وتسعين، وفارقها في رمضان سنة مئة، وسبب عزله أنه جنى على أهل خُراسان وغلَّظ عليهم، فقدم على عمر جماعة فقالوا: يا أمير المؤمنين، عشرون ألفاً من الموالي يَغزون بلا عطاء، ومثلهم من [أهل] الذِّمَّة قد أسلموا يؤخذ منهم الخراج، ثم ولَّيت علينا سيفاً من بقايا سيوف الحَجَّاج، يعمل بالظلم والعدوان.

فكتب إليه عمر: انظر مَن قِبَلَك ممن يُصلّي إلى القبلة فضع عنه الجزية، فتسارع الناس إلى الإسلام، فقيل للجراح: إنما أسلموا تعوُّذاً من الجزية، فامتحنهم بالخِتان، فكتب إلى عمر بذلك، فكتب إليه: إن الله بعث محمداً ﷺ داعياً ولم يبعثه خاتناً، وكتب إليه أن اقدم علينا، فقال الجراح: يا أهل خراسان، إنما جئتكم بثيابي هذه التي علي وفرسي، ولم أصب من مالكم شيئاً.

ثم سار حتى قدم على عمر في شهر رمضان، فقال: متى خرجتَ من خراسان؟ فقال: في رمضان، فقال: صَدق مَن وصفك بالجَفاء، هلَّا أقمت حتى تُفطر ثم تخرج.

وفي رواية: أن الجراح لما قدم خراسان كتب إلى عمر: إني قدمتُ خُراسان؛ فوَجدتُ بها قوماً قد أبْطَرتْهم الفتنة، فهم ينزون فيها نزوا، أحبُّ الأمور إليهم أن يعودوا فيها ليمنعوا حقَّ الله، فليس يكفُّهم إلا السيف والسوط، وكرهت الإقدام على ذلك إلا بأمرك.

فكتب إليه عمر: يا ابن أمِّ الجَرَّاح، أنت أحرصُ على الفتنة منهم، لاتضربنَّ مُسلماً ولا مُعاهداً سوطاً إلا في حقّ، واحذر القِصاص؛ فإنك صائر إلى مَن يَعلم خائنةَ الأعين وما تُخفي الصدور، وتقرأ كتاباً لا يُغادر صغيرةً ولا كبيرة إلا أحصاها، والسلام.

ثم عزله وولى عبد الرحمن بن نُعَيم القُشَيْريّ[1] بعد أن استشار أصحابه فأشاروا به، فولاه وكتب إليه:

أما بعد، فكن عبداً ناصحاً لله في عباده، ولا تأخذك في الله لَومةُ لائم؛ فإن الله أولى بك من الناس، وحقُّه عليك أعظم، وإياك أن تميل إلى غير الحقِّ أو قولِ غير أهل الأمانة والنَّصيحة، فإن الله لا تخفى عليه خافية، ولا مَلجأ من الله إلا إليه.

فأقام عبد الرحمن على خراسان حتى مات عمر رضي الله عنه وقُتل يزيد بن المهلَّب، وعَزله مسلمة بن عبد الملك، وولاها لسعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحَكَم، فكانت ولايته أكثر من سنة ونصف، وليها في رمضان سنة مئة، وعُزل عنها سنة اثنتين ومئة.

وفي هذه السنة كان أول دعوة بني العباس، قال علماء السير: بعث محمد بن علي ابن عبد الله بن عباس من أرض الشَّراة جماعةً إلى خراسان دعاةً لبني هاشم؛ منهم أبو عكرمة السَّرَّاج، وأبو محمد الصادق، ومَيْسرة، وعلى خراسان الجَرَّاح بن عبد الله الحَكَميّ لم يكن عُزل بعد، فأمرهم بالدُّعاء إلى أهل بيته، فأوصلوا الكتب إلى أربابها

(١) في النسخ: عبد الرحمن بن عبد الله القشيري، وهو خطأ، والمثبت من الطبري ٦/ ٥٥٨، و«المنتظم» ٧/ ٥٧.

وعادوا بالجواب، واختار أبو محمد الصادق لمحمد بن علي اثني عشر نقيباً ـ كما فعل موسى عليه السلام، ونبينا ﷺ ـ وهم: سليمان بن كثير الخُزاعيّ، ولاهِز بن قُرَيْظ التَّميمي، وقَحْطَبة بن شَبيب الطائي، وموسى بن كعب التَّميميّ، وخالد بن إبراهيم أبو داود الشَّيباني، والقاسم بن مُجاشِع التميمي، وعمران بن إسماعيل أبو النَّجم مولى آل أبي مُعَيط، ومالك بن الهَيثم الخُزاعيّ، وطلحة بنُ رُزَيق الخُزاعيّ، وأبو حمزة عمرو ابن أعين[1] مولى خُزاعة، وشِبْل بن طَهمان أبو علي الهَرَوي مولى لبني حَنيفة، وعيسى ابن أعين مولى خزاعة.

وحجَّ بالناس أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم بالاتّفاق.

وكان العمال في هذه السنة على ما كانوا عليه إلا خُراسان.

وفيها توفي

بُسْر بن سعيد

مولى الحَضْرَميِّين، وهو من الطبقة الثانية من موالي أهل المدينة، وكان من العُبَّاد المُطيعين، وأهل الزهد في الدنيا، ثقةً، كثيرَ الحديث، وَرِعاً.

وكان قد أتى البصرة في حاجة له، ثم أراد الرُّجوع إلى المدينة فرافقه الفرزدق الشاعر، فلم يشعر أهل المدينة إلا وقد طلعا عليهم في مَحمِل، فعجب أهل المدينة لذلك، وكان الفرزدق يقول: ما رأيتُ رفيقاً خيراً من بُسر، وكان بسر يقول: ما رأيتُ رفيقاً خيراً من الفرزدق.

مات بُسر بالمدينة سنة مئة وهو ابن ثمان وسبعين سنة.

وكان ينزل دار الحَضْرَميِّين ببني حُدَيْلة، ولم يدع كفناً، ومات عبد الله بن عبد الملك بن مروان وترك ثمانين مُدْياً ذهباً، فبلغ عمر بن عبد العزيز موتهما فقال: والله لئن كان مدخلهما واحداً؛ لأن أعيش بعيش بُسْر أحبّ إليَّ من أن أعيش بعيش

(١) في النسخ: عمرو بن أبي أعين، والمثبت من الطبري ٦/ ٥٦٢ .

عبد الله، فقال له مسلمة بن عبد الملك: هذا والله الذَّبْحُ عند أهل بيتك، فقال له عمر: والله لا ندع أن نذكر أهلَ الفضل بفضلهم.

روى بُسر عن سعد بن أبي وقّاص، وعبد الله بن أُنَيس، وزيد بن ثابت، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخُدريّ، وعبيد الله الخَوْلانيّ، وكان الخولاني في حجر مَيمونة بنت الحارث زوج رسول الله ﷺ[1].

حَنَش بن عبد الله

ابن عمرو بن حَنْظَلة الشَّيباني، من الطبقة الأولى من الأبْناء ممن كان باليمن بعد الصحابة، ثم تحوَّل إلى مصر، وقد روى عنه المصريون، ومات بها، وكنيته أبو الأشعث[2].

كان حَنَش بن عبد الله الصَّنْعانيّ من أصحاب علي عليه السلام، وغزا المغرب بعدما استُشهد علي رضوان الله عليه مع رُوَيفع بن ثابت، وغزا الأندلس مع موسى بن نُصَير، وكان فيمن ثار على عبد الملك بن مروان مع ابن الزبير، فأُتي به عبد الملك في وَثاق، فعفا عنه.

وسببه أن عبد الملك لما غزا مع مُعاوية بن حُدَيْج في سنة خمسين نزل على حَنَش بإفريقية، فحفظ له ذلك.

وكانت وفاة حنش بإفريقية سنة مئة.

أسند عن علي رضوان الله عليه، وابن عباس، وفَضالة بن عُبيد، وغزا مع فضالة إفريقية، وروى عن جماعة منهم: رُوَيْفِع بن ثابت، وأبي هريرة، وأبي سعيد.

وروى عنه جماعة منهم: قيس بن الحجاج، وابنه الحارث بن حَنَش بن عبد الله، وكان ثقة كثير الحديث.

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٧٧، و«المنتظم» ٧/ ٥٧، والسير ٤/ ٥٩٤.

(٢) كذا، وهو خطأ، فإن كنية حنش بن عبد الله أبو رشدين، وأما أبو الأشعث فهي كنية شَراحيل بن شُرحبيل بن كليب بن آدة، وقد أوردهما ابن سعد في طبقاته ٨/ ٩٦ متتابعين، فلعل الوهم وقع للمصنف من ها هنا. انظر «تاريخ دمشق» ٥/ ٣٥٩ (مخطوط)، و«تهذيب الكمال» (١٥٣٩) و(٢٦٩٧)، و«المنتظم» ٧/ ٥٧، و«السير» ٤/ ٤٩٢ و٣٥٧.

وأما حَنَش [الذي من] صنعاء دمشق فاسمُه الحسين بن قيس، وقيل: ابن علي، وحَنَش لقبٌ له، وكُنْيته أبو علي الصَّنْعاني الهَمْدَانيّ[1]، سافر إلى العراق، وسكن واسطاً، وحدث عن عكرمة وعطاء بن أبي رَباح، وروى عنه سليمان التَّيمي، وعلي بن عاصم، وإسماعيل بن عياش.

وقد تكلّموا فيه، فقال ابن المَديني: ليس حديثه عندنا بالقويّ، وقال البخاري: ترك أحمد بن حنبل رضي الله عنه حديثه، وضعَّفه ابن مَعين والنسائي والدار قطني[2].

[وفيها مات]

خارجة بن زيد

ابن ثابت الأنصاريّ، وأمه جَميلة بنت سعد بن الرَّبيع الخَزْرَجيّ.

وخارجة من الطبقة الثانية من التابعين من أهل المدينة، وكذا جميع إخوته، وكنيته أبو زيد، وكان في وجهه أثرُ السُّجود بين عينيه.

وقال إبراهيم بن يحيى بن زيد بن ثابت: قال خارجة: رأيت في منامي كأني بَنيتُ سبعين درجة فلما فرغتُ منها تَهَوَّرَتْ، وهذه السنة لي سبعون قد أكملتُها. فمات فيها في سنة مئة في خلافة عمر بن عبد العزيز بالمدينة، وصلّى عليه أبو بكر بن محمد بن عَمرو بن حَزْم.

وروى خارجة عن أبيه زيد، وكان ثقةً كثيرَ الحديث.

وقال هشام: كان من الفقهاء السبعة، وكان مجتهداً.

وقال ابن عساكر: قدم دمشق وكانت له بها دارٌ يقال لها: دار خارجة بن زيد، روى عن أم العلاء الأنصارية، وروى عنه سالم بن عبد الله بن عمر، وهو من أقرانه، والزهري، وأبو بكر بن عبد الرحمن[3] وغيرهم.

---

(١) فرق المصنف بين حنش بن عبد الله الصنعاني، وحنش المسمى: الحسين بن قيس، وذهب إلى أن الأول من اليمن، والثاني من صنعاء دمشق، على أن ابن عساكر في تاريخه جعلهما من صنعاء دمشق كليهما. انظر «تاريخ دمشق» ٥/ ٣٥٩ و٣٦٣_٣٦٤ (مخطوط).

(٢) انظر «تهذيب الكمال» ٦/ ٤٦٥ .

(٣) كذا، وهو خطأ، صوابه: عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث، انظر «تاريخ دمشق» ٥/ ٤٠١ (مخطوط)، و«تهذيب الكمال» (١٥٧٣)، و«السير» ٤/ ٤٣٨ .

وقال البخاري(١): أدرك خارجة عثمان بن عفان.

ولما بلغ عمرَ بنَ عبد العزيز رضي الله عنه موتُه صفَّق بيديه واسترجع وقال: ثُلْمَةٌ والله في الإسلام، [رحمه الله تعالى](٢).

ذكر أولاده:

وهم زيد، وعمرو، وعبد الله، ومحمد، وحَبيبة، وحُميدة، وأمّ يحيى، وأم سليمان، وأمُّهم أم عمرو بنت حَزْم نَجَّارية، وعمه يزيد بن ثابت قُتل يوم اليمامة(٣).

ذكر إخوته:

وهم سليمان، وسعد، ويحيى، وسَليط، وعبد الرحمن، وعبد الله، قُتلوا كُلُّهم يوم الحَرَّة سنة ثلاث وستين(٤).

سُهيل بن عبد العزيز

ابن مروان، أخو عمر بن عبد العزيز لأبيه، وهو والد عمرو بن سهيل الذي ولي البصرة أيام يزيد بن الوليد وقتله محمد بن مروان.

قال إسحاق بن يحيى: رأيتُ عمر بن عبد العزيز يصلّي على أخيه سُهيل بن عبد العزيز؛ يرفع يديه في كل تكبيرة حَذْوَ مَنْكبيه، ثم سلّم عن يمينه تسليماً خفيفاً، ورأيتُه يمشي أمام الجِنازة وذلك بخُناصِرة، ورأيتُه يومئذ يحمل بين عَمودَي سريره، وقرأ في الصلاة: الحمد لله رب العالمين، فقيل له: ألا تذكر بسم الله الرحمن الرحيم؟ فقال: لو أسْرَرْتُها لجَهرتُ بها(٥).

---

(١) في تاريخه الصغير ١/ ٤٢.

(٢) بعدها في (ص): السنة الحادية والمئة من الهجرة. وما سلف بين معكوفين منها.

(٣) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٥٨ و٤/ ٣١٨.

(٤) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٥٩-٢٦١ وزاد عليهم: إسماعيل وزيداً.

(٥) «جمهرة ابن حزم» ١٠٥، و«طبقات ابن سعد» ٧/ ٣٥٢-٣٥٣.

أبو عثمان النَّهْدِيّ

واسمه عبد الرحمن بن مَلّ بن عمرو بن عَدي [بن وهب] بن ربيعة الحِميَريّ، والله أعلم[١].

عبد الملك بن عمر

ابن عبد العزيز بن مروان، أمُّه فاطمة بنت عبد الملك بن مروان، وقال ابن سعد: أمُّه أم ولد[٢].

وكان صالحاً زاهداً، يُعين أباه على إقامة الحق وردِّ المظالم.

قال بعض مشيخة أهل الشام: كنا نرى أن عمر بن عبد العزيز إنما أدخله في العبادة ما رأى من ابنه عبد الملك.

قال إسماعيل بن أبي حَكيم: غضب عمر بن عبد العزيز يوماً فاشتدَّ غضبُه، فقال له ابنه عبد الملك بعد أن سكن غضبُه: يا أمير المؤمنين، أنت في قَدْر نعمة الله عليك، وموضعك الذي وضعك فيه، وما ولَّاك من أمر عباده، يبلغ بك الغضب ما أرى؟ قال: كيف قلت؟ فأعاد عليه كلامَه، فقال: يا عبد الملك، وأنت ما تغضب؟ فقال: وما تنفعني سَعَةُ جوفي إن لم أُرَدِّد فيه الغضب حتى لا يظهر منه شيء أكرهه؟

ودخل عبد الملك على أبيه وعنده مَسْلمة بن عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين، أَخْلِني فلي حاجة، قال: دون عمك مَسلمة؟ قال: نعم، فخرج مَسلمة، فجلس بين يديه وقال: ما أنت قائلٌ غداً لربك إذا سألك فقال: رأيتَ بِدعةً فلم تُمتْها، أو سُنَّة فلم تُحْيِها؟! فقال له: يا بني، أشيءٌ حمَّلك الرعية إلي، أم رأي رأيتَه من قِبَل نفسك؟

---

(١) لم يذكر له أخباراً، وانظر ترجمته في «طبقات ابن سعد» ٩/ ٩٦ ، و«المنتظم» ٧/ ٦٠ ، و«السير» ٤/ ١٧٥ والمصادر في حواشيهما.

(٢) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٣٢٤ ، ولم أقف على مَن ذكر أن أمه فاطمة، بل ذكر المؤرخون أن أمه أم ولد.

فقال: رأي رأيتُه، وعرفتُ أنك مسؤول عنه، فما تقول؟ فقال أبوه: رحمك الله، وجزاك خيراً يا بُنيَّ من ولد، فوالله إني لأرجو أن تكون من أعواني على الخير، يا بُنَيّ، إن قومَك شَدُّوا هذا الأمر عُقدةً عُقدة وعُروةً عُروة، ومتى ما أردتُ مُكاثَرتَهم على انتزاع ما في أيديهم؛ لم آمَن أن يَفتقوا عليَّ فَتْقاً تكثُر فيه الدّماء، والله لزَوال الدُّنيا أهونُ عليَّ من أن يُهراقَ بسببي مِحْجَمَةٌ من دم، أو ما ترضى أنه لا يأتي على أبيك يومٌ من أيام الدنيا إلا وهو يُميت فيه بِدعة، ويُحيي فيه سُنَّة؛ حتى يَحكم الله بيننا وهو أحكم الحاكمين؟

قال ابن أبي عَبْلة: جلس عمر يوماً للناس، فلما انتصف النهار ضَجِر ومَلّ، فقال للناس: مكانَكم حتى أنصرف إليكم، ودخل ليستريح ساعة، فجاء ابنه عبد الملك، فسأل عنه فقالوا: دخل، فاستأذن له فقال: يا أمير المؤمنين، ما أدخلك؟ قال: دخلتُ لأستريح ساعة، قال: أوَ أمِنْتَ الموت أن يأتيك ورعيَّتُك على بابك ينتظرونك وأنت مُحتجبٌ عنهم، فقام عمر فخرج إلى الناس.

وكان عمر رضي الله عنه يقول: الحمد لله الذي جعل لي مَن يُعينُني على أمر ديني؛ ولدي عبد الملك، ومولاي مُزاحِم.

وقال مزاحم: كان عبد الملك يقول لأبيه: أنفِذ الحقَّ وإن جاشت بي وبك القُدور، فقال: يا بني لا تَعجَل؛ فإن الله ذَمَّ الخمر في القرآن مَرَّتَين ثم حرَّمها في الثالثة، وإني أخاف أن أحملهم على الحقِّ جُملة فيَدفعوه وتكون فتنة، فقال: دع عنك هذا، أقم الحقَّ ولو غَلَت بنا المَراجِل.

وقال ميمون بن مِهران: قال لي عمر بن عبد العزيز: إن ولدي عبد الملك آثَرُ وَلَدي عندي، فاستفزَّه لي، ثم ائتني بخبره، فدخلت على عبد الملك، فبينا أنا عنده إذ دخل غلام له فقال: قد أخْلَينا الحمَّام، فقلت له: الحمام لك؟ قال: لا، قلت: فما دعاك إلى طرد المسلمين عنه وتَدخله وحدك، فتكسر على صاحب الحمام غلَّتَه؟! فقال: أما

صاحب الحمام فقد أرضيتُه، قلت: فهذه نفقةُ إسراف يُخالطها كِبر، وما يمنعك أن تدخلَه مع الناس فتكون كأحدهم؟ فقال: أكره أن أرى العورات بادية، وأكره أن أؤدِّبهم على ترك الأزر فيبغون على سلطاننا، أراحنا الله منه، وخلَّصنا كفافاً[١]، فلقد وَعَظْتَني موعظةً أنتفع بها، ووالله لولا شدَّةُ البَرد لما دخلتُه أبداً، وأقسمتُ عليك أن تكتُمَ هذا عن أبي؛ فإني أكره أن يَظلَّ طَرفةَ عين واجِداً عليَّ، ولعل الأجل يحول دون الرِّضى ويستمرُّ سُخطه[٢]، فقلت: فإن سألني هل رأيتَ منه شيئاً تنقِم عليه فيه أفتراني أنْ أكذب[٣]؟! قال: معاذ الله، أليس قد أبديتُ أعذاري إليك؟ فإن سألك فقل: رأيتُ عيباً فسترتُه؛ فإنه لا يسألُك عن تفسيره؛ لأن الله تعالى قد أعاذه من بحث ما ستره الله تعالى.

وقال ميمون بن مِهران: دخلت يوماً على عبد الملك وبين يديه ثلاثة أَقْرِصَة وثَريدة، فرقَّ له قلبي وقلت: ألا أُكلِّم أباك ليُجري عليك رزقاً واسعاً؟! فقال: والله ما يَسرُّني أن يُجري عليَّ من ماله دون إخوتي الصغار، فكيف يُجري عليَّ من فَيءِ المسلمين؟!

وقال ميمون: جمع عمر العلماء والفقهاء وقال: ما تَرون في هذه الأموال التي أخذها بنو أميَّة غَصْباً؟ فقالوا قولاً لم يُعجب عمر، وعبد الملك حاضر فقال: إن لم تردَّها إلى أربابها كنتَ شَريكاً لمن أخذها، فقال عمر: الحمد لله الذي جعل لي وزيراً من أهلي عبد الملك ابني، قال ميمون: وكان الناس يَرونه أهلاً للخلافة.

ذكر وفاته:

قال الواقدي: مات عبد الملك في حياة أبيه سنة مئة وعمره تسع عشرة سنة، وكان شديدَ الورَع، كثيرَ العبادة.

وقال هشام بن محمد: ابن ست عشرة سنة.

---

(١) كذا، وفي «تاريخ دمشق» ٤٣/ ١٧١-١٧٢ : وكرهت أدبهم على الأزر فينعون ذلك علي سلطاناً خلصنا الله منه كفافاً.

(٢) في النسخ: يحول دون سخطه ويستمر الرضى، وفي «تاريخ دمشق»: يحول دون الرضا مما فيه سخطه.

(٣) في «تاريخ دمشق»: أتأمرني أن أكذب.

وقال الشيخ أبو الفرج بن الجوزي: مات صبياً في حياة والده، ولم يتيقّن مقدار عمره.

وقال ابن أبي الدنيا: دخل عمر على ولده عبد الملك في مرضه الذي مات فيه فقال: يا بني، كيف تجدك؟ فقال: في الموت، فقال: يا بني، لأن تكون في ميزاني أحبُّ إليَّ من أن أكون في ميزانك، فقال: يا أبه، لأن يكون ما تُحبّ أحبُّ إليَّ من أن يكون ما أُحب.

قال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم قال: حدثني زياد بن أبي حسَّان أنه شهد عمر بن عبد العزيز حين دفن ابنه عبد الملك، فاستوى قائماً، وأحاط به الناس فقال: يا بُنيّ، لقد كنتَ والله بارّاً بأبيك، والله ما زلتُ منذ وَهَبك الله لي مَسروراً بك، ولا والله ما كنتُ قط أشدّ سروراً، ولا أرجى لحظّي من الله فيك مُذْ وضعتك في هذا المنزل الذي صيَّرك الله إليه، فرحمك الله، وغفر لك ذنبك، وجزاك بأحسن عملك، ورحم كلّ شافعٍ يشفع لك بخير من كل شاهدٍ وغائب، رضينا بقضاء الله وسلّمنا لأمره، والحمد لله رب العالمين.

وقال أبو اليقظان: لما دفن عمرُ ابنَه وكاد أن يَنصَدِع عن قبره قال له محمد بن الوليد ابن عبد الملك: يا أمير المؤمنين، اشتغل بما أقبل من الموت إليك عمن هو في شغل عنك، وأعدَّ لنزولك[1] عُدَّةً تكون لك حجاباً من النار، ثم أنشد[2]: [من الطويل]

تَعَزَّ أميرَ المؤمنين فإنه ... لما قد ترى يُغْذَى الصَّغيرُ ويُولَد
هل ابنُك إلا من سُلالَةِ آدمٍ ... وكلٌّ على حوضِ المنيَّةِ يُورَدُ

(١) في «تاريخ دمشق» ٤٣/ ١٨١ : لنزوله.

(٢) نسب البيتان لرجل أو أعرابي دخل على عمر فعزاه عند وفاة ابنه، انظر الكامل للمبرد ١٣٧٨ ، والتعازي والمراثي له ٤٧ ، و«حلية الأولياء» ٥/ ٣٥٩ ، و«تاريخ دمشق» ٤٣/ ١٨٢ .
وانظر في ترجمة عبد الملك بن عمر: «المعارف» ٣٦٣ ، و«حلية الأولياء» ٥/ ٣٥٣ ، و«تاريخ دمشق» ٤٣/ ١٦٩ ، و«المنتظم» ٧/ ٥٨ ، و«صفة الصفوة» ٢/ ١٢٧ .

أبو رجاء العُطارديّ

من الطبقة الأولى من التابعين من أهل البصرة، واسمُه عِمران بن تيم، وقيل: ابن مِلْحَان، وقيل: عُطارِد بن بَرْز.

قال أبو عمرو بن العلاء: قلت لأبي رجاء: ما تذكر؟ قال: قَتْلَ بِسطام بن قيس، ثم أنشد بيتاً يرثيه: [من الوافر]

فخَرَّ على الألاءَةِ لم يُوَسَّد كأن جبينَه سيفٌ صَقيلُ

وقال: أدركتُ رسول الله ﷺ وأنا غلامٌ أمرد.

قال أبو خَلْدة: قلت لأبي رجاء: مثل من كنتَ حين بُعث رسول الله ﷺ؟ قال: كنتُ أرعى الإبلَ لأهلي، فقلت: فما فرَّكم منه؟ قال: قيل لنا: بُعث رجلٌ من العرب يقتل الناس إلا مَن أطاعه، ولا أدري ما طاعتُه، ففَررنا حتى قطعنا رمل بني سعد.

وقال أبو رجاء: بُعث رسول الله ﷺ ونحن على ماءٍ لنا، وكان لنا صنم مدور، فحملناه على قَتَب، وانتقلنا من ذلك الماء إلى غيره، فمَرَرْنا برَمْلَة، فانسَلَّ الحجر فوقع في الرَّمْل فغاب فيه، فلما رجعنا إلى الماء فقَدْنا الحجر، فرجعنا في طلبه، فإذا هو في الرمل فاستخرجناه، فكان ذلك أول إسلامي، فقلت: إن إلهاً لم يمتنع من تُرابٍ يغيب فيه لإلهُ سُوء، وإن العَنْزَ لتَمنع حَياها بذَنَبها، فرجعتُ إلى المدينة وقد توفي رسول الله ﷺ.

وقال عُمارة المِعْوَليّ: سمعتُ أبا رجاء يقول: كنا نَعْمِد إلى الرَّملِ فنجمعه، ونَحلُب عليه فنعبده، وكنا نَعْمِد إلى الحَجر الأبيض، فنعبده زماناً ثم نلقيه.

وتوفي في خلافة عمر بن عبد العزيز، وقيل: تأخرت وفاته إلى سنة سبع عشرة، وهو وَهْم.

قال بكّار بن الصَّقْر: رأيتُ الحسنَ جالساً على قبر أبي رجاء حيال اللَّحد، وقد مُدَّ على القبر ثوبٌ أبيض، فلم يُغيّره ولم يُنكره، والفرزدق قاعد قُبالَته، فقال الفرزدق: يا

أبا سعيد، تدري ما يقول هؤلاء؟ فقال: وما يقولون يا أبا فراس؟ قال: يقولون: قعد على هذا القبر اليوم خيرُ أهل البصرة وشرُّ أهل الأرض، قال: ومن يَعنون بذلك؟ قال: يعنوني وإياك، فقال الحسن: يا أبا فراس، لستُ بخير أهل البصرة، ولستَ بشَرِّها، ولكن أخبِرْني ما أعدَدْتَ لهذا المضجع؟ وأومأ بيده إلى اللَّحْد، قال: الخيرَ الكثير، أعددتُ يا أبا سعيد شهادةَ أن لا إله إلا الله منذ ثمانين سنة، قال الحسن: الخير الكثير أعددت يا أبا فراس.

أسند أبو رجاء عن عثمان، وعلي رضوان الله عليهما.

وكان ثقةً كثيرَ الحديث، وله رواية وعلم بالقرآن، وأَمَّ قومَه في مسجدهم أربعين سنة، وخرج الحسن البصري في جنازته وهو راكب على حمار، فصلّى عليه، وفيه يقول الفرزدق: [من الطويل]

ألم ترَ أنَّ الناسَ مات كبيرُهم ... وقد عاش قبلَ البَعْثِ بعثِ محمدِ[1]

أبو سعيد المَقْبُرِيّ

واسمه كَيْسان، وهو مولى لبني جُنْدَع من بني ليث بن بكر بن عبد مَناة بن كنانة.

وهو من الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة، وكان منزلُه عند المقابر فقالوا: المَقْبُرِيّ.

قال أبو سعيد: كنت مَملوكاً لرجل من جُنْدَع، فكاتبني على أربعين ألفاً وشاة لكلّ أضحى، فتهيّأ المال، فجئت به إليه، فأبى أن يأخذه إلا على النُّجوم، فجئت إلى عمر ابن الخطاب فذكرتُ ذلك له فقال: يا يَرْفأ، خُذ المال فضَعْه في بيت المال، ثم ائتنا العشيَّة نكتبْ عتقَك، فإن شاء مولاك أخذَه، وإن شاء تركَه، وبلغ مولاي فجاء فأخذ المال، ثم أتيتُ عمر بزكاة مالي بعد ذلك فقال: أخذتَ من المال شيئاً منذ عَتقتَ؟ قلت: لا، قال: فارجع به حتى تأخذَ منه شيئاً، ثم ائتِنا بعد.

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٩/ ١٣٨، و«المنتظم» ٧/ ٦١، و«السير» ٤/ ٢٥٣.

توفي المقبري سنة مئة، وكان ثقةً كثيرَ الحديث، روى عن عمر رضي الله عنه[١].

مَخْلَد بن يزيد

ابن المُهلَّب بن أبي صُفْرَة، كنيتُه أبو خِداش الأَزْدِيّ، أحد الأسخياء المُمَدَّحين، أُحصي ما وَهَبه من مَرْو إلى دمشق لما قصد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فكان ألفَ ألف درهم، فلما أراد الدخول على عمر لَبس ثياباً رَثَّة، فقال له عمر: لقد شَمَّرْتَ! فقال: يا أمير المؤمنين، شمَّرتَ فشمَّرْنا، وإن أسبَلْتَ أسبَلْنَا، يا أمير المؤمنين، ما بالُك وقد وسع الناس عَفْوُك إلا عن هذا الشيخ، فلِمَ حبستَه؟

وأقام مَخْلَد عند عمر رضي الله عنه أياماً، ومات وهو ابن سبع وعشرين سنة، فصلّى عليه عمر، ومشى في جِنازته وقال: لو أراد الله بهذا الشيخ خيراً لأبقى له هذا الفتى[٢].

مُسلم بن يَسار

كنيته أبو عبد الله، من الطبقة الثانية من التابعين من أهل البصرة، وهو مولى طلحة ابن عبيد الله رضي الله عنه، وقيل: مولى بني أمية، وقيل: مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

قال حماد بن سَلَمة، عن حُميد[٣]: إن مسلم بن يسار كان قائماً في بيته يصلي، فوقع إلى جنبه حريق، فما شعر به حتى طفئت النار.

وقال أزهر السمان عن ابن عَون: كان مسلم بن يسار لا يُفَضَّل عليه في ذلك الزمان أحد.

وكان إذا دخل المنزل لم يسمع لهم ضجة، فإذا قام إلى الصلاة ضَجُّوا وضحكوا.

وذُكر له قلَّةُ التفاته في الصلاة فقال: وما يدريكم أين يكون قلبي.

وقال أبو نعيم بإسناده: انهدمت ناحية في المسجد، فانزعج لها أهل السوق، ومسلم بن يسار في المسجد فما التفت في صلاته[٤].

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٧٨.

(٢) «تاريخ دمشق» ٦٦/ ٣٥١. ويعني بالشيخ يزيدَ بنَ المهلَّب أبا مَخْلَد.

(٣) في النسخ: قال مسلمة بن حميد، والمثبت من «طبقات ابن سعد» ٩/ ١٨٥.

(٤) «حلية الأولياء» ٢/ ٢٩١.

وروى ابن أبي الدنيا عن رجل من آل محمد بن سيرين قال: رأيتُ مسلم بن يسار رفع رأسه من السجود في المسجد الجامع، فنظرت إلى موضع سجوده كأنه قد صُبَّ فيه الماء من كثرة دموعه.

وكان إذا دخل في الصلاة يقول لأهله: تحدَّثوا فلستُ أسمع حديثكم.

وكان يقول في سجوده: متى ألقاك وأنت عني راض.

وقال ابن المبارك: قال مسلم بن يسار لأصحابه يوم التَّروية: هل لكم في الحج؟ قالوا: خرف الشيخ، وعلى ذلك لنُطيعَنَّه، قال: مَن أراد ذلك فليخرج، فخرجوا من البصرة إلى الجَبَّان برواحلهم، فقال: خَلُّوا أزِمَّتَها، فأصبحوا وهم ينظرون إلى جبال تهامة.

وقال سليمان بن المغيرة: جاء مسلم بن يسار إلى دجلة وهي تَقذف بالزَّبَد، فمشى على الماء، ثم التفت إلى أصحابه وقال: هل تفقدون شيئاً؟

وقال ابن سعد: كان مسلم ثقةً فاضلاً عابداً ورعاً، أرفع عندهم من الحسن؛ حتى خرج في فتنة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، فوضعه ذلك عند الناس وارتفع الحسن.

وقال أبو قِلابَة: قال لي مُسلم بن يسار وقد صَحبتُه إلى مكة وذكر فتنة ابن الأشعث: أحمد الله إليك أني لم أَرْمِ فيها بسَهم، ولم أطعن فيها برمح، ولم أضربِ فيها بسيف، فقلت له: يا أبا عبد الله، فكيف بمَن رآك واقفاً في الصف فقال: هذا مسلم بن يسار، والله ما وقف هذا الموقف إلا وهو على الحقّ، فتقدَّم فقاتل حتى قتل؟ فبكى وبكى حتى تمنَّيت أنْ لم أكن قلتُ له شيئاً.

وتوفي مسلم في خلافة عمر بن عبد العزيز سنة مئة أو إحدى ومئة[١].

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٩/ ١٨٧.

وقد لقي جماعة من الصحابة.

وقال أبو حفص الخياط: سمعتُ مالك بن دينار يقول: رأيتُ مسلم بن يسار في منامي بعد موته بسنة، فسلَّمتُ عليه فلم يردَّ السلام، فقلت: ما يمنعك من ردِّ السلام؟ قال: أنا ميت فكيف أردُّ السلام؟ قال: قلت: فماذا لقيتَ بعد الموت؟ قال: ودمعتْ عينا مالك عند ذلك وقال: لقيتُ والله أهوالاً وزلازلَ عِظاماً شداداً، قال: فقلت: فما كان بعد ذلك؟ قال: وما تراه أن يكون من الكريم؟! قَبِل منّا الحسنات، وعفا لنا عن السيّئات، وضَمِن عنا التَّبِعات، قال: ثم شَهق مالك شَهقةً خَرَّ مَغْشِيّاً عليه، فلبث بعد ذلك أياماً مريضاً من غشيته ثم مات، فيُرَوْن أنه انصدع قلبه فمات[(١)].

يوسف بن عبد الله

ابن سَلَام الإسرائيلي، من ولد يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام. وكُنيته أبو يعقوب، وهو من الطبقة الخامسة ممن مات النبي ﷺ وهم حُدَثاء الأسنان.

وقال يحيى بن أبي الهيثم العَطَّار: سمعت يوسف بن عبد الله بن سَلَام يقول: سمَّاني رسول الله ﷺ يوسف، وأقعدني في حجره، ومسح على رأسي.

وكان يروي عن جدَّته أمّ مَعْقِل، وكان ثقة، وله أحاديث صالحة.

أسند عن عثمان، وعلي، وأبي الدرداء، وأبيه عبد الله بن سلام رضي الله عنهم.

وروى عنه عمر بن عبد العزيز، ومحمد بن المُنْكَدِر، ويحيى بن سعيد الأنصاري وغيرهم[(٢)].

---

(١) «تاريخ دمشق» ٦٧/ ٢٧٥، وانظر «المنتظم» ٧/ ٦٢، و«السير» ٤/ ٥٠١.

(٢) انظر «طبقات ابن سعد» ٦/ ٥٦٥، و«السير» ٣/ ٥٠٩. وقد عمل عمار ريحاوي في القسم الأموي من سنة (٧٦-١٠٠هـ) وسائر القسم الأموي حققه الأستاذ رضوان عرقسوسي غفر الله لهما.

السنة الحادية بعد المئة

فيها هربَ يزيد بنُ المهلَّب من حَبْسِ عمرَ بنِ عبد العزيز رضي الله عنه.

قال هشام: لم يزل محبوساً في حبس عمر حتى بلغه مرضُه، فأخذ يعملُ في الهرب مخافةَ أن يموت، فيتمكَّنَ منه يزيد بنُ عبد الملك؛ لأنه عذَّب أصهارَه آلَ بني[1] عَقِيل. فأعدَّ يزيد بنُ المهلَّب الركائب مع مواليه، وكان عمر مريضاً في دَيْر سَمْعان، فواعد يزيدُ مواليَه مكاناً بعينه، فلما ثَقُل عمر؛ خرج يزيد ومعه امرأتُه عاتكة بنت الفرات بن معاوية العامريَّة، وسار ليلاً، فنَجَوْا.

وكتب يزيد إلى عمر: واللهِ لو علمتُ أنك تبقى ما خرجتُ من محبسي، ولكنني لم آمن يزيدَ بنَ عبد الملك.

فقال عمر: اللهمَّ إنْ كان يزيدُ يريدُ بهذه الأمَّةِ شرّاً؛ فاكْفِهم شَرَّه، وارْدُدْ كيده في نحره[2].

وقال الهيثم[3]: كان يزيد محبوساً في حصن حلب، وكان عمر بخُناصرة، وقيل: بدَيْر سَمْعان، فلما تيقَّن يزيد موتَ عمر دسَّ إلى عامل حصن حلب مالاً، وإلى الحرس، وقال: إن عمر قد ثَقُل، فلا تشتطُّوا بدمي، فإنْ وليَ يزيدُ بن عبد الملك لم يُنْظِرني فُواقاً[4].

فوافقوه، فخرج من حصن حلب متنكّراً، فلما وصل إلى الفرات؛ كتب إلى عمر بمعنى ما ذكرنا.

---

(١) في «تاريخ» الطبري ٦/ ٥٦٤ : أبي.

(٢) تاريخ الطبري ٦/ ٥٦٤ .

(٣) أنساب الأشراف ٧/ ٢٣٩ .

(٤) بضم الفاء ـ أو فتحها ـ هو ما بين الحَلْبَتَيْن من الوقت، أو: ما بين فتح يدك وقبضها على الضَّرْع. القاموس (فوق).

وجاء كتابُه إلى عُمر وهو في آخِر رَمَق، فقال: اللهمَّ إن كان يزيدُ يريدُ بهذه الأمَّة شرّاً فأَجِنْه وهِضْه[١]، فقد هاضني.

وسار يزيد حتى مرَّ بحَدَث الرِّقاق[٢] وبه الهُذَيْل بن زُفَر، ومعه قيس، فلم يُهجه الهُذيل، وسار، فاتَّبعه جماعةٌ من قيس، فأصابوا بعضَ ثَقَلِه، فأرسلَ إليهم الهُذيل، فردَّهم وقال: ما بينكم وبينه ثأر، وإنَّما هو رجلٌ خائف، كان في إسار خاف على نفسه، فهرب.

(١) أَجِنْه: أَهْلِكْه. وهِضْه: أي: اكْسِرْه وأَضْعِفْه.

(٢) حَدَث الرِّقَاق: موضع بالشام، كما في «القاموس» (رقق). وجاء في «أنساب الأشراف» ٦/ ١٧٨ أنها بناحية قيس، تجمَّعت فيها لما قُتل عُمير بن الحُباب، فقال الأخطل:

ضَرَبْناهُمْ على المكروه حتى ... حَدَرْناهم إلى حَدَثِ الرِّقاقِ

وتحرفت اللفظة في «تاريخ» الطبري ٦/ ٥٦٤ إلى: الزقاق.

الباب التاسع

في ولاية يزيد بن عبد الملك بن مروان

وكنيتُه أبو خالد، وأمُّه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان.

بُويع في اليوم الذي مات فيه عمر بن عبد العزيز ﷺ يوم الخميس[١] لخمس ليال بقين من رجب، بعهدٍ من أخيه سليمان، وكان يومَ وليَ ابنَ تسع وعشرين سنة، وقيل: سبع وعشرين، وكان أبيضَ جسيماً متكبِّراً عاجزاً، صاحب لهو وشراب ولذَّات، وهو صاحب حَبَابة، بالتخفيف، وسَلَّامة، بالتشديد، وهما قَينتان غَلَبَتا عليه، فاشتغلَ بهما عن النَّظَر في أمور الرعيَّة.

ذكر ما بدأ به:

نقض جميع ما بناه عُمر بن عبد العزيز ﷺ، وأعاد سبَّ أمير المؤمنين عليه السلام، وأعاد الغُصوب التي انتزعَها عمر ﷺ، وأماتَ المعروف، وأحيا المنكر.

وكان سليمان بن عبد الملك يقول: لولا أخافُ اختلاف الأمر على بني أمية لاقتصرتُ على عُمر، ولم أولِّ يزيد، ولفوَّضت الأمرَ إلى عُمر يولِّي من شاء.

وكان عمر بن عبد العزيز ﷺ يقول: لولا خوفُ الفتنة لعزلتُ يزيد، ولكني أُولّي سليمان ما تولَّى، والمسلمون أولى بالنظر لأنفسهم.

وقال الهيثم: لما توفي عمر بن عبد العزيز ﷺ قال يزيد بن عبد الملك في نفسه: ما سكتَ عُمر عن تولية العهد لغيري إلا لحسن ظنِّه بي، وأنه رآني أهلاً لها بعده، وإلا فقد كان قادراً على صرفها عني وعن بني مروان كلِّهم؛ لأنَّ الناس لا يخالفونه.

فلزم يزيد التنسُّك والعبادة، وجرى على أسلوب عُمر في الصلاة بالناس، وردِّ المظالم، فأقام على ذلك أربعين يوماً لا تفوتُه صلاة في جماعة، وهجر حَبَابة وسَلَّامة وغيرَهما من القينات.

---

(١) في «مروج الذهب» ٥/ ٤٤٦، و«تاريخ دمشق» ١٨/ ٣٣٨ (مصورة دار البشير): يوم الجمعة.

فقدم الأحوص الشاعر دمشق، فبعثت إليه حَبَابة تقول: ليس في يزيد أمل لأحد، ولا لي، ولا لك؛ ما دام على هذه الحالة، فانظم شيئاً لعله إذا سمعه يعود إلى ما كان عليه، فعمل الأحوص وقال:

إذا كنت عِزِّيفاً[١] عن اللهو والصِّبا   فكُنْ حَجَراً من يابسِ الصَّخْرِ جَلْمَدَا
فما العيشُ إلا أن تلذَّ وتشتهي   وإنْ لامَ فيه ذو الشَّنانِ[٢] وفنَّدا

وبعث بهما إلى حَبَابة، فحفظتهما. وخرج يزيد يُريد صلاة الجُمعة، فمرَّ بحجرة حَبَابة، فسمعها تغنِّي بهما، فوقف، وقال: سبحان الله. فغنَّتْ ثانياً، فقال: مه، لا تفعل، فلما غنَّت الثالثة نقضَ عِمامتَه وقال: مُرُوا صاحبَ الشرطة أن يصليَ بالناس الجمعة. ثم جلس عندها وقال: هذا الشعر؛ لمن؟ قالت: للأحوص. فاستدعاه، ونادمَه ووصلَه، وانهمك على لهوه، وأشاع الفساد، وأظهر القبائح، وأعلن بشرب الخمر والمعازف، فدخل عليه مسلمة بن عبد الملك، فلامه وقال: أنت قريبُ العهد من عمر، وببابك الوفود والأشراف، وقد انهمكتَ على هذه الإماء. فقال له يزيد: إني لأرجو أن لا تعاتبني بعد اليوم. وهجرَ القِيان إلى أن توجَّه مسلمةُ إلى العراق لقتال آل المهلَّب، ثم عاد إلى ما كان عليه، وكان يلعن مسلمةَ ويقول: حرمَني لذَّاتي، وكان يقول ويكرّر قول الأحوص:

وإنْ لامَ فيه ذو الشَّنانِ وفنَّدا

ويقول: واللهِ لا أُطيعُهم أبداً[٣].

وفيها ولَّى يزيدُ بنُ عبد الملك عبدَ الرحمن بنَ الضحَّاك بن قيس الفِهْريّ المدينةَ، وعزلَ عنها أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، فقدمَ المدينةَ يومَ الأربعاء لليالٍ بقين من شهر رمضان، فدخلَ عليه أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم، فسلَّم عليه، فلم يَرَ منه إقبالاً.

---

(١) كذا روايته في «المنتظم» ٧/ ٦٥ . وروايته في «الأغاني» ١٥/ ١٣٢ ، و«مروج الذهب»٥/ ٤٤٨، و«مختصر تاريخ دمشق»٧/ ٢٢٩ (ترجمة حبابة): عِزْهَاةً، وهما بمعنى. وفي «أنساب الأشراف»٧/ ٢٠٥: مِعْزافاً.

(٢) الشَّنان، كسحاب، لغة في الشَّنآن، وهو البُغض. ينظر «القاموس».

(٣) إضافة إلى المصادر المذكورة آنفاً، ينظر «تاريخ دمشق» ١٨/ ٣٣٧-٣٤٣ (مصورة دار البشير).

قال أبو بكر: فرجعتُ إلى منزلي خائفاً منه، وكان شابّاً مقداماً، فكتبتُ إليه: أمَّا بعد، فإن كنتَ تحدِّثُ نفسَك بالخلود؛ فكم نزلَ هذه الدارَ مثلُك، ثم خرجوا منها، وبقيَتْ آثارُهم، إن خيراً فخيراً، وإن شرّاً فشرّاً، فاتَّقِ اللهَ ولا تسمع قولَ واشٍ وحاسدٍ على نعمة.

وأقام أبو بكر على الخوف منه، فاختصمَ رجلان؛ أحدُهما من بني فِهْر، والآخر من الأنصار، وكان أبو بكر قد قضى للأنصاريّ على الفِهْريّ في أرضٍ كانَتْ بينَهما، فأحضر أبا بكر وقال له: كيف قضيتَ على الفِهْريّ، ودفعتَ أرضَه إلى الأنصاري؟ فقال: أفتاني بذلك سعيد بنُ المسيِّب، وأبو بكر بنُ عبد الرحمن بن الحارث بن هشام. فقال عبد الرحمن للفهريّ: ما تقول؟ قال: كذا كان، ولكن لا يلزمُني قولُهما. فقال له: قم، تُقرُّ أنَّ سعيداً وأبا بكر أفتياك، ثم تقول: ما يلزمني قولُهما! اذهبْ فأنت أحمق.

وأقام أبو بكر على الخوف من ابنِ الضَّحَّاك، وكان أبو بكر بنُ محمد قد ضربَ أبا المَغْراء عثمانَ بنَ حَيَّان حَدَّيْنِ في ولايته على حقٍّ، فلما ولَّى يزيدُ عبدَ الرحمن الفِهْريَّ كان ابنُ حَيّان عند يزيد، فقال له: يا أمير المؤمنين، أَقِدْني من أبي بكر بن محمد. فقال يزيد: لا أفعل ذلك برجل اصطنعه أهلُ بيتي، ولكن أولِّيك المدينة، فاقتصَّ منه. فقال: لا أفعل ذلك؛ لأني لو فعلتُه قال الناس: ضربه في سلطانه، فلا يكون قَوَداً، ولكن اكتبْ إلى عبد الرحمن الفِهْريّ.

فكتب يزيد إليه يقول: إن كان ابنُ حزم ضربه في أمر بَيِّن؛ فلا تعرضْ له، وكذا إن كان ضربَه في أمر يُختلف فيه[1]، وإن كان ضربه في غير ذلك فأَقِدْه منه.

فلما قدم بالكتاب قال له عبد الرحمن: ما جئتَ بشيء، أترى ابنَ حَزْم ضربَك في أمر لا يُختلفُ فيه؟ فقال ابن حيَّان: إذا أردتَ أن تُحسنَ أحسنتَ. فقال الفِهْريّ: أمَّا الآن فنعم. وكان في قلبه على ابن حزم، كان يقول: هو خائن، ويتكبَّر عليَّ.

---

(١) في (ب) و(خ): لا يختلف فيه. والتصويب من «أنساب الأشراف» ٧/ ١٩٤ ، و«تاريخ» الطبري ٦/ ٥٧٥ .

فاستدعى ابنَ حَزْم، فضربه حدَّيْن في مقام واحد ولم يسأله عن شيء، فرجع ابن حيَّان وهو يقول: أنا أبو المَغْراء، واللهِ ما قربتُ النساء منذ صَنعَ بي ابنُ حَزْم ما صنع، واليوم أقربُهنَّ[١].

قال الواقدي: ضرب الفِهْريُّ أبا بكر بن حزم ظلماً وعدواناً.

وفيها قُتل شَوْذب الخارجي، واسمه بِسْطَام.

وفيها لحقَ يزيد بنُ المهلب بالبصرة، فغلب عليها، وحبس عاملَها عديَّ بنَ أرطاة الفَزاري، وخلع يزيدَ بنَ عبد الملك[٢].

قال علماء السِّيَر: لما وليَ يزيد بن عبد الملك الخلافة بعد ما هرب يزيد بن المهلّب كتب إلى عديِّ بن أرطاة يأمره بحبس آل المهلّب، وأن يُوثق يزيد، ويبعث به إليه، وكتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن والي الكوفة أن يطلبه ويجتهد في أخذه[٣].

فلما وصل كتابُه إلى عديّ بن أرطاة؛ قبضَ على بني المهلَّب وأهلهم، وكان فيهم المفضَّل وحبيب ومروان بنو المهلب وغيرهم، و حبسهم[٤].

وبعث عبدُ الحميد عاملُ الكوفة جيشاً مع هشام بن مُساحق بن عبد الله بن مخرمة من بني عامر بن لؤي وقال له: اذهب إلى العُذَيْب[٥]، فإنه يمرُّ به الآن. فخرج هشام ثم رجع وقال: آتيك به أسيراً، أم آتيك برأسه؟ فقال: أيَّ ذلك شئت. فتعجَّب مَنْ سمعَه يقولُ ذلك.

وسار هشام فنزلَ العُذيب، وأقبل يزيد وهو عن العُذَيْب غير بعيد، وهابَ هشام الإقدام عليه، وسار يزيد إلى البصرة[٦].

---

(١) تاريخ الطبري ٦/ ٥٧٤_٥٧٥ . وينظر «أنساب الأشراف» ٧/ ١٩٤ .

(٢) تاريخ الطبري ٦/ ٥٧٥ .

(٣) المصدر السابق ٦/ ٥٧٨ .

(٤) تاريخ الطبري ٦/ ٥٧٨ ، وينظر «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٤٠ .

(٥) هو ماء بين القادسية والمُغيثة، بينه وبين القادسية أربعة أميال. «معجم البلدان» ٤/ ٩٢ .

(٦) تاريخ الطبري ٦/ ٥٧٨_٥٧٩ ، وأنساب الأشراف ٧/ ٢٤١ .

وأرسل عبدُ الملك بنُ المهلَّب يقول لعدي: خُذ ابني حُميداً، فاحبسه عِوَضي ودَعْني أخرجْ فأرُدَّ يزيدَ عن البصرة حتى يأتيَ فارس، ويطلبَ له أماناً، ولا أدعُه يقربُك. فلم يُجبه عديّ.

وكان محمد بنُ المهلَّب بالبصرة لم يُحبس، فجمع مواليَه وفتيةً من أهل بيته وأناساً، وخرج حتى استقبل أخاه يزيد في كتيبة، وبعث إليه عديّ القبائلَ وقد رتَّبهم على كلِّ قبيلة رجلاً، فعلى الأزد المغيرة بن زياد العَتَكيّ، وعلى بني تميم مُحرز بن حُمْران السَّعديّ، وعلى بَكْر بنِ وائل عمران بن عامر بن مسمع، ومالكُ بنُ المنذر بن الجارود على عبدِ القيس، وعبدُ الأعلى [بن عبد الله] بن عامر القرشيّ على أهل العالية، وهم من أهل البصرة قريشٌ، وكِنانة، والأزد، وبجيلة، وخثعم، وقيس عَيْلان كلُّها[1].

وكان عديّ قد قدَّم أوَّلاً على الخيل المغيرةَ بن عبد الله الثقفيّ، وأقبلَ يزيدُ بن المهلَّب لا يمرُّ بخيلٍ ولا قبيلةٍ إلا تَنَحَّوْا له عن الطريق حتى يمضي، وجاء فنزل دارَه، وبعث إلى عديّ: ادْفعْ إليَّ إخوتي وأنا أخرجُ عن البصرة، وأقيمُ بمكان، وأبعث إلى يزيد بن عبد الملك، فآخُذُ منه أماناً. فلم يُجبه عديّ. فبعث يزيد بن المهلَّب إلى يزيد بن عبد الملك مع حُميد بن عبد الملك بن المهلَّب يطلبُ الأمان فأمَّنَهُ، وبعث معه خالدَ ابنَ عبد الله القسريّ، وعُمر بن يزيد الحَكَميّ.

وأقام يزيد بنُ المهلب يُعطي الناس الذهبَ والفضَّة، فمالَ الناسُ إليه، وكان عديّ لا يعطي إلا الدرهم والدرهمين، ويقول: لا يحلُّ لي أن أُعطيَكم من بيت المال درهماً إلا بأمر أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك، ولكن تبلَّغوا بهذا حتى يأتيَ أمرُه. فقال الفرزدق:

أظنُّ رجالَ الدِّرهمَيْنِ يسوقُهُمْ ... إلى الموت آجالٌ لهم ومضاجعُ[2]

فأحزَمُهم مَنْ كانَ في قعر بيتِه ... وأيقنَ أنَّ الأمرَ لابدَّ واقعُ[3]

---

(١) تاريخ الطبري ٦/ ٥٧٩-٥٨٠ ، وأنساب الأشراف ٧/ ٢٤٧ . وما سلف بين حاصرتين منهما.

(٢) في «تاريخ الطبري» ٦/ ٥٨١ ، و«ديوان» الفرزدق ١/ ٤٢١ : ومَصَارعُ. وهما بمعنى.

(٣) في (ب) و(د): لابد صائر إليه بدل: لابدَّ واقع. وفي (خ): لا شك صائر إليه! والمثبت من المصدرين المذكورين.

واجتمعَ الناس إلى يزيد، وقصدُوا القصر، وكان في طريقه جماعةٌ، فهزمَهم، ووصلَ إلى باب القصر، فخرج إليه عديّ، واقتتلُوا، فقُتل من أهل الشام من أصحاب عديّ جماعةٌ، ومن فرسان الحجَّاج بن يوسف، منهم الحارث بن مصرِّف الأودي من أشراف أهل الشام، وموسى بن الوجيه الحِميريّ، وراشد المؤذِّن، وانهزمَ أصحابُ عديّ.

وسمع إخوة يزيد صوت الجلبة وهم محبوسون في القصر فقال لهم عبد الملك بن المهلَّب: ما أرى يزيد إلا قد ظهر، ولا نأمنُ مَنْ مع عديّ من مُضر ومن الشام أن يأتونا فيقتلونا. وجمعوا متاعاً، وجعلوه خلف باب الحبس، واتكؤوا عليه، فلم يلبثوا إلا ساعة حتى أقبلَ عبدُ الله بن دينار مولى بني عامر - وكان على شرطة عديّ وحرسِه - ومعه جماعة، فجاء يشتدُّ إلى باب الحبس ليقتلوا أولاد المهلَّب، وأخذوا يعالجون الباب، ولا يقدرون على فتحه، وأعجلَهم الناسُ، فانصرفوا.

وأُخِذَ عديّ بنُ أرطاة أسيراً، فجيء به إلى يزيد بن المهلَّب وهو يتبسَّم، فقال له يزيد: لم تضحك؟ فواللهِ إنه ليمنعك من الضحك خصلتان: إحداهما فرارُك من القِتْلة الكريمة حتى أَعطيتَ بيدك إعطاء الأَمَة بيدها. والثانية: أنني أتيتُ بك كما يُؤتى بالعبد الآبق إلى مواليه، وليس معك مني عَقْد ولا عهد، فما يؤمِّنك أن أضرب عنقك؟ فقال له عديّ: أمَّا أنتَ فقد قَدَرْتَ عليّ، ولكنِ اعلمْ أنَّ بقائي بقاؤك، وهلاكي هلاكُك[1]، وقد رأيتُ جنودَ الله بالشام[2]، وعلمتُ بلاءهم في كلِّ موطن من مواطن الغَدْر، فتدارَكْ زَلَّتك باستقالة العَثْرة؛ قبل أن يرميَ إليك البحرُ بأمواجه، فإن طلبتَ الإقالة لم تُقَلْ، فاطلب الأمان على نفسك وأهلك.

فقال له يزيد: أما قولك: إن بقائي بقاؤُك؛ فلا أبقاني الله حسوة طائر مذعور إن كان لا يبقيني إلا بقاؤك. وأما قولك: تَدارَكْ أمْرَك؛ فوالله ما استشرتُك، ولا أنتَ عندي بأمين ولا نصيح. وأما تهدادك لي بالبحر وأمواجه؛ فواللهِ إنه عندي أصغر من

(١) في «تاريخ الطبري» ٦/ ٥٨٢ : وأن هلاكي مطلوبٌ به من جرَّته يده.

(٢) في «تاريخ الطبري»: بالمغرب.

خليج. ثم أمر به فحُبس، وقال: إنما أحبسُك لما فعلت بآل المهلب من الحبس والتضييق[١].

ولمَّا ظهر يزيد على البصرة هربَ رؤساؤها من قيس وتميم ومالك بن المنذر، فلحقوا بالكوفة بعبد الحميد بن عبد الرحمن.

وهرب الحواريُّ بنُ زياد العَتَكي إلى الشام يريدُ يزيدَ بن عبد الملك، فلقيَ في طريقه خالدَ بنَ عبد الله القسري وعمر بن يزيد الحَكَميّ ومعهما حُميد بن عبد الملك بن المهلّب قد أقبلوا من عند يزيد بأمان بني المهلَّب وبكلٍّ ما يريد يزيدُ بنُ المهلَّب. فقال: ارجعا أيُّها الرجلان، فقد غلبَ يزيدُ على البصرة، وقتل فلاناً وفلاناً، وحبس عديّاً. فرجَعا بحُميد إلى الشام، فقال لهما حميد: أنشُدُكما اللهَ فينا، وإن هذا عدوُّنا هو وقومُه، قيما على ما أنتما عليه، فإنَّ يزيد لا يخالفُكُما. فلم يلتفتا إليه.

وكان بالكوفة خالد بن يزيد بن المهلب، فوثب عليه عبد الحميد فأوثقه، وأوثقا حُميداً، وبعثوا بهما إلى الشام، فحبسهما يزيد بن عبد الملك، فهلكا في الحبس بالطاعون. وقيل: إنهما قُتلا[٢].

وكان القُطاميّ الشاعر؛ واسمه الحُصين، وهو أبو الشَّرْقيّ بن قُطَاميّ، وليس هذا بالقُطامي المشهور؛ ذاك اسمُه عُمير بن شُيَيْم[٣]، واسم الشَّرْقيّ هذا الوليد[٤] =كان مُقيماً بالكوفة، فلما غلبَ يزيد على البصرة قال القُطاميّ:

لَعلَّ عيني أنْ تَرَى يزيدا	يقودُ جيشاً جَحْفلاً رَشِيدَا[٥]
تَسمعُ للأرضِ به وَئيدا	لا بَرَماً هِدّاً ولا حَسُودَا
ولا جَبَاناً في الوَغَى رِعْدِيدا	ترى ذَوي التاجِ له سُجودَا

---

(١) ينظر «تاريخ» الطبري ٦/ ٥٨٢_٥٨٣ .

(٢) ينظر «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٥٩_٢٦٠ ، و«تاريخ الطبري» ٦/ ٥٨٣_٥٨٤ .

(٣) ينظر «الشعر والشعراء» ٢/ ٧٢٣ ، و«معجم الشعراء» ص ٤٧ .

(٤) هو عالم بالأدب والنسب، ينظر «تاريخ بغداد» ١٠/ ٣٨٢ ، و«ميزان الاعتدال» ٢/ ٢٤٨-٢٤٩ (شرقي)، و«الوافي بالوفيات» ١٦/ ١٣٢ .

(٥) في «تاريخ» الطبري ٦/ ٥٨٥ : شديداً.

لا يـنـقـضُ الـعـهـدَ ولا الـعُـهـودا مـن نَـفَـرٍ كـانـوا مـلـوكـاً[١] صِـيـدَا
تَـرَى لـهـم فـي كـلِّ يـومٍ عِـيـدَا [مـن الأعـادي جَـزَراً مـقـصـودا][٢]

فكتب يزيد بن عبد الملك إلى أهل الكوفة يمنِّيهم الزيادات في الإقطاعات والعطاء، فأوَّلُ مَنْ سارَ إلى قتال يزيد بن المهلب القُطاميُّ، فقال يزيد بن المهلَّب: ما أبعدَ قولَ القُطاميِّ من فعله[٣]!

وقال المدائني: لمَّا هرب يزيد بن المهلَّب من الشام مرَّ بحَدَث الرِّقاق[٤] وهناك منزلُ الهُذَيْل بنِ زفر، وكان يزيدُ خائفاً منه، فلم يُحِسَّ به الهُذيل إلا وقد هجمَ عليه فسطاطَه، ودعا بلبنٍ فشربَه، فاستحيى الهُذيل منه، وعرضَ عليه خيلَه، فلم يأخذ منها شيئاً. ثم سلك البَرِّيَّة، وأتى القادسية، وبعثَ عبد الحميد خلفَه، وسار إلى البصرة.

وكان يزيد بنُ عبد الملك قد بثَّ في طلبه الرجال، منهم الهُذيل، وكوثر، والوثيق بنو زُفر بن الحارث الكلابي، فمرَّ بالهُذيل، وفاتَ الكوثر والوثيق.

وجاء كتاب يزيد بن عبد الملك إلى عديّ بأن يبعثَ آل المهلب إليه، فحبسهم، فقال له وكيع بن حسان بن أبي سُود؛ والي خُراسان كان: اقْتُلْ آلَ المهلَّب. وكان عدوَّهم، فقال عديّ: لا أفعل. قال: فاهدمْ عليهم دُورهم. قال: لا أفعل. قال: فافتَحْ بيت المال، وأنفقْ على الناس. قال: لا أفعل، لم يُؤذن لي في ذلك. فقال له وكيع: كأنِّي واللهِ بك وقد أُخِذتَ برقبتك. ومات وكيع في تلك الأيام[٥].

وأمَّا يزيد بن المهلَّب؛ فقدم البصرة ليلة البدر من رمضان، فنزلَ دار أبيه المهلَّب، وكتبَ من ليلته إلى يزيد بن عبد الملك يطلب منه أماناً، وبعث يزيدُ بابنه خالد بنِ يزيد وابنِ أخيه حُميد بن عبد الملك بن المهلَّب، فسارا بكتابه إلى الشام، وبعثَ إلى عديِّ ابنِ أرطاة القاسمَ بنَ عبد الرحمن الهلاليّ ـ وأمُّه فاطمةُ بنتُ أبي صُفْرة ـ وقال له: أَقْرِهِ

---

(١) في «تاريخ» الطبري ٦/ ٥٨٥ : هجاناً.

(٢) ما بين حاصرتين من «تاريخ» الطبري، وينظر «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٦١ .

(٣) ينظر «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٦١ ، و«تاريخ الطبري» ٦/ ٥٨٥ .

(٤) حَدَث الرِّقاق: موضع بالشام، وسلف ذكره أوّل أحداث هذه السنة، وتحرف اللفظ في «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٤٢ (والخبر فيه) إلى: بحدّث الرفاق.

(٥) المصدر السابق ٧/ ٢٤٠ .

منِّي السلام، وقل له: لا رأي لي في الشقاق، ولا في تفريق الكلمة، وقد كتبتُ إلى أمير المؤمنين أسألُه الأمان، فخلِّ سبيلَ إخوتي من المصر، فإنْ جاءني كتابُ أمان فذاك، وإن كان غير ذلك؛ فتكون قد سلمتَ منَّا وسلمنا منك. فلم يفعل[(١)].

فجمع يزيد ربيعة والأزد، وفرَّق فيهم الأموال والسلاح، وخرج فنزلَ جبَّانةَ بني يشكر، وهي نصف بين القصر والبلد.

وقال المدائني: إنَّ يزيد بن المهلَّب بعث إلى عديّ بالحسن البصريّ وأشرافِ أهل المصر يُناشدونه اللهَ في شقِّ عصا المسلمين وسفك دمائهم، فمضَوْا إليه، فلم يقبل وقال: أميرُ المؤمنين أمرَني بحبسهم، فلا أُخرجُهم إلا بأمره. فعادوا إلى يزيد، فأخبروه أنَّ عَدِيّاً أمَّن من بقي من ولدِ المهلَّب[(٢)]، وكان بعضُ إخوة يزيد حاضراً ويقال: هو عبد الملك، فقال للحسن: إنكم قد واطأتُم عدوَّنا على هلاكنا، وليست طاعتُه عليكم بواجبة. فقال له الحسن: كذبتَ، ما واطأناه. فغضب عبد الملك وقال للحسن: يا ابن اللَّخناء، أتكذِّبُني، وإنَّما أنت عبدٌ تريد استذلالَ أهلِ المِصْر بتخشُّعِك، وقد حمَّقْتَ نفسك، وتعدَّيْتَ طَوْرَك وقدرَك. ثم قام إليه ليقتله، فمنعه يزيد.

وقيل: إنَّما منعه المفضَّل، وقيل: حبيب.

ثم قال المفضَّل للحسن: هلاَّ أمَّنْتَ الحجَّاجَ على دمك؟! فقال: إنَّ الحجاج لم يُعطني أماناً، وإنَّ عديّاً قد أمَّنكم من كلِّ ما تكرهون، وأمرني أن أضمنَ لكم الوفاء عنه، فثِقُوا بقولي وأمانِهِ.

فركنا إلى قول الحسن وأقاما معه ـ وهما عبد الملك والمفضَّل ـ وتخلَّف آخرون منهم، فلما دخلوا على عديّ أخفر ذِمام الحسن، وحبَسَهما مع حبيب ومروان ومُدْرك وأبي عُيَيْنة، فصاروا ستة من بني المهلَّب، وقيَّدهم[(٣)].

---

(١) «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٤٢_٢٤٣ .

(٢) لم أقف على هذه الرواية، ورواية «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٤٤-٢٤٥ عن علي بن نصر الجهضمي عن مشايخهم، أن عدياً بعث بالحسن البصري إلى ولد المهلّب في عدة ... فناشدوهم...إلخ. ثم الكلام الآتي بعده فيه بنحوه.

(٣) أنساب الأشراف ٧/ ٢٤٥ .

ثم إنَّ عديّاً بخلَ على الناس، وختمَ بيتَ المال، واستقرضَ أموال الناس، وفرضَ لكلِّ مقاتل في كل يوم درهمين[(١)].

قال: وطُعن رجل من آل عديّ فخرج ثَرْبُه[(٢)]، فقيل له: قل: لا إله إلا الله، فقال: هاتوا الدرهمين. وخرجت نَفْسُه[(٣)]!

وجلس يزيد للناس، فبايعوه على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، ووجد في بيت المال بالبصرة عشرة آلاف ألف درهم، فلما كان يوم الفطر خطب يزيد بن المهلَّب، وخلع يزيدَ بنَ عبد الملك، ولعن بني مروان، ودعا إلى الرضى من بني هاشم، ولعنَ مسلمةَ بنَ عبد الملك وقال: قد أقبلَتْ إليكم هذه الجرادةُ الصفراء[(٤)]، ولعن عبدَ الحميد بنَ عبد الرحمن وقال: لعن الله الضَّبُعَةَ العرجاء. يعني عبد الحميد[(٥)].

وكان الحسن البصريّ يذمُّ يزيدَ وبني المهلب ويقول: فاسقٌ عقدَ خِرَقاً على قَصَب، ثم نعق بأعلاج وطَغَام، فأجابوه. وبلغ يزيد بن المهلب فلم يعرض له[(٦)]. وكان قتادة بالأهواز ينتقص آلَ المهلب بعدما كبر وعمي، فبعث إليه يزيد من وجأ عنقه[(٧)].

وفرَّق يزيد عمَّاله في البلاد، فاستعملَ أخاه محمداً على فارس، وزياداً على عُمان ومُدركاً على خُراسان، ووَدَاعَ بنَ حُميد اليحمدي على قَنْدَابِيل[(٨)]، فقال له أخوه حبيب: لا تولِّه، فإنَّ في عينيه غَدْرةً. فكان كما قال؛ أغلَقَها في وجوههم[(٩)].

ولما كتب يزيد بن المهلَّب إلى يزيد بن عبد الملك يطلب الأمان؛ استشار يزيدُ بنُ عبد الملك الناسَ، فقالت المُضَريَّة: لا تؤمِّنْه، فإنه أحمق غدَّار. وقالت النزارية: أمِّنْه،

---

(١) المصدر السابق ٧/ ٢٤٦ . وسلف نحوه قريباً قبل شعر الفرزدق.

(٢) الثَّرْب: شحم رقيق يُغَشِّي الكرش والإمعاء. ينظر «القاموس».

(٣) المصدر السابق.

(٤) هو لقب مسلمة بن عبد الملك، لصفرة كانت تعلوه. ينظر «أنساب الأشراف» ٧/ ٣٠٢ .

(٥) ينظر «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٥٥ـ٢٥٦ .

(٦) أنساب الأشراف ٧/ ٢٥٤ و٢٥٥ . وبنحوه في «تاريخ» الطبري ٦/ ٥٨٧ .

(٧) في «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٥٧ أنه أمر به فوُجىء في عنقه، وبعث به إلى الأهواز.

(٨) مدينة بالسِّند، وهي قصبة (مدينة) لولاية يقال لها: النُّدْهة. «معجم البلدان» ٤/ ٤٠٢ .

(٩) أنساب الأشراف ٧/ ٢٥٦ .

وتحقن الدِّماء، وتُطفىء الفتنة. فأمَّنَه على أن يُقيم بالبصرة [وأنفذه] [١] مع خالد القسريّ، وعمر الحَكَمي، فقدما العراق وقد استولى يزيد على البصرة.

ذكر مسير الجيوش من الشام والكوفة لقتال يزيد بن المهلَّب:

قال هشام بن محمد: ثم إن يزيد بن عبد الملك بعث العبَّاس بنَ الوليد بن عبد الملك في أربعة آلاف فارس، ومسلمة بعده في أهل الشام، وبلغ يزيدَ بنَ المهلَّب، فقام خطيباً وقال: أيها الناس، إنما أدعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وجهاد أهل الشام، فإنه أعظمُ من جهاد التُّرك والدَّيْلم.

وكان الحسن جالساً في المسجد، فقال: سبحان الله! أيزيد يدعو إلى كتاب الله وسنة رسوله، ثم رفع الحسنُ صوتَه وقال: واللهِ لقد رأيناك والياً ومُوَلًّى [٢] عليك، فما ينبغي عليك ذلك. فقام أصحاب الحسن، فأخذوا بيده وأقاموه.

فلما خرج الحسن من المسجد رأى الناس صفَّين بالرِّماح والسلاح ينتظرون خروج يزيد، فقال الحسن: قد كان يزيد بالأمس يضرب أعناق هؤلاء، وأصبح اليوم يضرب بهم بني مروان ثم يقول: أدعوكم إلى سنَّة العُمَرَيْن! إنَّ من سنة العُمَرَيْن أن يُوضع في رجليه قيد، ثم يُردَّ إلى سجن عُمر بن عبد العزيز. فقيل للحسن: يا أبا سعيد، لكأنك راضٍ عن أهل الشام! فقال: قبَّحهم الله، أليس هم الذين هدموا الكعبة وأحرقوها، وأباحوا المدينة ثلاثاً، وهتكوا حَرَمَ رسولِ الله ﷺ، وحملُوا أهلَه سبايا إلى الشام، وفعلوا وفعلوا؟! ثم قرأ الآية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [٣] [الرعد: ٢٥].

واستخلف يزيد على البصرة أخاه مروان بن المهلَّب، وقدَّم بين يديه أخاه عبد الملك، وخرج ببيوت الأموال وخزائن السلاح، فنزل واسطاً، وكان قد استشار أصحابَه قبل خروجه من البصرة، فقالوا: نرى أن تخرجَ فتنزل أرض فارس، فتأخذَ

---

(١) مابين حاصرتين من المصدر السابق ٧/ ٢٥٩.

(٢) في (ب) و(خ) و(د): ومولياً. والمثبت من «تاريخ» الطبري ٧/ ٥٨٧ ، والكلام فيه بنحوه.

(٣) تاريخ الطبري ٦/ ٥٨٧-٥٨٨ .

بالشِّعاب والعِقاب، وتدنوَ من خُراسان وفي يدك الحصون والقلاع، وينزل إليك أهلُ الجبال، ولا نَرى أن تُعاجلَ القوم، فإنَّ مطاولتَهم أولى. فقال: تريدون أن تجعلوني طائراً على رأس جبل! فقال له حبيب أخوه: فسِرْ بأهلك إلى الجزيرة، فاغْلِبْ على بعض حصونها ودَعْ به أهلك ومالَك، فإنْ عطف عليك أهلُ الشام؛ كان أهلُ العراق وراءَك، ويأتيك مَنْ بالموصل من قومك، وأهلُ الجبال والثُّغور، وابذُلِ المال. فقال: قد نزلنا واسطاً[1] ويفعل الله ما يريد، وكلٌّ كائن مقضيّ[2].

وأقام بواسط، ومسلمةُ والعباسُ بن الوليد بأرض الحِيرة.

وحجَّ بالناس عبدُ الرحمن الفِهْريّ[3]، وهو على المدينة، وكان على مكة عبد العزيز ابن خالد بن أسيد، وعلى الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن، وعلى قضائها الشعبيّ، وعلى البصرة يزيد بن المهلَّب قد غلب عليها، وعلى خُراسان عبد الرحمن بنُ نُعيم الأزدي[4].

وكان يزيد بن المهلَّب قد ولَّى على خُراسان أخاه مُدرك بنَ المهلَّب، فلما وصل إلى رأس المفازة قال عبد الرحمن بن نُعيم لبني تميم ولمن بخُراسان: هذا مُدرك قد جاء ليُلقيَ بينكم الحرب وأنتم في عافية وعلى طاعة، فاخْرُجُوا فردُّوه. فخرجَ إليه منهم جماعة وقالوا: أنت أحبُّ الناس إلينا وقد خرج أخوك ونابذَ الخلفاء، فإنْ ظهرَ فإنما ذلك لنا، وإن تكن الأخرى فما لك أن تُوقعَنا في البلاء بلا فائدة، فارجعْ. فرجع[5].

وفيها توفي

أبو أُمامة أسعد بن سَهْل

ابن حُنيف الأنصاري، وأمُّه حَبِيبة بنت أبي أمامة أسعد بن زُرارة أحدِ النُّقَباء.

---

(١) بعدها في (ب) و(خ) و(د) زيادة: وكان. وهو سبق قلم من ناسخ الأصل. فقد مرّ مثلها قبل أسطر.

(٢) «تاريخ الطبري» ٦/ ٥٨٨ . وينظر «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٦٣ .

(٣) في (ب) و(خ) و(د): المقبري، وهو خطأ. وهو عبد الرحمن بن الضحَّاك.

(٤) «تاريخ الطبري» ٦/ ٥٨٩ .

(٥) المصدر السابق ٦/ ٥٨٥-٥٨٦ .

وأسعدُ بن سهل من الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة، وكانت أمُّه من المبايعات(١).

وقال ابن عبد البَرّ: أبو أمامة مشهور بكنيته، وُلد قبل وفاة رسول الله ﷺ، فدعا له، وسمَّاه باسم جدِّه، وكنَّاه بكنيته(٢).

وهو أحد الجِلَّةِ من كبار التابعين بالمدينة، ولم يسمعْ من رسول الله ﷺ ولا صَحِبَهُ، وهو الذي صلَّى بالناس الجمعة لما حَصَبُوا عثمان رضوان الله عليه وهو على المنبر(٣).

وكان من فقهاء المدينة، ومات سنة إحدى ومئة، وكان ثقة كثير الحديث.

وكان له من الولد: محمد، وسهل، وعثمان، وإبراهيم، ويوسف، ويحيى، وأيوب، وداود، وحبيبة، وأُمامة، أُمُّهم أمُّ عبد الله بنت عتيك بن الحارث من بني هَيْشَة، أنصارية. وصالح لأمِّ ولد(٤).

أسند أبو أُمامة عن عُمر، وعثمان، وأبيه سهل، وزيد بن ثابت، وأبي سعيد، وابن عبَّاس، ومعاوية، وسعيد بن سَعْد بن عُبادة.

وروى عنه ابناه محمد وسهل، ويحيى الأنصاري، والزُّهري، في آخرين(٥).

وقدم بكتاب عمر بن الخطاب رضوان الله عليه على أبي عبيدة رضي الله عنه بالشام، وغزا معه(٦).

بِسْطام بن مُرَيّ

اليشكري الخارجي، ويقال له: شَوْذب، لقب له.

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٨٥.

(٢) بنحوه في «الاستيعاب» ص ٧٧٢.

(٣) ينظر «تاريخ دمشق» ٢/ ٨٠٧ (مصورة دار البشير).

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٨٥.

(٥) تاريخ دمشق ٢/ ٨٠٤، وتهذيب الكمال ٤/ ٥٢٥.

(٦) تاريخ دمشق ٢/ ٨٠٤ (مصورة دار البشير).

وقد ذكرنا واقعته مع عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ومناظرته إياه، وأنه ارتفع إلى أرض أرمينية مدة حياة عمر رضي الله عنه، ولم يُقاتله، فلما مات عُمر رضي الله عنه أراد عبدُ الحميد بنُ عبد الرحمن العاملُ على الكوفة أن يحظى عند يزيد بن عبد الملك، فكتب إلى محمد بن جرير يأمرُه بمحاربته.

وعلم شَوْذَب، فأرسل إلى ابنِ جرير يقول له: ما الذي أعجلكم؟! أمات الرجلُ الصالحُ عُمر؟ ولم يعلم شَوْذَب بموته.

قالت الخوارج: ما فعل هذا إلا وقد مات عُمر.

وقال شَوْذَب: قد بَعَثْنا إلى عمر رسولين، فاصبروا حتى يرجعا. فلم يمهلهم[1] ابنُ جرير، وقاتلَهم في جيش من أهل الكوفة، فأكثرت الخوارجُ فيهم القتل، فولَّوْا منهزمين، وجُرح محمد بن جرير في عجزه، وهرب، فما ردَّه إلا أخصاص[2] الكوفة، وشَوْذَب في أثره.

ثم عاد شَوْذَب إلى مكانه، وعاد إليه رسولاه اللذان كانا عند عُمر بن عبد العزيز، فأخبراه بوفاته.

وجاءه رسولُ عبد الحميد بن عبد الرحمن[3] يقول: إن يزيد بن عبد الملك لا يقارُّكم على ما قارَّكم[4] عليه عمر بنُ عبد العزيز. ووجَّه إليهم تميم بنَ الحُباب في ألفين، فلما سمعوا رسالتَه لعنوا يزيد وبني أمية، فحاربهم تميم، فقتلوه، وهزموا أصحابَه.

فجهَّز إليهم عبدُ الحميد جيوشاً وهم يهزمونها، فجهَّز إليهم مسلمة بنُ عبد الملك سعيدَ بنَ عمرو الحَرَشيّ، ـ وكان شجاعاً ـ في عشرة آلاف، فأتاهم ما لا قِبَلَ لهم به،

(١) في (خ) و(د) (والكلام منهما): يمهل. وأثبتُّ اللفظة على الجادة. وينظر «تاريخ» الطبري ٦/ ٥٧٦ .

(٢) جمع خُصّ، وهو بيت من شجر أو قصب. وعبارة الطبري: والخوارج في أعقابهم تَقْتُلُ حتى بلغوا أخصاص الكوفة.

(٣) في (خ) و(د) (والكلام منهما): عبد الحميد بن عبد الجبار، وهو خطأ. وهو عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب والي الكوفة. وسلف ذكره قريباً. ينظر «أنساب الأشراف» ٧/ ٦٧ و١٥٧ .

(٤) في «تاريخ» الطبري ٦/ ٥٧٦ : فراسلهم وأخبرهم أن يزيد لا يفارقهم على ما فارقهم...

وكان شَوْذَب في نفر يسير لم يبلغوا المئة، فلما جاءهم سعيد قال شَوْذَب لأصحابه: مَنْ كان يريد اللهَ فقد جاءته الشهادة، ومن كان إنَّما خرج للدنيا فقد ذهبت الدنيا، وإنما البقاء في الدار الآخرة. وكسرَ جَفْنَ سيفِه، وكسروا أغماد سيوفهم، وحملوا على سعيد فكشفوه مراراً حتى خاف العار والفضيحة، فصاح بأصحابه: ويحكم، مِن هذه الشرذمة تفرُّون! لا أبا لكم، يا أهل الشام يوماً كأيَّامكم.

فحملوا عليهم بأسرهم، فطحنوهم، وقتلوا شَوْذباً وأصحابَه، ولم يُفلت منهم أحد[1].

وقال أبو اليقظان: لم يقاتل أحدٌ قتالَ بِسطام، فبينا أهلُ الشام قد انكشفوا؛ جاءه سهمُ غَرْبٍ[2]، فذبحه، وتعلَّق أصحابُه برؤوس الجبال، ورجع سعيد وقد قتل معظم أصحابه، وقتل الرَّيَّان بن عبد الله اليشكري، وكان من فرسان شَوْذَب، فقال أخوه شمر[3] بن عبد الله يرثيه:

ولقد فُجِعتُ بسادةٍ وفوارسٍ ... للحرب سُعْرٍ من بني شيبانِ
اِغتالهم[4] ريبُ الزمان فغالهم ... وتُركْتُ فرداً غيرَ ذي إخوانِ
كَمِداً تَجرجرُ[5] في فؤادي حسرةٌ ... كالنارِ من وجدي على الرَّيَّانِ
وفوارسٍ باعوا الإله نُفوسَهم ... من يشكرٍ عند الوَغَى فرسانِ

وقال حسان بن جَعْدة يرثيهم:

يا عينُ أذْرِي دموعاً منكِ تَسْجَاما ... وابْكي صحابةَ بِسْطامٍ وبِسْطامَا
فلن تَرَيْ أبداً ما عشتِ بعدَهمُ ... أتقى وأكملَ عند اللهِ أحلاماً
أفديهمُ إذْ تأسَّوْا عند شدَّتهمْ ... ولم يريدوا عن الأعداء إحجاماً
حتى مضَوْا للذي كانوا له خرجُوا ... وأورثونا حَزَازاتٍ وآلاما

---

(١) «تاريخ الطبري» ٦/ ٥٧٥_٥٧٧ . وينظر «أنساب الأشراف» ٧/ ١٥٨_١٥٩ .

(٢) سهمُ غربٍ، وسهمٌ غَرْبٌ: لا يُدرى راميه. وتحرفت كلمة «غرب» في النسختين (خ) و(د) (والكلام منهما) إلى: غابر.

(٣) في (خ) و(د): سمرة. وهو خطأ.

(٤) في «تاريخ» الطبري ٦/ ٥٧٧ : اغْتَاقَهم (يعني عاقَهم).

(٥) في المصدر السابق: تَجَلْجَلُ.

إنـي لأعـلـمُ أنْ قـد أُنـزلُـوا غُـرفـاً … مـن الـجـنـان ونـالـوا ثَـمَّ خُـدَّامـا[١]

تُبيع ابنُ امرأة كَعْب الأحبار

من الطبقة الثانية ـ وقيل: من الأولى ـ من التابعين، من أهل الشام، كان عالماً قد قرأ الكتب، وسمع من كعب علماً كثيراً[٢].

عرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام، فلم يسلم حتى توفي رسول الله ﷺ، فأسلَمَ على يد أبي بكر الصديق رضوان الله عليه، وكان دليلاً لرسول الله ﷺ.

وقرأ القرآن على مجاهد بجزيرة قريبة من القسطنطينية يقال لها: أرواد، كانا غازيين بها[٣].

وهو الذي نهى عمرو بنَ سعد الأشدق عن العصيان بدمشق وقال له: إني وجدتُ في الكتب أن رجلاً من قريش يسافر مع ملك، ثم يغدر به، ويدخل مدينة من مدائن الشام يتحرَّزُ بها ويُقتل، وأنا خائف عليك، فاتق الله[٤].

وسأله ابن عباس: ما كان يقولُ كعبٌ في السحاب؟ فقال: إنه كان يقول: إنه غربال المطر، ولولا السحاب لأفسدَ المطر ما على وجه الأرض وما يقع عليه، فقال له ابن عباس: صدقتَ، وأنا سمعتُه يقول ذلك[٥].

مات تُبيع بالإسكندرية سنة إحدى ومئة[٦].

وقد روى عن جماعة من الصحابة، منهم أبو الدرداء، وجماعة من التابعين منهم عطاء بن أبي رباح، وكعب الأحبار[٧]، وغيرهم.

---

(١) الأبيات بنحوها في «تاريخ» الطبري ٦/ ٥٧٧ـ٥٧٨ .

(٢) طبقات ابن سعد ٩/ ٤٥٥ .

(٣) تاريخ دمشق ٣/ ٥١٣ (مصورة دار البشير).

(٤) المصدر السابق ٣/ ٥١٤ . وفيه: فاتق الله لا تكونه.

(٥) المصدر السابق ٣/ ٥١٦ .

(٦) تاريخ دمشق ٣/ ٥١٨ .

(٧) كذا في (ب) و(خ) و(د). والذي في المصدر السابق ٣/ ٥١٣ . أنه روى عن كعب الأحبار، وروى عنه عطاء ابن أبي رباح. وسلف أول الترجمة أنه سمع من كعب علماً كثيراً. وينظر أيضاً «تهذيب الكمال» ٤/ ٣١٣ .

أبو الزَّاهريَّة

واسمُه حُدَيْر بن كُرَيْب الحميريّ، وكان صالحاً، من الطبقة الأولى من التابعين[١].

روى عنه ابنه[٢] قال: زرت بيت المقدس، فأغلقَ عليَّ السَّدَنَةُ أبوابَ الصخرة، وكنتُ نائماً ولم يعلموا بي. قال: فما انتبهتُ إلا بتسبيح الملائكة على الصخرة، فوثبتُ مذعوراً، فإذا الملائكة صفوفٌ على الصخرة، ومَلَكٌ قائم بينهم يقول: سبحان الدائم القائم، سبحان الحيِّ القيوم، سبحان اللهِ وبحمده، سبحان الملك القُدُّوس، ربِّ الملائكة والروح، سبحان العليِّ الأعلى. فيُجيبه من هو أسفل منه، ثم ترتجُّ الصفوف بالتسبيح، فقلتُ للذي يليني منهم: من الذي على الصخرة؟ قال: جبريل، والذي يردُّ عليه ميكائيل، ونحن ملائكةُ الله، مَنْ قالَ هذا الدعاء في كل سنة مرةً، لم يخرج من الدنيا حتى يَرَى مقعدَه من الجنة، أو يُرَى له[٣].

مات أبو الزاهريَّة في سنة إحدى ومئة. وقيل: في سنة تسع وعشرين ومئة. والأوَّل أصحّ.

أسند عن عبد الله بن بُسْر، وأبي أُمامة الباهليّ، وحُذيفة بن اليمان، وأبي الدرداء، وعبد الله بن عَمرو بن العاص، وغيرهم. وروى عنه معاوية بن صالح، وابنُه حُميد بن حُدَيْر، وإبراهيم بن أبي عبلة، وغيرهم، وكان ثقة[٤].

أبو صالح السمَّان

وهو الزيَّات، واسمه ذكوان، مولى غطفان، من الطبقة الثانية[٥] من الموالي بالمدينة.

أسند عن جماعة من الصحابة، وروى عنه خلق كثير، وكان ثقةً كثير الحديث[٦].

---

(١) أورده ابن سعد ٩/ ٤٥٣ في الطبقة الثانية من التابعين من أهل الشام.

(٢) في (ص): روى هشام عنه.

(٣) بنحوه في «تاريخ دمشق» ٤/ ٢٨٣ (مصورة دار البشير).

(٤) ينظر «تاريخ دمشق» ٤/ ٢٨٠ ، و«تهذيب الكمال» ٥/ ٤٩١ .

(٥) يعني من التابعين. ينظر «طبقات» ابن سعد ٧/ ٢٩٦-٢٩٧ .

(٦) ينظر «تهذيب الكمال» ٨/ ٥١٤ ـ ٥١٥ .

سالم بن أبي الجَعْد

الغَطَفاني، مولًى لأشجع، من الطبقة الثانية من التابعين.

قال هشام: رخَّص علقمة والأسود لسالم في بيع وَلاء مولًى له من عَمرو بن حُريث بعشرة آلاف درهم، يستعينُ بها على العبادة[١].

وقال الهيثم: كان لأبي الجعد[٢] ستةُ بنين؛ اثنانِ منهم يتشيَّعان، واثنانِ مُرجئان، واثنانِ خارجيَّان، فكان أبوهم[٣] يقول: لقد خالفَ اللهُ بينكم.

مات سالم سنة إحدى ومئة، وكان ثقة كثير الحديث.

عبد الله بن شَقِيق

البصري، كنيتُه أبو عبد الرحمن، العُقيلي، من الطبقة الأولى من التابعين من أهل البصرة.

كان صالحاً مجابَ الدعوة، وتمرُّ به السحابةُ فيقول: اللهم لا تجاوز موضع كذا وكذا. فيكون كما قال، لا تجاوز حتى تُمطر[٤].

وحكى ابن سعد عن أبي قِلابة وذكر عنده عبد الله بن شقيق فقال: أيُّ رجل هو لولا أنه تعرَّب[٥].

قال: وكان عثمانياً.

قيل: توفي في ولاية الحجاج بن يوسف على العراق. وقيل بعد المئة.

---

(١) الخبر في «طبقات» ابن سعد ٨/ ٤٠٨ عن عطاء بن السائب.

(٢) في (ب) و(خ) و(د) (والكلام منها): كان لسالم، والتصويب من «طبقات» ابن سعد ٨/ ٤٠٩ ، و«المعارف» ص ٤٥٢ ، و«سير أعلام النبلاء» ٥/ ١٠٩ .

(٣) تحرفت في النسخ المذكورة إلى: إبراهيم.

(٤) تاريخ دمشق ٩/ ٤١٣ (مصورة دار البشير).

(٥) طبقات ابن سعد ٩/ ١٢٥ ، وذكره أيضاً ابن عساكر في «تاريخه» ٩/ ٤١٣ وقيَّد قوله: تعرَّب، بالعين المهملة، وذكر رواية أخرى بالغين المعجمة.

أسند عن عمر، وأبي هريرة، وابن عباس، وابن عمر، وعائشة رضي الله عنهم، وكان ثقةً في الحديث، وروى أحاديثَ صالحة[١].

عمر بن عبد العزيز بن مروان رضي الله عنه

قال المصنف رحمه الله: الأَولى ما نُظر فيه سيرة الزاهد الصالح الورع أبي حفص عمر بن عبد العزيز؛ لأنها مرفوعةٌ على الابتداء، منصوبةٌ على التميز، تحثُّ الطالب على نيل المطالب، وتُزهِّدُ الراغب في دار المعايب، فنَشْرُ نَشْرِه أذكى من العَنْبَر، ونُور نَوْرِه أنور من القمر الأزهر، ولقد اقتفى آثارَ من سلف من السلف، وعَبَرَ وغَيَّر في وجه من غَبَر، فهو أحقُّ بقول القائل من جميع البشر[٢]:

ما لذَّ في السمع أحلى من حديثك لي ... إذا ذكرتَهُمُ فاذْكُرْ بلا ضَجَرِ
وأنتَ يا مخبري عنهم وذاكرَهُمْ ... أعِدْ حديثَك لي يا طيِّب الخبرِ

وقد ذكرنا جُملاً من أخباره، ولُمَعاً من آثاره، فنختم سيرته بفنون، لمثل هذا فليعمل العاملون[٣].

ذكر طرف من ذلك:

قال خُصيف: رأيتُ في المنام رجلاً قاعداً، وعن يمينه رجل، وعن شماله آخر؛ إذْ أقبلَ عمر بن عبد العزيز، فأراد أن يجلس بين الذي عن يمينه وبينه، فلصق بصاحبه، فدار، فأراد أن يجلس بين الذي عن يساره وبينه، فلصق بصاحبه، فجذبه الأوسط، فأقعده في حجره، فقلتُ: من هذا؟ قالوا: رسول الله ﷺ، وهذا أبو بكر، وهذا عمر[٤].

---

(١) ينظر «تاريخ دمشق» ٩/ ٤١٠، و«تهذيب الكمال» ١٥/ ٩٠.

(٢) من قوله: قال المصنف... إلى هذا الموضع، ليس في (ص)، وجاء فيها بدلاً منه قوله: ذكر سيرته، ونذكر هذا البيتين (كذا) قدام السيرة.

(٣) قوله: لمثل هذا... اقتباس من قوله تعالى من سورة الصافات الآية (٦١). وقد سلف جمل من أخباره وآثاره في أول سنة (٩٩).

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٢٤. ولم يرد الخبر في (ص).

وقال أنس: ما صلّيتُ وراء أحدٍ أشبهَ صلاةً برسول الله ﷺ من هذا الفتى. يعني عمر بنَ عبد العزيز[(١)].

وقال إسرائيل[(٢)]: رأيتُ عمر بن عبد العزيز يمشي في المدينة وهو من أحسن الناس لباساً[(٣)]، وأطيبهم ريحاً[(٤)]، وأخيلهم في مِشْية، ثم رأيتُه بعد ذلك يمشي مِشية الرُّهبان.

قال: وكان عمر يصوم الاثنين والخميس وعشر ذي الحجة والمحرَّم.

وقال جويرية بن أسماء: سمعتُ فاطمةَ بنتَ عليّ بن أبي طالب ذكَرَتْ عُمر بنَ عبد العزيز، فأكثرت الترحُّم عليه، وقالت: دخلتُ عليه وهو أمير المدينة يومئذ، فأخرجَ عني كل خصيّ وحَرَسيّ حتى لم يبقَ في البيت أحدٌ غيري وغيره، ثم قال: يا بنت عليّ، واللهِ ما على ظهر الأرض أهلُ بيت أحبَّ إليَّ منكم، ولأنتُم واللهِ أحبُّ إليَّ من أهل بيتي[(٥)].

وقال حجَّاج الصوَّاف: أمرني عمر بن عبد العزيز أن أشتريَ له ثياباً وهو أمير على المدينة، فاشتريتُ له ثوباً بأربع مئة درهم، فقطعه قميصاً ثم لمسه بيده وقال: ما أخشنَهُ وأغلظه! ثم أمر بشراء ثوب وهو خليفة فاشتَرَوْه بأربعةَ عشرَ درهماً، فلمسه بيده وقال: سبحان الله ما أنعمه[(٦)] وأدقَّه!

وقال محمد بن عمار بن سعد القَرَظ: كنَّا نُؤْذِنُ عُمر بنَ عبد العزيز في داره للصلاة فنقول: السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاتُه، حيَّ على الصلاة، حيَّ على الفلاح، الصلاةَ يرحمُك الله. وفي الناس الفقهاء لا ينكرون ذلك[(٧)].

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٢٦ . ونسب الخبر في (ص) إليه.

(٢) الخبر في «طبقات» ابن سعد ٧/ ٣٢٦ من رواية أبي إسرائيل عن علي بن بَذِيمة.

(٣) في (ب) و(خ) و(د) و(ص): مشية. والمثبت من المصدر السابق.

(٤) في (ب) و(خ) و(د): وأطيب الناس، بدل: وأطيبهم ريحاً، والمثبت من (ص).

(٥) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٢٧ . ولم يرد الخبر في (ص).

(٦) في (ص): ما ألينه. والخبر في المصدر السابق ٧/ ٣٢٨ .

(٧) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٢٨ .

وروى ابن سعد عن الواقدي عن مشيخة أهل المدينة[١] أنهم قالوا: كان عمر بن عبد العزيز يؤمُّنا ولا يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم. [وفيه دليل على تقوية مذهب أبي حنيفة][٢].

وعن أيوب السَّخْتِياني أنَّ عُمر بنَ عبد العزيز ردَّ المظالم التي كانت في بيت المال، ثم أمر بأن يزكَّى الباقي لماضي السنين[٣]، ثم نظر فقال: لا يزكَّى إلا لسنة واحدة؛ لأنه ضِمار، أي: هالك[٤].

وكتب عُمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى أبي بكر بن محمد بن عَمرو بن حَزْم والي المدينة أن استبرىء الدواوين، فانظر كلَّ جَوْرٍ جارَه مَنْ قَبلي[٥] مِنْ حقِّ مسلم، أو معاهَد، فرُدَّه عليه، وإن كان من أهل تلك المظلمة قد ماتُوا؛ فادْفَعْه إلى ورثتهم.

وقام يوماً في جامع دمشق وهو خليفة، فنادى بأعلى صوته: لا طاعةَ لنا في معصية الله[٦].

وكان يقول للناس: الحقُوا ببلادكم، فإني أذكُرُكُم ببلادكم وأنسابكم عندي، إلا من ظَلَمه عامل، فليس عليه مني إذْنٌ، فليأْتِني[٧].

وجاءه جماعة من بني مروان فقالوا: إنك قصَّرتَ بنا عمَّا كان يصنعُه مَنْ كان قبلَك. وعاتبوه، فقال: لئن عُدْتُم لمثل هذا المجلس لأَشُدَّنَّ رِكابي، ثم لأقدمَنَّ المدينة ولأجعلنَّها شورى. أما إني لأعرفُ صاحبها الأُعيمش ـ يعني القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ـ إنَّ لله في بني مروان ذَبْحاً، وأظنُّ أنَّ ذلك الذبح على يدي. وبلغ

(١) في (ب): الحكم، بدل: المدينة. والخبر في «طبقات» ابن سعد ٧/ ٣٢٩ عن الواقدي عن عبد الحكيم بن عبد الله ابن أبي فروة.

(٢) الكلام بين حاصرتين من (ص).

(٣) في «الطبقات» ٧/ ٣٣٦ : أمر أن يزكَّى لما غاب عن أهله من السنين.

(٤) في «القاموس»: الضِّمار من المال: الذي لا يُرجى رجوعه.

(٥) في (ب) و(خ) و(د): جاه من قبل. والمثبت من «طبقات» ابن سعد ٧/ ٣٣٦ . ولم يرد الخبر في (ص).

(٦) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٣٧ ، ونُسب الخبر في (ص) إليه.

(٧) المصدر السابق.

القاسم فقال: رحم الله عُمر، إنَّ القاسم ليضعف عن أُهَيْلِهِ، فكيف يقومُ بأمرِ أمَّةِ محمد ﷺ[١]؟!

وكان عُمر رضي الله عنه يقول: لو كان إليَّ من الأمر شيءٌ ما عَدَوْتُ بها القاسم، أو صاحب الأَعْوص. يعني إسماعيل بن عَمرو بن سعيد بن العاص. وكان عابداً منقطعاً اعتزل الناس، فنزل الأَعْوص[٢].

وإسماعيل هذا هو أبو محمد الأموي، كان عالماً زاهداً، وكان مع أبيه لما غلبَ على دمشق، ثم سيَّره عبد الملك إلى الحجاز مع إخوته، ثم سكن الأعوص، واعتزل الناس، فلم يدخل في شيء من أمور الدنيا، وكان عمر بن عبد العزيز يراه أهلاً للخلافة[٣].

وروى عن ابن عباس وغيره، وروى عنه شريك بن عبد الله بن أبي نمر، وغيره.

وقال الزُّبير بن بكَّار: كان يسكنُ الأعْوَص شرقيَّ المدينة على بضعة عشر ميلاً ـ وقيل: على بريد منها ـ ولم يلتبس بشيء من الدنيا ولا سلطان بني أمية[٤].

وعاش إلى أيام بني العباس، ولما قدم داود بنُ عليّ المدينة قيل لإسماعيل: لو تحوَّلتَ. فقال: لا والله. فلم يعرض له داود، وعاش بعد ذلك يسيراً، ومات رحمه الله.

وقتلَ داود جماعةً من بني أمية، ثم اجتمعَ بإسماعيل، فقال له داود: أساءك ما فعلتُ بأصحابك؟ فقال: كانوا يداً فقطعتَها، وعَضُداً فبَتَتَّها، ورُكْناً فهدمتَه، وجناحاً فهِضْتَه[٥]. قال داود: فإني خليقٌ أن أُلحقَك بهم. فقال: إني إذاً لسعيد[٦].

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٣٨.

(٢) المصدر السابق. والأعْوص: موضع قرب المدينة، وسيذكره المصنف بعد أسطر.

(٣) تاريخ دمشق ٢/ ٨٦٨ (مصورة دار البشير). وينظر «طبقات» ابن سعد ٧/ ٤٥٣.

(٤) أخرجه ابن عساكر ٢/ ٨٦٩ عن الزبير بن بكار.

(٥) أي: كسرته. وفي «تاريخ دمشق» ٢/ ٨٧٠: نتفته.

(٦) تاريخ دمشق ٢/ ٨٧٠ (مصورة دار البشير).

والأعْوَص من ناحية العراق[١].

وقال خادم لعمر رضي الله عنه: إنه لم يمتلىء من طعام من يومَ وليَ حتى مات، ووضع المَكْس عن كلِّ أرض، وأباح الأحماءَ كلَّها إلا النَّقِيع[٢]، وأمر أن تُبنى الخانات بطريق خُراسان، وفرضَ لكلِّ منفوس[٣].

وكان إذا جلس يقضي حوائج الناس يأمر بشمعة من بيت المال، فإذا شرعَ في حاجة نفسِه طفأها[٤].

وحرَّم الطِّلاء[٥] في كلِّ أرض، وأمر أن لا يدخل أحد من الرجال الحمام إلا بمئزر، ولا يدخله النساء.

وكان يخرج إلى العيد ماشياً، ويقول: لا تركبوا إلى الجمعة والعيدين[٦].

وكان يبدأ بتكبير التشريق من صلاة الظهر يوم عرفة إلى صلاة العصر[٧] من أيام التشريق.

وكان إذا صعد المنبر في العيد سلَّم[٨].

قال ميمون بن مهران: كان عمر بن عبد العزيز معلّم العلماء، وكانوا بين يديه تلامذة[٩].

وأُخرج بين يديه مِسك من الخزائن، فأمسك عمر رضي الله عنه أنفه بيده مخافة أن يجد ريحه، فقال له رجل: ما ضرَّكَ لو وجدت ريحه! فقال عمر: وهَلْ يراد من هذا إلا ريحُه[١٠]!

(١) من قوله: وكان يقول للناس الحقوا ببلادكم (قبل صفحة) إلى هذا الموضع، ليس في (ص).

(٢) النَّقِيع: موضع قرب المدينة كان يستنقع فيه الماء (أي: يجتمع) حماه عمر رضي الله عنه لنَعَم الفَيْء وخيل المجاهدين، فلا يرعاه غيرها. ينظر «النهاية» (نقع).

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٣٩ و٣٤٠. ونُسب الكلام في (ص) إليه.

(٤) المصدر السابق ٨/ ٣٤١.

(٥) هو نبيذ مطبوخ يسمَّى طِلاءً تحرُّجاً من أن يسمَّى خمراً. ينظر «النهاية» (طلى).

(٦) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٥٤.

(٧) في «الطبقات» ٧/ ٣٥٤: الظهر.

(٨) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٥٥.

(٩) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٥٩، وتاريخ دمشق ٥٤/ ١١٧-١١٨ (طبعة مجمع دمشق).

(١٠) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٥٩.

وأوَّلُ كتاب كتبه عمر رضي الله عنه إلى عبد الحميد كان سطراً واحداً: أما بعد، إذا أتاك كتابي فأعْطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه. والسلام. فكتب إليه عبد الحميد: إن رجلاً سبَّك، فحبستُه، وقد هممتُ أن أضربَ عنقه، فما ترى فيه؟ فكتبَ إليه: لو قتلتَه لأقَدْتُك به، إنه لا يُقتل إلا مَنْ سبَّ رسولَ الله ﷺ، فاسْتَتِبْه، وخَلِّ سبيلَه[١].

وقال محمد بن الزُّبير الحنظلي: دخلتُ على عمر بن عبد العزيز وهو يتعشَّى كِسَراً وزيتاً، فقال: ادْنُ فكُلْ. فقلت: بئس طعام المقرور[٢]. فأنشد عُمر:

إذا ما ماتَ مَيْتٌ من تميمٍ ... فَسَرَّكَ أنْ يعيشَ فَجِئْ بِزادِ
بخبزٍ أو بلحمٍ أو بتمرٍ ... أو الشيءِ الملفَّفِ في البِجادِ[٣]

[ثم أنشدني بيتاً ثالثاً:]

تراه ينقل البطحاء شهراً ... ليأكلَ رأسَ لقمانَ[٤] بنِ عادِ

[قلت: والبيت الأول حكاية جرت لمعاوية، وقد ذكرناها في سيرته]

فقلت: يا أمير المؤمنين، ما كنتُ أرى أنَّ البيت الثالث فيها. قال: بلى.

وقال محمد التيمي: إن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لما وليَ منع قرابته ما كان يجري عليهم، وأخذَ منهم القطائع التي كانت في أيديهم، فشَكَوْه إلى عمَّته أمِّ عمر، فدخلت عليه فقالت: إنَّ قرابتك يشكونك ويزعمون أنك أخذتَ منهم خير غيرِك. فقال: ما منعتُهم حقّاً كان لهم، ولا أخذتُ منهم شيئاً كان لهم. فقالت: إني رأيتُهم يتكلَّمون، وأخاف أن يهيجوا عليك يوماً عصيباً. فقال: كلُّ يوم أخافُه دونَ يوم القيامة فلا وقاني اللهُ شَرَّه. ثم دعا بدينار وجَنْب ومجمرة، فألقَى الدينارَ في النار، وجعلَ ينفخُ على الدينار، فلما احمرَّ تناولَه بشيء، فألقاه على الجَنْب، فنَشَّ وقَتَرَ، وقال: أي عمَّة، أما

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٦٠ دون قوله أول الخبر: وأولُ كتاب كتبَه... إلى قوله: والسلام. وكذا في (ص).

(٢) الرجل المقرور: الذي أصابه البرد.

(٣) البِجاد: كساء مخطَّط من أكسية العرب. والملفَّف في البِجاد: وَطْب اللبن (أي: سِقاء اللبن). وينظر «أدب الكاتب» ص ١٥ ، و«بهجة المجالس» ١/ ١٠٨ .

(٤) في (ب) و(خ) و(د): شداد، بدل: لقمان. والمثبت من المصادر. ولقمان بن عاد وشداد بن عاد كلاهما من ملوك حمير في اليمن... ولم يرد هذا البيت (الثالث) في (ص)، وما قبله وما بعده بين حاصرتين منها. والخبر في «طبقات» ابن سعد ٧/ ٣٦٣ .

تأوين[١] لابن أخيك من مثل هذا؟ فقامت، فخرجت على قَرابته، فقالت: تزوّجون آلَ عُمر، فإذا نزعوا إلى الشَّبْه جزعتُم! اصبروا له[٢].

وقيل له: غَيَّرتَ كلَّ شيء حتى مِشْيتَك! فقال: واللهِ ما كانت إلا جنوناً. وكان إذا مشى خطر بيديه[٣].

وقال ربيعة الشَّعْوَذِيّ[٤]: ركبتُ في البريد إلى عمر، فانقطع بي البريدُ في أرض الشام، فركبتُ على دوابِّ السُّخْرة[٥] حتى أتيتُه، فقال: ما فعل جناحُ المسلمين؟ قلت: وما جناح المسلمين؟ قال: البريد. قلت: انقطع في أرض كذا وكذا. قال: فعلى أيِّ شيء جئتَنا؟ قلت: على دوابِّ السُّخْرة. قال: أتُسَخِّر في سلطاني؟! فأمرَ به، فضُرب أربعين سَوْطاً[٦].

وقال فراتُ بن مسلم: اشتهى عمر ﷺ تفاحاً، فبعث إلى بيته، فلم يجدن[٧] شيئاً يشترون به، فركب وركبنا معه، فمرَّ بدَيْرٍ، فتلقَّاه غلمانُ الدَّيْر معهم طبقٌ فيه تفاح [أو أطباق] فتناول تفاحةً فشمَّها، ثم أعادها إلى الطبق، ثم قال: ادخُلوا دَيْرَكم، لا أعلمُ أنكم بعثتُم إلى أحد من أصحابي بشيء إلا عاقبتُكم. فقلت له: يا أمير المؤمنين، اشتهيتَ التفاح، فلما أُهدِيَ إليك ردَدْتَه، وقد كان رسولُ الله ﷺ وأبو بكر وعُمر يقبلون الهديَّة! فقال: لا حاجةَ لي فيه، إن أولئك كانت لهم الهدايا، وهي للعمال بعدَهم رِشْوة[٨].

---

(١) أي: تَرِقِّين وترحمين.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٦٤، وتاريخ دمشق ص ٥٤٢ (طبعة مجمع دمشق ـ تراجم النساء).

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٦٤. ولم يرد هذا الخبر في (ص).

(٤) في «اللسان» (شعذ): الشَّعوذَة: السرعة، وقيل: هي الخِفَّة في كل أمر. والشَّعْوَذِيّ: رسول الأمراء في مهماتهم على البريد، وهو مشتق منه لسرعته. وقال الليث: الشعوذة والشعوذي مستعمل، وليس من كلام البادية.

(٥) السُّخْرَة: ما سَخَّرْتَه من دابَّة أو رَجُلٍ بلا أجرٍ ولا ثمن.

(٦) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٦٥.

(٧) في (ب) و(خ) و(د): يجدون، والمثبت من (ص). وفي «طبقات» ابن سعد ٧/ ٣٦٧: يجد، ونُسب الخبر في (ص) إليه.

(٨) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٦٧.

وقال فرات بنُ مسلم: كنتُ أعرض على عمر بن عبد العزيز كتبي في كل جمعة، فعرضتُها عليه، فأخذ منها قرطاساً قدر شبر، أو أربع أصابع كتب فيه حاجة له، فقلت: غفل أميرُ المؤمنين. فلما كان من الغد بعث إليَّ أن ائتِ بكتبك. فأتيتُه بها، فبعثني في حاجة، فلما جئت قال: خُذْ كتبَك. فأخذتُها، فلما فتحتُها وجدتُ فيها قرطاساً قدر القرطاس الذي أخذ من كتبي(١).

وقال وُهيب بنُ الورد: اتَّخذَ عمر بن عبد العزيز داراً لطعام الفقراء والمساكين وابن السبيل وقال لأهله: إياكم أن تصيبوا من هذه الدار شيئاً. فجاءت يوماً مولاةٌ له ومعها صَحْفة فيها غَرْفة من لبن، فقال لها عمر ﷺ: ما هذه معك؟ قالت: زوجتُك فلانة حامل وتَشَهَّت غَرْفَةً من لبن، والحاملُ إذا تَشَهَّتْ شيئاً ولم تُؤتَ به تُخوِّف على ما في بطنها أن يسقط. فقال: إذا لم يمسك ما في بطنها إلا طعام الفقراء والمساكين فلا أمسكه الله، رُدِّيه. فقالت زوجته: رُدِّيه، فواللهِ لا أذوقُه أبداً(٢).

وكتب [عمر] إلى عديّ بن أرطاة: أما بعد، فانظر إلى أهل الذِّمَّة، فارْفُقْ بهم، وإذا كَبِرَ أحدهم وليس له مال؛ فأنفِقْ عليه، فإنْ كان له حميمٌ فمُره بالإنفاق عليه وقاصِّه من خَرَاجِه(٣) كما لو كان لك عبد فكَبِرَتْ سنُّه لم يكن لك بدٌّ أن تنفقَ عليه حتى يموت أو يَعتِق. وقد بلغني أنك تأخذُ من الخمر العشور، فتلقيه في بيت المال [أو: بيت مال الله] فإياك أن تُدخلَ بيتَ مالِ الله إلا طيِّباً. والسلام(٤).

وكان يكتب إلى عماله أن لا تلبس أمةٌ خِماراً، ولا يتشبَّهن بالحرائر(٥).

وقال له رجل: أبقاك الله. فقال: هذا أمرٌ قد فُرغ منه، ادْعُ لي بالصَّلاح.

وبعث ببغلته إلى الرَّعْي، ما قَدَرَ على علفها، ثم باعها بعد(٦).

---

(١) المصدر السابق ٧/ ٣٦٧-٣٦٨.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٦٨-٣٦٩، ونسب الخبر في (ص) إليه.

(٣) جاء في «القاموس»: تقاصَّ القوم: قاصَّ كل واحد منهم صاحبه في حساب وغيره. ووقع في «طبقات» ابن سعد: جراحه، بدل: خراجه. وهو خطأ.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٧٠. وما سلف بين حاصرتين من (ص).

(٥) المصدر السابق ٧/ ٣٧١.

(٦) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٧٢. ولم ترد هذه الفقرة في (ص).

وأمر أن لا يسخَّن ماؤه الذي يتوضأ به في مطبخ العامة(١).

[وقال ابن سعد: حدثنا أحمد بن أبي إسحاق، عن حمَّاد بن زيد قال: حدثني موسى بن أعين ـ راعٍ كان لمحمد بن عيينة ـ قال: كنَّا نرعى الشاة بكِرْمان في خلافة عمر بن عبد العزيز، فكانت الشاءُ والذئاب والوحش ترعى في موضع واحد، فبينما نحن ذات ليلة؛ إذ عرض الذئب لشاة، فقلنا: ما نرى الرجل الصالح إلا قد هلك. قال حمَّاد: فنظروا، فإذا عمر قد مات في تلك الليلة](٢).

وقال محمد بن عمر: بعث عمر بن عبد العزيز إلى المدينة عشرة آلاف دينار، وأمر ابنَ حزم أن يقسمها في بني هاشم ويسوِّيَ بين الصغير والكبير، والذكر والأنثى، فأنكر ذلك زيد بن الحسن، وقال: يسوِّي بين الكبير والصغير! وأغلظ لعمر، فقال له أبو بكر: لا تبلغ هذه المقالة عنك أمير المؤمنين فيغضبه ذلك، وهو حَسَنُ الرأي فيكم. فقال زيد: أسألك بالله إلا أخبرتَه بذلك. فكتب أبو بكر إلى عُمر يخبره بالمقالة، فلم يؤاخذه عمر رحمة الله عليه.

وكتبت إليه فاطمة بنت الحسين تشكرُ له ما صنع، وقالت: يا أمير المؤمنين، لقد أخدمتَ من لم يكن له خادم، واكتسى من كان عارياً ـ وكان قد أصابَ كلُّ واحد خمسين ديناراً ـ فسُرَّ عمر بذلك، فكتب إليها يذكر فضل بيتها وفضلها، ويذكر ما أوجبَ الله لهم عليه وعلى الناس من الحقّ، وبعث إليها بخمس مئة دينار، وأعطى رسولَها عشرة دنانير(٣).

وقدم رجل من الأنصار على عمر بن عبد العزيز ﵁ فقال: يا أمير المؤمنين، أنا فلان بن فلان، قُتل جدِّي يوم بدر، وأبي يومَ أُحُد. وجعل يذكر مناقب آبائه، فنظر عمر ﵁ إلى عَنْبَسة بن سعيد وهو إلى جنبه وقال: هذه واللهِ المناقب، لا مناقبكم؛ مَسْكِن ودَيْر الجماجم! وأنشد:

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٧٤.

(٢) المصدر السابق ٧/ ٣٧٦. وهذا الخبر (وهو بين حاصرتين) من (ص).

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٧٨ـ٣٧٩، ونُسب الخبر في (ص) إليه.

تلك المكارمُ لا قَعْبانِ من لَبَنٍ[(١)]

وكتب إلى عمَّاله أن يَنْهَوْا النساء عن الخروج مع الجنائز والنِّياحة والبكاء، وكشف وجوههنَّ ونَشْرِ شعورهنَّ، وشَقِّ جيوبهنَّ، وقال: إنما ذلك فعل الجاهلية والأعاجم[(٢)].

وسُئل عن عليّ وعثمان رضوان الله عليهما والجمل وصفِّين، وما كان بينهم، فقال: تلك دماءٌ كفَّ اللهُ يدي عنها، فأنا أكره أن أغمسَ لساني فيها[(٣)].

وقدم عليه بلالُ بن أبي بُرْدَة وأخوه عبدُ الله من الكوفة، فاختصما إليه في الأذان في مسجدهم، فارتابَ بهما عمر ﷺ، فَدَسَّ إليهما رجلاً من أصحابه يقال له: العلاء بن المغيرة، وكان بلال قد لزم ساريةً يتعبَّد عندها ليلاً ونهاراً، فقال لهما: ما تقولان إن كلَّمتُ أميرَ المؤمنين فولاَّكما العراق؛ ما تجعلان لي؟ فبدأ الرجل ببلال، فقال: أُعطيك مئة ألف درهم. ثمَّ أتى أخاه فقال له مثلَ ذلك، فأخبرَ الرجلُ عمر ﷺ، فقال لهما: الحقا بمصركما. وكتبَ إلى عبد الحميد: لا تُولِّ بلالاً بُليل الشَّر، ولا أحداً من ولد أبي موسى شيئاً. إذْ سبكنا بلالاً فوجدناه خبثاً كلَّه[(٤)].

ولما وليَ عمر بن عبد العزيز ﷺ الخلافة كتبَ إلى سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ: اكتُبْ إليّ بسيرة عمر. فكتب إليه: إنَّ عمر كان في غير زمانك، وفي

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٨١. وعجز البيت فيه: شِيبًا بماءٍ فعادا بعدُ أبوالا. وهو من قصيدة لأبي الصَّلْت (والد أمية) في مدح فارس حين قتلوا الحبشة. ينظر «طبقات فحول الشعراء» ١/ ٢٦٠-٢٦٢. ومَسْكِن: موضع على نهر دُجَيْل عند دير الجاثليق، به كانت الوقعة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير سنة (٧٢)، وقُتل فيها مصعب، ودَيْر الجماجم: موضع بظاهر الكوفة كانت عنده الوقعة بين الحجاج بن يوسف وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث سنة (٨٢) وكُسر فيها ابن الأشعث. ينظر«معجم البلدان» ٢/ ٥٠٣_٥٠٤ و٥/ ١٢٧. والقَعْب: قدح ضخم.

(٢) بنحوه في «طبقات» ابن سعد ٧/ ٣٨١. ونُسب الخبر في (ص) إليه.

(٣) المصدر السابق ٧/ ٣٨٢. ونسب الخبر في (ص) إليه.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٨٣ دون قوله آخره: إذ سبكنا...إلخ. فهو في «تاريخ دمشق» ٣/ ٤٩٠ (مصورة دار البشير- ترجمة بلال بن أبي بردة) ولم يرد هذا الخبر في (ص).

رجالٍ غيرِ رجالِك، وإن عملتَ في زمانك ورجالك بمثل ما عملَ به عمر؛ كنتَ مثلَ عمر وأفضلَ منه[(١)].

وقال الحسن بن أبي العمرَّطة: كنتَ إذا رأيتَ عمر قبل أن يستخلف تعرفُ الخير في وجهه، فلما استُخلف رأيتَ الموتَ بين عينيه[(٢)].

وكان له بِرْذَوْن وعبدٌ يستقي له الماء، ويحتطب له، فقال العبد يوماً: يا مولاي كلُّ الناس بخير إلا أنا وأنت[(٣)]. قال: اذهبْ فأنت حرّ.

وكان قد جعل للخُمْسِ بيتَ مال على حدة، وللصدقة بيت مال على حدة، وللفيء بيت مال على حدة.

وكتب إلى الآفاق: لا يُكتب في طُومار[(٤)]، فكانت كتبُه إنما هي شبر أو نحوه.

ولم يرتزق عمر رضي الله عنه من بيت المال شيئاً حتى مات.

وقال عمر رضي الله عنه: خُلِقَتْ لي نفسٌ توَّاقة، فلم تزل تتوَّق إلى الإمارة حتى نلتُها فلما نلتُها تاقت إلى الخلافة، فلما نلتُها تاقَتْ إلى الجنة[(٥)].

وقال عمارة بن أبي حفصة: إن مسلمة بن عبد الملك دخل على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في مرض موته[(٦)]، فقال لأخته فاطمة بنتِ عبد الملك امرأةِ عُمر: إني أرى أميرَ المؤمنين قد أصبح اليوم مُفِيقاً، وإني أرى قميصه دنساً[(٧)]، فألبسيه غيره حتى نأذن للناس عليه. فسكتَتْ [فقال: ألبسي أمير المؤمنين غير هذا القميص. فقالت: واللهِ ما له غيره][(٨)].

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٨٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) بعدها في (ب) و(خ) و(د): وهذا البِرْذَوْن! والمثبت من (ص) وهو كذلك في «طبقات ابن سعد» ٧/ ٣٨٧.

(٤) بعدها في «الطبقات»: بقلم جليل ولا يمدَّنَّ فيه. والطومار (أو الطامور): الصحيفة.

(٥) من قوله: وكان قد جعل للخمس بيت مال... إلى هذا الموضع، لم يرد في (ص). والكلام في «الطبقات» ٧/ ٣٨٧ـ٣٨٨.

(٦) قوله: في مرض موته، ليس في (ص)، وينظر الكلام الآتي بعد تعليقين.

(٧) في «الطبقات»: درناً.

(٨) طبقات ابن سعد٧/ ٣٨٩. والكلام بين حاصرتين من (ص). وينظر«تاريخ دمشق»٥٤/ ١٧٠ـ١٧١.

فدخل عليه ثلاثة أيام يقول في كل يوم: اغسلوا قميصه. فبكت فاطمة في اليوم الثالث وقالت: والله ما له غيره[١].

وخطب الجمعة يوماً بخُناصرة[٢] وقميصُه مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه، فلما نزل قيل له: إن الله قد أعطاك، فلو لبست وصنعت! فنكّس رأسه مليّاً ثم رفعه وقد عرفوا أنه ساءه ذلك، فقال: إن أفضل القصد عند الجِدَة[٣]، وأفضل العفو عند المقدرة[٤].

وقال أبو سريع[٥] الشامي: كان سببُ زهد عمر في الدنيا وإقباله على الآخرة أن بعض عبيده جنى جنايةً، فأمر به فبُطح ليضربه، فقال له: يا مولاي، هل جنيتَ جناية غضب بها عليك مولاك؟ قال: نعم. قال: فهل عاجلك بالعقوبة؟ فانتبه عمر وقال: أطلِقُوه، فأنتَ حرٌّ لوجه الله.

وقال المصنف رحمه الله: قرأتُ على شيخنا موفق الدين رحمه الله بروايته عن محمد بن البرَّاء أنَّه ذكر في كتاب «الروضة» أن رجلاً حدَّث عمر بن عبد العزيز أنَّ مَلِكاً من الملوك بنى مدينة فتنوَّقَ في بنائها، ثم صنع طعاماً، ودعا الناسَ إليه، وأقعدَ على أبوابها أناساً يسألون الناس؛ كلَّ من خرج منها: هل رأيتم بها عيباً؟ فيقولون: لا. حتى جاء آخر القوم؛ أناس عليهم أكسية، فسألهم: هل رأيتُم بها عيباً؟ قالوا: نعم، عيبين اثنين. قالوا: وما هما؟ قالوا: تخربُ ويموتُ صاحبها. فحبسوهم وأخبروا الملك بذلك، فأحضرَهم، وسألهم، فقالوا مثل مقالتهم، فوقع كلامُهم في قلبه، فبكى وقال: هل تعرفون داراً لا تخرب ولا يموتُ صاحبها؟! قالوا: نعم، الجنة. قال: فميعاد ما بيني وبينكم وقتُ السَّحَر بمكان كذا وكذا.

---

(١) جاءت هذه الفقرة في (ص) بلفظ: ورواية أبي الحسين بن سمعون قال: كان ذلك في مرض موته، وأن مسلمة دخل عليه ثلاثة أيام، يقول في كل يوم: اغسلوا قميصه. وأن فاطمة بكت في اليوم الثالث وقالت: واللهِ ما له غيره!

(٢) بُليدة من أعمال حلب تحاذي قنّسرين نحو البادية. معجم البلدان ٢/ ٣٩٠.

(٣) قرأها محقق «طبقات» ابن سعد ٧/ ٣٩٠ : الحدَّة!

(٤) المصدر السابق. ولم يرد هذا الخبر في (ص).

(٥) في (ص): ابن سريع.

قال: فخرج معهم وترك ملكه، وأقامَ يتعبَّد معهم، فقال لهم ذات يوم: السلام عليكم. قالوا: فهل رأيتَ منَّا شيئاً تكرهُه؟ قال: لا، ولكنكم تعرفوني، فتعظِّموني، وأحبُّ أن أكون في مكان لا أُعرف، ثم فارقَهم وهم يبكون.

قال: فلما سمع عمر بن عبد العزيز هذا قام، وخرج إلى البَرِّيَّة، وترك الخلافة، فجاءه مسلمة بنُ عبد الملك وقال له: اتق الله في أمَّة محمد ﷺ فواللهِ لئن فعلت ليَقتَتِلُنَّ بأسيافهم. فسكن[١].

وقال ابن سعد: قيل لعمر: يا أمير المؤمنين، لو أتيتَ المدينة، فإنْ قَضَى اللهُ موتاً؛ دُفنْتَ في موضع القبر الرابع مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر، فقال: لأَنْ يعذِّبني الله بكل عذاب إلا النار[٢]؛ أحبُّ إليَّ من أن يعلم أني أُرى لذلك أهلاً.

وقال عمر ﷺ يوماً لكاتبه سليمان بن سعد: بلغني أن عاملنا فلاناً كان زنديقاً. فقال الكاتب: وما يضرُّك؟ قد كان أبو النبيّ ﷺ كافراً، فما ضرَّه. فغضبَ عُمر ﷺ وقال: ما وجدتَ مثلاً إلا أبا رسول الله ﷺ! فعزله[٣].

[قال أبو الحسين الرازي: وسليمان بن سعد هذا من أمراء دمشق، وهو أول من نقل الديوان من اللغة الرومية إلى العربية، وكان مولىً من أهل الأردن][٤].

وقال الإمام أحمد رحمه الله: يُروى في الحديث أنَّ الله تعالى يبعثُ على رأس كلِّ مئة سنة لهذه الأمة من يجدِّدُ لها دينَها. فنظَرْنا في المئة الأولى فإذا هو عُمر بن عبد العزيز، وفي الثانية الشافعيّ[٥].

وقال سفيان الثوري: الخلفاء خمسة. فذكر الأربعة؛ قال: والخامس عمر بن عبد العزيز[٦].

---

(١) الخبر في «التوابين» لابن قدامة ص ٦٩ـ٧١ باختلاف يسير.

(٢) بعدها في «طبقات» ابن سعد ٧/ ٣٩١ : فإني لا صبر لي عليه. ولم يرد هذا الخبر في (ص).

(٣) تاريخ دمشق ٧/ ٦١٤ (مصورة دار البشير ـ ترجمة سليمان بن سعد).

(٤) المصدر السابق ٧/ ٦١٢ . والكلام بين حاصرتين من (ص).

(٥) صفة الصفوة ٢/ ١١٣ .

(٦) المصدر السابق.

وقال عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز: لما ردَّ عمر المظالم وانتزعَها من يد أهله وأقاربه؛ كتب إليه عمر بن الوليد بن عبد الملك: أما بعد؛ فإنك أَزْرَيتَ على من كان قبلك من الخلفاء، وعبتَ عليهم، وسرتَ بغير سيرتهم بغضاً لهم وشَنْئاً لمن بعدَهم من أولادهم، قطعتَ ما أمرَ الله به أن يُوصل؛ إذ عمدت إلى أموال قريش ومواريثهم فأدخلتها بيتَ المال جوراً وعدواناً، ولن تُترك على هذا.

فغضب عمر وكتب إليه: من عبد الله عمر أميرِ المؤمنين إلى عمر بن الوليد، أما بعد، فإني قرأتُ كتابك وسأجيبك بنحوٍ منه:

أما أوَّلُ شأنك يا ابنَ الوليد كما زعم أبوك؛ فأمُّك بنانة أَمَةُ السَّكون، كانت تطوف في أسواق حمص، وتدخل حوانيتها، ثم الله أعلم بها، اشتراها ذبيان من فَيْءِ المسلمين، فأهداها للوليد، فحملت بك، فبئس المحمول وبئس المولود، ثم نشأتَ فكنتَ جباراً عنيداً، تزعمُ أني من الظالمين، لِمَ حرمتُك[1] وأهلَ بيتك فَيْءَ الله الذي فيه حقُّ القرابة والمساكين والفقراء واليتامى، وإنَّ أَظْلَمَ منّي وأَتْرَكَ لِعهدِ الله من استعملكَ على جُند المسلمين تحكُم فيهم برأيك، ولم تكن له في ذلك نيَّة إلا حبُّ الوالد لولده، فويلٌ لك وويلٌ لأبيك، ما أكثرَ خُصَماءَكما يومَ القيامة! وكيف ينجو أبوك من خصمائه؟! وإنَّ أَظْلَمَ منِّي وأَتْرَكَ لِعهدِ الله مَن استعملَ الحجاجَ بنَ يوسفَ يسفك الدم الحرام، ويأخذُ المالَ الحرام، ويفعلُ ما فعل، وإنَّ أَظْلَمَ مني وأَتْرَكَ لِعهدِ الله من استعمل قُرَّة بنَ شريك أعرابيّاً جَلْفاً جافياً على مصر، وأَذِنَ له في اللهو والشرب والمعازف، وإنَّ أَظْلَمَ مني وأَتْرَكَ لعهد الله من استعمل عثمان بن حيَّان على الحجاز ينتهك حرمة الله، ويُنشد الأشعار على منبر رسول الله ﷺ، وإنَّ أظلم مني وأترك لعهد الله من جعلَ لغاليةَ البربرية سهماً في خُمس العرب، فرويداً يا ابنَ بنانة، فلو التقتْ حَلْقتا البِطان[2] ورُدَّ الفَيْءُ إلى أهله؛ لتفرَّغْتُ لك ولأهلِ بيتك، فوضعتُكم

(١) في «تاريخ دمشق» ٥٤/ ٢٨٧ (طبعة مجمع دمشق): أنْ حَرَمْتُك.

(٢) هو مَثَل يُضرب في الحادثة إذا بلغت النهاية. قال الميداني في «مجمع الأمثال» ٢/ ١٨٦: يقولون: «البِطان للقَتَب: الحِزام الذي يُجعل تحت بطن البعير، وفيه حلقتان، فإذا التقتا؛ فقد بلغ الشدُّ غايتَه». ووقع في (ب) و(خ) و(د) (والكلام منها فقط): التقتا حلقتا البطان. وأثبتُّ اللفظة على الجادّة.

على المَحَجَّة البيضاء، فطالما تركتُم الحقَّ، وأخذتُم في بُنَيَّات الطريق، ومن وراء هذا ما أرجو أن أكون رأيتُه؛ بَيْعُ رقبتِك، وقَسْمُ ثمنِك بين اليتامى والمساكين والأرامل، فإنَّ لكلٍّ فيك حقّاً، ولقد هممتُ أن أبعثَ إليك من يجزُّ جُمَّتَك جَمَّةَ السوء، والسلام علينا، ولا ينالُ سلامُ الله الظالمين(١).

وكتب عمر رضي الله عنه إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: أمَّا بعد، فإنك كتبتَ إليَّ تذكرُ أنَّ سليمان كان يقطع للولاة بالمدينة من بيت المال ثمن شمع يستضيئون به حين يخرجون إلى صلاة العشاء والفجر(٢)، ولقد عهدتُك وأنت تخرجُ من بيتك في الليلة المظلمة الماطرة الوَحِلة بغير سراج! ولعمري لأنتَ يومئذٍ خيرٌ منك اليوم، والسلام.

وقال الفِهْرِيّ: كان عمر بن عبد العزيز يقسم تفاح الفَيْء، فتناول ابنٌ له صغيرٌ تفاحةً، فانتزعَها من فيه، فأوجعه، فسعى إلى أمِّه مستعبراً، فأرسلَتْ إلى السوق، فاشترت له تفاحاً، فلما رجع عمر؛ وجدَ ريح التفَّاح، فقال: يا فاطمة، هل أتيتِ شيئاً من تفَّاح الفَيْء؟ فقالت: لا. وقصَّت عليه القصَّة، فقال: واللهِ لقد انتزعتُها من فيه، ولكأنَّما نزعتُها من قلبي، ولكن كرهتُ أن أُضيِّع نصيبي من الله بتفاحة من فَيْء المسلمين(٣).

وقال عبد السلام مولى مسلمة بن عبد الملك: بكى عمر بنُ عبد العزيز، فبكت فاطمة، فبكى أهلُ الدار، لا يدري هؤلاء ما أبكى هؤلاء. فلما تجلَّت عنهم العَبْرة قالت له فاطمة: بأبي أنت يا أمير المؤمنين، مِمَّ بكَيْتَ؟ قال: ذكرتُ منصرفَ القوم من بين يدي الله ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾[الشورى: ٧] ثم صرخ وغُشي عليه(٤).

وقال رجاء بن حَيْوَة: كان الوفود يجتمعون على بابه فيبكي، ويُبكي أهلَ بيته ويُبكي الوفد، ثم ينصرفون ولا يسألون عن بكائه، قد علموا ما به.

---

(١) تاريخ دمشق ٥٤/ ٢٨٧(طبعة مجمع دمشق ـ ترجمة عمر بن الوليد)، وصفة الصفوة٢/ ١١٦ ـ١١٧.

(٢) بعدها في «صفة الصفوة» ٢/ ١١٩ : وتذكر أنه قد نفد الذي كان يُستضاء به، وتسأل أن يُقطع لك من ثمنه بمثل ما كان للعمال.

(٣) صفة الصفوة ٢/ ١٢٠ .

(٤) حلية الأولياء ٥/ ٢٦٩ ، والمصدر السابق ٢/ ١٢١ .

وقال زياد بن أبي زياد المدني: أرسلني مولاي ابنُ عياش بن أبي ربيعة إلى عمر بن عبد العزيز في حوائج له، فدخلتُ عليه وعنده كاتب يكتب، فقلت: السلام عليك، فقال: وعليكم السلام. ثم انتبهت فقلت: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال: لسنا ننكر الأولى. وعنده كاتب يقرأ عليه مظالم جاءت من البصرة، فقال: اجلس. فجلستُ على أُسْكُفَّةِ الباب وهو يقرأ عليه وعُمر يتنفَّس صَعَداً، فلما فرغ؛ أخرجَ من كان في البيت حتى وصيفاً كان فيه، ثم قام يمشي حتى جلسَ بين يديّ، ووضع يدَيْه على ركبتيَّ، ثم قال: يا ابن أبي زياد، استدفأتَ في مِدْرَعتك هذه ـ قال: وعليَّ مِدْرَعَةٌ من صوف ـ واسترحتَ ممَّا نحن فيه؟ ثم سألني عن صلحاء أهل المدينة؛ رجالِهم ونسائهم، فما ترك منهم أحداً إلا وسألني عنه، ثم قال: أترى إلى ما وقعتُ فيه؟ فقلت: أبشِرْ، فإني لأرجو لك خيراً. فقال: هيهات هيهات! أَشْتِمُ ولا أُشْتَم! وأَضربُ ولا أُضرَب! وأُوذِي ولا أُوذَى! ثم بكى حتى جعلتُ أرثي له، فأقمتُ حتى قضى حوائجي، ثم أخرج من تحت فراشه عشرين ديناراً، فقال: استعن بهذه، فإنه لو كان لك في الفَيْء حقٌّ أعطيناك حقَّك، إنما أنتَ عبد. فأبيتُ أن آخذَها، فقال: إنما هي من نفقتي. فلم يزل بي حتى أخذتُها، وكتبَ إلى مولاي يسألُه أن يبيعني منه، فأبى وأعتقَني[١].

وقال عمرو بن أبي المهاجر: قال لي عُمر بن عبد العزيز: إذا رأيتَني قد مِلْتُ عن الحقّ؛ فضَعْ يديك في تلبابي[٢]، ثم هُزَّني وقل: يا عمر، ما تصنع[٣]؟

وقال القاسم بن غزوان: إنْ كان عمر بن عبد العزيز ليتمثَّل بهذه الأبيات:

أيقظانُ أنتَ اليومَ أم أنتَ نائمُ ... وكيفَ يُطيقُ النومَ حيرانُ هائمُ

فلو كنتَ يقظانَ الغداةَ لقطَّعَتْ ... مدامعَ[٤] عينيك الدموعُ السواجمُ

---

(١) صفة الصفوة ٢/ ١٢١ـ١٢٢. ومن قوله: وقال سفيان الثوري: الخلفاء خمسة، (قبل ثلاث صفحات) ... إلى هذا الموضع، ليس في (ص).

(٢) في (ص): ثيابي.

(٣) حلية الأولياء ٥/ ٢٩٢ ، وصفة الصفوة ٢/ ١٢٢ . وقد نسب الخبر في (ص) لأبي نُعيم.

(٤) في (ب) و(خ) و(د): مجاري، والمثبت من (ص) ، وهو موافق لأغلب المصادر. وفي «الحلية»: محاجر.

بل اغرقت[١] في النوم الطويل وقد دَنَتْ إليك أمورٌ مُفْظِعاتٌ عظائمُ

نهارك يا مغرور نومٌ وغفلةٌ وليلُك نومٌ والرَّدَى لك لازِمُ

يغرُّك ما يفنى وتُشغلُ بالمنى كما غَرَّ باللَّذاتِ في النوم حالِمُ

فخرِّق غِطا العَيْنَيْنِ[٢] إنك ناعسٌ وثِبْ إنَّ رَيْبَ[٣] الدهرِ ويحكَ قائمُ

ولا تجعلِ الدُّنيا قراراً ومَسْكَناً فتُخْصَمَ يوم الحشر حين تخاصمُ

فلا أنت في الأيقاظ يقظانُ حازمٌ ولا أنتَ في النُّوَّام ناجٍ فسالمُ

وتكدحُ فيما سوف تكرهُ غِبَّهُ كذلك في الدنيا تعيشُ البهائمُ[٤]

وهذه الأبيات لعبد الله بن عبد الأعلى الشيباني[٥].

وقال ابنُ أبي الدنيا: كان عمر يقول: مَنْ صَحِبَني فليَصْحَبْني بخمس خصال: الأولى: يدلُّني على العدل إلى ما لا أهتدي إليه. والثانية: يكون لي عوناً على الخير. والثالثة: يبلِّغُني حاجةَ مَنْ لا يستطيع إبلاغها إليّ. والرابعة: لا يغتاب عندي أحداً. والخامسة: أن يؤديَ الأمانةَ التي يحملُها منّي وإليَّ من الناس، وإلا فهو في حَرَجٍ من صحبتي[٦].

وقال رجاء بن حَيْوة: كانت لعمر درجة فيها مرقاة تتحرك، وكان كلما صعد عليها عمر ونزل ارتاع، فعمد مولاه فشدَّها بطين، فقال له عمر: اقلعه، فإني عاهدتُ الله إنْ وليتُ هذا الأمرَ أن لا أضع لَبِنةً على لَبِنة.

وقال المدائني: قدم رجل من أهل مصر على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فقال: إن أباك ظلمني في أرضي. قال: وأين أرضُك؟ قال: حُلْوان؛ مكان بمصر. قال: أعرفُها، ولنا فيها شركاء. ثم قام عُمر، ومشى معه إلى الحاكم، فجلس بين يديه مع خصمه،

---

(١) في «حلية الأولياء» ٥/ ٣٢٠، و«صفة الصفوة» ٢/ ١٢٥: أصبحت.

(٢) في (ص): غطاء العيش.

(٣) المثبت من (ص)، وفي غيرها: إن رأيتَ.

(٤) ينظر إضافة إلى ما سلف: تاريخ دمشق ٥٤/ ١٩٨، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١٣٨. ولم ترد الأبيات الثلاثة قبل البيت الأخير في هذه المصادر الأربعة، ولم أقف عليها.

(٥) ذكره المرزباني في «معجم الشعراء» ص ٣٥٠ـ٣٥١ في ترجمة ابنه محمد. وينظر «لسان الميزان» ٤/ ٥٠٨.

(٦) بنحوه في «حلية الأولياء» ٥/ ٣٣٦. وينظر «أنساب الأشراف» ٧/ ٦٦ـ٦٧.

فقضى القاضي على عمر، فقال عمر: قد أنفقنا عليها. فقال القاضي: ذلك بما نلتُم من غَلَّتِها. فقال عمر: لو حكمتَ بغير هذا لم تلِ لي أمراً. ثم ردَّها على الرجل[1].

وقال عبد الله بنُ راشد: أتيتُ عمرَ بالطِّيب الذي كان يُصنع للخلفاء من بيت المال، فأمسك على أنفه وقال: إنما يُنتفع منه بريحه[2].

قال: وقام إليه رجل من الخوارج فقال: أشهد أنك من الفاسقين ولا دِين لك. فنظر إليه عمر وقال: أنت عندنا شاهدُ زُور، لا نُجيز شهادتك، أردتَ أن يستفزَّني الشيطان بعزِّ السلطان، فأنالَ منك اليوم ما تنالُه مني غداً. ثم عفا عنه[3].

وقال رجاء: كان عمر يجمع العلماء والزُّهَّاد عنده كلَّ ليلة، فيتذاكرون الموت والقيامة ويبكون كأنَّ بين أيديهم جنازة[4].

وقال يزيد بن حوشب: ما رأيتُ أخوف لله من الحسن وعمر بن عبد العزيز، كأنَّ النارَ لم تُخلق إلا لهما[5].

حديث المرأة القادمة عليه من العراق:

قال رجاء بن حَيْوَة: قدمت امرأةٌ من أهل العراق على عمر بن عبد العزيز، فلما صارت إلى بابه قالت: هل عليه من حاجب؟ قالوا: لا، فإنْ أحببتِ أن تلجي فَلِجي، فَدَخلَتْ وإذا بفاطمة زوجةِ عمر رضي الله عنه جالسة، فنظرَتْ في البيت، فلم ترَ فيه شيئاً، فبكت وقالت: إنما جئتُ لأَعْمُر بيتي من هذا البيت الخراب! فقالت لها فاطمة: واللهِ ما أخربَه إلا عِمارةُ بيوتِ أمثالِك.

وأقبل عمر، فدخلَ الدار، فمالَ إلى بئر هناك، فنزع دلواً فصبَّه على طين وهو ينظر إلى فاطمة، فقالت لفاطمة: استتري من هذا الطيَّان. فقالت فاطمة: ليس بطيَّان، وإنَّما هو أمير المؤمنين .فبكت المرأة، وغسل عمرُ رجليه ومال إلى مُصلَّاه، فصلَّى ما شاء الله،

---

(١) أنساب الأشراف ٧/ ١١٨ .

(٢) ينظر «حلية الأولياء» ٥/ ٣٢٦ ، وسلف نحوه أوائل ترجمته في ذكر طرف من أخباره.

(٣) بنحوه في «أنساب الأشراف» ٧/ ٨٩ .

(٤) الخبر في «تاريخ دمشق» ٥٤/ ١٩٤ عن رجل عن عطاء.

(٥) المصدر السابق ٥٤/ ١٩٢ .

ثم سلَّم وقدَّم مِكْتلاً فيه عنب، وجعلَ يتخيَّر للمرأة منه، ثم قال: من أين المرأة؟ قالت: من أهل العراق، ولي خمسُ بنات كسل[١] قال: سمِّي الأولى، فسمَّتْها، ففرضَ لها، ثم الثانية، ثم الثالثة والرابعة، وهي تحمد الله، فلما سمَّت الخامسة، شكَرَتْه، فرمى بالقلم من يده وقال: كنتُ أفرضُ لهنَّ حيث كنت تُولين الحمدَ لأهله، أمَّا حيث ولَّيتني إيّاه، فمُري الأربع يواسين الخامسة. فدعت له، ودفعَ إليها نفقةً من ماله، وانصرفت.

فلما قدمت العراق جاءت بالكتاب إلى عامله عبد الحميد بن عبد الرحمن، فلما نظر في الكتاب بكى، واشتدَّ بكاؤه وقال: رحم الله صاحبَ هذا الكتاب. فبكت المرأة وولولت وقالت: ضاع تعبي. فقال لها عبد الحميد: لابأس عليك، واللهِ ما كنتُ ممَّن يطيعُه في حال حياته، ويعصيه بعد مماته. ففرضَ لبناتها ولها، وزادهنَّ.

حديث الجارية وفاطمة:

قال الهيثم: كانت لفاطمة بنتِ عبد الملك جاريةٌ ذاتُ جمال، وكان عمر رضي الله عنه معجباً بها قبل أن تُفضي إليه الخلافة، فطلبها منها وحرص، فأبت أن تدفعَها إليه وغارت منها، ولم تزل في نفس عمر.

فلما استُخلف؛ أمرت فاطمة بالجارية، فأُصْلِحَتْ وحُلِّيَتْ، فكانت حديثاً في حسنها وجمالها، ثم دخلت عليه فاطمة، فقالت: يا أمير المؤمنين، إنك كنتَ سألتَني فلانة، فأبيتُ عليك، والآن فقد طابَتْ نفسي لك بها، فدُونَكَها. فاستبانَت الفرح في وجهه، وقال: أرسلي بها إليّ. فأرسلت بها، فلمَّا دخلت عليه نظر إلى شيءٍ أعجبَه، فازدادَ بها عَجَباً وقال لها: ألقي ثوبك. فلما همَّت أن تفعل؛ قال لها: على رِسْلِكِ، أخبريني، لمن كنتِ؟ ومن أين وصلتِ إلى فاطمة؟ قالت: كنتُ لعاملٍ من عمال الكوفة، فأغرمه الحجَّاج أموالَه واستصفاه، فأُخذتُ في رقيقه، فبعثَ بي الحجاج إلى عبد الملك مع المال والرقيق، وأنا يومئذٍ صبيَّة، فوهبني عبدُ الملك لابنته فاطمة. قال:

---

(١) كذا في النسخ، وجاء فيها بعدها غير (ص): كسد.

فما فعل ذلك العامل؟ قالت: هلك. قال: وما ترك ولداً؟ قالت: بلى. قال: وما حالُهم؟ قالت: سيِّئة. فقال لها: شُدِّي عليك ثوبكِ.

ثم كتب إلى عامله عبد الحميد بالكوفة أنْ سَرِّحْ إليَّ فلانَ بنَ فلان على البريد. فسَرَّحه إليه، فلما دخلَ عليه قال له: ارْفَعْ إليَّ جميع ما أغرم الحجاجُ أباك. فلم يرفع شيئاً إلا دفعه إليه، ثم دفع إليه الجارية، وقال: إيَّاك وإيَّاها، فإنها حديثةُ السنّ[١]، ولعل أباك قد ألَمَّ بها. فقال الغلام: هي لك يا أمير المؤمنين. فقال: لا حاجة لي فيها. قال: فابْتَعْها مني. قال: لستُ إذَنْ ممَّن ينهى النفس عن الهوى ويأتيه. فقالت الجارية: فأين مَوْجِدتُك بي يا أمير المؤمنين؟! فقال: إنها لعلى حالها، ولقد ازدادت. فأخذَهَا الغلام ومضى، ولم تزل الجارية في نفس عمر رحمه الله حتى مات[٢].

أنشد العبَّاس بن علي الهاشمي:

وإني وصبري عنك والشوقُ نارُهُ ... تَوَقَّدُ في الأحشاء أيَّ تَوَقُّدِ
لكالحائم المَهْنُوع رُدَّ شرابهُ[٣] ... ومضْطبرٍ للقتلِ من كفِّ معتدي
وراكبِ هَوْلٍ وهو يعلمُ ما الذي ... يجيءُ به في عُقْبِه اليومَ أو غَدِ
وهل هو إلا أن أموتَ صَبابةً ... وشوقاً ولم يغلب هواك تجلُّدي[٤]

ذكر معاتبة بني أمية إيَّاه لما ردَّ المظالم:

قال هشام بن محمد: اجتمعَ ببابه أعيانُ بني أمية، ومنهم مَسْلَمة بنُ عبد الملك، ومَسْلَمة بن سعيد بن العاص، فقال مسلمة بنُ سعيد لمسلمة بن عبد الملك: يا أبا سعيد، ما تقول في هذا الأمر الذي نحن فيه؟ قال: تلجؤون إلى الصبر إلى أن تنقضيَ

---

(١) كذا في النسخ. وفي «اعتلال القلوب» للخرائطي ص ٦٢ : فإنك حديث السنّ. وهو الأشبه.

(٢) اعتلال القلوب ص٦١-٦٢. وأخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٥٤/ ١٥٨-١٥٩ مختصراً. وينظر «البداية والنهاية» ١٢/ ٦٩٦-٦٩٧ .

(٣) كذا في (ب) و(خ) و(د)، والمهنوع: من الهَنَع وهو انحناء القامة، أي: عُطف بعضه على بعض. وفي «اعتلال القلوب» ص٦٣ : الممنوعِ بَرْدَ شرابِهِ. وهو الأشبه.

(٤) اعتلال القلوب ص ٦٣ .

مدَّةُ هذا الرجل الذي بعثه الله عقوبة لكم بذنوبكم. فقال: لقد أجَّلتنا إلى أمد بعيد تفنى دونه أعمارُنا وأموالُنا، قوموا بنا ندخلْ عليه.

وأخبره الحاجب بمكانهم. فقال: قد علمتُ الأمر الذي اجتمعوا لأجله، أدخِلْ عليَّ زعيمَهم، فواللهِ لا انصرفوا إلا بما يُسَوِّدُ وجوهَهم.

فدخل مسلمة بن سعيد، فسلَّم وجلس، وأخذ يُثني عليه، فقال له: دع هذا، وخُذْ فيما جئتَ له. فقال: إنَّ الأمر قد أفضى بأهل بيتك إلى حال يرثي لهم منه العدوّ. فقال: هيهات! تلك أَثَرَةٌ حملَها المعتدون على كاهل الدين، فأوقروه، واللهِ ما ازدَدْتُ لهم نَظَراً إلا زاد البلاء عليهم ثقلاً.

قال مسلمة: فادفَعْ إلينا صكاك قطائعنا من خلائفنا. فقال عمر ﷺ: أذْكَرْتَني الطعن، وكنتُ ناسياً، يا جارية، هاتِ صندوق السجلَّات. فجاءت بصندوق، ففتحَه، وأخرج السجلَّات، فجعل يقطِّعُها سجلًّا سجلًّا. فقال له مسلمة: واللهِ لا نصبرُ على هذا. فقال: بلى واللهِ لتصبرَنَّ غير مكرم في دنيا، ولا مأجور في دين. فقال مسلمة: أراحنا الله منك. فقال له عمر ﷺ: لا ضير، هلمَّ يدي بيدك حتى نوافيَ الموسم، فأجعلُها للمسلمين يختارون لأنفسهم ما شاؤوا. فقال مسلمة: واللهِ ما يمنعُني ما يسوءني بأهل بيتي أن أقولَ فيك الحقَّ، واللهِ ما يعدلون بها عنك. فقال له: إنَّ للهِ في بني مروان ذَبْحاً، ووَدِدْتُ أنه كان على يدي.

فلما بلغَ قومَه ذلك؛ كَفُّوا عنه لما يعلمون من صرامته[1].

ذكر شيء من كلامه:

قال أبو سريع الشامي: زار عمر بن عبد العزيز قبور آبائه، ثم رجع باكياً، فقيل له: ما الذي أبكاك؟ فقال: خاطبني التراب، فقال: ألا تسألني عن ما فعلتُ؟ قال: قلتُ: ما صنعتَ؟ قال: فَصَلْتُ الكفَّين عن الساعدين والقدمين عن الساقين، وفعلتُ وفعلتُ. ثم قال: ألا أدلُّك على ثوب لا يَبْلَى؟ قلت: بلى. قال: التقوى[2].

---

(١) تاريخ دمشق ٦٧/ ١٤٦_١٤٧ (طبعة مجمع دمشق ـ ترجمة مسلمة بن سعيد) دون قوله آخره: فقال له إن لله في بني مروان ذبحاً...إلخ. وقد ورد نحوه في خبر آخر في «أنساب الأشراف» ٧/ ٧٠.

(٢) ينظر: الهواتف ص٤١، وحلية الأولياء ٥/ ٢٦٤، وتاريخ دمشق ٥٤/ ١٩٠، والبداية والنهاية ١٢/ ٧٠٤.

هذا خطاب بلسان العِبْرة والموعظة والحال، لا بلسان الحقيقة والمقال.

وقال: قال عمر ﷺ لرجل من جلسائه: يا فلان، لقد أرِقْتُ الليلةَ مفكِّراً. قال: فيم؟ قال: في القبر وساكنه، إنك لو رأيتَ الميِّتَ في قبره بعد ثلاث لاستوحشتَ منه بعد طُول الأُنس، فإنك ترى الهوامَّ والصديد، مع نتن الريح، وبِلَى الأكفان بعد حُسن الهيئة. ثم شهقَ وغُشيَ عليه، فقالت فاطمة لمولاه مزاحم: أَخْرِجْ هذا الرجل عنَّا. وجعلت تصبُّ الماء على وجهه وتبكي وتقول: ليت حِيلَ بيننا وبين هذا الأمر، فواللهِ ما أصبنا خيراً منذ وقعنا فيه. فأفاق، فرآها تبكي، فقال: ما الذي بكِ؟ فقالت: ذكرتُ مصرعَك بين يدي الله، وفراقَنا لك، فذلك الذي أبكاني. فقال: حسبُكِ يا فاطمة، فقد أبلغْتِ. ثم مال فسقط، قالت: فضممتُه إلى صدري وقلت: بأبي أنتَ وأمي، ما نستطيعُ أن نكلِّمك بكلِّ ما نجدُ لك في صدورنا. فلم يزل على حاله حتى حضرت الصلاة، فناديتُه، فانتبَهَ فَزِعاً[(١)].

ذكر جماعة من الوافدين عليه من الشعراء وغيرهم:

لما استُخلف عمرُ بنُ عبد العزيز ﷺ؛ وفدَ عليه الشعراء، فأقاموا ببابه مدَّة لا يصلون إليه، وكانوا جماعة؛ منهم جرير، والفرزدق، وعمرُ بن عبد الله بن أبي ربيعة[(٢)]، والأخطل، والأحوص، وكُثيِّر عَزَّة، ونُصَيْب، وغيرهم.

فمرَّ بهم عَوْنُ بنُ عبد الله بن عُتبة بن مسعود الهُذَليّ، فناداه جرير فقال:

يا أيُّها الرجلُ المُرْخِي عِمَامَتَهُ   هذا زمانُك إني قد مضى زمني
أَبْلِغْ خليفتَنا إنْ كنتَ لاقِيَهُ   أنّي لَدَى البابِ كالمصفود في قَرَنِ
لا تنسَ حاجتَنا لَقِيتَ مغفرةً   قد طالَ مُكْثِيَ عن أهلي وعن وطني

قال كُثَيِّر[(٣)]: قدمتُ أنا والأحوص ونُصَيْب على عمر، وكلُّ واحدٍ منَّا يُدِلُّ بسابقته عندَه، فكان أوَّلَ مَنْ لقِينا مَسْلَمةُ بنُ عبد الملك، وهو يومئذ فتى العرب، وكلٌّ منَّا ينظر في عِطْفَيْه، لا يظنُّ أنه شريكُ الخليفة، فأنزَلَنا مسلمةُ عنده، وأحسنَ ضيافتنا، وأكرمَ

(١) حلية الأولياء ٥/ ٢٦٨_٢٦٩، وتاريخ دمشق ٥٤/ ١٩٠، والبداية والنهاية ١٢/ ٧٠٤_٧٠٥.
(٢) في ذكر عمر بن أبي ربيعة في هذا الخبر نظر، فقد مات سنة (٩٣) واستُخلف عمرُ بنُ عبد العزيز ﷺ سنة (٩٩).
(٣) هذا مطلع رواية أخرى غير التي قبلها، وقد جمع المصنف (أو المختصر) بينهما، لكنه وقع في ذلك تناقض فيما جرى للأحوص فيهما. ينظر: الأغاني ٩/ ٢٥٧، والعقد الفريد ٢/ ٩١، والمنتظم ٧/ ٣٥-٤٢ (وفيه الروايتان).

مثوانا، ثم قال: أما علمتُم أنَّ إمامَكم لا يُعطي الشعراء شيئاً؟ فقلنا: قد جئنا الآن، فافتح لنا في هذا وجهاً.

فأقمنا ببابه أربعة أشهر، ومسلمةُ يستأذنُ لنا، ولا يأذن.

قال: فأتيتُ يومَ جمعة وعمرُ يخطب، فقال في خطبته: لكلِّ سفرٍ زادٌ لا مَحالة، فتزوَّدُوا من الدنيا إلى الآخرة، وكُونوا كمن عاينَ ما أعدَّ اللهُ [له] من ثوابه وعقابه، فعملَ طلباً لهذا وخوفاً من هذا، ولا يطولَنَّ عليكم الأَمَدُ فتقسُوَ قلوبُكم، وتنقادُوا لعدوِّكم، أعوذُ بالله أن آمرَكم بما أنهى عنه نفسي، فتخسرَ سَفْقَتي[1]، فارتجَّ المسجدُ بالبكاء، وبكى عمر حتى بلَّ ثوبَه.

قال كُثَيِّر: فجئتُ إلى أصحابي وقلتُ: جدِّدُوا له من الشِّعر غيرَ ما أعدَدْتُم، فليس الرجل بدنياوي.

قال كُثَيِّر: ثم استأذنَ لنا مسلمةُ وقال: يا أمير المؤمنين، الشعراء ببابك منذ مدَّة[2]، وإن سهامَهم مسمومة، وقد مُدح رسولُ الله ﷺ بالشِّعر، وأجاز عليه، فأعطى كعبَ بنَ زهير حُلَّة، وأعطى العبَّاس بن مِرْداس ما قطعَ به لسانَه. فقال عمر: مَنْ بالباب منهم؟ فقال: عمر بنُ عبد الله بن أبي ربيعة. فقال: أليس هو القائل:

ثم نَبَّهْتُها فهَبَّتْ كَعاباً ... طَفْلَةً ما تُبينُ رَجْعَ الكلامِ
ساعةً ثم إنَّها بعدُ قالَتْ ... وَيْلَتا قد عَجِلْتَ يا ابنَ الكرامِ
أعلى غير موعدٍ جئتَ تسعى ... تتخطَّى إليَّ رُوسَ النِّيامِ

فلو كان عدوُّ الله إذ فَجَر؛ ستَرَ على نفسه لكان، واللهِ لا دخلَ عليَّ أبداً.

ثم قال: مَنْ بالباب غيرُه؟ قال: هُمام بن غالب - يعني الفرزدق - فقال: أليس هو القائل:

هما دَلَّتاني من ثمانين قامةً ... كما انقضَّ بازٍ أقتَمُ الريشِ كاسِرُهْ
فلما استوَتْ رِجْلايَ بالأرض قالتا ... أحيٌّ فيُرْجى أم قتيل نُحاذِرُهْ

(١) في «الأغاني» ٩/ ٢٥٧: صَفْقَتي (تقال بالسين أو الصاد) أي: بيعتي.

(٢) القائل هو عديّ بن أرطاة، وليس مسلمة، وهذا الكلام حتى نهاية ذكر دخول جرير على عمر رضي الله عنه من رواية غير التي قبلها، وقد جمع بينهما المصنف كما ذكرتُ قبل تعليق، وتنظر الروايتان في «المنتظم» ٧/ ٣٥-٤٢.

لا والله، لا وطئ لي بساطاً أبداً. مَنْ بالباب غيره؟ قال: الأخطل. قال: أليس هو القائل:

ولستُ بصائمٍ رمضانَ طَوْعاً ... ولستُ بآكلٍ لحم الأضاحي
ولستُ بزائرٍ بيتاً بعيداً ... بمكةَ أبتغي فيه صلاحي
ولستُ بقائمٍ كالعيرِ أدعو ... قُبيلَ الصُّبحِ حيَّ على الفلاحِ
ولكنِّي سأشربُها شَمولاً ... وأسكَرُ عند مُنْبَلَجِ الصباحِ

واللهِ لا يدخلُ عليَّ وهو كافرٌ أبداً. ثم قال: مَنْ بالباب غيره؟ قال: الأحوص. قال: أليس هو القائل:

اللهُ بيني وبين سيِّدها ... يَفِرُّ منِّي بها وأتَّبِعُهْ

لا يدخل عليَّ.

ثم قال: مَنْ بالباب غيره؟ قال: جميل بن معمر. قال: أليس هو القائل:

أيا ليتنا نحيا جميعاً وإنْ أَمُتْ ... يوافقُ في[1] الموتى ضريحي ضريحُها
فما أنا في طُول الحياة براغبٍ ... إذا قيل قد سُوِّي عليها صفيحُها

فلو كان عدوُّ الله تمنَّى لقاها في الدنيا لعلَّ يعملُ بعدَها صالحاً لكان، واللهِ لا يدخلُ عليَّ أبداً.

ثم قال: مَن بالباب غيره؟ قال: جرير بن عطيَّة. قال: أليس هو القائل:

طرقَتْكَ صائدةُ القلوبِ فليس ذا ... وقتُ الزيارة فارْجِعي بسلامِ

إن كان ولابدَّ فليدخُلْ هو.

فدخل جرير وهو يقول:

إن الذي بعثَ النبيَّ محمداً ... جعلَ الخِلافةَ في الإمامِ العادلِ
وسعَ الخلائقَ عدلُه ووفاؤُهُ ... حتى ارْعَوَى وأقامَ مَيْلَ المائلِ
ولقد منعتَ بما صنعتَ[2] تحرُّجاً ... مَكْسَ العشورِ على جسور الساحلِ
إنـي لآمُلُ منك خيراً عاجلاً ... والنفسُ مُولَعةٌ بحبِّ العاجلِ

---

(١) في «ديوان» جميل ص ٥١: يوافي لدى.

(٢) في «ديوان» جرير ص ٣٣١: ولقد نفعتَ بما منعتَ.

والـلـهُ أنـزلَ فـي الـكـتـابِ فـريـضـةً لابـنِ الـسـبـيـلِ ولـلـفـقـيـرِ الـعـائـلِ

ثم وقف بين يديه، فقال له عمر رضي الله عنه: يا جرير، اتَّقِ الله، ولا تَقُلْ إلا حقّاً. فقال:

أَأَذْكُرُ الجَهْدَ والبلوى التي شملَتْ أم أكتفي بالذي أُنبئتَ من خَبَرِي

كم باليمامة من شعثاءَ أرملةٍ ومن يتيمٍ ضعيفِ الصوتِ والبصرِ

فمَن يُرَجَّى له من بعدِ والدِه[1] كالفرخ في العُشِّ لم ينهض ولم يَطِرِ

فبكى عمر بن عبد العزيز حتى بلَّ الأرض بدموعه. ثم قال جرير:

يدعوك دعوةَ ملهوفٍ كأنَّ به خَبْلاً من الخوفِ أو شيئاً من الشَّررِ[2]

ما زِلْتُ بعدَك في هَمٍّ يؤرِّقُني قد طالَ في الحيِّ[3] إصعادي ومنحدري

الخيرُ ما دُمْتَ حيّاً لا يفارقُنا بُوركتَ يا عُمرَ الخيراتِ من عُمرِ

زانَ[4] الخلافةَ إذْ كانَتْ له قَدَراً كما أَتَى ربَّه موسى على قَدَرِ

هذي الأراملُ قد قَضَيْتَ حاجتَها فمن لحاجةِ هذا الأرملِ الذكَرِ

فقال له عمر: يا جرير، إني لا أرى لك حقّاً ههنا، إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ الآية[التوبة: ٦٠] فمن أيِّ الأصناف أنت؟ قال: أنا ابنُ سبيلٍ منقَطَعٌ به. قال: أولستَ ضيفَ أبي سعيد[5]؟ يعني مسلمة. قال: بلى. قال: ما كنتُ أحسب أن ضيفَه يكون منقَطَعاً به، وما أرى لك حقّاً. قال: يا أمير المؤمنين إني فقير. قال: لا من أبناء المهاجرين، ولا من أولاد الأنصار، ولا من أولاد التابعين. فقال مسلمة: يا أمير المؤمنين، قد عوَّده الخلائف الإحسان، وإنَّ مثل لسانه ليُتَّقى. فقال: يا جرير، عندي عشرون ديناراً، وأربعة أثواب. فدفعها إليه، فلما خرج قال له الشعراء: ما وراءَك؟ قال: إمام يعطي الفقراء، ويمنع الشعراء[6].

(١) بدل هذا الشطر في «الديوان» ص ٢١١، و«العقد الفريد» ٢/ ٩٥ : ممَّن يعدُّك تكفي فَقْدَ والدِهِ.

(٢) في الديوان»: خَبْلاً من الجنِّ أو خبلاً من النَّشَرِ.

(٣) في «الديوان»: مازلتُ بعدك في دار تعرَّقني قد عيَّ بالحيِّ...

(٤) في «الديوان» ص ٢١١، و«العقد الفريد» ٢/ ٩٦، و«مختصر تاريخ دمشق» ٦/ ٤٨ : نال.

(٥) في (ب) و(خ) و(د) (والكلام منها): أبي شاكر. وهو خطأ.. وينظر «الأغاني» ٩/ ٢٥٨ .

(٦) هنا تنتهي إحدى روايتي الخبر، وما بعده تتمة الرواية الأخرى، وقد جمع المصنف بينهما، وقد سلف الكلام عليه.

ثم قال عمر: مَنْ بالباب؟ قال مسلمة: كُثيِّر. قال: فليدخل. فلما دخل سلَّم عليه بالخلافة وقال: يا أمير المؤمنين طال الثَّواء، وقلَّت الفائدة[١]، وتحدَّثت وفودُ العربِ بجفائك إيَّانا. فقال له عمر رضي الله عنه: يا كُثيِّر، اتَّقِ الله، ولا تقلْ إلا حقّاً.

فقال:

وَلِيتَ فلم تَشْتُمْ عليّاً ولم تُخِفْ ... بريئاً ولم تسمع مقالةَ مجرمِ
تكلَّمتَ بالحقِّ المبين وإنَّما ... تَبَيَّنُ آياتُ الهدى بالتكلُّمِ
وقلتَ فصَدَّقْتَ الذي قلتَ بالذي ... فعلتَ فأمسى رايشاً كلُّ مسلمِ
ألا إنَّما يكفي الفتى بعد بُرْهَةٍ ... من الأَمَدِ الباقي ثِقافُ المُقَوِّمِ
وقد لَبِسَتْ لُبْسَ الملوك بِبابِها ... وأبدَتْ لك الدُّنيا[٢] بكفٍّ ومِعْصَمِ
وتُومِضُ أحياناً بعينٍ مريضةٍ ... وتَبْسِمُ عن مثلِ الجُمانِ المُنَظَّمِ
فأعرضْتَ عنها مشمئزّاً كأنَّما ... سقَتْكَ مَدُوفاً[٣] من سِمامٍ وعلقمِ
فما زِلْتَ سَبَّاقاً[٤] إلى كلِّ غايةٍ ... صعدت بها أعلى البناء بسلَّمِ[٥]
تركتَ الذي يفنى وإنْ كان مُونِقاً ... وآثرتَ ما يبقى برأيٍ مصمِّمِ
فما بينَ شرقِ الأرضِ والغربِ كلِّها ... منادٍ ينادي من فصيحٍ وأعجمِ
يقولُ أميرَ المؤمنين ظلمتَني ... بأخذٍ لدينارٍ ولا أخْذِ درهمِ
فلو يستطيع المسلمون لقسَّموا[٦] ... لك الشطر من أعمارهم غير نُدَّمِ
فعشتَ لنا ما حجَّ للهِ راكبٌ ... مُغِذٌّ مُطيفٌ بالمقام وزَمْزَمِ
فأَرْبِحْ بها من صفقةٍ لمبايعٍ ... وأعْظِمْ بها أعْظِمْ بها ثم أعْظِمِ

ثم قال: مَنْ بالباب؟ فقال: الأحوص. فأَذِنَ له، فدخل فقال[٧]:

---

(١) في (ب): العائدة.

(٢) في «ديوان» كُثيِّر ص ٣٤٤: وقد لبست لبس الهَلُوك ثيابها تراءى لك الدنيا... وينظر «الأغاني» ٩/ ٢٥٨.

(٣) أي: مخلوطاً.

(٤) في «الديوان» ص ٣٤٥: توّاقاً.

(٥) في «الديوان»: بلغتَ بها أعلى البناء المقدَّم.

(٦) في «الأغاني» ٩/ ٢٥٩، و«الديوان» ص ٣٤٦: تقسَّموا. وينظر «العقد الفريد» ٢/ ٨٩.

(٧) سلف أن عمر رضي الله عنه لم يأذن للأحوص بالدخول عليه. ووقع هذا التناقض بسبب جمع روايتين للخبر كما سلف الكلام عليه.

وما الشعرُ إلا خطبةٌ من مؤلِّفٍ — لمنطقِ حقٍّ أو لمنطق باطلِ[(١)]
فلا تقبلَنْ إلا الذي وافق الرِّضى — ولا تَرْجِعَنَّا كالنساء الأراملِ
ولولا الذي قد عَوَّدَتْنَا خلائفٌ — غطاريفُ كانوا كالليوث البواسلِ[(٢)]
لَمَا وَخَدَتْ شهراً بِرَحْليَ جَسْرةٌ[(٣)] — تَقُلُّ متونَ البيدِ بينَ الرَّواحلِ
ولكنْ رَجَوْنا منك مثلَ الذي به — صُرِفْنا قديماً من ذَوِيك الأفاضلِ
رأيناك لم تَعْدِلْ عن الحقِّ يَمْنَةً — ولا يَسْرَةً فِعْلَ الظَّلُومِ المُخاتِلِ
ولكن أخذتَ القصدَ جَهْدَكَ كلَّه — تقومُ مقامَ[(٤)] الصالحين الأوائلِ
فإن لم يكن للشعر عندك موضعٌ — وإن كان مثلَ الدُّرِّ من قول قائلِ
فإنَّ لنا قربى ومحضَ مَوَدَّةٍ — وميراثَ آباءٍ مَشَوْا بالمَناصلِ
وذادُوا عدوَّ السِّلْمِ عن عُقْرِ دارِهم — فأرْسَوْا عمودَ الدينِ بعد التمايلِ
فقبلَكَ ما أعطى الهُنَيْدةَ جِلَّةً[(٥)] — على الشعر كعباً[(٦)] من سَدِيس وبازلِ[(٧)]
رسولُ الإلهِ المصطفى بنبوَّةٍ — عليه سلامٌ بالضُّحى والأصائلِ
وكلُّ الذي عَدَّدْتُ[(٨)] يكفيك بعضُهُ — وقُلُّكَ[(٩)] خيرٌ من بُحورِ السوائلِ[(١٠)]

فقال له عمر رضي الله عنه: إنَّ اللهَ يسألُك عمَّا قلتَ.

---

(١) في «العقد الفريد» و«الأغاني» ٩/ ٢٥٩ : بمنطق حقّ أو بمنطقِ باطلِ.

(٢) في (ب) و(خ) و(د) (والكلام منها): البوازل. والمثبت من المصادر السابقة إضافة إلى «الشعر والشعراء» ١/ ٥٠٧ .

(٣) وَخَدَتْ، أي: أسرعت ووسَّعت الخطو. والجَسْرة: العظيمة من الإبل. ووقع في «الشعر والشعراء»: رَسْلَةٌ، وفي «العقد الفريد» ٢/ ٩٠ : شِمِلَّةٌ. والمعنى متقارب.

(٤) في «العقد» و«الأغاني»: وتقفو مثال. وفي «الشعر والشعراء»: تقدُّ مثال.

(٥) الهُنَيْدة: المئة من الإبل، والجِلَّة: المَسَانُّ منها.

(٦) يعني كعب بن مالك. ووقع في (ب) و(خ) و(د) (والكلام منها): قدما(؟) والمثبت من المصادر.

(٧) السَّدِيس من الإبل: ما دخل في الثامنة. والبازل: البعير الذي طلع نابُه وذلك في السنة الثامنة أو التاسعة.

(٨) في (ب) و(خ) و(د) (والكلام منها): أوعدت(؟) والمثبت من «الشعر والشعراء» ١/ ٥٠٧ ، و«الأغاني» ٩/ ٢٦٠ .

(٩) أي: القليل منك.

(١٠) في «الشعر والشعراء»: بُحورِ سوائلِ.

ودخل عليه نُصَيْب، وكنيتُه أبو مِحْجَن، وهو مولى عبد العزيز بن مروان، فقال له: يا أمير المؤمنين، قد عرفتَ انقطاعي إلى أبيك. ثم استأذنَه في الإنشاد، فلم يأذن، فغضب، فأمره باللحاق بدابِق[١] للغزو، ثم قال لمولاه مُزاحم: ما عندك؟ ما غلَّتي بالحجاز؟ قال: خمسون درهماً. قال: ادفَعْها إليه. فقال نُصيب: إني قد علفتُ دابَّتي بأكثرَ من هذا! فقال: أعطِهِ ثيابَ الجُمعة. فأعطاه إيَّاها[٢].

قال الهيثم: ولما أنشد الشعراء، قال لهم: واللهِ ما عندي ما أُعطيكم، فانتظِرُوا عطائي. فلما خرج؛ أعطى كلَّ واحد منهم ثلاث مئة درهم، وأمر لنُصيب بمئة وخمسين.

قال الأحوص: فواللهِ ما رأيتُ عطاءً أكثر بركةً منها. فاشتريتُ بها وصيفةً، فبعتُها بألف دينار[٣].

وقال دُكين الشاعر: مدحتُ عمر بن عبد العزيز وهو والي المدينة، فأمر لي بخمس عشرة ناقةً كرائمَ، فقَدِمَتْ رُفْقَةٌ من مصر، فسألتُهم الصحبة، فأتيتُه فودَّعتُه، فقال: يا دُكين، إنَّ لي نفساً توَّاقة، فإنْ صِرْتُ إلى غير ما أنا فيه فائْتِني ولك الإحسان. قال: وكان عنده شيخان لا أعرفُهما، فقلت لأحدهما: مَنْ أنتَ؟ قال: سالم بن عبد الله بن عُمر، وقال الآخر: أنا أبو يحيى مولى الأمير. قال: وخرجتُ إلى مصر بالنُّوق، فجعل الله فيهنَّ البركة حتى اقتنيتُ منهنَّ الإبل والعبيد.

فأنا ذات يوم بصحراء بَلْخ[٤]؛ إذا بِناعٍ يَنْعَى سليمان بن عبد الملك، فقلت: ومَنْ قام بعدَه؟ قالوا: عُمر. فتوجَّهتُ نحوه، فلقِيَني جرير الشاعر مقبلاً، فقلت: من أين أقبلت؟ قال: من عند من يعطي الفقراء، ويمنع الشعراء، فانطلقت إلى خُناصرة[٥]، وإذا به في عرصة الدار، وقد أحاط به الناس، فلم أخلص إليه، فناديت:

---

(١) قرية على أربعة فراسخ من حلب.

(٢) ينظر إضافة إلى ما سبق: «تاريخ دمشق» ١٧/ ٥٥٦ (مصورة دار البشير ـ ترجمة نُصيب).

(٣) الأغاني ٩/ ٢٦٠ .

(٤) في «الأغاني» ٩/ ٢٦١ : فَلْج.

(٥) بُليدة من أعمال حلب تحاذي قِنَّسرين. معجم البلدان ٢/ ٣٩٠ .

يـا عُـمـر الـخـيـراتِ والـمـكـارمِ وعُـمـرَ الـدَّسـائـعِ[١] الـعـظـائـمِ
إنـي امـرؤٌ مـن قَـطَـن بـنِ دارمِ أطـلـبُ دَيْـنـي مـن أخـي مَـكـارِمِ
شـهـادتـي والـلـهُ خـيـرُ عـالـمِ عـنـد أبـي يـحـيـى وعـنـد سـالـمِ

فقام أبو يحيى فقال: يا أمير المؤمنين، لهذا البدويّ عندي شهادةٌ. فقال عُمر: أعرفُها. ثم قال: يا دُكين، ادْنُ منّي. فدنوتُ منه فقال: أنا كما قلتُ لك، لي نفسٌ توّاقة لم تزل تتوق إلى الإمارة حتى نلتُها، فتاقَتْ إلى غاية ما في الدنيا، وهي الخلافة، وها هي تتوق إلى الآخرة.

ثم قال: والله ما رزأتُ من أموال المسلمين شيئاً، وما عندي إلا هذه الألف درهم، فخُذْها. فأخذتُها، فبارك الله لي فيها.

وأنشد عمر ﵁ يوماً قول الأحوص:

سيبقى لها في مضمر القلب والحَشَا[٢]

فقال: قاتله الله ما أغفله عن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾[الطارق: ٩].

ونفى الفرزدق من مسجد رسول الله ﷺ وقال: أيُنْشِدُ الهجوَ بحضرة رسول الله ﷺ؟!

وقال أبو سريع الشامي: قدم وفد من أهل العراق لما استخلف عمر وفيهم غلام فتكلَّم، فقال عمر: الكبيرَ الكبيرَ.فقال: يا أمير المؤمنين، لو كان الأمرُ بالكِبَر؛ لكان في هذه الأمة من هو أكبر سنّاً منك، وإنَّما المرءُ بأصغرَيْهِ قلبِه ولسانِه. قال: صدقت، تكلَّم. قال: نحن وفدُ الشكر، لا وفدُ الرَّهبة والرغبة، أما الرغبة فقد أَتَتْ إلينا منك في بلادنا، وأما الرهبة فقد أمنَّا بعَدْلِك من جَوْرك، فالحمد لله الذي منَّ علينا بك. فقال عمر: يا غلام، عِظْني وأَوْجِزْ. فقال: إن أناساً غرَّهم حلمُ الله عنهم، وحُسنُ الثناء عليهم، وطولُ آمالهم، فلا يغرَّنَّك ذلك فتزلَّ قدمُك[٣].

---

(١) جمع دَسِيعة، وهي العطيَّة.

(٢) وعجزه: سريرةُ حبٍّ يوم تُبلى السرائر. والخبر بنحوه في «أنساب الأشراف» ٧/ ١٤٥ .

(٣) مروج الذهب ٥/ ٤٢٧ـ٤٢٨ ، وبنحوه في «أنساب الأشراف» ٧/ ٧٤ .

وأنشد عمر:

تَعلَّمْ فليسَ المرءُ يُولَدُ عالماً ... وليس أخو علم كمن هو جاهلُ
وإن كبيرَ القومِ لا عِلْمَ عندَهُ ... صغيرٌ[1] إذا التفَّتْ عليه المحافلُ[2]

وقال: وفد خالد بن صفوان بن الأهتم على عمر ﷺ، فقال: يا ابنَ الأهتم، عِظْني وأَوجِزْ. وكان عمر على سرير، فقال خالد: إن أقواماً غرَّهم سترُ الله عليهم، وفتنَهم حسنُ الثناء، فلا يغلبنَّ جهلُ غيرك بك علمَك بنفسك، وإنه ليس أحدٌ من آبائك دون آدم إلا وقد ذاق الموت. فجعل عمر يبكي وابن الأهتم يعظُه، فنزل عمر من سريره، وجلس على الأرض بين يديه وابن الأهتم يقول: وأنت يا عُمر من أولاد الملوك الذين غُذُوا بالنعيم لا يعرفون غيره، وعمر يبكي وقد جثا على ركبتيه وهو يقول: يا ابنَ الأهتم، هيه هيه. فلم يزل يعظه حتى غُشِيَ عليه[3].

وقال: قدم أبو حازم المدني على عمر بن عبد العزيز ﷺ، فلم يعرفه، وعرفَه عُمر، فناداه: يا أبا حازم، ادْنُ منّي. قال أبو حازم: فدنوتُ منه، فقال: ما أراك تعرفني؟! فقلت: بلى، أنت أمير المؤمنين. قال: أجل. فقلت: ألم تكن عندنا أميرَ المدينة؟! قال: بلى. قلت: كان مركبُك وَطِيّاً، وثوبُك نقيّاً، ووجهُك بهيّاً، وطعامُك شهيّاً، وقصرك مَشِيداً، وخدمُك كثيراً؟! فما الذي غيَّرَك وقد صرتَ أمير المؤمنين؟! [قال:] فبكى وقال: يا أبا حازم، فكيف لو رأيتَني في قبري بعد ثلاث وقد سالَتْ حدقتاي على وجنتيّ، وجفَّ لساني، وانشقَّ بطني، وجالت الديدان في جسدي لكنت أشدَّ إنكاراً! أعِدْ عليَّ الحديث الذي حدثتني عن أبي هريرة بالمدينة. فقلت: حدثني أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بين أيديكم عَقَبةً كؤوداً مضرَّسة، لا يجوزُها إلا كلُّ ضامر مهزول» [قال] فبكى طويلاً، ثم قال: أما ينبغي لي أن أُضَمِّرَ نفسي لتلك العقبة لعلِّي أنجو منها، وما أظنني بناجٍ.

---

(١) في النسخ الخطية غير (ص) (فالكلام ليس فيها): صغيراً وأثبتُّ اللفظة على الجادَّة. وينظر «مروج الذهب» ٥/ ٤٢٨، و«الحماسة البصرية» ٢/ ٧٦، و«المستطرف» ١/ ١٠٧.

(٢) الخبر في «مروج الذهب» ٥/ ٤٢٧-٤٢٨، وبنحوه في «أنساب الأشراف» ٧/ ٧٤.

(٣) ينظر «تاريخ دمشق» ٥/ ٤٦٣-٤٦٤ (مصورة دار البشير - ترجمة خالد بن صفوان بن الأهتم). ومن قوله: ذكر جماعة من الوافدين عليه من الشعراء وغيرهم ... إلى هذا الموضع، ليس في (ص).

ثم غفا وتصبَّبَ عرقاً، وبكى في نومه بكاءً طويلاً حتى علا نحيبُه، ثم تبسَّم واستيقظ، فقلت: يا أمير المؤمنين، ما هذا البكاء والتبسُّم؟! فقال: إني أغفَيْتُ، فرأيتُ في منامي كأنَّ القيامةَ قد قامت والناس مئة وعشرون صفاً، أمَّةُ محمد ﷺ منها ثمانون صفاً ينتظرون الحساب، وإذا بمنادٍ ينادي: أين ابنُ أبي قُحافة؟ فجيء به، فحُوسب حساباً يسيراً، ثم أُمر به إلى ذات اليمين، ثم جيء بعمر وعثمان وعلي، ففُعل بهم كذلك، ثم نودي: أين عُمر بن عبد العزيز؟ فجيء بي، فُحوسبتُ على القليل والكثير والفتيل والنقير، وغُفر لي وأُمر بي ذات اليمين، فبكَيْتُ خوفاً، وتبسَّمتُ فرحاً، ومررتُ في طريقي بجيفة، فحركتُها برجلي وقلت: من أنت؟ فقال: الحجَّاج بنُ يوسف الثقفيّ. قلت: ما فعل الله بك؟ قال: قدمتُ عليه، فقتلني بكل قَتْلةٍ قتلتُ قَتْلَةً، وبقتلة سعيد بنِ جُبير سبعين قتلةً، فمن أنت؟ قلت: عمر بن عبد العزيز. قال: فما فعل الله بك؟ قلت: غُفر لي وللخلفاء الأربعة. قال: فالباقون؟ قلت: لا علم لي بهم. ثم قلت: ما تنتظر أنت ههنا؟ قال: أنتظرُ ما ينتظر الموحِّدون، إمَّا إلى الجنَّة وإمَّا إلى النار.

قال أبو حازم: فعاهدتُ الله أن لا أقطعَ لأحدٍ من أهل القبلة بجنَّةٍ ولا نار(١).

قال عمر لأبي حازم: ارفَعْ إليَّ حوائجَك. فقال: قد رفعتُها إلى من لا تُختزَلُ الحوائج دونه، فما أتاني منها قنعتُ، وما منعني منها رضيتُ، وإني نظرت في هذا الأمر فإذا هو شيئان؛ أحدهما لي، والآخر لغيري، فأمَّا ما كان لي فلو احتلتُ بكلِّ حيلة ما وصلتُ إليه قبل أوانه الذي قدِّر لي، وأمَّا الذي لغيري فلا أطمع فيه، وكما مُنع غيري من رزقي؛ فكذا مُنعتُ من رزق غيري، فعلام أُتعبُ نفسي(٢)؟!

(١) بعدها في (ص) ما صورتُه: قال بعض العلماء: وهذا عهد وجب على أبي حازم نقضه، فإنه لم يكن أورع من الحسن البصري. وينظر الخبر بتمامه ومختصراً في: «حلية الأولياء»٥/ ٢٩٩-٣٠٢، و«تاريخ دمشق» ٧/ ٤٥٦ (مصورة دار البشير - ترجمة سلمة بن دينار)، وذكره أيضاً آخر الكتاب ١٩/ ٢٤ (ترجمة أبي حازم الأسدي ولم يسمّه)، و«المنتظم» ٧/ ٤٣-٤٥. وورد بعض القصة بين عمر بن عبد العزيز، ومحمد ابن كعب القرظي. ينظر «طبقات» ابن سعد ٧/ ٣٦١، و«أنساب الأشراف»٧/ ١١٣، و«تاريخ دمشق»٦٤/ ١٩٦ (طبعة مجمع دمشق).

(٢) بنحوه في «المعرفة والتاريخ» ١/ ٦٧٩-٦٨٠ ، و«تاريخ دمشق» ٧/ ٤٦١ (مصورة دار البشير).

وقال سابق البربري: وفد يزيد بن أبان الرَّقاشي على عمر فقال له عمر: عِظْني. فقال: ليس بين الجنة والنار منزل. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣-١٤] فبكى عمر حتى سقط[1].

ويزيد الرَّقاشي من الطبقة الثالثة من التابعين، من أهل البصرة، كان قد صام ستين سنة، حتى ذبل جسمُه، وتغيَّر لونُه، وكان يبكي طول الليل ويقول: يا إخوتاه، تعالَوْا نبكي أيام الدنيا، وكان قد عطَّشَ نفسه ستين سنة، وكان لا يفطر إلا خمسة أيام[2]، ويقول: سبقني العابدون، وقُطع بي.

وكان يتقلَّبُ على الرَّمل في اليوم الحارّ ويقول: يا يزيد من يصوم عنك بعد الموت؟ من يصلِّي عنك؟ من يسترضي ربَّك لك؟ ثم بكى حتى سقطت أشفارُ عينيه.

وكان يقول: إلهي إن كنتَ أذنتَ لأحدٍ من المحبِّين أن يصلِّيَ ويصوم في قبره، فأْذَنْ لي.

وقال ثابت البُناني: ما رأيتُ أحداً أصبرَ على طول القيام والسهر من يزيد، وكان يقول في قصصه: يا معاشر مَن القبرُ بيتُه، والموتُ موعدُه، ألا تبكون؟!

وقيل له: أما تسأم من البكاء؟! فقال: وَدِدْتُ أن أبكيَ بعد الدموع دماً، ثم الصديد، يا إخوتي، إن لم تبكُوا؛ فارحموا الباكي.

وكان ينشد:

إنَّا لَنَفْرَحُ بالأيام نقطعُها ... وكلُّ يومٍ مضى يُدني من الأَجَلِ[3]

حدَّث عن أنس، والحسن البصريّ.

---

(١) بنحوه أطول منه في «الزهد الكبير» للبيهقي (٥٥١)، و«تاريخ دمشق» ١٨/ ٢٢٣ (مصورة دار البشير).

(٢) يعني يوم الفطر ويوم الأضحى وأيام التشريق الثلاثة. وقد روى هو الحديث فيه عن أنس بن مالك ﷺ أخرجه أبو يعلى في «المسند» (٤١١٧). ووقع في (ب) و(خ) و(د) (والكلام منها): إلا بعد خمسة أيام، وهو خطأ. وينظر «حلية الأولياء» ٣/ ٥٠، و«تاريخ دمشق» ١٨/ ٢٢٨ (مصورة دار البشير - ترجمة يزيد الرقاشي).

(٣) ينظر «تاريخ دمشق» ١٨/ ٢٢٧-٢٣٢ (مصورة دار البشير)، و«صفة الصفوة» ٣/ ٢٨٩-٢٩٠، و«تهذيب الكمال» ٣٢/ ٧٠-٧٤. ولعل أبا العتاهية أخذ البيت، فقد نسب الراغب الأصفهاني في «محاضرات الأدباء» ٤/ ٤٩ له: نظلُّ نفرح بالأيام نقطعها...إلخ، وأورده محقق «الديوان» في «تكملته» ص ٢١٨ عن الراغب.

وروى عنه الحسن أيضاً، وقتادة، وأبو الزِّناد، والأعمش، وحمَّاد بن سَلَمة، والرَّبيع بن صَبِيح، والأوزاعي، وغيرُهم.

وقد تكلَّموا فيه، فقال ابن سَعْد: كان قَدَريّاً ضعيفاً. وقال الإمام أحمد بنُ حنبل رضي الله عنه والبخاري: كان شعبة يتكلَّم فيه. وقال أبو أحمد بن عديّ: ليزيد الرَّقاشي أحاديثُ صالحةٌ عن أنس وغيره، وأرجو أنه لا بأس به لرواية الثقات عنه من البصريين والكوفيين وغيرهم.

وذكره الشيخ جمال الدين ابن الجوزيّ في «الصفوة» وأثنى عليه، وقال: شغله التعبُّد عن حفظ الحديث، فأعرضَت النَّقَلَةُ عمَّا يروي[1].

ذكر مكاتبات عمر رضي الله عنه إلى العلماء ومكاتباتهم إليه:

قال أبو عبيد: كتب الحسن البصريّ إلى عمر: أما بعد، فإنَّ الهولَ الأعظم ومُفْظِعاتِ الأمور أمامَك لم تقطع منها شيئاً بعد، وإنه لا بدَّ لك من مشاهدة ذلك ومعاينته؛ إمَّا بالسلامة، وإمَّا بالعَطَب. والسلام[2].

وقال رجاء بن حَيْوة: لما وليَ عمر رضي الله عنه الخلافة كتب إلى الحسن أن يكتبَ إليه بصفات الإمام العادل، فكتب إليه الحسن: أما بعد؛ فإن الله جعلَ الإمامَ العادل قِوَامَ كلِّ مائل، وقَصْدَ كلِّ جائر، وصلاحَ كلِّ فاسد، وقرَّة عين كلِّ ضعيف[3]، ومَفْزَعَ كلِّ ملهوف، والإمام العادل كالراعي الشفيق الذي يرتادُ لغنمه أطيبَ المراعي، ويذودُها عن مَراتع الهَلَكَة، والإمام العادل كالوالد الحاني على ولده، يسعى لهم صغاراً، ويعلِّمهم كباراً، يكسبُ لهم في حال حياته، ويدَّخرُ لهم بعد وفاته، والإمام العادل كالأمِّ البَرَّة الشفيقة على ولدها، والإمامُ العادل وصيُّ اليتامى، وخازنُ المساكين، يُربِّي صغيرَهم، ويَمُون كبيرَهم، والإمامُ العادلُ كالقلب بين الجوارح، تَصلح بصلاحه، وتفسدُ بفساده؛ فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملَّكك اللهُ كعبدٍ ائتمنه سيِّدُه

(١) ينظر: طبقات ابن سعد ٩/ ٢٤٤، علل أحمد ٣/ ٥٥، والتاريخ الكبير للبخاري ٨/ ٣٢٠، والكامل ٧/ ٢٧١٣، و صفة الصفوة ٣/ ٢٨٩-٢٩٠.

(٢) بنحوه في «إحياء علوم الدين» ٤/ ٥٦. وورد نحوه أيضاً ضمن كلام طويل للحسن البصري رضي الله عنه أخرجه عنه ابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» ص ١٦٦ (٤٠٤).

(٣) في «العقد الثمين» ١/ ٣٤: وقوة كلِّ ضعيف.

واستحفظَه في ماله وعيالهِ فبدَّد المال، وشَرَّدَ العِيال، وأفقر أهلَه، وضَيَّع مالَه، واعلم أنَّ الله أنزلَ الحدود ليزجر بها عن الفواحش، فكيف إذا أتاها مَنْ وَلِيَها؟! والله أنزلَ القَصاصَ حياةً لعباده، فكيفَ إذا قتلهم من يقتصُّ لهم؟!

واعلم أن لك منزلاً غير منزلك الذي أنت فيه يطولُ فيه ثواؤُك، ويُفارقُك أحبَّاؤك، ويُسلمونك في قعره فرداً وحيداً، تُقيم فيه إلى أن يُنفَخَ في الصُّور، ويُبعثرَ ما في القبور، ويُتحصَّلَ ما في الصدور، ثم تقوم إلى كتاب لا يغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها[١] ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾[عبس: ٣٤-٣٥] وأنت الآن في المَهَل، فلا تحكم قبل حلول الأجل وانقطاع الأمل في عباد الله بحكم الجاهلين[٢]، ولا تسلك سبيل الظالمين المتكبِّرين المتجبِّرين، فتبوءَ بأوزارهم مع أوزارك، وتحملَ أثقالاً مع أثقالك، ولا يغرَّنَّك الذين يتنعَّمون بما فيه بُؤْسُك، ويأكلون الطيباتِ في دنياهم بإذهاب طيِّباتِك في آخرتك، ولا تنظر على قدرك[٣] اليوم، وانظر إليه غداً وأنت مأسورٌ في حبائل الجبروت[٤]، واقفٌ بين يدي الله تعالى في مجمع الخلائق، ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾[طه: ١١١].

فاجعل كتابي هذا منك بمنزلة الطبيب الذي يشفي المريض بالأدوية الكريهة لما يرجو[٥] له من العافية الشافية، فإني لم آلُ نُصحاً، ولا ادَّخَرْتُ وُسْعاً، والسلام.

كتاب آخر منه:

قال رجاء بن حَيْوة: كتبَ الحسنُ إلى عُمر: أما بعد، فإنَّ الدنيا دارُ ظَعْن، وليست بدارِ إقامة، وإنما أُخرجَ إليها آدمُ عقوبةً له، ولها في كلِّ حين صَرْعَة[٦]، تُهين مَنْ

(١) قوله: لا يغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها؛ مقتبس من الآية (٤٩) من سورة الكهف.

(٢) عبارة «العقد الفريد» ١/ ٣٥ : وأنت في مَهَل قبل حُلول الأجل وانقطاع الأمَل. لا تحكم يا أمير المؤمنين في عباد الله بحكم الجاهلين...

(٣) في «العقد الفريد»: قدرتك.

(٤) في «العقد الفريد»: الموت.

(٥) لعلها صواب العبارة: يسقي المريض الأدوية الكريهة لما يرجو له... وهي بنحوها في «العقد الفريد» ١/ ٣٦.

(٦) في «حلية الأولياء» ٦/ ٣١٣: قتيل، بدل: صَرْعَة.

أكرمَها، وتُذلُّ مَنْ أعزَّها، وتصرعُ مَنْ آثرَها، ولها في كل وقت قتلى، فهي كالسُّمِّ؛ يأكلُه من لا يعرفُه وفيه حتفُه، فالغِنَى فيها فقرُها، والزادُ منها تركُها، فكن فيها كالمُداوي جُرحَه، يصبرُ على مُرِّ الدواء مخافةَ طولِ البلاء، يحتمي قليلاً مخافةَ ما يكرهُ طويلاً، فأهلُ الفضل منطقُهم فيها بالصواب، ومشيُهم بالتواضع، ومَطْعَمُهم الطَّيِّبُ من الرزق، مغمضي أبصارهم عن المحارم، فلولا الآجال التي كُتبت لهم ما تقارَّت أرواحُهم في أجسادهم خوفاً من العقاب، وشوقاً إلى الثواب، عَظُمَ الخالقُ في نفوسهم، فصَغُرَ المخلوقُ في عيونهم، فإيَّاك وهذه الخادعةَ القاتلةَ التي قد تزيَّنتْ بخَدْعِها، وقتلتْ بغرورها، وخَدَعت بآمالها، فأصبحت كالعروس المجلوَّة، فالعيونُ إليها ناظرة، والقلوبُ عليها والهة، والنفوس لها عاشقة، وهي لأزواجها قاتلة، فلا الباقي بالماضي يعتبر، ولا الآخِرُ بما رأى من أفعالها مُزْدَجِر، قد أبتِ القلوبُ لها إلا حُبّاً، والنفوس لها إلا عشقاً، ومن عشق شيئاً لم يلهم غيره ولم يعقل سواه، فإيَّاك وإيَّاها، واحذرها كل الحَذَر. وذكر كلاماً طويلاً(١).

وكتب إليه أبو حازم: احذَرْ أن تلقَى محمداً ﷺ وأنتَ بتبليغ الرسالة مصدِّق، وهو عليك بسوء الخلافة شهيد.

وكتب عمر رضي الله عنه إلى عديِّ بن أرطاة عامله على البصرة في عزل من كان من العمَّال من أهل الذِّمَّة، وأن لا يستعين بهم(٢).

وقال في كتابه: إنه يجب على المسلمين أن يضعوا من أهل الشرك ما وضعَ اللهُ منهم، وأن يُنزلوهم منزلتَهم التي أنزلَهم اللهُ بها من الذُّلِّ والصَّغار، ولا يشركوهم في أماناتهم، ولا يُسَلِّطوهم(٣) على أهل الإسلام فيُذلُّونهم.

وكتب عمر رضي الله عنه إلى سليمان بن أبي كريمة، وكان غازياً: إن أحقَّ العباد بإجلال الله وخشيته مَن ابتلاه بمثل ما ابتلاني [به]، ولا أحدَ أشدُّ حساباً ولا أهونُ على الله [إن عصاه] مني حيث ابتلاني، فادْعُ اللهَ لي، فإنك في معرض خير وإجابة(٤).

---

(١) ينظر «حلية الأولياء» ٦/ ٣١٣-٣١٤، و«إحياء علوم الدين» ٣/ ٢١١-٢١٢.

(٢) أنساب الأشراف ٧/ ١٠٤.

(٣) في (ب) و(خ) و(د): ولا يشركونهم... ولا يسلطونهم. والمثبت من «أنساب الأشراف» ٧/ ١٣٨.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٨٣ (وما بين حاصرتين منه)، وأنساب الأشراف ٧/ ١١٤.

وكتب إلى عديٍّ بن أرطاة: لا تَسِرْ في الناس بسيرة الحجّاج، فإنه كان بلاءً وافقَ من قومٍ خطايا(١). ولقد كان خراج العراق مئة ألف ألف درهم، فما زال ظلمه وسفكُه للدماء حتى صار خمسة وعشرين ألف ألف درهم(٢).

وكتب إليه والي بلدة أنَّ سُورَها قد انهدم، ويحتاجُ إلى مَرَمَّة، فكتب إليه عمر رضي الله عنه: نَقِّ طُرُقَها من الظلم، وحَصِّنْها بالعدل، فذاك مَرَمَّتُها(٣).

وكتب محمد بن كعب القُرَظيّ إلى عمر رضي الله عنه يعظُه، فكتب إليه عمر رضي الله عنه يشكره ويقول: أمَّا بعد، فقد بلغني كتابُك تعظني فيه وتذكِّرني بما هو حظٌّ لي وحقٌّ عليك، وقد أصبتَ بذلك أفضلَ الأجر، إن الموعظة كالصدقة، بل هي أعظمُ أجراً، وأبقى نفعاً، وأحسنُ ذكراً، وأوجبُ على المؤمن حقّاً، كلمةٌ يعظُ بها أخاه(٤) ليزداد بها هدًى هي خيرٌ من مال يُتَصَدَّقُ به عليه؛ وإن كان به حاجةٌ إليه، فكن كالطبيب العالم المجرِّب الذي يعلم إذا وضع الدواء أين يضعُه.. في كلام طويل(٥).

وكتب إلى والٍ: أمَّا بعد، فإذا قدرتَ على عقوبة العباد، فاذْكُرْ قدرةَ الله عليك، واعفُ ما لم تكن العقوبة مفسدةً في الدِّين، فإنك بالله تَعِزُّ، وإليه ترجع(٦).

وبلغه عن جند له شيء، فكتب إليهم: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾[النساء: ٨٧](٧).

وقال الفُضيل بن عياض في موعظته للرشيد: بلغني أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز شُكِيَ إليه، فكتبَ إليه عمر: أمَّا بعد، فإني أُذَكِّرُك طُولَ سهر أهلِ النار مع خُلودِ الأبد، وإيَّاك أن يُنْصَرَفَ بك غداً من بين يدي الله تعالى(٨) فيكون آخرَ العهد بك، وانقطاعَ الرجاء منك،

---

(١) أنساب الأشراف ٧/ ١١٩ .

(٢) بنحوه في أنساب الأشراف ٧/ ١١٦ .

(٣) أنساب الأشراف ٧/ ٧٠ ، وحلية الأولياء ٥/ ٣٠٥ ، وتاريخ دمشق ٥٤/ ١٦٣ (طبعة مجمع دمشق).

(٤) في «جامع» ابن وهب (٣٣٦): لكلمة يعظ بها الرجل أخاه...

(٥) هو بتمامه في المصدر السالف.

(٦) أنساب الأشراف ٧/ ٩٤ ، وتاريخ دمشق ٥٤/ ١٦٤ .

(٧) تاريخ دمشق (ترجمة أبي عمرو الدمشقي).

(٨) في «حلية الأولياء» ٨/ ١٠٦ (ترجمة الفضيل): من عند الله تعالى، وفي «التوابين» ص ١٨٥ : من عند الله تعالى إلى النار.

والسلام. فلما قرأ عامله الكتاب؛ طوى البلاد حتى قدم عليه، فقال له: ما الذي أقدمك؟! قال: قطعتَ قلبي بكتابك، واللهِ لا عُدْتُ إلى ولاية أبداً. فبكى هارون[١].

وقال رجاء بن حَيْوَة: ولَّى عمر ﷺ رجلاً دميماً قصيراً على الصدقات، فعدل وأحسن، فكتب إليه عمر ﷺ: ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا﴾ [هود: ٣١][٢].

وبلغه عن عمال له شيء فكتب إليهم: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١][٣].

وكتب على قصة مظلوم: إن لم أُنصفك؛ فأنا الظالمُ لك[٤].

وكَتب إليه عبد الحميد عامله على الكوفة يشكو سوء طاعة أهل الكوفة، فكتب إليه عمر: لا تطلبنَّ طاعةَ مَنْ خذلَ علياً وكان إماماً مرضياً[٥].

وكَتب إليه في عمال خانوا، فكتب: لأنْ يَلْقَوُا[٦] الله بخياناتهم أحبُّ إليَّ من ألقاه بدمائهم.

وكَتب إلى عماله: لا تتعرَّضوا للكلأ في الجزائر وغيرها، فإنما هو شيءٌ أنبته الله، فليس أحدٌ[٧] أحقَّ به من أحد.

وكتب إليه محمد بن كعب القُرَظي: اجعل كبير المسلمين عندك أباً، وأوسطَهم أخاً، وأصغرَهم ولداً، فوقِّرْ أباك، واحترم أخاك، وتحنَّنْ على ولدك[٨].

---

(١) في (ب) و(خ) و(د) (والكلام منها): فبكى عمر. والمثبت من المصدرين السالفين، والخبر فيهما مطوَّل.

(٢) العقد الفريد ٤/ ٢٠٨ .

(٣) بنحوه في المصدر السالف.

(٤) العقد الفريد ٤/ ٢٠٩ .

(٥) المصدر السابق، وفيه أنه كتب ذلك إلى عدي بن أرطاة. وعند هذا الخبر ينتهي ما عندنا من النسخة (د).

(٦) في (ب) و(خ) (والكلام منهما): لئن يلقون. والمثبت من «سيرة عمر بن عبد العزيز» ص ٦١ والخبر فيه مطوّل.

(٧) في (ب) و(خ) (والكلام منهما): لأحد. وأثبت السياق على الجادة، ولم أقف على هذا الخبر.

(٨) بنحوه في تاريخ دمشق ٥٤/ ١٣٩ . وهو في الخبر المطوّل بين الفضيل بن عياض وهارون الرشيد في «حلية الأولياء» ٨/ ١٠٥ـ١٠٧ ، و«التوابين» ص ١٨٣ـ١٨٦ ، وسلف قطعة منه قريباً.

ذكر محبته رضي الله عنه لأهل البيت عليهم السلام:

وفدَ رُزَيْق المدنيُّ مولى عليّ عليه السلام على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، فقال له: يا أمير المؤمنين، إني تعلَّمتُ القرآنَ والفرائضَ والسنن، وليس لي ديوان، فقال له عمر رضي الله عنه: من أيِّ الناس أنت؟ فقال: من موالي بني هاشم. فقال: مولى مَنْ منهم؟ قال: مولى رجل من المسلمين، وكان عليٌّ رضوان الله عليه لا يُذكر بين يدي أحد من بني أمية. فقال عمر: أسألُك مولى مَن أنت وتُكاتمُني؟! فقال: أنا مولى عليِّ بنِ أبي طالب. فبكى عمر بن عبد العزيز حتى وقعت دموعُه على الأرض وقال: وأنا مولى عليِّ بن أبي طالب، حدَّثني سعيدُ بن المسيِّب عن سعد بن أبي وقاص أنَّ النبي ﷺ قال لعلي: «أنتَ مني بمنزلة هارون من موسى». ثم قال: يا مزاحم، كم نُعطي أمثالَه؟ قال: مئة درهم. قال: أعطه من مالي خمسين ديناراً لولائه لعلي. ثم قال له: اذهب إلى بلدك، فسيأتيك العطاء أسوةَ أمثالِك[١].

وروى الحافظ ابن عساكر أن عمر رضي الله عنه لمَّا وليَ الخلافة استوفد محمد بنَ علي الباقر، فأقام عنده، فكان يستشيرُه، ويصدرُ عن روايته[٢]، فلما أراد محمد أن يرجع إلى المدينة مشى عمر إليه، وجلس بين يديه، وقضى حوائجَه[٣].

وكان عمر رضي الله عنه يقول: لو كنتُ في قَتَلَةِ[٤] الحسين، وقيل لي يوم القيامة: ادخل الجنة؛ لم أدخل مخافةَ أن يراني رسولُ الله ﷺ، فأستحي منه.

وقال الشعبي: كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن محمد بن حزم والي المدينة أن فرِّق في آل أبي طالب عشرة آلاف دينار. فكتب إليه: في أيِّ ولده أُفرِّق؟ فكتبَ إليه

---

(١) الخبر بعضه دون بعض في «تاريخ دمشق» ٦/ ٢٥١ (ترجمة رزيق) و١٨/ ٣٥٠ (ترجمة يزيد بن عمر بن مورّق) (كلاهما مصورة دار البشير) و٥٤/ ٢٧٦ (ترجمة عمر بن المورّق ـ طبعة مجمع دمشق). وحديث سعد في قوله ﷺ لعلي رضي الله عنه: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» أخرجه مسلم (٢٤٠٤).

(٢) كذا في (ب) و(خ) (والكلام منهما). ولعل صواب العبارة: ويصدر عن رأيه.

(٣) ينظر «تاريخ دمشق» ٦٣/ ٢٩٥ و٢٩٧ (طبعة مجمع دمشق ـ ترجمة محمد بن علي الباقر).

(٤) في (خ): مقتلة. والمثبت من (ب) (والكلام منهما فقط) وهو موافق لما في «وفيات الأعيان» ٦/ ٣٥٣، و«الوافي بالوفيات» ١٢/ ٤٢٧ . والخبر فيهما.

عمر: لو كتبتُ إليك في شاة تذبحها؛ لكتبتَ: أسوداء أم بيضاء؟ فرِّقْ في ولد عليٍّ من فاطمة عشرة آلاف دينار فطالما تَعَدَّتْهم حقوقُهم.

ودخل زين العابدين على عمر ﷺ وهو والي المدينة، فقام له، وأجلسه إلى جانبه، وقضى حوائجه، فلما خرج قال عمر ﷺ للجماعة: مَنْ ترون خيرَ الناس؟ قالوا: أنتم. قال: لا والله، خيرُ الناسِ في يومنا هذا هذا الرجلُ الذي كلُّ الناس يتمنَّوْن أن يكونوا مثلَه، ولا يتمنَّى هو أن يكونَ كأحدهم.

وقال هشام: كان الوليدُ بن عبد الملك قد كتب إلى زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب يأمره أن يخلعَ سليمان بن عبد الملك، ويبايعَ لعبد العزيز بن الوليد، ويتوعَّدُه بالقتل إن لم يفعل، فأجابه خوفاً منه، وكتب إليه بذلك.

فلما مات الوليد واستخلف سليمان؛ وُجد كتاب زيد إلى الوليد في بعض الخزائن، فكتب سليمان إلى عامله على المدينة: ادْعُ زيدَ بنَ الحسن، فأقرئه هذا الكتاب، فإن اعترف؛ فأخبرني، وإنْ أنكر فقَدِّمْه إلى بين القبر والمنبر فاصْبِرْ يمينَه[1] أنه ما كتب هذا الكتاب ولا أمرَ من يكتبُه، فلما ورد الكتاب إلى المدينة أرسله العاملُ إلى زيد، فقال: أنْظِرْني. ثم بعث إلى القاسم بن محمد، وربيعة، وسالم بن عبد الله يستشيرُهم في ذلك، واعتذرَ بخوفه من الوليد، وقال: لولم أُجبه ليقتلنّي، أفتَرَوْن أن أحلف؟ فقالوا: إيَّاك ومبارزةَ الله، وإنَّا نرجو أن يُنجيَك اللهُ بالصدق. فأرسلَ إلى الوالي وأقرَّ أن الكتابَ كتابُه، وإنما فعلَ ذلك خوفاً من الوليد، ولم يحلف.

فكتب العامل إلى سليمان يخبره، فكتب إليه: اضْرِبْه مئةَ سوط، ودَرِّعْهُ عباءة، ومشِّهِ حافياً.

وعلم عمر ﷺ بالكتاب، فحبس الرسولَ عنده أياماً، ومرضَ سليمان، فأخذَ منه الكتاب وقال: لا تخرجْ، فإن سليمان مريض، ولعلَّه تَطِيبُ نفسُه. واستنزلَه عنه.

فأقام الرسول ثلاثة أيام، ومات سليمان، ووليَ عمر ﷺ، فمزَّق الكتاب[2].

---

(١) أي: ألْزِمْه باليمين، وحلِّفْه جَهْدَ القَسَم.

(٢) الخبر بنحوه في «تاريخ دمشق» ٦/ ٦٠٢ (مصورة دار البشير ـ ترجمة زيد بن الحسن بن علي) ومن قوله: وقال سابق البربري: وفد يزيد (قبل سبع صفحات) ... إلى هذا الموضع ليس في (ص).

حديث الأسير الذي كان في [بلاد] الروم:

حكى أبو القاسم الدمشقي عن إسماعيل بن [أبي] حكيم المدني كاتبِ عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ـ وإسماعيل بن أبي حكيم مولى عثمان بن عفان رضوان الله عليه، ويقال: مولى الزُّبير بن العوَّام رضي الله عنه، روى عن ابن المسيِّب وأقرانِه، توفي سنة ثلاثين ومئة(١) ـ قال: بعثني عمر حين وليَ الخلافة في فداء الأسرى، فبينا أنا بالقسطنطينيَّة أدورُ؛ إذْ سمعتُ قائلاً يترنَّم:

أَرِقْتُ وغابَ عني مَنْ يلومُ ... ولكنْ لم أَنَمْ أنا والهمومُ
كأنّي من تذكُّرِ ما أُلاقي ... إذا ما أظلمَ الليلُ البهيمُ
سليمٌ ملَّ منه أقربُوهُ ... وودَّعهُ المداوي والحميمُ
وكم في نحره(٢) بين المُنَقَّى ... إلى أُحُدٍ إلى ما حازَ رِيمُ
إلى الجَمَّاءِ(٣) من خَدٍّ أسِيلٍ ... نَقيِّ اللونِ ليس به كُلُومُ
يضيءُ دُجَى الظلامِ إذا تبدَّى ... كضوء الفجرِ منظرُهُ وسيمُ
فلمَّا أنْ دنا منَّا ارْتحالٌ ... وقُرِّبَ ناجياتُ السَّيْرِ كُومُ(٤)
أَتَيْنَ مُوَدِّعاتٍ والمَطَايا ... على أكوارها خُوصٌ هُجومُ(٥)
فقائلةٍ ومُثْنِيَةٍ علينا ... تقولُ ومالَها فينا حميمُ
وأُخرى لُبُّها معنا ولكنْ ... تَسَتَّرُ(٦) وهْيَ وَاجِمةٌ كَظومُ
تَعُدُّ لنا الليالي تحتصيها ... متى هو حائنٌ منَّا قُدومُ
متى تَرَ غفلةَ الواشين عنّا ... تَجُدْ بدموعها العينُ السَّجُومُ

(١) قوله: وإسماعيل بن أبي حكيم مولى عثمان... إلى هذا الموضع ليس في (ص).

(٢) كذا في (ب) و(خ) (والأبيات فيهما) و«تاريخ دمشق» ٢/ ٨٣١ (مصورة دار البشير). وفي «الأغاني» ٦/ ١١٤، و«مختصر تاريخ دمشق» (على نهج ابن منظور) ٤/ ٣٤٦ : وكم من حُرَّةٍ.

(٣) المُنَقَّى (في البيت قبله): موضع بين أُحُد والمدينة، ورِيم: وادٍ قرب المدينة، والجَمَّاء: جُبَيل من المدينة على ثلاثة أميال من ناحية العقيق. ينظر «معجم البلدان» ٥/ ٢١٥ ، و٣/ ١١٤ ، و٢/ ١٥٨ .

(٤) الناجيات: جمع ناجية، وهي الناقة السريعة، وكُوم: جمع كَوْمَاء، يعني الناقة التي عظُم سَنامُها.

(٥) الأكوار: جمع كُور، وهو الرَّحْلُ، وخُوص: جمع أخوص، وهو غائرُ العين وضيِّقُها. والهُجوم: غُؤور العين أيضاً.

(٦) في «الأغاني» ٦/ ١١٦ : تَصَبَّرُ.

هذه الأبيات لبقيلة[١] الأشجعي جاهلي فصيح[٢].

قال إسماعيل: فوقفت عليه وقلت: من أنت؟ فقال: أنا الوابصي، أُسرتُ فعُذِّبتُ، فدخلتُ في دينهم كُرهاً. فقلتُ: ارْجِعْ إلى الإسلام. فقال: أبعد ما وُلِدَ لي فيهم ابنان، أدخلُ المدينة، فيقول بعض غلمانها لابني: يا نصراني! لا والله لا أُسلم أبداً. قال: فقلت له: أفما[٣] كنتَ تقرأ القرآن؟! قال: بلى، ولكن نسيتُه كلَّه سوى آيةٍ واحدة، وهي قولُه تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢] فقال إسماعيل للمتنصِّر: إنَّ أمير المؤمنين بعثني في الفداء، وأنتَ أحبُّ مَنْ أفتديه[٤]، أنشدك الله، ارجعْ إلى الإسلام، فقال: أبعدَ ما بطنتُ في الكفر.

وهذا المتنصّر هو الصَّلْتُ بن العاص [بن] وابصة بن خالد بن المغيرة المخزومي. وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قد حدَّه في الخمر لمَّا كان والياً على المدينة، فهربَ إلى الروم فتنصَّر، ومات على النصرانيَّة[٥].

ذكر وفاة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه:

قال أبو سُليم الهُذلي: خطب عمر بنُ عبد العزيز، فقال: أمَّا بعد، فإنَّ الله عز وجل لم يخلقكم عَبَثاً، ولم يدع شيئاً من أمركم سدًى، وإنَّ لكم معاداً، فخاب وخَسِرَ من خرجَ من رحمة الله، وحُرِمَ الجنَّةَ التي عرضُها السماواتُ والأرض، واشترى قليلاً

---

(١) نقل ابن عساكر في «تاريخه» ٢/ ٨٣١ عن الزُّبير بن بكَّار أن العتبيَّ صحَّف في اسمه فقال: نفيلة. وكذلك وقع اسمه في «الأغاني» ٦/ ١١٤عن الزبير. ونقل أبو الفَرَج فيه عنه قوله: وسمعت بعض أصحابنا يقول: إن الشِّعر لمعمر بن العنبر الهُذَلي. والصحيح من القول أن بعض هذه الأبيات لابن هَرْمَة من قصيدة له يمدح بها عبد الواحد بن سليمان مخفوضة الميم، ولمَّا غُنِّي فيها وفي أبيات نُفيلة، وخُلط فيه ما أوجب خفض القافية، غُيِّر إلى ما أوجب رفعَها. وينظر «ديوان» إبراهيم بن هَرْمَة ص ٢٠٠ـ٢٠٣ .

(٢) من قوله: سليمٌ ملَّ منه (البيت الثالث)... إلى هذا الموضع ليس في (ص). وقد جاء فيها البيتان الأولان فقط، وجاء بعدهما ما لفظه: مع جماعة أبيات.

(٣) يوجد خرم في (ب) بدءاً من هذا الموضع وحتى ص ٣٠٠٢ .

(٤) في (خ) و(الكلام منها): أحبُّ إليَّ ممن أفتديه. والمثبت من «تاريخ دمشق» ٢/ ٨٣١ (مصورة دار البشير ـ ترجمة إسماعيل بن أبي حكيم).

(٥) المصدر السابق.

بكثير، وفانياً بباق، وخوفاً بأمن، ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين، وسيخلفُها بعدكم الباقون كذلك حتى تُرَدُّون إلى خير الوارثين؟! ألا ترون أنكم في كلِّ يوم وليلة تُشيِّعُون غادياً ورائحاً إلى الله، قد قضى نحبَه، وانقضى أجلُه، حتى تغيِّبُوه في صَدْع من الأرض، ثم تَدَعُونه غيرَ مُمَهَّد ولا مُوَسَّد؟! قد خلعَ الأسباب، وفارقَ الأحباب، وسكنَ التراب، وواجهَ الحساب، مرتهناً بعمله، فقيراً إلى ما قدَّم، غنياً عمَّا ترك، فاتقوا الله قبل نزول الموتِ، وايمُ الله، إني لأقول لكم هذه المقالة؛ وما أعلمُ عند أحدِكم من الذنوب ما عندي. ثم وضع طرف ردائه على وجهه وبكى، وأبكى الناس، فكانت آخِرَ خطبةٍ خطبَها[1].

وقال أبو سريع الشامي: آخرُ خُطبة خطبها عُمر ﷺ قال: أيُّها الناس، إنَّ لكم مَعَاداً يتجلَّى الله فيه للفصل بين العباد، وإنَّ الذي في أيديكم أسلابُ الهالكين، وسيخلفُها بعدكم الباقون؛ حتى تردَّ إلى خير الوارثين، وما يبلغني عن أحد منكم حاجة إلا أحببتُ أن أسُدَّ من حاجته، وما يبلغني أن أحداً منكم لا يسعُه ما عندي إلا وددتُ أنه يمكنني تغييره.

ثم انتحبَ، وارتجَّ المسجدُ بالبكاء، ثم نزل، فما رئي خارجاً إلا إلى حفرته.

وقيل: إنه لما حملَ الناسَ على المحجَّة البيضاء، وصَدَع بأوامر الله تعالى، ولم تأخُذْه في الله لومةُ لائم، اشتاق إلى ما أعدَّ اللهُ لأوليائه، فطارت نفسُه إلى ذلك احتقاراً للدنيا.

فذكر ابنُ أبي الدنيا وابنُ عبد البَرّ أنَّ عمر بن عبد العزيز ﷺ أرسل إلى عبد الله بن أبي زكريا وكان مجابَ الدعوة، فلمَّا دخل عليه قال له: يا ابنَ أبي زكريا، هل تدري لِمَ بعثتُ إليك؟ قال: لا. قال: لأمر لست ذاكرَه لك حتى تحلفَ لي. فقال: يا أمير المؤمنين، واللهِ لا تسألُني شيئاً إلا فعلتُه. فلما استوثق منه، قال: إني قد سئمتُ المُقَام في هذه الدار، فادع الله أن يقبضني إليه. فبكى ابن أبي زكريا وقال: بئس الوافد أنا

(١) ينظر: تاريخ الطبري٦/ ٥٧٠_٥٧١، والأغاني ٩/ ٢٦٦_٢٦٧، وحلية الأولياء ٥/ ٢٩٥، وتاريخ دمشق ٤١/ ٣٥٠_٣٥١ (ترجمة عبد الرحمن بن محمد القاري) و٥٤/ ١٤١_١٤٢ (ترجمة عمر بن عبد العزيز) (كلاهما طبعة مجمع دمشق)، وصفة الصفوة ٢/ ١٢٣ . ورواية الخبر منه.

للمسلمين! فقال عمر: هاه قد حلفتَ لي. فبسطَ يدَه وقال: اللهمَّ خِرْ لعمر في لقائك، ولا تُبْقِني بعده. وأقبلَ صبيٌّ صغير لعمر، فقال: وهذا أيضاً، فإني أحبُّه. فدعا له، فمات عُمر، ومات ابنُ أبي زكريا، وماتَ الصبي.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن جابر: فما شبَّهتُ الثلاثة إلا بخَرَزَات ثلاث في سلك قُطع أسفلُه، فتتابعن في جُمعة[1].

وقال عبد الله بن المبارك: وجدوا في بعض الكتب: تقتلُه خشيةُ الله. يعني عمر بن عبد العزيز.

وقيل: إنه سُمَّ. وهو الأصحّ[2].

قال أبو زيد الدمشقي[3]: لما مرض عمر [بن عبد العزيز] دخل عليه الطبيب، فجسَّ نبضَه، وصعَّد النظر فيه، وقال: إنه مسموم، ولا آمنُ عليه الموت. فرفع عُمر ﵁ طَرْفَهُ إليه وقال له: ولا نأمنُ الموت على من لم يُسقَ السُّمَّ أيضاً. فقال الطبيب: هل أحسستَ بشيء؟ قال: نعم، قد عرفتُ حين وقع في جوفي. فقال: يا أمير المؤمنين فتعالج. فقال: واللهِ لو علمتُ أن شفائي في طرف أنفي لما مددتُ يدي إليه. قال: فتذهب نفسُك. قال: ربي خيرُ مذهوبٍ إليه، اللهمَّ خِرْ لعُمر في لقائك. فلم يلبث إلا أياماً حتى مات.

وقيل لأبي سريع الشامي: فمَنْ سَمَّه؟ قال: وهل سمَّه إلا أقاربُه الذين ضيَّقَ عليهم الأمور بإقامة الحقّ، ودحض الباطل، وإحياء السنن؟!

وقال أبو عبد الله الحاكم: استدعى عمر بالخادم الذي سمَّه، فقال له: لِمَ فعلتَ بي هذا؟! فبكى وقال: لشقوتي وشقاء المسلمين، إن فلاناً ـ وسمَّى بعض بني أمية[4] ـ أعطاني ألف دينار، فبالله استَقِدْ منّي، فقد ندمتُ. فقال [له] عمر ﵁: واللهِ لو

---

(١) بنحوه في «تاريخ دمشق» ٨/ ١٠٥٦ (مصورة دار البشير ـ ترجمة عبد الله بن أبي زكريا إياس).

(٢) من قوله: فقال إسماعيل للمتنصر قبل هذه الفقرة (ذكر وفاة عمر)... إلى هذا الموضع، ليس في (ص).

(٣) في (ص): حدثنا هشام بن عبد الله الرازي، أخبرنا أبو زيد الدمشقي قال... وهو بنحوه في «تاريخ دمشق» ١٩/ ٥٩ (مصورة دار البشير) وفيه: هشام بن عبيد الله.

(٤) قال ابن عبد ربّه في «العقد الفريد» ٤/ ٤٣٩ : يرى الناس أن يزيد بن عبد الملك سَمَّه؛ دسَّ إلى خادم كان يخدمه، فوضع السُّمَّ على ظفر إبهامه، فلما استسقى عمر، غمس إبهامه في الماء، ثم سقاه.

أُعطيتُ الدنيا وما فيها لما سممتُك، اذْهَبْ فضع الألف دينار في بيت المال، واذهبْ حيث شئتَ. ولم يتعرَّض له[1].

وقال هاشم: لما كانت الصَّرْعةُ التي هلك فيها عمر رضي الله عنه؛ دخلَ عليه مَسْلَمةُ بنُ عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين، إنك فغرتَ أفواه ولدِك من هذا المال، وتركتَهم عَيْلَةً لا شيء لهم، فلو أوصيتَ بهم إليَّ، أو إلى نُظرائي من أهل بيتك. فقال: أَسْنِدُوني. فأسندوه، فقال: واللهِ ما منعتُهم حقّاً هو لهم، ولا أعطيهم ما ليس لهم. وأما قولُك: لو أوصيتَ بهم، فإن وصيِّي اللهُ، ووليِّي الله الذي نزَّل الكتاب، وهو يتولَّى الصالحين[2]. بنيَّ أحدُ رجلين؛ إما رجلٌ يتقي الله سبحانه، فسيجعلُ له مخرجاً، وإمَّا رجل يكبُّ على المعاصي، فإني لم أكن أقوِّيه على معاصي الله.

ثم بعث إليهم وهم بضعةَ عشرَ ذكراً، فنظر إليهم، فذرفت عيناه، ثم قال: بنفسي الفتية الذين تركتُهم عَيْلَةً لا شيء لهم، يا بنيَّ، إن أباكم خُيِّرَ بين أن تستغنوا ويدخل أبوكم النار، أو تفتقروا ويدخل أبوكم الجنة [فكان أن تفتقروا ويدخل أبوكم الجنة] أحبَّ إليه من أن تستغنوا ويدخل النار. قوموا عصمكم الله[3].

وقال هشام[4]: إن عمر بن عبد العزيز قال لولده: يا بَنيّ، إنكم لا تلقون أحداً من أهل الإسلام والذِّمَّة إلا ويرى لكم عليه فضلاً[5].

وقال الزُّهري: خلَّف عمر رضي الله عنه سبعةَ عشرَ ديناراً، فأخذ كل ولد ديناراً، ومات مسلمة بن عبد الملك وترك ألف ألف دينار، فأخذ كل واحد من ولده نصيبَه.

قال رجاء بن حَيْوة: فبارك الله فيما ترك عمر، ومحق ما ترك مسلمة، حتى إني رأيتُ بعضَ أولاد مسلمة يستعطي من أولاد عمر.

---

(١) بنحوه في «تاريخ دمشق» ٥٤/ ٢٠٣ (طبعة مجمع دمشق) عن مجاهد.

(٢) اقتباس من قوله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾[الأعراف: ١٩٦].

(٣) حلية الأولياء ٥/ ٣٣٣ـ٣٣٤. وما سلف بين حاصرتين منه. وينظر «طبقات» ابن سعد ٧/ ٣٩٣، و «العقد الفريد» ٤/ ٤٤٠ـ٤٤١ ، و«تاريخ دمشق» ٥٤/ ٢٠٣ـ٢٠٤ .

(٤) كذا في (خ) (والكلام منها). والخبر في «الحلية» ضمن الخبر قبله. لكن راويه هاشم كما سلف، فليحرر.

(٥) في «الحلية» ٥/ ٣٢٤ : حقّاً.

ولما ثقل عمر رضي الله عنه قال: أجلسوني. فأجلسوه، فقال: اللهمَّ [إنك] أمرتَني فقصَّرتُ، ونهيتَني فعصَيْتُ، ولكن لا إله إلا الله. ثم رفع رأسه وأحدَّ النظر، فقالوا له: إنك لتنظرُ نظراً شديداً. فقال: إني لأرى حَضْرةً ما هم بإنسٍ ولا جنّ. ثم قبض(١).

وقال رضي الله عنه: ما أُحبُّ أن يُخَفَّفَ عني الموتُ، أو يهوَّن عليَّ، فإنه آخرُ ما يُؤجرُ عليه الإنسان.

ولما احتُضر قال: اخرجوا عني لا يبقى عندي أحد. فخرجوا(٢).

وقال محمد بن قيس: حضرتُ أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أوَّلَ مرضِه، اشتكى لهلال رجب سنة إحدى ومئة، فكان شكواه عشرين يوماً، فأرسل إلى ذِمّيّ ونحن بدَيْر سَمْعان، فساومَه بموضع قبره، فقال الذِّمِّيّ: يا أمير المؤمنين، إنها لخير أن يكون قبرُك في أرضي، قد حلَّلْتُك. فأبى عمر حتى ابتاعه منه بدينارين، ثم دعا بالدينارين، فدفعهما إليه(٣).

وقال إبراهيم بن ميسرة: اشترى موضع قبره بعشرة دنانير(٤).

وقال هشام: قال عمر للرهبان: انتفعوا بمكان قبري بعد خمس سنين. وقال له الراهب: أعطني قميصك. فيقال: إنه أسلم.

وكانت فاطمة بنت عبد الملك وأخوها مسلمة عند عمر رضي الله عنه، فقال أحدهما لصاحبه: لا نكون قد ثَقُلْنا عليه. فخرجا وهو منحرفٌ على غير القبلة. قالا: قلَّما لبثنا حتى عُدنا؛ وإذا هو متوجِّهٌ إلى القبلة وإذا متكلِّمٌ يتكلَّم لا نراه يقول: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٥)[القصص: ٨٣].

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٣٣٥، وتاريخ دمشق ٤٥/ ٢٠٥. ونُسب الخبر في (ص) لأبي نُعيم.

(٢) تاريخ دمشق ٥٤/ ٢٠٦ مطول.

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٩٢. وأخرج ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٥٤/ ٢٠٥ رواية محمد بن قيس من طريق ابن أبي الدنيا، وفيها أنه ابتاعه منه بثلاثين ديناراً.

(٤) المصدر السابق، والأغاني ٩/ ٢٦٧.

(٥) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٩٢-٣٩٣. وينظر «تاريخ دمشق» ٥٤/ ٢٠٦.

قال الواقدي: لما احتُضر عمر رضي الله عنه كتب إلى يزيد بن عبد الملك: أما بعد، فإياك أن تدركك الصَّرْعة عند العزَّة، فلا تُقالَ العَثْرة، ولا تُمكَّنَ من الرَّجْعة، ولا يحمدَك مَنْ خلَّفْتَ، ولا يَعْذِرَك من تَقْدَمُ عليه[١].

وقال ابن سعد: كتبَ إلى يزيد: سلامٌ عليك، أمَّا بعد، فإني لا أُراني إلا لِما بي[٢]، ولا أرى الأمر إلا سيُفْضي إليك، فاللهَ اللهَ في أمَّة محمد ﷺ.

وقالت فاطمة بنتُ عبد الملك: كنتُ أسمعُ عمر بن عبد العزيز في مرضه الذي مات فيه يقول: اللهم أخْفِ عنهم موتي ولو ساعةً من نهار. فلما كان اليوم الذي قُبض فيه؛ خرجتُ من عنده، فجلست في بيت آخر، وبيني وبينه باب، وهو في قبَّة له، فسمعتُه يقول: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ ثم هدأ. فجعلتُ لا أسمعُ له حسّاً ولا حركةً، فقلتُ لوصيف كان يخدُمه: انظر أميرَ المؤمنين، أنائم هو؟ فدخل عليه وصاح، فوثبتُ فدخلتُ، فإذا هو ميِّتٌ قد استقبلَ القبلة، وأغمضَ نفسَه، ووضع إحدى يديه على فيه، والأخرى على عينيه[٣]. وقال[٤]: شممتُ رائحة النَّدِّ والمسك من القبَّة وهو يقول: مرحباً بهذه الوجوه التي ليست بوجوه إنس ولا جانّ. ثم قبض[٥].

وقال الواقدي: أوصى أن يكفَّن في خمسة أثواب، منها قميص وعِمامة، وكان عنده شعرٌ من شعر رسول الله ﷺ وأظفارٌ من أظفاره فقال: إذا مِتُّ فاجعلوه في أكفاني. ففعلوا[٦].

ومات رضي الله عنه لعشر ليال بقين من رجب سنة إحدى ومئة. وقيل: لخمسٍ بقين منه. وقيل: في جمادى الآخرة. والأوَّل أصحّ. وعامَّةُ الرُّواة على أنَّ قبرَه بدَيْر سَمْعان [شمالي حلب][٧].

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٩٣.

(٢) في (خ) (والكلام منها): فاني. والمثبت من المصدر السابق، والخبر فيه.

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٩٤.

(٤) كذا في (خ) و(الكلام منها فقط، وهي كثيرة الأخطاء) ولعل الصواب: وقالت. يعني فاطمة، فيكون الكلام عندئذ تتمة للخبر قبله. والله أعلم.

(٥) من قوله: وقال محمد بن قيس: حضرت أمير المؤمنين. (الصفحة السابقة)... إلى هذا الموضع ليس في (ص).

(٦) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٩٣-٣٩٤.

(٧) ينظر «طبقات» ابن سعد ٧/ ٣٩٥، و«تاريخ دمشق» ٥٤/ ٢١٤-٢٢٠. وما بين حاصرتين من (ص).

قال أبو بكر بن عياش وذكر عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: ليُحشرنَّ من دَيْر سَمْعان رجلٌ كان يخافُ الله تعالى[١].

[واختلفوا في سنِّه، قال (ابن سعد): حدثنا الفضل بن دُكين قال: سمعتُ سفيان بن عُيينة يقول: كان عمر بن عبد العزيز ابنَ أربعين سنة.

قال سفيان: وسألتُ ابنه: كم بلغ من السنّ؟ فقال: لم يبلغ الأربعين[٢].

قال هشام: قال رجاء بن حَيْوة: كان عمر بن عبد العزيز يقول: تمَّت حُجَّةُ الله على أبناء الأربعين أن الرجل إذا لم يبلغ قال الله تعالى للملكين: خفِّفا، فإذا بلغها قال الله تعالى: اكتبا وخفِّفا. فمات للأربعين[٣].

قلت: لم يبلغ أربعين].

وقال كثيِّر عزَّة يرثيه:

أقولُ لمَّا أتاني ثَمَّ مَهْلِكُهُ ... لا يَبْعَدَنَّ قِوامُ الحقِّ والدينِ

قد غادروا في ضريح اللَّحدِ مُنجدلاً ... بدَيْر سَمْعانَ قسطاسَ الموازينِ[٤]

لم تُلْهِهِ عُمْرَهُ عينٌ يُفجِّرها ... ولا النخيلُ ولا رَكْضُ البَراذينِ[٥]

وقال الجُمحيّ:

لو كنتُ أملكُ للأقدار تروِيةً ... تأتي رَوَاحاً وتبييتاً وتبتكرُ

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٩٧. ولم يرد هذا الخبر في (ص).

(٢) المصدر السابق ٧/ ٣٩٦.

(٣) لم أقف عليه. وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» ٥/ ٣٣٥ عن علي بن زيد عن عمر بن عبد العزيز قال: لقد تمت حجة الله على ابن الأربعين، فمات لها عمر بن عبد العزيز. لكن أخرجه أيضاً ابن عساكر ٥٤/ ٢٠١ أيضاً وفي آخره: وما بلغها. والكلام بين حاصرتين من (ص).

(٤) البيتان في «أنساب الأشراف» ٧/ ١٤٢، وكذلك نسبهما البلاذري إلى كثيّر. وهما بنحوهما في «العقد الفريد» ٣/ ٢٨٥، و«حلية الأولياء» ٥/ ٣٢٠، ونُسبا في «العقد» لرجل من أهل الشام.

(٥) البيت الثالث في «حلية الأولياء» ٥/ ٣٢١، وتاريخ دمشق ٥٤/ ٢١٢، والبيتان قبله فيهما بنحوهما، ونُسبت الأبيات فيهما لابن عائشة. وصدر البيت الثالث في «العقد الفريد» ٣/ ٢٨٥ وغيره: مَنْ لم يكن همُّه عيناً يفجّرها. والأبيات الثلاثة بنحوها أيضاً في «مروج الذهب» ٥/ ٤٤٥، ونسبت فيه للفرزدق.

دفعتُ عن عُمرِ الخيراتِ مصرعَهُ بدَيْرِ سمعانَ لكن يغلبُ القَدَرُ[١]

وللشريف الرضي المُوسويّ:

دَيْرَ سمعانَ لا أَغَبَّكَ غيثٌ خيرُ مَيْتٍ من آلِ مروانَ مَيْتُكْ

يا ابنَ عبدِ العزيزِ لو بكتِ العَيْـ نُ دماً من شؤونها لبكَيْتُكْ

أنتَ نَزَّهْتَنا عن القَذْفِ والسَّـ بِّ فلو أمكنَ الجزاءُ جَزَيْتُكْ

غير أني أقولُ إنك قد طِبْـ تَ وإنْ لم يَطُبْ ولم يَزْكُ بيتُكْ

ولا يعرف أهلُ الشام بالشام مكاناً يقال له: دَيْر سمعان إلا شماليّ حلب، وهو دَيْرٌ مشهور، أما المكان الذي يَزُورُ الناس فيه قبرَ عمر ﷺ، فبالمعرَّة بدير من أعمال معرَّة النعمان[٢].

وقال البلاذري[٣]: مرض بخُناصرة، وتوفِّي بدَيْر سَمْعان، وبين خُناصرة ودَيْر سمعان أربعون ميلاً، وخُناصرة على تخوم قِنَّسْرين.

وقيل: مرض بحمص، وتوفّي بدَيْر سمعان. ومات ﷺ وهو ابنُ تسع وثلاثين سنة وأشهر[٤].

وقال الهيثم بن واقد: استُخلف عمر بن عبد العزيز بدابق يوم الجمعة لعشر مضين[٥] من صفر سنة تسع وتسعين، وتوفي بخُناصرة يوم الأربعاء لخمس ليالٍ بقين من رجب سنة إحدى ومئة، فكانت خلافتُه سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام[٦].

وقيل: بلغ أربعين سنة[٧].

(١) البيتان في «أنساب الأشراف» ٧/ ١٤٣ مع مجموعة أبيات، وفيه: المِرَرُ، بدل: القدر. وقال محقّقه: في هامش المخطوط: المِرَر جمع مِرَّة، وهي القوة. والبيتان أيضاً بنحوهما في «تاريخ دمشق» ٥٤/ ٢١٣ مع أبيات، ونُسبت فيها لمحارب بن دثار، ونسبهما الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ٥/ ١٤٧ لجرير. وليسا في «ديوانه».

(٢) ينظر «معجم البلدان» ٢/ ٥١٧ .

(٣) أنساب الأشراف ٧/ ١١٠ .

(٤) المصدر السابق ٧/ ٦٦ و٢٣٩-٢٤٠ . وينظر «تاريخ دمشق» ٥٤/ ٢١٣-٢٢٠ .

(٥) في «طبقات» ابن سعد ٧/ ٣٩٥ : بقين.

(٦) الخبر في المصدر السابق، وجاء فيه بعده: ومات وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر، ودُفن بدير سمعان. وسلف هذا الكلام قبله.

(٧) من قوله: وقال كثيّر عزَّة يرثيه... إلى هذا الموضع، ليس في (ص).

وقال رجاء بن حَيْوة: قال لي عمر بن عبد العزيز في مرضه: كن فيمن يُغسِّلُني ويُكفِّنُني، ويدخل في قبري، فإذا وضعتموني في لحدي فحُلَّ عقدة الكَفَن، وانظر إلى وجهي، فإني قد دفنتُ ثلاثةً من الخلفاء؛ كلُّهم إذا [أنا] وضعتُه في لحده؛ حللتُ العقدة، ثم نظرتُ إلى وجهه؛ فإذا وجهُه مسودٌّ في غير القبلة. قال رجاء: فلما دخلتُ في قبره حللتُ العقدة؛ فإذا وجهُه كالقراطيس في القبلة(١).

وقال عمر رضي الله عنه لمسلمة بن عبد الملك: لما دفنتُ أباك نمتُ عند قبره، فرأيتُه قد أفضى إلى أمرٍ راعني، فعاهدتُ الله إن وليتُ هذا الأمر أن لا أعملَ عمله، وقد اجتهدتُ طول حياتي، وأرجو أنْ أُفضيَ إلى عفو الله ورضوانه.

قال مسلمة: فلما دفنَّا عمر رضي الله عنه، نمتُ عند قبره، فرأيتُه في روضة خضراء، فيها قصورٌ عالية، وأنهارٌ مطردة، وملكٌ عظيم، فأقبلَ عليَّ وقال: يا مسلمة ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾(٢)[الصافات: ٦١].

وقال ميمون بن مِهْران: قال لي عُمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: لما وَضَعْتُ الوليدَ في قبره نظرتُ في وجهه، وإذا به قد اسوَدّ، فإذا وُضِعْتُ في قبري فاكْشفُ عن وجهي. [قال ميمون:] فكشفتُ عن وجهه، وإذا به أحسنُ ما كان في أيام تنعُّمِه(٣).

وقال يوسف بن ماهك: بينا نحن نسوِّي التراب على قبر عمر بن عبد العزيز إذْ سقط علينا رَقٌّ من السماء فيه مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا أمانٌ من الله لعمر بن عبد العزيز من النار(٤).

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٩٤-٣٩٥، وتاريخ دمشق ٥٤/ ٢٠٧. وأوردها الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ٥/ ١٤٣ وقال: إسنادها مظلم.

(٢) بنحوه في «الأغاني» ٩/ ٢٦٥ .

(٣) أنساب الأشراف ٧/ ١١٥ . وما سلف بين حاصرتين من (ص). وسلف نحوه عن رجاء بن حيوة قبل خبر. وينظر التعليق عليه.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٩٥ ، ونُسب الخبر في (ص) إليه. وأورد الذهبي الخبر في «سير أعلام النبلاء» ٥/ ١٤٣ ثم قال: مثل هذه الآية لو تمّت لنقلها أهل ذاك الجمع، ولمّا انفرد بنقلها مجهول، مع أن قلبي منشرحٌ للشهادة لعمر أنه من أهل الجنة.

وقال أبو سريع: لما فرَغوا من دفن عمر ﷺ قام مسلمةُ بنُ عبد الملك على قبره وقال: رحمك الله يا أمير المؤمنين، فلقد أورثتَ صالحاً بك اهتَدَوْا واقتَدَوْا[١]، وملأتَ قلوبنا بمواعظك خشيةً وتذكاراً، وأنلْتَ لنا شرفاً، وأبقيتَ لنا في الصالحين ذِكراً، فعليك السلام حيّاً وميّتاً.

وقال مَسْلَمة: واللهِ ما أمِنْتُ الرِّقَّ حتى رأيتُ هذا القبر[٢].

وقال ابنُ عساكر: حدثنا عبد الجبار بنُ عبد الصمد الإمام[٣] قال: حدثني أبي، حدثني محمد بن إسحاق ابن الحريص قال[٤]: حدثنا أبو محمد [المسيّب بن واضح، حدثنا عيسى بن كيسان، عمن حدَّثه] عن عُمير بن الحُباب قال: أُسرتُ أنا وثمانيةُ أنفسٍ في زمن بني أمية، فأمرَ ملكُ الروم بضرب أعناقنا، فضُربت أعناق أصحابي، وشَفع فيَّ بطريق من البطارقة، فوهبَني له، فمضى بي إلى منزله، وكان عُمير جميلاً نبيلاً، فقال له البطريق: تَنَصَّرْ وأُزوِّجْك ابنتي، وأقاسمُك مالي. فقلت: ما أدعُ ديني لأجل امرأة ولا مال.

فأقام أياماً يعرض عليَّ ذلك، وكانت ابنتُه شابَّة جميلة، فقالت لي يوماً: ما يمنعك ممَّا عرض عليك أبي؟! فقلت: لا أَدَعُ ديني لأجل امرأة ولا مال. فقالت: أتحبُّ الذهابَ إلى أهلك، أو المُقامَ عندنا؟ قلتُ: الذهاب إلى أهلي. فأَرَتْني نجماً في السماء وقالت: سِرْ على هذا ليلاً، واكْمُنْ نهاراً. وأطلقتني.

فسرت ثلاثاً، فبينا أنا في اليوم الرابع، وإذا أنا بالخيل قد أدركَتْني، فاستسلمتُ، فأشرفوا عليَّ، وإذا بأصحابي المقتلين[٥] على خيل شُهْب ومعهم آخرون على خيل

---

(١) في «الأغاني» ٩/ ٢٦٥ . (والكلام فيه بنحوه): أورثتَ صالحينا بك اقتداءً وهدًى.

(٢) العقد الفريد ٤/ ٤٣٧ . وفيه قبله قول عمر لبعض بني أمية: إني أرى رقاباً ستردُّ إلى أربابها.

(٣) هذا الكلام على التجوّز إن لم يكن ثمة سقط، فإن بين عبد الجبّار هذا وابن عساكر في هذا الخبر ثلاثة رواة. ينظر «تاريخ دمشق» ٥٦/ ١٢٩ (طبعة مجمع دمشق).

(٤) من قوله: وقال أبو سريع: لما فرغوا... إلى هذا الموضع، ليس في (ص).

(٥) كذا هي اللفظة في تاريخ دمشق ٥٦/ ١٢٩ (طبعة مجمع دمشق ـ ترجمة عُمير بن الحباب) والخبر منه، وفي نسخة (كما في حواشيه): المقتولين. وما سلف بين حاصرتين منه.

شُهب، فقالوا: عمير؟! قلت: نعم، أوليس قد قُتلتم؟! قالوا: بلى، ولكنَّ الله نشرَ الشهداء، وأَذِنَ لهم أن يشهدوا جنازة عُمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه.

وحكى الحافظ أبو القاسم أيضاً عن رجل من أهل الشام استُشهد له ابنٌ، فبينا هو في ظاهر البلد مع امرأته في البَيْدَر يُصلح أرضاً؛ إذا بفارسٍ قد أقبلَ، فقال الرجل لزوجته: هذا ـ واللهِ ـ ابني قد أقبل، فلما قَرُب منهما؛ قال له أبوه: أليس قد استُشهدت؟! قال: بلى، ولكنَّ عُمر بن عبد العزيز قد توفّي في هذه الساعة، واستأذنَ الشهداء ربَّهم في شهود جنازته، فأَذِنَ لهم في شهودها، وكنتُ فيهم. فنظروا، فإذا عُمر قد ماتَ في تلك الساعة[١].

ذكر ثناء العلماء عليه وما جرى بعد وفاته رضي الله عنه:

قال ابن سعد[٢]: كان عُمر بن عبد العزيز ثقةً مأموناً، له فقه وعلم وورع، وروى حديثاً كثيراً، وكان إمامَ عدل، رحمه الله ورضيَ عنه.

وقال أبو جعفر المنصور: ما ردَّ علينا حقوقنا إلا عمر بن عبد العزيز.

وقال العباس بن راشد[٣]: خرجتُ مع عمر بن عبد العزيز، فمررنا بوادٍ، فإذا حيَّةٌ ميّتة على الطريق، فنزلَ، فدفَنَها، وإذا بهاتفٍ يهتف: يا خرقاء، يا خرقاء. فالتفتنا يميناً وشمالاً، فلم نرَ أحداً، فقال عمر رحمه الله: أسألُك بالله أيُّها الهاتف إلا أخبرتَنا ما الخرقاء. فقال: الحيَّة التي دفنتَها، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لها: «يا خرقاء، تموتين بفلاة من الأرض، فيدفنك خير مؤمني أهل الأرض يومئذ». قال عمر: ومَنْ أنتَ يرحمُك الله؟ قال: أنا من الجنّ السبعة الذين بايعوا رسول الله ﷺ في هذا الوادي. فدمعَتْ عينا عمر رضي الله عنه، ثم انصرف[٤].

وقال وَهْب بن مُنبِّه: إن كان في هذه الأمة مهديّ فهو عمر[٥].

---

(١) تاريخ دمشق ٥٤/ ٢٠٨ـ٢٠٩ (طبعة المجمع ـ ترجمة عمر بن عبد العزيز).

(٢) في «الطبقات» ٧/ ٣٩٧.

(٣) في «تاريخ دمشق» ٥٤/ ١١٥ : بن أبي راشد.

(٤) المصدر السابق.

(٥) حلية الأولياء ٥٤/ ١٥٣، وتاريخ دمشق ٥٤/ ١٥٣، وبنحوه فيهما عن الحسن. ومن قوله: ذكر ثناء العلماء عليه ... إلى هذا الموضع، ليس في (ص).

وقال أحمد ابن حنبل رحمه الله: إذا رأيتَ الرجلَ يحبُّ عمر بن عبد العزيز ويذكرُ محاسنه وينشرُها، فاعلم أنَّ من وراء ذلك خيراً إن شاء الله(١).

وكان [محمد بن] عليّ بن الحسين يقول: يُبعث عمر بن عبد العزيز يوم القيامة أمةً وَحْدَه(٢).

وحكى محمد بن المهاجر قال: رأى رجل في منامه من أهل البصرة كأنَّ قائلاً يقول له: حُجَّ في عامك هذا. فقال: من أين أحجُّ؟! فقيل له: احْفِرْ مكان كذا وكذا، ففيه درعٌ، فبعها، وحُجَّ بثمنها. ففعل الرجل.

قال: فلما قضيتُ مناسكي رأيتُ رسولَ الله ﷺ في المنام وهو يمشي بين أبي بكر وعمر رضوان الله عليهما فقال [لي]: اقرأ على عمر بن عبد العزيز السلام، وقل له: إنَّ اسمك عندنا المهديّ، وأبو اليتامى، فشدَّ يدك على العريف والمكَّاس، وإياك أن تحيدَ عن طريق هذَيْن، فيُحاد بك عنّي.

قال: فانتبهتُ وأنا أبكي، وقدمتُ الشام، فأتيتُ عمر وهو بدَيْر سَمعان، فأخبرتُه، فقال: أعطوه كذا وكذا. فقال: لا آخذُ على رسالة رسول الله ﷺ أجراً.

ونام عمر رضي الله عنه، ثم انتبه وهو يبكي ويقول: صدق الرجل، رأيت الساعة رسولَ الله ﷺ وهو يقول لي كما قال البصري(٣).

وقد رثاه خلقٌ كثير، فمن أحسن ما قيل فيه قولُ كُثَيِّر:

عمَّت صنائعُه فعمَّ مُصابُهُ ... فالناسُ فيه كلُّهم مأجورُ
ردَّت مناقبُه عليه حياتَهُ ... فكأنَّه من نَشْرِها منشورُ
والناسُ مَأْتَمُهُمْ عليه واحدٌ ... في كل دارٍ أَنَّةٌ وزفيرُ(٤)

---

(١) أورده اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» ١/ ١٩٢ (فقرة اعتقاد علي بن المديني).

(٢) حلية الأولياء ٥/ ٢٥٤ . وما سلف بين حاصرتين منه.

(٣) بنحوه في «المنامات» لابن أبي الدنيا ص ٧٠ـ٧١. وأخرجه من طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٥٤/ ١٥١ـ١٥٢ .

(٤) تاريخ دمشق ٥٤/ ٢١٢ (طبعة مجمع دمشق).

وقال جرير:

يَنْعَى النُّعاةُ أميرَ المؤمنين لنا ... يا خيرَ من حجَّ بيتَ اللهِ واعْتَمَرَا
وُلِّيتَ أمراً عظيماً فاصطبرتَ لهُ ... فقُمتَ فيه بحمدِ اللهِ يا عُمَرَا[١]
الشمسُ كاسفةٌ ليست بطالعةٍ[٢] ... تبكي عليك نجومَ الليلِ والقَمَرا[٣]

وقال المصنف رحمه الله: ومن أحسن ما سمعتُ في هذا الباب قولُ أبي عبد الله ابن سنان الخَفَاجي الشاعر من أبيات:

إنَّ في جانب المقطَّم مهجو ... راً ومن أجله تُزار القبورُ
ومقيماً على المعرَّة تطويـ ... ـه الليالي وذِكْرُهُ منشورُ

وقال وُهيب بن الورد: بلغَنا أن عُمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لمَّا توفِّي جاء الفقهاء إلى زوجته يعزُّونها، فقالوا لها: جئناك نعزِّيكِ بعمر، فقد عمَّت مصيبةُ الأمة، فأخبرينا يرحمكِ الله عن عمر كيف كانت حالُه في بيته، فإن أعلم الناسِ بالرجل أهلُه. فقالت: واللهِ ما كان عمرُ بأكثرِكم صلاةً ولا صياماً، ولكن واللهِ ما رأيتُ عبداً قطُّ كان أشدَّ خوفاً منه لله، واللهِ إنْ كان ليكونُ في المكان الذي ينتهي سرورُ الرجلِ بأهله، [بيني وبينه لِحاف] فيخطرُ على قلبه الشيء من أمر الله، فينتفضُ كما ينتفض الطائر إذا وقع في الماء، ثم ينشج ويرتفع بكاؤه حتى أقول: خرجت نفسُه، فأطرحُ اللِّحاف عني وعنه رحمةً له، وأقولُ: يا ليت بيننا وبين هذه الإمارة بُعْدَ المشرقَيْن، فواللهِ ما رأينا سروراً منذ دخَلْنا فيها[٤].

وقال عطاء: بكت فاطمة بنتُ عبد الملك زوجةُ عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بعد وفاته حتى عَشِيَ بصرُها، فدخل عليها أخواها مسلمة وهشام، فقالا: يا بنت عبد الملك، ما هذا الأمر الذي قد دُمْتِ عليه؟ فإن كان جزعاً على بعلك؛ فإنه واللهِ أحقُّ من جُزع

---

(١) قال محمد بن حبيب في «شرح ديوان جرير» ٢/ ٧٣٦ : أراد : يا عمراه. على النُّدبة.

(٢) انقلبت العبارة في (خ) (والكلام منها) فجاء فيها : الشمس طالعة ليست بكاسفة! والتصويب من «الديوان».

(٣) ذكر ابنُ حبيب في «شرحه» عن الكسائي أنه أراد أن الشمس كاسفةٌ تبكي عليك الشهرَ والدهرَ. وذكر ابن عساكر الأبيات في «تاريخ دمشق» ٥٤/ ٢١٢ .

(٤) طبقات ابن سعد٧/ ٣٩٦، وما سلف بين حاصرتين منه. وأخرجه من طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٥٤/ ١٩١_١٩٢ .

عليه، وإن كان على شيء من الدنيا فاتكِ؛ فها نحن وأموالُنا وأهلونا بين يديك. فبكت وقالت: واللهِ ما أَسَفي على شيء من الدنيا، ولكني رأيتُ منه ليلة منظراً هالَني، فعلمتُ أن الذي أخرجه إلى الذي رأيتُ منه هولٌ عظيم، قد أسكنَ في قلبه معرفته. قالا: وما رأيت منه؟ قالت: رأيتُه ذات ليلة قائماً يصلِّي، فأتى على هذه الآية: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾[القارعة: ٤-٥] فجعل يردِّدُها حتى طلع الفجر، ويقول: وَيْلي من يومٍ يكونُ الناسُ فيه كالفراش المبثوث. فلما طلع الفجر سقط كأنَّه ميِّت، فلم يُفِقْ حتى جاءه المؤذِّن يؤذنُه بالصلاة، فقام فَزِعاً، فواللهِ ما ذكرتُ ليلته تلك إلا أصابني ما رأيتُم، فلم أملك ردَّ عَبْرَتي[١].

قال أبو سريع الشامي: لما مات عمر رضي الله عنه جاءت الفقهاء إلى فاطمة يسألونها عن حاله، فقالت: واللهِ لو كان حيّاً لما أخبرتُكم، إنه كان قد فَرَّغ نفسه للناس، يقعدُ لهم يومَه، فإذا أمسى وعليه بقيةٌ من حوائج الناس؛ وصلَ يومَه بليلته، فإذا فَرَغَ من الحوائج؛ دعا بسراج من ماله، ثم قام يصلِّي ما شاء الله، فإذا فَرَغَ من صلاته وضع رأسَه على يده ودموعه تسيل على خدِّه يشهق شهقةً، فأقول: قد انصدعت كبده. فلا يزال كذلك حتى يصبح، فيظلُّ صائماً، فأقول له: ارفق بنفسك. فيقول: يا بنت عبد الملك، دعيني وشأني، وعليكِ بشأنِك. فأقول: أرجو أن أتَّعظ. فيقول: إذن أخبرك. إني نظرتُ إليَّ، فوجدتُني قد وَلِيتُ أمرَ هذه الأمة؛ صغيرِها وكبيرِها أبيضِها وأسودِها وأحمرِها، ثم ذكرتُ الغريب المحتاج، والأسير المفقود، وأشباههم في أقاصي الأرض وأطراف البلاد، فعلمتُ أن الله سائلي عنهم، وأنَّ محمداً ﷺ حجيجي فيهم، فخفتُ أن لا يثبت لي عند الله عذر، ولا يقوم لي عند نبيِّه ﷺ حُجَّة، وكلَّما ذكرتُ هذا ازدَدْتُ خوفاً ووجلاً[٢].

وقال ابنُ أبي الدنيا: أرسلَ ملكُ الروم [رسالة] إلى عمر [بن عبد العزيز] رضي الله عنه، فبعثَ بجوابها مع محمد بن معبد وبعثَ معه أُسارى من الروم، ليفاديَ بهم أُسارى من المسلمين.

---

(١) بنحوه في «المنتظم» ٧/ ٧٢.

(٢) الخبر بنحوه في «تاريخ دمشق» ٥٤/ ١٦٠ عن عطاء، وقد أخرجه ابن عساكر فيه من طريق ابن أبي الدنيا.

قال ابن معبد: فكنتُ إذا دخلتُ على ملك الروم أراه جبَّاراً عاتياً جالساً على تخت، وعليه تاجُه، فدخلتُ عليه يوماً وهو جالسٌ على الأرض كئيباً حزيناً، فقلت: ما الخبر؟! فقال: مات العبد الصالح عمر، لو كان أحدٌ بعد المسيح يُحيي الموتى لكان عمر. ثم قال: إني لستُ أعجب ممن يُغلق بابه ويرفضُ الدنيا، وإنما العجب ممَّن الدنيا تحت قدميه وهو يرفضُها(١).

وقال ابن أبي الدنيا: أرسل عمر ﵁ رسولاً إلى القسطنطينية، فخرج يمشي في أزقَّتها، فسمع قارئاً يقرأ القرآن، فوقف عليه، فإذا بأعمى يقرأ القرآن ويطحن في مدار، فسلَّم عليه، فقال: وأنَّى بالسلام في هذه الأرض؟! فأخبره أنه رسول عمر ﵁ وقال له: ما الذي أوقعك ههنا؟ فقال: أُخذتُ من بعض الطرق، فعرض عليَّ طاغيةُ الروم النصرانية، فأبيتُ، فسمل عينيَّ وصيَّرني إلى هذا الموضع، ويبعث إليَّ في كلِّ يوم بحنطةٍ أطحنُها له.

فلما عاد الرسول إلى عمر ﵁ أخبره، فبكى [عمر] حتى بلَّ الأرضَ من دموعه، وقال له: عُدْ على حالك، وقل للطاغية: والله لئن لم تبعث بالطحَّان؛ لأبعثنَّ إليك جنوداً أوَّلُها عندك وآخرها عندي.

فلما بلغه الرسالة قال: ما كنَّا لنُحوج الرجل الصالح إلى هذا. وأقام الرسول عندَه أياماً، ودخل عليه يوماً وهو قاعد على الأرض يبكي فقال له: ما لك؟ فقال: أخبرنا سيِّدنا المسيح أن الرجل الصالح إذا كان بين القوم السوء لم يلبث فيهم إلا يسيراً، ثم يخرجُه الله منهم(٢). فقال له: وما الخبر؟ قال: مات العبد الصالح. قال: فقمتُ وقد يئستُ(٣) من خلاص الطحَّان. فقال: اذهب فخُذ الطحَّان، ما كنتُ لأجيبَه حيّاً وأخالفَه ميِّتاً(٤).

---

(١) أخرجه بنحوه أبو نعيم في «حلية الأولياء» ٥/ ٢٩٠ـ٢٩١. وأخرجه من طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٦٥/ ١٣ (طبعة مجمع دمشق ـ ترجمة محمد بن معبد) ولم أقف على الخبر فيما لديّ من كتب ابن أبي الدنيا.

(٢) في (ص): من بينهم.

(٣) في (ص): أيست.

(٤) بنحوه في «سيرة عمر بن عبد العزيز» لابن عبد الحكم ص ١٤٨ـ١٤٩. ولم أقف عليه فيما لديّ من كتب ابن أبي الدنيا.

ذكر بكاء السماء عليه:

قال خالد الرَّبعي: قرأتُ في التوراة: إن السماء تبكي على عمر بن عبد العزيز أربعين صباحاً، أو أربعين سنة[١].

حديث السَّفَط:

قال عمر بن صالح الأزدي: سمعتُ شيخاً من أهل الشام قال: لما مات عمر بنُ عبد العزيز رضي الله عنه كان استودعَ مولًى له سَفَطاً يكون عنده، فجاؤوه فقالوا: السَّفَط الذي كان استودعَك عمر؟ فقال: ما لكم فيه خير. فأَبَوْا، حتى رفعوا ذلك إلى يزيد بن عبد الملك، فدعا بالسَّفَط، ودعا بني أمية، وقال: حَبْرُكُم هذا قد وجدنا له سَفَطاً استودعه. ففتحوه، وإذا فيه مقطَّعات من مُسُوح كان يلبسُها في الليل.

وفي رواية: وكان فيه غُلٌّ ومِسْح[٢]، وأوصى مولاه أن يرميَه في البحر[٣].

ذكر أولادِه رضي الله عنه:

قال هشام والزُّبير بن بكَّار: كان له من الولد: عبد الملك، وإسحاقُ، ويعقوبُ، وموسى، وعبدُ الله، وعبدُ العزيز، وعبدُ الله الأصغر، وعاصمٌ، وزبَّان، ومحمد الأصغر، ويزيدُ، وبكر، وإبراهيم.

ومن الإناث آمنة، وأمُّ عمَّار.

فأما عبدُ الملك، فكان يسمى الناسك، وقد ذكرنا أنه مات في حياة أبيه، وأمُّه وأمُّ إسحاقَ ويعقوبَ: فاطمةُ بنتُ عبد الملك. وقال ابن سعد: أمُّه أمُّ ولد[٤].

وأمَّا عبدُ الله[٥] بن عمر؛ فأمُّه لميس بنتُ عليّ بن الحارث بن كعب.

---

(١) تاريخ دمشق ٥٤/ ٢١٠ (طبعة مجمع دمشق).

(٢) الغُلّ: طوق من حديد يُغَلُّ به الشخص، والمِسْح: كساء من شعر، أو ثوب الراهب.

(٣) ينظر «أخبار عمر بن عبد العزيز» للآجري ص ٧٠ ، و«صفة الصفوة» ٢/ ١٢٠ .

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٢٤ . وكذا قال البلاذري في «أنساب الأشراف» ٧/ ١٦١ ، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٤٣/ ١٦٩ (ترجمة عبد الملك بن عمر) ولم أقف على من ذكر أن أمَّه فاطمة بنت عبد الملك.

(٥) يعني الأكبر.

وأمُّ عمار بنتُ عمر أختُ عبد الله لأمّه وأبيه.

وكان عبدُ الله شجاعاً حازماً، وليَ العراقين ليزيد بن الوليد بن عبد الملك سنة ستٍّ وعشرين ومئة، فلما مات يزيد بن الوليد أراد أهلُ العراق أن يبايعوه بالخلافة، فأبى، فلما وليَ مروان اختفى عبد الله بواسط، فلما قدم عُمر بنُ هبيرة العراق قيَّده وبعثَ به إلى مروان بن محمد.

ويسمى عبدَ الله بنَ الأَبَرّ، وهو الذي قال: مررتُ براهبٍ في الجزيرة في صومعة، لم ينزل منها منذ زمن طويل، وكان قد قرأ الكتب، فنزل إليَّ وقال: لم أنزل إلى غيرك، وإنما نزلتُ إليك لحقِّ أبيك، إنا نجده في كتُبِنا من أئمَّة العدل بمنزلة رجب من الأشهر الحرم[١].

وأمَّا عبدُ العزيز بن عمر؛ فكنيتُه أبو محمد لأمِّ ولد، وسنذكرُه سنة تسع وأربعين ومئة.

وأما عاصم بن عمر فقتله الخوارج في سنة سبع وعشرين ومئة[٢].

وأما يزيد بن عُمر فحدَّثَ عن أبيه، وأبي سَلَمة، وكنيتُه أبو عَمرو[٣].

وأما آمنة[٤] بنت عمر؛ فإن عمر ﷺ مرَّ بها يوماً فدعاها، فلم تجبه، فأرسل إليها: ما منعك أن تُجيبي؟ فقالت: أنا عريانة. فقال عمر: يا مُزاحم، انظر إلى تلك الفُرُش التي فتقناها، فاقطع لها منه قميصاً. وبلغ عمَّتَها أمَّ البنين، فأرسلت إليها بتختٍ من ثياب، وقالت: لا تطلبي من أخي شيئاً.

وتزوَّج آمنةَ سفيان بنُ عاصم بن عبد العزيز، وكان ابنَ عمِّها، فحكى بعض أهل المدينة قال: إني لواقفٌ بالعقيق وقد جاء الحاجّ؛ إذ طلعت امرأةٌ أعجبَنا حالُها، فلما حاذت قصورَ سفيان بن عاصم بن عبد العزيز؛ عدلَتْ إليها، فدخلَتْ القصور، فمكثَتْ

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٢٥٥ ، وتاريخ دمشق ٥٤/ ١٥٦ـ١٥٧ (طبعة مجمع دمشق).

(٢) ينظر «أنساب الأشراف» ٧/ ٥٩٦ ، و«تاريخ» الطبري ٧/ ٣١٧ .

(٣) ينظر «تاريخ دمشق» ١٨/ ٣٤٩ (مصورة دار البشير) وفيه: حدث عن أبيه عن أبي سلمة، وقيل: عن أبي سلمة. ولم أقف على كنيته.

(٤) قال ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (تراجم النساء) ص ٤٤ : ويقال: أمينة.

ساعةً، ثم خرَجَتْ وذهبَتْ، فقلت: ألا تنظرون ما صنعت المرأة؟ فدخلتُ فإذا على الحائط مكتوب:

كَفَى حَزَناً بالوالِهِ الصَّبِّ أن يرى ... منازلَ من يهوى معطَّلةً قَفْرا

بلى إنَّ ذا الشوقَ الموكَّل بالهوى ... يزيدُ اشتياقاً كلَّما حاولَ الصَّبْرا

وتحته مكتوب: كتبته آمنة بنت عمر بن عبد العزيز[١].

ذكر فاطمة بنت عبد الملك زوجة عمر رضي الله عنه:

[قال الزبير بن بكَّار:] كانت أحظى نسائه عنده، وكانت موافقة له على الزهد والعبادة.

قال عُمارة بن غَزِيَّة: حضرتُ عُرس فاطمة على عمر [بن عبد العزيز] فكانوا يُسْرِجون القناديل بالغالية ودُهنِ البان عوض الزيت.

وكان على قبَّتها مكتوب:

بنتُ الخليفةِ والخليفةُ جدُّها ... أختُ الخلائفِ والخليفةُ بعلُها[٢]

قال الزُّبير بن بكَّار: لا يُعرف امرأةٌ تستحقُّ هذا البيت غيرُها، وكان لها ثلاثة عشر محرماً كلُّهم خليفة[٣]: جدُّها مروان بنُ الحكم، وأبوها عبدُ الملك، وإخوتُها الأربعة الوليدُ، وسُليمان، ويزيد، وهشام، وهي عمَّة ثلاثة من الخلفاء: الوليد بن يزيد، ويزيد ابن الوليد، وإبراهيم بن الوليد، وجدُّها لأمها يزيد بنُ معاوية[٤]، وزوجُها عمر بنُ عبد العزيز، ولم يتفق هذا لغيرها فيما تقدَّم[٥].

---

(١) المصدر السابق. ولم ترد هذه الفقرة (يعني ذكر أولاده) في (ص).

(٢) تاريخ دمشق (تراجم النساء ـ طبعة مجمع دمشق) ص ٢٩١ـ٢٩٢ وما سلف بين حاصرتين من (ص).

(٣) تعقَّب أبو شامة هذا الكلام بقوله: هذا مبنيّ على أصل فيه خلل. وهو أنَّ فاطمة بنت عبد الملك ليست أمها عاتكة بنت يزيد بن معاوية... وانظر ما يلي.

(٤) إنما جدُّها لأمِّها المغيرةُ بنُ خالد بن العاص بن هشام. وأمُّ فاطمة بنت عبد الملك هي أمُّ المغيرة بنت المغيرة المذكور، وليست أمّها عاتكة بنت يزيد بن معاوية. نبَّه على هذا أبو شامة في «الروضتين» ١/ ٢٣٢ . يعني فيكون لها عشرة محارم من الخلفاء. . . .

(٥) اتفق نحوه لعاتكة بنت يزيد، كما سلف في ترجمتها. ونقص من كلامه أعلاه (وعلى أصله) ذكر اثنين: معاوية جدّ أمها، ومعاوية بن يزيد خالها. ومن قوله: جدُّها مروان... إلى هذا الموضع، ليس في (ص).

قال ابن عساكر: فاطمة بنت عبد الملك [بن مروان] كانت لها دار بدمشق بالعقيبة، خارج باب الفراديس، كان يكون بها العميان[(١)].

ولما مات عمر ﷺ قالت لأخيها مَسْلَمة: إني قد اشتهيتُ أن أجد رائحةَ الولد. فقال لها: ويحك! بعد أمير المؤمنين؟! قالت: لابدّ. قال: لأَشُورَنَّ[(٢)] بك الأزواج. فقالت: قد تَشَوَّرْتُ[(٣)] منهم داودَ بنَ بشر بن مروان.

وكان داود أعور قبيح المنظر فقال الأحوص:

أبَعْدَ الأغَرِّ بنِ عبدِ العزيز قريعِ قريشٍ إذا يذكرُ
تزوَّجتِ[(٤)] داودَ مختارةً ألا ذلك الخَلَفُ الأعورُ

فقال الناس: هذا الخَلَف الأعور.

[وقال الجوهري: الشَّوار؛ بالتخفيف: فرجُ الرجل والمرأة، يقال: شوَّر به، أي: كأنه أبدى عورتَه.

وقيل: إنما تزوَّجت سليمان بن داود بن مروان.

قلت: والأصحّ داود بن بشر بن مروان].

وقال المصنِّف رحمه الله: وقد اتفق لربيعة خاتُون بنتِ أيوب أختِ صلاح الدين رحمه الله مثلُ هذا، فإنه ملكَ الشامَ ومصر واليمن والجزيرة منهم عدةُ ملوك كانوا لها محرماً[(٥)].

وفاطمة بنت عبد الملك ممَّن حدَّثت بالشام، وحكت عن زوجها عمر ﷺ، وروى عنها عطاء، ومُزاحم مولى عمر، وأخوها مسلمة، وزُفر مولى مسلمة، وغيرُهم.

---

(١) تاريخ دمشق (تراجم النساء) ص ٢٩٠.

(٢) كذا في (خ) واللفظة غير مجوّدة في (ص) (والكلام منهما). وفي «اعتلال القلوب» للخرائطي ص ٢١١: لأتشوَّرنَّ. وفي «الوافي بالوفيات» ١٣/ ٤٦٠: لأتسوَّرنَّ (بالسين المهملة)، وفي «تهذيب تاريخ دمشق» ٥/ ١٩٩: لا تسوري. وينظر كلام الجوهري آخر الخبر.

(٣) في «الوافي بالوفيات» و«تهذيب تاريخ دمشق»: تسورت.

(٤) في «اعتلال القلوب»، و«تهذيب تاريخ دمشق»: تبدَّلتِ.

(٥) ينظر «الروضتين في أخبار الدولتين» ١/ ٢٣١. والكلام السالف بين حاصرتين من (ص).

ذكر حاجبه وقاضيه وصاحب شرطته رضي الله عنه:

كان حاجبه رجاء بن حَيْوة، وصاحب بيت المال مُزاحم مولاه، وقاضيه عبد الله بن يزيد بن حداس[(١)] الصنعاني وكنيتُه أبو مسعدة، وقيل: أبو مسعود؛ ولّاه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه القضاء على مصر سنة مئة، فأقام إلى سنة خمس ومئة، ثم صرف ولم يرزق على القضاء ديناراً ولا درهماً، فلما أراد الخروج من مصر كان عنده جوربان من اليمن، فباعهما وتصدَّق بثمنهما، وخرج من مصر مجرَّداً.

وكان صاحب حرسه مالك بن زياد[(٢)].

وقيل: إن عمر رضي الله عنه استقضى على الشام عُبيد الله بن سعيد الأملي[(٣)]، وكان صاحب شرطته كعب بن حامد[(٤)]، ثم رَوْح بن يزيد السكسكي[(٥)].

وقال ابن سعد: كان عمرو بن المهاجر صاحب حرس عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، ومات سنة ست وثلاثين ومئة[(٦)].

ذكر مواليه:

منهم مُزاحم بن أبي مزاحم من سَبْي البربر، سكن مكة، وكان زاهداً عابداً ورعاً، وكان عمر رضي الله عنه يُحبُّه ويُثني عليه ويقول له: يا مُزاحم، إن الخلفاء تركوا العيون على الولاة، وأنا تركتُك عيناً على نفسي.

وقال عمر رضي الله عنه: أوّلُ من أيقظني لهذا الشأن مزاحم؛ حبستُ رجلاً، فأطلتُ حبسَه، فكلَّمني في إطلاقه، فقلتُ: ما أنا مخرجه حتى أُوَدِّبَه. فقال: يا عمر، أُحذِّرُك ليلة تمخَّض

---

(١) كذا في (خ) (والكلام منها). وفي «فتوح مصر» لابن عبد الحكم: حذافر.

(٢) ينظر «تاريخ دمشق» ٦٦/ ١٠٨ (طبعة مجمع دمشق).

(٣) كذا في (خ) (والكلام منها) ولم أعرفه. وينظر ترجمة عبيد الله بن سعيد الأموي في «تاريخ دمشق» ٤٤/ ٢٥١ فلعله هو.

(٤) تاريخ داريا ص ٩٠، وتاريخ دمشق ٥٩/ ٣٤٨ وهو كعب بن حامد العنسي، قال ابن عساكر: ويقال: حامز.

(٥) في (خ) (والكلام منها): العبسي. والمثبت من «أنساب الأشراف» ٧/ ١٤٥، و«تاريخ» اليعقوبي ٢/ ٣٠٨، و «تاريخ دمشق» ٦/ ٣٠٥ (مصورة دار البشير). ووقع في الأخير وفي «تهذيبه» لابن بدران ٥/ ٣٤٣ أنه كان على شرطة محمد بن عبد العزيز، وهو خطأ.

(٦) في «طبقات» ابن سعد ٩/ ٤٦٦ أنه مات سنة تسع وثلاثين ومئة.

بالقيامة، ولقد كدتُ أنسى اسمك ممَّا أسمع الناس يقولون: قال الأمير. قال عمر ﵁: فكأنما كشف عني غطاء، فذكِّروا أنفسكم، فإن الذِّكرى تنفعُ المؤمنين[١].

قال الواقدي: مات عبد الملك بن عُمر أولاً، ثم سَهْل أخو عمر، ثم مولاه مزاحم، ثم عُمر ﵁، وكان مُزاحم عَوْناً لعمر على أمره[٢].

وقال عمر: ما مزاحم بأدنى الثلاثة عندي، ولقد كان وزير صدق.

حكى عنه عمر، والزُّهري[٣]، وعُيَيْنَة والد سفيان، وابنُ جُريج، وابنُه سعيد بنُ مُزاحم، وغيرُهم[٤].

ومنهم[٥] سابق بن عبد الله البربري[٦]، وكنيتُه أبو سعيد، وكان أحدَ الزُّهَّاد البكَّائين والشعراء المبرّزين، وأكثر شعره في الزُّهد والرقائق، كان يُنشد عمر ﵁ وعُمر يبكي.

[وروى ابن أبي الدنيا عن ميمون بن مهران قال:] دخل [سابق البربري] على عمر ﵁ فقال له: أنشدني، فقال:

فكم من صحيحٍ باتَ للموتِ آمناً ... أَتَتْهُ المنايا بغتةً بعد ما هَجَعْ
فلم يستطعْ إذْ جاءه الموتُ بغتةً ... فراراً ولا منه بقوَّتِهِ[٧] امْتَنَعْ
فأصبحَ تبكيه النساءُ مقنَّعاً ... ولا يَسمعُ الداعي وإنْ صوتَه رَفَعْ
وقُرِّبَ من لَحْدٍ فصارَ مقيلَهُ ... وفارقَ ما قَدْ كان بالأمسِ قد جَمَعْ
فلا يتركُ الموتُ الغنيَّ لِمالِهِ ... ولا مُعْدِماً في المال ذا حاجة يَدَعْ

فلم يزل عمر ﵁ يبكي ويضطرب حتى غُشِيَ عليه [فقمنا وتركناه][٨].

---

(١) تاريخ دمشق ٦٧/ ٦٢ (طبعة مجمع دمشق).

(٢) ينظر «حلية الأولياء» ٥/ ٣٥٦ـ٣٥٧ (ترجمة عبد الملك بن عمر)، و«تاريخ دمشق» ٦٧/ ٦٣ (طبعة مجمع دمشق ـ ترجمة مزاحم).

(٣) كذا في (خ) (والكلام منها). والذي في المصدر السابق، و«تهذيب الكمال» ٢٧/ ٤٢٠ أنه يروى عن عمر، وأن الزهري والمذكورين بعده يروون عنه.

(٤) من قوله: وقال المصنف: وقد اتفق لربيعة... إلى هذا الموضع، مع شعر الأحوص قبله، ليس في (ص).

(٥) أي: من موالي عمر بن عبد العزيز ﵁. قال الصفدي في «الوافي بالوفيات» ١٥/ ٦٩: قيل: هو مولى عمر، وقيل: مولى الوليد.

(٦) قال ابن الأثير في «اللباب» ١/ ١٣٢ الصحيح أن سابقاً البربري ليس منسوباً إلى البَرْبَر، وإنما هو لقبٌ له.

(٧) في رواية أخرى في «تاريخ دمشق» ٧/ ٥ (مصورة دار البشير): بحيلته.

(٨) حلية الأولياء ٥/ ٣١٨، وتاريخ دمشق ٧/ ٥ (مصورة دار البشير).

وله:

إذا أنتَ لم تَرْحَلْ بزادٍ من التُّقَى ... ووافيتَ بعدَ الموتِ مَنْ قد تَزَوَّدَا
ندمتَ على أن لا تكونَ شَرِكْتَهُ ... وأرْصَدْتَ قبلَ الموتِ ما كانَ أرْصَدَا[1]

[وله]:

أموالُنا لذوي الميراث نجمَعُها ... ودُورُنا لخراب الدهرِ نبنيها
والنفس تَكْلَفُ بالدنيا وقد عَلِمَتْ ... أنَّ السلامة فيها تركُ ما فيها[2]

روى سابق عن ربيعة بن عبد الرحمن، وداود بن أبي هند، ومكحول، وغيرهم.

قال ميمون بن مهران: دخل سابق على عمر رضي الله عنه، فقال له: عِظْني. فقال - وهي أبيات طويلة منها -:

باسم الذي أُنزلَتْ من عنده السُّوَرُ ... والحمدُ للهِ أمَّا بعدُ يا عمرُ
فما صفا لامرئٍ عيشٌ يُسَرُّ به ... إلا سيَتْبَعُ يوماً صفْوَهُ كَدَرُ
والذِّكر[3] فيه حياةٌ للقلوب كما ... يُحيي البلادَ إذا ما ماتَتِ المطرُ[4]
لا ينفعُ الذِّكرُ قلباً قاسياً أبداً ... وهَلْ يلينُ لقلبِ الواعظِ الحجرُ
ولا أرى أثراً للذِّكر في جسدي ... والحَبْلُ في الجَبَل القاسي له أثرُ
لا يُشْبِعُ النفسَ شيءٌ حتى تُحرِزَه ... ولا يَزالُ لها في غيره وَطَرُ
ولا يزالُ وإن كانَتْ لها سَعَةٌ ... لها إلى الشيءِ لم تظفر به نَظَرُ
أَبَعْدَ آدمَ ترجُون البقاءَ وهَلْ ... تبقى فروعٌ لأصلٍ حين ينقعرُ[5]

وقال أبو أحمد الحاكم: كان سابقٌ إمامَ مسجد الرقَّة، وقاضي أهلها.

ومن شعره:

---

(١) المصدران السابقان، وجاء هذان البيتان باختلاف يسير ضمن قصيدة للأعشى في «ديوانه» ص ١٨٧ .

(٢) تاريخ دمشق ٧/ ٣ (مصورة دار البشير).

(٣) في «تاريخ دمشق» ٧/ ٤ : والعلمُ.

(٤) قال الزَّبيدي في «تاج العروس» (موت): من المجاز: مات الماء بهذا المكان: إذا نشَّفَتْه الأرض. ووقع في «تاريخ دمشق» ٧/ ٤ : مسَّها المطر.

(٥) ينظر «أنساب الأشراف» ٧/ ٨٣ ، و تاريخ دمشق ٧/ ٤ ، و«التبصرة» ١/ ١٠١-١٠٢ .

وللموت تَغْذُو الوالدتُ سِخالَها ... كما لخراب الدَّهْرِ تُبْنَى المساكنُ
فلا تَغْتَرِرْ ما عِشْتَ من مُتَجَمِّلٍ ... بظاهر وُدٍّ قد تُغطَّى البطائنُ

[وله]:

تأوَّبَني هَمٌّ كثيرٌ بَلابِلُهْ ... طروقاً فغالَ النومَ عني غَوائلُهْ[(١)]
فَوَيْحِي من الموتِ الذي هو واقعٌ ... وللموتِ بابٌ أنتَ لا بدَّ داخلُهْ
ولم أرَ في الدنيا وذو الجهلِ غافلٌ ... أسيراً يخافُ القتلَ واللهوُ شاغلُهْ
ولا يَرْتَجِي عوناً على حَمْلِ وِزْرِهِ ... مسيءٌ وأولى الناسِ بالوِزْرِ حاملُهْ
ويغسلُ ما بالجلدِ من ظاهر الأذى ... ولا يغسلُ الذنبَ المخالفَ غاسلُهْ
ومَنْ تُفْلِتِ الأمراضُ يوماً فإنَّهُ ... سيوشكُ يوماً أن تُصابَ مَقَاتِلُهْ
إذا العلمُ لم تعملْ به صارَ حُجَّةً ... عليك ولم تُعْذَرْ بما أنتَ جاهلُهْ
أرى الغُصْنَ[(٢)] لا يَنْمِي إذا اجتُثَّ أصلُهُ ... وليس بباقٍ مَنْ أُبِيحَتْ أوائلُهْ
وتطلبُ في الدنيا المنازلَ والعُلا ... وتَنْسَى نعيماً دائماً لا تُزايلُهْ
كمن غَرَّهُ لَمْعُ السَّرابِ بقَفْرةٍ ... فقصَّر عن وردٍ تَجِيشُ مناهلُهْ
وإنْ فَرِحَتْ بالمرء يوماً حلائلٌ ... فلا بدَّ يوماً أن تُرِنَّ حلائلُهْ[(٣)]

من أبيات.

ذكر مسانيد عمر:

أسند عمرُ رحمة الله عليه الحديثَ عن جماعة من الصحابة، منهم: عبد الله بن عمر، وأنس بن مالك، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وعمر بن أبي سلمة، والسائب بن يزيد، ويوسف بن عبد الله بن سلام.

وأرسل الحديث عن عبادة بن الصامت، والمغيرة بن شعبة، وتميم الداري، وعائشة رضوان الله عليها، وأمِّ هانىء.

---

(١) تأوَّبَني: عاودني، والبلابل: جمع بَلْبَال، وهو شدة الهمّ والوَسواس، وغالَ: أخذ. والغوائل، جمع غائلة، وهي الداهية.

(٢) في (خ) (والكلام منها): أرى العلم. والمثبت من «تاريخ دمشق» ٧/ ٧.

(٣) تُرِنّ، أي: تنوح، وحلائل جمع حليلة، وهي الزوجة.

وروى عن خلق من التابعين: ابن المسيِّب، وسالم بن عبد الله بن عمر، وأبي سلمة، وعروة بن الزُّبير، وعُبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، وخارجة بن زَيْد، وعامر بن سعد بن أبي وقَّاص، وأبي بُرْدَة بن أبي موسى، وأبي حازم، والزُّهري، وعِراك بن مالك، ومحمد بن كعب القُرَظي، في آخرين.

وروى عنه أبو سلمة بنُ عبد الرحمن ـ وهو أكبر منه ـ ومحمد بنُ المنكدر، وابناه عبدُ الله وعبدُ العزيز ابنا عمر، ومَسْلَمة بن عبد الملك، وأخوهُ زَبَّان بن عبد العزيز، وحُميد الطويل، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وأبو بكر بن محمد بن عَمرو بن حزم، وإبراهيم بن أبي عبلة، ورجاء بن حَيْوة، وغيرهم(١).

انتهت ترجمة عمر بن عبد العزيز(٢).

[ومن الذين دخلوا على عمر بن عبد العزيز:]

عُمر بن عبد الله بن أبي ربيعة حُذيفة

ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم الشاعر، وكنيته أبو الخَطَّاب.

[قال الزبير:] وُلد في الليلة التي قُتلَ فيها عمر بنُ الخطاب رضوان الله عليه.

كانت العرب تُقِرُّ لقريش بالتقدُّم عليها في كلِّ شيء إلا الشعر، فلما كان عُمر أقرَّت لها بالشعر أيضاً(٣).

وكان عُمر شاعراً مُفْلِقاً فصيحاً، غير أنهم نَهَوْا عن شعره وقالوا: هو رُقية الزِّنى(٤).

وكان كثير التشبيب بالنساء قلَّ أن يرى امرأة إلا شبَّب بها، وكان يحبُّ زيارتهنَّ ومجالستهنَّ؛ شبَّب بالثُّريَّا [وإليه تنسب] وبسُكَيْنة بنت الحسين، وفاطمة بنت عبد

---

(١) ينظر «تاريخ دمشق» ٥٤/ ١٠١، و«تهذيب الكمال» ٢١/ ٤٣٤ـ٤٣٦.

(٢) من قوله (في الشعر): إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى... إلى هذا الموضع، ليس في (ص).

(٣) المنتظم ٦/ ٣١٣ (وذكر ابنُ الجوزي الترجمة فيه فيمن توفي سنة ٩٣).

(٤) لم أقف عليه، وهذا الكلام من (خ)، ومن قوله: كانت العرب تقرُّ لقريش... إلى هذا الموضع، ليس في (ص).

الملك بن مروان، وأكثرُ تشبيبه بالثُّريَّا، فلما تزوَّجها سهيلُ بن عبد الرحمن بن عوف، وحُملت إليه من الشام إلى مكة قال عمر:

أيُّها المُنْكِحُ الثُّريَّا سُهيلاً عَمْرَكَ اللهَ كيفَ يجتمعانِ[١]
هي شاميَّةٌ إذا ما استقلَّتْ وسُهَيْلٌ إذا اسْتَقَلَّ يماني

[وقال إسحاق الموصلي:]

وكانت الثُّريَّا من أجمل النساء وأكملهن، وهي بنت عبد الله بن محمد بن الحارث ابن أمية الأصغر بن عبد شمس بن عبد مناف وكانت من أحسن النساء خَلْقاً وخُلُقاً، تأخذ الجرَّة من الماء، فتُفْرِغُها على رأسها، فلا يصيب باطنَ[٢] فخذها منها قطرة؛ لعِظَم كَفَلِها.

وكان عُمر بنُ عبد الله يجتمعُ بها ويخلوانِ ويناشدُها الأشعار، فحجَّ مرَّةً، فقيل له: قد كنتَ تخلو بالثُّريَّا. فقال: برئتُ من ربِّ هذه البَنِيَّة ـ وأشار إلى الكعبة ـ إن كنتُ هممتُ بالثُّريَّا أو حَلَلْتُ إزاري على حرام قطّ[٣].

ومن شعره في سُكَيْنَةَ قولُه:

قالَتْ سُكَيْنَةُ والدموعُ ذوارفٌ منها على الخدَّيْنِ والجِلبابِ[٤]
أسُكَيْنُ ما ماءُ الفراتِ وطِيبُهُ منَّا على ظمأٍ وحُبِّ شرابِ
بألذَّ منكِ وإنْ نأيْتِ وقلَّما ترْعَى النِّساءُ أمانةَ الغُيَّابِ

وقال في فاطمة بنت عبد الملك:

افْعلي بالأسيرِ إحدى ثلاثٍ وافْهَمِيهِنَّ ثمَّ رُدِّي جوابي

(١) في «الأغاني» ١/ ١٢٢ وغيره: يلتقيان. وينظر «جمهرة نسب قريش» ٢/ ٥٤٨ ، و«المنتظم» ٦/ ٣١٥ .
(٢) كذا في «تاريخ دمشق» كما في «مختصره» ٥/ ٣٥٣ . وفي «الأغاني» ١/ ٢٢٤ : ظاهر.
(٣) ينظر المصدر السابق و«المنتظم» ٦/ ٣١٥ . ومن قوله (بعده): ومن شعره في سكينة... إلى آخر هذه السنة (١٠١) ليس في (ص).
(٤) بعده في «الديوان» ص ٤٣٥ ، ولابدَّ منه، ولم يرد في (خ) والكلام منها:

ليتَ المغيريَّ الذي لم نَجْزِهِ فيما أطال تصيُّدي وطِلابي
كانت تَرُدُّ لنا المُنى أيامَنا إذ لا نُلام على هوًى وتَصابي

اقْـتُـلِـيـهِ قَـتْـلاً سـريـعـاً مُـرِيـحـاً لا تـكـونـي عـلـيـه سَـوْطَ عـذابِ
أو أقـيـدي فـإنَّـمـا الـنَّـفْـسُ بـالـنَّـفْـ ـسِ قـضـاءً مُـفـصَّـلاً فـي الـكـتـابِ
أو صِـلِـيـهِ وَصْـلاً تَـقَـرُّ بـه الـعَـيْـ ـنُ وَشـرُّ الـوِصـالِ[1] وَصْـلُ الـكِـذَابِ

فأعطت الذي جاء بالأبيات أربعين ديناراً؛ لكلِّ بيت عَشَرةُ دنانير.

قال الزُّبير بنُ بكَّار: أنشدَ ابنُ أبي عتيق سعيدَ بنَ المسيب قولَ عمر:

أيُّـهـا الـراكـبُ[2] الـمُـجِـدُّ ابـتـكـارا قَـدْ قَـضَـى مـن تِـهـامـةَ الأَوْطـارا
إنْ يَـكُـنْ قـلـبُـك الـغَـداةَ خَـلِـيّـاً[3] فـفـؤادي بـالـخَـيْـفِ أمـسـى مُـعَـارا
لـيـتَ ذا الـحـجَّ كـان حَـتْـمـاً عـلـيـنـا كـلَّ يـومَـيْـنِ[4] حَـجَّـةً واعْـتـمـارا

فقال ابن المسيِّب: لقد كلَّفَ المسلمين شَطَطاً. قال ابنُ أبي عَتِيق: فقلتُ له: في نفس [الجمل شيءٌ غيرُ ما في نفس سائقه].

ومن شعره:

ولـمَّـا تـفـاوَضْـنـا الـحـديـثَ وأسْـفَـرَتْ[5] وجـوهٌ زهـاهـا الـحُـسْـنُ أنْ تَـتَـقَـنَّـعـا
وقـلـتُ لـمُـطْـرِيـهِـنَّ[6] ويـحـكَ إنـمـا ضَـرَرْتَ فـهـل تَـسْـطِـيـعُ نَـفْـعـاً فـتـنـفَـعَـا
تَـبَـالَـهْـنَ بـالـعِـرْفـان لَـمَّـا عَـرَفْـنَـنِـي وقُـلْـنَ امـرؤٌ بـاغٍ أَكَـلَّ وأوْضَـعـا
وقَـرَّبْـنَ أسـبـابَ الـهـوى لـمُـتَـيَّـمٍ يـقـيـسُ ذراعـاً كـلَّـمـا قِـسْـنَ إصْـبَـعـا

قال محمد بن سلام: كان عمر عفيفاً، يصف ويقف، ويحومُ ولا يَرِدُ[7].

---

(١) كذا في «المنتظم» ٦/ ٣١٤. وروايته في «الديوان» ص ٤١٧: وصلاً يقرُّ عليه إن شرَّ الوِصال...

(٢) في «الديوان» ص ٤٩٣: أيها الرائح. وينظر «الأغاني» ٢/ ٣٦٢.

(٣) في «الديوان»، و«الأغاني» ١/ ١٦٧: مَنْ يكُنْ قلبُه صحيحاً سليماً. وفي رواية في «الأغاني» ٢/ ٣٦٢: مَنْ يكن قلبُه الغداة خليّاً. وفي «تاريخ دمشق» ٥٤/ ٨٦: إن يكن قلبُك الغداةَ جليداً وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٤) كذا في «الأغاني» ١/ ١٦٧، و«تاريخ دمشق» ٥٤/ ٨٦. وفي «الديوان»، و«الأغاني» ٢/ ٣٦٢: شهرين.

(٥) كذا روايته في «الحماسة» كما في «شرحها» للتبريزي ٣/ ١٢٧. وروايته في «الديوان» ص ١٧٩، و«الأغاني» ١/ ١٧٧ و٨/ ١٤٤: فلما تواقَفْنا وسلَّمتُ أشرقَتْ، وفي «الأغاني» ٦/ ٣٢٤: أقبلت، بدل: أشرقت.

(٦) أي: مادِحِهِنّ. قال التبريزي: يقال: أطرى فلانٌ فلاناً: إذا مدحَه بأحسن ما قَدَرَ عليه.

(٧) هو في «الأغاني» ١/ ١١٩، و«تاريخ دمشق» ٥٤/ ٧١ من قول الزُّبير بن بكَّار. وينظر «طبقات فحول الشعراء» ٢/ ٦٤٨.

وعاش سبعين سنةً، ولما احتُضر قال: واللهِ ما حللتُ إزاري على حرام قطّ.

وقال الهيثم: رأى امرأةً في الطواف فكلَّمها فلم تكلِّمه، وكان معها زوجُها، فقال:

اللـهُ بيـني وبيـن قَـيِّـمِـهـا يَـفِـرُّ مـنِّـي بـهـا وأتَّـبِـعُـهْ

فقالت المرأة: بل اللهُ بين قيِّمها وبينك، فقيل للمرأة: اشكوه إلى زوجك. فقالت: لا والله، لا أشكوه إلا إلى الله في مثل هذا المقام، اللهم اجْعَلْه طعاماً للريح. فركب يوماً فرساً، فدخلت الريح في ثيابه، فسقطَ ميِّتاً(١).

ذُو الرُّمَّة الشاعر

كنيتُه أبو الحارث(٢)، واسمُه غَيْلان بنُ عُقبة بن بُهَيْش بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة بن ساعدة بن كعب العَدَويّ.

وهو من الطبقة الثانية من شعراء الإسلام، وكان يُشَبِّبُ بمَيّ بنت طَلَبَة(٣) بن عاصم المِنْقَري، ثم بخَرْقَاء بنت عامر بن ربيعة.

وكان سببُ ذلك أنه مرَّ في بعض أسفاره بحيٍّ خَرْقَاء، فرآها قد خرجت من الخِباء، فوقعَتْ في قلبه، فخَرَّقَ إداوتَه(٤) استطعاماً لكلامها، ثم قال لها: إني رجلٌ على سفر وقد تخرَّقَتْ إداوتي، فأصلحيها. فقالت: أما علمتَ أني خَرْقاء. والخَرْقاءُ لا تُحسنُ العملَ لكرامتها على أهلها(٥).

وكانت الخَرْقاء تقعد للناس في طريق مكة، فإذا قفلُوا تقول لهم: أنا أحدُ مناسِكِكُم، فإذا قالوا: وكيف؟ تقول: أنا صاحبةُ ذي الرُّمَّة التي يقول فيها:

---

(١) لم أقف على هذا السياق. وفي خبر بنحوه في «المنتظم» ٦/ ٣١٦ نُسب فيه البيت للأحوص. وينظر «أنساب الأشراف» ٣/ ٥٣ (ترجمة عبد الله بن عباس) ونُسب فيه البيت أيضاً للأحوص.

(٢) أورده المصنف في وفيات هذه السنة تبعاً لابن الجوزي في «المنتظم» ٧/ ٧٢ . وجاء في باقي المصادر أنه توفي سنة (١١٧).

(٣) في (خ) (والكلام منها) و«المنتظم» ٧/ ٧٢ : طلحة، والمثبت من «الأغاني» ١٨/ ٢٥ ، و«تاريخ دمشق» ١٤/ ١٧١ (مصورة دار البشير)، وكذا هي في «مختصره» ٢٠/ ٢٣٣ . وينظر «الشعر والشعراء» ١/ ٥٢٦ .

(٤) الإداوة: إناء صغير يُحمل فيه الماء.

(٥) الشعر والشعراء ١/ ٥٢٧ ، وتاريخ دمشق ١٤/ ١٧٢ (مصورة دار البشير)، والمنتظم ٧/ ٧٣ .

تـمـامُ الـحـجِّ أن تـقـفَ الـمـطـايـا عـلـى خَـرْقـاءَ واضـعـةِ الـلِّـثـامِ

وتكشفُ عن لثامها[١].

قال القحذمي: دخلَ ذو الرُّمَّة الكوفة، فبينا هو يسير في شوارعها إذ رأى جاريةً سوداءَ واقفةً على باب دار، فاستحسنَها ووقعت بقلبه، فاستسقى ماءً، فأخرجَتْ له كوزاً فشرب، وأراد أن يمازحها، فقال لها: يا جارية، ما أحرَّ ماءَكِ! فقالت: لو شئتَ لأقبلتَ على عيوب شِعرِكِ، وتركتَ حَرَّ مائي وبَرْدَه. فقال: وأيُّ شِعْري فيه عيب؟! قالت: ألستَ ذا الرُّمَّة؟! قال: بلى. فقالت:

وأنـت الـذي شَـبَّـهْـتَ عـنـزاً بـقـفـرةٍ لـهـا ذَنَـبٌ فـوقَ اسْـتِـهـا أمَّ سـالـمِ

جـعـلـتَ لـهـا قَـرْنَـيْـنِ فـوقَ جـبـيـنِـهـا وطِـبْـيَـيْـنِ[٢] مُسْوَدَّيْنِ مثلَ المحاجمِ[٣]

وساقَيْنِ إن يـسـتـمـسـكـا مـنـكَ يـتـركـا لـسـاقيكَ يا غيلانُ مثلَ المياسمِ[٤]

أيـا ظَـبْـيَـةَ الـوَعْـسـاءِ بـيـنَ جُـلاجـلٍ وبـيـنَ الـنَّـقَـا[٥] آأنـتِ أمْ أمُّ سـالـمِ

قال: فنزل ذو الرُّمَّة عن راحلته وقال: أنشدكِ الله إلاَّ ما أخَذْتِيها وما عليها، ولا تذكرين هذا لأحد. فقالت: خُذْ راحلتَك وانصرف راشداً، فلا ذكرتُه لأحد[٦].

قال المنتجع بن نبهان: كنت عند ذي الرُّمَّة وقد احتُضر، فلما أحسَّ بالموت بكى وقال: ما ظنُّك بي؟ قلت: أنت أعلم بما جرى بينك وبين مَيَّة. فقال: لا نالتني شفاعةُ محمد ﷺ إن كنتُ هَمَمْتُ بها بريبة قطّ، ولقد كنتُ هائماً بها عشرين سنة.

---

(١) ينظر «الأغاني» ١٨/ ٣٨ و٤٠، و«تاريخ دمشق» ١٤/ ١٧٢، و«المنتظم» ٧/ ٧٣.

(٢) الطِّبْيُ: حلمة الضَّرْع التي فيها اللبن. وفي «تاريخ» ابن عساكر: ووَطْبَيْن، والوَطْبُ: الثدي العظيم.

(٣) جمع مِحْجم، وهي القارورة التي يجمع فيها دم الحِجامة.

(٤) في «المنتظم» ٧/ ٧٣: وساقين إن يستمكنا منك يتركا... بجلدك يا غيلان مثل المناسم، وروايته مختلفة في «الأغاني» ١٨/ ٢٣ (والخبر فيه بنحوه).

(٥) الوَعْساء: أرض بحضرموت، وجُلاجل ـ بضم الجيم، وتقال بالمهملة ـ أرض باليمامة، والنَّقَا: الكثيب من الرمل. وقال ابن الجواليقي: اسم موضع. وينظر «معجم البلدان» ٢/ ١٤٩ و٢٨٠ و٥/ ٣٧٩، و«معجم ما استعجم» ٢/ ٣٨٨، و«الروض المعطار» ص ٦١١. وينظر هذا البيت في «ديوان» ذي الرُّمَّة ٢/ ٧٦٧.

(٦) تاريخ دمشق ١٤/ ١٧٧ـ١٧٨ (مصورة دار البشير)، و«المنتظم» ٧/ ٧٦ـ٧٧.

وقيل: تأخَّر موتُه إلى أيام هشام بن عبد الملك، وتوفي وهو خارج إليه فدُفن بِحُزْوَى[١].

وقال المنتجع: كنتُ مع ذي الرُّمَّة، فلمَّا أحسَّ بالموت قال: يا منتجع، مثلي لا يُدفنُ في غُمُوضٍ[٢] من الأرض، ولا في بطون الأودية، فإذا متُّ فادفنِّي في رأس فِرِنْداذين[٣]. فدفنتُه به، فهناك قبرُه.

ولما احتُضر قال: أنا ابنُ نصف الهَرَم [أنا ابنُ أربعين سنة] وقال:

يا ربِّ قد أشرقَتْ نفسي وقد علمَتْ ... علماً يقيناً لقد أحصيتَ آثاري

يا مُخْرِجَ الرُّوحِ من جسمي إذا احْتُضِرَتْ ... وفارجَ الهَمِّ زَحْزِحْني عن النَّارِ[٤]

ولما سمع الفرزدق شعره قال: ما أحسنَ ما تقول! فقال ذو الرُّمَّة: فما لي لا أُعَدُّ في الفحول؟ فقال الفرزدق: لتقصيرك عن غاياتهم[٥].

ولم يكن لذي الرُّمَّة حظٌّ في الهجو.

حدَّثَ ذو الرُّمَّة عن ابن عباس، ووفدَ على الوليد بن عبد الملك، وروى عنه أبو عَمرو بنُ العلاء.

وكان له ثلاثةُ إخوة يقولون الشعر: مسعود، وهشام، وخرقاش، بنو عقبة.

القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضوان الله عليه

كنيتُه أبو محمد، وكان أحدَ الفقهاء السبعة بالمدينة، وهو من الطبقة الثانية من التابعين من أهل المدينة.

---

(١) الأغاني ١٨/ ٤٢ ، وتاريخ دمشق ١٤/ ١٨١ . قال أبو الفَرَج: حُزْوَى: هي الرَّملة التي كان يذكرها في شعره. وقال ياقوت في «معجم البلدان» ٢/ ٢٥٥ : موضع بنجد في ديار تميم.

(٢) جمع غَمْض، وهو المنخفض من الأرض انخفاضاً شديداً حتى لا يُرى ما فيه.

(٣) نقل ياقوت في «معجم البلدان» ٤/ ٢٥٦_٢٥٧ عن أبي منصور قوله: فِرِنْداذ: جبل بناحية الدَّهْناء (رمال في طريق اليمامة إلى مكة) وبحذائه جبل آخر يقال لهما: الفِرِنْداذان... ثم أورد خبر وفاته بنحوه. ولم تجوَّد اللفظة في (خ) (والكلام منها) ووقع في «المنتظم» ٧/ ٧٧ : فريدادين (والخبر فيه).

(٤) ينظر «الشعر والشعراء» ١/ ٥٢٥ ، و«الأغاني» ١٨/ ٤٢ و٤٤ ، و «تاريخ دمشق» ١٤/ ١٨٠ (مصورة دار البشير). ومابين حاصرتين منها.

(٥) الشعر والشعراء ١/ ٥٢٤ ، والمنتظم ٧/ ٧٢ .

وأمُّه أمُّ ولد يقال لها: سَوْدَة، وقيل: أمُّ عبد الله، قُتل أبوه محمد قريباً من سنة ستٍّ وثلاثين بعد قتل عثمان رضوان الله عليه، وبقي القاسم يتيماً في حجر عائشة رضوان الله عليها[١]. وكان أشبهَ الناسِ بأبي بكر الصديق رضوان الله عليه.

قال: كانت عائشة تَحْلِقُ رؤوسَنا عشيَّةَ عرفة، ثم تُخلِّقُنا وتبعث بنا إلى المسجد، ثم تُضَحِّي عنَّا من الغد[٢].

قال رجل للقاسم: أيُّما أفقهُ أنتَ أم سالمُ بن عبد الله؟ فقال: ذاك منزلُ سالم. لم يزدْه على ذلك، كره أن يقول: سالم أعلمُ منّي فيخطىء، وكره أن يقول: أنا أعلم، فيزكّي نفسه[٣].

والقاسم الذي قال عمر بن عبد العزيز ﷺ: لو كان إليَّ من الأمر ما عَدَلْتُ عن الأعمش[٤]. وعُمر قال ذلك قبل أن يذهب بصر القاسم.

وبعث إليه عمر بن عبد العزيز ﷺ بألف دينار فردَّها تورُّعاً.

وقال أيوب: لقد ترك القاسم مئة ألف وهي له حلال[٥].

وكان يصبغ رداءه بالزَّعفران، وكان يلبس جُبَّة خزّ، وما كان يُجيبُ إلا في الشيء الظاهر[٦].

وكان يخضبُ رأسَه ولحيتَه بالحِنَّاء[٧].

وقال: كفِّنُوني في ثيابي التي كنتُ أُصلِّي فيها؛ قميصي وإزاري وردائي. فقال له ابنُه: يا أبة، ألا تريد ثوبين؟ فقال: يا بُنّي، هكذا كُفِّن أبو بكر في ثلاثة أثواب، والحيُّ أحوجُ إلى الجديد من الميِّت[٨].

---

(١) ينظر «تاريخ دمشق» ٥٨/ ٣٥٤ (طبعة مجمع دمشق).

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ١٨٦ . قوله: تُخَلِّقُنَا، أي: تُطَيِّبنا بالخَلُوق. وتحرَّف في «الطبقات» إلى: تُحَلِّقُنا (بالحاء المهملة).

(٣) حلية الأولياء ٢/ ١٨٤ ، وتاريخ دمشق ٥٨/ ٣٦٢ (طبعة مجمع دمشق)، والمنتظم ٧/ ١٢٣ .

(٤) تاريخ دمشق ٥٨/ ٣٦٧ـ٣٦٨ ، وبنحوه في «المنتظم» ٧/ ١٢٣ .

(٥) تاريخ دمشق ٥٨/ ٣٥٧ ، وينظر «طبقات» ابن سعد ٧/ ١٨٨ .

(٦) طبقات ابن سعد ٧/ ١٨٦ .

(٧) المصدر السابق ٧/ ١٩١ .

(٨) طبقات ابن سعد ٧/ ١٩٢ .

قال ابن سعد: مات بقُدَيْد، فدُفن بالمُشَلَّل، وبين ذلك نحوٌ من ثلاثة أميال، ووضع ابنُه السريرَ على كاهله، ومشى إلى المُشَلَّل[١].

قال الواقدي: مات سنة ثمان ومئة وهو ابنُ اثنتين وسبعين سنة.

وقال خليفة: سنة ستٍّ ومئة[٢].

وقال ابن عساكر[٣]: توفّي في أول ولاية يزيد بن عبد الملك سنة إحدى ومئة أو اثنتين.

وقال رجاء بن أبي سَلَمة: ماتَ ما بين مكة والمدينة حاجّاً أو معتمراً، فقال لابنه: سُنَّ عليَّ الترابَ سَنّاً[٤]، وسوِّ عليَّ قبري، والحَقْ بأهلك، وإيَّاكَ أن تقول: كان وكان[٥].

وكان للقاسم من الولد: عبد الرحمن، وأمُّ فَرْوة - وهي أمُّ جعفر بن محمد بن عليّ ابن الحسين بن علي بن أبي طالب - وأمُّ حكيم بنت القاسم، وعبدة، وأمُّهم قريبة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه[٦].

وعبد الرحمن بن القاسم من خيار المسلمين ورواة العلم، وكان له قَدْرٌ في المشرق[٧].

وابنُه عبد الله بن عبد الرحمن وليَ القضاء بالمدينة للحسن بن زيد في أيام المأمون.

أسند القاسم عن ابن عُمر، وابن عبَّاس، وابن الزبير، وأبي هريرة، ومعاوية، وعمته عائشة، رضي اللهم عنهم أجمعين.

---

(١) المصدر السابق، وقول الواقدي الآتي بعده فيه ٧/ ١٩٣ . وترجم له ابن الجوزي في «المنتظم» ٧/ ١٢٣ فيمن توفي سنة (١٠٨) .

وقُدَيد: موضع قرب مكة، والمُشلَّل: جبل يُهبط منه إلى قُديد من ناحية البحر. ينظر «معجم البلدان» ٤/ ٣١٣ ، و٥/ ١٣٦ .

(٢) طبقات خليفة ص ٢٤٤ ، وقال فيه: سنة ستّ آخرها، أوّلَ سنة سبع ومئة.

(٣) في «تاريخه» ٥٨/ ٣٧٨ . (طبعة مجمع دمشق).

(٤) أي: ضَعْه وضعاً سهلاً.

(٥) حلية الأولياء ٢/ ١٨٤ ، وتاريخ دمشق ٥٨/ ٣٧٦ .

(٦) طبقات ابن سعد ٧/ ١٨٦ .

(٧) ينظر «طبقات» ابن سعد ٧/ ٤٥٢ .

وروى عنه ابنُه عبد الرحمن، وسالم بن عبد الله بن عُمر، والزُّهري، ونافع مولى ابن عُمر، والشّعبي، وأنس بن سيرين، ويحيى بن سعيد الأنصاري، ومحمد بن المنكدر، وأبو بكر بن محمد بن عَمرو بن حَزْم، وأسامة بن زيد الليثي وربيعة[١]، وسعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن عَوْن، ومالك بن دينار، وأيوب السَّخْتِياني، وأبو الزِّناد، وشيبة بن نِصاح المقرىء، وحُميد الطويل، وخلق كثير.

وكان ثقةً رفيعاً، عالماً فقيهاً إماماً، كثيرَ الحديث ورعاً، وكان يحدِّثُ بالحديث على حروفه، رحمة الله عليه.

مُحَرَّر[٢] بن أبي هريرة

الدَّوْسي، من الطبقة الثانية من أهل المدينة، توفّي في خلافة عُمر بن عبد العزيز[٣].

وقد روى عن أبيه، وكان قليل الحديث، وروى عن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه.

وروى عنه ابنُه مسلم بن المحرَّر، وعطاء، والشعبي، وغيرُهم، ووفد على عبد الملك وابنِه سليمان[٤].

ولقيَ ابنَ عمر ﷺ، فسأله عن السَّمَك يكون بالساحل، فينضبُ عنه الماء، فيموت، فقال: هو حلال[٥].

محمد بن مروان بن الحكم

وأمُّه أمُّ ولد، يقال لها: زينب، وهو من الطبقة الثانية من أهل المدينة[٦].

---

(١) في (خ) (والكلام منها): وأسامة وربيعة بن زيد. وهو خطأ. وقد روى عنه ربيعة بن أبي عبد الرحمن، وربيعة بن عطاء مولى بني سباع. ينظر «تهذيب الكمال» ٢٣/ ٤٢٨ .

(٢) تحرف في (خ) (والكلام منها) إلى: محمد.

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٥٠ .

(٤) تاريخ دمشق ٦٦/ ٢٤٦ (طبعة مجمع دمشق)، وتهذيب الكمال ٢٧/ ٢٧٥ .

(٥) تاريخ دمشق ٦٦/ ٢٥٢ .

(٦) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٣٣ .

وكان شجاعاً صاحب غزو، وكان أبوه مروان قد ولاه أرمينية، وكان عبدُ الملك يحسُدُه على شجاعته، فتهيَّأ محمد للمسير إلى أرمينية مفارقاً لأخيه عبد الملك، فدخل عليه مودِّعاً وأنشده:

وإنــك لا تَـرى طَـرْداً لحـرٍّ كـإلصاقٍ بـه بعـضَ الـهـوانِ
فلـو كنَّا بمنزلـةٍ جميعـاً جريتَ وأنتَ مضطربُ العِنانِ

فرقَّ له عبدُ الملك، وقال: يا أخي، أَقِمْ، فواللهِ لا رأيتَ منِّي ما تكره بعدَها[1].

وفي سنة ثلاث وسبعين غزا قيساريَّة من أرض الروم إلى مَرْعَش.

وغزا سنةَ ستٍّ وسبعين من ناحية مَلَطْيَة.

وغزا أيضاً سنة اثنتين وثلاث وأربع وخمس وسبع وثمانين أرمينية، وصاف بها وشَتَا[2].

وفي سنة تسعين فتح باب الأبواب ومعظم حصونه[3].

وفي سنة إحدى وتسعين عزلَ الوليدُ بنُ عبد الملك محمدَ بنَ مروان عن الجزيرة وأرمينية وأذربيجان، وولَّاها مَسْلَمةَ بنَ عبد الملك، فسار إلى باب الأبواب، ونصبَ عليها المجانيق فَهَدَّ حائط الباب[4].

وفي سنة إحدى ومئة مات محمد بن مروان.

وكان له من الولد مروانُ، آخِرُ خلفاء بني أمية، وأمُّه أم ولد. ويزيدُ، وأمُّه رَمْلَة بنت يزيد بن عُبيد الله بن شيبة بن ربيعة بن عبد شمس. وعبدُ الرحمن، وأمُّه أمُّ جميل بنت عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب. ومنصور، لأمِّ ولد. وعبدُ العزيز، لأمِّ ولد. وعبدة، ورَمْلة، لأمَّهات أولاد[5].

---

(١) تاريخ دمشق ٦٤/ ٣١٣ (طبعة مجمع دمشق).

(٢) ينظر «تاريخ دمشق» ٦٤/ ٣١٠-٣١٢.

(٣) المصدر السابق ٦٤/ ٣١٢. وباب الأبواب ـ ويسمى الباب ـ مدينة على بحر طبرستان (بحر قزوين)، وفي وسطها مُرْسىً للسفن على جانبي سدَّيْن مُحكمي البناء، وجُعل مدخلُه ملتوياً، ولا تمرُّ به المراكب والسفن إلا بإذن. وهي من أهم الثغور، وهي الدَّرْبَند. ينظر «معجم البلدان» ١/ ٣٠٣.

(٤) تاريخ دمشق ٦٤/ ٣١٣.

(٥) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٣٣.

وقد روى الزُّهْريّ عن محمد بن مروان، وروى عن مروان ولدُه محمد[١].

مِقْسَم صاحب ابن عباس

من الطبقة الثانية من أهل مكة[٢]، وهو مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، ويُكنى أبا القاسم.

وكان قد لزمَ ابنَ عبَّاس، وروى عنه، فبعضُ الناس يقول: هو مولى ابن عباس للزومه له، وكان كثيرَ الحديث ضعيفاً، توفي في سنة إحدى ومئة[٣].

يزيد بن الأصمّ

أبو عوف[٤] العامري، الكوفي من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الجزيرة[٥].

وهو ابنُ أخت ميمونة زوجِ رسول الله ﷺ؛ أمُّه بَرْزَة بنتُ الحارث؛ قيل: إنه رأى رسول الله ﷺ.

وسكن الرَّقَّة، ووفدَ على معاويةَ، وعبدِ الملك، وسليمان وقال: حضرتُ عند سليمان، فجاءه رجل بمال من جسر مَنْبج[٦]، وعنده عمر بن عبد العزيز فقال عمر لسليمان: إنَّ هذا رجل سوء يحمل مال السوء[٧]. فأطلقَ سليمان [سبيل الناس من][٨] الجسور والمعابر.

---

(١) انقلب الكلام في (خ) (وهو منها فقط) فجاءت العبارة فيها بلفظ: وروى عن محمد ولده مروان. وهو خطأ. وينظر «تاريخ دمشق» ٦٤/ ٣٠٨ وفيه خبرٌ يوضّح ما أثبتُّه أعلاه.

(٢) طبقات ابن سعد ٨/ ٣١_٣٢ ، وذكره أيضاً ٧/ ٢٩١ في الطبقة الثانية من التابعين من أهل المدينة من موالي الأنصار.

(٣) المصدر السابق، بالموضعين المذكورين.

(٤) في (خ) (والكلام منها): بن عوف، وهو خطأ. وسترد الترجمة أيضاً آخر سنة (١٠٤).

(٥) في (خ): الكوفة، والصواب ما أثبتُّه، وقد ذكره ابن سعد في هذه الطبقة ٩/ ٤٨٤ . وكذا ذكره ابن عساكر في «تاريخه» ١٨/ ٢٤٩ (مصورة دار البشير) عن أبي علي الحافظ وغيره.

(٦) في «تاريخ دمشق» ١٨/ ٢٤٨ : فجاء رجل يقال له: أيوب وكان على جسر منبج يحمل مالاً مما يؤخذ على الجسر.

(٧) في «تاريخ دمشق»: هذا رجل مترف يحمل مال سوء.

(٨) ما بين حاصرتين من المصدر السابق.

واسم الأصمّ عَمرو بن عُدَس بن عُبادة من بني عامر بن صعصعة.

وكان يزيد ثقةً كثير الحديث، روى عن أبي هريرة، وابن عبَّاس، وخالته ميمونة، وكان ينزلُ الرَّقَّة.

وقال سليمان بن عبد الله بن الأصم: مات يزيد بن الأصمّ في سنة ثلاث ومئة في خلافة يزيد بن عبد الملك.

وقال أبو أحمد العجلي: مات بالرَّقَّة سنة إحدى ومئة[١].

وقيل: سنة ثلاث ـ أو أربع ـ ومئة.

وقيل: عاش إلى زمن هشام بن عبد الملك[٢].

وأسند عن سعد بن أبي وقَّاص، وعوف بن مالك، وعائشة، وأمِّ الدَّرداء[٣].

وحدَّث عنه عبد الله وعُبيد الله ابنا عبد الله بن الأصمّ، وميمون بن مِهْران، وغيرهم، وكان ثقةً صالحاً، رحمة الله عليه[٤].

السنة الثانية بعد المئة

فيها قُتل يزيد بنُ المهلب وإخوتُه، وعديُّ بنُ أرطاة، وعبد الملك بنُ مِسْمَع، ويزيدُ ابنُ أبي مسلم بإفريقية، وغيرهم، وسنذكرُهم في تراجمهم.

وفيها جمع يزيدُ بنُ عبد الملك لمسلمةَ بنِ عبد الملك بعد قَتْلِ يزيدَ بنِ المهلب بين ولاية الكوفة والبصرة وخُراسان، فولَّى مسلمةُ الكوفةَ محمدَ بنَ عَمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيط. ويقال له: ذو الشامة. وولَّى على البصرة عبدَ الرحمن بنَ سُليم الكلبي عاملاً [و] على شرطتها عمر بن يزيد بن عمير التميمي، فأراد عبد الرحمن بن سُليم أن يستعرض أهل البصرة، فقال له عُمر بن يزيد: تريد أن تفعل ذلك ولم تُهيِّء

---

(١) لم أقف عليه. ونقل المزي في «تهذيبه» ٣٢/ ٨٥ تاريخ وفاته سنة (١٠١) عن رجل من ولده.

(٢) ينظر «طبقات» ابن سعد ٩/ ٤٨٤ ، و«تاريخ دمشق» ١٨/ ٢٥٢ـ٢٥٢ .

(٣) تاريخ دمشق ١٨/ ٢٤٦ ، وتهذيب الكمال ٣٢/ ٨٣ ، وقد سلف قبل ذلك أنه روى عن أبي هريرة... وكان من الأولى جمع هذا الكلام.

(٤) من قوله: ومن شعره في سُكينة (أوائل ترجمة عمر بن أبي ربيعة) ص٣٢١... إلى هذا الموضع، ليس في (ص).

حصناً تكون فيه، فواللهِ لو رماك أهلُ البصرة بالحجارة لقتلونا، ولكن اصْبِرْ حتى تنظر. وبعث رسولاً إلى مسلمة يخبره، فعزل عبدَ الرحمن بنَ سُليم، وأقرَّ عُمَر على الشرطة، وولَّى عاملاً على البصرة عبدَ الملك بنَ بشر بنِ مروان[١].

وفيها بعث مسلمةُ إلى خُراسان سعيدَ بنَ عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص، وكان زوجَ ابنةِ مَسْلَمة بن عبد الملك، ويلقب سعيد خُذينة[٢].

[وسببُه أنه لما قدم خُراسان لبس ثياباً مصبغة، وكان متنعِّماً، فدخل عليه بعضُ ملوكها ـ أو دهاقينها ـ فرآه على تلك الحال، فلمَّا خرجَ من عنده قالوا: كيف رأيتَ الأمير؟ قال: خذينة. وهي بلغة الدهاقنة يعني امرأة].

ورُفع إلى سعيد خُذينة أن أقواماً اختانوا الأموالَ، منهم جَهْم بن زَحْر الجُعْفي، والقعقاع الأزدي، والمنتجع بن عبد الرحمن الأزدي، وعبد العزيز بن عَمرو بن الحجاج الزُّبيدي، فحبسهم، وبسطَ عليهم العذاب، فمات جَهْم بن زَحْر، وعبد العزيز، والمنتجع. وأقامَ القعقاعُ حتى غزت التركُ مَرْو، فأخرج من الحبس[٣].

وفيها عزل سعيد خُذينة شعبةَ بنَ ظُهير عن سَمَرْقَنْد والسُّغْد[٤]، وولَّى حَرْبَها عثمانَ ابنَ عبد الله بن مطرِّف بن الشِّخِّير، وولَّى الخراج سليمان بن أبي السَّرِيّ، وولَّى هراةَ معقلَ بنَ عُروة القشيري.

وضعَّفَ الناسُ سعيداً، وسَمَّوْه خُذينة[٥].

وبلغ التُّرك، فطمعوا فيه، وجمع خاقان التُّرك، وبعث بهم إلى السُّغْد، وقدَّم عليهم رجلاً يقال له: كورصول، فسار حتى نزل القصر الباهليّ وفيه مئةُ أهلِ بيت بذراريّهم،

---

(١) تاريخ الطبري ٦/ ٦٠٤ـ٦٠٥ . والواو السالفة بين حاصرتين منه. ومن قوله: وغيرهم وسنذكرهم في تراجمهم... إلى هذا الموضع، ليس في (ص).

(٢) المصدر السابق ٦/ ٦٠٥ . والكلام الآتي بعده بين حاصرتين من (ص).

(٣) تاريخ الطبري ٦/ ٦٠٦ـ٦٠٧ .

(٤) السُّغْد، أو: الصُّغْد: قرًى متصلة خلال الأشجار والبساتين من سَمَرْقند إلى قريب من بُخارى، لا تبين القرية حتى تأتيَها؛ لالتحاف الأشجار بها. ينظر «معجم البلدان» ٣/ ٢٢٢ و٤٠٩ .

(٥) في (خ) (والكلام منها): وأعلنوا بحديثه. والمثبت من «تاريخ» الطبري ٦/ ٦٠٠ (والخبر فيه). وينظر «الكامل» ٥/ ٨٩ .

والذي جاء بهم إلى القصر أنَّ بعضَ الدَّهاقين خطبَ امرأةً في القصر من باهلة، فأبَتْ أن تتزوَّجه، فجاء بالتُّرك، فحصروه. وكان عثمان بن عبد الله بسمرقند، وبين القصر وسمرقند مسافة، فخاف أهلُه أن يُبطِئَ عليهم المدد، فصالحوا التُّرك على أربعين ألفاً، وأعطَوْهم الرهائن السبعة عشر رجلاً[1].

وندبَ عثمانُ الناسَ إلى الخروج إلى التُّرك، فانتدب المسيّب بن بشر الرِّياحي في أربعة آلاف مقاتل من أعيان القبائل، وفيهم الأشراف ووجوه الناس.

فسار يوماً، ثم نزل وقال: إنكم تَقْدَمُون على فرسان التُّرك، فإن صبرتُم فلكم الجنة، وإنْ فررتُم فالنار، فمن أراد أن يقدَم فليقدَم. فانصرف عنه ألف وثلاث مئة، ثم سار فَرْسَخاً، فقال مثل مقالته، فانصرف عنه ألف، وسارَ فَرْسَخاً، وبقي في سبع مئة.

ولما قرب من القوم جاءه دِهْقان، فقال له: لم يبق من الدَّهاقين إلا من بايع التُّرك غيري، وأنا في ثلاث مئة مقاتل، ونحن معك، والتُّرك قد حصروا القصر وصالحوهم على أربعين ألفاً، وأعطَوْهُم سبعةَ عشرَ رجلاً رهائن، ولما بلغ التُّركَ وصولُكم قَتَلوا الرهائن، وميعادُهم أن يقاتلوهم غداً، أو يفتحوا لهم القصر.

وكان في القصر عبدُ الملك بنُ دِثار الباهلي، فقال المسيّب لرجلين: اذْهَبا وتَحَيَّلا في وصولكما إلى القصر، وأخْبِرا أهله بالغِياث.

فسارا ليلاً فوجدا التُّرك قد أجْرَوا الماء حول القصر، فلا يصلُ إليه أحد، وكانت ليلةً مظلمة، فنزلا عن فرسيهما وشَدَّاه في الشجر، وخاضا الماء إلى القصر، فصاح الدَّيْدَبان[2]، فقالا: اسكت، ونادِ لنا عبدَ الملك بنَ دِثار. فناداه، فأخبَراه بوصول المسيّب، وأنه على فَرْسخين منهم، فقال عبد الملك: إنَّا كنَّا قد عزمنا على تقديم نسائنا للموت، ثم نموتُ كلُّنا جميعاً.

---

(١) عبارة الطبري ٦/ ٦٠٨: «وأعطَوْهُم سبعة عشر رجلاً رهينة». وهي أنسب، إذ لم يتقدَّم ذكر الرهائن.

(٢) يعني الحارس، أو الطليعة الذي يرقب العدوّ. ووقع في «تاريخ» الطبري ٦/ ٦٠٩ و«الكامل» ٥/ ٩٣: الربيئة. وهما بمعنى.

فرجعا إلى المسيّب فأخْبَراه، فقال المسيّب للذين معه: إني سائر إلى هذا العدوّ، فمن أحبَّ أن يذهبَ فليذهبْ. فلم يفارقه أحد، وبايعوه على الموت، وأجمع على بياتهم، وقد أطلقوا الماء حول القصر.

فلما كان في الليل قال لهم: اجعلوا شعاركم: يا محمد، وكانوا سبع مئة، فلما كان وقتُ السَّحَر وقد دَنَوْا منهم؛ كرُّوا وحملُوا، وخالطوا التُّرك، فصبروا لهم، وانهزم المسلمون، وأصابَ تركيٌّ عَجُز دابَّة المسيّب، فترجَّلَ، وترجَّلَ أصحابُه، وقاتلوا قتالاً شديداً، واستُشهد جماعةٌ من المسلمين، وأنزلَ اللهُ نصرَه، فانهزمت الترك، فقال المسيّب: لا تتبعوهم، واقْصِدُوا القصر، ولا تحملوا إلا المال والحريم والضَّعْفَى. فحملُوا الجميع، فألحقوهم بسمَرْقَنْد، ونادى المسيّب: مَنْ حملَ امرأة أو صبيّاً أوضعيفاً [حِسْبَةً] فأجرُه على الله، ومَنْ أبى فله أربعون درهماً. فحملوا جميعَ مَنْ كان فيه، وتأخَّر[1] عن القصر.

وعاد التُّرك من الغد إلى القصر، فلم يجدوا فيه أحداً، وشاهدوا حول القصر قتلاهم، فقالوا: هؤلاء الذين جاؤوكم لم يكونوا من الإنس[2].

وكان التُّرك أربعين ألفاً.

وذكر الشعراء الوقعة، فقال ثابت قُطْنة[3]:

فَدَتْ نفسي فوارسَ من تميمٍ ... غَداةَ الرَّوْع في ضَنْكِ المقامِ
بقصرِ الباهليِّ وقد رأوني ... أُحامي حيثُ ضنَّ به المحامي[4]
بسيفي بَعْدَ حَطْمِ الرُّمْحِ قُدْماً ... أَذُودُهُمُ بذي شُطَبٍ حُسامِ[5]

(١) كذا. ولعل صواب اللفظة: وتأخَّروا. وَيقارن السياق بما في «تاريخ» الطبري ٦/ ٦١٠ . وما بين حاصرتين منه.

(٢) تاريخ الطبري ٦/ ٦١٠-٦١١ ، والكامل ٥/ ٩٣-٩٤ .

(٣) هو ثابت بن كعب بن جابر العَتَكيّ الأزديّ، أُصيبت عينُه بخُراسان، فجعل عليها قطنة، فعُرف بذلك، وهو يشتبه بثابت بن قطبة، بالباء الموحَّدة، وهو خُزاعي، وذاك عَتَكيّ. قاله ابن الأثير في «الكامل في التاريخ» ٥/ ٨٩ .

(٤) في (خ) (والكلام منها): وقد رآني أحامي حيث أضرب للمحامي. والمثبت من «تاريخ» الطبري ٦/ ٦١١ ، و«الكامل» ٥/ ٩٤ ، وينظر أيضاً «تاريخ» الطبري ٥/ ٥٤٩ .

(٥) الحُسام: السيف. وشُطَب السيف: الخطوط تتراءى في متنه.

أكُرُّ عليهم اليحمومَ كَرّاً ... كَكَرِّ الشَّرْبِ[١] آنيةَ المُدامِ
أكُرُّ به لَدَى الغَمَراتِ حتى ... تَجَلَّتْ لا يضيقُ بها مَقامي
فلولا اللهُ ليس له شريك ... وضَرْبي قَوْنَسَ[٢] الملكِ الهُمامِ
إذاً لَسَعَتْ نساءُ بني دِثارٍ ... أمامَ التُّرْكِ باديةَ الخِدامِ
فمَنْ مثلُ المسيّب في تميمٍ ... أبي بِشْرٍ كقادمةِ الحِمامِ[٣]

وقال [جرير يذكُر المسيّب][٤]:

لولا حِمايةُ يَرْبوعٍ نساءَكُمُ ... كانت لغيركُمُ منهنَّ أطهارُ
حَامَى المسيَّبُ والخَيْلانِ في رَهَجٍ ... إذ كان شعبة لا يحمي وزَرَّارُ[٥]

وفيها قطع سعيد خُذينة النهرَ[٦]، وغزا السُّغْد[٧]، وكانوا قد نقضوا العهد، وأعانوا الترك على المسلمين، فقال الناس لسعيد: تركتَ الغزو وقد أغار الترك وأعانهم [أهل] السُّغْد. فعبر النهر، ولقيَه الترك والسُّغْد، فهزمهم المسلمون، فقال سعيد: لا تتبعوهم، فإن السُّغْد بستانُ أمير المؤمنين، وقد هزمتُموهم، أفتُريدُون بَوَارَهم، يا أهل العراق قد قاتلتُم الخلفاء غير مرة فهل أبارُوكم؟!

وكره الناس سعيد خُذَيْنة لأنه كان مُولعاً باللهو، ليس له في الغزو حظّ.

وقطع النهر مرتين، ولم يُمعن في قتال العدوّ، وكان إذا دخلت سريةٌ بلادَ العدوّ فسَبَوْا وغنموا، رَدّ السَّبْيَ، وعاقبَ السَّرِيَّة. فقال الهَجَريّ الشاعر:

(١) اليحموم: الشديد الحرارة، والشَّرْب: القوم يشربون ويجتمعون على الشراب.
(٢) القَوْنَس: مقدَّم الرأس، أو أعلى بيضة الحديد.
(٣) تاريخ الطبري ٦/ ٦١١ ، والكامل ٥/ ٩٤ .
(٤) ما بين حاصرتين من «تاريخ» الطبري ٦/ ٦١١ . ومن دونه يعود الكلام على ثابت قطنة قبله، وهو خطأ.
(٥) كذا في (خ) (والكلام منها). ولفظ عجز البيت في «تاريخ الطبري» ٦/ ٦١١ : إذْ مازنٌ ثَمَّ لا يُحْمَى لها جارُ. ولفظُه في «ديوان» جرير ١/ ٣٦٢ : أزمانَ شبَّةُ لا يحمي ونَعَّارُ. وشَبَّةُ هو ابنُ عِقال بن شَبَّة بن عِقال. والنَّعَّار هنا: المنهزم. قاله محمد بن حبيب شارح الديوان. وقوله: زرَّار جاء في بيت ثالث في «تاريخ» الطبري، وعجزه: ولا زُرارة يحميها وزَرَّارُ. قال شارح «الديوان» ١/ ٣٦٢ : أراد بزرَّار كلّ من كان بسبب زُرارة. اهـ. ووقعت الأبيات في «ديوان» جرير ضمن قصيدة في هجاء الفرزدق.
(٦) يعني نهر بَلْخ، ينظر «تاريخ» الطبري ٦/ ٦١٢ .
(٧) ويقال: الصُّغْد، وهي قرًى متصلة بين سمرقند وبُخارى، وسلف خبرها قريباً.

سَرَيْتَ إلى الأعداء تلهو بلعبةٍ وأيْرُك مسلولٌ وسيفُك مُغْمَدُ
وأنتَ لمن عادَيْتَ عِرْسٌ خفيَّةٌ وأنتَ لمن والى حُسامٌ مُهَنَّدُ[١]

وكان بخراسان أميرٌ؛ كنيته أبو الهيَّاج، واسمُه حيَّان، نبطي، وكان شجاعاً، ومالَ الناسُ إليه، فقال سَوْرَة ابن أبجر[٢] لسعيد خُذينة: قد مالَ الناس إلى حيَّان، وهو الذي أفسد على قُتيبة بن مسلم خُراسان، وفي عَزْمِهِ الوثوبُ بك. فقال سعيد: يا سورة، هذا محال. ثم غافل حيانَ أياماً، ودعا في مجلسه بلبنٍ قد سُحق فيه الذهب، فقُدِّم إلى حيَّان، فشربَه، ثم ركب سعيد، وركبَ الناس معه، وأظهر أنه يقصد عدوّاً، فركض أربعة فراسخ، فعاش حيَّان أربعة أيام ومات، فكره الناسُ سعيداً واستثقلوه[٣].

وفيها غزا عُمر بن هُبيرة أرمينية، فسبى خلقاً عظيماً، وغنم غنائم كثيرة.

وفيها بعثَ ميسرةُ من العراق إلى خُراسان رجالاً يظهرون الدعوةَ العباسيَّة، وبلغ عَمرَو بنَ بَحِير بن وَرْقاء السَّعديّ أمرُهم، فجاء إلى سعيد خُذينة، فأخبره، فاستدعاهم وقال: ما أنتم؟ قالوا: تجار. قال: لا، بل دعاةٌ. فقالوا: ما ندري ما تقول. وجاءت ربيعةُ واليمن، وقومٌ من خُراسان، فقالوا: هؤلاء تجار، وإنْ جاء منهم ما تكره، كان علينا. فأطلقَهم[٤].

وفيها عزل يزيدُ بنُ عبد الملك أخاه مَسْلَمةَ عن العراقين وخُراسان بعد قتل يزيد بن المهلب بثمانية أشهر. وقيل: بستة أشهر.

وسببُه أنَّ مسلمةَ استولى على العراقين وخُراسان والبلاد الشرقية، فاحتجز الأموال، ولم يبعث إلى يزيد بن عبد الملك منها شيئاً، وضاق الأمر على يزيد، وأراد عزلَه، فاستحيا منه، وكتب إليه: استخلِفْ على عملك، واقْدَمْ عليَّ لأمرٍ لا تحملُه الرسائلُ والكتب.

---

(١) تاريخ الطبري ٦/ ٦١٤، والكامل ٥/ ٩٦.

(٢) في المصدرين السابقين: الحر.

(٣) تاريخ الطبري ٦/ ٦١٤، والكامل ٥/ ٩٧.

(٤) تاريخ الطبري ٦/ ٦١٦-٦١٧، والكامل ٥/ ١٠٠.

وكان مسلمةُ قبل ذلك قد عزم على زيارة يزيد، فاستشار عبدَ العزيز بنَ حاتم بن النعمان في زيارته، فقال له: إنك لَطَروب، وإن عهدَك به لَقريب، ووالله لئن فارقتَ بلادك [فإنك لا تخرج من عملك][١] حتى تلتقي العامل عليها.

فسار مسلمةُ فلما بلغ دُورين لقيه عُمر بن هُبيرة على خمس من دوابّ البريد، فسأله مسلمة عن مَقْدَمِهِ، فقال: بعثني أمير المؤمنين لأحوز أموال بني المهلَّب بالبصرة. فقال [مسلمة] لعبد العزيز: هذا ابنُ هُبيرة قد لَقِينا. فقال عبد العزيز: فقد أخبرتُك. فقال: إنما جاء لِحيازة أموالِ بني المهلَّب. فقال: هذا أعجبُ من الأول، انصرفَ ابنُ هُبيرة عن أعمال الجزيرة، وتولَّى جباية أموالِ بني المهلَّب، سوف ترى.

فلم يلبث أن جاءه عزلُ عمالِ مسلمة ومطالبةُ ابنِ هُبيرةَ لهم بالأموال، ووصلَ مسلمة إلى الشام.

وقال الفرزدق:

راحَتْ بِمَسْلَمةَ الرِّكابُ مودَّعاً ... فارْعَيْ فَزَارةُ لا هَناكِ المَرْتَعُ

عُزِلَ ابنُ بِشْرٍ وابنُ عَمرٍو قبلَهُ ... وأخو هَراةَ لِمثلِها يتوقَّعُ

ولقد علمتُ لئن فَزَارةُ أُمِّرَتْ ... أنْ سوفَ تطمعُ في الإمارة أشجعُ

يعني بابنِ بِشْر عبدَ الملك بنَ بشر بن مروان، وبابن عَمرٍو محمداً ذا الشامة، وبأخي هَراة سعيدَ خُذينه[٢].

وحجَّ بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بنُ الضحَّاك بن قيس الفِهْرِي، وكان على المدينة، وكان على مكة عبدُ العزيز بنُ عبد الله بن خالد بن أَسِيد، وعلى العراق ابنُ هُبيرة، وعلى قضاء الكوفة القاسمُ بنُ عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، وعلى البصرة عبد الملك بن بِشر بن مروان[٣].

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة ضرورية للسياق. وينظر «أنساب الأشراف» ٧/ ٣٠٨، و«تاريخ» الطبري ٦/ ٦١٥.

(٢) تاريخ الطبري ٦/ ٦١٥-٦١٦. وينظر «أنساب الأشراف» ٧/ ٢١٠-٢١١ و٣٠٨. و«ديوان» الفرزدق ١/ ٤٠٨.

(٣) تاريخ الطبري ٦/ ٦١٧-٦١٨. ومن قوله: ورُفع إلى سعيد خُذينة (أوائل أحداث هذه السنة)... إلى هذا الموضع، ليس في (ص).

وفيها توفي

الضحَّاك بن مُزاحم

الهلالي [من بني عامر بن صعصعة] من رهط زينب زوج رسول الله ﷺ[١]، وكنيته أبو القاسم، وهو من الطبقة الثالثة من التابعين من أهل الكوفة[٢].

وُلد لسنتين وقد أثغر[٣]، وكان معلِّماً في الكتَّاب، يعلِّم الناس، ولا يأخذُ منهم على التعليم أجرة.

[قال الواقدي:] وأصلُه من الكوفة، ثم أقام ببَلْخ، ومات بخراسان.

وله تفسيرٌ للقرآن مشهور، وكان عابداً مجتهداً، إذا أمسى يقول: لا أدري ما صعد اليوم من عملي ويبكي[٤].

وقال: لقد أدركتُ أصحابي وما يتعلَّمون إلا الورع[٥].

مات سنة اثنتين ومئة، وقيل: سنة خمس ومئة.

[وقال شعبة (عن مُشاش): قلتُ له: لقيتَ ابنَ عبَّاس؟ قال: لا.

وقال عبد الملك بن ميسرة: لم يلق الضحاكُ ابنَ عبَّاس، وإنما] لقيَ سعيد بنَ جبير بالرَّيّ، فأخذ عنه التفسير، وكان فَصُّ خاتمه صورة طائر[٦].

عامر بن واثلة

ابن عبد الله [بن عُمير] بن جابر الكِناني، كنيتُه أبو الطُّفيل الليثي.

ولد عامَ أُحد، وأدرك من حياة رسول الله ﷺ ثماني سنين، وهو آخر سائر الصحابة موتاً بمكة، وهو آخِرُ من رأى رسولَ الله ﷺ.

---

(١) يعني زينب بنت خزيمة، ويقال لها: أم المساكين. ينظر «طبقات» ابن سعد ١٠/ ١١١ . والكلام الواقع بين حاصرتين من (ص).

(٢) ذكره ابن سعد في «طبقاته» ٨/ ٤١٧ في الطبقة الثانية.

(٣) أي: نبتت أسنانُه.

(٤) صفة الصفوة ٤/ ١٥٠ .

(٥) طبقات ابن سعد ٨/ ٤١٨ . ونُسب القول في (ص) إليه.

(٦) طبقات ابن سعد ٨/ ٤١٨ . والكلام بين حاصرتين من (ص) غير قوله: عن مُشاش (بين قوسين) فمن «الطبقات». وينظر «الجرح والتعديل» ٤/ ٤٥٨-٤٥٩ .

وكان من أصحاب عليّ عليه السلام، شهد معه مشاهدَه كلَّها، فلما استُشهد؛ خرجَ إلى مكة، فأقام بها حتى مات[١].

وقال الزبير بن بكَّار: وفد عامر على معاوية، فقال له: ألستَ من قتلة عثمان؟! قال: لا، ولكني ممَّن لم ينصره [قال: وما منعك من نصره؟! قال: لم ينصره] المهاجرون والأنصار. فقال معاوية: واللهِ لقد كان حقّاً عليهم أن ينصروه. قال له عامر: فما منعك أنتَ من نصره ومعك أهل الشام؟! فقال معاوية: طلبي بدمه نصرةٌ [له]. فضحك عامر، وقال: أنتَ وعثمانُ كما قال القائل:

لا أُلفِيَنَّكَ بعد الموتِ تَنْدُبُني [وفي حياتيَ ما زَوَّدْتَني زادي]

قال له معاوية: ما أبقى الدهر من ثُكْلِكَ على أبي تراب؟ فقال: ثُكْلِي على أمير المؤمنين ثُكْلُ المِقْلات العجوز، والرَّقُوب. قال: فكيف حبُّك له؟ قال: حبُّ أمِّ موسى لموسى. ثم قام فخرج[٢].

وكان عامر فصيحاً فاضلاً شاعراً حاضرَ الجواب. ومن شعره:

أيدْعونَني شيخاً وقد عِشْتُ بُرْهةً وهنَّ من الأزواج نحوي نوازعُ

وما شابَ رأسي من سنينَ تتابَعَتْ عليَّ ولكن شَيَّبَتْني الوقائعُ[٣]

وتوفي بعد سنة مئة، وقال خليفة: توفي بمكة سنة اثنتين ومئة[٤]. وقيل: سنة سبع ومئة. وقيل[٥]: عشر ومئة، والأوّل أصحّ[٦].

(١) تاريخ دمشق ص ٤٦٥ (طبعة مجمع دمشق - تراجم حرف العين).

(٢) تاريخ دمشق ص ٤٦٠-٤٦١ . وما سلف بين حاصرتين منه. والبيت المذكور لِعَبيد بن الأبرص، وهو في «ديوانه» ص ٦٢ ، وصدره فيه: لأعرفنّك بعد...

قال ابن عساكر بإثر الخبر: المِقْلات: التي لا يعيش لها ولد، والرَّقوب: الرجل الذي قد يئس أن يولد له.

(٣) تاريخ دمشق ص ٤٧٨ .

(٤) لم أقف على هذا القول، والذي في «طبقات» خليفة ص ١٢٧ : مات بالمدينة، وفي الصفحة ٢٧٩ : مات بعد سنة مئة، ويقال: سنة سبع ومئة. وأورده في «تاريخه» ص ٣٢٥ فيمن مات في خلافة عمر بن عبد العزيز سنة (١٠١).

(٥) في (خ)(والكلام منها): وثماني، بدل: وقيل. والصواب ما أثبتُّه. وينظر «تاريخ دمشق»ص ٤٨٠-٤٨١.

(٦) ذكر الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ٣/ ٤٧٠ أن الصحيح في موته سنة عشر ومئة.

وكان له ابن اسمه الطُّفيل بن عامر، وبه كان يُكنَى، قُتل مع ابن الأشعث يومَ الجماجم.

أسند عامر الحديث، أخرج له الإمام أحمد رضي الله عنه في «المسند» عشرة أحاديث(١)، منها:

قال الإمام أحمد رحمه الله: حدثنا وكيع، حدَّثنا معروف المكي قال: سمعتُ أبا الطُّفيل عامرَ بنَ واثلة قال: رأيتُ رسول الله ﷺ يطوفُ بالبيت على راحلته يستلمُ الحَجَرَ بمِحْجَنِهِ. انفرد بإخراجه مسلم(٢).

قالوا: وإنَّما لم يخرج عنه البخاريّ لأنه كان مُفْرِطاً في التشيّع(٣).

قال ابنُ عبد البَرّ: كان يعترفُ بفضل الشيخين، إلا أنه كان يقدِّم عليّاً(٤).

وأجمعوا على أنه كان ثقةً مأموناً(٥)، روى عن جماعة من الصحابة؛ عليٍّ، وابنِ عباس، ومعاذِ بنِ جبل، وروى عن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه.

ووردَ المدائن في حياة حُذيفة، وبعد ذلك في صحبة عليّ رضوان الله عليه(٦).

وذكره ابن عساكر(٧) فيمن ورد الشام، وروى عنه الزُّهري، وحبيب بن أبي ثابت، وسعيد بن إياس الجُرَيْرِيّ، وفِطْر بنُ خليفة، وجابر بن يزيد الجُعْفيّ، وعليُّ بنُ زيد بن جُدْعان، وأبو الزُّبير، وجرير بن حازم، وغيرهم رضي الله عنهم(٨).

عبد الملك بن مِسْمَع

الرَّبَعيّ البصري، كان من وجوه أهل البصرة، جواداً شريفاً سيِّد ربيعة في زمانه. ولّاه الحجَّاج شطَّيْ دِجْلة، وأوفدَه على عبد الملك مع وفد البصرة، فدخلَ الشيوخُ أوّلاً، وتأخَّر عبد الملك لصغره(٩).

---

(١) ينظر «مسند» أحمد (٢٣٧٩٢)... (٢٣٨٠٦).

(٢) مسند أحمد (٢٣٧٩٨)، وصحيح مسلم (١٢٧٥).

(٣) نقله ابن عساكر في «تاريخه» ص ٤٧٤ عن محمد بن يعقوب الأخرم.

(٤) الاستيعاب ص ٥١٧ .

(٥) من المعلوم أن الصحابة كلَّهم ثقاتٌ عدولٌ، رضي الله عنهم.

(٦) تاريخ بغداد ١/ ٥٥٩ ، وتاريخ دمشق ص ٤٦٥ (طبعة مجمع دمشق ـ تراجم حرف العين).

(٧) تاريخ دمشق ص ٤٥٧ـ٤٨١ .

(٨) ينظر تاريخ دمشق ص ٤٥٨ ، وتهذيب الكمال ١٤/ ٧٩ـ٨٠ .

(٩) عبارة ابن عساكر ٤٣/ ٢٩٤ : فلما قدم عليه وفدُ أهل البصرة قدَّمَ المشيخةَ وأهل البلاء، فدخل عبدُ الملك في آخر من دخل لصغر سنّه.

قال له عبد الملك: انتسبْ. فانتسبَ، فأحسن، فقال له: ما أخَّرَكَ يا غلام؟ فقال: تقدَّمَ أهلُ السِّنِّ والبلاء. فقال له عبد الملك: أنتَ واللهِ أعظمُ بلاءً عندنا، وأعظمُ والداً. وكان أبوه مِسْمَع على خُراسان. وأمرَ أن لا يتقدَّم عليه أحدٌ، وأمر الحجَّاجَ أن يُولِّيَه البحرَيْن، والبحر والهند والسِّند، فولَّاه، ومات الحجَّاج وهو عليها.

فلما ولي عديٌّ بن أرطاة البصرة لعمر بن عبد العزيز ﵁ أقرَّه عليها، وافتتحَ مدينة القِيقان، ومدينة راكس، وهما بين سجستان والسِّند.

ثم إنَّ عديّاً استدعاه في قَومَة يزيد بن المهلب، فلما غلب يزيد على البصرة وأخذَ عديّاً وأصحابَه أُسراء؛ كان فيهم عبدُ الملك بنُ مِسْمَع، فلما قُتل يزيدُ بنُ المهلب وعاد أخوه المفضَّل إلى واسط وقتلَ عديَّ بنَ أرطاة قتلَ عبد الملك بنَ مِسْمَع في الجملة.

وقال خليفة: الذي قتلَ عبدَ الملك بنَ مِسْمَع معاويةُ بن يزيد بن المهلب بواسط في صفر سنة اثنتين ومئة[١].

عديُّ بن أرطاة

وقيل: ابن أبي أرطاة الفزاري، شاميّ، ذكره خليفة في الطبقة الثانية من أهل الشامات[٢]، وأبو زُرعة في الثالثة، وابن سُميع في الرابعة[٣].

وقال ابن عساكر: كانت دارُه بدمشق بالباب الشرقي بناحية كنيسة مريم[٤].

وقال الخطيب: نزل المدائن، وولَّاه عُمر بن عبد العزيز البصرةَ وغيرَها من بلاد العراق[٥].

---

(١) بنحوه في «تاريخ» خليفة ص ٣٢٥ـ٣٢٦ . وينظر «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٦٩-٢٧٠ و«تاريخ» الطبري ٦/ ٥٩٩ـ٦٠٠ ولم ترد هذه الترجمة ولا التي قبلها في (ص).

(٢) طبقات خليفة ص ٣١٢ . وقوله الشامات، يعني الشام. سميت بذلك لأن أرضها شامات بيض وحُمر وسود. ينظر «القاموس» (شأم). وتحرفت لفظة «الشامات» في (خ) إلى: الشام مات.

(٣) تاريخ دمشق ٤٧/ ٥٨ (طبعة مجمع دمشق)، وتهذيب الكمال ١٩/ ٥٢١ .

(٤) تاريخ دمشق ٤٧/ ٥٦ .

(٥) تاريخ بغداد ١٤/ ٢٥٣ .

وخطب عند انقضاء رمضان فقال: كأنَّ كبداً لم تظمأ، وعيناً لم تسهر، ذهبَ واللهِ الظمأُ والسهر، وبقيَ الأجرُ. فيا ليتَ شِعري! مَن المقبولُ منَّا فنُهنِّئَه، ومَن المطرودُ منَّا فنُعزِّيَه. فيا أيُّها المقبولُ هنيئاً هنيئاً، ويا أيُّها المطرود جَبَرَ الله مُصابَك. ثم بكى وأبكى[1].

وكان فصيحاً، وله إلى عمر بن عبد العزيز مُكاتبات مشهورة، وكذا لعمر إليه.

[فحكى جدّي رحمه الله قال:] كتب عمر إلى عديّ أنْ عليك بأربع ليال في السنة، فإنَّ الله يُفرغُ فيهنَّ الرحمة إفراغاً: ليلةِ رجب، وليلةِ النصفِ من شعبان، وليلتي العيدين[2].

وقال رجاء بن حَيْوة: بلغَ عمرَ عنه شيءٌ، فكتبَ إليه: أمَّا بعدُ، يا عديّ، فإنك غَرَرْتَني بعمامك السوداء، وإرسالك لها من وراء ظهرك، ومجالستك القُرَّاء، أظهرتَ لي الخير، فأحسنتُ بك الظَّنَّ، وقد أظهرَنا اللهُ على كثير مما كنتمْ تكتمون. وإني أُذَكِّرُك ليلةً تَمَخَّضُ بيوم القيامة، فريقٌ في الجنة، وفريقٌ في السعير[3].

أسند عديّ الحديث عن جماعة من الصحابة، منهم عَمرو بنُ عَبَسة، وأبو أُمامة، وروى عنه بكر بن عبد الله المُزَنيّ، وغيرُه، وكان ثقةً[4].

يزيد بن [أبي] مسلم

كاتبُ الحجَّاج، وكُنيتُه أبو العلاء، مولى لثَقِيف، استكتَبَهُ الحجَّاج، وكان على نمط الحجَّاج في الجبروت والمظالم وسفك الدماء، وكان يرى رأيَ الخوارج الصُّفْرِيَّة.

ولما مات الحجَّاج أقرَّه الوليد على العراق أربعة أشهر، ووليَ سليمانُ فعزلَه وولَّى يزيدَ بنَ المهلَّب العراق، فقيَّده وبعثَ به إلى سليمان في حالة رثَّة، وكان سليمان

(١) تاريخ دمشق ٤٧/ ٦٠ . ولم يرد هذا الكلام في (ص).

(٢) التبصرة ٢/ ٢١ . والكلام السالف بين حاصرتين من (ص).

(٣) تاريخ دمشق ٤٧/ ٦٤ دون قوله: وإني أذكّرك...إلخ، فقد ورد في خبر آخر فيه ص ٦١ . وقوله: فريق في الجنة وفريق في السعير، اقتباس من الآية (٧) من سورة الشورى.

(٤) تاريخ دمشق ٤٧/ ٥١ ، وتهذيب الكمال ١٩/ ٥٢٠ . وسلف خبر مقتله آخر الترجمة السابقة.

بالبَلْقاء، فأقامَه للناس، فما تظلَّم منه أحد، إلا رجلٌ من أهل المدينة قال: لطَمَني لطمةً بالعراق، فأقادَه سليمانُ منه.

وقيل: إنما أقامه على درج دمشق، فمرَّ به جرير فقال:

كم في وعائك من أموالِ مُوتِمةٍ　　شُعْثٍ صغارٍ وكم خَرَّبْتَ من دارِ(١)

فلما رأى سليمان أن أحداً لا يتبعه بمظلمة؛ قرَّبه وأدناه.

وكان عُمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يُبغضه، فقال لسليمان: لا تستكتبه، فإنه بقايا الظلم والجبروت.

وخرج يزيدُ في بعث، فردَّه عمر بنُ عبد العزيز، وقال: ليس بمثل هذا يُستعانُ به على عدوِّ المسلمين، واللهِ لا نُصر جيش كان فيهم سيَّاف الحجَّاج أبداً.

ونقصَه عُمر من العطاء، كان في ألفين؛ فردَّه إلى الثلاثين، فلما توفي عمر رضي الله عنه ولاه يزيد بن عبد الملك إفريقيَّة، فسار فيهم بسيرة الحجَّاج، وكان قوم من الرُّسْتاق(٢) قد أسلموا وسكنوا الأمصار، فأعادهم إلى قُراهم ووضع عليهم الجزية، فقتلوه، وولَّوْا عليهم محمد بنَ يزيد الأنصاريَّ، وكان والياً عليهم قبلَه، وكان يزيدُ قد حبسَه، فأخرجُوه، وكتبوا إلى يزيد بنِ عبد الملك: إنَّا لم نخلعْ يداً من طاعة، ولكن يزيد سارَ فينا بالذُّلِّ والهَوَان والعَسْف والسفك، فقتلناه، وولَّيْنا محمد بنَ يزيد الأنصاريّ، وقد أعْذَرْنا إليك.

فكتب إليهم يزيد: إني لم أرضَ بما فعل يزيد، وقد أقررتُ محمداً على إفريقيَّة، والسلام(٣).

وهذا محمد بن يزيد الذي اختاره أهلُ إفريقيَّة أصلُه من البصرة، وهو مولى الأنصار؛ قدم الشام فاستكتبه عبدُ الملك بنُ مروان، وكان في صحابة سليمانَ وعمرَ ابنِ عبد العزيز.

---

(١) تاريخ دمشق ١٨/ ٣٨٨ (مصورة دار البشير). وينظر «مختصره» ٢٨/ ١٧ . قوله: مُوتِمة: أي توفي زوجها، فصار ولدُها يتيماً.

(٢) كلمة معرَّبة، يعني الموضع الذي فيه زراعة وبيوت مجتمعة.

(٣) بنحوه في «تاريخ» الطبري ٦/ ٦١٧ ، و «تاريخ دمشق» ٦٥/ ٢٩٧ (طبعة مجمع دمشق ـ ترجمة محمد بن يزيد الأنصاري). وينظر «المنتظم» ٧/ ٨١ .

وقال المدائني: كتب الحجَّاج إلى عبد الملك يُشير عليه أن يستكتبَ محمد بنَ يزيد الأنصاري وقال: إن أردتَ رجلاً عاقلاً فاضلاً مسلماً مأموناً كتوماً تتَّخذُه لِسِرِّك ونفسك؛ فعليك بمحمد. فاستكتبه عبدُ الملك.

ثم إن عبد الملك استشارَه مَنْ يولِّي بعده، فقال: الوليد ثم سليمان. وبلغ الوليدَ، فحقَدَها عليه حيث أشار لسليمان[١]، فلم يولِّه شيئاً أيامَ خلافته. فلما وليَ سليمان بعثه إلى العراق، فأطلقَ مَنْ كان في سجون الحجَّاج، وفيهم يزيد الرَّقَاشيّ، ويزيد الضَّبيّ، وعابدة من أهل البصرة، وكساهم، وأحسنَ إليهم، وحبس يزيدَ بنَ أبي مسلم، وحمله إلى الشام[٢].

وولَّى سليمانُ بنُ عبد الملك محمداً إفريقيَّة، فأقام بها أيامَ سليمان، وأقرَّه عمر بن عبد العزيز، فلما وَلِيَ يزيدُ بن عبد الملك ولَّى يزيدَ بنَ أبي مسلم إفْرِيقِيَّة.

قال محمد: فلم أشعر بيزيد بن أبي مسلم إلا قد قدم والياً، فأخذني، وعذَّبني عذاباً أليماً حتى كسر عظامي. قال: فأُتيَ بي يوماً إليه، فعذَّبني، وكان عند المغرب، فقلتُ: ارحمني! فقال: التمسِ الرحمةَ عند غيري، والله لو أن مَلَكاً عند رأسي لأقتلنَّك[٣].

[قال:] فقلت: اللهمَّ اذكُر لي ما كان منِّي إلى أهل[٤] الدِّيماس - يعني الحَبْس[٥] - اللهمَّ اذكُرْ لي يزيد الرَّقاشيّ، وفلاناً وفلاناً.

وأُقيمت صلاةُ المغرب فقال: أَخرجُ فأُصلِّي وأعود إلى عذابك. وخرجَ فلمَّا سجدَ وثبَ عليه قومٌ من البربر، فقتلوه، وولَّوْني إفْرِيقِيَّة[٦].

وقال الشعبيّ: كان يزيدُ بنُ أبي مسلم يرى رأي الخوارج الصُّفْريَّة، كما كان الحجَّاج يرى رأيَهم ويُخفيه؛ أُتِيَ الحجَّاج بامرأة منهم، فجعل يكلِّمها وهي معرضةٌ

---

(١) يعني لم يشر أن تكون الخلافة لأبناء الوليد من بعد الوليد. ينظر «تاريخ» الطبري ٦/ ٤١٤_٤١٥، و«تاريخ دمشق» ٦٥/ ٢٩٤_٢٩٥.

(٢) من قوله: ولما مات الحجاج أقرَّه الوليد (أول الترجمة)... إلى هذا الموضع، ليس في (ص).

(٣) في «تاريخ دمشق» ٦٥/ ٢٩٦: لو رأيتُ ملك الموت عند رأسك لبادرتُه نفسَك.

(٤) في (ص): لأهل. وكلمة (قال) السالفة بين حاصرتين منها.

(٥) دِيماس: سجنٌ كان للحجاج بواسط. معجم البلدان ٢/ ٥٤٤.

(٦) تاريخ دمشق ٦٥/ ٢٩٥_٢٩٧ (طبعة مجمع دمشق - ترجمة محمد بن يزيد الأنصاري).

عنه، فقال لها يزيدُ بنُ أبي مسلم: يُكلِّمُكِ الأمير، وتُعرضين عنه! فقالت: يا رَدِيّ، عليك وعليه لعنةُ الله. والرَّديُّ عند الخوارج من يعلم الحقَّ ويكتُمُه.

وقال الشعبي: خرج يزيدُ بن أبي مسلم يوماً من عند الحجَّاج وهو يقول: قد قضى الأميرُ اليومَ بقضاء لم يقضِ به أحدٌ من أهل القِبْلة. قال الشعبيّ: فقلت: وما هو؟ قال: جعلَ متاعَ البيت للرجل ما لم تُقم المرأةُ البيِّنة على شيء منه. قال: فقلت له: اكتُم عليّ، قد قضى به عليُّ بنُ أبي طالب. فرجع إلى الحجَّاج فأخبره، فقال الحجَّاج: كان عليٌّ أقضى الناسِ جميعاً(١).

[قلتُ: وقد اختلفت الفقهاء في هذه المسألة، وهي ما إذا اختلف الزوج والمرأة في متاع البيت بعد موت أحدهما، أو بعد الطلاق، أو حال قيام النكاح، وكلٌّ واحد يدَّعي أن المتاع كلَّه له.

كان محمد بن الحسن يقول في هذه المسألة سبعة أقاويل عن سبعة من الفقهاء، كلٌّ واحد منهم يؤخذ بقوله.

ففي قول أبي حنيفة: ما كان يصلُح للرجال؛ فهو للرجال، وما يصلح للنساء فهو للنساء، والذي يصلُح للرجل: العِمامة، والقلنسوة والقوس، والخفَّين، ونحوه، والذي يصلح للمرأة: الخِمار، وثياب بدنها، ونحوها، وما كان مشكلاً؛ كالمتاع والفرُش والبُسُط وما أشبهه؛ فهو للباقي منهما في الموت، وفي الطلاق هو للزوج.

وعند أبي يوسف للمرأة مقدارُ جهاز مثلِها، وما بقيَ للزوج في الطلاق والوفاة جميعاً.

وعند محمد: ما يكون للرجال فهو للرجال، وما كان للنساء فهو للمرأة، وما كان مشكلاً فهو للزوج وللمرأة نصفان بينهما، وهو قول الشافعي، وأحدُ الروايتين عن أحمد.

وفي قول ابن أبي ليلى: هو كلُّه للزوج، وهو مذهب عليّ عليه السلام.

وفي قول الحسن البصري: الكلّ للمرأة.

---

(١) تاريخ دمشق ١٨/ ٣٨٥-٣٨٦ (مصورة دار البشير - ترجمة يزيد بن أبي مسلم).

فأبو حنيفة اعتمد على إصلاح الناس، وكذا أبو يوسف؛ قال: والزوج هو القائم على المرأة، وما في يده كأنه في يدها. وبه يحتجُّ محمد. وزُفر يقول: المناصفة في المشكل أولى من اختصاص البعض. وهو معنى قول مالك والشافعي. وابنُ أبي ليلى يقول: الزوج صاحب اليد. والحسن يقول: الغالب أن المتاع في يد المرأة. وقد بيَّنَّا الوجوه في «شرح الجامع الصغير»](١).

يزيد بنُ المهلَّب

ابنِ أبي صُفْرة الأَزْديّ، كنيتُه أبو خالد.

[وذكره المدائني قال:] كان قد استخلفه أبوه على خُراسان، فأقرَّه الحجَّاج، وكان يزيدُ متكبِّراً ويبلغُ الحجاجَ عنه ما يكره، فكتب إليه بالقدوم عليه، فاستشارَ حُضَيْنَ بنَ المنذر الرَّقَاشيّ(٢)، فقال له: لا تَقْدَم عليه وتربَّص. فكتبَ الحجَّاجُ إلى أخيه المفضَّل، فأطمعَه في خُراسان.

ولما وصل يزيدُ إلى إصطخْر بلَغَهُ موتُ عبد الملك وولايةُ ابنِه الوليد، فقال: الآن هلَكْنا(٣).

ثم قدم على الحجَّاج، فأكرمه، وكان لا يُحجب عنه، وكان قُتيبة بنُ مسلم على الرَّيّ، فكتبَ إليه بولاية خُراسان، وأن يحمل المفضَّل بن المهلَّب إليه مُوثَقاً، وكان حبيب بن المهلَّب على كَرْمان ـ ويُلقَّب بالحَرُون ـ فعزلَه الحجَّاج، وبعثَ به قُتيبةُ مُوثَقاً. فلمَّا اجتمع عند الحجَّاج بنو المهلَّب: يزيد، وحبيب، والمفضَّل، وعبد الملك، وأبو عُيينة؛ حبَسهم. وأبو عُيينة هو الذي زوَّج الحجَّاجَ هندَ بنت المهلَّب(٤).

---

(١) من قوله: قلت وقد اختلف الفقهاء... إلى هذا الموضع (وهو مابين حاصرتين) من (ص).

(٢) حُضَيْن؛ بالضاد المعجمة مصغَّر، وكنيتُه أبو محمد، ويلقَّب أبا ساسان، من أمراء عليّ رضي الله عنه بصفّين، وهو ثقة. ينظر «تهذيب الكمال» ٦/ ٥٥٥.

(٣) في الكلام اختصار مُخلّ، أو سَقْط، ففي هذا الخبر أن يزيد عزم على القدوم على الحجاج وقال: أرجو أن لا يُقدم الحجَّاج عليَّ بسوء مع رأي أمير المؤمنين عبد الملك في المهلَّب وولدِه، وحفظه ما كان من آثاره وبلائه. فاستخلفَ أخاه المفضَّل، وسار إلى الحجَّاج، حتى إذا صار إلى إصطخر؛ بَلَغَه موتُ عبد الملك وولاية ابنِه الوليد، فقال: الآن هلكنا. ينظر «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٢٣-٢٢٤.

(٤) من قوله: فكتب إليه بالقدوم عليه... إلى هذا الموضع. ليس في (ص).

وكان يزيد بن المهلَّب لما خرج إلى خُراسان خرج معه رجل من عبد القيس يقال له: علتب ومعه امرأتُه، فهَوِيَها يزيد، وبعث زوجَها في بعث، فلم يخرج، فدسَّ إليه من سقاه السُّمّ، فمات، فنقل زوجتَه إلى قصره، وكان يأتي المرأة.

وبلغ الحجَّاج، فلما حصلَ في يده قال له: ويحك! أتزني وأنتَ والي خُراسان؟! فضربَه الحدَّ، وبسط العذاب على يزيد وإخوته.

وهربوا من سجنه إلى الشام، واستجاروا بسليمان بن عبد الملك، فأجارهم، فأقاموا عنده[1] إلى أنْ وَلِيَ يزيدُ العراق، وخُراسان.

ووَلِيَ عمر بنُ عبد العزيز رضي الله عنه، واستدعى يزيدَ إلى الشام، وحبسَه، وهربَ من سجنه إلى العراق.

ومات عمر رضي الله عنه، واستولَى يزيدُ بنُ المهلَّب على البصرة، وأخذ عديَّ بنَ أرطاة وحبسه، وأقامَ بالبصرة.

وجهَّز يزيدُ بنُ عبد الملك لقتاله مسلمةَ بنَ عبد الملك والعباسَ بنَ الوليد، فسار العبَّاس في أربعة آلاف، وتبعَه مسلمةُ في ثمانين ألفاً من أهل الديوان، وقد ذكرنا ذلك[2].

ذكر مقتل يزيد وإخوته:

ولما خلع يزيدُ بنُ المهلب يزيدَ بنَ عبد الملك قال: إني لأرجو أن أنقضَ دمشق حجراً حجراً؛ قال الفرزدق:

تُخبِّرُك الكُهَّانُ أنك ناقضٌ ... دمشقَ التي قد كانتِ الجنُّ خَرَّتِ
لها من جبال الثلجِ صخراً كأنَّه ... قَنَاعِيسُ شُمٌّ أَشْرَفَتْ واشْمَخَرَّتِ[3]

(١) من هذا الموضع، حتى نهاية الفقرة، ليس في (ص).
(٢) تفصيل الكلام في «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٢٢-٢٦١، و«تاريخ» الطبري ٦/ ٣٩٣ و٥٥٦ و٥٦٤ و٥٧٨. وينظر ما سلف أوائل أحداث سنة (١٠١).
(٣) القناعيس: جمع القِنْعاس، وهو من الإبل: العظيم، والرجل الشديد المنيع. ينظر «القاموس» (قنعس). واشمَخَرَّت، أي: طالَتْ.

أَتَتْكَ خُيولُ الشامِ تَخْطُر بالقَنَا   لها حِزَقٌ كالطَّيْرِ لمَّا اسْتَقَلَّتِ
يقودُ نواصيها إليك مُباركٌ   إذا ما تصدَّى للكتيبةِ وَلَّتِ
من آل أبي العاصي حواليْ لوائِهِ   ثمانونَ ألفاً كلُّها قد أظَلَّتِ[1]

وجاء مَسْلَمةُ، فنزل الفراتَ، وخرج يزيد فنزلَ واسطاً في ستَّةَ عشرَ ألفاً، ومعه الخزائن والأموال والسلاح وعديُّ بنُ أرطاة وأصحابُه مقيَّدين[2].

وكان قد استشار يزيد أصحابه، فقال بعضهم: الحَقْ بفارس، وقال بعضهم: الحَقْ بالجزيرة. فقال [يزيد] ابن الحكم بن أبي العاص الثقفي:

أبا خالدٍ قد هِجْتَ حَرْباً فلا تَنَمْ[3]   وقد شَمَّرَتْ حَرْبٌ عَوانٌ فشَمِّرِ
وعِشْ مَلِكاً أو مُتْ كريماً فإنْ تَمُتْ   وسيفُك مشهورٌ بكفِّك تُعذَرِ[4]

فقال يزيد: أمَّا هذا فنعم.

واستخلف على واسط ابنَه معاويةَ بنَ يزيد وعنده الأموال وعديُّ وأصحابُه.

ثم خطب يزيد الناس وقال: إنه قد بلغَني وصولُ هذه الجرادة الصفراء - يعني مسلمة - وعاقرِ ناقة ثمود - يعني العباس بن الوليد، وكان العبَّاس أحمرَ، وكانت أمُّه روميَّة - واللهِ لقد كان سليمان عزمَ على أن ينفيَه غير مرة، فكلَّمتُه فيه، فأقرَّه على نَسَبِه، وقد بلغني أنه ليس همُّهما إلا التِماسي[5] في الأرض، والله لو جاؤوا بأهل الأرض جميعاً وأنا وَحْدي ما بَرِحتُ العَرْصَةَ حتى تكون لي أوْ لهم. واللهِ إنَّ [هؤلاء القومَ لن يردَّهم عن غيِّهم] إلا الطعنُ في صدورهم، وضربُ المَشْرَفيَّةِ على هامهم[6]. فقال له بعض

(١) أنساب الأشراف ٧/ ٢٦١-٢٦٢ . والبيت الأول والثالث بنحوهما في «ديوان» الفرزدق ١/ ١١٢ .

(٢) ينظر «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٦٣ .

(٣) في «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٦٤ : فلا تُقم. وفي «الأغاني» ١٢/ ٢٩٠ : حرباً مريرة. وأبو خالد: كنية يزيد ابن المهلَّب.

(٤) أنساب الأشراف ٧/ ٢٦٤ .

(٥) في (خ) (والكلام منها): التماشي. والمثبت من «تاريخ» الطبري ٦/ ٥٩٢ ، وفي «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٧٢ : تشريدي.

(٦) تاريخ الطبري ٦/ ٥٩٢ بنحوه (وما سلف بين حاصرتين منه)، وأنساب الأشراف ٧/ ٢٧٢. والمَشْرَفيَّة: سيوف منسوبة إلى المَشَارف؛ قُرًى من أرض اليمن، وقيل: من أرض العرب. ينظر «اللسان» (شرف).

القوم: إنَّا نخاف أن تفعل كما فعلَ ابنُ الأشعث. فقال: إنَّ ابنَ الأشعث لم يحم الذِّمار[1]، ولا خافَ ولا حفظَ نفسَه وحَسَبَه، وهل كان يُمانعُ أَجَلَه؟!

ثم قدَّم بين يديه أخاه عبدَ الملك بنَ المهلَّب، ثم سار حتى نزل بفم النِّيل، وكان مسلمةُ قد وصلَ الأنبار، وعقدَ الجسر وعبرَ عليه[2].

وكان مروان بنُ المهلَّب مقيماً بالبصرة يحثُّ الناس على الحرب لأهل الشام ويُسرِّح الناس إلى يزيد[3].

وكان الحسن يثبِّطُ الناس عن يزيد، ويقول: أيُّها الناس، الزمُوا رِحالَكم، وكُفُّوا أيديَكم، واتقوا [الله] مولاكم، ولا يقتُلْ بعضُكم بعضاً على دنيا زائلة.

وبلغ مروانَ، فقام خطيباً وقال: قد بلغني أنَّ هذا الشيخ الضالَّ المرائي ـ من غير أن يسمِّيَه ـ يُثبِّطُ الناس عنَّا، واللهِ لو أنَّ جارَه نزعَ من خُصِّ داره قصبةً لَظَلَّ يرعُفُ بها أنفُه، يُنكر علينا أن نطلبَ حقّاً، واللهِ لئن لم ينتهِ عن ذكرنا وعن جَمْعِهِ إليه سُقَّاطَ الأُبُلَّة وعُلُوج فراتِ البصرة لأُنْحِيَنَّ عليه مِبْرَداً خشناً.

وبلغ الحسن فقال: واللهِ ما أكرهُ أن يُكرمني اللهُ بهوانه. فقال له أصحابه: واللهِ لو طلبَك لمنعناك[4].

وبلغ مروان فجدَّ في طلبهم، فتفرَّقوا، ولم يَعرِضْ للحسن، ولم يسكت الحسن عنهم[5].

ويقال: إنَّ الحسن اختفى في منزل أبي خليفة[6].

(١) الذِّمار: ما ينبغي حمايتُه والذَّوْدُ عنه، كالأهل والعرض. وينظر خبر عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث «أنساب الأشراف» ٦/ ٤٦٩ـ٤٧٠ ، حيث طلبَه الحجَّاج، فيقال: إنه أُخذ، وأُنزلَ في قصر في طريقه إلى الحجاج، فرمى بنفسه منه فمات، وقيل غير ذلك.

(٢) تاريخ الطبري ٦/ ٥٩٠ . والنيل ـ في هذا الخبر ـ بليدة في سواد الكوفة يخترقها خليج كبير.

(٣) المصدر السابق ٦/ ٥٩٣ .

(٤) بعدها في «تاريخ» الطبري ٦/ ٥٩٤ : فقال لهم الحسن: فقد خالفتكم إذاً إلى ما نهيتُكم عنه... وانظر تتمة كلامه ثمة.

(٥) ينظر الخبر بتمامه في المصدر السابق ٦/ ٥٩٣ـ٥٩٤ . وينظر أيضاً «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٦٣ .

(٦) هو حجَّاج بن عتَّاب العَبْدي البصري. ينظر «التاريخ الكبير» ٢/ ٢٧٦ و«أنساب الأشراف» ١٢١/ ٣٤٤ .

وجاء يزيد فنزل العَقْر وسُورا[١]، وجاء مَسْلَمةُ فنزلَ مُقابِلَه، فأقاموا ثمانية أيام، وكان عبد الحميد بنُ عبد الرحمن قد بَثَقَ المياه بين يزيد والكوفة[٢]، وبعث بجيوش الكوفة إلى مسلمة، وأقام القتال يعمل بينهم.

وقال رجل ليزيد: السلام عليك يا أمير المؤمنين وهو واقف في صف القتال، فأنشد:

رُوَيْدَكِ حتى تنظري عمَّ ينجلي ... غَيَابَةُ هذا العارضِ المتألِّقِ[٣]

فلما طلع الفجر يومَ الجمعة لأربع عشرةَ ليلةً مضت من صَفَر سنة اثنتين ومئة؛ خرجَ مسلمةُ والعبَّاس، فصَفَّا الناسَ، وجعل مسلمةُ على ميمنة أهلِ الشام الهُذَيل بن زُفر الكلابي، وعلى الميسرة القعقاع بن خُليد العَبْسي[٤]، ووقفَ هو والعبَّاسُ في القَلْب، وجعلَ يزيدُ على ميمنته حبيبَ بنَ المهلَّب، وعلى ميسرته المفضَّل بنَ المهلَّب، وأقام هو وإخوتُه في القَلْب.

وكان يزيد قد ترك الجسر وراءه - وهو من السُّفن - ليحتميَ به، فأمر مسلمةُ الوضَّاحَ مولى عبد الملك بنِ مروان، فأحرقَ السُّفن.

ولمَّا رأى أصحابُ يزيد الجسرَ قد أُحرق؛ وهنُوا وانهزموا، فقيل ليزيد: قد انهزموا. فقال: وهل كان قتالٌ؟! قالوا: لا، ولكن قد أُحرقَ الجسر، فلم يقف أحدٌ[٥]. فقال: قاتلَهم اللهُ، بَقٌّ دُخِّنَ عليه فطار.

---

(١) موضعان من أرض بابل بالعراق. ينظر «معجم البلدان» ٣/ ٢٧٨ و٤/ ١٣٦ .

(٢) أي: كسرَ شطَّ الأنهار بينهما، فجعل المياه تَفيض منها لئلا يصل يزيد بن المهلب إلى الكوفة. وينظر «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٦٥ و٢٧٢ ، و«تاريخ» الطبري ٦/ ٥٩٢-٥٩٣ .

(٣) كذا في «شرح الحماسة» للتبريزي ١/ ١٩٠-١٩١ . وفيه: عماية، بدل: غيابة. وجاء في «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٧٣ أن يزيد بن المهلب قال البيت لجاريته بسَّامة حين دخلت عليه وقد تهيَّأت، (وفيه: غمامة، بدل: غيابة). وذكر ابن الأثير البيت في «المثل السائر» ١/ ٣٧٦ وقال: العارض المتألّق استعارة للحرب، أو الذي أطلّ بمكروهه، كالبارق المتألّق.

(٤) كذا في «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٦٧ . وفيه بعض اختلاف عما جاء في «تاريخ» الطبري ٦/ ٥٩٥ .

(٥) في «تاريخ» الطبري ٦/ ٥٩٥ : فلم يثبت أحد.

ثم تقدَّم يزيد وإخوتُه، فقاتلوا، وكانت به خِلْفَةٌ[١] قد أضعفَتْه، وبيده تُفَّاحةٌ يَشَمُّها، فبينا هو على ذلك؛ إذا بفرسِ حبيبِ بنِ المهلَّب قد أقبلَ عائراً[٢]، فقال يزيد: هذا ـ واللهِ ـ فرسُ أبي بِسطام، وأظنُّه قد قُتل، ولا خير في الحياة بعده.

وجاءه أبو رؤبة المرجىء، فقال له: ذهبَ الناس، فهل لك أن تنصرف إلى واسط، فإنها حصن، وبها أموالك، ويأتيك مددُ أهل البصرة وعُمان والبحرين في السفن، وتَرى رأيك. فقال له: قبَّح اللهُ رأيك، ألي تقول هذا؟! واللهِ الموتُ أيسرُ عليَّ من الفرار. فقال له: أما ترى جبال الحديد حولك. قال: فواللهِ ما أُبالي أحديداً كانت أو ناراً. ثم تمثل يقول:

أبالموتِ خَشَّتْني[٣] عِبَادٌ وإنَّما ... رأيتُ منايا الناسِ يسعى دليلُها

فما مِيتَةٌ إنْ مِتُّها غيرَ عاجزٍ ... بعارٍ إذا ما غالتِ النَّفْسَ غُولُها[٤]

وكان يزيد على بِرذَوْن أشهب، فأقبلَ نحو مَسْلَمَةَ لا يريدُ غيرَه، فلما رآه مسلمة دعا بفرسٍ ليركبَه، وعطفت خيولُ الشام على يزيد، فمالَ إلى تلّ، فحملوا عليه حملة رجل واحد فقتلوه[٥].

واختلفوا في قاتله، فقال هشام: الفَحْل بن عيَّاش الكلبيّ؛ نظر إلى يزيد فعرفه، فقال: يا أهل الشام، هذا ـ واللهِ ـ يزيد، واللهِ لأقتلنَّه أو ليقتلنِّي، فمن يحملُ معي، فإنَّ دونه أُناساً. فقال أصحابه: نحن. وحملَ وحملُوا، وارتفع الغُبار ساعة، ثم انفرج عن يزيد قتيلاً والفَحْلُ بن عيَّاش إلى جانبه بآخِرِ رَمَق، فأومأ إلى أصحابه: هذا يزيد أنا قتلتُه، ويومىء إلى نفسه أي: هو قتلني.

ومرَّ مسلمةُ بنُ عبد الملك، فرأى الفحلَ صريعاً إلى جانب يزيد، فقال: أما إني [أظنُّ] أنَّ هذا قتلَه[٦].

---

(١) أي: فساد في البطن من إسهال وإقياء.

(٢) أي: من دون حبيب. والفرس العائر: المنفلت من صاحبه.

(٣) أي: خوَّفَتْني.

(٤) الغُول: كلُّ ما أخذَ النفسَ من حيث لا تدري فأهلكها. وينظر البيتان في «ديوان» الأعشى ص ٢٢٧ .

(٥) تاريخ الطبري ٦/ ٥٩٧ . وينظر «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٦٨-٢٦٩ .

(٦) المصدران السابقان. وما بين حاصرتين من «تاريخ» الطبري.

وجاء برأس يزيد مولًى لبني مُرَّة يقال له: عثمان، فقال [الحواري بن] زياد بن عَمرو العَتَكي لمسلمة: مُرْ [برأسه فليُغسل ثم ليعمَّم، ففعل ذلك به، فعرفه، فبعث] به مسلمةُ إلى يزيد بن عبد الملك مع خالد بن الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْط[1].

وقيل: إنما قتلَ يزيد الهُذَيل بن زُفر الكلابي، والأول أشهر[2].

وقُتل مع يزيد إخوتُه حبيب ومحمد.

وقال ابن الجوزيّ في «التلقيح»: إنه قُتل مع يزيد زياد ومُدْرك.

ثم قال: ومن العجائب: ثلاثةُ إخوة؛ وُلدوا في سنة واحدة، وقُتلوا في سنة واحدة، وكانت أعمارهم واحدة، وعُمْرُ كلٍّ واحدٍ ثماني وأربعون سنة[3].

ثم حُزَّت رؤوسهم، وبعثَ بها مسلمةُ مع رأس يزيد مع خالد بن الوليد بن عقبة، وقيل: مع عَذَام بن شُتَير[4] الضَّبِّي. وقيل: مع محمد بن عمر المخزومي.

وقال هشام: قُتل يزيد وأخوه المفضَّل يُقاتل أهل الشام[5]، ولم يعلم بقتل إخوته وهو يحمل على أهل الشام، فيكشفُهم، وقد انهزم عنه الناسُ وهو يُحرِّضُهم ويقول: يا معاشر ربيعة الكَرَّةَ الكَرَّة، واللهِ ما كنتُم بكُشُفٍ ولا لئام، ولا هذه لكم بعادة، يا أهل العراق لا نُؤْتَى اليومَ من قِبَلكم.

فاجتمع إليه ناس، فبينا هو يُريد أن يحملَ على أهل الشام قيل له: ما تصنع ههنا؟ قُتل يزيد ومحمد وحَبيب، وانهزمَ الناس. فوقف المفضَّل، وتفرَّق الناسُ عنه، ومضى يطلبُ واسطاً، وأُسر من أصحاب يزيد ثلاثُ مئة[6].

---

(١) تاريخ الطبري ٦/ ٥٩٧ . وما سلف بين حاصرتين منه، ولابدّ منه.

(٢) أنساب الأشراف ٧/ ٢٦٩ و٢٧٤ . وسيرد أواخر الترجمة أن يزيد بن المهلب تحمَّل عن كوثر بن زفر بن الحارث عشر ديات. وفي بعض روايات الخبر أنه تحمَّلها عن الهُذيل بن زفر، فإن صحَّت هذه الرواية فإن من المستبعد أن يكون الهُذيل هو قاتل يزيد.

(٣) هو في «المدهش» لابن الجوزي ص ٦٧ . ولم أقف عليه في «التلقيح».

(٤) في (خ) و(الكلام منها): بشير. والمثبت من «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٧١ .

(٥) في (خ) (والكلام منها): الشمال، والمثبت من «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٧٣ .

(٦) أنساب الأشراف ٧/ ٢٧٣ ، وتاريخ الطبري ٦/ ٥٩٧-٥٩٨ .

ولما وُضع رأسُ يزيد بنِ المهلب بين يدي يزيد بن عبد الملك نالَ منه بعضُ الحاضرين، فقال يزيد: مَهْ، إنه طلبَ جَسيماً، وركبَ عظيماً، ومات كريماً[١].

وكان مَسْلَمةُ قد حبسَ الأسرى عند محمد بن عَمرو بن الوليد بالكوفة، وكان على شرطته العُريان بن الهيثم، وجاء كتاب يزيد بن عبد الملك إلى محمد بن عَمرو: اضربْ أعناقَهم، وهم يقولون: هذا واللهِ جزاؤُنا، نحن انهزمنا بالناس. فما هو إلا أنْ فرغَ منهم وجاء كتابُ مَسْلَمة أن لا يعرضَ لهم بسوء، وكان الأسرى من تميم[٢].

وأمَّا المفضَّل؛ فإنه مضى على حميَّة إلى واسط، وبلغَ معاويةَ بنَ يزيد بنِ المهلب قَتْلُ أبيه وأعمامِه وإخوته ـ وكان قد قُتل مع يزيد أولادُه محمد، وعبد ربّه، والحجَّاج ـ فأخرج معاويةُ بنُ يزيد ثلاثين[٣] أسيراً كانوا عنده، فقتلَهم، منهم عديُّ بن أَرْطاة، ومحمد بن عديّ بن أَرْطاة، ومالك وعبدُ الملك ابنا مِسْمَع، وعبد الله بن عزرة البصريّ، وعبد الله بنُ دينار مولى بني عامر، والقاسم بن مسلم مولى بني بكر بن وائل.

ولما أخرجهم ليضرب أعناقهم قالوا له: ويحك! إن أباك قد قُتل، ونحن ما قتلنا أحداً، وقَتْلُنا ليس بنافعك، بل يضرُّك في الدنيا والآخرة. فلم يلتفت، وقتلَهم إلا ربيعَ ابن زياد بن الربيع بن أنس بن الرَّيَّان، فقيل له: نسيتَه؟ قال: لا، ولكنه شيخٌ من قومي، وله شرف ومعروف وبيت عظيم، ولست أَتَّهِمُه في وُدّ، ولا أخافُ بغيَه. وأطلقَه.

وقال ثابت قُطنة في قتل عديِّ بنِ أرطاة:

مـا سَـرَّنـي قَـتْـلُ الـفَـزَاريِّ وابـنِـهِ ... عـديٌّ ولا أحْـبَـبْـتُ قَـتْـلَ ابـنِ مِـسْـمَـعِ
ولـكـنَّـهـا كـانَـتْ مُـعَـاوِيَ زَلَّـةً ... وضعتَ بها امْرَءاً[٤] على غيرِ مَوْضِعِ

ثم سار معاويةُ بنُ يزيد إلى البصرة بالأموال والخزائن، ولحقه المفضَّل، واجتمع آل المهلب كلُّهم بالبصرة، وأعدُّوا السفن للهرب إلى كَرْمان[٥]، فركبوا البحر، وقد

(١) العقد الفريد ١/ ٣٠٣، ووفيات الأعيان ٦/ ٣٠٧. وبنحوه في «أنساب الأشراف» ٧/ ٣٠٤.
(٢) تاريخ الطبري ٦/ ٥٩٨ـ٥٩٩. وينظر «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٧٥ـ٢٧٦.
(٣) في «تاريخ» الطبري ٦/ ٥٩٩، و«الكامل» ٥/ ٨٤: اثنين وثلاثين.
(٤) في (خ) و«تاريخ» الطبري ٦/ ٦٠٠: أمري. والمثبت من «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٧٥.
(٥) كَرْمان: ناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان. ينظر «معجم البلدان» ٤/ ٤٥٤.

كان يزيدُ بنُ المهلَّب ولَّى وداعَ بنَ حُميد الأزديَّ على قَنْدابيل[١]، وقال له: إني سائرٌ إلى هذا العدوّ، فإن ظفِرتُ به أكرمتُك، وإن كانت الأخرى؛ فإذا قدمَ عليك أهلُ بيتي تحصَّنوا بقَنْدابيل حتى يأخذوا أماناً لأنفسهم، وإني قد جعلتُك موضع الأمانة فحقِّقْ حسن ظنِّي فيك. وأخذَ عليه العهود والمواثيق.

فلما وقعت هذه الوقعة وركبَ آلُ المهلَّب في السفن بعيالاتهم ومرُّوا بمهزم بن الفزر[٢] العَبْديّ، وكان يزيدُ استعملَه على البحرين، فاستشاروه، فقال: اللهَ اللهَ، لا تُفارقوا هذه السفن، ففيها بقاؤُكم، وإنْ خرجتُم منها تخطَّفَكم الناس، وتقرَّبوا بكم إلى بني مروان.

ومضَوْا حتى إذا كانوا بجبال كَرْمان خرجوا من السفن، وحملوا أهلهم وعِيالهم وأموالَهم على الدوابّ، وكان معاويةُ بن يزيد لما وصلوا إلى البصرة أراد أن يتأمَّر على آل المهلَّب، فقالوا: أميرُنا وكبيرُنا المفضَّل، وأنت غلامٌ حَدَث، فوَلَّوْا عليهم المفضَّل، وخرجوا إلى كَرْمان وبها فُلول من أصحاب يزيد، فاجتمعوا إلى المفضَّل.

وبعث مسلمة بنُ عبد الملك مدرِك الضَّبّيّ[٣] في طلب آل المهلَّب، فأدركهم بفارس في عَقَبةٍ، فعطفوا عليه، واقتتلُوا قتالاً شديداً، فقُتل ممن كان مع المفضل جماعة، منهم النُّعمان بن إبراهيم بن الأشتر، ومحمد بن إسحاق بن محمد بن الأشعث، وأُخذ ابنُ صُول ملك قُهِسْتان[٤] أسيراً، وأُخِذت سُرِّيَّةُ المفضَّل العالية، وجُرح عثمان بن إسحاق بن محمد بن الأشعث جراحةً شديدة، فهرب إلى حُلوان، فدُلَّ عليه، فقُتل، وحُمل رأسه إلى مَسْلَمةَ بالحِيرة.

ورجع ناسٌ من أصحاب يزيد، فطلبُوا أمانَ مَسْلَمةَ، فأمَّنَهم، منهم مالك بن إبراهيم ابن الأشتر، والزَّرْد[٥] بن عبد الله بن حبيب السَّعْديّ التميمي، وكان قد شهد مع عبد

(١) مدينة بالسِّنْد. معجم البلدان ٤/ ٤٠٢.

(٢) في «تاريخ» الطبري ٦/ ٦٠٠: هرم بن الفرار.

(٣) في «تاريخ» الطبري ٦/ ٦٠١: مدرك بن ضَبّ الكلبي.

(٤) في (خ) (والكلام منها): دهقان. والمثبت من «تاريخ» الطبري. وقُهِسْتان: معرَّب كوهستان، ومعناه: موضع الجبال. ويطلق هذا الاسم على أكثر من موضع من بلاد العجم، والمشهور به الجبال التي بين هَراة ونيسابور. ينظر «معجم البلدان» ٤/ ٤١٦.

(٥) في «تاريخ» الطبري ٦/ ٦٠١: الورد. وكذا في المواضع التالية.

الرحمن بن الأشعث مشاهده كلَّها[١]. ولما وردَ على مسلمة شَتَمَهُ وهو قائم وقال: مرَّةً مع ابن الحائك[٢]، ومرَّةً مع ملاَّح الأزد، ما كنتَ بأهلٍ للأمان، ولكن قد كان، انصرفْ. وكان الذي قد أخذَ له الأمانَ محمدُ بنُ عبد الله بن عبد الملك بن مروان، ومسلمةُ عمُّه، وكانت ابنةُ مسلمةَ تحتَه.

وطلب الأمانَ لمالك بن إبراهيم بن الأشتر [الحسنُ بنُ عبد الرحمن بن شَراحيل] فقال له الحسن: هذا مالكُ بنُ إبراهيم بن الأشتر. فقال: نعم، انطلق. فقال له الحسن: لِمَ لَمْ تشتمه كما شتمتَ الزَّرْد؟! فقال: أجْلَلْتُكم عن ذلك، وكنتمُ أكرمَ عليَّ من أصحاب هذا وأحسنَ طاعة. فقال له الحسن: فنحن نُحبُّ أن نشتمَه، فإنه واللهِ أشرفُ أباً وجَدّاً، وأسوأُ أثراً في أهل الشام من الزَّرد. فكان الحسن بعد ذلك يقول: ما ترك شَتْمَهُ إلا حَسَداً من أن يعرف صاحبَنا؛ أراد أن يُرِيَنا أنه قد حَقَره[٣].

وأما آلُ المهلَّب فمضَوْا إلى قَنْدابيل، وبعث مسلمةُ إلى مُدرك فردَّه، وبعث في آثارهم هلالَ بنَ أحوز التميمي، فلحقهم بقَنْدابيل، [فأراد آلُ المهلَّب دخول قَنْدابيل] فمنعهم وداعُ بنُ حُميد من الدخول إليها، وصار مع هلال عليهم[٤]، ونصبَ هلالٌ راية الأمان، فمال من كان مع آل المهلَّب إليها.

وأراد معاوية[٥] أن يقتل نساء آلِ المهلَّب خوفاً من السَّبْي والعار وقال: أخافُ عليهنَّ هؤلاء الفُسَّاق. فنهاه المفضَّل وقال: ويحك أتقتلُ أخواتِك وبناتِ أخواتِك ونساءَ أهلِ بيتك؟! إنَّا لا نخافُ عليهنَّ منهم. ثم كسروا جُفونَ سيوفهم، ومشَوْا إلى القوم، فقاتلوا حتى قُتلوا عن آخِرهم إلا أبا عُيينة بنَ المهلَّب وعثمانَ بن المفضَّل، فإنَّهما نَجَوَا ولحقا بخاقان[٦].

---

(١) تاريخ الطبري ٦/ ٦٠٠-٦٠١. وينظر «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٨١.

(٢) في «تاريخ» الطبري: مع حائك كندة.

(٣) تاريخ الطبري ٦/ ٦٠١-٦٠٢.

(٤) ذكر البلاذري في «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٥٥-٢٥٦ أن يزيد بن المهلَّب لما ولَّى وداع بن حميد قندابيل قال له أخوه حبيب بن المهلَّب: لا تولّه فإن في رأسه وعينيه غدرة، فكان من أمره أنه أغلقها دونهم. فقال المفضَّل: رحم الله أبا بِسطام ـ يعني حبيباً ـ كأنه كان يرى أمر وداع. ويقال: إن وداعاً كان قُتل قبل هربهم إلى قندابيل وسلف كلام حبيب في وداع ص٢٤٨.

(٥) في «تاريخ» الطبري ٦/ ٦٠٢، و«الكامل» ٥/ ٨٦: مروان بن المهلَّب.

(٦) يعني ملك التُّرك.

وبعث هلال برؤوسهم ونسائهم إلى مَسْلَمة وهو بالحِيرة، وبعث بهم مَسْلَمةُ إلى يزيد ابن عبد الملك، وبعث بهم يزيد إلى العبَّاس بن الوليد وهو على حلب.

وقال مسلمة: واللهِ لأبيعنَّ ذُرِّيَّتهم في دار الرزق، فقال له الجرَّاح بن عبد الله: أنا أشتريهم منك لأبِرَّ قَسَمك. فاشتراهم بمئة ألف، ولم يأخذ منه شيئاً، وخلَّى سبيلَهم إلا تسعةَ غِلْمة منهم أحداثٍ، بعث بهم إلى يزيد بن عبد الملك، فضرب أعناقَهم[(١)].

وقال البلاذُريّ: لما قُتل يزيدُ بنُ المهلب هربَ [آلُ المهلَّب] بعيالاتهم إلى قَنْدابيل، فأغلقَ وَدَاعُ بنُ حُميد في وجوههم الأبواب، وحُرِّقت منازلُهم بالبصرة، وهُدمت دورُهم، وبعث مَسْلَمةُ[(٢)] هلالَ بنَ أحوز المازنيّ التميمي وراءهم في اثني عشر ألفاً، وكان بنو تميم أعداءً لبني المهلَّب، فالتَقَوْا فقُتل المُفَضَّل بن المهلَّب، وأمَّنَ هلالٌ نساءَ آلِ المهلَّب، وقال: من رفعَ ستراً، أو دخل إلى امرأة؛ قتلتُه. فدخل رجل على بعض النساء فقتلَه هلالٌ، فقال نساءُ آلِ المهلَّب: لو وَلِيَنا المهلَّب ما فعل بنا كما فعل هلال[(٣)].

وولَّى مسلمةُ هلالَ بن أحوز السِّند وقَنْدابِيل، فلم يزل عليها حتى قدم عُمر بن هُبيرة العراق، وقدم نساءُ المهلَّب فقال ابنُ هُبيرة لأمِّ مالك بنت زياد بنِ المهلَّب: قد علمتِ أنَّ هلالاً قتلَ رجالَكم، وقد كتبتُ إلى يزيد بنِ عبد الملك أنَّ هلالاً خائنٌ، فصَدِّقيني عندَه. وبعثَ بها إلى يزيد، فلمَّا دخلت عليه قال: كيفَ وجدتُم هلالاً؟ فأثنت عليه، وقالت: لو كان المهلَّب حيّاً ما فعل معنا ما فعل هلال. قال: فإنَّ ابنَ هُبيرة يقول عنه كذا وكذا. فقالت: كذبَ واللهِ، ولقد قال: قُولي كذا وكذا، وإن هلالاً لمبالغٌ في طاعتك[(٤)].

---

(١) ينظر ما سلف في «تاريخ» الطبري ٦/ ٦٠٠ـ٦٠٣ . وما وقع فيه بين حاصرتين منه.

(٢) في(خ) (والكلام منها): العباس بن الوليد، بدل: مسلمة. والمثبت من«أنساب الأشراف»٧/ ٢٧٨ـ٢٧٩ والكلام منه بنحوه.

(٣) أنساب الأشراف ٧/ ٢٨٠ .

(٤) بنحوه في «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٨٣ـ٢٨٤ . ومن قوله: فأقاموا عنده إلى أن ولي يزيد العراق وخراسان (أوائل ترجمة يزيد بن المهلب) إلى هذا الموضع، ليس في (ص).

ذكر طرف من أخبار يزيد بن المهلَّب

ولد سنةَ ثلاث وخمسين، وجُمع له الكوفةُ والبصرة في سنة سبع وتسعين، وكان جواداً ممدَّحاً شجاعاً، شهد مع أبيه المهلَّب قتال الأزارقة، وأقام والياً على خُراسان بعد أبيه أربعَ سنين.

[قال الأصمعي:] ولمَّا عذَّبه الحجَّاج قرَّر على نفسه كلَّ يوم مئة ألف درهم، فإنْ أدَّاها نهاراً، وإلَّا عذَّبه ليلاً، فجمع مئة ألف اشترى بها عذابَ يومه، فدخل عليه الأخطل فأنشد:

أبا خالدٍ أقْوَتْ خُراسانُ بعدَكُمْ ... وقال ذَوُوا الحاجاتِ أين يزيدُ

فلا سُقِيَ المَرْوانِ[1] بعدَك قطرةً ... ولا اخْضَرَّ بالمَرْوَيْنِ بعدَك عُودُ

ولا لسريرٍ بعد ملكك بهجةٌ ... ولا لجوادٍ بعد جُودكَ جودُ

وقيل: إن الشعر للفرزدق[2].

فدفع إليه المئة ألف، وبلغ الحجَّاجَ فقال: أكلُّ هذا الكرم وهو بهذه الحالة؟! ارْفَعُوا عنه العذاب[3].

وقال ابنُ البَرْقي: أغرمَ سليمانُ عُمرَ بنَ هُبيرة ألفَ ألفِ درهم، وخمسَ مئةِ ألفِ درهم، فعَجَزَ عنها، فتحمَّلها يزيدُ عنه.

وحجَّ يزيد، فطلبَ حلَّاقاً يحلِقُ رأسَه، فجيء بحلَّاق، فحلقه، فأعطاه ألفَ درهم، فدُهش وقال: هذه أشتري بها أمِّي فلانة. فقال: أعطُوه ألفاً أخرى. فقال: هذه أشتري بها أبي. فقال: أعطوه ألفاً أخرى. فقال: امرأته طالق إنْ حلقَ رأس أحد بعده. فقال: أعطُوه ألفاً أخرى[4].

---

(١) تثنية مَرْو، إحداهما مَرْو الشاهجان، وهي العظمى، والأخرى مَرْو الرُّوذ، وهي الصغرى، وهما مدينتان مشهورتان بخراسان. قاله ابن خلّكان في «وفيات الأعيان» ٦/ ٢٧٩ . وينظر «معجم البلدان» ٥/ ١١١ .

(٢) قال ابن خلّكان في «وفيات الأعيان» ٦/ ٢٨٠ : المشهور أن صاحب هذه الواقعة والأبيات هو الفرزدق، ثم إني رأيتُ هذه الأبيات في ديوان زياد الأعجم، والله أعلم بالصواب.

(٣) ذكر ابن خلّكان الخبر في «وفيات الأعيان» ٦/ ٢٨٠ ونسبه لابن عساكر. وترجمة يزيد بن المهلّب ليست بين أيدينا، فقد وقعت ضمن خرم في «تاريخ دمشق».

(٤) بنحوه في «وفيات الأعيان» ٦/ ٢٨٠ ، وينظر «سير أعلام النبلاء» ٤/ ٥٠٤ .

وقال خليفة: وَفَدَ [كوثر] بن زُفر بن الحارث الكلابي على يزيد بن المهلب حين ولَّاه سليمان العراق، فقال له: أيُّها الأمير، أنتَ ـ واللهِ ـ أعظمُ قَدْراً من أن يُستعان عليك إلا بك، ولستَ تفعلُ من المَكْرُمات مكرمةً إلا وهي صغيرةٌ في جانب قدرك، وليس بعجيبٍ أن تفعل، وإنَّما العجب أن لا تفعل. فقال: وما حاجتُك؟ قال: عشر دِيَات تحمَّلتُها عن غيري. فقال: هي لك ومثلُها. فقال كوثر: أمَّا ما سألتك بوجهي فأقبلُه منك، وأمَّا ما ابتدأتَني به؛ فلا حاجةَ لي فيه. فقال يزيد: ولِمَ وقد كفيتُك فيه دون المسألة؟! فقال له كوثر: إنَّ الذي أخذتَ مني بمسألتي إيَّاك وبَذْلِ وجهي أكثرُ من معروفك عندي، فكرهتُ الفضل على غيرِ ما بذلتُ له وجهي. فقال يزيد: فأنا أسألُك كما سألتَني إلا أَهَّلْتَني بقبولها، لا تزالُ حاجتُك بي. فقبلَها منه[1].

وقال المدائني: كان سعيدُ بنُ عَمرو مُؤاخياً ليزيد بن المهلَّب، فلمَّا حبسه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه؛ منع الناسَ من الدخول عليه، فقال سعيد لعُمر رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين، لي على يزيد خمسون ألفاً وقد حُلْتَ بيني وبينَه، فإنْ رأيتَ أن تأذنَ لي في الدخول عليه لأطالبه بدَيْني. فأذِنَ له، فدخلَ عليه فسُرَّ به يزيد، وقال له: كيف دخلتَ عليَّ؟! فأخبره الخبر، فقال: واللهِ لا تخرجُ إلا وهي معك. فأمر له بها[2].

وقال ابنُ الكلبيّ: رأى يزيدُ في المنام كأنَّه راكبٌ على أسد وهو في مِحَفَّة[3]، فقالت عجوز من بكر بن وائل: تركبُ عظيماً وتُحاط به.

وقال هشام عن أبيه قال: أدركتُ الناس يقولون: ضَحَّى بنو حرب بالدِّين يوم كَرْبَلاء، وضحَّى بنو مروان بالكَرَم يوم العَقْر[4].

(١) بنحوه في «ديوان المعاني» للعسكري ١/ ١٥٥ . وجاء مختصراً في «عيون الأخبار» ٣/ ١٢٤ ، وفيه: الهُذيل بن زُفر، وفي «العقد الفريد» ١/ ٢٥٥ ، كريز بن زفر.

(٢) المنتظم ٧/ ٨٢ . وبنحوه في «عيون الأخبار» ١/ ٣٤٢ .

(٣) المِحَفَّة: مركب للنساء كالهودج، لكن لا قبَّة له.

(٤) وفيات الأعيان ٤/ ١٠٩ ونُسب القول فيه لكُثيِّر عَزَّة. وذكره البكري في «معجم ما استعجم» ٣/ ٩٥٠ (العقر) دون نسبة.

وقيل ليزيد بن المهلب: لِمَ لَمْ تَبْنِ داراً؟ فقال: منزلي دارُ الإمارة، أو بطنُ الأرض[١].

استعمل الوليدُ بنُ عبد الملك عثمانَ بن حيَّان المُرِّي على المدينة، وأمره بالغِلْظَةِ على أهلها، وأن يأخذَ بالظِّنَّة، فلما وليَ سُليمان أغرمه ألفي ألف درهم، فتحمَّلت القَيْسيَّةُ شطرها، وضاقوا ذرعاً بالشطر الباقي، ووافق ولاية سليمان العراق ليزيد بن المهلَّب[٢]، فقال عُمر بن هُبيرة والهُذَيْل بن زُفر بن الحارث والقعقاع بنُ حبيب: اقصِدُوا يزيد بنَ المهلَّب، فجاؤوا إلى رُواقِهِ، فرحَّب بهم وسألَهم عن سبب قصدهم له، فأخبروه، فقال: إن خير المال ما قُضِيَتْ به الحقوق، وحُمِلَتْ به المغارم، وإنما لي من مالي ما فضلَ عن إخواني، وايْمُ الله، لو علمتُ أن أحداً أملى بحاجتكم مني لهديتُكم إليه، ولكن احتكموا وأكثِرُوا. فقال عثمان بن حيَّان: النصف. قال: نعم وكرامة، اغْدُوا على مالكم فخُذُوه. فشكروه وانصرفوا.

فلما كانوا بباب السُّرادق؛ قال لهم عُمر بن هُبيرة: قبَّح اللهُ رأيكم، واللهِ ما يُبالي يزيد أنصفَها حملَ أم كلَّها، فمن أين لك النصف الباقي؟! وسمعه يزيد فقال: عليَّ بهم. فدخلوا عليه، فقال: ما الذي بكم؟ فأخبروه، فقال: عليَّ الكُلُّ.

وغدا يزيد على سليمان، وأخبره بأنَّ القيسيَّة قد دخلوا عليه، فقال سليمان: واللهِ لآخُذَنَّه بالمال. فقال يزيد: فقد تَحمَّلْتُهُ عنه. قال: فأدِّه. قال يزيد: واللهِ ما تحمَّلْتُه إلا لأُؤَدِّيَه عنه. فحمل المالَ إلى خزانة سليمان، فقال سليمان: وَفَتْ يميني، أَعِيدُوها إلى يزيد. فأعادوها، فقال عديُّ بن الرِّقَاع:

للهِ عَيْنا مَنْ رأى كَحَمَالةٍ   تحمَّلَها كَبْشُ العراقِ يزيدُ[٣]

وقال الأصمعيّ: قدم قومٌ من قُضاعة على يزيد، فقصَّر في حقِّهم، فقال رجل منهم:

واللهِ ما نَدْرِي إذا ما فاتَنا   طلبٌ إليك مَنِ الذي نتطلَّبُ

---

(١) عيون الأخبار ١/ ٢٣٦، والعقد الفريد ١/ ٣٠٣ بنحوه.

(٢) في «العقد الفريد» ١/ ٣٠٤: ووافق ذلك استعمال سليمان يزيد بن المهلب على العراق. وهو الصواب.

(٣) الخبر في «العقد الفريد» ١/ ٣٠٣-٣٠٥ بأطول منه.

ولقَدْ ضَرَبْنا في البلادِ فلم نَجِدْ ... أحداً سواك إلى المكارمِ يُنسبُ
فاصْبِرْ لعادتنا التي عوَّدْتَنا ... أو لا فأرْشِدْنا إلى مَنْ نَذْهَبُ

فأعطى كلَّ واحد ألفَ دينار.

وأنشده رجل:

ما لي أرى أبوابَهم مهجورةً ... وكأنَّ بابك مَجْمَعُ الأسواقِ
جاؤوك يبغون النَّدَى وتأمَّلُوا ... جَدْوَاكَ فاجتمعوا من الآفاقِ
إني رأيتُك للمكارم عاشقاً ... والمكرماتُ قليلة العُشَّاقِ

فأعطاه ثلاثين ألفاً.

ومرَّ بأعرابيَّة فقدَّمَتْ له شاةً وقالت: واللهِ لا أملكُ غيرها. فقال لخازنه: ما معك؟ قال: ثمان مئة دينار. قال: أعطها إيَّاها. فقال: إنها تقنعُ منك باليسير! فقال: إن كانت هي تقنعُ باليسير؛ فأنا لا أرْضَى لها إلا بالكثير. قال: فإنها لا تعرفُك! فقال: أنا أعرفُ نفسي. ودفعَ إليها المال(١).

وقد رثاه خلقٌ كثير، فقال ثابت قُطنة:

أَبَى طُولُ هذا الليلِ أنْ يَتَصَرَّما ... وهاجَ لك الهَمُّ الفؤادَ المُتَيَّما
على هالكٍ هَدَّ العشيرةَ فَقْدُهُ ... دَعَتْهُ المنايا فاستجابَ وسَلَّما
على مَلِكٍ يا صاحِ بالعَقْرِ جُبِّنَتْ ... كتائبُهُ واستَوْرَدَ الموتَ مُعْلِما
أَمَسْلَمَ إنْ تَقْدِرْ عليك رِماحُنا ... نُذِقْك(٢) بها سُمَّ(٣) الأساودِ مُسْلَما
وإنْ نَلْقَ للعبَّاس في الدهر عَثْرةً ... نُكافِئْهُ باليوم الذي كان قَدَّما
قِصاصاً ولا نَعْدُو الذي كان قَدْ أتى ... إلينا وإنْ كان ابنُ مروانَ أَظْلَما

من أبيات.

وقال الطِّرِمَّاح:

---

(١) بنحوه في المصدر السابق.

(٢) في (خ) (والكلام منها): نذوق. والمثبت من «تاريخ» الطبري، و«الكامل» ٥/ ٨٨ .

(٣) في المصدرين السابقين: قَيْء، بدل: سُمّ.

لَحَى اللهُ قوماً أسلموا يومَ بابلٍ … أبا خالدٍ تحتَ السيوفِ البَوارقِ
فتًى كان عند الموتِ أكرمَ منهُمُ … حفاظاً وأعطى للجيادِ السَّوابقِ
ولمَّا نعى الناعي يزيدَ تَزَلْزلَتْ … بيَ الأرضُ وارْتَجَّتْ[١] بمثلِ الصَّواعقِ
فلا حَمَلَتْ أزْدِيَّةٌ بَعْدَ مَوْتِهِ … جَنِيناً ولا أمَّلْنَ سَيْبَ الغَوَادقِ[٢]

وبعث يزيدُ بنُ عبد الملك حين قُتل يزيدُ بنُ المهلَّب إلى الشعراء، فأمرهم بهَجْوِ يزيد بن المهلَّب وأهلِ بيته، منهم الفرزدق، وكُثيّر، والأحوص، فأمَّا الفرزدق فقال: لقد مدحتُ بني المهلَّب وأهلَ بيته بمدائحَ ما مدحتُ بها أحداً قطّ، وإنه لَقبيحٌ بمثلي أن أُكَذِّبَ نفسي على كبر السّنّ، فليُعفني أميرُ المؤمنين. فأعفاه.

وقال كُثيّر: إني أكره أن أُعَرِّضَ نفسي لشعراء العراق إن هجوتُ بني المهلَّب.

وأمَّا الأحوص فهجاهم، فلمَّا بعث يزيد بن عبد الملك بالأحوص إلى الجرَّاح بن عبد الله الحَكَمي وهو بأَذْرَبيجان وقد كان بلغَ الجرَّاحَ هِجاءُ الأحوص لهم؛ بعث الجراح بِزِقٍّ خمر إلى منزل الأحوص، ثم أرسل أُناساً، فصَبُّوا الخمرَ على رأسه وأخرجوه على رؤوس الناس، فأَتَوْا به الجرَّاحَ، فأمر بضربه الحدَّ؛ يتناوبُ عليه الرجال، وحلقَ رأسَه ولحيتَه، والأحوص يقول: ليس هكذا تُضربُ الحدود، والجرَّاح يقول: أجل، لِما تعلم[٣].

وأمَّا المُفَضَّل بن المُهَلَّب

فكنيتُه أبو غسَّان، وقيل: أبو حسَّان، ولمَّا ولَّى سليمان يزيدَ بن المهلَّب على العراق خلَّفه عند سليمان يأنس به، فولَّاه جند فلسطين، وكان جواداً سَمْحاً.

روى المُفضَّل عن النعمان بن بشير، وروى عنه حاجبُ بنُ المفضَّل، وجَرِيرُ بنُ حازم، وثابت البُنانيّ، وغزا عدَّةَ غَزَوات[٤].

---

(١) في (خ) (والكلام منها): وانحلت. والمثبت من «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٨٩ ، و«ديوان» الطِّرمَّاح ص ٣٣٩ .

(٢) في (خ): المغارق. والمثبت من «الديوان».

(٣) طبقات فحول الشعراء ٢/ ٦٥٩ ، والأغاني ٤/ ٢٥٥-٢٥٦ .

(٤) ينظر «تاريخ دمشق» ١٧/ ١٠٦ (مصورة دار البشير).

ذكر إخوة يزيد بن المهلب:

قد ذكرناهم في ترجمة المهلَّب، وأنهم كانوا عَشَرة، قُتل في نوبة يزيد منهم ستة: يزيد، وزياد، ومُدْرك، ومحمد، والمُفَضَّل.

وأقام [أبو] عُيَيْنة بنُ المهلب عند رُتْبيل[١] بسجستان، ومعه عثمان بنُ المفضَّل بن المهلَّب، وعُمر بن يزيد بن المهلَّب حتى أَخَذَتْ لهم هندُ بنتُ المهلَّب أماناً من يزيد ابن عبد الملك[٢].

ولما قدمَ أسد بن عبد الله القَسْريّ[٣] خُراسان؛ كتبَ لعُمر بن يزيد وعثمان بن المفضَّل أماناً.

السنة الثالثة بعد المئة

فيها جمع يزيد بن عبد الملك لعُمر بن هُبيرة العراق وخراسان، فعزل عُمر بن هُبيرة سعيدَ بنَ عبد العزيز خُذَيْنة[٤] عن خُراسان لأنَّ أهلَها شَكَوْا ضَعْفَه وعَجْزَه، واستعملَ عُمرُ على خُراسان سعيدَ بنَ عَمرو بنِ الأسود بن مالك بن كعب بن وَقْدان بن الحَرِيش الحَرَشي من بني عامر بن صعصعة. وكان فقيراً يسألُ في الأسواق[٥]، ثم صار يسقي الماء، فآلَ به الأمرُ إلى أن صار والي خُراسان.

وسببُ ولايته أنَّ يزيد بن عبد الملك كتب إلى عُمر بنِ هُبيرة: اكتُبْ إليَّ بأسماء أهلِ البلاء مع مَسْلَمة بن عبد الملك. فكتب إليه ابنُ هُبيرة بأسمائهم، ولم يذكر الحَرَشيّ، فقال يزيد: وأين الحرشي؟! وهل كان الفتحُ إلا على يده؟ ولكن حسده ابنُ هُبيرة، فكتبَ إلى ابن هُبيرة: وَلِّهِ خُراسان. فولَّاه، وكان خُذَينة بسمرقند، فقفلَ راجعاً، فقال نَهارُ بنُ تَوْسِعة:

(١) ملك الترك.

(٢) كذا في (خ) (والكلام منها). والذي في «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٨٤، و«الكامل» ٥/ ٨٩ أن هند بنت المهلَّب طلبت الأمان لأبي عُيينة، وأمَّا عُمر بن يزيد، وعثمان بن المفضَّل فأمَّنهما أسد بن عبد الله القسري، وسيرد في الكلام بعده.

(٣) في (خ): خالد بن عبد الملك القسري. والمثبت من المصدرين السابقين.

(٤) خُذينة لقب لسعيد بن عبد العزيز، لأنه كان ليناً سهلاً متنعّماً. وسلف هذا الكلام أوائل سنة (١٠٢).

(٥) في «تاريخ دمشق» ٧/ ٣٢٤ (مصورة دار البشير): على الأبواب.

فَمَنْ ذا مُبلغٌ فتيانَ قَوْمي ... بأنَّ النَّبْلَ رِيشَتْ كلَّ رَيْشِ
وأنَّ اللهَ بدَّلَ من سعيدٍ ... سعيداً لا خُذَينةَ[1] من قريشِ

ووصل الحَرَشيّ إلى خُراسان، ولم يعرض لأحد من عمال خُذينة، وقدم الحَرَشيُّ إلى خُراسان على الغزو، فخطبَ وحثَّ الناسَ على الجهاد وقال: إنكم لا تُقاتلون العدوَّ بكثرة ولا بِعُدَّةٍ ولكن بنصر الله وعزِّ الإسلام. وقال:

فلستُ لعامرٍ إنْ لم ترَوْني ... أمامَ الخيلِ أطعنُ بالعوالي
وأضربُ هامةَ الجبَّارِ منهمْ ... بعَضْبِ الحدِّ حُودث بالصِّقالِ
فما أنا في الحروب بمستكينٍ ... ولا أخشى مُصاولةَ الرِّجالِ
إذا خَطَرَتْ أمامي حيُّ كعبٍ ... وزافَتْ كالجبالِ بنو هلالِ
أبَى لي والدي من كلِّ ذَمٍّ ... وخالي في الحوادث خيرُ خالِ[2]

وولّى خَراج خُراسان عبدَ الرحمن بن صوار[3] الفزاري، فغزا الحَرَشيّ الصُّغْد[4]، فغنم أموالاً عظيمة، وقتل وسبى، فلما كان في سنة خمس ومئة عزل ابنُ هُبيرة الحَرَشيَّ، وسنذكره.

وفيها غزا العبَّاس بنُ الوليد الروم، ففتَح مدينة يقال لها: رسلة[5].

وفيها ارتحل أهل الصُّغْد عن بلادهم، ولحقوا بفَرْغانة، وسألوا ملوكها أن يُنجدوهم[6] على المسلمين خوفاً من الحَرَشي، وكانوا قد أعانوا التُّرك على المسلمين أيام خُذَيْنة وقصرِ الباهليّ[7]. ولما عزموا على الرَّحيل قال لهم ملكهم: لا تفعلوا

---

(١) في «تاريخ» الطبري ٦/ ٦١٩ : لا المخنَّث.

(٢) تاريخ الطبري ٦/ ٦٢٠-٦٢١ ، والكامل ٥/ ١٠٤ . قوله: عَضْب، أي: قَطْع، وحُودِثَ: جُلِيَ، والصِّقال مصدر كالصَّقْل، يقال: صقلَ السيفَ، أي: جلاه. والمصاولة: المغالبة، وخَطَرَ وزافَ، أي: تَبَخْتَرَ.

(٣) في «تاريخ دمشق» ٧/ ٣٢٤ (مصورة دار البشير): ضرار.

(٤) الصُّغْد ـ أو السُّغْد ـ بين سمرقند وبُخارَى، وسلف الكلام عليها.

(٥) تاريخ الطبري ٦/ ٦١٩ .

(٦) في «تاريخ» الطبري: ٦/ ٦٢١ : سألوا ملكها معونتهم.

(٧) خُذينة هو سعيد بن عبد العزيز، وسلف ذكره قريباً، وقصرُ الباهلي في الصُّغْد، وسلف خبر حصار الترك له، ثم هزيمتهم عنه أوائل سنة (١٠٢) وهو جدير بالقراءة.

وتخربوا دياركم، وأقيموا واحملوا إلى الحَرَشيّ الخَراج الماضي، والتزموا أن تحملوا إليه خَراج المستقبل، وأن تَغْزُوا معه إن أرادَ ذلك، واعتذروا إليه ممَّا مضى، وقولوا غلبَنا التُّرك، وأعطُوه رهائن تكونُ عنده. فقالوا: نخافُ أن لا يرضى، ولكنَّا نأتي خُجَنْدَة، فنستجير بملكها، ونُرسل إلى الحَرَشي فنستوثق(١) منه.

وساروا حتى نزلوا شِعْبَ عاصم(٢) بن عبد الله الباهليّ من أرض فَرْغانة؛ كان قتيبةُ ابنُ مسلم خلَّفَه فيه، فنُسب إليه.

وفيها كثُر فسادُ يزيدَ بنِ عبد الملك، فتنقَّصه أخوه هشام بنُ عبد الملك وتمنَّى موته، فكتب إليه يزيد:

أمَّا بعد، فقد بلغني استثقالُك حياتي واستبطاؤك موتي، ولعمري إنك بعدي لواهي الجناح، أجذمُ اليد، وما أستوجبُ منك ما يبلغُني عنك.

فكتب إليه هشام: متى فرَّغتَ سَمْعَك [القول] أهل الشنآن وأعداء النعمة؛ يوشك أن يؤثر ذلك في فساد ذات البَيْن وقطع الأرحام، والسلام.

فكتب إليه يزيد: احفظ وصية أبينا عبد الملك فينا وأنا غافرٌ ما قيل عنك، ومكذِّبٌ به.

وكتب في أسفل الكتاب:

وإنِّي على أشياءَ منك تُرِيبُني قديماً لَذُو صَفْحٍ على ذاك مُجْمِلُ
ستَقطعُ في الدُّنيا إذا ما قَطَعْتَني يَمينَك فانظرْ أيَّ كفَّيْكَ تُبْدَلُ(٣)

وحجَّ بالناس [في هذه السنة] عبدُ الرحمن بنُ الضحَّاك الفِهْريّ وهو والي مكة والمدينة، وكان على الطائف عبدُ الواحد بنُ عبد الله النَّصْري(٤)، ولَّاه يزيد إيَّاه في

---

(١) في (خ) (والكلام منها): فنستومن (؟) وما أثبتُّه أقرب إلى رسم الكلمة ومعنى عبارة الطبري وابن الأثير، وهي: ونوثق له ألاّ يرى أمراً يكرهه. ينظر «تاريخ» الطبري ٦/ ٦٢١ ، و«الكامل» ٥/ ١٠٤ .

(٢) في المصدرين السابقين: عصام.

(٣) مروج الذهب ٥/ ٤٥٩-٤٦١ . والشعر لمعن بن أوس كما في «العقد الفريد» ٤/ ٤٤٤ . والخبر فيه بنحوه.

(٤) بالصاد المهملة نسبة إلى بني نصر بن معاوية كما ذكر السمعاني في «الأنساب» ٧/ ٩٢-٩٣ . وتحرف في (خ) إلى: البصري، وفي «تاريخ» الطبري ٦/ ٦٢٠ إلى: النضري. وهو من رجال التهذيب، وله ترجمة في «تاريخ =

هذه السنة، وكان على العراقين وخُراسان عُمر بنُ هُبيرة، ونائبُه على خُراسان الحَرَشيّ، وعلى قضاء الكوفة القاسم بنُ عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، وعلى قضاء البصرة عبد الملك بن يعلى.

وفيها توفّي

أبو الشَّعْثاء جابرُ بن زَيْد الأزْديّ

من الطبقة الثانية من التابعين من أهل البصرة، وكان فقيهاً عالماً يُفتي أهلَ البصرة في غَيْبة الحسن وحضوره.

قال ابن عباس: لو نزل أهل [البصرة] عند قول جابر بن زيد؛ لأوسعهم عمَّا في كتاب الله علماً[١].

قال أبو الشَّعثاء: نظرتُ في أعمال البرِّ؛ فإذا الصلاةُ تُجهدُ البَدَنَ، ولا تُجهد المالَ، والصيامُ مثلُ ذلك، ونظرتُ في الحجّ؛ فإذا هو يُجهِدُ البَدَنَ والمالَ، فكانَ أفضلَ من ذلك كلِّه[٢].

وكان لا يُماكسُ في كلِّ شيءٍ يُنفقُه؛ يتقرَّبُ به إلى الله تعالى؛ مثل الكِراء إلى مكّة، وفي الرَّقَبة يشتريها للعتق، وفي الأُضحية[٣].

وقال ابن سِيرِين: كان أبو الشَّعْثاء مُسْلِماً عند الدِّينار والدرهم[٤].

وقال جابر بن زيد: لأَنْ أتَصدَّقَ بدرهم على يتيم أو مسكين أحبُّ إليَّ من حَجَّة، بعد حَجَّة الإسلام[٥].

= دمشق» ٨/٤٤ (طبعة مجمع دمشق). وذكره السخاوي في «التحفة اللطيفة» ٣/ ١٠٠ ، ووقع فيه أنه بمعجمة، ولعله وهم أو سبق قلم. والله أعلم.

(١) طبقات ابن سعد ٩/ ١٧٩ ، وحلية الأولياء ٣/ ٨٥ .

(٢) حلية الأولياء ٣/ ٨٧ ، وصفة الصفوة ٣/ ٢٣٧ .

(٣) المصدران السابقان.

(٤) بعدها في «الحلية» ٣/ ٨٩: يعني كان ورعاً عندهم، والخبر أيضاً في «طبقات» ابن سعد ٩/ ١٨٠ ، و«صفة الصفوة» ٣/ ٢٣٧ .

(٥) حلية الأولياء ٣/ ٩٠ ، وصفة الصفوة ٣/ ٢٣٧ .

وقال ابن سعد(١): خرج ناسٌ فراراً من الطاعون إلى العراق، فقال لهم جابر بن زيد: ما أقربَكم ممَّن أرادكم!

ذكر وفاته:

قال عَزْرَة(٢): دخلتُ على جابر وهو يموتُ، فقلتُ: إنَّ الإباضيَّة يزعمون أنك منهم ـ وكانوا ينتحلونه ـ فقال: أبرأُ إلى الله منهم.

وقال ثابت البُناني: دخلتُ على جابر بن زيد وقد ثَقُل، فقلت له: ما تشتهي؟ قال: نظرة من الحسن. فأتيتُ الحسن ـ وهو مختفٍ في منزل أبي خليفة ـ فذكرتُ له ذلك، فقال: اخرُجْ بنا إليه. فقلت: أخافُ عليك. قال: إن الله سيصرفُ أبصارَهم عني. فانْطَلَقْنا، فدخلنا عليه، فقال له الحسن: يا أبا الشعثاء، قُلْ لا إله إلا الله. فقال: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ الآية [الأنعام:١٥٨] فلم يزل عنده حتى أسحر، وقال له: ما تقولُ في أهل النهر؟ فقال: أبرأ إلى الله منهم. وخاف الحسنُ الصبح ولم يمت جابر، فقام الحسن قائماً فكبَّر عليه أربعاً، ثم انصرف(٣).

أوصى جابر أن تُغسِّلَه امرأتُه، ومات في سنة ثلاث ومئة(٤).

وكان جابر أعور.

أسند عن ابن عمر رضي الله عنه، وابن عباس رضي الله عنهما، وروى عنه خلق كثير، وكان ورعاً ثقة(٥).

خالد بنُ مَعْدان

ابن أبي كَرِب، أبو عبد الله الكَلاعي، من الطبقة الثالثة من التابعين من أهل الشام.

---

(١) في «الطبقات» ٩/ ١٨٠.

(٢) في (خ) (والكلام منها): عروة. والتصويب من «طبقات» ابن سعد ٩/ ١٨١ والخبر فيه.

(٣) المصدر السابق ٩/ ١٨١-١٨٢. وأبو خليفة المذكور هو حجَّاج بن عتَّاب العبدي البصري.

(٤) المصدر السابق.

(٥) قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ٤/ ٤٨٢: هو من كبار تلامذة ابن عباس. وينظر «تهذيب الكمال» ٤/ ٤٣٤-٤٣٥. ومن قوله: وقال خليفة وفد كوثر بن زفر، ص٣٥٨، في فقرة «ذكر طرف من أخبار يزيد»... إلى هذا الموضع، ليس في (ص).

كان عابداً ورعاً مَهِيباً، وكان يكرهُ الشُّهرة؛ إذا عظُمَتْ حَلْقَتُه قام(١).

وكان إذا كتب إلى الوليد بن عبد الملك بدأ بنفسه(٢).

وكان يحبُّ الغَزْو، وهو أول من ضُرب له فُسطاط بدابِق(٣).

وقال [أبو نُعيم فيما رواه عنه أنه قال:] ما من عبدٍ إلا وله عينان في وجهه يُبصر بهما أمرَ الدنيا، وعينانِ في قلبه يُبصر بهما ما وعدَ الله تعالى بالغيب، فإذا أراد الله بعبده خيراً فتح عينيه اللتين في قلبه، وإذا أراد به شرّاً تركه على ما هو عليه. ثم قرأ: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾(٤)[محمد: ٢٤].

وكان خالد يسبِّح كلَّ يوم أربعين ألف تسبيحة سوى ما يقرأ من القرآن، فلما مات وجُعل على سريره ليُغسَّل؛ جعلَ يحرِّك أصبعيه. يعني بالتسبيح(٥).

[ذكر وفاته]:

وتوفِّي في خلافة يزيد بن عبد الملك في سنة ثلاث ومئة وهو صائم، وكان ثقة.

[قال الهيثم:] ومات بطرسوس غازياً(٦).

وأسند عن جماعة من الصحابة: أبي عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جَبَل، وعُبادة بن الصامت، وأبي الدرداء، وأبي هريرة، وعبد الله بن عُمر، وأبي أُمامة، وثوبان، والمقدام بن معدي كَرِب، وأبي ذرّ الغِفاري، وعبد الله بن بُسْر، وغيرهم.

وكان يقول: أدركتُ سبعين من أصحاب رسول الله ﷺ.

---

(١) تاريخ دمشق ٥/ ٥٢٠ (مصورة دار البشير).

(٢) ينظر المصدر السابق ٥/ ٥١٩-٥٢٠ .

(٣) تاريخ دمشق ٥/ ٥٢٠ . ودابِق: قرية قرب حلب من أعمال عزاز، بينها وبين حلب أربعة فراسخ. معجم البلدان ٢/ ٤١٦ .

(٤) حلية الأولياء ٥/ ٢١٢-٢١٣ ، وما سلف بين حاصرتين من (ص). وذكر ابن عساكر الخبر في «تاريخه» ٥/ ٥٢٢ من طريق آخر.

(٥) حلية الأولياء ٥/ ٢١٠ ، وتاريخ دمشق ٥/ ٥٢٢ (مصورة دار البشير).

(٦) ينظر «طبقات» ابن سعد ٩/ ٤٥٨ ، و«تاريخ دمشق» ٥/ ٥٢١-٥٢٣ .

وقد روى عنه خلق كثير، منهم ثَوْر بنُ يزيد، وإبراهيم بن أبي عَبْلة، وثابت بن ثوبان، وغيرهم[(١)].

سليمان بن يسار

مولى ميمونةَ زوجِ رسول الله ﷺ، وقيل: إنه كان مكاتِباً لها، فأدَّى وعَتَق، ووهبَتْ ميمونةُ ولاءه لابن عباس رضي الله عنهما.

وهو من الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة، وكنيتُه أبو أيوب. وقيل: أبو محمد. وهو أحدُ الفقهاء السبعة، وكانوا يفضِّلونه على سعيد بن المسيِّب.

[ذكر قصته مع البدوية]:

[روى أبو نعيم الحافظ عن أبي حازم قال:] خرج سليمان [بن يسار] حاجّاً من المدينة ومعه رفيق له، فنزلا منزلاً بالأبواء[(٢)]، فأخذَ رفيقُه السُّفْرة[(٣)]، ومضى إلى السوق ليبتاعَ لهم طعاماً، وقعد سليمانُ في الخيمة، وكان من أجمل الناسِ وجهاً، فبَصُرَتْ به أعرابيةٌ من رأس الجبل وهي في خيمتها، فانحدرَتْ إليه، وأسفَرَتْ عن وجه كأنه فِلْقةُ قمر، وراودته عن نفسه فذكَّرها اللهَ، فأبت وقالت: لئن لم تفعل لأفْضَحَنَّك، فقال: جهَّزَكِ [إليَّ] إبليس؟! ثم وضع رأسَه على ركبتيه [يبكي] فلمَّا رأت ذلك سَدَلَتْ بُرْقُعَها على وجهها، وعادَتْ باكيةً إلى خيمتها.

وجاء صاحبُه، فرآه على تلك الحالة، فسأله، فلم يُخبره، فأقسم عليه، فأخبره، فجلس الآخر يبكي، فقال له سليمان: ما لك؟ فقال: أنا أحقُّ بالبكاء منك. قال: ولِمْ؟ قال: أخشى لو أني كنتُ مكانك لمَا صبرت.

قال سليمان: فرأيتُ يوسف الصِّدِّيق [بعد ذلك في المنام وأنا أقول: أنت يوسف الصِّدِّيق؟] قال: نعم، أنا الذي هَمَمْتُ وأنتَ الذي لم تَهُمّ[(٤)].

---

(١) تاريخ دمشق ٥/ ٥١٦، وتهذيب الكمال ٨/ ١٦٨-١٦٩.

(٢) قرية من المدينة المنوَّرة بينها وبين الجُحفة ثلاثة وعشرون ميلاً. وبالأبواء قبر آمنة أمّ النبي ﷺ.

(٣) السُّفرة: ما يحملُ المسافر فيه طعامه.

(٤) حلية الأولياء ٢/ ١٩١-١٩٢. وما سلف بين حاصرتين من (ص).

وكان سليمان يصومُ الدهر(١).

وقال: استأذنتُ على عائشة رضي الله عنها، فعرفَتْ صوتي، فقالت: أسليمان؟ قلت: نعم. قالت: أدَّيْتَ ما قاضَيْتَ عليه؟ قلت: بلى، لم يبقَ إلا يسير. قالت: ادخُلْ فإنك مملوك ما بقيَ عليك شيء(٢).

وكان يُحْفي شاربَه كأنَّه قد حَلَقَهُ.

ووليَ سوقَ المدينة لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وعمرُ يومئذ والي المدينة للوليد بن عبد الملك(٣).

ذكر وفاته:

مات سنة سبع ومئة وهو ابن ثلاث وسبعين سنة.

وقيل: في سنة ثلاث ومئة في خلافة يزيد بن عبد الملك، والأكثرون على ذلك.

وقيل: في سنة أربع وتسعين، وقيل: سنة مئة(٤).

أسند سليمان عن زيد بن ثابت، وأبي واقد الليثي، وابن عُمر، وأبي هريرة، وعُبيد الله وعَبد الله ابنَيْ العباس، وعائشة، وأمّ سَلَمة، وميمونة، وعروة بن الزبير، والمقداد ابن الأسود، وحسَّان بن ثابت، وأبي سعيد الخُدري، وعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، ومالك بن أبي عامر.

وروى عنه الزُّهري، وعَمرو بنُ دينار، وقتادة(٥)، ويحيى بن سعيد الأنصاري، ويزيد بن أبي حبيب، وأُسامة بن زيد الليثي، وبُكير بن عبد الله [بن] الأشجّ، ونافع مولى ابن عمر، وعَمرو بن ميمون بن مِهْران(٦)، وأخوه عطاء، وغيرُهم، وروى عنه ابنُه عبد الله خطبة عُمر بالجابية.

---

(١) نُسب الخبر في (ص) لابن أبي الدنيا.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ١٧٣ .

(٣) المصدر السابق.

(٤) ذكر الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ٤/ ٤٤٧ أن هذين القولين شاذّان.

(٥) قال المزي في «تهذيب الكمال» ١٢/ ١٠٣ : قيل: لم يسمع منه.

(٦) في (خ) (والكلام منها): ميمون بن مروان، بدل: عمرو بن ميمون بن مهران. وهو خطأ. وينظر «تهذيب الكمال» ١٢/ ١٠٣ ، و«سير أعلام النبلاء» ٤/ ٤٤٥ .

وكان سليمان ثقة رفيعاً عالياً فقيهاً، كثير الحديث.

وإخوتُه: عطاء، وعبد الله، وعبد الملك بنو يسار، وكلُّهم كانوا فضلاء علماء، موالي ميمونة رضي الله عنها[١].

أبو بُرْدَة بن أبي موسى الأشعريّ

واسمه عامر بن عبد الله بن قيس، من الطبقة الثانية من التابعين من أهل الكوفة.

وليَ القضاء على الكوفة بعد شُرَيْح، ووفدَ على معاوية. فأَراه قَرْحةً كانت في ظهره يقال لها: النَّقَّابَة[٢].

وقال ابن عساكر: كان أبو بُرْدة أحول، ولما وليَ القضاء كان سعيد بن جبير كاتبه[٣].

ولمَّا وَلِيَ يزيدُ بنُ المهلَّب خُراسان قال: دُلُّوني على رجل جامعٍ لخصال الخير. فدُلَّ على أبي بُرْدة، فلما رآه رأى مَخْبَرَه أفضلَ من منظره، فقال له: إني مولِّيك على كذا وكذا. قال: أَعْفِني. قال: لا أُعفيك. فقال: حدَّثني أبي عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «مَنْ وَلِيَ عَمَلاً وهو يعلمُ أنه ليس بأهل له فَلْيَتَبَوَّأ مقعده من النار». ولستُ بأهل لهذا. فقال له يزيد: الآن حرَّضْتَني على نفسك، خُذْ عهدَك واخْرجْ، فإني غيرُ مُعفيك.

فخرج وأقامَ مدَّةً ثم قدم عليه، فقال: حدَّثني أبي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ملعون من سُئل بوجه الله ثم منعَ سائلَه». وأنا أسألُك بوجه الله أن تُعفِيَني. فأعفاه[٤].

ومات بالكوفة سنة ثلاث ومئة، وقيل: سنة أربع، وقيل: سنة ستّ، وقيل: سنة سبع ومئة[٥].

أسندَ عن أبيه، وعن عبد الله بن سَلاَم.

---

(١) ترجم لهم ابن سعد في «طبقاته» ٧/ ١٧١-١٧٤ .

(٢) في (خ): النقاية. والمثبت من «تاريخ دمشق» ص ٣٧٤ (طبعة مجمع دمشق - تراجم حرف العين). قال الزمخشري في «أساس البلاغة» (نقب): النَّقَّابة: قرحة تخرج بالجنب تهجم على الجوف رأسها من داخل.

(٣) تاريخ دمشق ص ٣٨٤ وص ٣٨٦ (الطبعة المذكورة في التعليق السابق).

(٤) تاريخ دمشق ص ٣٨٧-٣٨٨ (الطبعة المذكورة).

(٥) ينظر المصدر السابق ص ٣٩٠-٣٩٢ .

قال أبو بُرْدَة: أرسلني أبي إلى عبد الله بن سلام أتعلَّم منه، فجئتُه فقال: مَنْ أنتَ؟ فأخبرتُه، فرحَّب بي، فقلت: إنَّ أبي أرسلني إليك لأتعلَّم منك. فقال: يا ابن أخي، إنكم بأرض تُجَّار، فإذا كان لك على أحد مالٌ؛ فأهدى إليك هديَّةً؛ فلا تَقْبَلْها، فإنَّها رِباً[1].

وأخوه **موسى بن أبي موسى**: أمُّه أمُّ كلثوم بنت الفضل بن العبَّاس، رَوَى عن أبيه.

وأخوهما **أبو بكر بن أبي موسى**، وهو اسمُه، روى عن أبيه، وكان قليل الحديث يُستضعف، ومات في ولاية خالد بن عبد الله القَسْري، وكان أكبرَ من أبي بُرْدة، وأدركَ جماعة من الصحابة، وكان يسكُن الكوفة، ولا رواية له[2].

يزيد بن حُصَيْن بن نُمير

السَّكوني الحمصي، من الطبقة الرابعة[3] من أهل الشام من التابعين.

وليَ حمص لعمر بن عبد العزيز ﷺ، ولسليمان قبله، وكتب إليه عمر [بن عبد العزيز] لا تدعنَّ صليباً ولا صورة في أسواق حمص إلا مَحَوْتَه، ثم امسحه ببياض[4].

وكانت وفاتُه بحمص.

حدث عن أبيه الحُصَيْن. والحُصَيْن هو الذي حاصر مكة واستخلفه مُسْرفُ بن عقبة[5].

---

(١) لفظ الخبر أقرب إلى رواية عبد الرزاق في «المصنف» (١٤٦٥٣) وهو بنحوه في «صحيح» البخاري (٣٨١٤). وينظر «طبقات» ابن سعد ٥/ ٣٨٦ (ترجمة عبد الله بن سلام).

(٢) ذكرهم ابن سعد في «الطبقات» ٨/ ٣٨٦ـ٣٨٧ . ومن قوله: أسند سليمان (يعني بن يسار آخر الترجمة السابقة) عن زيد بن ثابت... إلى هذا الموضع، ليس في (ص).

(٣) في (ص): فصل، وفيها توفي يزيد بن نمير السكوني الحمصي، ذكره أبو زرعة الدمشقي في الطبقة الرابعة... ولم أقف عليه في «تاريخه».

(٤) في (خ) و(ص): ببياض البيض(؟). والمثبت من «تاريخ دمشق» ١٨/ ٢٦٦ (مصورة دار البشير) وعبارتُه فيها: ثم يُمسح ببياض حتى لا يُرى منها شيء.

(٥) يعني مسلم بن عقبة، سمي مسرفاً لإسرافه في وقعة الحرَّة.

وحدَّث يزيد أيضاً عن معاذ بن جبل، وروى عنه عُليّ بن رباح، وكان مع مروان لما خرج إلى مصر.

السنة الرابعة بعد المئة

فيها عزل يزيدُ بنُ عبد الملك عبدَ الرحمن بنَ الضحَّاك بن قيس الفِهْريّ عن المدينة ومكة، وولَّى عليهما عبد الواحد النَّصْري[١].

وسببُ عزله أنه خطب فاطمةَ بنتَ الحسين بنِ علي بنِ أبي طالب عليه السلام، فقالت: واللهِ ما أُريد النِّكاح، ولقد قعدتُ على بنيّ هؤلاء. وجعلَتْ تُحاجزه، وتكره أن تُنابذَه، لِما تخافُ من شرِّه، وألحَّ عليها وقال: واللهِ لئن لم تفعل لأجلدنَّ أكبرَ بنيها في الخمر. يعني عبد الله بن حسن.

وكان على ديوان المدينة رجل من أهل الشام يقال له: ابنُ هرمز، فاستدعاه يزيدُ بنُ عبد الملك ليعملَ حسابَه، فدخل على فاطمة يودِّعُها ويستعرض حوائجها، فقالت: تُعرِّفُ أميرَ المؤمنين ما أَلْقَى من ابنِ الضحاك.

وبعَثَتْ كتاباً ورسولاً إلى يزيد، وقَدِمَ ابنُ هُرمز على يزيد، فسأله عن أحوال المدينة، فذكَر له حديثَ ابنِ الضحاك مع فاطمة.

فبينا هو يحدِّثه دخلَ الحاجب وقال: رسولُ فاطمة بالباب[٢]. فأذِنَ له، فدخل، فناوله الكتاب، فقرأه يزيد، ونزل عن فراشه وجعل يضرب الأرض بخيزُرانةٍ ويقول: لقد أقدمَ ابنُ الضحَّاك على أمر عظيم، ألا رجلٌ يُسمعُني صوتَه في العذاب وأنا على فراشي؟ فقيل له: عبد الواحد بن عبد الله النَّصْري. فدعا يزيد بقرطاس وكتب فيه بخطّ

---

(١) بالصاد المهملة نسبة إلى بني نصر بن معاوية، وسلف التعليق عليه أواخر أحداث السنة السابقة. وتحرف في (خ) (والكلام منها) إلى: المضري، وفي «تاريخ» الطبري ٧/ ١٢ ، إلى: النضري.

(٢) الذي في «تاريخ» الطبري ٧/ ١٣ أن ابن هرمز لم يذكر له خبر ابن الضحاك مع فاطمة لما استخبره يزيد عن أحوال المدينة، وإنما ذكر ابنُ هرمز ليزيد الخبر لما جاء الحاجب وقال ليزيد: بالباب رسول فاطمة. فعنَّف يزيدُ ابنَ هرمز على ذلك، واعتذر ابنُ هرمز بالنسيان. والخبر بنحوه في «أنساب الأشراف» ٧/ ١٨٩ .

يده إلى عبد الواحد وهو بالطائف: سلامٌ عليك، أمَّا بعد، فإنِّي قد ولَّيتُك المدينةَ، فإذا جاءك كتابي هذا فسِرْ إليها، واعزِل ابنَ الضَّحَّاك، وأغْرِمْهُ أربعين ألفَ دينار، وعذِّبْه حتى أسمعَ صوتَه وأنا على فراشي. والسلام.

وسار البريدُ بالكتاب، فقدمَ المدينةَ، ولم يدخل على ابن الضحاك، فارتاب به، وبعث إلى البريد بألف دينار وقال له: لك عهدُ الله عليَّ وميثاقُه إنْ أنتَ أخبرتَني لا أُخبِرُ أحداً وإنَّ هذه لك، فأخبره، فاستنظره ثلاثاً، وخرج ابنُ الضحاك إلى مَسْلَمة، فاستجارَ به، فكلَّم فيه يزيدَ بنَ عبد الملك، فقال: واللهِ لا أُجيرُه أبداً وقد فعل ما فعل، ردُّوه إلى المدينة، فردُّوه.

فأخذَه عبدُ الواحد، فعذَّبه عذاباً شديداً، وأغرمَه أربعين ألف دينار[1].

قال عبد الله بن محمد: فلقد رأيتُه بالمدينة وعليه جُبَّةُ صوف وهو يسأل الناس، ولم يزل على أسوأ حال.

وكتب يزيد إلى فاطمة يعتذرُ إليها ويسألُها حوائجَها، فلم يكن ليزيد بن عبد الملك مَنْقَبةٌ مثلُ هذه.

قال الواقدي: وكان عَزْلُ ابن الضَّحَّاك عن المدينة النصف من ربيع الأول، وأقام والياً عليها ثلاث سنين، وكان قد أساء إلى أهلها، وفعل بابن حزم ما فعل، فسُرَّ الناسُ بما جرى عليه. وقَدِمَها عبدُ الواحد النَّصْري يومَ السبت للنصف من شوال هذه السنة[2].

قال الزُّهري: قلت لعبد الرحمن بن الضحَّاك لما وَلِيَ المدينة: إنك قادمٌ على قوم يُنكرون كلَّ شيء خالفَ فعلَهم، فالْزَمْ ما أجمعوا عليه، وشاور القاسم بنَ محمد، وسالم بنَ عبد الله، فإنهما لا يَأْلُوانِكَ رُشْداً. فلم يأخذ بشيء من ذلك، وعادَى الأنصار طُرّاً، وضرب أبا بكر بنَ حَزْم ظلماً وعدواناً في باطل، فما بقيَ منهم شاعرٌ إلا هجاه، ولا صالحٌ إلا عابَه وأتاه بالقبيح، ووليَ المدينةَ عبدُ الواحد بنُ عبد الله

(١) تاريخ الطبري ٧/ ١٢-١٤.

(٢) يعني سنة (١٠٤). وعبد الله بن محمد: هو ابنُ أبي يحيى المعروف بسَحْبَل من رجال «التهذيب» روى عنه الواقدي هذا الخبر كما في المصدر السابق.

النصري، فأحسنَ السِّيرة، فلم يَقْدَم عليهم والٍ أحبَّ إليهم منه، وكان يذهبُ مذاهبَ الخير، لا يقطع أمراً إلا استشار فيه القاسم وسالماً[١].

وفيها غزا سعيدٌ الحَرَشيُّ السُّغْد[٢]، فقتل وسبى، وقطع النهر، ونزل على خُجَنْدَة[٣]، ونصبَ عليها المجانيق وحصرَهم، فأرسلوا إلى ملك فَرْغانة يستنجدونَه على الحَرَشيّ، فقال: لستُم في جواري. فأرسلوا إلى الحَرَشيّ، فصالحوه، وأعطاهم الأمان على أن يردَّهم إلى الصُّغْد، وأن يردُّوا إليه نساء العرب الذين في أيديهم وأُسارى المسلمين، ويؤدُّوا الخَراج[٤]، ولا يغتالوا أحداً، ولا يتخلَّف منهم بخُجَنْدَة أحد.

فغدروا وقتلوا من أسارى المسلمين في السِّرِّ مئةً وخمسين، وأفلتَ منهم غلامٌ، فأخبرَ الحَرَشيّ، فأرسل إليهم، فأنكروا، وتحقَّق الخبر، فأرسلَ فعزل التُّجار عنهم، وكانوا أربع مئة، معهم أموالٌ عظيمة من الهند والصين، وأمر بقتل السُّغْد، فقتلهم عن آخرهم، وأَفلت منهم جماعة قبل ذلك، وغنم أموالَ السُّغْد وذراريهم.

وكتبَ إلى يزيد بن عبد الملك بالفتح ولم يكتب إلى عُمر بن هُبيرة، فكان هذا مما وجد عليه ابنُ هُبيرة حتى عزلَه.

وفتح الحَرَشي قِلاعاً كثيرة وحصوناً لم يفتحها غيرُه، وغنم أموالاً عظيمة، وعاد إلى مَرْو[٥].

وفيها عزلَ عُمر بنُ هُبيرة سعيدَ الحَرَشيَّ عن خُراسان، وولَّاها مسلم بنَ سعيد بن أسلم بن زُرْعة الكلابي.

---

(١) تاريخ الطبري ٧/ ١٤ .

(٢) سعيد الحَرَشي: هو ابنُ عَمرو بن الأسود بن مالك وسلف ذكره أول السنة (١٠٣). والسُّغد ـ أو الصُّغد ـ قرى بين سمرقند وبُخارى، وسلف الكلام عليها.

(٣) بلدة مشهورة بما وراء النهر على شاطىء سيحون، بينها وبين سمرقند عشرة أيام. معجم البلدان ٢/ ٣٤٧ .

(٤) في «تاريخ» الطبري ٧/ ٨ : ويؤدُّوا ما كسروا من الخراج.

(٥) الخبر في «تاريخ» الطبري ٧/ ٧ـ١٠ مطول.

قال هشام: كان الحَرَشيّ قد اطَّرحَ جانبَ ابنِ هُبيرة واستَخَفَّ به، وكان رسولُ ابنِ هُبيرة إذا قدم على الحَرَشيّ يقول له: كيف أبو المُثَنَّى، ويكتب إليه: من سعيد إلى أبي المثنَّى. فقال ابنُ هُبيرة لجميل بن عمران[1]: قد بلغني عن الحَرَشيّ أشياءُ، فاذهَبْ إلى خُراسان وحقِّق بما قيل لي. فخرج جميل[2] على وجه كأنَّه ينظر في الدواوين، فقيل له: ما قدم إلا ليكشف أخبارك.

فأرسلَ إليه الحَرَشيّ بِبِطِّيخةٍ مسمومة،فأكلها، فمرض، وتساقطَ شعرُه، وأشرفَ على الموت، فتحاملَ وعادَ إلى ابنِ هُبيرة، فقال: ما وراءَك؟ فقال: الأمرُ أعظمُ مما بلغَك، ما يعدُّك الحَرَشيُّ إلا من بعض عماله.

فأرسل ابنُ هُبيرة مسلمَ بنَ سعيد الكلابي إلى خُراسان والياً، فقبض على الحَرَشيّ، وعذَّبه، ونَفَخَ في بطنه النمل[3]، واستقضى أموالَه. وكان الحَرَشيُّ يقول: لو طَلَبَ منّي ابنُ هُبيرة درهماً يضعُه في عينه ما أعطيتُه. فلما ذاقَ العذابَ أقرَّ بالأموال، فقال أُذَينة ابن كُلَيْب:

تَصَبَّرْ أبا يحيى فقد كنت ـ عِلْمَنا ـ صبوراً ونهَّاضاً بثِقْلِ المغارِمِ[4]

وقال الهيثم: عزل ابنُ هُبيرة سعيد الحَرَشيّ، وجعله في الحصن[5]، فلمَّا وَلِيَ خالدُ ابنُ عبد الله القَسْريّ العراق أطلق الحَرَشيَّ وأكرمه، فلما هرب ابنُ هُبيرة من حبس خالد القَسْري أرسَل الحَرَشيّ خلفَه، فلم يدركه.

وقال الطبري: أدرك الحَرَشيّ ابنَ هُبيرة في الفرات وهو في سفينة، وغلام قائم على صدرها، فقال الحَرَشيّ: أفي السفينة أبو المثنَّى؟ قال: نعم. فخرج إليه ابنُ هُبيرة، فقال الحَرَشيّ: يا أبا المثنَّى، ما ظَنُّك بي؟ قال: إنك لا تدفعُ رجلاً من قومك إلى

(١) في (خ) (والكلام منها): حميد بن حمران. والمثبت من «تاريخ» الطبري ٦/ ١٥ ، و«الكامل» ٥/ ١١٥ .

(٢) في (خ): حميد. والمثبت من المصدرين السابقين.

(٣) كذا في «تاريخ» الطبري ٧/ ١٦ ، و«الكامل» ٥/ ١١٥ . وجاء في «أنساب الأشراف» ٧/ ٣٨٠ وفي سياق آخر أنه نفخ في دبره بكير وحبسه.

(٤) تاريخ الطبري ٧/ ١٥ـ١٦ .

(٥) كذا في (خ) (والكلام منها)، ولعل الصواب: الحبس. وينظر «تاريخ» الطبري ٧/ ١٦ .

رجل من قريش[١]. يعني أبا خالد القَسْريّ، وكان الحَرَشيُّ وابنُ هُبيرة من بني عامر، فلما قال ابنُ هبيرة ذلك قال له الحَرَشيّ: هو ذاك، فالنَّجاء النَّجاء.

قال علماء السِّيَر: ولمَّا سارَ مسلم بنُ سعيد الكلابي إلى خُراسان؛ قدم مَرْو وقتَ الظهيرة، فرأى باب دار الإمارة مغلقاً، فدخل المسجد، فرأى بابَ المقصورة مغلقاً، فصلَّى في المسجد، وأُخبر الحَرَشيُّ بقدومه، فأرسل إليه، فقال: أَقدمتَ أميراً، أو وزيراً [أو زائراً]؟ فأرسل إليه: مثلي لا يقدم خُراسان زائراً ولا وزيراً، فأتاه الحَرَشيّ، فشَتَمه وحبَسَه وقيَّده، فتَمثَّلَ الحَرَشيُّ وقال:

هُـمُ إنْ يَـثْـقَـفُـونـي يـقـتُـلُـونـي وإنْ أَثْـقَـفْ فـلـيـس إلـى خُـلُـودِ[٢]

وفيها غزا الجرَّاح بن عبد الله الحَكَمي أرضَ التُّرْك وبابَ الأبواب[٣]، وكان أميراً على أَذَرْبيجان، وأرمينية، ففتح بَلَنْجَر[٤]، وهزمَ التُّرك، وغرَّقهم في الماء، وكان من غرق أكثرَ ممَّن قُتل.

وفيها وُلد أبو العبَّاس عبدُ الله بنُ محمد بن عليّ السَّفَّاح في ربيع الآخِر[٥]، فدخلَ أبو محمد الصادق وجماعة من الشيعة الذين قدموا من خُراسان على محمد بن عليّ، فأخرجَه إليهم في خِرْقة، وقال: بهذا يُتمّ اللهُ الأمر، ويُدرَك الثأر من العدوّ إن شاء الله تعالى.

وحجَّ بالناس في هذه السنة عبدُ الواحد بن عبد الله النَّصْري، وكان على المدينة ومكة والطائف، وكان على العراق والمشرق عُمر بن هُبيرة، وعلى قضاء الكوفة حُسين ابن الحسن الكِنْدي، وعلى قضاء البصرة عبد الملك بن يَعْلَى[٦].

---

(١) كذا في (خ) (والكلام منها) و«تاريخ» الطبري ٧/ ١٧ . وعبارة «الكامل» ٥/ ١١٦ : رجل من قيس. ولعل لفظتي «قريش» و«قيس» محرّفتان عن لفظة: «قَسْر» لقول المصنف بعده: يعني أبا خالد القَسْري.

(٢) تاريخ الطبري ٧/ ١٨-١٩ . والبيت لخالد بن جعفر بن كلاب، أورده أبو الفرج الأصبهاني في «الأغاني» ١١/ ٨٣ ضمن قصيدة له، ولفظه فيه: فإمَّا تثقفوني فاقتلوني، فمن أثقف...

(٣) ويقال فيها: الباب، أيضاً، وهي مدينة على بحر طبرستان، وسلف ذكرها في ترجمة محمد بن مروان بن الحكم، أواخر سنة (١٠١). ولم يرد قوله: باب الأبواب في عبارة «تاريخ» الطبري ٧/ ١٤ .

(٤) مدينة خلف باب الأبواب (المذكورة قبل). معجم البلدان ١/ ٤٨٩ .

(٥) تاريخ الطبري ٧/ ١٥ ، والمنتظم ٧/ ٨٩ . وذكر الخطيب في «تاريخ بغداد» ١١/ ٢٣٦ أنه وُلد سنة (١٠٥).

(٦) تاريخ الطبري ٧/ ٢٠ . ومن قوله: فيها عزل يزيد بن عبد الملك عبدَ الرحمن... (أول أحداث هذه السنة ١٠٤) إلى هذا الموضع، ليس في (ص).

وفيها توفي

أبان بن عثمان بن عفَّان

وأُمُّهُ أُمُّ عَمرو بنت جُنْدب بن عمرو بن حُمَمَة، من دَوْس، وكنيتُه أبو سعيد، وهو من الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة.

وكان من فقهائها.

شهد الجمل مع عائشة رضي الله عنها وكان ثاني المنهزمين. ولَّاه عبد الملك بن مروان المدينة[١].

رِبْعيُّ بن حِراش

ابن جحش، أبو عمرو الغَطَفاني الكوفي، من الطبقة الثانية من أهل الكوفة[٢].

قال أحمد بن عبد الله العِجْلي: إنَّ رِبْعيَّ بنَ حِراش لم يكذب قطّ؛ كان له ابنانِ عاصيانِ على الحجَّاج، فقيل للحجَّاج: إنَّ أباهما لم يكذبْ قطّ، فلو أرسلتَ إليه فسألتَه عنهما. فأرسل إليه، فقال: أين ابناك؟ فقال: في البيت. قال: قد عفونا عنهما بصدقك[٣].

وقال الحارث العَنَزيّ: آلَى رِبْعيّ أن لا يضحك حتى يعلم أفي الجنة هو أم في النار. قال الحارث: فلقد أخبرني غاسلُه أنه لم يزل متبسِّماً على سريره ونحن نُغسِّلُه حتى فَرَغْنا منه[٤].

وتوفّي سنة أربع ومئة، وقيل: في ولاية الحجَّاج، وقيل: سنة إحدى ومئة، وليس له عقب[٥].

أسند عن عُمر، وعليّ، وحُذيفة، وأبي بَكْرة، وعمران بن الحصين، وغيرهم رضي الله عنهم.

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ١٥٠ ، والمعارف ص ٢٠١ .

(٢) ذكره ابن سعد ٨/ ٢٤٧ في الطبقة الأولى من أهل الكوفة.

(٣) تاريخ دمشق ٦/ ٢٠١_٢٠٢ (مصورة دار البشير).

(٤) المصدر السابق ٦/ ٢٠٢ .

(٥) ينظر «طبقات» ابن سعد ٨/ ٢٤٧_٢٤٨ ، والمصدر السابق ٦/ ٢٠٣ .

وروى عنه: عامر الشعبي، وعبد الملك بن عُمير، ومنصور بن المعتمر، وأبو مالك الأشجعي، وحُميد بن هلال، وإبراهيم بن المهاجر، وغيرهم. وكان ثقة صدوقاً(١).

[ذكر إخوته:]

[ذكر جدِّي في «الصفوة» منهم واحداً، ولم يسمِّه لنا، وهو الذي تكلَّم بعد الموت.

فروى ابنُ أبي الدنيا بإسناده إلى عبد الملك] قال ربْعيّ: كنَّا ثلاثةَ إخوة، وكان أعبدُنا وأصومُنا وأفضلُنا الأوسطَ منَّا، فغِبْتُ غَيْبةً إلى السَّوَاد، ثم قدمتُ على أهلي فقالوا: أدْرِكْ أخاك، فإنَّه في الموت. فخرجتُ أسعى إليه، فانتهيتُ إليه وقد قَضَى، وسُجِّيَ بثوب، فقعدتُ عند رأسه أبكيه، فرفعَ يده، فكشفَ الثوبَ عن وجهه وقال: السلام عليكم. فقلت: أيْ أخي! أحياةٌ بعدَ الموت؟! قال: نعم، إني لَقِيتُ ربي، فلقِيَني بَرَوْحٍ ورَيْحان، ورَبٌّ غيرِ غضبان، وإنَّه كساني ثياباً خُضْراً من سندسٍ وإستبرق، وإني وجدتُ الأمرَ أيسرَ ممَّا تظنُّون أو تحسبون، فاعملوا ولا تغترُّوا. قالها ثلاثاً. وإني لقيتُ رسولَ الله ﷺ، فأقسم أن لا يبرح حتى آتيَه، فعجِّلوا جِهازي. ثم طفىء أسرعَ من حصاة ألقِيتْ في ماء.

[هذه صورة ما ذكره جدّي في «الصفوة»](٢).

كان لربعي ثلاثة إخوة: رَبيع، وعباية، ومسعود بن حِراش، فأمَّا ربيع؛ فمات قبل رِبْعيّ، وهو الذي تكلَّم بعد الموت، وأمَّا عباية؛ فروى عن عمر رضوان الله عليهما، والعَقِبُ له(٣).

---

(١) تاريخ دمشق ٦/ ١٩٧، وتهذيب الكمال ٩/ ٥٥. ومن قوله: ولاَّه عبد الملك بن مروان المدينة (آخر الترجمة التي قبلها)... إلى هذا الموضع، ليس في (ص).

(٢) صفة الصفوة ٣/ ٧٣. وهو عند ابن أبي الدنيا في «من عاش بعد الموت» (٩) وعبد الملك المذكور في إسناده هو ابنُ عُمير. وماسلف بين حاصرتين من (ص). والكلام الآتي بعده ليس فيها. وحتى ترجمة عامر الشعبي.

(٣) كذا وقع الكلام في (خ)، ولم يرد في (ص). والذي في المصادر أن بني حِراش ثلاثة: رَبِيع، ورِبْعيّ، ومسعود، وليس فيهم عباية، وسلف كذلك قول ربعيّ: كنّا ثلاثة إخوة.... الخ ثم إن الذي له عقبٌ مسعود. وما وقع أعلاه وهم من المصنِّف أو المختصر. فقد ورد في «طبقات» ابن سعد ٨/ ٢٤٨ ترجمة عباية بن ربعي الأسدي بإثر ترجمة ربعي بن حراش، فزاده المصنف في بني خراش. والله أعلم. وينظر إضافة إلى ما سلف من المصادر: الإكمال ٢/ ٤٢٦، وغوامض الأسماء المبهمة ١/ ٥٠٤-٥٠٥.

زياد بن أبي زياد

مولى عبد الله بن عيَّاش بن أبي ربيعة المخزومي، من الطبقة الثانية من التابعين من موالي أهل المدينة.

كان رجلاً عابداً معتزلاً للناس، لا يزال يكون وحدَه يذكرُ الله، وكانت فيه لُكْنةٌ، وكان يلبس الصوف، ولا يأكل اللحم، وكان له دريهمات يعالَج [له] فيها.

وكان صديقاً لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وكان إذا أتى إليه يتخطَّى رقابَ بني أمية، وكانوا يمتعضون من ذلك.

وقدم عليه وهو خليفة، فوعظه، وقرَّبه عُمر، وخَلا بِهِ، وكان بينهما كلام كثير.

ولزياد عقب بدمشق، وروى عنه إسماعيل بن أبي خالد وغيرُه، وروى عن أنس بن مالك[(١)].

وقال محمد بن المنكدر: إني خلَّفتُ زياد بنَ أبي زياد وهو يُخاصم نفسه في المسجد يقول: اجلسي، أين تريدين أن تذهبي؟ إلى دار فلان؟ انظري إلى هذا المسجد.

قال: وكان يقول لنفسه: ما لكِ من الطعام إلا هذا الخبز والزيت، وما لكِ من الثياب إلا هذين الثوبين، وما لك من النساء إلا هذه العجوز، أفتُحبِّين أنْ تموتي؟ قالت: أنا أصبرُ على هذا العيش[(٢)].

وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى مولاه ليشتريَه منه، فأبى، وأعتقه مولاه[(٣)].

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٠٠ ، وتاريخ دمشق ٦/ ٥٢٢ ـ٥٢٥ (مصورة دار البشير). وما سلف بين حاصرتين منهما. واسم أبيه (أبي زياد): ميسرة.

(٢) في (خ) (والكلام منها): أنا أصبر على هذا المواضع لي ما شئت(؟). والمثبت من «تاريخ دمشق» ٦/ ٥٢٦ ، و«صفة الصفوة» ٢/ ١٠٦ ، و«المنتظم» ٧/ ٩١ .

(٣) صفة الصفوة ٢/ ١٠٦ ، والمنتظم ٧/ ٩١ . وروايته في «تاريخ دمشق» ٦/ ٥٢٧ أن عمر بن عبد العزيز عرض عليه أن يشتريَه من الفيء، فيُعتقه، فأبى ذلك زياد. قال مالك بن أنس (راوي الخبر): فلا أدري لأيّ شيء ترك ذلك زياد مولى ابن عياش. اهـ. وذكر ابن عساكر قبله ٦/ ٥٢٤ رواية أخرى عن مالك وفيها أن الناس أعانوه على فكاك رقبته.

عامر الشَّعْبيّ

ابن شَرَاحِيل بن عَبْد بن ذي كِبَار، وهو من حِمْيَر، وعِدادُهُ من هَمْدَان، من ولد حسَّان بن عَمرو القَيْل، وُجِدَ[١] في جبلِ ذي شَعْبَيْن[٢].

وُلد سنة جَلُولاء، وهي سنة سَبْعَ عشرةَ[٣]،

وقيل: وُلد لأربعِ سنين بقينَ من خلافة عمر بن الخطاب رضوان الله عليه بالكوفة[٤]، وكانت أمُّه من سبي جَلُولاء.

وقيل: وُلد الشعبيّ والحسن سنة إحدى وعشرين[٥].

[قال هشام:] وكان نَحِيلاً ضئيلاً، فقيل له: ما لنا نراك كذا؟ فيقول: زُوحِمْتُ في الرَّحِم[٦]. معناه أنه وُلد هو وأخوه تَوْأَمَيْن.

وكنيتُه أبو عَمرو، وهو من الطبقة الثانية من التابعين من أهل الكوفة.

قال: أقمتُ بالمدينة ثمانية أشهر، أو عشرة أشهر. وكان سببُ مُقامه بها أنَّه خاف من المختار بن أبي عُبيد، فهرب منه، وقال: تعلَّمتُ الحسابَ من الحارث الأعور، وأقمتُ بخُراسان لا أزيدُ على ركعتين عشرة أشهر[٧].

وكان خرج مع ابن الأشعث وقاتلَ الحجَّاج، وعفا عنه.

---

(١) يعني حسان بن عمرو القَيْل. والقَيْل: لقب لملوك اليمن.

(٢) في (خ) (والكلام منها): جبل بين شَعْبَيْن، وهو خطأ. وشَعْبين: (بلفظ تثنية شَعْب حالة النصب أو الجرّ): حصن باليمن. ينظر «معجم البلدان» ٣/ ٣٤٨.

(٣) ضَعَّفَ الذهبيّ هذا القول في «سير أعلام النبلاء» ٤/ ٢٩٥ لضعف راويه، وهو السَّريُّ بن إسماعيل. وجَلُولاء: ناحية في طريق خُراسان (بين العراق وإيران) كان بها وقعة مشهورة، انتصر فيها المسلمون على الفرس.

(٤) قال ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ص ١٤٢ (جزء فيه بعض تراجم حرف العين من طبعة مجمع دمشق): هذا القول يدلّ على أنه وُلد سنة عشرين؛ لأن عمر قُتل في آخر سنة ثلاث وعشرين.

(٥) المصدر السابق. ومن أول الترجمة إلى هذا الموضع ليس في (ص).

(٦) طبقات ابن سعد ٨/ ٣٦٦.

(٧) المصدر السابق ٨/ ٣٦٨.

وقال الشعبيّ: ما كتبتُ سوداء في بيضاء قطّ، وما حدَّثني أحدٌ بحديث فأحببتُ أن يُعيده عَلَيَّ[(١)].

وكان يقول: ليتني أفْلَتُّ من علمي كَفَافاً لا لي ولا عَلَيَّ[(٢)].

وكان يحدِّث الحديث بالمعنى.

ووقف على قوم وهم ينالون منه ولا يرَوْنَه، فقال:

هنيئاً مريئاً غيرَ داءٍ مُخامرٍ لِعَزَّةَ من أعراضنا ما استحلَّتِ[(٣)]

وكان عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب قد ولَّى الشعبيَّ قضاء الكوفة، فتقدَّم إليه اثنان، فقال الشعبيّ لأحدهما: إن لم تُعطه حقَّه، أو جاء بك مرَّةً أخرى لأحبسنَّك ولو كنتَ [ابن] عبد الحميد[(٤)].

وكان يقضي في المسجد، ويصبغ بالحِنَّاء، ويلتحفُ بملحفة حمراء[(٥)].

وقال أبو حنيفة: رأيتُ الشعبيَّ يلبس الخَزَّ، ويجالسُ الشعراء، ويلبسُ الفِراء ويقول: دباغُها طُهُورُها[(٦)].

وكان ابنَ سبع وسبعين سنة وهو يقرضُ الشِّعْر[(٧)].

وقيل له: يا أبا عَمرو، كم أتى عليك من السنين؟ فقال:

باتَتْ تَشَكَّى إليَّ الموتَ مُجْهِشَةً وقد حملتُكِ سبعاً بعد سبعينا
إنْ تُحدِثي أملاً يا نفسُ كاذبةً إلى الثلاث تُوَفِّينَ الثمانينا[(٨)]

---

(١) المصدر السابق ٨/ ٣٦٨، وتاريخ دمشق ص ١٥٧ (طبعة مجمع دمشق - جزء فيه بعض تراجم حرف العين)

(٢) طبقات ابن سعد ٨/ ٣٦٨، وحلية الأولياء ٤/ ٣١٣، وتاريخ دمشق ص ١٧٥.

(٣) طبقات ابن سعد ٨/ ٣٦٩، وتاريخ دمشق ص ١٩٦-١٩٧. والبيت لكُثَيِّر عَزَّة، وهو في «ديوانه» ص ٧٨.

(٤) طبقات ابن سعد ٨/ ٣٧٠، وتاريخ دمشق ص ٢١٩ (الطبعة المذكورة قبل) وما بين حاصرتين منهما. ومن قوله: وقال الشعبي: ما كتبتُ سوداء... إلى هذا الموضع، ليس في (ص).

(٥) طبقات ابن سعد ٨/ ٣٧١.

(٦) قول أبي حنيفة: «رأيتُ الشعبيّ يلبس الخَزَّ ويجالس الشعراء» في «طبقات» ابن سعد ٨/ ٣٧٠، وأما قوله: يلبس الفِرَاء ويقول: دباغُها طهورُها، فهو فيه ٨/ ٣٧٢ من كلام صالح بن أبي شعيب. وقولُه: «دباغُها طهورها» رُوي مرفوعاً عن عدد من الصحابة، ينظر حديث عائشة رضي الله عنها في «مسند» أحمد (٢٥٢١٤).

(٧) طبقات ابن سعد ٨/ ٣٧٣.

(٨) بنحوه في «طبقات» ابن سعد ٧/ ٣٧٣، وتاريخ دمشق ص ٢٠٠. والبيتان بنحوهما للبيد، ينظر «ديوانه» ص ٣٥٢.

وقال ابنُ سِيرِين: قدمتُ الكوفة وللشعبيّ حلقة عظيمة وأصحابُ رسول الله ﷺ يومئذٍ كثير[١].

وقال الشعبيّ: ما أرى شيئاً أقلَّ من الشِّعر، ولو شئتُ لأنشدتُكم شهراً لا أُعيدُه[٢].

وقال: لو أنَّ رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن، فحفظ كلمةً تنفعُه فيما يستقبل من عمره؛ لرأيتُ أنَّ سفره لم يَضِعْ[٣].

وقال: العلمُ أكثرُ من عدد القَطْر، فخُذْ من كلِّ شيءٍ أحسنَه[٤].

وكان للشعبيّ ديوان، وكان يغزو عليه، وكان شيعيّاً، فرأى منهم أموراً وسمع كلامهم وإفراطَهم، فترك رأيهم، وكان يَعِيبُهم[٥].

وقال: اِعلم أنَّ الحسنةَ من الله، والسيئة من نفسك، ولا تكن قَدَريّاً.

قال سبط ابنُ الجوزي رحمه الله: وهذا عينُ القَدَر[٦].

وقال مالك بن معاوية[٧]: قال لي الشعبيّ وقد ذكرنا الرافضة: يا مالك، لو أردتُ أن يُعطوني رقابهم عبيداً، وأن يملؤوا بيتي ذهباً على أن أكذبَ لهم كَذْبةً واحدة على أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام لفعلوا، ووالله لا كذبتُ عليه أبداً.

يا مالك، إني قد درستُ[٨] أهل الأهواء كلَّهم، فما رأيتُ أحمقَ منهم، فإنهم ينقضون عرى الإسلام عروةً عروة كما ينقض اليهودُ النصرانية، لم يدخلوا في الإسلام

---

(١) تاريخ دمشق ص ١٦٥ (طبعة مجمع دمشق).

(٢) المصدر السابق ص ١٦٠ .

(٣) حلية الأولياء ٤/ ٣١٣ ، وصفة الصفوة ٣/ ٧٥-٧٦ .

(٤) حلية الأولياء ٤/ ٤١٤ ، وصفة الصفوة ٣/ ٧٦ .

(٥) طبقات ابن سعد ٨/ ٣٦٧ .

(٦) كيف يكون ذلك وقد حكى ما قاله القرآن: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَۚ﴾؟ وينظر تاريخ دمشق ص ١٨٤ .

(٧) كذا في (خ) (والكلام منها)، و«العقد الفريد» ٢/ ٤٠٩ . ولعل الصواب: مالك بن مغول، كما في «شرح أصول الاعتقاد» (٢٨٢٣) والكلام فيهما بنحوه.

(٨) في (خ): مارستُ، والمثبت من المصدرين السابقين.

رغبة ولا رهبة، ولكن بغياً للإسلام، وإنَّ أميرَ المؤمنين حرَّقهم بالنار، ونفاهم من البلدان، فنفى عبدَ الله بن سبأ إلى ساباط، وعُبيد الله أخاه إلى الخازِر[١].

قالت اليهود: لا يكون الملكُ إلا في آل داود، وقالت الرافضة: لا يكونُ الملك إلا في آل عليّ. وقالت اليهود: لا جهاد حتى يخرج المسيح، وقالت الرافضة: لا جهاد حتى يخرج المنتظَر المهديّ، واليهود تؤخِّر صلاةَ المغرب حتى تشتبك النجوم، وكذا الرافضة، واليهود لا ترى الطلاق الثلاث، وكذا الرافضة، واليهود حرَّفوا التوراة، والرافضة حرَّفوا القرآن، واليهود تستحلُّ دماء المسلمين، وكذا الرافضة، واليهود تنحرف عن القبلة، وكذا الرافضة؛ يقولون: غلط في الوحي على محمد ﷺ، وترك علياً، واليهود والنصارى يفضَّلون على الرافضة بخصلتين؛ سُئلت اليهود: مَنْ خيرُ ملَّتكم؟ قالوا: أصحاب موسى. وكذا النصارى قالوا: أصحاب عيسى. وسُئلت الرافضة: مَنْ شرُّ ملَّتكم؟ قالوا: أصحاب محمد ﷺ. أمرَهم الله بالاستغفار لهم، فسبُّوهم، والسيف مسلول عليهم إلى يوم القيامة، لا تثبت لهم قدم، ولا تقومُ لهم راية، ولا تُجمع لهم كلمة، دعوتُهم مدحوضة، وجمعُهم متفرِّق، وكلَّما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله.

ثم قال: ما أُشبِّهُ تأويلَهم إلا بتأويل رجلٍ مضعوفٍ من بني مخزوم، رأيتُه قاعداً بفِناء الكعبة، فقال: يا شعبيّ، ما عندك في تأويل هذا البيت:

بيتٌ[٢] زُرارةُ مُحْتَبٍ بفِنائِهِ ... ومُجاشِعٌ وأبو الفوارسِ نَهْشَلُ

قلت: وما معناه؟ قال: بنو تميم يغلطون فيه ويقولون: إنما قيل في رجالهم. قلتُ: فما عندك أنت فيه؟ فقال: ما أرادَ بالبيت إلا هذا البيت. وأشارَ إلى الكعبة. وزُرارة هو

---

(١) الخازِر: موضع بين إربل والموصل. وينظر «معجم البلدان» ٢/ ٢٣٧، ووقع في «العقد الفريد»: وعبد الله ابن سباب نفاه إلى الجازر، وفي «شرح أصول الاعتقاد»: وعبد الله بن شباب نفاه إلى جازت(؟). والجازر: قرية من أعمال بغداد قرب المدائن. ينظر «معجم البلدان» ٢/ ٩٤.

(٢) كذا في (خ) (والكلام منها). وهو في روايته منصوب على البدل من لفظة «بيتاً» في البيت قبله أول قصيدة للفرزدق في «ديوانه» ٢/ ١٥٥، ومطلعها:

إنَّ الذي سَمَكَ السماءَ بنى لنا ... بيتاً دعائمُه أعزُّ وأطولُ

الحجر، ومُجاشع زمزم، جشعت الماء، وأبو الفوارس أبو قُبيس. قلت: فنَهْشَل؟ ففكَّر طويلاً، ثم قال: هو مفتاح[١] البيت، أسودُ طويل. فقلت: أحسنت[٢]!

سأل عبد الملك بن مروان جلساءه: دلُّوني على رجل أُولِّيه القضاء. فقال له رَوْحُ بن زِنْباع: أدلُّك على رجل إن دعوتُموه أجابكم، وإن تركتُموه لم يأتكم، ليس بالمُلْحِفِ طَلَباً، ولا بالمُمْعِنِ هَرَباً. فقال: مَنْ هو؟ قال: عامر الشعبي. فكتب إلى عامله بالعراق أن يولِّيَه القضاء، فهرب عامر إلى الشام مستخفياً[٣].

وقال الأصمعي: وجَّهَ عبدُ الملك بنُ مروان الشعبيَّ رسولاً إلى الروم في بعض الأمر، فاستكبرَ ملكُ الروم الشعبيَّ[٤] واستعظَمَه، وقال له: مِنْ أهل بيت المَلِك أنت؟ قال: لا. فكتب معه ورقةً لطيفة وقال: ادْفَعْها إلى صاحبك. ثم قال له: أنت أحقُّ بموضع صاحبك. وذلك بعدما سمع كلامه، فقال له الشعبي: على بابه عشرة آلاف خيرٌ مني. فقال: وهذا من عقلك!

فلما قدم الشعبي على عبد الملك دفع إليه الورقة، وفيها: عجبتُ من العرب؛ كيف يكون فيهم مثلُ هذا، ويُمَلِّكون غيرَه. فقال عبد الملك: يا عامر، حَسَدني عليك، فأغراني بقتلك. فقال: يا أمير المؤمنين، لو رآك لاستصغرني. وبلغَ ملكَ الروم، فقال: واللهِ ما أردتُ إلا ذاك[٥].

ودخل الأخطل على عبد الملك والشعبيُّ عنده، فقال: يا أمير المؤمنين، مَنْ هذا؟ فقال عبد الملك: نحن الخلفاء، فلا نُسأل. فخجل الشعبيّ[٦].

---

(١) في «العقد الفريد» ٢/ ٤١١ : مصباح. وينظر «أخبار مكة» ٢/ ٦٩ـ٧٠ .

(٢) الخبر بنحوه في «العقد الفريد» ٢/ ٤٠٩ـ٤١١ ، وبعضه في «شرح أصول الاعتقاد» (٢٨٢٣). زُرارة: هو ابن عُدُس، ومُجاشع: هو ابن دارم، وكذا نَهْشَل. قال البغداديّ في «خزانة الأدب» ٨/ ٢٤٨ : أراد أنهم متمكّنون في بيت العزّ كتمكّن المحتبي. وسلف قبل تعليق أن البيت للفرزدق.

(٣) العقد الفريد ١/ ٢٠ دون قوله: فكتب إلى عامله...إلخ.

(٤) أي: رآه كبيراً وعظُم عنده. ووقع في «تاريخ دمشق» ص ١٩٩ : فاستكثر.

(٥) الخبر في «تاريخ دمشق» من روايتين ص ١٩٩ـ٢٠٢ .

(٦) تاريخ دمشق ص ٢٠٧ .

وقال الشعبيّ: ما بَكَيْتُ من زمان إلا وبَكَيْتُ عليه[(١)].

ودخل [الشعبيُّ] الحمَّامَ، فرأى فيه داودَ الأَوْدِيّ بغير مئزر[(٢)]، فغمَّضَ الشعبي عينيه، فقال له داود: متى أعمى اللهُ بصرَك؟ فقال الشعبي: منذ هتك الله سترك[(٣)].

[وحكى الخطيب عن أشياخه قالوا: كان فتًى يُجالس الشعبيَّ ويُطيل الصمت، وكان الشعبيُّ يُعجب به، فقال الفتى يوماً: يا عامر، إني أجد في قفاي حكَّة[(٤)]، أفترى أني أحتجم؟ فقال الشعبيّ: الحمد لله الذي حوَّلَنا من الفقه إلى الحجامة.

وروى الخطيب بإسناده عن داود بن أبي هند (عن الشعبيّ)[(٥)] قال: صاد رجلٌ قُنْبَرَة[(٦)]، فقالت: ما تريدُ أن تصنع بي؟ قال: أذبحُكِ وآكلُكِ. فقالت: ما أشفي من قَرَم، ولا أُغني من جوع، ولكني أعلِّمك ثلاث خِصال هي خيرٌ لك من أكلي. أمَّا الواحدة أعلّمك إياها وأنا في يدك، والثانية إذا صِرْتُ على الشجرة، والثالثة إذا صِرْتُ على الجبل. قال: نعم. فقالت وهي في يده: لا تَلَهَّفَنَّ على ما فاتك. فخلَّى عنها، فلمَّا صارت على الشجرة (قال: هاتِ الثانية) قالت: لا تُصدِّقَنَّ بما لا يكون أنه يكون. فلمَّا صارت على الجبل قالت: يا شقيّ، لو ذبحتني لوجدتَ في حَوْصَلتي دُرَّة وزنها عشرون مثقالاً. قال: فعضَّ على شفتيه وتلهَّف، ثم قال: هات الثالثة. قالت: قد نسيتَ الثِّنْتَيْن، فكيف أعلِّمك الثالثة؟! قال: وكيف؟ قالت: ألم أقل لك: لا تَلَهَّفَنَّ على ما فات؟وقد

---

(١) المصدر السابق ص ٢٢٥ . وذكره ابن قُتيبة في «معاني الأخبار» ٢/ ٤ على أنه على معنى قول نهار بن تَوْسِعة:

عَتِبْتُ على سَلْمٍ فلما فَقَدْتُهُ وجَرَّبْتُ أقواماً بكَيْتُ على سَلْمِ

ومن قوله: وهو يقرض الشعر، وقيل له: يا أبا عمرو كم أتى عليك من السنين ص٣٨١ ... إلى هذا الموضع، ليس في (ص).

(٢) في (ص): إزار. ولفظة «الشعبي» السالفة بين حاصرتين منها.

(٣) تاريخ دمشق ص ٢٣٤ . وداود الأَوْدي هو ابن يزيد بن عبد الرحمن، وهو ضعيف. ينظر «تهذيب الكمال» ٨/ ٤٦٧ .

(٤) في (ص) (والخبر منها): حجة. والمثبت من «العقد الفريد» ٣/ ١٠ ، والخبر فيه. ولم أقف عليه عند الخطيب البغدادي.

(٥) قوله: عن الشعبيّ (بين قوسين عاديين) لابدّ منه، وهو في «العقد الفريد» ٣/ ٦٨ . ولم أقف على الخبر عند الخطيب البغدادي.

(٦) القُنْبَرَة (بفتح الباء كما نبّه عليه الفيروزآبادي) أو القُبَّرة: ضرب من الطير.

تلهَّفْتَ عليَّ، وقلتُ لك: لا تُصَدِّقَنَّ بما لا يكون، وقد صدَّقتَ، فإنه لو جمعت عظامي ولحمي وريشي لم يبلغ عشرين مثقالاً، فكيف يكون في حوصلتي دُرَّةٌ عشرون مثقالاً؟!][1].

وسأله سائل: هل لإبليس زوجة؟ فقال: ذاك عُرسٌ ما شهدتُه. ثم فكَّر وقرأ: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي﴾[الكهف: ٥٠] أفتكون ذُرِّيَّةٌ إلا من زوجة[2]؟!

وقال هارون بن معروف: تقدَّم رجلٌ وامرأتُه إلى الشعبيِّ في حكومة وهو قاضٍ، فأظهَرَتْ حجَّتَها، وأثبتَتْ بَيِّنَتَها، وكانت جميلة، فقضى الشعبيّ على الزوج حيث لم يكن له بيِّنة، فقال الزوج:

فُـتِـنَ الـشـعـبـيُّ لـمَّـا رَفَـعَ الـطَّـرْفَ إلـيـهـا
فَـتَـنَـتْـهُ بـدَلالٍ وبـخَـطَّـيْ حـاجِـبَـيْـهـا
فـمـشَـتْ مَـشْـيـاً رُوَيْـداً ثـم هـزَّتْ مَـنْـكِـبَـيْـهـا
قـال لـلـجِـلْـوازِ قَـدِّمْـهـا وأحْـضِـرْ شـاهِـدَيْـهـا
فـقَـضَـى جَـوْراً عـلـى الـخَـصْـم ولـم يَـقْـضِ عـلـيـهـا

وسمعه الشعبيُّ، فقال: إن كنتَ كاذباً فأعمى اللهُ بصرك. فعمي في الحال[3].

وقال صاحب «العِقْد»[4]: دخلَ الشعبيُّ على عبد الملك بن مروان، فلما رآه؛ تبسَّم وقال:

فُـتِـنَ الـشـعـبـيُّ لـمَّـا [رَفَـعَ الـطَّـرْفَ إلـيـهـا]

---

(١) من قوله: وحكى الخطيب عن أشياخه قالوا... إلى هذا الموضع (وهو ما بين حاصرتين) من (ص). والخبران في «العقد الفريد» كما سلف ولفظ (قال هات الثانية) بين قوسين منه.

(٢) بنحوه في «تاريخ دمشق» ص ٢٣١ و٢٣٢_٢٣٣ . ولم يرد هذا الخبر في النسخة (ص).

(٣) الخبر في «تاريخ دمشق» من أكثر من رواية فيه ص ٢٢١_٢٢٤ ولفظه أعلاه أقرب إلى رواية «العقد الفريد» ١/ ٩١ ، وقد نُسب في (ص) إلى ابن عساكر، وليس هو عنده من رواية هارون بن معروف كما جاء هنا، إنما ساق ابنُ عساكر لهارون هذا خبراً آخر قبله. والله أعلم.

(٤) العقد الفريد ١/ ٩١ وما سيرد بين حاصرتين منه. ومن بعده، حتى قوله: واتفقوا على فضله وصدقه وثقته (بعد صفحتين) ليس في (ص).

ثم قال له عبد الملك: يا عامر، ما فعلتَ بقائل هذه الأبيات؟ فقال: أوجَعْتُه ضَرباً بما انتهك من حُرْمتي في مجلس القضاء. فقال: أحسنت.

قيل للشعبيّ: من أين لك هذا العلم؟ فقال: بنَفْي الاغتمام، والسَّيْر في البلاد، وصبرٍ كصبر الحمار، وبُكُورٍ كبُكُور الغراب[١].

وقال نافع: سمع ابن عُمر[٢] الشعبيَّ وهو يحدِّثُ بالمغازي، فقال: لكأنَّ هذا الفتى شهد معنا، وإنه ليُحدِّثُ بأحاديثَ حضرناها؛ هو أعلمُ بها منَّا.

وكان الشعبيُّ يتمثَّل دائماً بقول مسكين الدّارميّ:

لـيـستِ الأحـلامُ فـي حـال الـرِّضَـى إنّـمـا الأحـلامُ فـي وقـت الـغَـضَـبْ[٣]

ذكر وفاته:

قيل: سنة ثلاث ومئة؛ هو وأبو بُرْدَة بن أبي موسى في جمعة، وقيل: سنة أربع ومئة، وقيل: سنة خمس ومئة[٤].

وحكى ابنُ سعد عن الحسن أنه أُخبر بوفاة الشعبي، فقال: رحمه الله، لقد كان من الإسلام بمكان[٥].

وقيل: سنة عشر ومئة. وهو وهم، وعاش سبعاً وسبعين سنة. وقيل: اثنتين وثمانين سنة[٦].

وتوفي فجأة بالكوفة رحمة الله عليه[٧].

---

(١) تاريخ دمشق ص ١٦٣ .

(٢) في (خ) (والكلام منها): سمعت، بدل من: سمع ابن عمر. والمثبت من «تاريخ دمشق» ص ١٦٣-١٦٤ والخبر فيه من أكثر من رواية.

(٣) تاريخ دمشق ص ١٩٤ و١٩٥ .

(٤) ينظر «طبقات» ابن سعد ٨/ ٣٧٤ ، و«تاريخ دمشق» ص ٢٤٠-٢٤٦ ، وذكر فيه ابن عساكر في وفاته أقوالاً أخرى.

(٥) طبقات ابن سعد ٨/ ٣٧٤ ، وأخرجه أيضاً ابن عساكر في «تاريخه» ص ٢٣٨ من طرق أخرى.

(٦) تاريخ دمشق ص ٢٤٦-٢٤٧ .

(٧) طبقات ابن سعد ٨/ ٣٧٣-٣٧٤ .

أسند عن خلقٍ كثير من الصحابة قال: أدركتُ خمس مئةٍ من أصحاب رسول الله ﷺ[١]. وإنما أشار إلى أنهم كانوا في عصره، لا أنّه أخذ عن الكل[٢].

وقال إبراهيم الحَرْبي: لقيَ الشعبي أربعةً وثلاثين من الصحابة[٣].

قال ابن سعد[٤]: روى عن عليٍّ رضوان الله عليه، ووصَفَهُ. [وروى] عن أبي هريرة، وابن عُمر، وابن عبَّاس، وعديّ بن حاتم، وسَمُرةَ بنِ جُنْدُب، وعَمرو بن حُرَيْث، وعبد الله بن يزيد الأنصاري، والمغيرة بن شعبة، والبراء بن عازب، وزيد بن أرقم، وابن أبي أوْفَى، وجابر بن سَمُرة، وأبي جُحَيْفة، وأنس بن مالك، وعمران بن الحُصَيْن، وبُريدة الأسلمي، وجرير بن عبد الله، والأشعث بن قيس، وأبي موسى الأشعري، والحسن بن عليّ، وعبد الله بن عَمرو بن العاص، والنُّعمان بن بشير، وجابر بن عبد الله، ووَهْب بن خَنْبَش الطائي، وحُبْشي بن جُنادة السَّلُولي، وعامر بن شهر، ومحمد بن صَيْفي، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وعُروة البارقيّ، وفاطمة بنت قَيْس، وعبد الرحمن بن أبْزَى، وعلقمة بن قيس، وفَرْوة بن نوفل الأشجعيّ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، والحارث الأعور، وزُهير بن القَيْن، وعوف بن عامر، والأسود ابن يزيد، وسعيد بن ذي لَعْوة، وأبي سَلَمة بن عبد الرحمن، وأبي ثابت أيمن.

وقال أبو القاسم الرَّبَعيّ[٥]: روى الشعبي عن سعد بن أبي وقَّاص، وعَمرو بن العاص[٦]، وسعيد بن زيد، وأسامة بن زيد[٧]، والبراء بن عازب، وأبي سعيد الخُدْري، والنُّعمان بن بشير، وابن مسعود[٨]، وعبد الله بن الزبير، والحسين بن

---

(١) تاريخ دمشق ص ١٥٦ ، وصفة الصفوة ٣/ ٧٦ .

(٢) قاله ابن الجوزي في «صفة الصفوة» ٣/ ٧٦ .

(٣) صفة الصفوة ٣/ ٧٦ .

(٤) في «الطبقات الكبرى» ٨/ ٣٦٦ . وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٥) كذا في (خ) (والكلام منها)، ولعل الصواب: الدمشقي. والكلام بنحوه في «تاريخ دمشق» ص ١٣٨ـ١٣٩ .

(٦) رواية الشعبي عن عمرو بن العاص مرسلة، كما في «جامع التحصيل» ص ٢٤٨ عن ابن معين. ثم إن عمرو ابن العاص لم يُذكر عند ابن سعد ولا ابن عساكر ولا المزي فيمن روى عنهم الشعبي.

(٧) لم يدرك الشعبي أسامة بن زيد كما في «المراسيل» لابن أبي حاتم ص ١٣٢ .

(٨) ذكر ابن أبي حاتم في «المراسيل» ص ١٣٢ أن الشعبي لم يسمع من ابن مسعود.

علي، وكعب بن عُجْرة، وبُريدة الأسلمي، وأبي مسعود البَدْريّ، وأدرك عائشةَ[١] وأمَّ سَلَمة وميمونة أمهاتِ المؤمنين، في آخرين.

وروى عنه الجمُّ الغفير: عبد الرحمن بنُ أبي ليلى، والحارث الأعور، وأبو سَلَمة ابنُ عبد الرحمن، ومكحول، وأبو حنيفة النُّعمان، وعاصم الأحول، والأعمش، وإسماعيل بنُ أبي خالد، وجابر الجُعفيّ، وابنُ عَوْن، ومُجالد بن سعيد، وداود بن أبي هند، وأبو إسحاق السَّبِيعيّ، والحَكَم بنُ عتيبة، وعطاء بن السائب، ومحمد بن سُوقة، وعلقمة بن قيس. وبعضهم قد رَوَى عنه الشعبي، وغيرُهم.

واتفقوا على فضله وصدقه وثقته.

وقال الشعبيّ[٢]: كان في بني إسرائيل عابدٌ جاهل قد ترهَّب في صومعة، وله حمار يَرْعَى حول الصومعة، فاطَّلع يوماً فرآه يَرْعَى، فقال: يا ربّ، لو كان لك حمار لرعيتُه. فهمَّ به نبيٌّ ذلك الزمان، فأوحى الله إليه: دَعْهُ، فإنَّما يثابُ كلّ إنسان على قَدْر عقلِه[٣].

وقال ابن أبي الدُّنيا: حدَّثني أبو عبد الله السَّدُوسيّ[٤]، عن أبي عبد الرحمن الطائيّ، عن مجالد، عن الشَّعبي[٥]، عن النُّعمان بن بشير الأنصاري قال: أَوْفَدَني أبو بكر الصديق رضوان الله عليه في عَشَرة من العرب إلى اليمن، فبينا نحن ذات يوم نسيرُ؛ إذْ مَرَرْنا إلى جانب قريةٍ أعجَبَنا عِمارتُها، فقال بعضُ أصحابنا: لو مِلْنا إليها. فدخَلْنا، فإذا هي قريةٌ أحسنُ ما رأيتُ، كأنّها زخاريف الرَّقْم، وإذا بقصر أبيض بفِنائه شِيبٌ وشُبَّان، وإذا جَوَارٍ نواهدُ أبكارٌ، فأخذَتْ واحدةٌ الدُّفَّ تضربُ به وتقول:

---

(١) لكن روايته عنها مرسلة، كما في «المراسيل» ص ١٣٢ . وينظر «جامع التحصيل» ص ٢٤٨ .

(٢) في (ص): وعن أبي مسلمة عن أبي عون، عن الشعبي قال... إلخ.

(٣) هو في «العقد الفريد» ٦/ ١٦٤ عن الأصمعي عن الشعبي. ولم أقف عليه من رواية أبي مسلمة عن أبي عون الشعبي (كما في التعليق السابق). ورُوي الخبر (من غير طريق الشعبي) عن جابر مرفوعاً، ولا يصحّ. ينظر «الكامل» لابن عدي ١/ ١٦٩-١٧٠ .

(٤) في (ص): قلت: وقد أخرج ابن أبي الدنيا عنه حكاية مليحة في كتاب الاعتبار وأعقاب السرور والأحزان، وقد تقدّم إسنادُنا قال: حدثنا أبو عبد الله السَّدُوسيّ... والخبر في «الاعتبار» (٢٥).

(٥) قوله: عن أبي عبد الرحمن الطائي، عن مجالد، عن الشعبي، سقط من (ص).

يا[١] معشرَ الحُسَّادِ مُوتُوا كَمَدا كذا نكونُ ما حَيِينا أَبَدا

وإذا بغدير ماء، وسَرْحِ كثيرِ المواشي[٢] من الإبل والبقر والغنم والخيل، وحول القصر قصورٌ مستديرة، فقلت لأصحابي: لو وضعنا رحالَنا واسترَحْنا. فنزلوا.

وأقبلَ قومٌ من القصر الأبيض على أعناقهم البُسُط، فبسطوا لنا، ثم مالوا علينا بأطايب الطعام وألوان الأشربة، فاسترَحْنا وأَرَحْنا.

ثم نهضنا للرحلة، فإذا قوم قد أقبلوا فقالوا: إنَّ سيِّد هذه القرية يُقرِئُكم السلام ويقول: اعذروني على تقصير إنْ كان منِّي، فإني مشغولٌ بعُرْسٍ لنا، وإنْ أحببتُم فأقيموا. فدعَوْنا له.

ثم عمدوا إلى ما بقيَ من ذلك الطعام، فملؤوا به سُفَرَنا[٣]، ومضَيْنا لشأننا.

ثم عبَرَتْ برهةٌ من الدهر، فأوفدني معاويةُ في عَشَرة من العَرَب إلى اليمن ليس معي أحدٌ ممن كان في ذلك الوفد، فلما قَرُبْنا من القرية أخذتُ أحدِّثُهم حديثَها وما جرى لنا مع أهلها.

ثم انتهينا إلى القرية، فإذا هي دكادك وتُلول، والقصورُ خَرابٌ، ما يَبِينُ منها إلا الرُّسوم، والغديرُ ليس فيه قطرةٌ من الماء، وليس هناك داعٍ ولا مُجيب.

فبينا نحن وقوف نتعجَّب؛ إذْ لاحَ لنا شخصٌ من ناحية القصر الأبيض، فقلت لبعض الغلمان: انطلق حتى نستبرىء ذلك الشخص، فذهب، فما لبثَ أن عادَ مرعوباً، فقلتُ له: ما وراءك؟ فقال: أتيتُ ذلك الشخص، فإذا عجوزٌ عمياء، فراعتني، فلما سمعَتْ حِسِّي دَرَجَتْ حتى دخلَتْ في فِناء القصر[٤].

قال النعمان [ابن بشير]: فأتيتُ إليها وقد توارَتْ بالتلّ، فقلت: مَنْ أنتِ؟ فقالَتْ بصوت ضعيف: أنا عَمِيرة بنت دويل سيِّد هذه القرية في الزمن الأول. ثم قالت:

---

(١) لفظة «يا» ليست في (ص)، ولا في «الاعتبار».

(٢) السَّرْح: الماشية. ووقع في (خ): وسَرْح كبير من المواشي. والمثبت من (ص).

(٣) جمع سُفْرة، هو ما يحمل المسافر فيه طعامه.

(٤) بعدها في (ص): أو التَّلّ.

أنا ابنةُ مَنْ قد كان يَقْرِي ويُنْزِلُ ويَحْنُو على الضِّيفانِ والليلُ أليلُ

قلتُ: ما فعلَ أبوكِ وقومكِ؟ قالت: أفناهم الزَّمان، وأبادَتْهم الليالي والأيام، وبَقِيتُ بعدَهم كالفَرْخ بَوَّأَهُ الوَكْر. فقلت: هل تذكرين زمناً كان لكم فيه عُرْس، وإذا بِجَوارٍ يغنِّين، وبينهم جارية تضربُ بالدُّفِّ وتقول:

معشرَ الحُسَّادِ موتوا كَمَدا؟

فشَهِقَتْ وبكَتْ واستعبَرَتْ وقالت: واللهِ إني لأذكُرُ ذلك العام والشهر واليوم، والعروس كانت أختي، وأنا صاحبةُ الدُّفّ. قال: فقلتُ لها: هل لكِ أن نحملك على أوْطاءِ دوابِّنا ونغذُوكِ بغذاء أهلِنا؟ فقالت: كلا والله، عزيزٌ عليَّ أنْ أُفارق هذه الأعظم حتى أصير إلى ما صارَتْ إليه. قال: فقلتُ: من أين طعامُكِ؟ قالت: يمرُّ بي الرَّكْب في الفَرْط[١]، فيُلقُون إليَّ من الطعام ما يكفيني، والذي أكتفي به يسير، وهذا الكُوزُ مملوءٌ ماءً ما أدري من[٢] يأتيني به، ولكن أيُّها الرَّكْب، معكم امرأة؟ قلنا: لا. قالت: أفمعكم ثياب بَياض؟ قلنا: نعم. فألقينا إليها ثوبين جديدين، فتجلَّلَتْ بهما وقالت: رأيتُ البارحة كأني عروس أتَهادَى من بيت إلى بيت، وقد ظننتُ أنَّ هذا يومٌ أموتُ فيه، فأردتُ امرأةً تلي أمري، فلم تزل تحدِّثُنا حتى مالَتْ، فنزعَتْ نزعاً يسيراً وماتَتْ، فيَمَّمْناها وصلَّيْنا عليها ودفنَّاها.

قال النعمان: فلما قدمنا على معاوية حَدَّثْتُه بالحديث، فبكى، ثم قال: لو كنتُ مكانكم لحملتُها، ولكن سَبَق القَدَر[٣].

أبو قِلابة الجَرْميّ

واسمُه عبدُ الله بن زَيْد بن عامر، من الطبقة الثالثة من التابعين من أهل البصرة[٤].

وكان عابداً زاهداً.

---

(١) الفَرْط: الجَبَل الصغير، أو رأس الأَكَمة (التلّ).

(٢) في (خ) و«الاعتبار»: ما.

(٣) الخبر بتمامه في «الاعتبار» لابن أبي الدنيا (٢٥).

(٤) ذكره ابن سعد في «طبقاته» ٩/ ١٨٢ في الطبقة الثانية من التابعين من أهل البصرة.

[قال هشام:] طُلبَ للقضاء، فهرب إلى الشام.

[وأيضاً حدَّثنا حاتم بن وَرْدان قال: حدَّثنا أبو أيوب قال: طُلب أبو قِلابة للقضاء، فهرب إلى الشام]، فأقام زماناً، فقيل له: لو وَلِيتَ القضاء، فعدلتَ بين الناس؛ رجوتَ الأجر في ذلك. فقال: السابحُ إذا وقعَ في البحر؛ كم عسى أنْ يَسْبَح(١)؟!

وقال مسلم بن يسار: لو كان أبو قِلابة من العجم [لكان] مُوبذَ مُوبذان. يعني قاضي القضاة، أو عالم العلماء(٢).

وكان محمد بن سِيرِين يقول: ذاك أخي حقّاً(٣).

[وروى ابن سعد عن أيوب قال: قدم أبو قِلابة الشام، فمرض، فأتاه عُمر بن عبد العزيز يعودُه، فقال له: يا أبا قِلابة تَشَدَّدْ لا يشمت بنا المنافقون(٤).

وليس المراد به مرض الموت؛ لأن أبا قِلابة مات بعد عُمر.

وذكره أبو القاسم ابنُ عساكر قال: قدم الشام، فنزل داريا في أيام عبد الملك بن مروان، فأُخبر به عبد الملك، فقال: ما أقدمَه؟ قالوا: متعوِّذاً من الحجَّاج، أراده على القضاء. فكتب عبد الملك إلى الحجَّاج ينهاه عنه، فقال أبو قِلابة: قد كنتُ أُحبُّ الشام، وقد دخلتُها، فلن أخرج منها. وكان قد نزل بداريًّا](٥).

وهو أحد علماء المسلمين، قدم الشام، فنزل بداريًّا على ابن عمِّه بَيْهَس بن صُهيب الجَرْمي(٦).

وقال: إذا بلغك عن أخيك شيءٌ تكرهُه فالتمس له العذرَ جهدَك، فإن لم تجد له عذراً فقل في نفسك: لعلَّ لأخي عذراً لا أعلمُهُ(٧).

---

(١) الخبر في «طبقات» ابن سعد ٩/ ١٨٣ من طريق حماد بن زيد عن أيوب. وما سلف بين حاصرتين من (ص).

(٢) طبقات ابن سعد ٩/ ١٨٣ . ونُسب الخبر في (ص) إليه، وذكره أيضاً ابن عساكر ص ٥٥٠ (طبعة مجمع دمشق ـ جزء فيه بعض حرف العين).

(٣) طبقات ابن سعد ٩/ ١٨٣ ، وتاريخ دمشق ص ٥٥١ .

(٤) طبقات ابن سعد ٩/ ١٨٥ ، وتاريخ دمشق ص ٥٦٦ .

(٥) تاريخ دمشق ص٥٣٨. ومن قوله: وروى ابن سعد عن أيوب...إلى هذا الموضع (وهو ما بين حاصرتين) من (ص).

(٦) تاريخ داريا ص ٧٢ . وينظر «تاريخ دمشق» ص ٥٣٩ .

(٧) حلية الأولياء ٢/ ٢٨٥ ، وصفة الصفوة ٣/ ٢٣٨ ، وتاريخ دمشق ص ٥٦٣ .

قال عثمان بن الهيثم[١]: كان رجلٌ بالبصرة من بني سعد، وكان قائداً من قُوَّاد عُبيد الله بن زياد، فسقط الرجل من السطح فانكسرت رجلاه، فدخلَ عليه أبو قِلابة يعودُه، فقال له: أرجو أن تكون لكَ خِيرةً. فقال: يا أبا قِلابة، وأيُّ خِيرة في كسر رجليَّ جميعاً؟! قال: ما ستر الله عليك أكثر.

فلما كان بعد ثلاث وردَ عليه كتابُ ابنِ زياد يأمرُه أن يخرجَ فيقاتلَ الحسين عليه السلام، فقال للرسول: قد أصابني ما ترى، فلما كان بعد سبعة أيام وافى الخبر بقتل الحسين رضي الله عنه، فقال الرجل: رحم الله أبا قِلابة، لقد صدقَ أنَّه كان خِيرةً لي[٢].

وقال أيوب السَّختياني: قال لي أبو قِلابة: احفَظْ عنّي ثلاث خِصال: إيَّاك وأبوابَ السلاطين، ومجالسةَ أهل الأهواء، والزم سُوقَك، فإنَّ الغِنَى من العافية[٣].

مات أبو قِلابة بالشام بداريَّا سنة أربع ـ أو خمس ـ ومئة.

وقيل: سنة ستٍّ ومئة، أو سبع ومئة[٤].

وقال البخاري: مات قبل ابنِ سِيرِين[٥].

أسند أبو قِلابة عن أنس [بن مالك] ومالك بن الحُوَيْرِث، وعَمرو بن سَلَمة، والنُّعمان بن بشير.

وأرسل عن ابن عمر، وعائشة، وروى عن أبي مسلم الجليلي، وأبي الأشعث الصنعاني، وأبي أسماء الرَّحَبي، وأبي إدريس الخَوْلاني، وغيرهم.

وروى عنه قَتادة، ويحيى بن أبي كثير، وخالد الحذَّاء، وحُميد الطويل، وعاصم الأحول، وداود بن أبي هند[٦].

---

(١) في (ص): حدثني جدّي بإسناده إلى عثمان بن الهيثم قال.

(٢) تاريخ دمشق ص ٥٦٣ ، وصفة الصفوة ٣/ ٢٣٨ ، والمنتظم ٧/ ٩٢ .

(٣) تاريخ دمشق ص ٥٦٠ ، والمنتظم ٧/ ٩٢ .

(٤) ينظر «طبقات» ابن سعد ١/ ١٨٥ ، و«تاريخ دمشق» ص ٥٦٧ـ٥٦٨ .

(٥) أخرجه ابن عساكر عن البخاري في «تاريخ دمشق» ص٥٤٢ (جزء فيه تراجم حرف العين ـ طبعة مجمع دمشق). وهو في «التاريخ الكبير» للبخاري ٥/ ٩٢ وسقطت منه لفظة «قبل».

(٦) تاريخ دمشق ص ٥٣٥، وتهذيب الكمال ١٤/ ٥٤٢ـ٥٤٤. وأخرج ابن عساكر ص ٥٤٨ عن يحيى بن معين قوله: أبو قلابة عن النعمان بن بشير مرسل. وأخرج أيضاً ص ٥٦٥ عن أبي حفص الفلاس قوله: لم يسمع قتادة من أبي قلابة.

وكان يخضبُ بالسَّوَاد رحمة الله عليه.

عبد الأعلى بن هلال[١]

أبو النَّضر السُّلَميّ الحمصي، من الطبقة الثالثة من تابعي أهل الشام[٢].

وفد على عُمر بن عبد العزيز، فقال له: أبقاك الله مادام البقاء خيراً لك. فقال: يا أبا النَّضر، قد فُرغ من هذا، ولكن قُلْ: أحياك اللهُ حياةً طيِّبةً، وتوفَّاك مع الأبرار[٣].

أسند عن العِرْباض بن سارية، وأبي أُمامة، وواثلة بن الأسقع. وروى عنه الزُّهريُّ وغيرُه.

عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري

الشاعر، أمُّه سِيرِين أخت ماريَّة القِبْطيَّة أمِّ إبراهيم ابنِ رسول الله ﷺ.

وهو من الطبقة الثانية من التابعين من أهل المدينة، وهو ابن خالة إبراهيم عليه السلام ابنِ رسول الله ﷺ[٤].

وكان شاعراً فصيحاً، وُلد على عهد رسول الله ﷺ.

جاء عبدُ الرحمن وهو صغير إلى أبيه وقد لَسَعَه زُنْبُور، فقال: يا أبة، لَسَعَني طائرٌ كأنَّه ملتفٌّ في بُرْدَيْ حِبَرَة. فقال حسان: قلتَ واللهِ الشِّعْرَ يا بُنيّ[٥].

وكان شَبَّبَ برَمْلَة بنت معاوية بن أبي سفيان، وكان يُهاجي عبد الرحمن بنَ الحكم أخا مروان، وكان كلُّ واحدٍ منهما يذكرُ امرأةَ الآخر، فكتبَ معاوية إلى عامله بالمدينة سعيد بن العاص أن يجلد كلَّ واحد منهما مئة جلدة، وكان ابنُ حسان صديقاً لسعيد، فكره أن يضرب صديقَه وابنَ عمه، فأمسك عنهما.

---

(١) من هذا الموضع، إلى السنة (١٠٥) ليس في (ص).

(٢) تاريخ دمشق ٣٩/ ٤٠٧ (طبعة مجمع دمشق).

(٣) المصدر السابق ٣٩/ ٤٠٥ .

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٦١ .

(٥) الكامل للمبرد ١/ ٣٤٢ . والحِبَرَة: ثوب من قطن أو كتَّان مخطّط كان يصنع باليمن.

ثم وَلِيَ مروان، فضربَ ابن حسَّان مئة سوط، ولم يضرب أخاه، فكتب ابنُ حسان إلى النُّعمان بن بشير وهو بالشام، فأخبره، وكان مكيناً عند معاوية، فأخبر النُّعمانُ معاويةَ، فكتب إلى مروان يعزمُ عليه أن يجلد أخاه مئة، فجلده خمسين، فقال أهلُ المدينة: حدَّه حدَّ العبيد. فقال عبد الرحمن لأخيه مروان: فضحْتَني بين الناس، لا حاجةَ لي بما تركتَ. فضربه تمام المئة[1].

شبَّب عبد الرحمن بنُ حسَّان بامرأةٍ من أهل المدينة، فأرسلت إليه: أنا أختُك من الرَّضاع[2]، فقال:

دَعَتْني أخاها بعدَ ما كان بيننا ... من الأمر ما لا يفعلُ الأخَوانِ

تقول وقد جَرَّدْتُها من ثيابها ... وقلَّص عن أنيابها الشفتانِ

تعلَّم يقيناً أن مروانَ قاتلي ... ومنزوعة من ظهرك[3] العَضُدانِ

وكان مروان على المدينة، وبلغ المرأةَ فقالت: لعنه الله، واللهِ ما رآني قطّ، ولا أعرفُه.

مات عبد الرحمن سنة أربع ومئة[4]، وعاش تسعين سنة[5].

وأسند عن أبيه، وزيد بن ثابت، وأمه سِيرِين.

وروى عنه ابنُه سعيد بن عبد الرحمن وغيرُه، وكان قليلَ الحديث.

وكان له من الولد إسماعيل، وأمُّ فِراس، والوليد؛ أمُّهم أمُّ شيبة بنت السائب بن يزيد من كِنْدة، وسعيد؛ كان شاعراً لأمِّ ولد، وحسان، والفُرَيْعَة[6].

---

(١) ينظر «الأغاني» ١٦/ ٣٨ـ٣٩ ، و«التذكرة الحمدونية» ٧/ ٢٢٢ .

(٢) كذا وقع في (خ) (والكلام منها) لكن الخبر المذكور وقع لعبد الرحمن بن الحكم مع أخيه مروان وفيه أنه كان يشبّب بنسائه. ينظر «تاريخ دمشق» ٩/ ٩٢٤ (مصورة دار البشير).

(٣) في (خ) (والكلام منها): كفّك. والمثبت من المصدر السابق.

(٤) ذكره خليفة في «طبقاته» ص ٢٥١ ، ونقله عنه ابن عساكر في «تاريخه» ٩/ ٩١٦ (مصورة دار البشير) وقال: ولا أُراه محفوظاً. وينظر التعليق التالي.

(٥) ذكر ابن عساكر وغيرُه أنه عاش ثمانية وأربعين عاماً. قال ابن حجر في «الإصابة» ٧/ ٢١٣ : إن ثبت أنه وُلد في العهد النبوي وعاش إلى سنة أربع ومئة؛ يكون عاش ثمانياً وتسعين، فلعل الأربعين محرّفة عن التسعين.

(٦) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٦٢ .

عُبَيْد الله بن عَبْد الله بن عمر بن الخطاب

أمُّه أمُّ ولد، وهو من الطبقة الثانية من التابعين من أهل المدينة، وأمُّهُ أمُّ سالم بن عَبْد الله، فسالم أخوه لأمِّه وأبيه.

وكنيتُه أبو بكر، وهو أسنُّ من أخيه عبد الله، وكان عُبيد الله قليلَ الحديث.

روى عنه الزُّهريُّ وغيرُه، وسمع أباه، وصُمَيْتة الليثيَّة، ومات سنة أربع.

وكان له من الولد أبو بكر، وعُمر، وعبدُ الله، ومحمد، وأمّ عُمر، وأمُّهم عائشة بنتُ عبد الرحمن بن أبي بكر الصدِّيق رضوان الله عليه، والقاسمُ، وأبو عُبيدة، وعثمان، وأبو سَلَمة، وزيد، وعبد الرحمن، وحمزة وجعفر، وهما توأم، وقريبة، وأسماء، وأمُّهم أمُّ عبد الله بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصِّدِّيق رضوان الله عليه، وإسماعيلُ لأمِّ ولد[١].

عِراك بن مالك الغِفاري

من بني كِنانة، كان ينزلُ المدينة في بني غِفار، من الطبقة الثانية من أهل المدينة.

كان عُمر بنُ عبد العزيز يُثني عليه ويقول: ما رأيتُ أكثرَ صلاةً ولا صياماً منه، وكان من أشدِّ أصحاب عُمر في انتزاع ما في أيدي بني أمية من المظالم، فلما وَلِيَ يزيدُ بنُ عبد الملك عزلَه إلى دَهْلَك، وردَّ الأحْوَص، وكان عُمر قد نفاه إليها، فقال أهل دَهْلَك[٢]: جزى الله يزيد عنا خيراً، كان عُمر قد نفى إلينا رجلاً يعلِّم أولادَنا [الباطل، وإن يزيد أخرج إلينا رجلاً علَّمنا] الخير والحقّ[٣].

مات عِرَاك سنة أربع.

أسند عن ابن عمر، وأبي هريرة، وزينب بنت أبي سلمة.

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٠٠-٢٠١، وتاريخ دمشق ٤٤/ ٢٨٤ (طبعة مجمع دمشق).

(٢) هي جزيرة في بحر اليمن، وهو مُرْسًى بين بلاد اليمن والحبشة. ينظر «معجم البلدان» ٢/ ٤٩٢.

(٣) تاريخ دمشق ٤٧/ ١٨١ (طبعة مجمع دمشق)، والكلام بين حاصرتين منه.

وروى عنه الزُّهريُّ، وعمرُ بنُ عبد العزيز[(١)]، وابنُه خُثَيْم بن عِراك في آخرين، وكان ثقة.

وابنه خُثَيْم كان عفيفاً صليباً، وليَ شرطة المدينة لزياد بن عُبيد الله الحارثي، وكان زياد على المدينة ومكة في خلافة السفَّاح وأولِ خلافة المنصور[(٢)].

مجاهد بن جَبْر[(٣)]

المكّيّ، القارىء، كنيتُه أبو الحجَّاج[(٤)]، وهو من الطبقة الثانية من التابعين من أهل مكة.

قال: كنتُ أقودُ مولايَ السائب وهو أعمى، فيقولُ: يا مجاهد، دَلَكَتِ الشمس[(٥)]؟ فأقول: نعم. فيقوم فيصلي [الظهر][(٦)].

وكان مجاهد زاهداً عابداً، أبيض الرأس واللِّحية[(٧)].

وقال: مَنْ أعزَّ نفسَه أذَلَّ دينَه، ومن أذلَّ نفسه أعزَّ دينه[(٨)].

[وقال:] إن الله لَيُصلحُ بصلاح العبد ولدَه [وولد ولده][(٩)].

وقال: إن العبدَ إذا أقبلَ على الله بقلبه أقبلَ اللهُ بقلوب المؤمنين إليه[(١٠)].

وقال: إن لبني آدم جلساءَ من الملائكة، فإذا ذكر الرجلُ أخاه المسلم بخير؛ قالت الملائكة: ولك بمثله، وإذا ذكره بسوء؛ قالت الملائكة: يا ابنَ آدم المستورُ عورتُه، اِرْبَعْ على نفسك، واحمدِ الذي سترَ عورتك[(١١)].

---

(١) في المصدر السابق وغيره: عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٤٩ (ذكره في ترجمة أبيه عراك).

(٣) ويقال: ابن جُبَيْر، كما في «تاريخ دمشق» ٦٦/ ١٩٣ (طبعة مجمع دمشق).

(٤) في (خ) (والكلام منها): أبو إسحاق، وهو خطأ.

(٥) دلكت الشمس: زالت عن كبد السماء.

(٦) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٧ . وما بين حاصرتين منه.

(٧) المصدر السابق.

(٨) حلية الأولياء ٣/ ٢٧٩ ، وصفة الصفوة ٢/ ٢٠٨ .

(٩) حلية الأولياء ٣/ ٢٨٥ ، وصفة الصفوة ٢/ ٢٠٨ . وما بين حاصرتين منهما.

(١٠) حلية الأولياء ٣/ ٢٨٠ ، وصفة الصفوة ٢/ ٢٠٩ .

(١١) حلية الأولياء ٣/ ٢٨٤ ، وصفة الصفوة ٢/ ٢٠٩ .

توفي بمكة وهو ساجد سنة أربع ومئة، وقيل: ثلاث ومئة، وقيل: اثنتين ومئة، وبلغ ثلاثاً وثمانين سنة(١).

وكان فقيهاً ثقة عالماً كثير الحديث.

أسند عن ابن عُمر، وابن عَمرو، وجابر بن عبد الله، وأبي سعيد الخُدري، وأبي هريرة، ورافع بن خَدِيج، وابنِ عباس، وغيرهم. وروى عنه أئمة التابعين.

وكان له ابنٌ يقال له: عبد الوهَّاب بن مجاهد، روى عنه الكثير، فمن رواياته قال: سُئل أبي فقيل له: إن قوماً يزعمون أنَّ إيمان أهل السماء كإيمان أهل الأرض. فقال: ما جعلَ اللهُ مَنْ هو منغمس في الذنوب كمن لا ذنبَ له(٢).

قال: وبنى أهلها في دارنا عليه(٣)، فأقامَ أبي سبع عشرة سنة لم يعلم بها من كثرة خشوعه، فرفع رأسه في بعض الأيام فرآها، فقال: متى بُنيت هذه؟ وتبسَّم.

قال: وحضر أبي عند سليمان ومات وهو بالشام، وحضر بيعة عمر بن عبد العزيز، وشهد أيضاً وفاة عمر رضي الله عنه(٤).

وأقوال مجاهد في التفسير معتبرة(٥).

أبو مَعْبَد مولى عبد الله بن العباس رضي الله عنهما

واسمه نافذ، وهو أصدقُ مولًى لابن عباس، وهو من الطبقة الثانية من التابعين من أهل المدينة من الموالي.

مات بالمدينة سنة أربع ومئة في آخر خلافة يزيد بن عبد الملك، وكان ثقةً حسن الحديث(٦).

---

(١) تاريخ دمشق ٦٦/ ٢١٧ـ٢١٩ ، وصفة الصفوة ٢/ ٢١١ . وذكر ابن عساكر قولين آخرين في وفاته، وهما: سنة (١٠٧) و(١٠٨).

(٢) تاريخ دمشق ٦٦/ ٢١٥ ، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٥٥ .

(٣) كذا في (خ) والكلام منها، وعبارة «تاريخ دمشق» ٦٦/ ٢١٤ (والخبر فيه بنحوه) عن ابنه عبد الوهَّاب «أنهم بَنَوْا غرفة في دارهم مقابل من دخل من باب الدار». وهي أنسب.

(٤) ينظر المصدر السابق ص ١٩٤ـ١٩٦ . وقوله: «ومات وهو بالشام» فيه نظر فقد ذكر الطبري ٦/ ٥٣٠ وغيرُه أن مجاهداً كان مع مسلمة بن عبد الملك في غزو القسطنطينية يوم مات سليمان.

(٥) قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ٤/ ٤٥٥ : لمجاهد أقوال وغرائب في العلم والتفسير تُستنكر.

(٦) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٨٩ .

يزيد بن الأصمّ

وهو يزيد بن عَمرو[١] بن عُدَس، أبو عوف العامريّ ابن أخت[٢] ميمونة زوج النبي ﷺ، وابنُ خالة ابنِ عباس.

كوفيّ سكن الرقَّة، ووفدَ على معاوية، وعبدِ الملك، وابنِه سليمان[٣].

قال ابن عساكر: دخل على عبد الملك بن مروان، فسأله عن قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣]. قال: فقلت: حدَّثني أبو هريرة[٤] عن النبي ﷺ قال: «هو التجبُّر في الأرض، والأخذُ بغير الحق». قال: فنكَّس عبد الملك رأسَه، وجعل ينكُتُ الأرضَ بقضيب في يده[٥].

وتوفي سنة أربع ومئة بالرَّقَّة وهو ابن ثلاث وسبعين[٦] سنة، وقيل: سنة ثلاث ومئة.

حدَّث عن سعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنه، وابن عباس، وأبي هريرة، وعوف بن مالك، وعائشة، وميمونة في آخرين.

وحدَّث عنه ابنا أخيه عبدُ الله وعُبيد الله ابنا عبد الله بن الأصمّ، وميمون بن مِهْران، وجعفر بن بُرْقان، وأبو إسحاق الشيباني، وغيرُهم[٧].

---

(١) تاريخ دمشق ١٨/ ٢٤٦ (مصورة دار البشير). وقال ابن سعد في «الطبقات» ٩/ ٤٨٤ : يزيد بن عبد عَمرو.

(٢) في (خ) (والكلام منها): أخته، بدل: ابن أخت. وهو خطأ. وأُمُّهُ بَرْزَة بنت الحارث، كما في المصدرين السالفين.

(٣) تاريخ دمشق ١٨/ ٢٤٦ (مصورة دار البشير).

(٤) وقع في (خ) (والكلام منها): إبراهيم مرة، بدل قوله: أبو هريرة. وهو تصحيف قبيح.

(٥) تاريخ دمشق ١٨/ ٢٤٧ (مصورة دار البشير).

(٦) وقع في (خ): أربع وثمانين. وهو وهم من مختصر الكتاب في نقله رواية الواقدي قال: «وفيها ـ يعني سنة ثلاث ومئة ـ مات أبو الشعثاء ومجاهد مولى قيس بن السائب، ويزيد بن الأصمّ، وعطاء بن يسار وهو ابن أربع وثمانين سنة» ينظر «تاريخ دمشق» ١٨/ ٢٥١ ، و«تهذيب الكمال» ٣٢/ ٨٥ـ٨٦ ، و«سير أعلام النبلاء» ٤/ ٥١٨ـ٥١٩ .

(٧) المصدر السابق ١٨/ ٢٤٦ ، وتهذيب الكمال ٣٢/ ٨٣ـ٨٤ . ومن أول ترجمة عبد الأعلى بن هلال (قبل سبع تراجم)... إلى هذا الموضع، ليس في (ص).

السنة الخامسة بعد المئة

فيها قطع مسلم بن سعيد والي خُراسان النهر إلى التُّرك، وأوغلَ في البلاد حتى وصل أفْشِينَة ـ مدينة من مدائن الصُّغد[(١)] ـ فصالَحه ملكُها على مال وستة آلاف رأس، وعاد ليقطع النهر، فتبعه نفر من التُّرك، فلم يظفروا منه بطائل.

وفيها غزا الجرَّاح بنُ عبد الله الحَكَمي ـ وكان على أرمينية وأذربيجان ـ فأوغلَ في بلاد اللَّان، وجاوز بَلَنْجَر[(٢)]، ففتح حصوناً كثيرة، وأصاب غنائم عظيمة.

وفيها غزا سعيد بنُ عبد الملك بنِ مروان بلادَ الروم، فقتلَ وسبى، وبعث سرية في ألف فارس، وأوغلُوا في بلد الروم، واشتغلوا بالنهب، ولم يحفظوا المضائق، ولم يَدَعُوا عليها رجالاً، فلما عادوا إلى الدَّرْب وجدوا العدوّ قد أخذ عليهم [المضيق]، فيقال: إنهم قد أُصيبوا جميعاً[(٣)].

وفيها توفي يزيد بن عبد الملك، ووَليَ أخوه هشام.

الباب العاشر

في ولاية هشام بن عبد الملك بن مروان[(٤)]

ومولدُه سنة اثنتين وسبعين بدمشق في العام الذي قُتل فيه مصعب، وكنيتُه أبو الوليد، وهو من الطبقة الرابعة من أهل الشام.

وأمُّه عائشة بنت هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي. وقيل: اسمها فاطمة، وقيل: مريم[(٥)]، وكنيتها أمُّ هشام.

---

(١) الصُّغْد ـ أو السُّغْد ـ ناحية كبيرة فيها قرى كثيرة بين بُخارى وسمرقند، وقصبتها (أي: مدينتها) سمرقند (وتردَّد ذكرها فيما سلف). وأفْشِينة: موضع وراء نهر الصُّغْد، كما في «الروض المعطار» ص ٣٢٢، وسماها ياقوت الحموي في «معجم البلدان» ١/ ٢٣١ أفْشِنَة، وينظر فيه أيضاً ٣/ ٢٢٢.

(٢) اللَّان: بلاد واسعة في طرف أرمينية، وبَلَنْجَر: مدينة ببلاد الخَزَر (بلاد الترك) خلف باب الأبواب (مدينة على بحر قزوين). ينظر «معجم البلدان» ١/ ٤٨٩ و٢/ ٣٦٧ و٥/ ٨ ـ ٩.

(٣) ينظر «تاريخ» الطبري ٧/ ٢١، و«المنتظم» ٧/ ٩٦. وما سلف بين حاصرتين من (ص).

(٤) في (ص): فصل في ولاية هشام.

(٥) بعدها في (خ) (والكلام منها): وقيل رهب(؟) وينظر «أنساب الأشراف» ٧/ ٣١٠.

[قال هشام:] وكانت حمقاء، تركبُ الوسائد وتزجرُها مثل الخيل، وتعمل من الكُنْدُر[١] تماثيل على صورة الجواري، وتُسمِّي كلَّ تمثال باسم جارية، وتنادي: يا فلانة ويا فلانة. فطلقها عبد الملك لحمقها. وقيل: كانت أشجعيَّة. ولما سار عبد الملك لقتال مصعب بن الزُّبير كانت حاملاً به، فقُتل ابنُ الزبير ووضعته أمُّه، وبلغَ عبدَ الملك، فسمَّاه منصوراً تفاؤلاً، وسمَّتْه أمُّه هشاماً باسم أبيها، فلم ينكر عبدُ الملك ذلك[٢].

وكان يزيد بن عبد الملك قد عهد إليه، ثم بايع بعده لولده الوليد بن يزيد، فلما بلغَ الوليدُ؛ ندم يزيد، وأراد هشاماً أن يكون بعد الوليد بن يزيد، فامتنع، وكان مسلمةُ هو الذي أشار على يزيد[٣]... وكان عُمر الوليد يومئذٍ اثنتي عشرة سنة، وقيل: إحدى عشرة سنة. فلمَّا بلغ الوليد كان أبوه إذا رآه قال: الله بيني وبين مَنْ جعلَ هشاماً بيني وبينك. يعني مسلمة[٤].

ثم شرع يزيد بن عبد الملك في خلع هشام وتولية الوليد قبله، فأدركه الموتُ[٥]، وكان هشام بعيداً عنه بالرُّصافة بمكان يقال له: الزيتونة، فيه قصورُه، [و] جاء البريد بالخاتم والقضيب، فركب إلى دمشق وهو يومئذ ابن أربع ـ أو ثلاث ـ وثلاثين سنة[٦].

ذكر بيعته:

بويع في شعبان سنة خمس ومئة، ولم يل أربعة إخوة الخلافة غير بني عبد الملك: الوليد، وسليمان، ويزيد، وهشام.

---

(١) هو ضرب من العِلْك. (القاموس: كندر).

(٢) ينظر «أنساب الأشراف» ٧/ ٣١٠ ، و«تاريخ» الطبري ٧/ ٢٥ .

(٣) في (خ) (والكلام منها): على يزيد بن الوليد بن يزيد. وفي هذا الكلام سقط. وتمام الكلام أن مسلمة بن عبد الملك هو الذي أشار على يزيد بن عبد الملك بولاية العهد لهشام بن عبد الملك، ثم من بعده لابنه الوليد بن يزيد. ينظر «أنساب الأشراف» ٧/ ٣١٢ و٤٧٦ ، و«تاريخ» الطبري ٧/ ٢٠٩ ، و«العقد الفريد» ٤/ ٤٤٢ ، و«الأغاني» ٧/ ٣ ، و«المنتظم» ٧/ ٦٦ .

(٤) المصادر السابقة.

(٥) لم أقف على من ذكر هذا.

(٦) تاريخ الطبري ٧/ ٢٥ ، والكامل ٥/ ١٢٤ .

[قال الواقدي:] وكان أحولَ ظاهرَ الحَوَل، ويلقَّب بالأحول المشؤوم(١).

وكان عبد الملك قد رأى في منامه أنَّ أمَّ هشام لطَعَتْ رأسَه(٢) عشرين لَطْعَةً، فبعث إلى ابن المسيِّب فسأله، فقال: تلد غلاماً يملك عشرين سنة.

[قال المسعودي:] ولما وَلِيَ هشام عرض الجند، فمرَّ به رجلٌ تحته فرس نَفُور، فقال له هشام: ما حملك على أن تركبَ هذا؟ فقال: ما فرسي بنفور، ولكنه رأى حَوْلَتَك، فظنَّها عين عَزون(٣) البيطار، وكان عَزون كأنَّه هشام في حَوْلَته، فقال له هشام: لعنك الله ولعن فرسك. وتضاحك الناس.

[قال المسعودي:] وهشام أوَّلُ من رفع تقبيل الأرض واليد من الخلفاء؛ لمَّا بُويع دخل عليه رجلٌ فقبَّل الأرض، ومال إلى يده ليقبِّلَها، فقال [له] هشام: مه، إنه لا يَفعلُ هذا من العرب إلا الهَلُوع، ومن العجم إلا الخَضُوع، من عادَ لمثله أوجَعْتُه ضرباً. فانتهى الناس(٤).

[قال أبو القاسم الدمشقي:] وكانت دار هشام بدمشق عند الخوَّاصين اليوم، وبعضُها مدرسةُ نور الدين ابن زنكي رحمه الله(٥).

[قال:] وكان طرازه وثيابُه تُحمل على تسع مئة جمل(٦) [ومعناه: خزائنه، لا ملبوس بدنه].

---

(١) ينظر «الأغاني» ٧/ ٩، وفيه قول الوليد بن يزيد في هشام: هذا الأحول المشؤوم.

(٢) في «أنساب الأشراف» ٧/ ٣١٨ (والخبر فيه): «فلقت رأسه، فلطعت منه عشرين لطعة». ومعنى لطعت: لَحِسَتْ.

(٣) في مطبوع «مروج الذهب» ٥/ ٤٧٦ (والخبر منه كما ذكر المصنف): غزوان. وفي «أنساب الأشراف» ٧/ ٣٢٠ (والخبر فيه بنحوه): أبو جيرون. وجملة «قال المسعودي» السالفة بين حاصرتين من (ص).

(٤) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٤٨/ ٧١ (طبعة مجمع دمشق) مختصراً في ترجمة عَقَّال بن شَبَّة. ولم أقف عليه عند المسعودي في «مروج الذهب». وما سلف بين حاصرتين من (ص).

(٥) مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٩٧. وترجمة هشام بن عبد الملك وقعت ضمن خرم من «تاريخ دمشق» لذا لم أُحِلْ عليه.

(٦) المصدر السابق ٢٧/ ٩٨، والكلام الآتي بين حاصرتين من (ص). ثم لم يرد فيها الكلام بعده إلى آخر ترجمة عكرمة مولى ابن عباس.

وكان لا يلتفتُ إلى أولاد عمر بن عبد العزيز، ويُظهر أنه يَرْضَى لهم ما رضيَ لهم أبوهم، وفي باطنه العداوةُ لأبيهم[١].

ولما وَلِيَ عَزَلَ عُمرَ بنَ هُبيرة عن العراق وخُراسان وولاياته كلِّها، وولّى ذلك خالدَ ابنَ عبد الله القَسْري في شوَّال. وقيل: إنما فعل ذلك في سنة ستٍّ ومئة[٢].

وفيها أقام هشام الحَلْبَةَ للخيل، فكانت عشرةَ آلاف[٣] فرس له ولغيره، ولم يجتمع مثلُ ذلك في جاهليَّة ولا إسلام، وأقام على ذلك مدَّةَ خلافتِه، وكانت الحَلْبَةُ كلَّ يوم في زيادة.

وفيها أمر بحفر القُنِيّ[٤] والآبار والمصانع[٥] بين مكة والمدينة والشام، وأجرى فيها المياه.

وفيها قتل هشامٌ غَيْلانَ القَدَرِيّ[٦].

وحجَّ بالناس عبد الواحد بن عبد الله النَّصْري[٧] وهو على مكة والمدينة. وقيل: إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي[٨]، وخطب بالناس بمكة قبل الظهر[٩] قبل يوم التروية، فعابَه الناس، ونسبوه إلى الجهل، فقال: عطاءُ بنُ أبي رباح أمرني بهذا. وبلغ عطاء، فقال: ما أمرتُه.

---

(١) المنتظم ٧/ ٩٩.

(٢) تاريخ الطبري ٧/ ٢٦ (في أحداث سنة ١٠٥)، وسيذكره المصنف أول سنة (١٠٦).

(٣) في «مروج الذهب» ٧/ ٤٦٦ : أربعة آلاف.

(٤) جمع قَناة، وهي الآبار التي تُحفر في الأرض متتابعة ليُستخرج ماؤها ويسيح على وجه الأرض. «النهاية» (قنا). وجاء في سياق آخر في «مختصر تاريخ دمشق» ٢٧/ ٩٨ أن هشاماً هو الذي حفر الهنيَّ وعمله. والهَنِيُّ والمَرِيُّ: نهران بإزاء الرقة والرافقة، ذكرهما ياقوت في «معجم البلدان» ٥/ ٤١٩.

(٥) جمع مصنع، وهو شبه الحوض. يجمع فيه ماء المطر ونحوه.

(٦) كذا وقع الكلام في (خ) مختصراً والكلام منها فقط، وسترد ترجمتُه بعد ترجمتين.

(٧) في (خ) (والكلام منها): الأنصاري، وهو خطأ.

(٨) في «تاريخ» الطبري ٧/ ٢٦، و«الكامل» ٥/ ١٢٦ أن إبراهيم بن هشام بن إسماعيل هو الذي حجّ بالناس في هذه السنة (يعني سنة ١٠٥)، والنصري على مكة والمدينة.

(٩) في (خ) (والكلام منها): بعد الظهر، والمثبت من «تاريخ» الطبري ٧/ ٢٦ ، و«الكامل» ٥/ ١٢٦ . وسترد له قصة بنحوها أواخر أحداث سنة (١٠٩) (قبل التراجم).

وكان العاملَ على مكة والمدينة والطائف عبدُ الواحد النَّصْري[١]، وعلى العراق عُمر بن هُبيرة، وقيل: خالد القسري، وكان على قضاء الكوفة حسين بن حسن الكِنْدي، وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس[٢].

وفيها توفِّي

الحَكَم بن عُتيبة

كنيتُه أبو عبد الله، من الطبقة الثالثة من التابعين من أهل الكوفة، كان مولًى لكِنْدَة.

وُلد هو وإبراهيم النَّخَعي في سنة واحدة.

وكان في أصحابه مثلَ الزُّهْريّ في أصحابه، وكان عالماً رفيعاً كثيرَ الحديث، أبيض الرأس واللحية.

توفّي بالكوفة سنة خمس ومئة، وقيل: سنة خمس عشرة ومئة[٣].

عكرمة مولى ابن عباس

كنيتُه أبو عبد الله، من الطبقة الثانية من التابعين من أهل المدينة.

كان عبداً لابن عباس، أصلُه من البَرْبَر، وكان لحُصَيْن بن أبي الحُرّ العنبري، فلما وَليَ ابنُ عباس البصرة لعليٍّ عليه السلام؛ وهبَه له، فقبلَه ابنُ عباس منه[٤].

ومات ابنُ عباس رضي الله عنه وعكرمةُ عبدٌ، فبِيع، فاشتراه خالد بن يزيد [ابن معاوية] من عليّ بن عبد الله بن عباس بأربعة آلاف دينار، فبلغَ ذلك عكرمةَ فأتى علياً، فقال له: بعتَ علم أبيك بأربعة آلاف دينار! فراح إلى خالد بن يزيد فاستقالَه، فأقالَه، فأعتقَه عليّ[٥].

---

(١) في (خ): البصري، وفي «تاريخ» الطبري ٧/ ٢٨ : النضري، وكلاهما خطأ.

(٢) تاريخ الطبري ٧/ ٢٨ ، والكامل ٥/ ١٢٦ .

(٣) وهو الأصحّ كما ذكر الذهبي في «تاريخ الإسلام» ٣/ ٢٢٥ . ولم أقف على من ذكر أن وفاته سنة خمس ومئة، وذُكر في المصادر في وفاته السنوات (١١٣) (١١٤) (١١٥). وتنظر ترجمته في «طبقات» ابن سعد ٨/ ٤٥٠_٤٥١ .

(٤) تاريخ دمشق ٤٨/ ٢٠٤ (طبعة مجمع دمشق).

(٥) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٨٢_٢٨٣ ، وتاريخ دمشق ٤٨/ ٢١٢. وما سلف بين حاصرتين منهما للإيضاح.

وقال عكرمة: كان [ابن عباس] يجعلُ في رجلي الكَبْلَ يعلِّمُني القرآن ويعلِّمُني السنة[١].

وقال: قرأ ابنُ عباس: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الأعراف: ١٦٤] قال: قال ابن عباس: لم أدرِ نجا القومُ أم هلكوا. فما زلتُ أُبيِّنُ له أُبَصِّرُه حتى عرفَ أنهم قد نَجَوْا. قال: فكساني حُلَّة[٢].

وكان عمرو بن دينار يسمي عكرمة: البحر؛ لغزارة فضله[٣].

وقال سعيد بن جُبير: لو كفَّ عكرمة عنهم من حديثه لشُدَّتْ إليه المَطَايا[٤].

سئل عكرمة عن يوم القيامة: أمِنْ أيَّامِ الدنيا، أم من أيام الآخرة؟ فقال: صدرُه من أيام الدنيا، وآخِرُه من أيام الآخرة[٥].

ذكر وفاته:

توفِّي سنة خمس ومئة وهو ابن ثمانين سنة؛ مات هو وكُثَيِّر عَزَّة في يومٍ واحد، وصُلِّيَ عليهما في موضع الجنائز بعد الظهر، فقال الناس: مات اليوم أفقهُ الناس وأشعرُ الناس[٦].

وعجبَ الناس لاجتماعهما في الموت، واختلافِ رأيهما؛ عكرمة، يُظَنُّ أنه يرى رأيَ الخوارج، يكفِّر بالنظرة، وكُثَيِّر شيعي يقول بالرجعة[٧].

وقيل: سنة ستٍّ ومئة، وقيل: سنة سبع، وقيل: سنة أربع، وقيل: سنة ثمان وهو ابن أربع وثمانين سنة[٨].

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٨٣ ، وتاريخ دمشق ٤٨/ ٢١٠ . وما سلف بين حاصرتين منهما.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٨٣ ، وتاريخ دمشق ٤٨/ ٢١١ .

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٨٤ ، وتاريخ دمشق ٤٨/ ٢١٣ .

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٨٤ ، وتاريخ دمشق ٤٨/ ٢٣٥ .

(٥) تاريخ دمشق ٤٨/ ٢٣٠ .

(٦) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٨٨ ، وتاريخ دمشق ٤٨/ ٢٥٤ .

(٧) المصدران السابقان.

(٨) ينظر «طبقات» ابن سعد ٧/ ٢٨٩ ، و«تاريخ دمشق» ٤٨/ ٢٥٤ _٢٥٧ . قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ٥/ ٣٤ : الأصحّ سنة خمس.

روى عن ابن عباس، وأبي هريرة، والحسين بن عليّ، وعائشة، ﷺ، وقال: أدركتُ في هذا المسجد ـ يعني في مسجد المدينة ـ مئتين من الصحابة.

وقد روى عن ابن عمر، والحسن بن علي، وأبي سعيد الخُدري، وروى عنه خلقٌ كثير من علماء الأمصار.

وقال موسى بن يسار: رأيتُ عكرمة جائياً من سمرقند ومعه غلام وسمعتُه وهو بسمرقند وقيل له: ما أقدمَك إلى هذه البلاد؟ فقال: الحاجة[١].

وكان لا يقبل إلا من الأمراء، وحمله طاوس اليماني على نجيب ثُمِّن بستين ديناراً[٢].

واختلفوا فيه، فضعَّفه قوم، ووثَّقه آخرون؛ قال ابن سعد: كان عكرمة كثيرَ العلم، بحراً من البحور، وليس يُحتجُّ بحديثه، وتكلَّم الناس فيه[٣].

وقال مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت الزُّبيري: كان عكرمة يرى رأي الخوارج، فطلبه بعض ولاة المدينة فتغيَّب عند داود بن حُصين، فمات عنده[٤].

سئل الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، فقيل له: أيُحتجُّ بحديث عكرمة؟ قال: نعم[٥].

غَيْلان القَدَرِيّ

[ذكره أبو القاسم بن عساكر[٦]، فقال: هو غَيْلان بن يونس، وقيل: ابن مسلم بن أبي غيلان] مولى عثمان رضوان الله عليه، كانت دارُه بباب الفراديس بدمشق شرقيَّ المقابر، وكنيتُه أبو مروان، وكان كاتباً ويقول بالقَدَر.

(١) تاريخ دمشق ٤٨/ ٢٢٤ (طبعة مجمع دمشق).

(٢) المصدر السابق ٤٨/ ٢٢٤ و٢٢٥.

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٨٨.

(٤) تاريخ دمشق ٤٨/ ٢٥٢ (طبعة مجمع دمشق).

(٥) المصدر السابق ٤٨/ ٢٣٢. ومن قوله: وكان لا يلتفت إلى أولاد عمر (أواخر فقرة ولاية هشام) إلى هذا الموضع، ليس في (ص).

(٦) تاريخ دمشق ٥٧/ ٤٢٠ (طبعة مجمع دمشق).

قال الشعبيّ: دخل غَيْلانُ على عُمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وهو مصفارّ اللون، فقال له عمر: ما الذي بك؟ فقال: أمراضٌ وأحزان. فقال: لَتَصْدُقَنِّي. فقال: ذُقْتُ حُلْوَ الدنيا، فوجدتُه مرّاً، فأسْهَرْتُ ليلي، وأظمأتُ نهاري، وكلٌّ ذلك حقير في جنب ثواب الله وعقابه. فقال له عمر: ويحك، ومع هذا تقول بالقَدَر! ارْجِعْ. فرجع وتاب.

فقال عمر رضي الله عنه: اللهمَّ إن كان صادقاً فاقبَلْ توبتَه، وإن كان كاذباً فسلِّطْ عليه من يقطع يديه ورجليه ولسانه، واجْعَلْه عبرةً للعالَمين.

فلما مات عُمر أظهر ما كان يُبطن(١).

[قال المدائني:] فاستدعاه هشام بنُ عبد الملك وقال له: ويحك يا غَيْلان! قد أكثر الناسُ فيك، فعرِّفْنا مذهبك، فإن كان حقّاً اتَّبعناك، وإن كان باطلاً نزعنا عنك. قال: أوَتُعفيني؟ قال: لا أُعفيك(٢).

وكان غَيْلان يقول: إن معاصي العباد خلقٌ لهم، وإن الله لا يقدِّرها عليهم. فأُخبر هشام، فأمر بقطع يديه ورجليه ولسانه، ففُعل به ذلك، وأُلقِيَ على مَزْبلة؛ فمرَّ به رجل، فقال: يا غَيْلان، هذا قضاءُ الله وقَدَرُه. فأومأ إليه وقال: كذبتَ، ما هذا قضاءَ الله وقدرَه، هذا قضاء هشام. ثم أمر به هشام فصُلب(٣).

وقال عمر بن المهاجر صاحب عمر بن عبد العزيز: وقفتُ عليه وقلتُ له: أدركَتْكَ دعوةُ العبدِ الصالح عمر؟ فأومأ برأسه، أي: نعم(٤).

وقيل: إن غَيْلان كان يقول وهم يمثِّلون به: أدركَتْني دعوةُ العبد الصالح.

وكان غَيْلان يبسط لسانَه في بني أمية ويعيب عليهم.

واجتمع جماعة عند هشام بن عبد الملك فقال: ما تقولون فيما فعلنا بغَيْلان؟ كأنه حكَّ في نفسه شيء. فقالوا: يا أمير المؤمنين، لَقَتْلُكَ غَيْلانَ أفضلُ من قتلِ ألفٍ من التُّرك والروم(٥).

---

(١) لفظ الخبر من أكثر من رواية في «تاريخ دمشق» ٥٧/ ٤٢١ و٤٢٩ و٤٣٢.

(٢) ينظر «أنساب الأشراف» ٧/ ٣٣٢ـ٣٣٣.

(٣) ينظر «تاريخ دمشق» ٥٧/ ٤٣٨ـ٤٤٣ (طبعة مجمع دمشق).

(٤) المصدر السابق ص ٤٣١.

(٥) ينظر المصدر السابق ص ٤٤٥ـ٤٤٦.

كُثَيِّر [ابن عبد الرحمن][1] بن الأسود

ابن عامر بن عُويمر بن مَخْلَد الشاعر، كنيتُه أبو صخر، [الخُزاعي] الحجازي[2]، ويُعرف بابن أبي جُمْعَة جدِّه لأمِّه، وأمُّه جُمْعة بنت الأشيم بن خالد[3]. وقيل: جمعة بنت كعب بن عَمرو[4]، من الطبقة الثالثة من الشعراء من أهل المدينة، وكان شيعياً، وكان يفدُ على بني أمية؛ عبدِ الملك، والوليدِ، وسليمان، وعُمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، ويزيد بن عبد الملك.

وقال ابن ماكولا: كان يتنقَّل في المذاهب[5].

وكان من فحول الشعراء، ورد كتابٌ من الشام إلى مكة بلعن أمير المؤمنين علي رضوان الله عليه على المنبر، فسمعهم كُثَيِّر، فقام وأخذ بأستار الكعبة [وقال:]

لعنَ اللهُ من يَسُبُّ عليّاً ... وبنيه من سُوقةٍ وإمامِ

أيُسَبُّ المُطَهَّرون أصولاً[6] ... والكرامُ الأخوالِ والأعمامِ

يأمن الطيرُ والوحشُ ولا يأْ ... مَنُ آلُ الرسولِ عند المقامِ!

فضربوه حتى أثخنوه[7].

وكان عند يزيد بن عبد الملك وقد أُتِيَ بآلِ المُهَلَّب بن أبي صُفْرة [فقال:]

حليمٌ إذا ما نالَ عاقبَ مُجْمِلاً ... أشدَّ العقابِ أو عفا لم يُثَرِّبِ[8]

---

(١) ما بين حاصرتين من المصادر. ولم ترد هذه الترجمة في (ص).

(٢) في (خ) (والكلام منها): الغفاري، والمثبت من «تاريخ دمشق» ٥٩/ ٢٨٧ (طبعة مجمع دمشق)، ولفظة «الخزاعي» بين حاصرتين منه، ومن المصادر.

(٣) الأغاني ٩/ ٣-٤.

(٤) المنتظم ٧/ ١٠٣، ولم أقف على هذا القول عند غيره.

(٥) الإكمال ٧/ ١٦١، وتاريخ دمشق ٥٩/ ٢٨٨ (طبعة مجمع دمشق).

(٦) في (خ) (والكلام منها): إماماً، بدل: أصولاً. والمثبت من «المنتظم» ٧/ ١٠٣.

(٧) المنتظم ٧/ ١٠٣، ولفظ «وقال» السالف بين حاصرتين منه. والأبيات بنحوها في «نسب قريش» ص ٦٠، و«معجم الشعراء» للمرزباني ص ٢٤٠، ونُسبت فيهما لكَثِير بن كَثِير بن عبد المطلب.

(٨) ثَرَّب عليه: قَبَّحه وعيَّره. قال المرزوقي في «شرح الحماسة» ٤/ ١٧٥٨: إذا نال الجانيَ عليه عاقبه وهو مُجمِلٌ، أي: لا يشتطّ ولا يسرف، ولكن ينهج طريق العدل في الانتقام.

فَعَفْوٌ[(١)] أميرَ المؤمنين وحِسْبَةٌ ... فما تَحْتَسِبْ من صالحٍ لك يُكْتَبِ

أساؤوا فإنْ تغفِرْ فإنَّك أهلُه ... وأفضلُ حِلْمٍ حِسْبَةً حِلْمُ مُغْضَبِ

فقال له يزيدُ بنُ عبد الملك: أَطَّتْ بكَ الرَّحِم، ولولا قَدْحُهم في المُلك لعفوتُ عنهم[(٢)].

دخل كُثَيِّر على عبد الملك، فقال له: أنشدني في الإخوان. فأنشده:

خيرُ إخوانِك المشاركُ في المُـ ... ـرِّ وأينَ الشريكُ في المُرِّ أَيْنا

الذي إنْ حَضَرْتَ سَرَّكَ في الحَـ ... ـيِّ وإنْ غِبْتَ كان أذْناً وعَيْنَا

ذاك مثلُ الحُسام أَخْلَصَه القَيْـ ... ـنُ جَلاءً فازدادَ حُسْناً وزَيْنا

أنتَ في معشرٍ إذا غِبْتَ عَنهُمْ ... بدَّلُوا كلَّ ما يَزِينُك شَيْنَا

وإذا ما رأَوْكَ قالوا جميعاً ... أنتَ مِنْ أكرمِ الرِّجالِ علينا

فقال له عبد الملك: يغفرُ الله لك يا كُثَيِّر، فأينَ الإخوان؟ غير أني أقول:

صديقُك حين تستغني كثيرٌ ... وما لَك عند فَقْرِكَ من صديقِ

فلا تُنكِرْ على أحدٍ إذا ما ... طوى عنك الزيارةَ عند ضِيقِ

وكنتُ إذا الصَّدِيقُ أرادَ غَيْظِي ... على حَنَقٍ وأشْرَقَني بريقي

غَفَرْتُ ذنوبَه وصَفَحْتُ عنهُ ... مخافةَ أنْ أكونَ بلا صديقِ[(٣)]

دخل كُثَيِّر على عبد الملك، فأنشده قصيدتَه التي يقول فيها:

على ابنِ أبي العاصي دِلاصٌ حَصِينةٌ ... أجاد المُسَدِّي نَسْجَها وأذالَها[(٤)]

فقال له عبد الملك: هلاَّ قلتَ كما قال الأعشَى لابن معدي كَرِب:

وإذا تجيءُ كتيبةٌ ملمومةٌ ... شهباءُ يخشى الذَّائدون نِهالَها

---

(١) كذا في (خ)، و«أنساب الأشراف» ٧/ ٢٨٢، و«المنتظم» ٧/ ١٠٧. وفي «شرح الحماسة» للمرزوقي ٤/ ١٧٥٨، و«تاريخ دمشق» ٨/ ٤٠١ (مصورة دار البشير - ترجمة الضحاك بن رمل): فعفواً. وهو الأشبه.

(٢) الخبر بنحوه في المصادر السابقة. وقوله: أطَّتْ، أي: حَنَّتْ. نقله ابن الجوزي في «المنتظم» ٧/ ١٠٧ عن أبي بكر ابن الأنباري.

(٣) تاريخ دمشق ٥٩/ ٢٩٩ (طبعة مجمع دمشق).

(٤) الدِّلاص: الدِّرْع اللَّيِّنة، والمُسَدِّي: الذي يُسَدِّي الدِّرع أي: ينسجها، وأذالَها، أي: أطال ذَيْلها.

كنتَ المُقَدَّمَ غيرَ لابسِ جُنَّةٍ[(١)] بالسيفِ تضربُ مُعْلِماً أبطالَها

فقال له كُثَيِّر: ذاك إنما وصَفَه بالخُرْق، وأنا وصَفْتُك بالحَزْم[(٢)].

قال عبد الملك لكُثَيِّر: سَلْ حوائجَك. فقال: تُزوِّجُني عَزَّة. فأرسل إليها، فقالت: أبَعْدَ ما شبَّبَ بي وفضحني في العرب، لا كان ذلك أبداً. وماتَتْ قبلَه[(٣)].

قيل لكُثَيِّر: ما بقيَ من شعرك؟ قال: ماتَتْ عَزَّة فما أطرب، وذهبَ الشبابُ فما أعجب، وماتَ ابن ليلى فما أرغب، وإنما ينشأ الشعر من هذه الخِلال[(٤)].

وأراد بابن ليلى عبد العزيز بن مروان، وقيل: بشر.

ذكر طرف من أخبارهما:

كان أولُ عشقه لها أنه مرَّ بنسوة من بني ضَمْرَة ومعه غنم، فأرسَلْنَ إليه عَزَّة وهي صغيرة، فقالت: يَقُلْن لك النِّسوة: بعنا كبشاً نسيئةً إلى حين تعود. فأعجبَتْهُ، فأعطاها كبشاً، فلما عاد جاءت امرأةٌ منهنَّ إليه بدراهمه، فقال: أين الصَّبِيَّة التي أخذَت الكبش مني؟ قالت: ما تصنعُ بها؟ هذه دراهمُك. فقال: لا والله، لا آخذُ الدراهم إلا ممَّن دفعتُ إليها الكبش. ولم يأخذ شيئاً، وقال:

قضى كلُّ ذي دَيْنٍ فَوَفَّى غريمَهُ وعَزَّةُ ممطولٌ مُعَنًّى غريمُها

نظرتُ إليها نظرةً ما يسرُّني بها حُمْرُ أنعامِ البلادِ وسُودُها[(٥)]

وقال الزُّبير بن بكَّار: خرج كُثَيِّر يلتمس عَزَّة ومعه شَنٌّ[(٦)] فيه ماءٌ، فضربه الحَرُّ، فيَبِس، فلاحَ له كوخٌ، فقصَدَه، فإذا فيه عجوزٌ، فقالت: مَنْ أنت؟ فقال: كُثَيِّر. قالت:

---

(١) الجُنَّة: الدِّرْع.

(٢) تاريخ دمشق ٥٩/ ٢٩٩-٣٠٠ (طبعة مجمع دمشق).

(٣) بنحوه في «المنتظم» ٧/ ١٠٤.

(٤) عيون الأخبار ٢/ ١٨٥، وتاريخ دمشق ٥٩/ ٣٢٥. وبنحوه في العقد الفريد ٥/ ٣٢٦.

(٥) الأغاني ٩/ ٢٥-٢٦، والمنتظم ٧/ ١٠٥-١٠٦.

(٦) الشَّنُّ: القِرْبَةُ الخَلَقُ الصغيرة يكون فيها الماء أبردَ من غيرها. ووقع في «تاريخ دمشق» ٥٩/ ٣١٦ و«المنتظم» ٧/ ١٠٦: شُنَيْنة (تصغير شَنَّة، وهما بمعنى).

قد كنتُ أتمنَّى لقاءَك، فالحمدُ لله الذي أرانيك. فقال لها: وما الذي تلتمسينه منّي؟ قالت: ألستَ القائل:

إذا ما أتَتْنا خُلَّةٌ كي تُزيلَها ... أبَيْنا وقلنا الحاجِبيَّةُ أوَّلُ[١]

سنُوليكِ عُرْفاً[٢] إنْ أرَدْتِ وِصالَنا ... ونحن لتلك الحاجِبيَّةِ أوْصَلُ

قال: بلى. قالت: فهلاَّ قلتَ كما قال سيِّدُك جميل:

يا رُبَّ عارضةٍ علينا وَصْلَها ... بالجِدِّ تَخْلِطُهُ بقولِ الهازِلِ

فأجَبْتُها بالقولِ بعد تأمُّلٍ ... حُبِّي بُثينةَ عن وِصالِكِ شاغلي

لو كان في قلبي كقَدْرِ قُلامةٍ ... فضلاً لغيرِكِ ما أتتكِ رسائلي

قال: فقلتُ: دعي هذا واسقيني ماءً. فقالت: لا والله، وإلَّا ثَكِلْتُ بُثينةَ، لا أسقيك ولو مِتَّ عَطَشاً. فركَضْتُ فرسي، ومَضيْتُ أطلبُ الماء، فما وصلتُ إليه إلا بعد جهد كِدتُ أن أموتَ عَطَشاً[٣].

قال يحيى الأمويّ: لَقِيَتْ امرأةٌ كُثَيِّراً وكان دَمِيماً ضئيلاً، فقالت: مَنْ أنت؟ قال: كُثَيِّر. قالت: تسمعُ بالمُعيدِيِّ خيرٌ من أن تراه. فقال: مَهْ، فأنا الذي أقول:

فإنْ أكُ مَعْرُوقَ العِظامِ فإنَّني ... إذا ما وَزَنْتِ القومَ بالقومِ أوْزَنُ

فقالت: كيف تكون بالقوم وازناً وأنتَ لا تُعرفُ إلا بِعَزَّة؟! فقال: واللهِ لئن قلتِ ذلك، لقد رفع الله بها قَدْرِي، وزَيَّنَ بها شِعْري، وإنها لكما قلتُ:

وما روضةٌ بالحَزْنِ طَيِّبةُ الثَّرَى ... يَمُجُّ النَّدى جَثْحاثُها وعَرارُها[٤]

بأطيبَ من أردانِ عَزَّةَ مَوْهِناً ... وقد أُوقِدَتْ بالمَنْدَلِ الرَّطْبِ نارُها[٥]

من الخَفِرات البيضِ لم تَلْقَ شَقْوةً ... وبالحَسَبِ المكنُونِ صافٍ نِجَارُها[٦]

---

(١) الخُلَّة يعني الخليلة. وقصد بالحاجبية: عزّة.

(٢) أي: معروفاً.

(٣) تاريخ دمشق ٥٩/ ٣١٦ـ٣١٧ ، والمنتظم ٧/ ١٠٦ـ١٠٧ .

(٤) الحَزْن من الأرض: ما غلُظ، والجَثحاث والعَرار: نَبْتانِ طَيِّبا الرائحة.

(٥) الأردان، جمع رَدْن، وهو القزّ أو الخزّ، والمَوْهن: نحوٌ من نصف الليل، أو بعد ساعة منه، والمَنْدَل: العود الطيب الرائحة.

(٦) الخَفِرات جمع خَفِرة، وهي شديدة الحياء، والنِّجار: الأصل والحَسَب.

فإنْ بَرَزَتْ كانَتْ لِعَيْنِكَ قُرَّةً ... وإنْ غِبْتَ عنها لم يَعُمَّكَ عارُها

فقالت له: أرأيتَ حين تذكرُ طِيبَها؛ فلو أنَّ زِنْجيَّةً استجمرَتْ بالمَنْدَل الرَّطْب لطابَ رِيحُها! ألا قلتَ كما قال امرؤ القيس:

خليليَّ عُوجا[1] بي على أمِّ جُنْدُبٍ ... نُقَضِّ لُباناتِ[2] الفؤادِ المعذَّبِ

ألَمْ تَرَ أني[3] كلّما جئتُ طارقاً ... وجَدْتُ بها طِيباً وإنْ لم تَطَيَّبِ

فقال كُثَيِّر: الحقُّ لَهُوَ ـ واللهِ ـ خيرُ ما قيل، لَهُوَ ـ واللهِ ـ أنعتُ لصاحبته منّي[4].

وقال ابن عائشة: وقف كُثَيِّر على قوم يفضِّلون عليه جميلاً ويقولون: هو أصدقُ في حبِّه من كُثَيِّر، وهم لا يعرفونه، فقال لهم: كيف تفضِّلُون جميلاً على كُثَيِّر وقد بلغ جميلاً عن بُثَيْنَةَ ما يكره؟ فقال:

رمى اللهُ في عَيْنَيْ بُثَيْنَةَ بالقَذَى ... وفي الغُرِّ من أنيابها بالقَوادحِ

وكُثَيِّر عَزَّة أتاه من عَزَّة بعضُ ما يكره، فقال:

خليليَّ هذا رَبْعُ عَزَّةَ فاعْقِلا ... قَلُوصَيْكُما ثم ابكيا حيثُ حَلَّتِ

وما كنتُ أدري قبلَ عَزَّةَ ما البُكا ... ولا موجباتِ الحبِّ[5] حتى تولَّتِ

فقلتُ لها يا عَزَّ كلُّ مصيبةٍ ... إذا وُطِّنَتْ يوماً لها النفسُ ذَلَّتِ

وواللهِ ما قاربتُ إلا تباعَدَتْ ... وواللهِ ما أكثرتُ إلا أقلَّتِ

أسيئي بنا أو أحسِني لا ملومةٌ ... لَدَيْنا ولا مَقْلِيَّةٌ إنْ تَقَلَّتِ

فلا يحسبُ الواشون أنَّ صبابتي ... بِعَزَّةَ كانت غَمْرةً فتَجلَّتِ

ومن أرقّ ما قال:

هنيئاً مريئاً غيرَ داءٍ مُخامرٍ ... [لعَزَّةَ من أعراضنا ما اسْتَحلَّتِ]

---

(١) في «ديوان» امرىء القيس ص ٤١، و«تاريخ دمشق» ٥٩/ ٣٢٠: مُرَّا.

(٢) جمع لُبانة، وهي الحاجة من غير فاقة.

(٣) كذا في (خ) و«تاريخ دمشق» ٥٩/ ٣٢٠، وفي «الديوان»: ألم تَرَياني. وهو الوجه.

(٤) تاريخ دمشق ٥٩/ ٣١٩ـ٣٢٠.

(٥) في «الشعر والشعراء» ١/ ٥١٤، و«التذكرة الحمدونية» ٦/ ١٧٢: موجعات الحزن. وفي «الأغاني» ٩/ ٢٩: موجعات القلب. وفي «الحماسة البصرية» ٢/ ١٢٣: موجعات البين.

من أبيات[١].

[وقال:][٢]

فما أحدثَ النَّأْيُ المُفَرِّقُ بيننا ... سُلُوًّا ولا طولُ اجتماعٍ تَقَالِيا[٣]

وما زادني الواشون إلا صَبابةً ... ولا كثرةُ النَّاهين إلا تماديا[٤]

مات كُثَيِّرٌ وعكرمةُ في يوم واحد بالمدينة، فاختلفت[٥] قريش لكُثَيِّر، ولم يوجد لعكرمة من يحملُه.

وقال سليمان بن أفلح: استنشدني الرشيد هارون شعر كُثَيِّر، فأخذت في الإنشاد، فلما جئتُ إلى مدحِ بني أمية [وقفت]. قال: مالَكَ؟ فأخبرتُه، فقال: اِمْضِهْ. وجعل يتعجَّبُ من شعره، فقال له يحيى بن خالد: ما مَدَحَكُم به مروان بن أبي حفصة أجودُ من هذا حيث يقول:

نورُ الخلافةِ في المهديّ تعرفُهُ ... وذلك النورُ في موسى وهارونِ

فقال هارون: دع هذا الكلام يا أبا علي، فواللهِ، لا يُمدح بشعر مثلِ شعر كُثَيِّر حتى يُحاكَ لنا مثلُ طِرازِ هشام[٦].

يزيد بن عبد الملك

ابن مروان، كان صاحبَ لهوٍ وشراب، وكان يقول: عمر بن عبد العزيز كان خيراً مني لنفسه، وأنا خيرٌ منه للناس.

وكان يزيد قد اشتغل عن الرعيَّة بسَلَّامة؛ بالتشديد، وحَبَابة؛ بالتخفيف؛ قينتين من المدينة ومكة[٧].

---

(١) الخبر في «تاريخ دمشق» ٥٩/ ٢٩٤ ـ٢٩٥ دون ذكر الأبيات إلا البيت الأخير: هنيئاً مريئاً... وفي آخره قول كُثَيِّر: فما انصرفوا إلا على تفضيلي

(٢) ما بين حاصرتين زيادة من عندي لفصل البيتين الآتيين عما قبلهما.

(٣) تقالياً، أي: تباغضاً.

(٤) تاريخ دمشق ٥٩/ ٣٢٣ (طبعة مجمع دمشق).

(٥) في «الأغاني» ٩/ ٣٦ : فاجتمعت، وفي «تاريخ دمشق» ٥٩/ ٣٢٥ : فأجْفَلَتْ (أي: أسرعت).

(٦) تاريخ دمشق ٥٩/ ٢٩٢ـ٢٩٣ ، وما سلف بين حاصرتين مستفاد منه.

(٧) من أول ترجمة كُثَيِّر (الترجمة قبلها) إلى هذا الموضع؛ لم يرد في (ص).

حديث سَلَّامة:

وهي جارية سُهيل بن عبد الرحمن بن عوف، وقيل: جارية مصعب بن سُهيل، وتُعرف بسلَّامة القَسّ، وكانت من مولَّدات المدينة[١].

أخذت الغناء عن مَعْبَد، وابنِ عائشة، وابن سُرَيْج، ومالك بن أبي السَّمْح، وجميلة، وعَزَّة المَيْلاء[٢].

وكانت من أحسن النساء جمالاً وغِناءً.

واسم القَسّ عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمار، وكان عابداً مجتهداً ناسكاً يُقدَّم على عطاء بن أبي رباح في النُّسُك، ولعبادته سُمِّي بالقَسّ.

مرَّ بسلَّامة يوماً، فسمع غِناءها، فافتُتِنَ بها.

قال شيخُنا موفَّق الدين رضي الله عنه، يرفعه إلى خلَّاد بن يزيد قال: سمعتُ شيوخاً[٣] من أهل مكة، منهم سليمان، يذكرون أنَّ القَسَّ كان عند أهل مكَّة من أحسنِهم عبادةً وأظهرهم تَبَتُّلاً، وأنه مرَّ يوماً بسلَّامة [جارية كانت لرجل من قريش] فسمع غِناءها، فوقف يستمع، فرآه مولاها، فقال له: هل لك أن تدخل فتستمع؟ فتأبَّى عليه، فلم يزل به حتى تَسَمَّح، وقال: أقعدني في موضع لا تراني ولا أراها. قال: أفعل.

فدخل فغنَّتْ فأعجبَتْه، فقال مولاها: هل لك أن أُحَوِّلها إليك؟ فتأبَّى عليه، ثم سمع غناءَها وسمحَ، ولم يزل حتى شُغف بها وشُغِفَتْ به، وعلم بذلك أهل مكة.

فقالت له يوماً: أنا واللهِ أُحبُّك. قال: وأنا واللهِ أُحبُّكِ. قالت: وأُحبُّ أَنْ أضعَ فمي على فمك. قال: وأنا والله. قالت: وأُحبُّ أن أُلصِقَ صدري بصدرك، وبطني ببطنك. قال: وأنا

---

(١) ينظر «الأغاني» ٨/ ٣٤٦، و١٥/ ١٢٣، و«تاريخ دمشق» ص ١٨٧ (طبعة مجمع دمشق ـ تراجم النساء.)

(٢) مَعْبَد: هو ابنُ وَهْب، وقيل: ابن قطني، مولى ابن قطر، وابن عائشة: هو محمد، أبو جعفر، وابنُ سُرَيْج: هو عُبيد، أبو يحيى، وجميلة هي مولاة بني سُليم، وعَزَّة المَيْلاء، مولاة للأنصار، سمِّيت بذلك لميلها في مشيتها، تنظر أخبارهم في «الأغاني» ١/ ٦٤ و٢٤٨، و٢/ ١٩٥، و٥/ ١٠١، و٨/ ١٨٦، و١٧/ ١٦٢، وهم من أصول الغناء.

(٣) في (ص)، و«التوابين» ص ٢٣٧: شيوخنا.

واللهِ كذلك. قالت: فما يمنعك؟ فواللهِ إنَّ المكان لخالٍ. قال: إني سمعتُ أن الله تعالى يقول: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧] وأنا أكره أن تكون خُلَّةٌ مّا بيني وبينكِ تؤول إلى العداوة يومَ القيامة. قالت: يا هذا، أفحسبتَ أنَّ ربي وربَّك لا يقبلُنا إذا تُبنا إليه؟ قال: بلى، ولكنْ لا آمنُ أن أُفاجأ.

ثم نهض وعيناه تَذْرِفان، فلم يرجع بعد [ذلك] وعاد إلى ما كان عليه من النُّسُك[١].

وفيها يقول عبد الله بن قيس الرُّقَيَّات:

لقد فَتَنَتْ رَيّا وسلّامةُ القَسَّا فلم تتركا للقَسِّ عقلاً ولا حِسَّا[٢]

وقال الهيثم: اشترى يزيدُ بنُ عبد الملك سلَّامة قبل الخلافة بأربعة آلاف دينار، فأُعجِبَ بها، وغلبت عليه، وكان تحته سعدى بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان ابن عفان[٣]، ويقال لها: العثمانية؛ تزوَّجها في حجَّته في أيام أخيه سليمان على عشرين ألف دينار، وتزوَّج في هذه الحَجَّةِ رُبيحة بنت محمد بن عبد الله بن جعفر على عشرين ألف دينار أيضاً، واشترى سلَّامة في هذه الحجة[٤]، فلما رأَتْ سعدى ميله إلى سلَّامة اشترَتْ له حَبَابة، فغلبت عليه، فَلَهَا عن سلَّامة، ووهَبَها لسعدى.

وقال الزُّبير بن بكَّار: كانت سلَّامة من أحسن النساء وأكملهنّ، قرأَت القرآن، وقالت الشعر ورَوَتْه، وكان الأحوص وعبد الرحمن بنُ حسان يجلسان إليها ويُنشدانِها، فعلقت بالأحوص، وصرفت عن عبد الرحمن، فقال[٥]:

---

(١) التوابين لابن قدامة ص ٢٣٧، وقد أخرجه من طريق ابن أبي الدنيا، وهو في «تاريخ دمشق» ص ١٩٠ (طبعة مجمع دمشق ـ تراجم النساء)، وبنحوه في «أنساب الأشراف» ٧/ ١٩٧ـ١٩٨، و«الأغاني» ٨/ ٣٥٠.

(٢) في «الأغاني» ٨/ ٢٣٥، و«تاريخ دمشق» ص ١٨٧: نَفْسا.

(٣) كذا في (خ) (والكلام منها). وهو خطأ، والصواب أنها سَعْدَة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان، كما في «أنساب الأشراف» ٧/ ١٩٩، و«الأغاني» ١٥/ ١٢٤ (والخبر فيهما بنحوه): وأما تلك فهي زوجة الوليد ابن يزيد. ينظر «الأغاني» ٧/ ٢٦..

(٤) في «أنساب الأشراف» ٧/ ١٩٩ أن يزيد اشترى سلَّامة لما وليَ الخلافة، وجاء أول الخبر: قبل الخلافة. وينظر «مروج الذهب» ٥/ ٤٤٦-٤٤٧.

(٥) هذا الخبر مرويّ في سلَّامة جارية يزيد بن معاوية كما في «الأغاني» ٩/ ١٣٤. والظاهر أن المصنف جعلهما واحداً (إن لم يكن واهماً). وقد فرَّق ابنُ عساكر أيضاً بينهما في «تاريخ دمشق» (تراجم النساء) ص ١٨٣ و١٨٧.

أرى الإقبالَ منكِ على جليسي ... وما لي في حديثكما[1] نصيبُ

فقالت سَلَّامة:

لأنَّ اللهَ علَّقَهُ فؤادي ... فحازَ القلبَ دونَكُمُ حبيبُ

فقال الأحوص:

خليلي لا تَلُمْها في هواها ... ألذُّ العيش ما تَهْوَى القلوبُ

فخرج ابنُ حسان إلى يزيد بن عبد الملك[2] ممتدحاً له، فأكرمه ووصلَه، فقال: يا أمير المؤمنين، عندي نصيحةٌ، فقال: وما هي؟ قال: جارية بالمدينة لامرأةٍ من قريش. ووصفَها له، وقال: لا تصلح إلا لك. فبعث إلى عامله، فاشتراها وحملَها إليه، فوقعت منه موقعاً.

وعاد عبد الرحمن إلى المدينة ومر بالأحوص، وإذا به متبسِّم، فأنشده:

يا مبتلًى بالحبِّ مفدوحاً ... ولاقياً منه تباريحا

ألجَمَهُ الحبُّ فما ينثني ... إلا بكأس الحبِّ مصبوحَا

وصارَ ما يُعجِبُهُ مُغْلَقاً ... عنهُ وما يكرهُ مفتوحَا

قد حازَها مَنْ أصبَحَتْ عنده ... ينالُ منها الشَّمَّ والرِّيحَا

خليفةُ الله فَسَلِّ الهوى ... فعَزِّ قلباً منك مقروحا[3]

وقال ابن عساكر[4]:

بعث يزيدُ بنُ عبد الملك إلى المدينة، فاشترى سلَّامة بعشرين ألفَ دينار، فخرج أهلُها يودِّعُونها، فامتلأ المكان بالناس، فقالت:

فارقُوني وقد علمتُ يقيناً ... ما لِمَنْ ذاقَ فُرْقَةً[5] من إيابِ

---

(١) في «الأغاني» ٩/ ١٣٤ :... على خليلي وما لي في حديثكُم...

(٢) في «الأغاني» ٩/ ١٣٤ : يزيد بن معاوية، والقصة في سلامة جاريته كما سلف قبل تعليق..

(٣) في «الأغاني» ٩/ ١٣٥ : مجروحا (وينظر الخبر فيه).

(٤) رجع الكلام على سلَّامة جارية يزيد بن عبد الملك، وهو في «تاريخ دمشق» ص ١٩١ (طبعة مجمع دمشق - تراجم النساء).

(٥) في «الأغاني» ٨/ ٣٤٣ ، و«تاريخ دمشق» ص ١٩١ : ميتة .

إنَّ أهـلَ الـحِـصَـاب قـد تـركـونـي ... قـلـقـاً مُـولَـعـاً بـحـبِّ الـحِـصـاب[١]

ثم بكت وبكى الناسُ، وأرسلت إلى كلٍّ واحد بثلاثة آلاف درهم[٢].

حديث حَبَابة:

وهو لقبٌ لها.

[قال المدائني:] واسمُها العالية، وكنيتُها أمُّ داود، وكانت جارية لاحق، وقيل: لابنِ مينا، شبَّب بها وضَّاح اليمني قبل أن تصل إلى يزيد.

وكانت من مولَّدات المدينة، أخذت الغِناء عن ابن سُرَيْج، وابن مُحرز، ومعبد، وغيرهم، وكانت من أحسن أهل عصرها وجهاً وغِناءً وشمائل[٣].

وقال المدائني: اشترى يزيد [بن عبد الملك] حَبَابة في حَجَّته [التي حجَّها] في خلافة [أخيه] سليمان بخمسة آلاف دينار[٤] من عثمان بن سهل بن حنيف[٥]. وبلغَ سليمانَ، فقال: لقد هممتُ أن أحجر على هذا المائقِ[٦] السفيه. وكان يزيد يهابُه ويتَّقيه، فردَّها على مولاها، فشخص بها إلى إفريقية، فباعها هناك، وبقي يزيد متلَهِّفاً متحسِّراً عليها.

فلما ولي الخلافة قالت له سعدى[٧]: هل بقيَ في قلبك من أمور الدنيا شيء؟ قال: نعم، حَبَابة. قالت: وأين هي؟ قال: لا أعلم.

---

(١) في(خ) (والكلام منها): الحباب (في الموضعين) بدل: الحِصاب، والمثبت من «تاريخ دمشق»١٨/ ٣٤١ - ٣٤٢ (مصورة دار البشير - ترجمة يزيد) وص ١٩١ (تراجم النساء) وهو كذلك في «الأغاني» ٨/ ٣٤٣. والحِصاب: لغة في المحصَّب، والمراد به موضع رمي الجمار بمنى. وينظر «معجم ما استعجم» ١/ ٤٥١، و«معجم البلدان» ٥/ ٦٢.

(٢) المصدران السابقان (الأغاني والتاريخ). ومن قوله: وكان تحته سعدى بنت سعيد بن خالد بن عمرو... إلى هذا الموضع، ليس في (ص).

(٣) ينظر «الأغاني» ١٥/ ١٢٢، و«مختصر تاريخ دمشق» ٧/ ٢٩٨. (وترجمة حَبَابة ليست في المطبوع من «تاريخ دمشق»).

(٤) في المصادر: أربعة آلاف. ينظر: أنساب الأشراف ٧/ ٢٠٠، وتاريخ الطبري ٧/ ٢٣. والأغاني ١٥/ ١٢٤، والمنتظم ٧/ ١٠٩. والكلام بين حاصرتين من (ص).

(٥) قوله: من عثمان بن سهل بن حنيف، ليس في (ص). وهو في «تاريخ» الطبري ٧/ ٢٣.

(٦) في (خ): المنافق، والمثبت من (ص)، وهو موافق لما في «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٠٠.

(٧) في المصادر السابقة غير «المنتظم»: سعدة.

فأرسلت وبحثت عن أمرها، فقيل: هي بإفريقية، فأرسلت رجلاً تثقُ به، وأعطته مالاً كثيراً، فمضى إلى إفريقية، وبذل في ثمنها عشرة آلاف دينار[١]، واشتراها وحملها إلى دمشق، ففرحت بها، وألبستها أفخر الثياب والحُلِيّ، وقالت لها: إنما اشتريتُكِ ليزيد. فدَعَتْ لها.

ثم قالت سعدى ليزيد: أُحبُّ أن تمضيَ إلى بستاني بالغوطة تتنزَّه [فيه] قال: نعم. وأرسلت إلى البستان، فهيَّأت الأطعمة، وفرشت المقاصير، وجاء يزيد فأكل وشرب، فقالت له سعدى: قد اشتريتُ لك جاريةً تغنِّي أصواتَ حَبابة. فقال: وأين هي؟ فضربت بينهم ستارة وقالت: يا جارية، غنِّي. فغنَّت صوتاً كان يزيد يحبُّه وهو لكُثَيِّر عَزَّة:

وبين التراقي والفؤادِ حرارةٌ مكانَ الشَّجا لا تستقلُّ فتبردُ[٢]

فصاح يزيد: صوتُ حَبَابة وربِّ الكعبة، وقام قائماً، فقالت له سعدى: هي حَبَابة، وقد بعثتُ إلى إفريقية، فاشتريتُها بعشرة آلاف دينار. فحَظِيَتْ سعدى عنده، وارتفعت منزلتُها، وقامَتْ ومضتْ، وتركته مع حَبَابة في البستان.

فأقام ثلاثة أيام، فأخذ منه الشرابُ يوماً، فصَعِدَ إلى مستشرفٍ عالٍ وقال لها: غنِّي:

وبين التَّراقي والفؤادِ حرارةٌ

فغنَّتْ، فأهوى بنفسه وقال: أطيرُ. وأراد أن يُلقيَ نفسه، فتعلَّقت به وقالت: لنا فيك حاجة[٣]، على من تترك الأمَّة؟! قال: أنتِ لهم[٤].

وبلغ أبا حمزة الخارجيَّ، فقال: يطيرُ إلى لعنة الله.

---

(١) في «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٠٠ ، و«تاريخ» الطبري ٧/ ٢٣ : أربعة آلاف دينار.

(٢) كذا رواية «المنتظم» ٧/ ١١٠ . وفي «تاريخ» الطبري ٧/ ٢٣ : بين التراقي واللهاة حرارة... ما تطمئنُّ وما تسوغ فتبردُ. وبنحوه في «أنساب الأشراف» ٧/ ١١١ .

(٣) قوله: لنا فيك حاجة، ليس في (ص). وجاء فيها آخر الخبر ما لفظُه: «وفي رواية أنه لما قال: أريد أطير، قالت حَبَابة: لنا فيك حاجة».. وهي في «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٠١ ، و«تاريخ» الطبري ٧/ ٢٤ .

(٤) ينظر إضافة إلى المصدرين السابقين: الأغاني ١٥/ ١٤٠ ، والمنتظم ٧/ ١١٠ ، ومختصر تاريخ دمشق ٧/ ٣٠٠ .

ثم توفّيت حَبَابة، فكانت سبباً لوفاته؛ بينا هو جالسٌ يوماً [معها] في مستشرف وقد قال للخادم: هذا يوم سروري، فلا ترفعنَّ إليَّ شيئاً من أمور الناس. فأخذَتْ رمَّانةً فأكلَتْ منها حبَّة، فشَرِقَتْ بها وماتت[1].

وقيل: إن يزيد رماها بحبَّة عنب، فدخلت في فيها، فشَرِقَتْ بها، فماتت[2].

فتركها في البيت حتى نَتَنَتْ، وحزن عليها حزناً منعه من الطعام والشراب حتى مات كَمَداً.

[قال الهيثم:] وخرج في جنازتها محمولاً فلم تحمله قدماه، فسقط إلى الأرض، فقال لمسلمة: صَلِّ عليها. ثم حُمل إلى قبرها وهو ينشد [قول كُثَيِّر]:

وإنْ تَسْلُ عنكِ النفسُ أو تَدَعِ الصِّبَا ... فبالرُّغم[3] أسْلُو عنكِ لا بالتَّجَلُّدِ

وكلُّ خليلٍ راءني فهو قائلٌ[4] ... مِنَ اجلكِ هذا هامةُ اليومِ أو غدِ

ثمَّ حُمل إلى قصره، فما خَرج إلا على النَّعْش[5].

وأشار عليه مسلمةُ أن لا يخرج إلى الناس سبعة أيام لئلا يظهر منه شيءٌ يُسَفَّهُ به[6].

وقال الهيثم: دفنها ثم نبشَها بعد ثلاث وقد نَتَنَتْ، فرمى بنفسه عليها، ولم يمنعه شدةُ نَتَنِها من ذلك، وجعل يلثمها ويَشَمُّها، وأعادها إلى قبرها، ولزمه[7].

وعاش بعدها أربعين ليلة مريضاً، وقيل: خمس عشرة ليلة، وقيل: ثلاثة أيام.

وقال الأصمعي: إنه دخل بعد موتها إلى خزائنها ومقاصيرها، فطاف فيها ومعه جارية لها، فترنَّمت:

---

(١) الأغاني ١٥/ ١٤٣، والمنتظم ٧/ ١١١، ومختصر تاريخ دمشق ٧/ ٣٠١.

(٢) أنساب الأشراف ٧/ ٢٠٣، ونُسب الكلام في (ص) إليه.

(٣) في المصادر السابقة: فباليأس.

(٤) في (خ) (والبيتان منها): وكل رآني فهو لا شك قاتل. والمثبت من «الأغاني» ١٥/ ١٤٤، وفي «مختصر تاريخ دمشق» ٧/ ٣٠٢: وكلُّ حبيب زارني.

(٥) بنحوه في «تاريخ دمشق» ١٨/ ٣٤٢ (مصورة دار البشير ـ ترجمة يزيد بن عبد الملك).

(٦) تاريخ الطبري ٧/ ٢٤، وبنحوه في «الأغاني» ١٥/ ١٤٥. ولم يرد هذا القول في (ص).

(٧) لم أقف على هذا السياق، والذي في «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٠٤، و«المنتظم» ٧/ ١١١، و«مختصر تاريخ دمشق» ٧/ ٣٠٢ أنها لما ماتت بقيت عنده ثلاثاً حتى أنتنت... ثم أذن لهم في دفنها. وينظر «الأغاني» ١٥/ ١٤٤.

كفى حَزَناً بالوالِهِ الصَّبِّ أن يَرَى منازلَ مَنْ يَهْوَى مُعَطَّلَةً قَفْرَا

فغُشيَ عليه، ثم حُمل إلى قبرها، فأقام ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب، فلما كان في اليوم الرابع وجدوه ساجداً عندها ميّتاً[(١)].

ومات في شعبان[(٢)] [يوم الجمعة] لخمس بقين منه[(٣)] [وهذا قول الواقدي وأبي معشر وغيرهما][(٤)]. وقيل: يوم الخميس[(٥)]. ومات بالبلقاء بإرْبِد، وقيل: بالجَوْلان، فحُمل على أعناق الرجال إلى دمشق، فدُفن بالباب الصغير.

[قال أبو القاسم ابن عساكر:] قيل: إن حَبَابة ماتت ببيت رأس من الأردنّ، ودُفنت هناك، وأقام يزيد بعدها أياماً، ثم مات، فدُفن إلى جانبها[(٦)].

وكان سنُّه ثمانياً وثلاثين سنة، وقيل: أربعين سنة، وقيل: ستًّا وثلاثين سنة، وقيل: خمساً وعشرين، وقيل: سبعاً وعشرين سنة، وقيل: ثلاثاً وثلاثين سنة[(٧)].

ومدَّةُ خلافته أربعُ سنين وشهراً، وقيل: وستة أشهر، وقيل: أربع سنين إلا ثلاثة أشهر[(٨)].

ورُوِيَ أنَّ بعضَ اليهود قال له: إنك تملكُ أربعين سنة، فقال آخر منهم: كذبَ لعنه الله، إنما رأى أنه يملكُ أربعين قَصَبة، والقَصَبةُ شهر، فجعلها سنةً[(٩)].

وقيل: إنه مات بعلَّة السُّلّ.

---

(١) ينظر «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٠٤ـ٢٠٥، و«مختصر تاريخ دمشق» ٧/ ٣٠٢.

(٢) في (ص): واتفقوا على أنه مات في شعبان...

(٣) تاريخ الطبري ٧/ ٢٢، وتاريخ دمشق ١٨/ ٣٤٥ و٣٤٦ (مصورة دار البشير - ترجمة يزيد بن عبد الملك).
وقوله: يوم الجمعة (بين حاصرتين) استدركتُه منهما لقوله بعده: وقيل: يوم الخميس.

(٤) ما بين حاصرتين من (ص)، وكلام الواقدي وأبي معشر في المصدرين السابقين.

(٥) ثقات ابن حبان ٢/ ٣١٩.

(٦) ينظر «مختصر تاريخ دمشق» ٧/ ٣٠٢. ومن هذا الموضع وحتى أول سنة (١٠٦) ليس في (ص).

(٧) ينظر «تاريخ دمشق» ١٨/ ٣٤٢ـ٣٤٣ (مصورة دار البشير - ترجمة يزيد) ولم أقف على من قال: إنَّ سنَّهُ خمس - أو سبع - وعشرون، وجاء في «المعارف» ص ٣٦٤: أنه بلغ من السنّ تسعاً وعشرين.

(٨) تاريخ دمشق (النسخة المذكورة في التعليق السابق).

(٩) تاريخ الطبري ٧/ ٢٢.

وصلَّى عليه ابنُه الوليد وهو ابن خمس عشرة سنة وهشامٌ يومئذ بالرُّصافة، وقيل: بحمص.

وخرج سريرُه وسلَّامةُ خلفَه تقول:

لا تَـلُـمْـنـا إن خَـشَـعْـنـا أو هَـمَـمْـنـا بـخـشـوعِ

قـد لَـعَـمْـرِي بِـتُّ لَـيْـلِـي كـأخـي الـداءِ الـوجـيـعِ

ثـم بـات الـهـمُّ مـنّـي دونَ مَـنْ لـي مِـنْ ضـجـيـعِ[1]

لـلـذي حَـلَّ بـنـا الـيَـوْ مَ مـن الأمـر الـفـظـيـعِ

كـلـمـا أبْـصَـرْتُ رَبْـعـاً خـالـيـاً فـاضَـتْ دمـوعـي

قـد خـلا مـن سـيِّـدٍ كـا نَ لـنـا غـيـرَ مُـضِـيـعِ

ثم صاحت: يا أمير المؤمنيناه[2].

ذكر أولاده:

الوليدُ؛ وَلِيَ الخلافة، ويحيى، وعاتكة، وأمُّهم أمُّ الحجَّاج بنت محمد بن يوسف أخي الحجَّاج بن يوسف، وعبدُ الله، وعائشةُ؛ أمُّهما سعدى[3] بنت عبد الله بن عمرو ابن عثمان بن عفَّان رضي الله عنه، والغَمْر لأمِّ ولد، وعبدُ الجبَّار وسُليم لأمِّ ولد، وهاشم وأبو سفيان لأمِّ ولد، وسليمانُ، وعبدُ المؤمن، وداود، والعوَّام؛ لأمَّهات أولاد.

فأمَّا الوليد فسنذكره.

وأما عبد الله فقد ولده سبعةٌ من الخلفاء: أبوه يزيد، وجدُّه عبدُ الملك، وجدُّ أبيه مروان، وجدُّه لأمِّ أبيه معاويةُ بن أبي سفيان، وجدُّه لأمِّه عثمان رضي الله عنه؛ لأنَّ أمَّه سعدى بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان، [وأمُّ عبد الله بن عمرو بن عثمان] ابنةُ عبد الله بن عُمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وكان لعبد الله هذا ولدٌ عظيم القَدْرِ عند المهديّ والرشيد اسمُه عبد المطَّلب[4].

---

(١) في رواية «الأغاني» ٨/ ٣٤٨: ونجيُّ الهمِّ منّي... باتَ أدنى من ضلوعي.

(٢) تاريخ الطبري ٧/ ٢٢-٢٣. وقال بعده: والشعر لبعض الأنصار.

(٣) في أنساب الأشراف ٧/ ٢٩٥: سعدة.

(٤) أنساب الأشراف ٧/ ٢٩٥-٢٩٦، وما سلف بين حاصرتين منه. واسم أمِّ عبد الله بن عَمرو حفصة.

وأمَّا الغَمْرُ؛ فكان أحدَ الأجواد الممدَّحين، ولَّاه أخوه الوليد بن يزيد غَزْوَ الصائفة، وكانت دارُه بدمشق قِبَلَ[1] زقاق العجم.

قتلَه عبدُ الله بن عليّ بنهر أبي فُطْرس[2] سنة اثنتين وثلاثين ومئة، وفيه يقول الشاعر:

إذا عدَّدَ الناسُ المكارمَ بينَهم فلا يَفْخَرَنْ يوماً على الغَمْرِ فاخرُ

فما مرَّ مِنْ يومٍ مِنَ الدهرِ واحدٌ على الغَمْرِ إلاَّ وَهْوَ للناسِ غامرُ[3]

وهو صاحب سَيْح الغَمْر باليمامة[4].

ولما قدَّمه [عبد الله بن] عليّ بن عبد الله ليقتلَه قال: إني شيخٌ كبير، وإنْ تركتَني كفيتُك مؤونة قتلي. فقال عبدُ الله بنُ عليّ: قد كان الحُسين شيخاً كبيراً فقتلتموه. وضربَ عنقه، فعنَّفَ الحاضرون عبدَ الله بنَ علي وقالوا: وهل كان هذا موجوداً في زمن الحسين؟! قتلتَ هذا الجواد الممدَّح[5]!

وأمَّا سُليمان بنُ يزيد؛ فكان ممن أعانَ على قتل أخيه الوليد بن يزيد مع يزيد بن الوليد. بعثَ إليه[6] عبدُ الله بنُ علي جيشاً إلى البلقاء، فقتلَه.

وأما عبد المؤمن بن يزيد فكان يسكن باب الجابية بدمشق[7].

---

(١) في «تاريخ دمشق» ٥٧/ ٣١٤ (طبعة مجمع دمشق): قبلة.

(٢) في (خ) بطرس، والمثبت من المصدر السابق. ونهر أبي فطرس قرب الرملة بفلسطين. ينظر «معجم البلدان» ٤/ ٢٦٧ و٥/ ٣١٥.

(٣) نُسب البيتان في «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٩٥ لإسماعيل بن يسار مولى بني تيم بن مُرّة، وجاء البيت الأول مع بيت آخر في ترجمة الغَمْر في «تاريخ دمشق» ٥٧/ ٣١٥ (طبعة مجمع دمشق) ونُسب فيه لأبي المهاجر معدان مولى آل أبي الحكم.

(٤) السَّيْح: الماء الجاري، وسَيْح الغَمْر باليمامة أسفل المجازة. ينظر «معجم البلدان» ٣/ ٢٩٤.

(٥) الخبر في «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٩٦ مختصر. وما سلف بين حاصرتين مستفاد منه.

(٦) يعني إلى سليمان بن يزيد. وينظر «تاريخ دمشق» ٧/ ٦٥٤ (مصورة دار البشير).

(٧) تاريخ دمشق ٤٣/ ٣٢٠ (طبعة مجمع دمشق).

ومن الوافدين على يزيد بن عبد الملك:

الأحوص الشاعر

وهو عبدُ الله [بن محمد بن عبد الله] بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، وجدُّ أبيه عاصم بن أبي الأقْلَح من كبار الأنصار، واسمه قيس[١] بن عصمة، وابنُه عاصم شهد بدراً، وقُتل يوم الرَّجيع، وهو حَمِيُّ الدَّبْر[٢].

والأحوص ابن خال حنظلة[٣] غسيل الملائكة، وكنية الأحوص أبو محمد، [وهو] من الطبقة السادسة من الشعراء الإسلاميين[٤].

وكان الوليد بن عبد الملك نفاه إلى دَهْلَك ـ جزيرة بأرض الحبشة ـ فلم يزل بها أيام الوليد وسليمان، فلما وَلِيَ عُمر بن عبد العزيز رجع إلى المدينة وقال: قد وَلِيَ رجلٌ أنا خالُه، فما يصنع بي ـ وكانت أمُّ عمر بن عبد العزيز أمَّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأمُّها بنتُ عاصم بن ثابت بن أبي الأَقْلَح الأنصاري ـ فبعث عمر رضي الله عنه فنفاه إلى دَهْلَك، فأقام بها. فلمَّا وَلِيَ يزيد بن عبد الملك رجع إلى المدينة[٥].

قال المعافَى: عزم مَعْبَد المغنِّي والأحوص على زيارة يزيد بن عبد الملك فترافَقَا، فلمَّا وصلا إلى البلقاء أصابهم مطر في الليل، فأصبحت الغُدْران مملوءةً، فقالا: لو أقمنا يومنا هذا. فأقاما.

---

(١) يعني اسم أبي الأقلح، وينظر «لأغاني» ٤/ ٢٢٤.

(٢) قال أبو الفَرَج (في المصدر السابق): كان رسول الله ﷺ بعثَه (يعني عاصماً) بَعْثاً، فقتله المشركون، وأرادوا أن يصلبوه، فحَمَتْهُ الدَّبْرُ ـ يعني النَّحل ـ فلم يقدروا عليه حتى بعث الله الوادي في الليل (يعني السيل في الوادي) فاحتمله، فذهب به.

(٣) كذا في (خ) (والكلام منها) وهو خطأ. وذكر الثعالبي في «ثمار القلوب» ص ٦٤ أن حنظلةَ خالُ أبي الأحوص... وأنشد بيت الأحوص:

غَسَّلَتْ خاليَ الملائكةُ الأبـ ـرارُ مَيْتاً أكْرِمْ به من صريعِ

وهو بنحوه في «الأغاني» ٤/ ٢٣٤ مع بيتين آخرين.

(٤) كذا ذكره ابن سلاّم في «طبقات فحول الشعراء» ٢/ ٦٥٥، ونقله أبو الفَرَج في «الأغاني» ٤/ ٢٣٣.

(٥) مختصر تاريخ دمشق ١٣/ ٢٧٨. وينظر ما سلف في ترجمة عِراك بن مالك الغفاري سنة (١٠٤).

ورُفع لهم قصرٌ، وإذا بجارية قد خرجت ومعها جَرَّةٌ، فاستقت من الغدير، فسقطت الجَرَّةُ من يدها، فانكسرت، فجلست تبكي، فسألا عن حالها، فقالت: كنتُ لرجل من قُريش، فاشتراني رجل من بني عامر بخمسين ألفَ درهم، وهو صاحبُ هذا القصر، فنزلتُ من قلبه ألطفَ منزلة، ثم تزوَّج ابنةَ عمٍّ له، فأساءت إليَّ، وكلَّفتني أن أستقيَ بالجَرَّة كلَّ يوم من هذا الغدير، فشكوتُ إليه، فقال: إنها ابنةُ عمِّي وأنت أَمَةٌ، فلم يَشْكُني، وربَّما أذكر ما كنتُ فيه، فوقعت الجَرَّةُ من يدي، فانكسرت.

وكان بين أيديهما عودٌ فأخذَتْه وضربَتْ به وغنَّتْ تقول:

يا بيتَ عاتكةَ الذي أتعزَّلُ ... حَذَرَ العِدَى وبه الفؤادُ مُوَكَّلُ
إني لَأَمنحُكَ الصُّدودَ وإنَّني ... قَسَماً إليكَ مع الصُّدودِ لَأَمْيَلُ
ولقد نزلتَ من الفؤادِ بمنزلٍ ... ما كان غيرُكَ والأمانةِ ينزلُ
ولقد شكوتُ إليكَ بعضَ صَبَابتي ... ولَمَا كتمتُ من الصَّبَابةِ أطولُ
هل عيشُنا بكَ في زمانكَ راجعٌ ... فلقد تفحَّشَ بعدكَ المتعلِّلُ
أعرضتُ عنكَ وليس ذاك لبَغْضَةٍ ... أخشى مقالةَ كاشحٍ لا يعقلُ

قال: ثم بكت بكاءً شديداً حتى أبكتهما. قال: فقلنا لها: لمن هذا الشِّعر؟ قالت للأحوص. قلنا: والصوت؟ قالت: لمَعْبَد. فقلنا: أفتَعْرِفينهما؟ قالت: لا والله. فقال: أنا الأحوص، وهذا مَعْبَدَ، ونحن قاصدان يزيد بنَ عبد الملك، فأنشأت تقول:

إنْ تراني الغَدَاةَ أسْعَى بِجَرٍّ ... أستقي الماءَ نحوَ هذا الغديرِ
فلقد كنتُ في رخاءٍ من العَيْـ ... ـشِ وفي كلِّ نعمةٍ وسرورِ
ثم قد تُبصِرانِ ما فيه أصْبَحْـ ... ـتُ وماذا إليه صارَ مصيري
أبْلِغا عنيَ الإمامَ وما يَبْـ ... ـلُغُ صدقَ الحديث مثلُ الخبيرِ
أنَّني أضْرَبُ الخلائقِ بالعُو ... دِ وأحْكَاهُمُ بِبَمٍّ وزِيرِ[(١)]
فلعلَّ الإلَهَ يُنْقِذُ ممَّا ... أنا فيه فإنَّني كالأسيرِ
ليتني مِتُّ يومَ فارقْتُ أهلي ... وبلادي وزُرْت أهلَ القبورِ

---

(١) البَمُّ: الوتر الغليظ من أوتار العُود، ويقابله في العُود الحديث العُشَيْران، والزِّير: الدقيق من الأوتار وأحدُّها، ويقابل البَمّ في العُود. ينظر «المعجم الوسيط».

قال: فلمَّا قدمنا على يزيد أخبرناه خَبَرها، فأرسل إلى مولاها، فاشتراها بمئة ألف درهم، فلما قَدِمَتْ عليه حَظِيَتْ عنده، وبعثَتْ إلينا بالهدايا والألْطَاف[١].

وقوله: يا بيت عاتكة، ما أرادَ عاتكة بنت يزيد بن معاوية، وإنما أرادَ عاتكة أخرى يقال لها: أمّ جعفر، كانت عفيفةً صالحة، شبَّبَ بها الأحوص، وقفت عليه يوماً وهو في نادي قومه، فقالت له: اقضِ ثمنَ الغنم التي اشتريتَ منّي. فقال: واللهِ ما أعرفُكِ ولا رأيتُكِ قبل اليوم! فقالت لقومه: خوِّفوه من الله تعالى. فكرَّرَ الأَيمان أنه ما رآها قبل اليوم، فكشفَتْ وجْهَها وقالت: يا عدوَّ الله، فأنا عاتكة[٢] التي شَبَّبْتَ بي وفضحتَني في شعرك. فانكسر الأحوص، وبرئت المرأة.

وقال الرِّياشيّ: كتبَ الأحوص إلى عمر بن عبد العزيز ﷺ من دَهْلَك:

وكيف تَرَى للنوم طَعْماً ولَذَّةً ... وخالُك أَمْسَى مُوثَقاً في الحبائلِ
فمَنْ كان أمسى سائلاً عن شماتةٍ ... ليشمتَ بي أو شامتاً غير سَائلِ
فقد عَجَمَتْ[٣] مني الحوادثُ ماجداً ... صَبُوراً على غَمَّاءِ تلك البلابلِ
إذا سُرَّ لم يَفْرَحْ، وليس لِنَكْبَةٍ ... أَلَمَّتْ به بالخاشعِ المتضائلِ[٤]

وقال جعفر بن سليمان: ما سمعتُ بأشعرَ من القائل:

إذا رُمْتُ عنها سَلْوةً قال شافعٌ ... من الحُبِّ ميعادُ السُّلُوِّ المقابِرُ

فقيل له: بلى، الأحوص، حيث يقول:

سيَبْقَى لها في مُضْمَرِ القلبِ والحَشَا ... سَرِيرَةُ وُدٍّ يومَ تُبْلَى السَّرائرُ[٥]

---

(١) ينظر «الأغاني» ٢١/ ١٠٨-١٠٩، و«مختصر تاريخ دمشق» ١٣/ ٢٧٨-٢٨٠ (وليس لديّ ترجمة الأحوص في «تاريخ دمشق») وأورد ابن عساكر القصة أيضاً في «تاريخه» ١٩/ ٦٠٣ (مصورة دار البشير) في ترجمة أم سعيد شاعرة حجازية. ونقل أبو الفرج بإثر القصة عن مصعب الزبيري قوله: أظنُّ القصة كلَّها مصنوعة.

(٢) في «الأغاني» ٦/ ٢٥٨ (والخبر فيه بنحوه): أنا أمُّ جعفر.

(٣) أي: اختبرت وامتحنت.

(٤) ينظر «الأغاني» ٤/ ٢٤٧ و٩/ ٦٥-٦٦.

(٥) الأمالي لأبي علي القالي ٢/ ١٦٦. وفي «الأغاني» ٤/ ٢٤٨ أن عمر بن عبد العزيز ذكر بيت الأحوص هذا ثم قال: إن الفاسق عنها يومئذٍ لمشغول. قلتُ: وقد قال تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾. وقال أيضاً: ﴿لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه﴾. ومن قوله: وكان سنُّه ثمانياً وثلاثين سنة (قبل ست صفحات)... إلى هذا الموضع، ليس في (ص).

السنة السادسة بعد المئة

فيها عزل هشام بن عبد الملك عُمر بنَ هُبيرة عن العراق كلِّه، وولَّاها خالدَ بنَ عبد الله القَسْريّ[١].

قال سليمان بنُ زياد: كان عُمرُ بنُ هُبَيْرة والياً على العراق، فلمَّا مات يزيد وقام هشام؛ قال عُمر بنُ هُبيرة: يُوَلِّي هشامٌ العراقَ أحدَ رجلين: سعيداً الحَرَشيّ، أو خالداً القَسْريّ، فإنْ وَلَّى ابنَ النصرانية خالداً؛ فهو البلاء.

فولَّى هشامٌ خالداً، فقدم واسطاً وقد أُوذِنَ عُمرُ بنُ هُبيرة بالصلاة، فهو يتهيَّأ لها وقد اعتمّ وهو يُسوِّي عِمامتَه، فقيل له: هذا خالد قد قدم. فقال: هكذا تقوم الساعة. أي: تأتي بغتة.

فأخذ خالدٌ عُمر فقيَّده وكبَّلَه، وألبسَه مِدْرَعةَ شعر، وعذَّبه عذاباً وجيعاً، فقال له عمر: بئس ما سَنَنْتَ على وُلاة العراق، أما تخافُ أن يُفعل بك مثل هذا[٢]؟

فلما طال حَبْسُ عمر؛ اكترى مواليه داراً إلى جانب الحَبْس ونَقَبُوا سَرَباً إليه، وأعدُّوا خيلاً وأخرجوه ليلاً إلى الشام. وتبعه سعيد الحَرَشي، فحالَ الفرات بينهما[٣].

وقيل: إنه أدركه فاصطنعه[٤].

وأتى ابنُ هُبيرة مسلمةَ بنَ عبد الملك، فاستجارَه، فأجاره[٥]، وأنزله معه في داره، وجاء وقت الفجر إلى هشام، فصلَّى خلفه، فلما سلَّم قال له هشام: أظنُّ أنَّ ابنَ هُبيرة طرقك في هذه الليلة. قال: نعم، وقد أجَرْتُه فهَبْهُ لي. قال: قد وهبتُه لك.

وفي ذلك يقول الفرزدق:

---

(١) تاريخ الطبري ٧/ ٢٦ في أحداث سنة ١٠٥، وذكره المصنف ثمة.

(٢) تاريخ دمشق ٥٤/ ٣٠٩ (طبعة مجمع دمشق ـ ترجمة عمر بن هبيرة).

(٣) المصدر السابق ٥٤/ ٣١٠ـ٣١١. وينظر ما سلف أواخر أحداث سنة (١٠٤).

(٤) ينظر «تاريخ» الطبري ٧/ ١٧.

(٥) جاء في «أنساب الأشراف» ٧/ ٣٨٠ـ٣٨١ أن قيساً أشارت عليه بأن يستجير بأبي شاكر مسلمة بن هشام، فقال: صبيّ، ولكني أستجيرُ بأبي سعيد مسلمة بن عبد الملك... وفي «تاريخ دمشق» ٥٤/ ٣١٠ أن مسلمة بن هشام أبا شاكر هو الذي أجاره.

ولـمَّـا رأيـتَ الأرضَ قـد سُدَّ ظـهـرُهـا ... ولـم تَـرَ إلا ظـهـرَهـا لـك مَـخْـرَجـا
دعـوتَ الـذي نـاداه يـونـسُ بـعـدَ مـا ... ثَـوَى فـي ثـلاثٍ مُـظْـلِـمـاتٍ فَـفـرَّجـا
وأصبحتَ تحتَ الأرضِ قد سِرْتَ ليلةً ... ومـا سـار سـارٍ مثـلَـهـا حـيـن أدْلَـجَـا[١]

وفيها عزلَ هشامُ بنُ عبد الملك [عن المدينة]:

عبدَ الواحد بنَ عبد الله

ابن كعب بن عُمير النَّصْري، ويُعرف بابن بُسْر، وكنيتُه أبو بُسْر، كانت له دارٌ بدمشق في سوق القمح تُعرف بدار العميان، وهو من الطبقة الثالثة من أهل الشام. قال أبو زُرْعة الدمشقيّ: هو جَدُّنا.

ولأبيه عبد الله صحبة.

وكان عبدُ الواحد رجلاً صالحاً؛ حجَّ بالناس سنة أربع ومئة لمَّا نُزِعَ عن المدينة عبدُ الرحمن الفِهْرِي[٢]، ولم يَقْدَمْ إليهم والٍ أحبَّ إليهم من عبد الواحد، كان يذهبُ مذاهبَ الخير، ويستشير الفقهاء، كسالم، والقاسم.

وقال مصعب الزُّبيري: ثبتَ في أيامه بالمدينة أوقافٌ كثيرة من أوقاف الصحابة، منها وَقْفُ الزُّبير بن العوَّام رضي الله عنه، فهو ثابت إلى اليوم[٣].

ولما عزله هشام صعد المنبر وقال: يا أهل المدينة، واللهِ ما أبكي جَزَعاً من العَزْل، ولا ضَنّاً بالولاية، ولكن أَربأُ بهذه الوجوه المجاورة لرسول الله ﷺ أن يتبدَّلَها غيري من لا يعرف من حقِّها ما أعرف، وإني وإياكم كما قال أخو كِنانة:

فما القَيْدُ أبكاني ولا السجنُ شَفَّني ... ولـكـنَّـنـي مـن خـشـيـة الـنـارِ أجْـزَعُ
بـلـى إن أقـوامـاً أخـافُ عـلـيـهـمُ ... إذا مِـتُّ أن يُـعـطـوا الـذي كـنـتُ أمـنـعُ

فبكى الناس؛ لأنه كان مُحسناً إليهم، لم يجعل بينه وبينهم حجاباً قطّ[٤].

---

(١) المصدران السابقان.

(٢) هو عبد الرحمن بن الضحاك، وسلف ذكر سبب عزله في سنة (١٠٤).

(٣) ينظر ما سلف من هذه الترجمة في «تاريخ دمشق» ٤٤/ ١١-١٧ (طبعة مجمع دمشق).

(٤) لم أقف على هذه القصة لعبد الواحد النصري، وهي في «عيون الأخبار» ١/ ٥٦-٥٧ لعبد الرحمن بن الضحاك. وذكر ابن عساكر في و«تاريخ دمشق» ٩/ ٩٨٤ (مصورة دار البشير) روايةً جاءت القصة فيها لمحمد =

أسند عبدُ الواحد عن واثلة بن الأسقع، وعن أبيه عبد الله بن بُسْر، وروى عنه حَريزُ ابنُ عثمان، والأوزاعي، وغيرُهما.

وفيها ولّى هشامُ بنُ عبدِ الملك الحُرَّ بنَ[1] يوسف بن الحكم بن أبي العاص مصر، فأقامَ والياً عليها ثلاث سنين، وعزله هشام سنة ثمان ومئة[2].

وفيها وُلد عبد الصمد بنُ عليّ بن عبد الله بن العباس في رجب[3].

وفيها غزا الحجَّاجُ بنُ عبد الملك بن مروان اللّان[4]، فقتل وسَبَى، فصالحوه على مال، وأدَّوْا إليه الجزية.

وفيها مات سالم بن عبد الله، وطاوس اليمانيّ.

وفيها استقضى إبراهيمُ بنُ هشام عاملُ المدينة محمدَ بنَ صفوان الجُمحي، ثم عزلَه واستقضى الصَّلْت الكِنْديّ[5].

وفيها كانت وقعةٌ بأرض بَلْخ ـ بمكان يقال له: البَرُوقان ـ بين المُضَريَّة واليمانية وربيعة، وكان مسلم بن سعيد قد قطع النهر، وتأخَّر عنه جماعة منهم عمرو بن مسلم وأبو البختريّ[6]، فقال مسلم لنصر بن سيَّار وكان في عسكره: مُرْهم فليلحقوني.

= ابن الضحاك، ثم نبَّه على أنها لعبد الرحمن بن الضحَّاك، ونُسب البيتان في «عيون الأخبار» لدرَّاج الضَّبابي، وعجز البيت الأول فيه: ولا أنني من خشية الموت أجزعُ. وأوردهما ابن عساكر أيضاً ٣/ ٧٦ (مصورة دار البشير) في ترجمة الأُقيبل.

(١) في (خ) (والكلام منها): الحرث (يعني الحارث) بدل: الحر بن، وهو تحريف.

(٢) ولاة مصر ص ٩٥، وتاريخ دمشق ٤/ ٣٤١ (مصورة دار البشير)، والنجوم الزاهرة ١/ ٢٥٨. ولكن ذكر ابنُ الأثير في «الكامل» ٥/ ١٣٢ أن الحرَّ بن يوسف وَلِيَ الموصل سنة (١٠٦).

(٣) تاريخ الطبري ٧/ ٢٩. وعبد الصمد: هو عمّ السفّاح والمنصور، وَلِيَ إمرة دمشق وغيرها.

(٤) كذا في «تاريخ» الطبري ٧/ ٢٩، و«البداية والنهاية» ١٣/ ٢٠. وجاء في «الكامل» ٥/ ١٣٤: الجرَّاح بن عبد الله. وفي «تاريخ دمشق» ٤/ ٢٠٠: الحجّاج بن عبد الله الحَكَمي، وهوالأشبه، فقد ذكر ابنُ عساكر فيه أن أخاه الجرَّاح ولّاه إمرة الجيش، فغزا اللّان سنة (١٠٦). واللّان: بلاد واسعة في طرف أرمينية. وسلف ذكرها في السنة قبلها.

(٥) تاريخ الطبري ٧/ ٢٩. ومن قوله: فيها عزل هشام بن عبد الملك عمر بن هبيرة (أول سنة ١٠٦)... إلى هذا الموضع، ليس في (ص).

(٦) في «تاريخ» الطبري ٧/ ٣٠ و«الكامل» ٥/ ١٢٧ (في الموضعين): البختري (اسم وليس كنية).

فأمرهم فعصَوْا عليه وقاتلوه، فقاتلَهم نصر فنُصر عليهم، وأخذ عَمرَو بنَ مسلم وأبا البختري، وحملا إلى مسلم بن سعيد، فعفا عنهما.

وفي هذه الغزوة عزلَ خالدُ بن عبد الله القَسْريُّ مسلمَ بنَ سعيد، وكان قد قطعَ النهر ووصل بُخَارَى، فجاءه كتاب خالد يقول: تِمَّ على غَزاتك(١).

فسار إلى فَرْغانة، وبلغَه أنَّ خاقان قاصدٌ إليه، فأرسل بعض العسكر، والتقَوا، فظهر عليهم خاقان، وعاد مسلم طالباً للنهر والعدوُّ خلفَه، فأحرقَ من الأمتعة ما قيمتُه ألفُ ألفٍ، ولقيَ الناسُ من العطش أمراً عظيماً، ومات منهم جماعة.

وفي رجوع مسلم إلى آمِد(٢) ورد كتاب أسدِ بن عبد الله القَسْريّ، أخو خالد، وكان قد ولّاه خالد خُراسان، فبعث بعهده إلى عبد الرحمن بن نُعيم نيابة عنه، فقال مسلم: سمعاً وطاعة.

وفيها: قدم أسدُ خُراسانَ ـ وكان مسلمٌ بفَرْغانة ـ وقطع النهرَ حتى أتى مَرْجَ السُّغْد، فنزلَ به، وعلى خَراج سَمَرْقَند هانىءُ بنُ هانىء، فخرج بالناس للقاء أسد، فوافاه بالمَرْج جالساً على حجر [فتفاءل الناس فقالوا: أسد على حجر] ما عند هذا خيرٌ.

وقال أسد: مَنْ ينشُطُ بالمسير(٣) إلى العسكر وله ثلاثةَ عشرَ درهماً، وها هي في كُمِّي. وإنَّه ليبكي ويقول: إنما أنا رجلٌ منكم.

وبعث إلى عبد الرحمن بن نُعيم بعهده على الجند، ولمَّا علمَ الناسُ بعزل مسلم؛ شتمه بعضُهم، وقنَّعَه عَمرو بن هلال السَّدُوسيّ سَوْطَيْن(٤) لِما كان منه إلى بكر بن وائل يوم البَرُوقان، فغضب عبد الرحمن الأمير الجديد، وأغلظ لهم، وأبعدَهم عنه، وسار إلى سمرقند، فوافَى أسدَ بنَ عبد الله بها.

وشخص أسدُ إلى مَرْو، واستعمل على سمرقند الحَسَنَ بنَ أبي عَمَرَّطَة الكِنْديَّ، فقَدِمَتْ على الحسن امرأتُه الجنوب بنتُ القعقاع بن الأعلم الأزدي، فخرج للقائها،

(١) في «تاريخ» الطبري ٧/ ٣٣ (والخبر فيه بنحوه): أتمم غزاتك.

(٢) كذا في (خ) (والكلام منها). ولعل الصواب: آمُل، يعني آمُل جَيْحُون.

(٣) في (خ): السير، والمثبت من «تاريخ» الطبري ٧/ ٣٧ . والكلام السالف بين حاصرتين منه.

(٤) أي: علاه بسوطين. ووقع في (خ): الدوسي، بدل السدوسي، والمثبت من «تاريخ »الطبري.

وجاء التُّرك إلى سمرقند في سبعة آلاف، فتباطأ حتى أغاروا، ولم يلقَهم ومَضَوْا، فقال الناس: إنَّما خرج للقاء امرأتِه. وبلغَه فخطب وقال: يعيبون عليَّ! ثم دعا على التُّرك، فقال: اللهم اقْطَعْ آثارَهم، وعَجِّلْ بَوارهم(١).

[وكان خليفته حين خرج إلى الترك ثابت قطنة، فخطب الناس فحُصِرَ](٢) ثم قال: ومَنْ يُطع اللهَ ورسولَه فقد ضلَّ. وأُرْتِجَ عليه، فلما نزل عن المنبر قال:

فإنْ لم أكنْ فيكم خطيباً فإنَّني ... بسيفي إذا جَدَّ الوَغَى لَخَطِيبُ

فقيل: لو قلتَ هذا [على] المنبر لكنتَ خطيباً! فقال حاجب الفيل اليشكري:

أبا العلاءِ لقد لاقَيْتَ مُعْضِلةً ... يومَ العَرُوبة من كَرْبٍ وتَخْنيقِ

تلوي اللسانَ إذا رُمْتَ الكلامَ بهِ ... كما هوى زَلِقٌ من شاهقِ النِّيقِ(٣)

أمَّا القُرانُ فلا تُهْدَى لِمُحْكَمِهِ ... من الكتاب ولا تُهْدَى لتوفيقِ(٤)

وحجَّ بالناس في هذه السنة هشامُ بنُ عبد الملك بالاتِّفاق.

قال أبو الزِّناد: كتب إليَّ هشامٌ قبل أن يصلَ إلى المدينة أنِ اكْتُبْ لي مناسكَ الحجّ وسُنَنَه. فكتبتُها له، وخرجتُ للقائه، فإني في الموكب خلفَه وقد لقيَهُ سعيد بن عبد الله ابن الوليد بن عثمان بن عفَّان، فنزل فسلَّم عليه، ثم سارَ إلى جانبه، فصاح هشام: يا أبا الزِّناد. فتقدَّمتُ إليه، وسرتُ من الجانب الآخَر. فأسمعُ سعيداً يقول له: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ الله لم يزل يُنعم على أهلِ بيت أمير المؤمنين، وينصرُ خليفتَه المظلوم، ولم يزالوا يلعنون في هذه المواطن الصالحة أبا تراب، فأميرُ المؤمنين ينبغي له أن يلعنه. قال: فشقَّ على هشام كلامُه وثقُل عليه وقال: ما قدمنا لشتم أحدٍ ولا للعْنِهِ، قدمنا حُجَّاجاً. ثم قطع كلامه وأعرضَ عنه، وأقبل عليَّ وقال: يا عبد الله بن ذكوان،

---

(١) الكلام بنحوه أطول منه في «تاريخ» الطبري ٧/ ٣٨ .

(٢) ما بين حاصرتين من «تاريخ» الطبري، ولا بدَّ منه، فلولاه يعود الكلام على الحسن بن أبي العمرَّطة، وهو خطأ. وهذا الخبر لثابت قطنة مشهور.

(٣) النِّيق: أرفع موضع في الجبل.

(٤) تاريخ الطبري ٧/ ٣٧ـ٣٨. وذكر الأصبهاني في «الأغاني» ١٤/ ٢٦٤ أن القصة جرت لثابت قطنة عندما تقدَّم يزيد بن المهلَّب إليه في أن يصليَ بالناس الجمعة.

ومن قوله: وتأخَّر عنه جماعة منهم عمرو بن مسلم (قبل صفحتين)... إلى هذا الموضع، ليس في (ص).

فرغتَ مما كتبتُ إليك؟ قلت: نعم. قال أبو الزِّناد: وثقُل على سعيد ما حضرتُه يتكلَّم به، فرأيتُه منكسراً كلَّما رآني(١).

وكان العاملَ في هذه السنة على المدينة ومكة والطائف إبراهيم بنُ هشام، وعلى العراق خالد القَسْريّ، وعلى خُراسان أخوه أسد، وعلى شرطة البصرة مالك بن المنذر ابن الجارود، وعلى قضائها ثُمامة بن عبد الله بن أنس(٢).

وفيها توفي

سالم بن عبد الله

ابن عمر بن الخطاب ﷺ، وكنيتُه أبو عُمر، وقيل: أبو عبد الله.

[وسالم] من الطبقة الثانية من أهل المدينة، وأمُّه أمُّ ولد [يقال لها: أم سالم].

وكان من خيار قريش وفقهائهم وزُهَّادهم.

وكان عبد الله بنُ عمر يُلام في حبِّه فيقول(٣):

يلومُونني في سالمٍ وألُومُهُمْ وجِلْدَةُ بينَ العينِ والأنفِ سالمُ

[وقد ذكرناه في ترجمة الحجاج بن يوسف.

وكان أبوه يقبِّلُه ويقول: شيخٌ يقبِّلُ شيخاً، ويقول: أُحبُّه حبَّ الإسلام وحبَّ القرابة.

قال: وكان أبيض الرأس واللحية، وكان قميصه إلى أنصاف ساقيه](٤).

[وقال مالك بن أنس:] كان سالمٌ يلبس الثوب يساوي درهمين، ولم يكن في زمانه أعبدَ ولا أزهدَ ولا أفقه منه(٥).

---

(١) تاريخ الطبري ٧/ ٣٥-٣٦.

(٢) المصدر السابق ٧/ ٣٩. وهذه الفقرة والقصة قبلها لم تردا في (ص).

(٣) عبارة (ص): وحكى ابن سعد بإسناده عن خالد بن أبي بكر قال: بلغني أن عبد الله بن عمر كان يُلام في حبِّ سالم فيقول... والخبر في «طبقات» ابن سعد ٧/ ١٩٥، وأخرجه من طريقه ابن عساكر في «تاريخه» ٧/ ٢٧، والكلام السالف بين حاصرتين من (ص).

(٤) الكلام بين حاصرتين من (ص)، وينظر في المصدر السابق ٧/ ١٩٥-١٩٦.

(٥) تاريخ دمشق ٧/ ٢٧ (مصورة دار البشير)، وصفة الصفوة ٢/ ٩١، والمنتظم ٧/ ١١٤.

[وقال محمد بن إسحاق:] كان يخرج إلى السوق، فيشتري حوائجه بنفسه.

و[حكى الحافظ الدمشقي أن سالماً] ما كان يأكل في بيته طعاماً إلا ومعه مسكين، فخرج مولاه يوماً يطلبُ مسكيناً، فلم يجد إلا عجوزاً عمياء حَدْباء، فأدخلها، فأكلت معه.

وكان أهلُ المدينة يكرهون أمَّهاتِ الأولاد حتى نشأ فيهم القُرَّاء السادة: عليّ بن الحسين، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله، ففاقوا أهلَ المدينة علماً وتقىً وزُهداً وعبادة وورعاً، فرغب الناسُ حينئذ في اتِّخاذ السَّراري[١].

و[قال المدائني:] لما احتُضر عبدُ الله بنُ عمر أوصى إلى ابنه عبد الله بن عبد الله، فقيل له: تركتَ سالماً، وهو أسنُّ من عبد الله! فقال: أكره أن أُدنِّسَ سالماً بالوصية وأُشغلَه عن العبادة.

ولما خرجت جنازة عبد الله بن عمر قال عبد الله لأخيه سالم: تقدَّم فصلِّ على أبيك. فقال [سالم]: يقدِّمُك أبي، وأؤخِّرك أنا! لا يكونُ ذلك أبداً[٢].

ودخل سالم على[٣] سليمان بن عبد الملك وعليه ثيابٌ غليظة رَثَّة، فلم يزل سليمان يُدنيه حتى أجلسَه معه على سريره، وعمر بن عبد العزيز في المجلس، وفي أُخريات الناس رجلٌ عليه ثيابٌ لها قيمة، فقال الرجل لعمر: أَمَا قَدَرَ خالُك أن يلبس ثياباً غير هذه؟! فقال له عمر: ما رأيتُ الثيابَ التي على خالي وضعته في مكانك، ولا رأيت ثيابك هذه رفعَتْك إلى المكان الذي فيه خالي.

[قال القاضي: لقد أحسن عمر في جوابه، وأجاد في الذَّبِّ عن خاله].

ورأى سليمان سالماً حَسَنَ السَّحْنة[٤]، فقال له: أيُّ شيء تأكلُ؟ قال: الخبز والزيت. فعجب سليمان منه.

---

(١) تاريخ دمشق ٧/ ٢٨ (مصورة دار البشير). ولم ترد هذه الفقرة في (ص).

(٢) المصدر السابق ٧/ ٢٩ـ٣٠ . وكلُّ ما سلف بين حاصرتين من (ص).

(٣) في (ص): ذكر المعافى بن زكريا أن سالماً دخل على...إلخ وهو في «تاريخ دمشق» ٧/ ٣٠ (مصورة دار البشير) والكلام الآتي بإثر الخبر بين حاصرتين من (ص).

(٤) عبارة (ص): وروى ابن أبي الدنيا أن سليمان رأى سالماً حسن السَّحنة... وينظر المصدر السابق ٧/ ٢٧ و٣٣ ، و«صفة الصفوة» ٢/ ٩١ ، و«المنتظم» ٧/ ١١٤ .

ودفع الحجَّاجُ إليه سيفاً[١]، وأمره أن يقتل رجلاً، فقال سالم للرجل: أمسلمٌ أنت؟ قال: نعم. قال: أصليتَ اليوم الصبح؟ قال: نعم. [قال:] فرجع إلى الحجَّاج، ورمى بالسيف، فقال الحجَّاج: لِمَ لم تقتله؟ قال: لأنه ذكر أنه مسلمٌ، وأنه صلَّى اليوم صلاةَ الصبح، وقد أخبرني أبي عن أبيه، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «مَنْ صلَّى صلاة الصُّبح فهو في ذمَّة الله تعالى»[٢]. فقال [له] الحجَّاج: إنما تقتلُه لأنَّه ممَّن أعانَ على قَتْلِ عثمان. فقال سالم: ههنا مَنْ هو أولى بعثمان منّي.

و[روى ابن أبي الدنيا أن سالماً] رأى في المنام كأنَّه يقرع باب الجنة. قيل: من؟ قال: سالم. قيل: كيف نفتح لمن لم تَغْبَرَّ قدماه في سبيل الله؟! فلما أصبح خرج غازياً إلى الشام[٣].

وزحم رجلاً في السوق، فقال الرجل له[٤]: ما أراك إلا رجلَ سُوء. فقال سالم: ما أحسبُك أبعدتَ!

وكان سالم يقوم الليل.

ذكر وفاته:

[حكى ابنُ سعد بإسناده عن عبد الله بن عمر بن حفص قال[٥]: نظر هشام بن عبد الملك إلى سالم بن عبد الله بن عمر يوم عرفة في ثوبين متجرّداً، فرأى فيه كِدْنة حسنة، فقال: ما طعامُك يا أبا عُمر[٦]؟ قال: الخبز والزيت. فقال هشام: فكيف تستطيع

(١) في (ص): وقال ابن سعد بإسناده عن عطاء بن السائب قال: دفع الحجاج بن يوسف إلى سالم بن عبد الله سيفاً... والخبر في «طبقات» ابن سعد ٧/ ١٩٥، وتاريخ دمشق ٧/ ٢٩.

(٢) أخرجه ابن سعد (كما سلف). وأخرجه أيضاً من طريق سالم عن أبيه مرفوعاً: الطبراني في «المعجم الكبير» ١٢/ (١٣٢١٠). وأخرجه مسلم (٦٥٧) من حديث جندب بن عبد الله رضي الله عنه.

(٣) تاريخ دمشق ٧/ ٣٢.

(٤) كذا في (خ) والخبر منها، ولم يرد في (ص)، وهو في «تاريخ دمشق» ٧/ ٣٢، و«صفة الصفوة» ٢/ ٩٠، و«المنتظم» ٧/ ١١٤ وفيها أن رجلاً زحم سالماً، فقال له سالم: بعضَ هذا رحمك الله! فقال له الرجل...إلخ.

(٥) طبقات ابن سعد ٧/ ١٩٩. وأخرجه من طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٧/ ٣٣-٣٤.

(٦) في (ص) (والكلام منها، وهو الواقع بين حاصرتين): يا أبا عمرو. والمثبت من المصدرين السابقين، وهو الصواب.

أكلهما؟! قال: أُخَمِّرُهُ، فإذا اشتهيتُه أكلتُه. قال: فوُعِكَ سالم، فلم يزل موعوكاً حتى قدم المدينة.

قال الجوهري: الكِدْنة: الشحم واللحم(١).

وقال ابن سعد بإسناده عن أبي فَرْوة قال: مات سالم بن عبد الله سنة ستّ ومئة في آخر ذي الحجة، وهشام بن عبد الملك يومئذ بالمدينة، وكان قد حجَّ بالناس تلك السنة، ثم قدم المدينة، فوافق موت سالم، فصلَّى عليه](٢).

قال سفيان بن عيينة: حجَّ سالم في السنة التي حجَّ فيها هشام بنُ عبد الملك، فدخل هشام الكعبة وسالمٌ فيها، فقال له: يا سالم، سَلْني حاجة. فقال: إني لأستحيي من الله أن أسألَ غيرَه في بيته.

وخرج سالم، فخرج هشام على إثره وقال له: قد خرجت، فسَلْني. فقال سالم: من حوائج الدنيا، أم من حوائج الآخرة؟ قال: بل من حوائج الدنيا. فقال سالم: ما سألتُها مَنْ يملكُها، فكيف أسألُها من لا يملكها(٣)؟!

فلما قدم هشام إلى المدينة وقد وُعِك سالم، دخل عليه يعودُه فقال: يا أبا عمر، ألك حاجة؟ قال: نعم، اتَّقِ اللهَ في أمة محمد ﷺ. قال: أوصِني بأهلك. قال: هم في سَعَةٍ من فضل الله.

ومات في آخر ذي الحجة وهشامٌ يومئذ بالمدينة، فصلَّى عليه، ورأى هشام كثرةَ الناسِ بالبقيع، فقال لإبراهيم بن هشام المخزوميّ: اضْرِبْ على الناس بعثَ أربعة آلاف. فسُمِّيَ عامَ أربعة آلاف، فكانوا يخرجون إلى الصوائف، فيكونون بالسواحل حتى يأتيَ غيرُهم(٤).

ولما رجع من جنازته دخل المسجد فإذا بالقاسم بن محمد بين القبر والمنبر، وكان قد ذهب بصرُه، فوقف عليه هشام وسلَّم، فقام القاسم إليه، فقال [هشام]: كيف أنتَ

(١) بعدها في (ص) (والكلام منها): وكان سالم يقوم الليل. وقد سلفت الفقرة من النسخة (خ).

(٢) الكلام السالف بين حاصرتين من (ص)، ثم لم يرد فيها الكلام الآتي حتى نهاية الترجمة.

(٣) تاريخ دمشق ٧/ ٣٢ (مصورة دار البشير)، وصفة الصفوة ٧/ ٩١، والمنتظم ٧/ ١١٤-١١٥.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ١٩٩، وتاريخ دمشق ٧/ ٣٤. وينظر «تاريخ» الطبري ٧/ ٣٤.

يا أبا محمد؟ كيف حالُك؟ قال: بخير. فقال هشام: واللهِ إني لأُحِبُّ أن يجعلَكم اللهُ بخير[١].

وهذا يدلُّ على تأخُّر موت القاسم.

وقال ابن الكلبي: لما دخل هشام المدينة دعا سالماً، فأكرمه وقال: هذا بقية الناس وابنُ الفاروق، وخيرُ أهل زمانكم. فحُمَّ سالم وقال: ألا ترون الأحول لَقَعَني بعينه[٢].

ثم مات سالم رحمة الله عليه.

وكان له من الولد: عُمر، وأبو بكر، وأمُّهما أمُّ الحكم بنت يزيد بن عبد القيس، وعبد الله، وعاصم، وجعفر، و[حفصة]، وفاطمة، وأمُّهم أمُّ ولد، وعبدُ العزيز، وعَبْدَة لأمِّ ولد[٣].

أسند سالم عن أبيه عبدِ الله، وأبي أيوب الأنصاري، وابنِ عباس، وأبي هريرة، واختلفوا في سماعه من عائشة رضوان الله عليها[٤].

وروى عنه الزُّهْري، ونافع مولى أبيه، وحُميد الطويل، ويزيد بن أبي مريم الدِّمشقي، وغيرُهم.

وقدم الشام على عبد الملك بكتاب أبيه بالبيعة له، وقدم على الوليد وعمر بن عبد العزيز[٥].

وكان كثيرَ الحديث ثقة عالياً رفيعاً، رحمةُ الله عليه[٦].

---

(١) بنحوه في «تاريخ» الطبري ٧/ ٢٩ .

(٢) في (خ) (والكلام منها): يعني بعينه. والمثبت من «التذكرة الحمدونية» ٩/ ٩١ ، و«بغية الطلب في تاريخ حلب» ٩/ ٤١٢١ . والخبر فيهما بنحوه، وشَرَحَها أبو عُبيد في «غريب الحديث» ٤/ ٤١٠ فقال: يقول: أصابني ما أصابني منها... يقال: لقعتُ الرجل بعيني: إذا أصبتَه بها. وسلف الخبر بنحوه قريباً بين حاصرتين من (ص).

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ١٩٤ ، وزيادة اسم «حفصة» بين حاصرتين منه.

(٤) نقل ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٧/ ٢٧ـ٢٨ عن البخاري أنه لم يسمع من عائشة ﵂.

(٥) تاريخ دمشق ٧/ ٢٣ـ٢٤ (مصورة دار البشير).

(٦) لم يرد في فقرة «ذكر وفاته» هذه في (ص) إلا ما سلف في أولها بين حاصرتين.

طاوس بن كَيْسان

أبو عبد الرحمن اليماني، من الطبقة الثانية من التابعين من أهل اليمن، واتفقوا على أنَّه كان مولًى [فحكى ابنُ سعد عن الواقدي أنه قال: كان طاوس مولى] بَحِير بن رَيْسان الحِمْيَرِيّ [وكان ينزل الجَنَد][(١)].

وقيل: مولى هَمْدان. وقيل مولًى لابن هَوْذَة الهَمْدَاني، وكان أبوه من أهل فارس[(٢)]، وليس هو من الأبناء، فوالى [أهل] هذا البيت.

وكان إماماً عالماً ورعاً خائفاً.

[قال وهب بن منبِّه:] حجَّ أربعين حجَّة. [قال:] وصلَّى الغداة بوضوء العَتَمة أربعين سنة[(٣)]، وجالس سبعين من الصحابة[(٤)].

ودخل هو ووَهْب بن مُنَبِّه على محمد بن يوسف أخي الحجَّاج في غداة باردة، فقعد طاوس على كرسيّ، فقال محمد: يا غلام، هلمَّ ذاك الطَّيْلسان فألْقِهِ على أبي عبد الرحمن. فألقَوْه عليه، فلم يزل يحرِّك كتفيه حتى ألقاه عنه، وغضبَ محمد بن يوسف، فلمَّا قاما قال له وَهْب: واللهِ إنْ كنتَ لَغَنِيّاً أن تُغضِبه علينا، لو أخذتَه فبعتَه وتصدَّقْتَ بثمنه على المساكين. فقال: لولا أخافُ أن أصيرَ إماماً في أخْذ أموالهم فيُقْتَدَى بي لفعلت[(٥)].

[وحكى ابن سعد أنَّه مرّ بقوم يبيعون المصاحف فاسترجع][(٦)].

وكان يقول: اللهمَّ ارْزُقْني الإيمان والعمل، واحْرِمْني المالَ والولد[(٧)].

---

(١) الجَنَد: بلدة باليمن. وماسلف بين حاصرتين من (ص).

(٢) لفظ عبارة (ص): قال: وقال الفضل بن دُكَيْن وغيره: هو مولًى لِهَمْدان، وكان أبوه من أهل فارس. قال: وقال عبد المنعم بن إدريس: هو مولًى لابن هَوْذة الهَمْداني، وكان أبوه من أهل فارس...إلخ. والكلام في «طبقات» ابن سعد ٨/ ٩٧.

(٣) صفة الصفوة ٢/ ٢٨٨ ، والمنتظم ٧/ ١١٥ . والكلام السالف بين حاصرتين من (ص).

(٤) المنتظم ٧/ ١١٥ . ووقع في «صفة الصفوة» ٢/ ٢٩٠ : خمسين، بدل: سبعين.

(٥) طبقات ابن سعد ٨/ ١٠١ ، وصفة الصفوة ٢/ ٢٨٥ـ٢٨٦ . ولم يرد هذا الخبر في (ص).

(٦) طبقات ابن سعد ٨/ ٩٩ . وهذا الخبر (وهو بين حاصرتين) من (ص).

(٧) حلية الأولياء ٤/ ٩ . ولفظه فيه: كثرة المال... وهو الأشبه.

[قال: وقال طاوس: إذا سلَّم عليك الذِّمّي فقل: علاك السلام][1].

وكان يقول: عجبتُ لإخواننا بالعراق كيف يُسمُّون الحَجَّاج مؤمناً[2]. وكان إذا مرَّ بالرؤوس في الروَّاسين فرآها مشوية لم ينعس[3] تلك الليلة من [شدَّة] خوفه.

ومرَّ يوماً فرأى رأساً مشوياً فصعق[4].

ومرَّ وقت السَّحَر [برجل نائم فقال: ما كنت أُرى أن أحداً ينام وقت السَّحَر][5].

وبعث إليه محمد بن يوسف وأيوب بن يحيى بخمس مئة دينار، وقالا[6] للرسول: إنْ أخذَها كسَيْناك، وأحْسَنَّا إليك. فأتى بها إلى طاوس وقال: هذه نفقةٌ أرسلَ بها إليك الأمير. قال: ما لي بها حاجة. ثم غفلَ عنه طاوس، فرمى بها في كُوَّة البيت، ثم ذهب فقال: قد أخَذَها. فلبثا حيناً، ثم بلغهما عنه شيء يكرهانه، فأرسلا إليه أن ابعث إلينا بمالنا. [فجاءه الرسول، فأخبره] فقال: واللهِ ما قبضتُ لهما مالاً. [وعرفا أنه صادق]، فقالا للرسول الذي بعثا معه المال: اذهب إليه. فجاء إليه فقال: [المالُ] الذي جئتُ به إليك؟ قال: هل قبضتُ منك شيئاً؟ قال: لا. قال: فأين وضعتَه؟ قال: في تلك الكوّة. قال: فأبصِرْهُ حيث وضعتَه. فمدَّ يده إلى الكوّة [فإذا بالصُّرَّة قد سدَّى عليها العنكبوت، فأخذَها ومضى بها إليهما.

[قال أبو نُعيم:] وجلس إليه ابنان لسليمان[7] بن عبد الملك، فلم يكترث بهما، فقيل له: ولد أمير المؤمنين! فقال: أردتُ أن يتعلَّما أن لله عباداً يحتقرون ما هم فيه.

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٩٩ . وهذا الكلام بين حاصرتين من (ص).

(٢) طبقات ابن سعد ٨/ ١٠٠ . قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ٥/ ٤٤ بعد إيراده الخبر: يشير إلى المرجئة منهم الذين يقولون: هو مؤمن كامل الإيمان مع عسفه وسفكه الدماء وسبِّه الصحابة.

(٣) في (ص): يتعشَّ.

(٤) حلية الأولياء ٤/ ٤ ، وصفة الصفوة ٢/ ٢٨٥ .

(٥) حلية الأولياء ٤/ ٦ (ونُسب الكلام في ص إليه)، وصفة الصفوة ٢/ ٢٨٩ ، والكلام بين حاصرتين من (ص).

(٦) كذا في (ص). وفي (خ): وقالوا. وسياق الخبر في النسختين على الاثنين. وقد نُسب الخبر في (ص) إلى يعقوب ابن سفيان، وهو عنده في «المعرفة والتاريخ» ١/ ٧٠٨ وفيه أن محمد بن يوسف أو أيوب بن يحيى بعث إلى طاوس...إلخ، والخبر فيه على الإفراد، وكذا هو عند عبد الرزاق (٢١٠٣٢)، و«حلية الأولياء» ٤/ ١٤ . ومحمد بن يوسف هو أخو الحجَّاج. والكلام الآتي في الخبر بين حاصرتين من (ص).

(٧) كذا في (خ) و(ص). وفي «حلية الأولياء» ٤/ ١٦ (والخبر منه): ابن لسليمان... وهو كذلك في «صفة الصفوة» ٢/ ٢٨٧ .

وسأله سَلْم بن زياد عن مسألة، فلم يعرّج عليه وانتهرَه، فقيل له: إنه سَلْم صاحب خُراسان قال: فذاك أهونُ له عليّ.

[قال الحميديّ:] ولم يكن في زمن طاوس أزهدَ منه[١].

[قال الهيثم:] وكان إذا خرج من اليمن إلى مكة لم يشرب من الآبار التي احتفرها السلطان، ويشربُ من الآبار القديمة[٢].

ومرَّ بنهر قد كراه السلطان، فأرادت بغلته أن تشرب منه، فمنعها[٣].

وكان يُفرَش له الفراش فيُدرجُه ويقول: طَيَّرَ ذكرُ جهنَّم نومَ العابدين. ويتقلَّى كما تتقلَّى الحبَّة على المِقْلى، أقام كذلك أربعين سنة[٤].

وقال عطاء: قال لي طاوس: لا تُنزل حاجتك بمن أغلقَ دونك أبوابَه وقد جَعل عليها حُجَّابَه، ولكن أنزلها بمن بابُه لك مفتوح، وقد أمرك أن تدعوَه، وضمنَ أن يستجيبَ لك[٥].

وقال طاوس: ما من شيء يتكلَّم به الإنسان إلا أُحصي عليه حتى أنينُه في مرضه[٦] [فكان طاوس يكره الأنين].

واقتدى به الإمام أحمد رحمه الله، فإنه ما أنَّ في مرضه حتى مات.

وقال عبد الله بن أبي صالح المكي: دخل طاوس عليَّ يعودُني فقلت له: ادْعُ لي، فقال: ادْعُ لنفسك، فإنه يجيب المضطّر إذا دعاه[٧].

---

(١) جاءت هذه الفقرة والتي قبلها في (ص) بالسياق التالي: قال الحميدي: لم يكن في زمان طاوس أزهد منه، سأله سالم (كذا) بن زياد عن مسلمة فلم يعرّج عليه وانتهره فقيل له: إنه سالم...

(٢) صفة الصفوة ٢/ ٢٨٨.

(٣) المصدر السابق. ولم يرد هذا الخبر في (ص).

(٤) صفة الصفوة ٢/ ٢٨٩، والتبصرة ٢/ ٣٢٢ دون قوله: أقام كذلك أربعين سنة، ونُسب الخبر في (ص) لابن أبي الدنيا.

(٥) حلية الأولياء ٤/ ١١، وصفة الصفوة ٢/ ٢٨٨. ونُسب الخبر في (ص) لابن أبي الدنيا.

(٦) حلية الأولياء ٤/ ٤، ونُسب الخبر في (ص) إليه والكلام بعده بين حاصرتين منها.

(٧) حلية الأولياء ٤/ ١٠، وصفة الصفوة ٢/ ٢٨٩. ونُسب الخبر في (ص) لأبي نعيم صاحب «الحلية».

[وروى عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل عن أبيه عن سفيان قال:] قال طاوس: إن الموتى يُفتنون في قبورهم سبعاً، فكانوا يستحبُّون أن يُطْعَم عنهم في تلك الأيام[(١)].

[وروى عبد الله أيضاً عن أبيه، عن سفيان الثوري قال: قلت لعبد الله بن أبي يزيد: مع من كنتَ تدخلُ على ابن عباس؟ قال: مع عطاء والعامَّة، وكان طاوس يدخل مع الخاصَّة][(٢)].

ذكر وفاته:

مات بمكة قبل يوم التروية بيوم، وكان هشام قد حجَّ في تلك السنة وهو خليفة سنة ستٍّ ومئة، فصلَّى عليه، وكان له يوم مات بضع وتسعون سنة[(٣)].

أسند [طاوس] عن خلق من الصحابة، وأكثرُ رواياته عن ابن عباس، وروى عنه أئمة التابعين؛ مجاهد، وعطاء، وعَمرو بن دينار، ومحمد بن المنكدر، ووَهْب بن مُنَبِّه، والزُّهري، وأبو الزُّبير، وغيرهم.

وقال طاوس: بينا أنا بمكة بعث إليَّ الحجاج [بن يوسف] فأتيتُه، فأجلسني إلى جنبه وأتكأني على وسادة إذ سمع ملبِّياً يلبِّي حول البيت رافعاً صوته بالتلبية، فقال: عليَّ بالرجل. فأُتيَ به، فقال: ممَّن الرجل؟ قال: من المسلمين. قال: ليس عن هذا سألتُك، إنما سألتُك عن البلد. قال: من اليمن. قال: كيف تركتَ محمد بن يوسف[(٤)]؟ قال: تركتُه جسيماً لبَّاساً رَكَّاباً، خَرَّاجاً ولَّاجاً. قال: ليس عن هذا سألتُك، إنما سألتُك عن سيرته. قال: تركتُه ظلوماً غَشوماً مطيعاً للمخلوق عاصياً للخالق. فقال له الحجَّاج: ما حملَك على أن تتكلَّم هذا الكلام وقد علمتَ مكانه منّي؟! فقال الرجل: أتراه بمكانه [منك] أعزَّ مني [بمكاني] من الله تعالى وأنا وافدُ بيتِه ومصدِّق نبيِّه ﷺ؟! فسكت الحجاج ولم يُحِرْ جواباً، وقامَ الرجل من غير إذن فانصرف.

---

(١) حلية الأولياء ٤/ ١١، وصفة الصفوة ٢/ ٢٨٩. والكلام بين حاصرتين من (ص).

(٢) حلية الأولياء ٤/ ٩، وصفة الصفوة ٢/ ٢٩٠. وهذه الفقرة (بين حاصرتين) من (ص).

(٣) طبقات ابن سعد ٨/ ١٠٢، وصفة الصفوة ٢/ ٢٩٠.

(٤) يعني أخا الحجَّاج.

قال طاوس: فقلت في نفسي: الرجل حكيم، فقمتُ خلفه، فجاء إلى البيت، فتعلَّق بأستار الكعبة، ثم دعا بدَعَوات فقال: اللهمَّ بك أعوذُ وبك ألُوذُ، اللهمَّ اجعلْ لي في اللَّهَف إلى جُودك والرضى بضمانك[١] مندوحة عن بخل الباخلين، وغنىً عمَّا في أيدي المستأثرين، اللهمَّ فرجَك القريب ومعروفَك القديم.

ثم ذهب، فرأيتُه عشيَّة عرفةَ وهو واقفٌ يقول: اللهم إن كنتَ لم تقبل حجِّي وتعبي ونَصَبي، فلا تحرمني الأجر على مصيبتي. ثم جعل يقول: واسوأتاه منك وإن عفوتَ.

ثم غاب عني فلم أره بعد ذلك، فوقع لي أنه من الأبدال[٢].

[قال الواقدي:] وكان لطاوس ابنٌ يقال له: عبد الله، من العلماء الزُّهَّاد، وذكره ابن سعد في الطبقة الثالثة من التابعين من أهل اليمن. [قال:] وكنيته أبو محمد [مات في خلافة أبي العبَّاس السفَّاح، وكذا قال ابن سعد. ورُوي عنه أنه عاش إلى أيام المنصور][٣].

قال مالك بن أنس: لمَّا وَلِيَ أبو جعفر المنصور الخلافة بعث إليَّ وإلى ابنِ طاوس، فدخلنا عليه وبين يديه أنطاعٌ قد فُرشت، وجَلاَوزة بأيديهم السيوف يضربون الأعناق، فجلسنا وهو مطرقٌ، فرفع رأسه وقال: يا ابنَ طاوس، حدِّثني. فقال: حدَّثني أبي عن جدِّك ابن عباس، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أشدُّ الناس عذاباً يومَ القيامة رجل أشركه الله في حكمه، فأدخل الجَوْرَ في عدله». قال مالك: فضممتُ ثيابي خوفاً أن ينتضح عليها من دمه. فأطرقَ أبو جعفر ورفع رأسه ثم قال: إيه يا ابن طاوس، عِظْني. فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ * ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ٦-١٤] فقال له أبو جعفر: يا ابن طاوس، ناولني الدَّواة. فقال: لا والله. قال: ولم؟! قال: خوفاً أن تكتب بها مظلمة أو إراقة دم مسلم،

---

(١) في (خ): بقضائك، والمثبت من (ص)، وهو الموافق لما في «الأولياء» لابن أبي الدنيا (٨٨).

(٢) المصدر السابق، وهو أيضاً في «تاريخ دمشق» ٦٥/ ٣٣٢-٣٣٣ (ترجمة محمد بن يوسف الثقفي)، وصفة الصفوة ٢/ ٢٩٨، والمنتظم ٧/ ١١٦.

(٣) ينظر «طبقات» ابن سعد ٨/ ١٠٥. والكلام السالف بين حاصرتين من (ص).

فأكونَ شريكَك فيه. فقال: فاخْرُجا عني. قال مالك: فقمنا فخرجنا، ووالله ما زلتُ أعرفُ الفضلَ لابن طاوس عليَّ(١).

محمد بن شعيب بن شابور(٢)

القرشي مولاهم، جدُّه [شابور] مولى الوليد بن عبد الملك، ومحمد من الطبقة الخامسة من أهل الشام، وقيل: من السادسة، كان يسكن بيروت وبها مات، وقيل: تأخَّر موتُه عن هذه السنة، كان أحد الأئمة الثقات، وغمزه يحيى بنُ معين بالإرجاء، ويقال: إنه مات في سنة مئتين، والله أعلم.

السنة السابعة بعد المئة

فيها وقع في الشام طاعون شديد، فأفنى الناس.

وغزا ميمون بن مِهْران البحر في جيش، وكان فيهم معاوية بنُ هشام بن عبد الملك، وأقام بقُبرس أياماً، وعادوا ومعهم نصفُ الجيش الذي ضربه هشام على أهل المدينة(٣)، وبقي نصفه على وجه البَدَل(٤).

وفيها دخل جماعة من دعاة بني العباس إلى خُراسان، منهم أبو محمد الصادق، ومحمد بن خُنيس، وعمار العبادي(٥)، بعث بهم بُكير بن ماهان، وكان أسد بن عبد الله القسري على خُراسان، فوشَى بهم رجلٌ من كِنْدة وقال: ههنا قومٌ يُفسدون الدولة ويدعون إلى الرِّضا من آل محمد، وكان قد بلغ أسدَ حديثُهم، فأوقع عليهم العيون، وكانوا جماعة، فأخذهم، فقتلهم شرَّ قِتْلة، وقطَّع أيديَهم وأرجلَهم من خلاف، وصلبهم، ونجا عمّار العبادي وعاد إلى بُكير بن ماهان(٦).

---

(١) العقد الفريد ١/ ٥٤ـ٥٥، والتذكرة الحمدونية ٣/ ١٨٦ـ١٨٧. ونُسب الخبر في (ص) لهشام بن محمد.

(٢) تحرف الاسم في (خ) إلى: محمد بن سعيد بن سابور. ولم ترد الترجمة في (ص)، وهو الصواب، وإيرادها في (خ) هنا وهم، لأن وفاة المترجم سنة (٢٠٠) كما سيرد. وتنظر الترجمة في «تاريخ دمشق» ٦٢/ ٣٠٦ (طبعة مجمع دمشق).

(٣) قوله: الذي ضربه هشام على أهل المدينة، ليس في (ص).

(٤) ينظر «تاريخ» الطبري ٧/ ٤٠، وما سلف في ترجمة سالم بن عبد الله بن عمر ﵃ في تراجم سنة (١٠٦) عن هذا الجيش.

(٥) في (ص): العبادلي.

(٦) ينظر «تاريخ» الطبري ٧/ ٤٠.

وقال المصنف رحمه الله: وهذا **بُكير بن ماهان** كنيتُه أبو هاشم الحارثي، أحدُ دعاة بني العباس، قدم على محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس إلى البَلْقاء، وأقام عنده مدَّة، وأخذ عنه، وبعثَه إلى خُراسان داعياً، وقدم على إبراهيم بن محمد الإمام(١) بعد ذلك، فبعث به إلى خُراسان.

وروى عنه أبو القاسم الحافظ الدمشقيّ أنه قال: يلي من ولد العبَّاس أكثرُ من ثلاثين رجلاً، منهم ستة يُسَمَّوْن باسم واحد، وثلاثةٌ باسم واحد، ويفتح أحد الثلاثة القسطنطينية.

وكان يكثر(٢)... الدعاة بخراسان، فبعث عَمَّارَ بنَ يزيد إلى خُراسان في سنة ثمان عشرة ومئة، فغيَّر اسمه بخِداش، ثم دعا بهم أوَّلاً إلى بني العبَّاس، فأجابوه، ثم تغيَّر وأظهر دين الخُرْميَّة(٣)، وأباح المحرَّمات، وأخبرهم [أنه] إنما فعل ذلك بأمر الإمام محمد بن علي. وبلغَ أسدَ بن عبد الله، فوضع عليه العيون، فأُخذ وجيء به إلى أسد، فسأله فأغلظ خِداش [له القول] فأمر أسد بقطع يديه ورجليه وسمل عينيه وسلّ لسانه(٤)، وقال أسد: الحمد لله الذي انتقم لأبي بكر وعمر منك. ثم صلبه، وذلك بآمل، وكان أسد بها(٥).

وقال المصنف رحمه الله: وقوله: يلي من بني العباس أكثرُ من ثلاثين رجلاً، منهم ستَّةٌ يُسَمَّوْن باسم واحد، وثلاثةٌ باسم واحد، يفتحُ أحدُهم القسطنطينية؛ فإنه قد وَلِيَ منهم من سنة اثنتين وثلاثين ومئة إلى سنة اثنتين وخمسين وستِّ مئة ستةٌ وثلاثون خليفة، أوَّلُهم السفَّاح، وآخِرُهم المستعصم.

فمنهم سبعة اسم كل واحد عبد الله، وهم: السفَّاح، والمنصور، والمأمون، والمستكفي، والقائم، والمقتدي، والمستعصم.

---

(١) هو إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، عهد إليه أبوه محمد بن علي بالإمامة من بعده.

(٢) في هذا الموضع كلمة لم تتبين لي رسمها: بيت. ولعلها: بثّ.

(٣) هم الذين يقولون بالتناسخ والإباحة.

(٤) كذا في (خ) (والكلام منها). وفي «تاريخ» الطبري ٧/ ١٠٩ ، و «تاريخ دمشق» ٣/ ٤٢٢ (ترجمة بكير بن ماهان): وقطع لسانه.

(٥) المصدران السابقان.

ومنهم ثمانية اسم كل واحد منهم محمد، وهم: المهدي، والمعتصم، والأمين[١]، والمعتزّ، والمهتدي، والقاهر، والراضي، والظاهر[٢].

ومنهم ستة اسم كل واحد منهم أحمد، وهم: المستعين، والمعتمد، والمعتضد، والقادر، والمستظهر، والناصر.

ومنهم اثنان اسم كل واحد منهم الفضل، وهما: المطيع، والمسترشد.

واثنان اسمهما منصور، وهما: الراشد، والمستنصر.

واثنان اسم كل واحد منهما جعفر، وهما: المتوكِّل، والمقتدر.

وواحد اسمه علي، وهو المكتفي.

وواحد اسمه موسى، وهو الهادي.

وواحد اسمه إبراهيم، وهو المتَّقي.

واثنان اسم كل واحد منهما هارون، وهما: الرشيد والواثق.

وواحد اسمه عبد الكريم، وهو الطائع.

وواحد اسمه الحسن، وهو المستضيء.

وواحد اسمه يوسف، وهو المستنجد.

فهؤلاء ستة وثلاثون[٣] قد اتفقت منهم ستة أسامي كما ذكر بُكير، ولم يتفق منهم ثلاثة أسامي، ونرجو أن يتفق ذلك ويكون فتح القسطنطينيَّة على يد الثالث، فإنَّ الخلافة باقية في بني العباس إلى يوم القيامة بالحديث الثابت[٤].

---

(١) في الترتيب الزمني: الأمين ثم المعتصم.

(٢) لم يذكر المصنف فيمن اسمه محمد: أبا جعفر المنتصر محمد بن المتوكل، وأبا عبد الله المقتفي محمد بن المستظهر.

(٣) العدد حسب كلام المصنف خمسة وثلاثون. ثم إنه ترك بعضهم، فليحرر كلامه.

(٤) من قوله: وقال المصنف رحمه الله وهذا بُكير (أوائل أحداث هذه السنة)... إلى هذا الموضع ليس في (ص).
وقوله: «بالحديث الثابت» يشير إلى خبر مُلك أولاد العبَّاس وأنه لا يزال فيهم حتى يدفعوه إلى عيسى ابن مريم. وهو خبر غير ثابت. أورد ابنُ الجوزي طرقه في «الموضوعات» (٦٤٠) - (٦٤٦).

وفيها غزا أسد بن عبد الله جبال الطالقان والغَوْر، وكان أهلُها قد هربوا بأهاليهم وأموالهم إلى كهف عظيم في جبل شامخ ليس فيه طريق مسلوك، فعهد[١] أسد توابيت وربطَها بالسلاسل، ودلَّاها عليهم، فظفر بهم، وعاد سالماً غانماً، فنزل بَلْخ، وبنى مدينتَها، وولَّاها بَرْمَك أبا خالد البَرْمَكيّ، ونقل إليها من الجند والأمراء من كان ينزل بالبَرُوقان. والبَرُوقان عن بَلْخ مقدار فرسخين، وبين النُّوبَهار وبَلْخ مقدار غَلْوتَيْن[٢].

فقال أبو البريد يمدح أسداً:

إنَّ المباركةَ التي حصَّنْتَها ... أَمِنَ الزمانَ بها الذليلُ الخائفُ

ومضى لك الذِّكْرُ الذي يَرْضَى بِهِ ... عنك الإلهُ بما نَوَيْتَ فلاطف

يا خيرَ مَلْكٍ ساسَ خيرَ رعيَّةٍ ... إني على صِدْقِ اليمينِ لحَالفُ

اللهُ أمَّنَها بعزمك بعدما ... كانت قلوبٌ خائفاتٌ رواجفُ[٣]

وحجَّ بالناس إبراهيم بن هشام المخزومي بالاتفاق[٤] وهو على مكة والمدينة والطائف، وخالد القَسْريّ على العراق[٥].

ومات في هذه السنة.

عطاء بن يزيد الليثي

شيخ الزُّهري. وكنيتُه أبو محمد الكِناني، وكان فاضلاً، توفي وهو ابن اثنتين وثمانين سنة[٦].

السنة الثامنة بعد المئة

فيها غزا مسلمةُ بنُ عبد الملك بلادَ الروم، ففتح قيساريَّة الروم.

---

(١) في (ص): فعمد.

(٢) قوله: وبين النُّوبهار وبَلْخ مقدار غَلْوَتَين، ليس في (ص).

(٣) تاريخ الطبري ٧/ ٤١-٤٢. والشعر فيه بنحوه.

(٤) كلمة: الاتفاق، ليست في (ص).

(٥) المصدر السابق.

(٦) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٤٥ وذكره في الطبقة الثانية من أهل المدينة من التابعين.

وفيها وقع حريق بدابق.

[قال الواقدي:] احترقت المراعي والدوابّ والرِّجال.

وفيها غزا أسدُ بنُ عبد الله الخُتَّل.

جاء خاقان لقتال أسد[١]، فوجده قد رجع وقطع النهر. وقيل: إن خاقان هزم أسداً [ذكره أبو عبيدة]. ورجع أسد مفلُولاً إلى مَرْو، وأقبل خاقان إلى بَلْخ.

ووقع عندهم الغلاء في رجوعهم، فبيعت شاة بخمس مئة درهم، اشتراها عثمان بن عبد الله بن الشِّخِّير، وكان في ذلك الجيش.

وحجَّ بالناس إبراهيم بن هشام المخزومي وهو على ولايته[٢]، والعمال الذين كانوا في السنة الماضية على حالهم.

وفيها توفي

بَكْر بن عبد الله المُزَنيّ

البصري، من الطبقة[٣] الثانية من التابعين من أهل البصرة [وليس هو بأخي علقمة][٤].

وكان ثقة مأموناً ثبتاً كثير الحديث، حُجَّةً فقيهاً.

وكان يقول: عزمتُ على نفسي أن لا أسمع قوماً يذكرون القدر إلا قمتُ وصلَّيتُ ركعتين.

ووقف على عرفة فرقَّ وقال: لولا أني واقف فيهم لقلت: قد غُفر لهم[٥].

---

(١) عبارة (ص): واختلفوا هل كانت هذه الغزاة له أم عليه؟ على قولين: أحدهما أن خاقان جاء لقتال أسد...

(٢) يعني على المدينة ومكة والطائف، وينظر «تاريخ» الطبري ٧/ ٤٥ .

(٣) عبارة (ص): ذكره ابن سعد في الطبقة... وهو في «طبقات» ابن سعد ٩/ ٢٠٨ .

(٤) نقل المزي في «تهذيب الكمال» ٤/ ٢١٦ عن أبي حاتم قوله: هو أخو علقمة بن عبد الله المزني. ثم قال: وقال غيره: ليس بأخيه. وهذا الكلام بين حاصرتين من (ص).

(٥) ينظر ما سلف في المصدر السابق. ولم يرد الخبر الأخير في (ص).

وقال صالح المُرِّي: وقف مطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير وبكر بن عبد الله المُزَني بعرفة، فقال مطرِّف: اللهم لا تردَّهم اليوم من أجلي، وقال بكر: ما أشرفَه من مقام وأرجاه لأهله لولا أني فيهم[١].

وكانت قيمة كسوة بكر أربعة آلاف، وكانت أمُّه مُوسرةً، وكان زوجها كثير المال، وكان يكره أن يردَّ عليهما[٢] شيئاً.

واشترى طيلساناً بأربع مئة درهم[٣].

ومرض فدخل الناس عليه يعودونه، فجلسوا، فقال بكر: المريض يُعاد، والصحيح يُزار[٤].

[وكان يخضب بالسواد].

وقال: إذا رأيتَ من هو أكبرُ منك فقل: هذا سبقني بالإيمان والعمل الصالح، فهو خير مني، وإذا رأيتَ من هو أصغر منك فقل: سبقتُه إلى المعاصي، فهو خيرٌ مني، وإذا رأيتَ إخوانك يعظّمونك ويكرمونك فقل: هذا فضلٌ منهم عليّ، وإذا رأيتَ منهم تقصيراً فقل: هذا بذنب أحدثتُه[٥].

[وفي غير رواية ابن أبي الدنيا: إذا رأيتَ من هو أكبر منك، فقل: عَرَفَ اللهَ قبلي، وإذا رأيتَ من هو أصغر منك، فقل: عصيتُ اللهَ قبله، وإذا رأيتَ من هو مثلك، فقل: أنا من ذنوبي على يقين، ومن ذنوب هذا على شكّ][٦].

وقال حُميد: كان بكر مجابَ الدعوة[٧].

---

(١) صفة الصفوة ٣/ ٢٤٨ . ووقع هذا الخبر في (ص) أواخر الترجمة.

(٢) في (ص): عليها. والخبر في «طبقات» ابن سعد ٩/ ٢٠٩ .

(٣) للخبر تتمة في «طبقات» ابن سعد ٩/ ٢٠٩، وهي: فأراد الخياط أن يقطعه، فذهب ليذرّ عليه تراباً، فقال له بكر: كما أنت. فأمر بكافور فسُحق، ثم ذرّه عليه.

(٤) المصدر السابق ٩/ ٢١٠ .

(٥) حلية الأولياء ٢/ ٢٢٦ . ونُسب الخبر في (ص) لابن أبي الدنيا.

(٦) الخبر بين حاصرتين من (ص).

(٧) حلية الأولياء ٢/ ٢٣٠ . ونُسب القول في (ص) إلى صاحبه أبي نُعيم.

وقال عبد الله بن أحمد: كان بكر يقول: من مثلُك يا ابن آدم وقد خُلِّيَ بينك وبين الماء[(١)] والمحراب كلما شئتَ دخلتَ على الله ليس بينك وبينه ترجمان[(٢)].

[ذكر وفاته:

قال ابن سعد: حدثنا مؤمَّل بن إسماعيل قال: مات بكر سنة ستّ ومئة، وهو أثبت عندنا، وقيل: سنة ثمان ومئة][(٣)].

أسند بكر عن ابن عُمر، وجابر، وأنس، ومعقل بن يسار، وعبد الله بن معقل، وغيرهم.

عثمان بن حَيَّان

ابن مَعْبَد أبو المَغْرَاء، مولى أم الدَّرداء.

كان جبَّاراً غَشوماً، ولَّاه الوليد المدينة سنة أربع وتسعين [وعَزَلَ عنها عمر بن عبد العزيز].

[وقال مالك بن أنس:] وكان يُنشد الأشعار على منبر رسول الله ﷺ، ويأكلُ التمر، ويرمي أهل المسجد بالنَّوَى، ويستخفُّ بأهل المدينة، ويسبُّ علياً عليه السلام، وحلق رؤوسَ جماعة ولحاهم، وكان يؤذي الفقهاء، فلقَّبوه الخبيث.

[وما ولّاه الوليد المدينة إلا ليكون عوناً للحجَّاج على سفك الدماء والظلم].

وكان قد التجأ إلى المدينة جماعة من أهل العراق، فبعث بهم إلى الحجَّاج، فضرب رقابَهم، وأقام والياً على المدينة ثلاث سنين، فما أبقى قبيحاً إلا ارتكبه.

فلما مات الحجَّاج والوليد وكان أهل المدينة يقولون في الأزقَّة: يا مهلك مَنْ مضى، أهْلِكْ من بقي. فيقول عثمان: أنا الباقي.

ولما عُزل لعنوه في وجهه وسبُّوه.

---

(١) لعله يعني الدموع. وينظر التعليق التالي.

(٢) الخبر في «حلية الأولياء» ٢/ ٢٢٩، وفيه: خُلِّيَ بينك وبين المحراب... وفي آخره: إنما طيب المؤمنين هذا الماء المالح. وجاء في حاشية الكتاب: بالهامش قيل: يعني الدموع.

(٣) طبقات ابن سعد ٩/ ٢١٠. والكلام بين حاصرتين من (ص).

[وكانت وفاته في هذه السنة، وقيل في غيرها][(١)].

مُوَرِّق بن المُشَمْرِج

[أبو المعتمر] العجلي البصري، من الطبقة الثانية[(٢)] من التابعين [من أهل البصرة].

كان ثقةً عابداً، وكان يقول: أطلب[(٣)] أمراً منذ عشرين سنة لم أقدر عليه، فقيل له: وما هو؟ قال: الصمت عمَّا لا يعنيني.

[وقال: تعلَّمتُ الصمت عشرين سنة. أو عشر سنين][(٤)].

وقال: ما قلتُ شيئاً في حال الغضب فندمتُ عليه في حالة الرِّضى، وربما أتَتْ عليَّ السنة لا أغضبُ فيها.

[وقال مورِّق: ما وجدتُ للمؤمن مثلاً في الدُّنيا إلا كمثل رجل على خشبة في البحر وهو يقول: لعل الله ينجيني][(٥)].

[قال[(٦)]: وكان يُفلِّي رأس أمه].

وكان يدخلُ على إخوانه فيضع عندهم الدراهم ويقول: أمسكوها حتى أعودَ إليكم. ثم يبعث إليهم: أنفقوها، فأنتم [منها] في حِلٍّ[(٧)].

وطبخ له غلام بيضاً في قِدْر، فقال: في أيِّ شيء طبختَه؟ قال: في قِدْرٍ رُهِنَ عندي. فلم يأكله، وكره استعمال الرَّهن.

وقال غيلان بن جرير[(٨)]: حبس الحجَّاج مورِّقاً في السجن فلقيَني مُطَرِّف فقال: ما صنعتُم في صاحبكم؟ [قال:] قلت: محبوس. قال: تعال حتى ندعو [قال:] فدعا

---

(١) تنظر الترجمة في «تاريخ دمشق» ٤٥/ ١٩٦ـ٢٠٨ ، وما سلف فيها من كلام بين حاصرتين من (ص).

(٢) في (ص): ذكره ابن سعد في الطبقة الثانية... وهو في «طبقاته» ٩/ ٢١٢ . والكلام السالف والآتي بين حاصرتين من (ص).

(٣) في (خ) و(ص): يقول لي أطلب(؟) ولفظة «لي» سهو، وعبارة «طبقات» ابن سعد: أمرٌ أنا في طلبه.

(٤) الكلام بين حاصرتين من (ص). وهو في «طبقات» ابن سعد ٩/ ٢١٢ .

(٥) المصدر السابق ٩/ ٢١٣ . والكلام من (ص).

(٦) قوله: قال، يعني ابن سعد. وهو في «الطبقات» ٩/ ٢١٤ .

(٧) المصدر السابق.

(٨) في (ص): وحكى ابن سعد عن غيلان بن جرير قال... والخبر في «طبقات» ابن سعد ٩/ ٢١٥ .

مطرِّف، وأمَّنَّا على دعائه. فلما كان العِشاء، خرج [الحجاج] فجلس وأَذِنَ للناس، فدخلوا عليه، وفيهم أبو مورِّق، فدعا الحجَّاجُ حَرَسياً وقال: اذْهَبْ بذاك الشيخ إلى السجن، فادفع إليه ابنه.

[وكانت وفاتُه في هذه السنة.

وقال ابن سعد: توفي مورِّق في ولاية عمر بن هُبيرة على العراق][1].

موسى بن محمد

[ابن علي] بن عبد الله بن عبَّاس، أبو عيسى الهاشمي، وهو أخو السَّفَّاح والمنصور لأبيهما، وأخو إبراهيم الإمام لأبيه وأمِّه.

وُلد بالشَّراة من أعمال البلقاء، ومات في حياة أبيه محمد غازياً في بلاد الروم وله ثماني عشرة سنة، وقيل: سبع وعشرون سنة، وروى عن أبيه محمد[2].

نُصَيْب بن رباح

أبو مِحْجَن الشاعر مولى عبد العزيز بن مروان، وأمُّه نُوبيَّة، فجاء أسودَ، فباعه عمُّه[3].

و[قال ابن الكلبي:] كان من العرب من بني الحاف بن قُضاعة [وكانت أمُّه سوداء، فوثب عليها سيِّدها، فجاءت به، فباعه عمُّه من رجل، فاشتراه عبد العزيز بن مروان].

وقيل: إنه هرب، فدخل على عبد العزيز [بن مروان] فمدحه، فقال: ما حاجتُك؟ فقال: أنا عبدٌ. فقال عبد العزيز للمقوِّمين: قَوِّموه. فقالوا: عبدٌ أسودُ ليس به عيب بمئة[4] دينار. قال: إنه راعي إبل يُحسنُ القيام عليها. قالوا: مئتا دينار. قال: إنه يَبْرِي

(١) المصدر السابق. والكلام بين حاصرتين من (ص).

(٢) كذا في (خ) (ولم ترد الترجمة في ص). ولم يُذكر له رواية. ولعل صواب العبارة: وغزا مع أبيه محمد. وتنظر ترجمته في «تاريخ دمشق» ١٧/ ٤٠٣ (مصورة دار البشير) وأوردها ابن الجوزي في «المنتظم» ٧/ ١٢٤ مختصرة. وتنظر ترجمة أبيه محمد بن علي بن عبد الله في «طبقات» ابن سعد ٧/ ٤٧٠-٤٧١ .

(٣) الأغاني ١/ ٣٢٤ ، وتاريخ دمشق ١٧/ ٥٥٥ (مصورة دار البشير)، والمنتظم ٧/ ١٢٥ .

(٤) في (ص): قيمته مئة.

النَّبْل ويَرِيشُها. قالوا: ثلاث مئة دينار. قال: إنه يرمي فيُصيب. قالوا: أربع مئة دينار. قال: إنه راوية للأشعار. قالوا: ستّ مئة دينار. قال: فإنه شاعر. قالوا: ألف دينار. فاشتراه بألف دينار. فقال: أصلح الله الأمير، فأين جائزتي؟ فأعطاه ألف دينار، فاشترى أمَّه وأهلَه وأعتقَهم[١].

وذكره محمد بن سلّام في الطبقة السادسة من شعراء الإسلام[٢]. قال[٣]: وكان حسن الشِّعر، عفيف الفرج، سخيّاً، يفضُل على الناس بماله وطعامه [وكان أهل البادية يسمُّونه (النُّصيب) بالألف واللام لما يرون من جُوده وسخائه][٤] ولم يَهْجُ أحداً تديّناً.

[وقال: وكان عبداً لبني كعب راعياً لهم، فباعوه من قلاص بن محرز الكناني، فكان يرعى إبلَه][٥].

ومدح عبد العزيز بن مروان وعبد الملك وأولادهما، وحصلَ له منهم الأموال [الكثيرة].

ومدح يوماً هشام بن عبد الملك، فقال له: سلني. فقال: يدُك بالعطيَّة أبسطُ من لساني بالمدح. فقال: هذا واللهِ أحسنُ من مدحك بالشعر. وأجزلَ جائزتَه[٦].

[وكان يخلو بهشام، فينشده مراثي بني أمية[٧]، فيبكي هشام ويبكي معه نُصيب، ونُصيب هو الذي ذكرناه في ذكر ترجمة عمر بن عبد العزيز].

---

(١) الأغاني ١/ ٣٣٣-٣٣٤، والمنتظم ٧/ ١٢٥.

(٢) طبقات فحول الشعراء ٢/ ٦٧٥.

(٣) سياق الكلام يظهر أن القائل هو ابنُ سلّام. ولم أقف عليه من كلامه، وهو في «المنتظم» ٧/ ١٢٥، وبنحوه لمحمد بن كُناسة في «الأغاني» ١/ ٣٢٥.

(٤) ما بين حاصرتين من (ص)، وزدْتُ كلمة: النُّصيب، بين قوسين من عندي للإيضاح. وعبارة الأغاني: وكان أهل البادية يدعونه النُّصيب، تفخيماً له. وبنحوها عبارة «المنتظم».

(٥) كذا في «المنتظم» ٧/ ١٢٥ ونقلَه عنه السِّبط هنا. وقد وهم ابن الجوزيّ - والله أعلم - في قراءة خبر خروج نُصيب إلى عبد العزيز بن مروان؛ قال نُصيب: إني لأخشى من قِلاصِ ابن مُحْرِزٍ... إذا وَخَدَتْ... فجعلَ قِلاصَ بنَ مُحرز شخصاً. ينظر «الأغاني» ١/ ٣٣٢ وهذا الكلام بين حاصرتين من (ص).

(٦) الأغاني ١/ ٣٣٨-٣٣٩، والمنتظم ٧/ ١٢٦.

(٧) في (ص) (والكلام منها وهو ما بين حاصرتين): مراثي في أم هشام! والمثبت من «الأغاني» ١/ ٣٣٨.

[قال ابن الكلبي:] وكان نُصيب يُشبِّبُ بأمِّ مسكين، واسمها زينب [وكانت بيضاء مستحسنة، وقيل: كانت سوداء].

قال الضحَّاك بن عثمان الحزامي: خرجتُ أُريد الحج، فنزلنا الأبواء، فإذا بامرأة حسناء، فأعجبتني، فأنشدتُ:

بزينبَ ألْمِمْ قبلَ أن يرحلَ الرَّكْبُ وقُلْ إنْ تَمَلِّينا فما مَلَّكِ القَلْبُ

وقولا لها ما في البِعاد لذي الهوى مريح[١] وما فيه لصدع النَّوى شعبُ

فقالت: يا فتى العرب، أتعرفُ لمن هذا الشعر؟ قلتُ: نعم، لنُصَيْب. قالت: أفتعرف زينب؟ قلتُ: لا. قالت: فأنا زينب [والميعاد لزيارته اليوم، ولعلك لا تبرح حتى تراه. قال: فبينما هي تحدّثني وإذا براكب قد أقبل، فأناخ راحلته وأتى الخيمة، وإذا به نُصَيْب، فسلَّم وجلس ناحية، وأخذَ يُنشدها ما أحدث من شعره، فقلت في نفسي: عاشقان أطالا النَّأيَ مدَّة، ولا بدَّ أن يكون لأحدهما إلى صاحبه حاجة، فقمتُ لأشدَّ راحلتي، فقام معي، فركبنا ووَدَّعَها، وتسايَرْنا، فقال لي: خطر ببالك كذا وكذا؟ قلتُ: نعم. قال: وربِّ الكعبة ما جلستُ منها مجلساً أقربَ من هذا، ولا كان بيني وبينها مكروهٌ قطّ][٢].

وقال معاذ[٣]: دخلتُ مسجد الكوفة، فرأيتُ رجلاً لم أرَ أشدَّ سواداً منه، ولا ثوباً أنقى من ثوبه. [قال:] فقلت: من أنت؟ فقال: نُصَيْب. قلت: أخبرني عنك وعن أصحابك. فقال: جميلٌ إمامُنا، وعُمر أوْصَفُنا لِرَبَّات الحِجال، وكُثَيِّر أبكانا على الأطلال والدِّمَن، وأمَّا أنا فقد قلتُ ما قد سمعتَ. قلتُ: فإنَّ الناس يزعُمون أنك لا تُحسن الهَجْو. قال: فأقَرُّوا أنَّني أُحْسِنُ أن أمدح؟ قلتُ: نعم. قال: أفَتَراني لا أُحسنُ أن أقول مكان: عافاك الله: أخزاك[٤] الله؟! قلت: بلى. قال: ولكنّي رأيتُ الناسَ بين

---

(١) كذا في (خ) و(ص). وفي «تاريخ دمشق» ١٧/ ٥٦٠ (مصورة دار البشير)، و«المنتظم» ٧/ ١٢٧: بُعادٌ.

(٢) ينظر «الأغاني» ٦/ ١٢٤، والمصدران السابقان، وما بين حاصرتين من (ص)، ونُسب الخبر فيها إلى الزبير بن بكار.

(٣) في (ص): وقال الزُّبير بن بكار: حدثني محمد بن أحمد بن عبد الله، عن معاذ صاحب الهروي قال...

(٤) في (خ): جزاك، وفي (ص): أجزاك. والمثبت من «تاريخ دمشق» ١٧/ ٥٥٨، و«المنتظم» ٧/ ١٢٩، والخبر فيهما من الطريق المذكورة. وهو في «الأغاني» ١/ ٣٥٥-٣٥٦ من طريق أخرى.

رجلين؛ رجلٍ لم أسأله، فإنْ هجوتُه ظلمتُه، ورجلٍ سألتُه فمنعني، فكانت نفسي أحقَّ بالهجو منه حيث سوَّلت لي بذل ماء وجهي إليه.

وقيل لنُصيب: هَرِمَ شِعْرُك. فقال: بل هَرِمَ عطاؤُكم[(١)].

وقال عبد العزيز يوماً لنُصَيْب: هل لك فيما يثمر[(٢)] المنادمة؟ [فقال: أصلح الله الأمير، اللون مُرَمَّد، والشَّعْرُ مُفَلْفَل، ولم أقعد إليك بكريم عنصر، ولا بِحُسْنِ] مَنْظَر، وإنما أُجالسُك بعقلي ولساني، فإنْ رأيتَ أن لا تَحُولَ بينهما فافْعَلْ، فإنَّ الكأس تُغيِّر الخِلْقَة، فيعظُم أنفُ الرجل ويحمرُّ ويندَمِل. أي: يصير مثل الدُّمَّل.

فأعاد عليه القول، فقال: كيف أشربُ ما يشربُ عقلي[(٣)]؟!

قوله: مرمَّل مثل الرُّمال وهي خيوط الحصير[(٤)].

و[قال العتبي:] قال له عبدُ العزيز بنُ مروان: هل عشقتَ؟ قال: نعم جارية لبني مُدلج، وكنتُ لا أقدرُ عليها من الواشين، وكنتُ أجلس على الطريق لعلي أراها، وفيها أقول:

جلستُ لها كيما تَمُرَّ لعلَّني ... أُخالِسُها التسليمَ إنْ لم تُسلِّمِ

فلمَّا رأتْني والوُشاةَ تَحدَّرَتْ ... مَدامعُها خوفاً ولم تَتَكَلَّمِ

مساكينُ أهلِ العِشْقِ ما كنتُ أشتري ... حياةَ جميعِ العاشقين بدرهمِ[(٥)]

[وهو القائلُ في عمر بن عبد العزيز:

أميرَ المؤمنين فَدَتْك نفسي ... ومَنْ فوقَ الترابِ لك الفداءُ

من أبيات[(٦)]]

---

(١) الأغاني ١/ ٣٦٦، و تاريخ دمشق ١٧/ ٥٦٢ (مصورة دار البشير).

(٢) رَسم الكلمة في (خ) (والكلام منها): يثير. والمثبت من «العقد الفريد».

(٣) «العقد الفريد» ٢/ ١٣١ـ١٣٢ و٦/ ٣٣٩، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٤) كذا في (خ) (والكلام منها) وهذا يدلُّ أنَّ لفظة «مُرَمَّد» السالفة هي عند المصنف: «مُرمَّل» وهي اللفظة المناسبة للسَّجع؛ لقوله بعده: مُفَلْفَل (أي: مجعَّد) لكن لا يمكنني تغييرها لأنها وقعت ضمن ما استدركته من «العقد الفريد» وهو في موضعين منه. ومن قوله: وقيل لنصيب: هرم شِعْرك... إلى هذا الموضع، ليس في (ص).

(٥) الأغاني ١/ ٣٧٥، و«تاريخ دمشق» ١٧/ ٥٥٧ (مصورة دار البشير)، والمنتظم ٧/ ١٢٨ـ١٢٩.

(٦) ما بين حاصرتين من (ص). والبيت في «تاريخ دمشق» ١٧/ ٥٥٦ من أبيات. وينظر أيضاً «مختصر تاريخ دمشق» ٢٦/ ١٤١.

وقال الزُّبير بن بكّار: كانت أمُّ مِحْجَن عند نُصَيْب، وكانت سوداء، فلما أثْرَى تزوَّجَ بيضاءَ، فغارَتْ أمُّ محجن، فقال لها: [يا أمَّ محجن] واللهِ ما مثلي مَنْ يُغار عليه، وما أحدٌ أكرمَ عليَّ منك.

ثم قال لها بعد مدَّة: أريد أن أجمعَ بينكما لإصلاح ذات البين ولمِّ الشَّعَث. فقالت: افعل. فأعطاها ديناراً وقال لها: ازدادي لها به ضيافة لئلا ترى بكِ خَصَاصة، وأعطى الجديدة ديناراً وقال: أصلحي لها به ضيافة[١]، ولا تقولي إنه من عندي.

ثم قال لصاحب له: إذا اجتمعنا فقل لي: أيُّما أحبُّ إليك من زوجَتَيْك؟ ثم اجتمعا، فسأله الرجل، فقال: صاحبةُ الدينار. وكانا خلف السّتر، فظنَّتْ كلٌّ واحدة أنه عناها، فرضيتا[٢].

ونُصيب من شعراء الحماسة، فمن شعره:

كأنَّ القلبَ ليلةَ قيلَ يُغْدَى ... بليلى العامريَّةِ أو يُراحُ
قَطاةٌ عَزَّها شَرَكٌ[٣] فباتَتْ ... تُجاذبُه وقد عَلِقَ الجناحُ
لها فرخانِ قد تُرِكا بوَكْرٍ ... فعشُّهما تُصَفِّقُهُ الرِّياحُ
إذا سمعا هبوب الرِّيح نَصَّا[٤] ... وقد أَوْدَى به[٥] القَدَرُ المتاحُ
فلا[٦] في الليل نالَتْ ما تَمَنَّتْ ... ولا في الصبح كان لها بَرَاحُ[٧]

السنة التاسعة بعد المئة

فيها غزا معاوية بن هشام الروم، ففتح حصناً يقال له: الطينة[٨].

---

(١) في «تاريخ دمشق» ١٧/ ٥٦٢: أهْدِي لها به.

(٢) الخبر في «تاريخ دمشق» ١٧/ ٥٦٢، و«المنتظم» ٧/ ١٣٠، وسياقته فيهما أجود.

(٣) عزَّها، أي: غلبها، والشَّرَك: حِبالة الصَّيْد.

(٤) أي: نصبا أعناقهما. «شرح الحماسة» للتبريزي ٣/ ١٥١.

(٥) في (خ) (والكلام منها): بها. والمثبت من المصدر السابق.

(٦) في (خ): فما. والمثبت من المصدر السابق.

(٧) شرح الحماسة للتبريزي ٣/ ١٥١. ونُسب البيتان الأولان في «الأغاني» ٢/ ٦٢ و٨٩ لمجنون ليلى، ونُسب في «ديوان المعاني» ١/ ٢٧٠ لقيس بن ذريح. ومن قوله: ونُصيب من شعراء الحماسة...إلخ، ليس في (ص).

(٨) في «تاريخ» الطبري ٧/ ٤٦، و«الكامل» ٥/ ١٤٥: طيبة.

و[فيها] غزا أسد بن عبد الله الترك، فهزم خاقان، وفتح بلداً يقال له: غُورين، فقال ثابت قطنة:

أرى أسداً في الحرب إذْ نزلَتْ بِهِ فقارعَ أهلَ الحربِ فازَ وأوجَبا
أتَتْك وفودُ التُّركِ ما بينَ كابُلٍ وغُورينَ إذْ لم يهربوا منكَ مَهْرَبا
حليمٌ وإنَّ الحلمَ فيه سَجِيَّةٌ على القوم وَثَّابٌ على مَنْ تَوَثَّبا[1]
ألم يكُ بالحِصْنِ المباركِ عِصْمةٌ لجندك إذ هابَ الجبانُ وأرهبا
بنى لك عبدُ اللهِ حصناً وَرِثْتَهُ قديماً إذا عُدَّ القديمُ وأنجبا

من أبيات.

وفيها عَزل هشام بنُ عبد الملك خالدَ بنَ عبد الله القسري عن خُراسان، وصرف أخاه أسداً عنها[2].

وسببُه أن أسداً تعصَّب على بعض القبائل ونصرِ بنِ سيَّار، وضربهم بالسِّياط.

وخطب يوم جمعة فقال: قبَّح الله هذه الوجوه وجوه أهل الشِّقاق والنِّفاق، والشَّغَب والفشل، اللهمَّ فرِّقْ بيني وبينهم، وأخرِجْني إلى وطني ومهاجَري. وقال[3]: من يروم ما قِبَلي وأميرُ المؤمنين هشام خالي، وخالدٌ أخي، ومعي اثنا عشر ألف سيف يمانٍ.

ثم نزل ودعا بجماعة من أعيانهم، منهم نصر بن سيَّار، فضربهم، ويقال: إنه حلقَهم وقيَّدهم، وبعث بهم إلى أخيه خالد، فكتبَ إليه: ألا بعثتَ برؤوسهم؟ فقال عرفجة التميمي:

فكيفَ وأنصارُ الخليفةِ كلُّهم عُناةٌ[4] وأعداءُ الخليفةِ تُطْلَقُ

---

(١) قبله في (خ) (والكلام منها):
حليمٌ وإنَّ الحلم فيه سجيَّةٌ على القوم إذ لم يهربوا منك مهربا
وواضح أنه ملفَّق ممَّا قبله وما بعده. لذا لم أُثبته. وغالب هذه الأبيات في «تاريخ» الطبري ٧/ ٤٦-٤٧ وليس فيه هذا البيت، ولم أقف على مصادر أخرى لها.

(٢) تاريخ الطبري ٧/ ٤٧ .

(٣) وكذا في «المنتظم» ٧/ ١٣١ . وفي «تاريخ» الطبري: وقلّ.

(٤) جمع عانٍ، وهو الأسير.

بَكَيْتُ ولم أملك دموعي وحُقَّ لي ... ونَصْرٌ شهابُ الحرب في الغُلِّ مُوثَقُ

وفي ذلك قال نصر بن سيَّار:

إنْ أكُنْ مُوثَقاً أَسِيراً لَدَيهِمْ ... في همومٍ وكُرْبةٍ وغُمومِ[١]

رهْنَ قَسْرٍ[٢] فما وجدتُ بلاءً ... كإسارِ الكريمِ عند اللئيمِ

من أبيات.

وقال الفرزدق:

أخالدُ لولا اللهُ لم تُعْطَ طاعةً ... ولولا بنو مروانَ لم يُوثِقُوا نَصْرا

إذاً لَلَقِيتُمْ دون شَدِّ وَثاقِهِ ... بني الحربِ لا كُشْفَ اللقاءِ ولا ضَجْرا

وكان أهل خُراسان قد لقَّبوا أسداً الزَّاغ[٣]، فخطبَ على منبر بَلْخ وقال: لقَّبْتُموني الزَّاغ! واللهِ لأُزِيغنَّ قلوبَكم.

فلما تعصَّب لليمانيَّة على القبائل؛ فسدت الأمور، وبلغَ هشاماً، فكتب إلى خالد: اعْزِلْ أخاك، فقد أفسد بالعصبيَّة البلاد. فكتب إلى هشام يستأذنُ لأسد في الحجّ، فأذِنَ له، فأرسل خالد إلى أخيه، فقدم عليه في دهاقين خُراسان في شهر رمضان، واستخلفَ على خُراسان الحكَمَ بن عَوانة الكلبيَّ[٤].

وكان أسد قد أفنى دعاةَ بني العباس على ما ذُكر، فإنه أوَّلُ من قدم خُراسان في ولاية أسد أبو محمد زياد مولى هَمْدَان؛ بعثَه محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وقال له: انزل باليمن[٥]، والطف بالمُضَرِيَّة[٦]. ونهاه عن رجل من أبْرَشَهْر[٧] يقال له:

---

(١) في «تاريخ» الطبري ٧/ ٤٩ ، و«الكامل» ٥/ ١٤٢ : وسهوم.

(٢) في (خ) (والكلام منها): قيس. والمثبت من المصدرين السالفين.

(٣) الزَّاغ: من أنواع الغِرْبان صغير الحجم نحو الحمامة، يقال له: غراب الزرع، وغراب الزيتون، لأنه يأكله ولا يأكل الجيف. ينظر «حياة الحيوان» للدميري ٢/ ٢ . وجاء الكلام بنحوه في «أنساب الأشراف» ٧/ ٧ ، وفيه أنهم كانوا يصغّرونه ويقولون له: أُمَيّر.

(٤) تاريخ الطبري ٧/ ٤٩ .

(٥) في (خ) (والكلام منها): باليمامة، والمثبت من المصدر السابق.

(٦) في «تاريخ» الطبري ٧/ ٤٩ : والطف بمضر.

(٧) هو اسم لمدينة نيسابور بخُراسان، وهو مركب من «شهر» وتعني بالفارسية: البلد، و«أَبْر» وتعني الغيم. قال ياقوت في «معجم البلدان» ١/ ٦٥ : ما أُراهم أرادوا إلا خِصْبَه. اهـ وتقال: أبرسهر؛ بالسين المهملة، =

غالب، وكان مائلاً إلى آل أبي طالب، وكان محمد بنُ علي يخافُه أن يدعوَ إلى آل أبي طالب، فحذَّرَ زياداً منه.

فلما دخل زياد خُراسان دعا إلى بني العباس، وبسط يدَه في إطعام الطعام، ولسانَه في ذمّ بني أمية، وبلغَ غالباً، فخرج من أَبْرشَهْر، فقدم مَرْو، واجتمع بزياد، ففاوضَه في جعل الأمر في آل أبي طالب، وتنازعا، ثم افترقا عن غير اتفاق على شيء، وخرجَ غالب إلى أبرشهر، وأقام زياد بمرو، واختلف إليه الشيعة، منهم يحيى بن عقيل الخُزاعي، وإبراهيم بن الخطَّاب العَدَويّ.

وكان ينزل بَرْزَنَ[(١)] سويدٌ [الكاتب] وكان الحسن بن شيخ كاتب الخَراج على مَرْو، ويسكنُ هناك، فبلغَه أمرُ زياد، فأخبر أسداً به، وكان معه عشرة فيهم رجل يقال له: أبو موسى، فاستحضرهم أسد وقال: اخرجوا من خُراسان. فقالوا: نحن تجار، إذا استوفينا مالَنا على الناس خرجنا. فتركهم، ثم دعاهم مرة ثانية وقال: اخرجوا. فقال له أبو موسى: فاقض ما أنت قاضٍ[(٢)]. فقال أسد: جعلتَني مثلَ فرعون؟! ثم أمر بهم فعُذِّبُوا، وقُتلوا شرَّ قِتْلة[(٣)].

وفيها ولَّى هشامٌ على خُراسان أشرسَ بنَ عبد الله السُّلَميّ، وأمرَه أن يُكاتب خالدَ ابنَ عبد الله القسريَّ.

وكان أشرس فاضلاً خيِّراً يسمُّونه: الكامل، فقدم خُراسان، فسُرَّ الناسُ بقدومه، فاستقضى على مَرْو أبا المنازل[(٤)] الكندي، فلم يكن له علم بالقضاء، فاستشار مقاتلَ

= وتقال أيضاً: برشهر؛ بإسقاط الهمزة. وينظر أيضاً «معجم البلدان» ١/ ٣٨٤. وتحرفت اللفظة في (خ) (في كل المواضع) إلى: أنوشهر.

(١) من قرى مرو. ينظر «معجم البلدان» ١/ ٣٨٢.

(٢) اقتباس من قوله تعالى حكاية عن قول السحرة لفرعون من الآية (٧٢) من سورة طه: ﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ﴾.

(٣) ينظر «تاريخ» الطبري ٧/ ٤٩-٥٠. ولفظة «الكاتب» السالفة بين حاصرتين منه.

(٤) هو عثمان بن عبيد الله، فيما ذكر ابن حبان في «مشاهير علماء الأمصار» ص ١٩٦. ووقع في «تاريخ» الطبري ٧/ ٥٢: أبا المبارك.

ابنَ حيَّان، فأشار عليه بمحمد بن زيد[١]، فاستقضاه، فلم يزل قاضياً حتى عُزل أشرس.

وباشر أشرس الأمور دقيقَها وجليلَها بنفسه، واتَّخَذَ الرابطة[٢]، وهو أوَّلُ من اتَّخذها بخُراسان، ووَلَّى على الرابطة عبد الملك بن زياد الباهلي.

ولما قدم أشرس كبَّر الناسُ فَرَحاً به، فقال شاعر:

لقد سمعَ الرحمنُ تكبيرَ أُمَّةٍ ... غداةَ أتاها من سليم إمامُها
إمامُ هدًى قوَّى به اللهُ أمرَهُمْ ... وكانت عِجافاً ما تصحُّ[٣] عظامُها

ولما قدم[٤] أشرس خُراسان قدم على حمار، فقال له بعض النَّبَط: أيها الأمير، إن كنتَ تريدُ أن تكون والي خُراسان فارْكَبْ فرسك، وشُدَّ حِزامَه بيدك، وارفع السَّوْط والسيف، واقتحم النار، وإلَّا فارجع. فقال: لا أقتحمُ النار، وأركبُ الحمار والخيل[٥].

وحجَّ بالناس إبراهيم بن هشام [المخزومي] وهو على ولايته.

و[قال الواقدي:] خطب بمنى يوم العيد بعد الظهر وقال: سلوني، فأنا ابنُ الوحيد، لا تسألونَ أحداً أعلمَ منّي. فقام إليه رجلٌ فقال: الأُضحيةُ واجبة أم سُنَّة؟ فما دَرَى ما يقول، ونزل!

وكان على العراق خالد القَسْري، وعلى قضاء البصرة ثُمامة بن عبد الله الأنصاري، وعلى شرطتها بلال بن أبي بُرْدَة[٦].

---

(١) في (خ): زياد. والمثبت من «تاريخ» الطبري ٧/ ٥٢، و«الكامل» ٥/ ١٤٣. وذكره ابن حبان في «مشاهير علماء الأمصار» ص ١٩٦.

(٢) في (خ) (والكلام منها): المرابطة. وكذا في الموضع التالي. والمثبت من «تاريخ» الطبري ٧/ ٥٢. والرابطة: كوكبة من الفرسان تقوم بدور العسس. ينظر «تكملة المعاجم العربية» ٥/ ٧٢.

(٣) في «تاريخ» الطبري ٧/ ٥٢: ما تُمخُّ.

(٤) في (خ) (والكلام منها): وفيها قدم...، والصواب ما أثبتُّه إن شاء الله. وينظر «تاريخ» الطبري ٧/ ٥٢.

(٥) من قوله: فقال ثابت قطنة (أول سنة ١٠٩)... إلى هذا الموضع، ليس في (ص).

(٦) تاريخ الطبري ٧/ ٥٣. ومن قوله: وكان على العراق...إلخ. ليس في (ص).

وفيها توفي

حبيب بن الشهيد

أبو مرزوق التُّجيبي المصري مولاهم، فقيهُ طرابلس الغرب من التابعين.

حدَّث عن عُمر بن عبد العزيز، وحَنَش الصَّنْعاني، وغيرهما[١].

عبد الملك بن رِفاعة

ابن خالد الفَهْميّ المصري، أميرُ مصر [من قِبَل الوليد بن عبد الملك] بعد قُرَّة بن شريك، وأقرَّه سليمان، وعزلَه عُمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، فكانت إمرتُه على مصر ثلاث سنين.

ثم وفد على هشام، فولَّاه على مصر في المحرَّم، فقَدِمَها وهو مريض، فمات في المحرَّم، فكانت ولايته شهراً، وقيل: نصف شهر.

وكان ثقةً أميناً.

روى عنه الليث بنُ سعد، وقال الليث: كان يقول: إذا دخلت الهديَّةُ من الباب؛ خرجت الأمانةُ من الطَّاق. يريد العمَّال.

ولما مات استخلفَ على مصر أخاه الوليد بنَ رِفاعة، فأقام والياً عليها بتقرير هشام، إلى سنة سبع عشرة ومئة، فتوفِّي بها في جمادى الآخرة[٢].

لاحق بن حُميد

ابن شعبة[٣] السَّدُوسيّ البصري، أبو مِجْلَز، من الطبقة الثانية [من أهل البصرة][٤].

---

(١) تاريخ دمشق ٤/ ١٦٤ (مصورة دار البشير)، وهو من رجال «تهذيب الكمال» ٥/ ٣٧٨.

(٢) ولاة مصر ص ٨٧-٨٨ و٩٧، وتاريخ دمشق ٤٣/ ١٤٨-١٤٩ (طبعة مجمع دمشق) وما سلف بين حاصرتين منه للإيضاح، ولم ترد هذه الترجمة في (ص).

(٣) قال المِزّي في «تهذيب الكمال» ٣١/ ١٧٦: لاحق بن حُميد بن سعيد، ويقال: ابن شعبة.

(٤) في (ص): ذكره ابن سعد في الطبقة الثانية...إلخ، وما بين حاصرتين منها. وهو في «طبقات» ابن سعد ٩/ ٢١٥ و٣٧٢.

وكان بمَرْو لمَّا قُتل قُتيبة بنُ مسلم، فولَّاه أهلُ مَرْو أمرهم حتى قدم وكيع بن أبي سود[١].

واستقدمه عمر بن عبد العزيز، فسأله عن أمر خُراسان.

وكان أبو مجلز يركب مع قُتيبة بن مسلم في موكبه، فيسبِّحُ اللهَ تعالى اثنتي عشرة ألفَ تسبيحة؛ يعدُّها بأصابعه ولا يعلم به أحد[٢].

وكان زاهداً عابداً شريفاً.

[وذكره خليفة فقال: مات سنة تسع ومئة[٣]، وقال البخاري: (مات) قبل الحسن البصري بقليل، والحسن مات في سنة عشر ومئة][٤].

أسند عن عُمر، وابن عباس، وأنس، وحفصة زوج النبي ﷺ وغيرهم.

وروى عنه قتادة، وابن سِيرِين[٥]، وسليمان التَّيميّ، وغيرهم، وكان ثقةً.

السنة العاشرة بعد المئة

فيها دعا أشرسُ بنُ عبد الله السُّلَمي [والي خُراسان] أهلَ الذِّمَّة من السُّغْد وسَمَرْقَنْد إلى الإسلام على أن يضع عنهم الجزية، فأسلموا [٦].

فلما أسلموا أخذَ منهم الجزية، فاستنصروا عليه بخاقان والملوك وحاربوه، وكان على سمرقند الحسن بن أبي عَمَرَّطة، فكتب إليه أشرس: إنَّ الخَراج قد انكسر، وفيه

---

(١) تاريخ دمشق ١٨/ ٦ـ٧ (مصورة دار البشير).

(٢) المصدر السابق ١٨/ ٨.

(٣) كذا في (ص) (والكلام بين حاصرتين منها) وهذا القول عن الفلَّاس، كما في «تاريخ دمشق» ١٨/ ١٠ (مصورة دار البشير) وذكر ابن عساكر قبله عن خليفة أن ابن هُبيرة جمع للاحق العراق سنة ستّ ومئة. ولعل ما وقع هنا سبق نظر من المختصر، فلم يرد أيضاً في «تاريخ» خليفة ولا «طبقاته» هذا الكلام.

(٤) التاريخ الكبير للبخاري ٨/ ٢٥٨.

(٥) يعني أنس بن سِيرِين كما في «تاريخ دمشق» ١٨/ ٣، و«تهذيب الكمال» ٣١/ ١٧٧.

(٦) ينظر «تاريخ» الطبري ٧/ ٥٤. وجاء بعدها في (ص) ما نصُّه: «فقطعوا النهر، وقيل: لم يقطعوه، وإنما أقاموا بسمرقند»(؟).

قوَّةٌ للمسلمين[١]، وقد بلغني أنَّ أهل السُّغْد وأشباههم لم يُسْلِمُوا رغبةً، وإنما دخلوا في الإسلام تعوُّذاً من الجزية، فانظر من اختتنَ وأقام الفرائض وقرأ سوراً من القرآن وحسُن إسلامُه؛ فارفَعْ عنه خَراجَه.

وعزلَ ابنَ أبي العَمَرَّطة، وولَّى هانىء بن هانىء[٢]، فكتب إلى أشرس: إن الناس قد أسلموا وبنَوا المساجد. وشكا إلى أشرس دهاقينُ بُخارى كَسْرَ الخَراج، فكتب إلى هانىء: خُذ الخَراج. فأعاد الجزية على من أسلم، فامتنعوا.

وخرج من السُّغْد سبعة آلاف، فنزلوا على سبعة فراسخ، فخرج إليهم هانىء في جيش وألحَّ عليهم في جباية الجزية، فكفر أهل السُّغْد وبُخارى ومن كان أسلم، واستجاشوا التُّرك[٣]، فأَقبل خاقان في جيوشه، وقطع أشرس النهر ـ وقيل لم يقطعه ـ ونزل آمُل، وجاء بعض عسكر خاقان فقطع النهر، ثم عادوا وقد أصابوا رجالاً من المسلمين.

ومضى أشرس فنزل بِيكَنْد، وقطعَ التُّرك عنهم الماء وعطشوا، وزحف إليهم الترك، فقاتلوهم، فقتلوا من المسلمين جماعةً، وقاتلهم المسلمون، فمات بالعطش منهم سبعُ مئة، ثم انتحى المسلمون وحملوا، فأزالوا التُّرك عن الماء، واقتتلُوا إلى الليل، وعاد العدوّ طالبين بلادهم.

وسار أشرس حتى نزل على بُخارى، فحصرها، وكان نصر بنُ سيَّار بسمَرْقَنْد.

وجرت لأشرس مع التُّرك حروبٌ كثيرة ووقائع، تارةً له وتارةً عليه، وعاد إلى خُراسان وقد قُتل أعيان المسلمين وأشراف القبائل[٤].

وحجَّ بالناس إبراهيم بن هشام المخزومي، والعمال بحالهم.

---

(١) في سياقة الكلام في «تاريخ» الطبري ٧/ ٥٥، أن غوزك (صاحب السُّغْد) كتب إلى أشرس: إن الخراج قد انكسر، فكتب أشرس إلى ابن أبي العمرَّطة: إن في الخراج قوَّة للمسلمين...إلخ.

(٢) في «تاريخ» الطبري ٧/ ٥٥ : عزل ابن أبي العمرَّطة عن الخراج وصيَّره إلى هانئ بن هانئ.

(٣) أي: طلبوا منهم جيشاً.

(٤) ينظر الخبر بتمامه وتفصيله في «تاريخ» الطبري ٥/ ٥٤ـ٦٠، وقد وقع هنا مختصراً جداً. ومن قوله: فلما أسلموا أخذ منهم الجزية (أول هذه السنة)... إلى هذا الموضع، ليس في (ص).

وفيها توفي

[الحسن] بن أبي الحسن يسار

البصري، أبو سعيد، من الطبقة الثانية من التابعين [من أهل البصرة][(١)].

ويقال: إنه[(٢)] من سبي مَيْسان[(٣)]، ووقع إلى المدينة، فاشترَتْه الرُّبَيِّع بنتُ النَّضْر عمَّةُ أنس بن مالك، وأعتَقَتْه.

وذُكر عن الحسن أنه قال: كان أبواي لرجل من بني النجار، فتزوَّج من بني سَلمة[(٤)]، فساقهما إليها من مهرها، فأعْتَقَتْهُما.

ويقال: بل كانت أمُّ الحسن، واسمُها خَيْرة، كانت مولاةً لأمِّ سلمة رضي الله عنها زوجِ النبي ﷺ[(٥)].

ووُلد الحسن بالمدينة لسنتين[(٦)] بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضوان الله عليه، فيذكرون أنَّ أمَّه كانت ربَّما غابت، فيبكي الحسن، فتُعطيه أمُّ سلمة ثديَها تُعَلِّلُهُ به إلى أن تجيء أمُّه[(٧)]، فيدرُّ عليه فيشربُه، فيرون أنَّ تلك الحكمة والفصاحة من بركة ذلك[(٨)].

وحنَّكه عمر رضوان الله عليه بيده[(٩)]، ونشأ بوادي القرى[(١٠)].

---

(١) في (ص): وذكره ابن سعد في الطبقة الثانية...إلخ. وما وقع بين حاصرتين منها. وهو في «طبقات» ابن سعد ٩/ ١٥٧.

(٢) يعني يساراً أبا الحسن البصري.

(٣) في (خ): بيسان. والمثبت من (ص)، وهو موافق لما في «طبقات» ابن سعد ٩/ ١٥٧ .

(٤) في (خ) (والكلام منها): سليم. والمثبت من «طبقات» ابن سعد ٩/ ١٥٧ ، و«تهذيب الكمال» ٦/ ١٠٣ عن ابن سعد.

(٥) من قوله: وذكر عن الحسن أنه قال... إلى هذا الموضع، ليس في (ص).

(٦) في (ص): ذكر مولده: قد حكينا عن ابن سعد أنه قال: ولد لسنتين... وهو في «طبقاته» ٩/ ١٥٧ .

(٧) تُستأنف النسخة (ب) عند هذا الموضع.

(٨) من قوله: فيذكرون أن أمَّه كانت ربما غابت... إلى هذا الموضع ليس في (ص).

(٩) المنتظم ٧/ ١٣٦ .

(١٠) طبقات ابن سعد ٩/ ١٥٧ .

وقال [ابن سعد عن] الحسن: رأيتُ عثمان رضوان الله عليه يخطب وأنا ابن خمس عشرة سنة قائماً وقاعداً(١).

[وحكى ابنُ (سعد عن) أبي رجاء(٢) أنه قال: قلتُ للحسن: متى عهدُك بالمدينة يا أبا سعيد؟ فقال: ليالي صفّين. قال: فقلت: فمتى احتلمتَ؟ قال: بعد صفّين عاماً.

ثم قال ابن سعد: وقال محمد بن عمر: والثبت عندنا أنه كان للحسن يوم قُتل عثمان أربع عشرة سنة، وقد رأى عثمان، وسمع منه](٣).

[قال ابن سعد]: وكان الحسن جامعاً عالماً، عالياً رفيعاً، فقيهاً ثقة مأموناً، عابداً ناسكاً، كثير العلم فصيحاً، جميلاً وسيماً(٤).

[وقال هشام: كان من أحسن الناس وجهاً حتى سقط من دابة، فتغيَّر وجهُه].

وكان يصفِّر لحيته ويتختَّم بالفضة، ويتعمَّم بعمامة سوداء، ويلبس الطيلسان(٥).

وقال [ابن سعد أيضاً بإسناده عن الحسن قال:] كنتُ أدخلُ بيوت أزواج رسول الله ﷺ في خلافة عثمان، فأتناولُ سقفَ البيت بيدي(٦).

وكان قتادة يقول: عليكم بهذا الشيخ - يعني الحسن - فواللهِ ما رأيتُ رجلاً أشبهَ برأي عمر بن الخطاب منه(٧).

وكان الحسن ينهى عن الفتن ولم يحضر شيئاً منها قطّ، فلما كانت فتنةُ ابن الأشعث مع الحجَّاج انطلق عقبةُ بن عبد الغافر، وأبو الجوزاء، وعبدُ الله بن غالب في نفر من نظرائهم، فدخلوا على الحسن، فقالوا: يا أبا سعيد، ما تقول في قتال هذا الطاغية الذي سفك الدم الحرام، وأخذَ المالَ الحرام، وترك الصلاة، وفعل وفعل؟ وذكروا

---

(١) المصدر السابق ٩/ ١٥٨ .

(٢) أبو رجاء هو محمد بن سيف البصري الأزدي، من رجال «تهذيب الكمال» ٢٥/ ٣٥٥ . وزدتُ لفظ: (سعد عن) بين قوسين من عندي، ولابدَّ منه. وينظر التعليق التالي.

(٣) من قوله: وحكى ابن (سعد عن) أبي رجاء... إلى هذا الموضع (وهو بين حاصرتين) من (ص). وهو في «طبقات ابن سعد» ٩/ ١٥٨ .

(٤) المصدر السابق.

(٥) طبقات ابن سعد ٧/ ١٦٠-١٦١ .

(٦) طبقات ابن سعد ٧/ ١٦٢ .

(٧) المصدر السابق. ولم يرد هذا القول في (ص).

من فِعال الحجَّاج. فقال: أرى أن لا تقاتلوه، فإنها إنْ تكن عقوبةً من الله عزَّ وجل، فما أنتم برادِّي عقوبتِه بأسيافكم، وإن يكن بلاءً؛ فاصبروا حتى يحكم الله، وهو خير الحاكمين.

فخرجوا من عنده وهم يقولون: نطيع هذا العِلج! وهم قوم عرب، وخرجوا مع ابن الأشعث، فقُتلوا جميعاً[١].

وقال رجل: يا أبا سعيد، ما تقول في الفتن مثل[٢] يزيد بن المهلب وابن الأشعث؟ فقال: لا تكن مع هؤلاء ولا مع هؤلاء. فقال: ولا مع أمير المؤمنين؟ قال: لا[٣].

وكان ينهى عن الخروج على الحجَّاج، ويأمرُ بالكفِّ عنه، ويقول: واللهِ ما سلَّطه اللهُ عليكم إلا عقوبةً، فلا تُعارضوا عقوبةَ الله بالسيف، ولكن عليكم بالسَّكِينة والتضرُّع[٤].

وقال: لو أنَّ الناس إذا ابتُلُوا من قبل سلطانهم صبروا، ما لبثوا أن يفرِّجَ اللهُ عنهم، ولكنهم[٥] يجزعون إلى السيف، فيوكلون عليه[٦].

وقال القاسم بن الفضل: رأيتُ الحسن قاعداً في أصل منبر ابن الأشعث[٧].

وقال أيوب: قيل لابن الأشعث: إنْ سرَّكَ أن يُقتل الناسُ حولَك كما قُتلوا حول جمل عائشة؛ فأخْرِجِ الحسن. فأخرجه مكرهاً. فغفلوا عنه، فألْقَى نفسه في بعض تلك الأنهار، فنجا منهم، وكاد يهلك[٨].

---

(١) طبقات ابن سعد ٩/ ١٦٤.

(٢) في (ب): مع، بدل: مثل.

(٣) طبقات ابن سعد ٩/ ١٦٥ وفي سياقته بعض الاختلاف عن الخبر أعلاه. ومن قوله: فلما كانت فتنة ابن الأشعث ... إلى هذا الموضع، ليس في (ص).

(٤) الخبر في «طبقات» ابن سعد ٩/ ١٦٥ بأطول منه.

(٥) في (ب): ولكن.

(٦) في «طبقات» ابن سعد ٩/ ١٦٥ : فيوكلون إليه.

(٧) طبقات ابن سعد ٩/ ١٦٥.

(٨) الشطر الأول من الخبر في «طبقات» ابن سعد ٩/ ١٦٤ من كلام أيوب، وشطره الثاني فيه من كلام ابن عون. ومن قوله: وقال: لو أن الناس إذا ابتُلوا ... إلى هذا الموضع، ليس في (ص).

[قال هشام:] وكان يلبس مطارف الخَزّ ويتختَّمُ في يساره ويَخضِبُ بالحِنَّاء، ويركبُ الحمار، ويُبغض أصحابَ الأكسية ويقول: واللهِ لأحدُهم أشدُّ تعجُّباً بكسائه من صاحب المِطْرف بمِطْرَفِه[١]، إنَّ أكثر أهل النار أصحابُ الأكسية[٢].

[ذكر خوف الحسن وبكائه]

وقال إبراهيم[٣] بن عيسى اليشكري: ما رأيتُ أطولَ حُزْناً من الحسن، وما رأيتُه قطُّ إلا حسبتُه حديث عهدٍ بمصيبة.

[وقال سليمان بن المغيرة:] وكان الحسن يقول: نضحكُ! ولعلَّ الله قد اطَّلع على بعض أعمالنا فقال: لا أقبلُ منكم شيئاً[٤].

[وقال مسمع: لو رأيتَ الحسن لقلتَ: قد بُثَّ عليه حزنُ الخلائق؛ من طول تلك الدمعة، وكثرة ذلك النشيج[٥].

وحكى ابنُ سعد عن يزيد بن حَوْشَب قال: ما رأيتُ أخوفَ من الحسن وعمر بن عبد العزيز، كأنَّ النار لم تُخلق إلا لهما[٦].

وقال حفص بن عمر:] وبكى الحسن، فقيل له: ما يُبكيك؟ قال: أخاف أن يطرحني في النار غداً ولا يبالي[٧].

و[قال يوسف بن أسباط:] مكث ثلاثين سنة لم يضحك، وأقام أربعين سنة لم يمزح، وكان يقول: لقد أدركتُ أقواماً ما أنا عندهم إلا لصّ[٨].

---

(١) المِطْرف: رداء ـ أو ثوب ـ من خَزٍّ مربّع ذو أعلام (رسوم).

(٢) يعني الذين يلبسون الصوف ويُظهرون التواضع. وبعض الخبر بنحوه في «طبقات» ابن سعد ٩/ ١٦٩ . وما سلف بين حاصرتين من (ص).

(٣) في (ص): روى أبو نُعيم بإسناده إلى إبراهيم... والخبر في «حلية الأولياء» ٢/ ١٣٣ . وما سلف بين حاصرتين من (ص).

(٤) ينظر المصدر السابق ٢/ ١٣٤ .

(٥) في (ص) (والكلام منها): التسبيح. والمثبت من «صفوة الصفوة» ٣/ ٢٣٣ .

(٦) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٨٦ (ترجمة عمر بن عبد العزيز).

(٧) صفة الصفوة ٣/ ٢٣٣ .

(٨) حلية الأولياء ٨/ ٢٤٠ ، وشُعب الإيمان ٤/ ٢٦٥ ، وصفة الصفوة ٣/ ٢٣٤ .

و[روى أبو نُعيم عن حُميد قال:] بينما هو في المسجد تنفَّس[١] نَفَساً شديداً، ثم بكى حتى أُرعدت منكباه، ثم قال: لو أنَّ بالقلوب حياةً[٢] لبكيتُم[٣] من ليلة تتمخَّض عن يوم القيامة[٤] ما سمع الخلائق بيوم قطُّ أكثر[٥] من عورة بادية، ولا عينٍ باكية من ذلك اليوم.

وقال يونس [بن عبيد:] كان الحسن إذا أقبل كأنَّه أقبلَ من دفن حميم له، وإذا جلس كأنه أسيرٌ يُضرب عنقُه، وإذا ذُكرت النار كأنَّها لم تُخلق إلا له.

و[قال أبو بكر بن عيَّاش:] كان الحسن إذا شيَّع جنازة لم يره أحد في ذلك اليوم، ينفردُ في بيت صغير مظلم، ويبكي ويقول: أنتَ غداً من أهل القبور.

[ذكر نبذة من كلامه ومواعظه]

و[حدثنا جدّي رحمه الله بإسناده] عن أبي عبيدة الناجي[٦] أنه سمع الحسن يقول: يا ابنَ آدم، إنك لا تُصيب حقيقة الإيمان حتى لا تعيب الناسَ بعيب هو فيك، حتى تبدأ بصلاح ذلك العيب من نفسك فتُصلحَه، فإذا فعلتَ ذلك لم تُصلح عيباً إلا وجدتَ عيباً آخر لم تصلحه، فإذا فعلتَ ذلك كان شغلك في خاصَّة نفسك، وأحبُّ العباد إلى الله تعالى من كان كذلك[٧].

وقال الحسن: يا ابنَ آدم لا تحقرنَّ من الخير شيئاً وإن صَغُر، فإنَّ عملَك يُوزن، فإذا رأيتَه سرَّك، ولا تحقرنَّ من الشَّرِّ شيئاً، فإنك إذا رأيتَه غمَّك، فرحم الله رجلاً كسب طيّباً، وأنفق طيباً، ولزم قصداً، وقدَّم فضلاً ليوم فقره وفاقته[٨].

---

(١) في «حلية الأولياء» ٣/ ١٤٣ : بينما الحسن في يوم من رجب في المسجد وهو يمصُّ ماءً ويمجُّه تنفَّس...

(٢) بعدها في المصدرين السابقين: لو أن بالقلوب صلاحاً.

(٣) في «الحلية»: لأبكيتكم، وفي «صفة الصفوة» ٣/ ٢٣٤ : لأبكتْكم.

(٤) في المصدرين السابقين: من ليلة صبيحتُها يوم القيامة، إن ليلة تمخّض عن صبيحة يوم القيامة...

(٥) في (ص): بأكثر.

(٦) هو بكر بن الأسود، أحد الزُّهَّاد. وتحرَّف في (خ) و(ص) إلى الباجي. والمثبت من (ب). وينظر «ميزان الاعتدال» ١/ ٣١٩ . والكلام السالف بين حاصرتين من (ص).

(٧) شعب الإيمان ٥/ ٣١٢ ، وصفة الصفوة ٣/ ٢٣٤ .

(٨) حلية الأولياء ٢/ ١٤٣ ، وصفة الصفوة ٣/ ٢٣٥ . ولم يرد هذا الخبر في (ص).

ومرَّ الحسن ببعض القرَّاء على بعض أبواب الملوك، فقال: فرطحتُم بنعالكم[(١)]، وجئتم بالعلم تحملونه على رقابكم إلى أبوابهم، فزَهِدُوا فيكم، أما إنكم لوجلستُم في بيوتكم حتى يكونوا هم الذين يُرسلون إليكم لكان أعظمَ لكم في أعينهم، تفرَّقُوا فرَّقَ الله بين أعضائكم[(٢)].

[وقال مبارك بن فَضَالة: سمعت الحسن يقول] وقال له شابّ: أعياني قيامُ الليل، فقال [له]: قيَّدَتْك خطاياك[(٣)].

وقيل للحسن: ألا تدخل على الأمراء فتأمرَهم بالمعروف وتنهاهم عن المنكر؟ قال: ليس للمؤمن أن يُذلَّ نفسه، إنَّ سيوفَهم لَتسبقُ ألسنَتَنا[(٤)].

و[روى هشام بن محمد عن أبيه قال:] جلس الحسن في المسجد الجامع، فطلع الحجَّاج على بِرْذَوْن أشهب والشُّرَط حولَه، فجاء إلى باب الجامع، فنزلَ، وجاء إلى حلقة الحسن، فسلَّم وجلس إلى جانبه والحسن يتحدَّثُ، فلما فرغ من حديثه أقبل الحجَّاج على أهل الحلقة، فقال: إنَّ هذا شيخٌ مبارك، معظِّمٌ لأهل القبلة، ناصحٌ للملَّة[(٥)]، صاحبُ سُنَّة ونصيحة للعامَّة والخاصَّة، فعليكم بمجالسته[(٦)]، فإنه يُعرفُ فضلُه، وتُرجى عاقبتُه[(٧)]، ولولا ما لزمَنا من حقوق الرعيَّة لأحببتُ الحضورَ معكم. ثم قام وانصرف.

فقام شيخ كبير، فقال: يا أبا سعيد، عطائي زهيد، وأنا فقير، ولي عِيال. وبكى، فبكى الحسنُ وقال: إن عدوَّ الله قتلَ عباد الله على الدِّرهم والدِّينار، أخذه من خبيث،

(١) أي: وسَّعتُم وبسطتُم، وفي «صفة الصفوة» ٣/ ٢٣٦: نعالكم.

(٢) صفة الصفوة ٣/ ٢٣٦. ولم يرد الخبر في (ص).

(٣) المصدر السابق ٣/ ٢٣٥.

(٤) طبقات ابن سعد ٩/ ١٧٦.

(٥) في (خ): الملة. والمثبت من (ب) و(ص).

(٦) في (ص): بمجالسه.

(٧) في (خ): عافيته. والمثبت من (ب) و(ص).

وأنفقَه في سَرَف، أمَّا إذا خرج عدوّ الله فصاحبُ بغال[١] زفَّافة، وجنائب[٢] هفَّافة، وأمَّا إذا خرج أخوه المسلم فطاوى ماشياً.

[قال:] وبلغَ الحجاجَ قولُه، فجاء حَرَسيٌّ وقال: أجب الأمير. فقام فدخل عليه، فسلّم وجلس، فردَّ عليه الحجَّاج وقال: يا حسن، أنت صاحبُ الكلمات؟ قال: نعم. قال: ما حملك على ذلك؟ قال: ما أخذ الله تعالى على العلماء في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[آل عمران: ١٨٧] أخذ الله عليهم العهد أن يتكلَّموا بالحقِّ، ويصدِّقوا به بالعمل. فأطرق الحجَّاجُ ساعةً والحسن يدعو في نفسه، فرفع رأسَه وقال: اذهبْ فتكلَّمْ بما بدا لك، فإنما أنت ناصحٌ لخاصَّتنا وعامَّتِنا[٣].

وقال الشعبي[٤]: لمَّا قدم الحجَّاجُ البصرة؛ جلس للناس في يوم صائف في قبَّة، وفيها الثلج والخِلاف[٥]، ودخل عليه أبناءُ المهاجرين والأنصار وأشرافُ الناس ووجوهُهم.

واستدعى بالحسن، فجاء ودخل، وسلَّم، فردَّ عليه السلامَ وقال: مرحباً بأبي سعيد، ودعا بكرسيّ، فأجلَسه عليه إلى جانبه، فقال له الحجَّاج: اخْلَعْ قميصَك يا أبا سعيد. فجعلَ الحسنُ يعالجُ زرَّ قميصه، فأبطأ به، فطأطأ الحجَّاج رأسه إليه حتى قلنا: يتعاطاه؛ من لطفه. وقال: يا جارية، المُدْهُن[٦]. فجاءت بمُدْهُنٍ، فوضعه على رأس الحسن، وما صنع ذلك بأحدٍ غيرِه، ثم قال له الحجَّاج: يا أبا سعيد، مالي أراك

(١) في (ص): نعال.

(٢) جمع جنيبة، وهي الناقة يعطيها الرجلُ القومَ يمتارون عليها له. ينظر «لسان العرب» (جنب)، ووقع في (خ): وحبائب. وقوله: زفّافة... هفَّافة، أي: مسرعة.

(٣) الخبر بنحوه في «أنساب الأشراف» ١٢/ ٣٧١-٣٧٢ . وينظر أيضاً «إحياء علوم الدين» ٣/ ٣٢٩ ، و«المنتظم» ٦/ ٣٤٠-٣٤١ .

(٤) قبله في (ص): «ذكر اجتماع الحسن والشعبي وعمر بن هبيرة عند الحجاج» وفيه إشكال. فسيرد خبران: الأول منهما فيه اجتماع الحسن والشعبي عند الحجاج، والثاني: اجتماعهما عند ابن هبيرة.

(٥) في «القاموس»: الخِلاف: صنف من الصفصاف، وليس به، سمّي خِلافاً لأنَّ السيل يجيءُ به سَبْياً، فينبت من خلاف أصله.

(٦) المُدْهُن، بالضمّ: آلةُ الدُّهن وقارورتُه (شاذّ). ينظر «القاموس».

منهوك الجسم؟ لعلَّ ذلك من سوء ولاية، أو قلَّة نفقة، ألا نأمرُ لك بخادم لطيف، ونفقةٍ تُوسع بها عليك؟ فقال: أنا من الله في كفاية. فقال الحجَّاج: لا والله، بل العلمُ والزُّهد فيما نحن فيه.

ثم التفتَ الحجَّاجُ إلينا وذكرَ علياً عليه السلام، فنِلْنا منه خوفاً من الحجَّاج، والحسنُ ساكتٌ عاضٌّ على إبهامه، فقال له الحجَّاج: أخبرني برأيك في أبي تراب. فقال: سمعتُ اللهَ تعالى يقول: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[البقرة: ١٤٣] فعليٌّ فيمن هدى الله إلى الإيمان، ثم ما أقولُ في ابن عمّ رسول الله ﷺ وخَتَنِه على ابنته وأحبِّ الناس إليه، وصاحبِ سوابقَ مباركات سبقت له من الله لا تستطيع أنت ولا أحدٌ من الناس أن تحولَ بينه وبينها؟! أقول قولي هذا، ولا أعدلُ عنه.

فتغيَّر وجهُ الحجَّاج وبَسَرَ وكَلَحَ، وقام مُغْضَباً عن سريره، فدخلَ بيتَه، وقمنا فخرجنا.

قال الشعبي: فأخذتُ بيد الحسن وقلت له: يا أبا سعيد، أغضبتَ الأمير وأوغرتَ صدرَه. فنترَ يده من يدي وقال: إليك عنّي يا عامر، يقول الناس: عامرُ الشعبيّ عامرُ أهل الكوفة وفقيهُها، أتيتَ شيطاناً من شياطين الإنس تكلِّمُه بهذا [الكلام]! ويحك يا عامر، هلَّا اتَّقيتَ الله إذْ سُئلتَ فصدَقتَ أو سكتَّ فسَلِمْتَ! فقلت: يا أبا سعيد، قد قلتُها وأنا أعلمُ ما فيها. فقال: ذاك أعظمُ في الحجَّة عليك، وأشدُّ في التَّبِعة يا عامر(١).

قال الشعبي: فما فرَّق الموتُ بيني وبين الحسن حتى اجتمعنا عند عُمر بن هُبَيْرة لمَّا وليَ العراقَ ليزيد بن عبد الملك، واجتمع قرَّاء الأمصار، فسألهم عن مسائل، ثم أخرجَهم جميعاً، فلم يبقَ غيري وغير الحسن وابن سِيرِين، فالتفتَ إلى ابنِ سِيرِين فقال: يا أبا بكر، ما رأيتَ من أمرنا منذ قدمنا(٢)؟ فقال: رأيتُ ظلماً فاشياً، ومنكراً قبيحاً. فغمزه ابنُ أخيه في منكبه، فقال له محمد: أنا الذي أُسألُ، لا أنتَ.

---

(١) أنساب الأشراف ١٢/ ٣٦٩ـ٣٧٠.

(٢) في (ص): قدومنا.

قال: فالتفت إليَّ وقال: ما تقولُ أنتَ يا عامر؟ فقلت: الأميرُ ـ وفَّقه الله ـ مجتهدٌ، والتوفيقُ من الله.

فالتفت إلى الحسن، فقال: ما تقول أنتَ يا أبا سعيد؟ إن أمير المؤمنين يزيد يكتب إليَّ في أشياء ليست من طاعة الله، هل ترى [لي] رخصة أن أُمضيَها؟ قال عامر: فنشز[1] الحسن وجثا[2] على ركبتيه وقال: هذا الشعبيُّ فقيه أهل العراق [ـ أو المشرق ـ] فسله. فأحال الجواب عليَّ، فقلت: قارِبْ وسدِّدْ وارفُقْ، فإني أرجو أن لا يكون عليك بأس. فقال للحسن: أريد جوابَك أنتَ يا أبا سعيد. فقال له الحسن وقد احمرَّتْ عيناه: إيهِ يا ابْنَ هُبيرة! خَفِ اللهَ في يزيد، ولا تخف يزيدَ في الله، يا ابْنَ هُبيرة، اعرِضْ كتابَ يزيد على كتاب الله، فإن وافقَ، فأمْضِه، وإن خالف فاضْرِبْ به عُرْضَ الحائط، يا ابن هُبيرة، يُوشِكُ ـ واللهِ ـ أن ينزل بك ملكُ الموت، فيُنزلك عن سريرك ويخرجَك من سعة قَصْرك إلى ضيق قبرك[3]، ثم لا يُوسعُه عليك إلا عملُك، يا ابنَ هُبيرة، إنَّ للهِ سطواتٍ ونِقْمات، وما هي من الظالمين ببعيد، يا ابنَ هُبيرة، لا طاعةَ لمخلوق في معصية الخالق. فبكى ابنُ هُبيرة بكاءً شديداً وقال: الحقُّ ـ واللهِ ـ فيما قال الشيخ.

ثم قمنا فخَرَجْنا، ولَحِقَنا رسولُه بالبَدْر[4] والهدايا إلى الحسن دونَنا، فلم يقبَلْها، وبعث إلينا بألفين [فقلنا: رَفَقْنا فَرَفَقَ لنا، وشدَّد غيرُنا فكثّر له].

قال الشعبي: ولما خرجنا قلتُ للحسن: يا أبا سعيد، ما كنّا نعرف لك الفضل علينا حتى اليوم، حيث أرَدْنا الدنيا وأردتَ ما عند الله. [قال:] فضرب بيده في صدري وقال: ويحك يا عامر، تدري متى هلك بنو إسرائيل؟ إنما هلكوا حين رخَّص لهم علماؤهم في محارم الله تعالى[5].

---

(١) في (خ): فنشر. وفي (ص): فسوّى. والمثبت من (ب).

(٢) في (ص): وجلس.

(٣) في (ص): لحدك.

(٤) البَدْر والبَدْرة: كيس فيه مال (ألف أو عشرة آلاف درهم، أو سبعة آلاف دينار). ينظر «القاموس».

(٥) ينظر «أنساب الأشراف» ٧/ ٢١٧، و«العقد الفريد» ١/ ٥٨ ـ ٥٩، و«حلية الأولياء» ٢/ ١٤٩ ـ ١٥٠، والكلام السالف بين حاصرتين من (ص).

[ذكر أخبار متفرّقة من سيرة الحسن]

[قال الشعبي: كان الحسن كاتباً للربيع بن زياد].

و[قال ابن سعد:] قدم الحسن مكة، فأجلسوه على سرير، واجتمعَ الناسُ إليه فحدَّثَهم، وكان فيمن أتاه مجاهد وعطاء وعَمرو بن شعيب، فقالوا: لم نرَ مثل هذا قطُّ.

و[روى عنه قتادة أنه] قال: لولا الميثاق الذي أخذه الله على أهل العلم ما حدَّثْتُكم[١].

وكان يُحدِّثُ بالمعاني، فيزيد في الحديث وينقص منه، ولكن المعنى واحد.

وكان [يتوضأ ممَّا مسَّت النار، و] يغتسل للجمعة، ويتختَّم في يساره، ولا يُحفي شاربه[٢].

[قال: ووليَ الحسن قضاء البصرة بعد إياس بن معاوية، ثم استعفى، وتكاثر الناسُ عليه يوماً فقال: لابدّ لهؤلاء من وَزَعة. أي: مَن يردُّ عنهم. وقد ذكرناه فيما تقدَّم[٣].

وقال ابن سعد أيضاً عن رَوْح بن عُبادة، عن الحجَّاج بن الأسود قال: تمنّى رجل فقال: ليتني بزهد الحسن، وَوَرع ابن سيرين، وعِبادةِ عامر بن عبد قيس، وفِقْهِ ابن المسيّب. فنظروا في ذلك، فوجدوه كلّه في الحسن][٤].

وسأله أبو سلمة بنُ عبد الرحمن فقال: هذا الذي تُفتي به الناس؛ شيءٌ سمعتَه، أم برأيك؟ فقال [الحسن]: لا واللهِ، ما كلُّ ما نُفتي به سمعناه، ولكنَّ رَأْيَنا لهم خيرٌ من رَأْيهم لأنفسهم[٥].

[وقال الحسن: ذهب الناسُ والنسناس، أسمع صوتاً ولا أرى إنسياً][٦].

---

(١) طبقات ابن سعد ٩/ ١٥٨ . وما سلف بين حاصرتين من (ص).

(٢) في «الطبقات» ٩/ ١٦١ : لا يُحفي شاربَه كما يُحفي بعض الناس..

(٣) ينظر «طبقات ابن سعد» ٩/ ١٥٩-١٦١ .

(٤) المصدر السابق ٩/ ١٦٦ . وكلُّ ما سلف بين حاصرتين في هذه الفقرة من (ص).

(٥) طبقات ابن سعد ٩/ ١٦٦ .

(٦) في «طبقات» ابن سعد ٩/ ١٢٧ : أنيساً. وهذا الكلام بين حاصرتين من (ص).

وقال رجل للحسن: يا أبا سعيد. فقال له [الحسن]: أين غُذيتَ؟ قال: بالأُبُلَّة. قال: من هناك أتيت[١].

وقال سعيد أخو الحسن يوماً: أنا أعربُ الناس. قال الحسن: أنت؟! قال: نعم، فإن استطعتَ أن تأخذَ عليَّ كلمةً واحدة. فقال الحسن: نعم، هذه[٢].

ووقع الطاعون بالبصرة، فاجتمع الناس إلى الحسن وقالوا: يا أبا سعيد، هلك الناس. فقال: ليس ما فعل بكم ربكم مهلكاً[٣]، أقلع مذنب، وأنفق مُمْسك[٤].

و[قال الأصمعي: حُكي عن الحسن أنه] قال: في الكلب عشر خصال محمودة:

أحدها: ما يزال جائعاً، وذلك [من] دأب الصالحين.

والثانية: لا يكون له مكان معروف، وذلك من علامات المتوكِّلين.

والثالثة: لا ينام طول ليله، وذلك من صفات المحبِّين.

والرابعة: إذا مات لا يخلِّفُ شيئاً، وذلك من صفات المتزهّدين.

والخامسة: لا يُفارق صاحبَه وإن آذاه وجفاه، وتلك أمارات المريدين.

والسادسة: أن يرضى من الدنيا بأدنى الأماكن، وذلك من أوصاف القانعين.

والسابعة: إذا غلب على مكان تركه، ومَضَى إلى غيره، وتلك علامات[٥] الوَرِعين.

والثامنة: إذا طُرد عاد، وتلك من صفات المحافظين.

والتاسعة: إذا حضر المعلوم قعد بعيداً، وهذه صفاتُ المساكين[٦].

والعاشرة: ليس له مأوى، وهذه من أوصاف المتجرِّدين[٧].

---

(١) المصدر السابق ٩/ ١٦٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) في (ب): هلكاً. ولم يرد هذا الخبر في (ص).

(٤) ينظر «العقد الفريد» ٣/ ١٩٣، و«محاضرات الأدباء» ٤/ ٣٢٤_٣٢٥، و«وفيات الأعيان» ٢/ ٧٠.

(٥) في (ب) و(ص): علامة.

(٦) في (ص): السالكين.

(٧) لم أقف على الخبر. وألحقه ناشر «فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب» به، ولا تصحُّ نسبته إلى الحسن البصري رضي الله عنه، فأسلوبُ هذا الكلام ليس من أسلوبه، ولا من أسلوب عصره، ولا يخفى ما فيه من تكلّف، بل إن بعض الخصال المذكورة فيه لا تليق بالمؤمن.

[ذكر وفاته رحمة الله عليه:]

[قال الواقدي:] وتوفي الحسن رحمة الله عليه في رجب سنة عشر ومئة [وبينه وبين محمد بن سيرين مئة يوم؛ تقدَّمه الحسن.

وقال حمَّاد بن سلمة: كان ذلك] يوم الجمعة، أو ليلة الجمعة، وغسَّله أيوبُ السَّخْتِياني، وحُميد الطويل.

وكان له يوم مات سبع وثمانون سنة [كان أسنَّ من ابن سيرين بعشر سنين[١].

وحكى ابن سعد قال:] قال رجل لابن سِيرِين: رأيتُ في المنام طائراً أخذ [أحسن] حصاةٍ من المسجد. فقال [ابن سِيرِين]: إن صدقَتْ رؤياك مات الحسن. فلم يلبث إلا قليلاً حتى مات[٢].

[وقال ابن قتيبة: لم يحضر ابنُ سِيرِين جنازة الحسن لشيءٍ كان بينهما.

قلت: وليس كما ذكر ابن قُتيبة، بل كان ابنُ سِيرِين محبوساً في حبس الحجَّاج بدَيْن كان عليه، وسأل الخروج ليصلّيَ عليه، فلم يمكّن، ومات ابنُ سِيرِين في الحبس لما نذكر].

[ذكر ما رُؤي له من المنامات]

[وفيها كثرة، فنقتصر على ما ثبت منها:

قال الواقدي: قال ابن أبي الدنيا في كتاب «المنامات»:] قال مالك بن دينار[٣]: رأيت الحسن في منامي مشرقَ اللون، شديد بياض الوجه، تُبرق مجاري دموعه من شدَّة بياضها على سائر وجهه [قال:] فقلت: يا أبا سعيد، ألستَ عندنا من الموتى؟! قال: بلى. قلتُ: فما الذي صرتَ إليه بعد الموت في الآخرة؟ فواللهِ لقد طالَ حُزنُك وبكاؤُك في دار الدنيا. [قال:] فتبسَّم وقال: لقد رفع الله لنا بذلك الحزن والبكاء علم الهداية إلى طريق منازل الأبرار، فحلَلْنا بثوابه مساكنَ المتقين، وايْمُ الله، إنَّ ذلك لمن

---

(١) طبقات ابن سعد ٩/ ١٧٧-١٧٨ . والكلام الواقع بين حاصرتين في هذه الفقرة من (ص).

(٢) المصدر السابق ٩/ ١٧٤ ، ولفظة «أحسن» بين حاصرتين منه.

(٣) ما سلف بين حاصرتين من (ص)، وجاء بعده فيها ما صورتُه: وقد حدَّثنا به غير واحد عن أبي بكر محمد بن عبد الله (كذا. والصواب: عُبيد الله) بن نصر بن الزاغوني بإسناده عن مالك بن دينار قال... الخ والخبر في «المنامات» (٣٩) ص ٣٧ .

فضل الله علينا. قلت: فَبِمَ تأمرُني يا أبا سعيد؟ فقال: أطول الناس حزناً في الدنيا أطولُهم فرحاً في الآخرة.

[قال ابنُ أبي الدنيا: ولما مات ابنُ سيرين بعد الحسن رؤي في المنام في حالٍ تُسرّ، فقيل له: فما صنع الله بالحسن؟ فقال: رفع فوقي بسبعين درجة. قيل: ولِمَ ذلك وقد كنتَ تُرى أفضلَ منه؟! فقال: ذاك بطول حُزنه](١).

أسند الحسن عن خلق من الصحابة وعاصرَهم، منهم عثمان، وعليّ، وابن عُمر، وأنس، وأبو سعيد الخُدري، وجابر بن عبد الله، وعمران بن الحُصَيْن، وسَمُرة بن جُنْدب، وعبد الرحمن بن سَمُرة وغزا معه كابُل، والأندقان والأندغان(٢) والأندلستان(٣) ثلاث سنين.

واختلفوا في سماعه من أبي هريرة، وروى عنه خلقٌ كثير من التابعين.

وسئل أنس بن مالك عن مسألة فقال: عليكم بمولانا الحسن فسَلُوه، فقيل له في ذلك، فقال: نعم، إنّا سمعنا وسمع، فحفظ ونسينا(٤).

وأرسل الحسن الحديث، واختلف العلماءُ في مراسيله:

فعند أبي حنيفة وأصحابه ومالك وأحمد وعامَّة العلماء أنَّها حُجَّة، وعند الشافعيّ ليست بحجَّة(٥).

وحجّ الحسن مرَّتين، مرَّة في أوَّل عمره، وأخرى في آخر عمره(٦).

---

(١) المنامات، بإثر الخبر السابق. والكلام بين حاصرتين من (ص).

(٢) في (ص): الأندغان والأندوان. وذكر ياقوت في «معجم البلدان» ١/ ٢٦٤ أندوان، وقال: قرية من قرى أصبهان. ولم أقف على من ذكر الأندقان والأندغان، وذكر ياقوت ١/ ٢٦١ أندغن وقال: من قرى مرو، وأندق، وقال: قرية بينها وبين بخارى عشرة فراسخ. ولعلهما هما.

(٣) كذا في النسخ. ولم أقف عليها. وفي «طبقات» ابن سعد ٩/ ١٥٨ : زابلستان. وذكرها ياقوت في «معجمه» ٣/ ١٢٥ وقال: كورة (بقعة فيها قرى ومحالّ) واسعة جنوبي بلخ وطخارستان.

(٤) طبقات ابن سعد ٩/ ١٧٦ .

(٥) من قوله: واختلفوا في سماعه من أبي هريرة... إلى هذا الموضع، ليس في (ص).

(٦) طبقات ابن سعد ٩/ ١٧٥ . ونُسب الكلام في (ص) إليه.

[قلت: وقد روى ابن سعد أن الحسن غسل كتبه قبل الموت][(١)].

وقال سهل بن حُصين بن مسلم الباهليّ: بعثتُ إلى عبد الله بن الحسن أنِ ابعثْ إليَّ بكتب أبيك. فبعث إليَّ يقول: إنه لما ثَقُل قال: اجمعها لي. فجمعتُها له، وما أدري ما يصنع بها. فقال للخادم: أُسْجُرْ لي التَّنُّور. فسَجَرَه له، ثم أمر بها، فأُحرقت[(٢)].

وقد روى ابنُ سعد أنه كان يميل إلى القدر، فقال: أخبرنا عارم بن الفضل، حدَّثنا حمَّادُ بنُ زيد، عن أيوب قال: أنا نازلتُ الحسن في القَدَر غيرَ مرَّة حتى خوَّفتُه السلطان[(٣)] فقال: لا أعودُ فيه بعد اليوم.

وقال أيوب[(٤)]: لا أعلَمُ أحداً يستطيعُ أن يعيبَ الحسن إلا به.

وقال عمر مولى غُفْرة: كان أهلُ القَدَر ينتحلُون الحسن، وكان قولُه مخالفاً لهم، كان يقول: يا ابن آدم، لا تُرْضِ أحداً بسخط الله، ولا تُطيعنَّ أحداً في معصية الله، ولا تحمَدَنَّ أحداً على فضل الله، ولا تلومَنَّ أحداً فيما لم يؤتك الله، إنَّ الله خلقَ الخلق، فمضَوا على ما خلقَهم عليه، فمن كان يظنّ أنه يزداد بحرصه في رزقه، فليزدد بحرصه في عمره، أو يغيِّر لونه، أو يزيد في أركانه أو بنائه[(٥)].

وقال حمَّاد بنُ سلمة: كان سبب نسبته إلى القدر أنه كان يجتمع إليه جماعة ممَّن يرى القدر، كمعبد الجُهَنيّ وأمثاله، فيقولون: يا أبا سعيد، إن هؤلاء الظَّلَمة الأشرار يأخذون الأموال، ويسفكون الدماء، ويفعلون ويفعلون، ويَدَّعُون أنما تجري أعمالهم على قَدَر الله تعالى، فيقول: كذبَ أعداء الله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ﴾ [الأعراف: ٢٨]، إن الله لا يرضى لعباده الكفر[(٦)]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾

---

(١) لم أقف عليه، والكلام بين حاصرتين من (ص). ولم يرد فيها الكلام بعده حتى نهاية الترجمة، وجاء فيها بعده ما صورته: انتهت ترجمة الحسن البصري رضي الله عنه.

(٢) طبقات ابن سعد ٩/ ١٧٥، وفيه أنه أمر بها فأُحرقت غير صحيفة واحدة...

(٣) في (خ): بالسلطان. والمثبت من (ب)، وهو موافق لما في «طبقات» ابن سعد ٩/ ١٦٨.

(٤) في (ب) و(خ): ورب، بدل كلمة: أيوب، وجاء فوقها في (خ): كذا. والمثبت من المصدر السابق والخبر فيه.

(٥) طبقات ابن سعد ٩/ ١٧٥.

(٦) لفظ الآية: ﴿وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ﴾[النور: ٧].

[النحل: ٩٠] ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَۚ﴾ [النساء: ٧٩] ويستنزع آياتِ القرآن المتعلقةَ بهذا المعنى، فنسبوه إلى القَدَر، وتعلَّقُوا عليه به.

شعبة مولى عبد الله بن عباس

أبو عبد الله من الطبقة الثانية من التابعين من أهل المدينة(١).

محمد بن سِيرِين

مولى أنس بن مالك، وكنية سِيرِين أبو عَمْرَة، وكنية محمد أبو بكر، وهو من الطبقة الثانية من أهل البصرة. وقيل: من الثالثة(٢).

[وأبوه سِيرِين من الطبقة الأولى من التابعين من أهل البصرة.

وقال ابن سعد: وأصل محمد من سَبْي عين التمر(٣).

وقال ابن عائشة: كان سِيرِين من أهل جَرْجَرايا(٤)، وكان يعمل قدور النحاس، فجاء إلى عين التمر، فسباه خالد بن الوليد، فوقع في سهم أنس بن مالك، فكاتبه على كذا وكذا ألفاً وغلامين يغلَّان عليه(٥). قال: وكان سِيرِين قَيْناً(٦).

وفي رواية ابن سعد أيضاً أنه كاتبَه على عشرة آلاف درهم وعشر وُصَفاء، في كلِّ سنة ألفُ درهم ووصيفة(٧).

وقال ابن سعد: وُلد لسِيرِين ثلاثةٌ وعشرون ولداً من أمَّهات أولاد شتَّى(٨).

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٨٩ . ومن خبر حرق كتب الحسن ﷺ إلى هذا الموضع، ليس في (ص).

(٢) عبارة (ص): وهو من الطبقة الثانية من أهل البصرة في قول ابن سعد، وذكره خليفة في الطبقة الثالثة. وينظر «طبقات» ابن سعد ٩/ ١٩٢، و«طبقات» خليفة ص ٢١٠ .

(٣) طبقات ابن سعد ٩/ ١٢٠ و١٩٢ .

(٤) قال ابن سعد: أحسب من قال ذلك قد وهم، إنما كان لهم أرض بجرجرايا. وينظر «تاريخ دمشق» ٦٢/ ٢٤٣ (طبعة مجمع دمشق)، و«صفة الصفوة» ٣/ ٢٤٧ .

(٥) في «طبقات» ابن سعد ٩/ ١١٩ ، و«تاريخ بغداد» ٣/ ٢٨٥ ، و«تاريخ دمشق» ٦٢/ ٢٤٦ : يعملان عمله.

(٦) أي: حدّاداً.

(٧) في «الطبقات» ٩/ ١١٩ : وعشرة وصفاء، في كل سنة ألف درهم ووصيف.

(٨) المصدر السابق ٩/ ١٢٠ .

وروى سِيرِين شيئاً من الحديث، وكانت له أرض بجَرْجَرايا، وكانت في يد محمد ابن سِيرِين](١).

[ذكر مولد محمد بن سِيرِين:]

[واختلفوا فيه؛ ذكر ابنُ سعد أنه] وُلد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان رضي الله عنه(٢). [وقال أبو الحسن الزيادي:] ولد سنة(٣) إحدى وثلاثين [في أيام عثمان].

وأمُّه صفيَّة(٤) مولاةُ أبي بكر الصديق رضي الله عنه طيَّبَها ثلاثةٌ من أزواج رسول الله ﷺ، ودعَوْا لها، وحضر إملاكها ثمانيةَ عشرَ بدرياً، فيهم(٥) أُبيّ بنُ كعب [يدعو وهم يؤمِّنُون].

ووُلد لمحمد بن سِيرِين ثلاثون ولداً من امرأة واحدة، لم يبق منهم غير عبد الله بن محمد(٦).

[وروى ابن سعد عن حفصة بنت سيرين قالت:] وكان محمد يشتري لأمِّه ألين ثوب يجد، ويصبُغه، وكانت تحبُّ الصِّبْغ [وما رأيتُه رافعاً صوته عليها قطّ] وكان إذا كلَّمها كأنه مريض، فلو رآه رجلٌ لا يعرفه قال: هذا مريض، فيقال: ما الذي به؟ فيقال: كذا يكون عند أمِّه(٧).

وقال جرير بن حازم: سمعتُ محمد بن سِيرِين يحدث رجلاً فقال: ما رأيتُ الرجل الأسود. ثم قال: أستغفرُ الله، ما أُراني إلا [قد] اغتبتُه(٨).

---

(١) من قوله: وأبوه سيرين... إلى هذا الموضع (وهو ما بين حاصرتين) من (ص).

(٢) طبقات ابن سعد ٩/ ١٩٢.

(٣) ما سلف بين حاصرتين من (ص)، وجاء في (خ) وقيل: وُلد سنة... إلخ.

(٤) في (ص): وروى ابن سعد عن بكَّار بن محمد عن أبيه قال: أمُّ محمد بن سِيرِين صفيّة... والكلام في «الطبقات» ٩/ ١٩٢.

(٥) في (ب) و(خ): فمنهم، والمثبت من (ص)، وهو موافق لما في المصدر السابق. وفي «تاريخ دمشق» ٦٢/ ٢٤٥: منهم. والكلام الآتي بين حاصرتين من (ص).

(٦) طبقات ابن سعد ٩/ ١٩٢ ونُسب الكلام في (ص) إليه.

(٧) تاريخ دمشق ٦٢/ ٢٧٩-٢٨٠ (طبعة مجمع دمشق)، وينظر المصدر السابق ٩/ ١٩٧.

(٨) طبقات ابن سعد ٩/ ١٩٥، وحلية الأولياء ٢/ ٢٦٨.

وكانوا إذا ذكروا عنده رجلاً بسيِّئة ذكر أحسن ما فيه، وذكر يوماً طبيباً ثم قال: فلانٌ أطبُّ منه. فانتبه وقال: غفر الله له، ما أُراني إلا قد اغتبتُه[١].

[وروى عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل عن أبيه، عن عفَّان بن مسلم، عن حمَّاد ابن زيد قال: قال عاصم الأحول: سمعت] مورِّق[٢] العجلي [يقول:] ما رأيتُ رجلاً أفقه في ورعه، ولا أورعَ في فقهه من محمد بن سيرين[٣].

وقال أبو قِلابة: وأيُّنا يُطيق ما يُطيق محمدُ بنُ سِيرِين، يركبُ مثل حدِّ السِّنان[٤].

[وروى ابن أبي الدنيا عن أبي عَوَانة قال: كان محمد بن سِيرِين إذا مشى فيكبّر الناس، كان قد أُعطِيَ هَدْياً وسمتاً وخشوعاً، فكان الناس إذا رأوه ذكروا الله تعالى][٥].

[وقال عاصم:] ولم يكن محمد بن سيرين يترك أحداً يمشي معه[٦] وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً[٧].

وأرسل إليه عُمر بن هُبيرة بثلاثة آلاف درهم، فلم يقبلها، فقيل له في ذلك [وأن الحسن قد قبل أربعة آلاف] فقال: إنما بعث بها إليَّ على خير يظنُّه فيَّ[٨]، ولئن كنتُ كما ظنَّ بي فما ينبَغي لي أن أقبل؛ وإن لم أكن كما ظنّ بي فبالحريِّ أنني لا أقبل[٩].

وكان يقول: العُزْلة عبادة[١٠].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) في (خ): وقال مورِّق... والكلام المثبت (وهو ما بين حاصرتين) من (ص).

(٣) طبقات ابن سعد ٩/ ١٩٥، وحلية الأولياء ٢/ ٢٦٦، وتاريخ بغداد ٥/ ٢٨٧، وتاريخ دمشق ٦٢/ ٥٨ - ٢٥٩ (طبعة مجمع دمشق)، وصفة الصفوة ٣/ ٢٤٣.

(٤) طبقات ابن سعد ٩/ ١٩٧، وحلية الأولياء ٢/ ٢٦٧، وتاريخ دمشق ٦٢/ ٢٦٥.

(٥) الأولياء، لابن أبي الدنيا ص ١٩ (٣١). ولفظه فيه عن أبي عَوَانة: رأيتُ محمد بنَ سِيرين يمرُّ في السوق وكبَّر الناس... إلخ. والكلام بين حاصرتين من (ص). وينظر «تاريخ دمشق» ٦٢/ ٢٧٤ (طبعة مجمع دمشق).

(٦) حلية الأولياء ٢/ ٢٦٧، وصفة الصفوة ٣/ ٢٤٣.

(٧) حلية الأولياء ٢/ ٢٦٣ و٢٧٢، وتاريخ دمشق ٦٢/ ٢٧٣، وصفة الصفوة ٣/ ٢٤٣ـ٢٤٤.

(٨) في (ص): بي.

(٩) صفة الصفوة ٣/ ٢٤٥ـ٢٤٦. ونُسب الخبر في (ص) لأبي نُعيم، وهو بنحوه في «حلية الأولياء» ٢/ ٢٦٨.

(١٠) صفة الصفوة ٣/ ٢٤٦.

[وقال أبو نعيم عن ابن عون:] وكان له منازل لا يُكْرِيها إلا لأهل الذمّة، فقيل له في ذلك، فقال: إذا جاء رأسُ الشهر رُعْتُ الساكن، وأكرهُ أن أروِّع مسلماً(١).

[وقال عبد الله بن الإمام أحمد بإسناده عن أيوب: كان محمد يخاف أن يبغته الموت، فإذا ذكر الموت مات كل عضو منه على حدة](٢).

[وقال عاصم:] وكان يضحك بين الناس، فإذا خلا بنفسه نشج(٣)، ولو أُعطيَ الدنيا بحذافيرها لم يفعل. [قال ابن سعد:] وجاءه رجل فقال: نلتُ منك، فاجعلني في حلّ. فقال: لا أُحِلُّ شيئاً حرَّمه الله(٤).

وكان له سبعة أوراد، فما فاته في الليل يقرأه في النهار(٥).

[وقال مجالد بن سعيد: كان ابنُ سيرين كاتباً لأنس بن مالك بفارس].

[وقال أبو أحمد العجلي:] وطُلب للقضاء، فهرب إلى الشام، ومرَّة إلى اليمامة. ولقد أقام بالشام وبدمشق أربع سنين لا يعرف(٦).

[وقال ابن سعد:] وكان يكنُس المسجد بثوبه(٧).

و[قال أبو أحمد العجلي]: جاءه رجل فادَّعى عليه درهمين، فأنكر، فطلب الرجلُ يمينَه، فحلف، فقيل له في ذلك، فقال: أحلف صادقاً ولا أطعمه حراماً وأنا أعلم(٨).

[ذكر طرف من تعبيره للرؤيا]

وكان أوحدَ وقته في تعبير الرؤيا، وقيل: إنما أخذها عن أمِّهِ مولاةِ أبي بكر رضي الله عنه.

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ٢٦٨، وصفة الصفوة ٣/ ٢٤٦.

(٢) تاريخ دمشق ٦٢/ ٢٨١ و٢٨٢، وينظر: الحلية ٢/ ٢٧٢، وصفة الصفوة ٣/ ٢٤٧.

(٣) ينظر: حلية الأولياء ٢/ ٢٧٤، وتاريخ بغداد ٣/ ٢٨٩، وتاريخ دمشق ٦٢/ ٢٧٠، وصفة الصفوة ٣/ ٢٤٧.

(٤) طبقات ابن سعد ٩/ ١٩٩، وحلية الأولياء ٢/ ٢٦٣، وتاريخ دمشق ٦٢/ ٢٧٥-٢٧٦.

(٥) طبقات ابن سعد ٩/ ١٩٩.

(٦) «تاريخ دمشق» ٦٢/ ٢٣٧، ونُسب الشطر الأول من الكلام فيه لأيوب، والثاني لعبَّاد بن عبَّاد.

(٧) طبقات ابن سعد ٩/ ٢٠٢، وتاريخ دمشق ٦٢/ ٢٧٣. والكلام بين حاصرتين من (ص).

(٨) بنحوه في «تاريخ بغداد» ٣/ ٢٩٠، و«تاريخ دمشق» ٦٢/ ٢٧٥.

و[قال أيوب:] كان الحسن إذا سُئل عن شيء من تعبيرها يقول: عليك بالذي كان[١] من آل يعقوب. يعني ابن سيرين.

[وقال عبد الله بن مسلم: جالستُ ابن سيرين مدَّة ثم تركتُه، وجالستُ الإباضيَّة، فرأيت في منامي كأني مع قوم يحملون جنازة رسول الله ﷺ. فأتيتُ ابنَ سيرين، فأخبرتُه، فقال: قد جالستَ أقواماً يريدون أن يدفنوا ما جاء به رسول الله ﷺ[٢].

وقال مغيرة بن حفص: رأيت كأنَّ الجوزاء قد تقدَّمت إلى الثريَّا. فقال: إن صدقت رؤياك مات الحسن، ثم أموتُ بعده. فكان كذلك][٣].

ذكر حبسه بالدَّين ووفاته:

حكى أبو نعيم عن محمد بن سيرين قال[٤]: إني لأعرفُ الذَّنْبَ الذي حمل به عليَّ الدَّيْن؛ قلت لرجل منذ أربعين سنة: يا مفلس[٥].

قال أحمد بن أبي الحواري: فحدَّثتُ أبا سليمان الدارانيّ بذلك، فبكى وقال: قَلَّتْ ذنوبُهم، فعرفوا من أين يُؤْتَوْن، وكثُرت ذنوبُنا فلم ندرِ من أين نُؤتى[٦].

[وقال المدائني:] سببُ حبسه أنه اشترى زيتاً بأربعين ألف درهم، فوجدَ في زِقٍّ منه فأرةً ميتة، فقال: هذه الفأرة كانت في المعصرة، فصب الزيت كلَّه[٧].

[قال:] ولما حُبس قال له السَّجَّان: اذهبْ إلى أهلك ليلاً، وتعال نهاراً. فقال: لا والله لا أتعرَّض للجناية على الشرع والسلطان وعليك[٨].

---

(١) في (ص): عليكم بالذي كأنه. والكلام بين حاصرتين منها.

(٢) تاريخ دمشق ٦٢/ ٢٩٤ (طبعة مجمع دمشق)، وبنحوه في «اعتقاد أهل السنة» (١٤٧٩).

(٣) تاريخ دمشق ٦٢/ ٢٩٥ والكلام بين حاصرتين من (ص).

(٤) في (خ) و (ب): وقال محمد بن سيرين. والمثبت من (ص).

(٥) في النسخ: إني مفلس، والمثبت من المصادر التالية.

(٦) حلية الأولياء ٢/ ٢٧١، وتاريخ دمشق ٦٢/ ٢٨٨، وصفة الصفوة ٣/ ٢٦٣.

(٧) تاريخ دمشق ٦٢/ ٢٨٩، والمنتظم ٧/ ١٣٩.

(٨) بنحوه في «تاريخ بغداد» ٣/ ٢٨٨، و«تاريخ دمشق» ٦٢/ ٢٩٠.

وقال ابن سعد: اشترى طعاماً بأربعين ألف درهم، فأُخبر عن أصله بشيء كرهه، فتصدَّق به، وبقي المال عليه، فحُبس به، ومات في الحبس، والذي حبسه مالك بن المنذر في دَيْنِ [امرأةٍ يقال لها:] أمّ محمد بنت عبد الله بن عثمان بن أبي العاص الثقفي، وكان زوجَها سَلْمُ بنُ زياد [وأخرجها معه إلى خُراسان، وكان أبوها يلقب كركرة][١].

قال ابن سعد [أيضاً]: باع ابن سيرين جارية من هذه المرأة، فرجعت إليه، فشكت أنها تعذِّبُها، فأخذَها محمد، وكان قد أنفق ثمنها [وهي التي حبسَتْه، وهي التي تزوَّجها سَلْمُ بنُ زياد][٢].

وقال ثابت البُناني: قال لي محمد بن سِيرِين: يا أبا محمد، إنه لم يكن يمنعني من مجالستكم إلا مخافة الشهرة، فلم يزل بي البلاء حتى أخذ بلحيتي وأُقمت على المصطبة، فقيل: هذا محمد بن سِيرِين، أكلَ أموال الناس[٣].

وقال هشام: اشترى ابنُ سيرين شيئاً[٤] فيه ربح ثمانون ألفاً، فعرض في قلبه شيء، فتركه [قال هشام:] وواللهِ ما هو بِرِباً[٥].

وقال حمَّاد بن زيد: مات محمد بن سِيرِين يوم الجمعة، وغسَّله أيوب وابنُ عون، وذلك لتسع خلون من شوال، وقيل: ليلة الجمعة لعشر خلون منه، ومات الحسن ليلة الجمعة أول يوم من رجب، بينهما مئةُ يوم [وقيل: أربعون يوماً، والأول أصح وأشهر، وقد ذكره ابن سعد وغيره][٦].

---

(١) طبقات ابن سعد ٨/ ١٩٧-١٩٨، وتاريخ دمشق ٦٢/ ٢٨٩، وليس فيهما في هذه الرواية اسم المرأة، إنما ورد اسمها في الرواية التالية. والكلام السالف بين حاصرتين من (ص).

(٢) المصدر السابق. والكلام بين حاصرتين من (ص).

(٣) طبقات ابن سعد ٩/ ١٩٨، وتاريخ دمشق ٦٢/ ٢٩٠. وفيهما بعده: وكان عليه دين.

(٤) في «طبقات» ابن سعد ٧/ ١٩٨: «اشترى طعاماً بيعاً من مَنُونِيا» وفي «سير أعلام النبلاء» ٤/ ٦١٦: «اشترى بيعاً من مَنُونيا». ومَنُونيا: قرية من قرى نهر الملك. (ونهر الملك بقعة شاسعة ببغداد). ينظر «معجم البلدان» ٥/ ٢١٧ و٣٢٤.

(٥) المصدران السابقان. ونُسب الخبر في (ص) لابن سعد.

(٦) ينظر «طبقات» ابن سعد ٩/ ٢٠٥، و«تاريخ دمشق» ٦٢/ ٢٣٧ و٢٩٧ و٣٠١ و٣٠٢. والكلام الواقع بين حاصرتين من (ص).

وقد بلغ نيّفاً وثمانين سنة. وقد ذكرنا أنه كان له ثلاثون ولداً من امرأة واحدة عربية؛ مات الجميع بالطاعون، فلم يبق إلا واحد، وهو عبد الله بن محمد، وضمن عن أبيه دينه وقال: لما ضمنتُ عنه دينه قال لي: بالوفاء؟ قلت: بالوفاء. فدعا لي بخير.

قال ابن سعد(١): فقضى عن أبيه ثلاثين ألف درهم، فما مات عبد الله بن محمد حتى قَوِّمَ مالُه، فكان ثلاث مئة ألف درهم أو نحوها.

قال المصنف رحمه الله: وقد اتفقوا أنه لمَّا مات أنس كان ابنُ سيرين محبوساً، وأوصى أن يغسِّله ابن سيرين، وأنه خرج فغسَّله وعاد إلى الحبس.

واتفقوا أيضاً على أنه مات محبوساً بالدَّيْن.

وبين وفاة أنس ومحمد بن سِيرِين سبع(٢) عشرة سنة؛ لأن أنساً مات [إما] في سنة إحدى وتسعين أو ثلاث وتسعين(٣)، ومحمدٌ مات سنة مئة وعشر سنين.

[قلت:] والعجب من مُقامه في السجن هذه المدة الطويلة وقد كان في أيامه الخلفاء الأمجاد والأسخياء الأجواد، مثل سليمان بن عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وأولاد المهلَّب بن أبي صُفْرة، أفما كان في هؤلاء من يُقيلُه هذه العَثْرة(٤)؟!

أسند ابنُ سِيرِين عن زيد بن ثابت، وابنِ عمر، وأنس، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وعمران بن حُصَيْن، وأبي بَكْرَة، وعبد الله بن الزُّبير، وعديِّ بن حاتم، وأبي قتادة، وغيرهم.

وقال الفُضَيْل بن عياض(٥): قلت لهشام بن حسان: كم أدرك ابنُ سِيرِين من الصحابة؟ قال: ثلاثين.

---

(١) في «الطبقات» ٩/ ٢٠٤-٢٠٥.

(٢) في (ص): بضع.

(٣) قوله: أو ثلاث وتسعين ليس في (ب)، وجاء بدلها في (ص): اثنتين وتسعين، وما سلف بين حاصرتين منها.

(٤) من قوله: وقال حمَّاد بن زيد: مات محمد بن سيرين... إلى قوله: قوِّم مالُه فكان ثلاث مئة درهم أو نحوها. وقع في (ص) بعد هذه الفقرة.

(٥) في (خ): الفضل بن دكين. والمثبت من (ب) و(ص)، والخبر في «تاريخ دمشق» ٦٢/ ٢٤٧.

وروى عن جماعة من التابعين، منهم شُريح القاضي، وكان يُدني مجلسه، وعَبِيدةُ السَّلْماني، ومسلم بن يسار، وغيرهم.

وروى عنه خلق كثير، منهم الشعبي، وقتادة، وأيُّوب، وابنُ عَوْن، ويونس بن عُبيد.

وكان ابن سِيرِين يحدِّث بالحديث على حروفه ويقول: إن هذا العلم دينٌ، فانظُروا عمن تأخذونه. وكان إذا حدَّث لم يقدِّم ولم يؤخِّر(١).

وعرض له في آخر عمره في أُذُنيه صَمَم، فكان يتحفَّظ في رواية الحديث.

[وقد ذكرنا أنه كان له جماعة من الإخوة، والمشهور منهم ثلاثة: معبد بن سيرين، وكان أسنَّ من محمد وأقدم إخوته.

وقال الفلَّاس: كانوا خمسة إخوة: معبد، وهو أكبرهم، ويحيى، وخالد، ومحمد، وأنس، وأنس أصغرهم.

وأمَّا حفصة فسنذكرها في سنة ست عشرة ومئة.

انتهت ترجمة ابن سيرين رحمه الله تعالى](٢).

وَهْب بن مُنَبِّه اليَمَاني

[وكنيتُه] أبو عبد الله، وهو من الأبناء، وذكره ابنُ سعد في الطبقة الثانية(٣) من التابعين [من أهل اليمن، وروى في ترجمته حديثاً، فقال: حدَّثنا إسماعيل بن عبد الكريم بن معقل بن منبّه الصنعاني بإسناده عن عُبادة بن الصامت قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «يكون في أمتي رجلان، أحدهما اسمُه وَهْب، يهبُ اللهُ له الحكمة، والآخر غَيْلان، فتنتُه على هذه الأمة أشرُّ من فتنة الشيطان»(٤).

---

(١) تاريخ دمشق ٦٢/ ٢٥٣.

(٢) الكلام بين حاصرتين من (ص). وينظر «طبقات» ابن سعد ٩/ ٢٠٥-٢٠٦.

(٣) في (ب) و(خ): من الطبقة الثانية، بدل: وذكره ابن سعد في الطبقة الثانية، وأثبتُّ عبارة (ص) لتناسب ما زدتُه منها بعد ذلك بين حاصرتين.

(٤) في إسناده مروان بن سالم الدمشقي؛ قال ابن حجر في «التقريب»: متروك، ورماه الساجي وغيره بالوضع وسيرد الكلام عليه.

وروى ابنُ سعد عن وَهْب أنه] قال: لقد قرأتُ اثنين وتسعين كتاباً كلُّها أنزلت من السماء، اثنان وسبعون منها في الكنائس وفي أيدي الناس، وعشرون لا يعلمها إلا قليل، وجدتُ في كلِّها أنَّ من أضافَ إلى نفسه شيئاً من أمر المشيئة فقد كفر.

قال: وقرأت ثلاثين كتاباً أُنزلت على ثلاثين نبيّاً.

[قال:] ولبث وَهْب أربعين سنةً لم يسبَّ شيئاً فيه روحٌ، ولبث عشرين سنة لم يجعل بين العشاء والصبح وضوءاً.

و[قال محمد بن عمر:] مات [وَهْب] بصنعاء سنة عَشر ومئة.

[هذا صورة ما ذكره ابن سعد(١)].

قلت: ولم يُنصف وَهْباً، فإنه أعظمُ ممَّا ذكر. والحديثُ الذي رواه عن النبيِّ ﷺ في ذكر وَهْب وغَيْلان لا يصحّ. ذكره جدِّي في «الموضوعات»(٢).

قال الزُّبير بن بكَّار: ومعنى من الأبناء: الذين بعثهم كسرى من فارس إلى اليمن، فأجْلَوْا السُّود عنها، وقد ذكرناه(٣).

وقال أبو القاسم بن عساكر: قال هشام(٤): كان وَهْب وهمَّام (وعبد الله) ومعقل ومسلمة(٥) بنو منبّه من خُراسان من بلدة هَراة (ومنبّه من أهل هراة، خرج) فوقع في فارس أيام كسرى، وكسرى أخرجه (من هراة) ثم أسلم على عهد رسول الله ﷺ، وحسُن إسلامُه(٦).

---

(١) في «الطبقات» ٨/ ١٠٢ ـ١٠٣ . وكلُّ ما وقع من كلام بين حاصرتين من (ص).

(٢) أورده فيه ابن الجوزي من طريقين (٦٦٦) (٦٦٧) وقال: هذا حديث موضوع، ونقل عن ابن حبَّان قوله فيه: لا أصل لهذا الحديث.

(٣) وقال ابن منظور في «اللسان»: يقال لأولاد فارس الأبناء، وهم الذين أرسلهم كسرى مع سيف بن ذي يزن لما جاء يستنجدهم على الحبشة، فنصروه... وتزوَّجوا في العرب، فقيل لأولادهم: الأبناء.

(٤) كذا في (ص) (والكلام منها). وليس هو في «تاريخ دمشق» عن هشام، بل هو فيه ١٧/ ٩٥٠ (مصورة دار البشير) من طريق أحمد بن الأزهر، قال: سمعت مسلمة بن همّام بن مسلمة بن همّام بن منبّه يذكر عن آبائه...

(٥) في (ص) (والكلام منها): سلمة، والمثبت من «تاريخ دمشق» وغيره. واسم «عبد الله» الموضوع بين قوسين عاديين، منه ومن المصادر.

(٦) تاريخ دمشق ١٧/ ٩٥٠ (مصورة دار البشير) وما سلف فيه بين قوسين عاديين منه.

قال الإمام أحمد بن حنبل: كانوا أربعة إخوة، أكبرهم وهب، ومعقل، وهمَّام، وغَيْلان، وهو أصغرهم، وهو جدُّ غوث[١]. مات وهب، ثم معقل، ثم غيلان، ثم همام آخرهم[٢].

وقال أبو أحمد العجلي: كان وَهْب قاضياً على صنعاء، وهو تابعي ثقة، وله المواعظ البالغة[٣].

وقال ابن أبي الدنيا بإسناده عن وَهْب قال: الإيمان (عُرْيان)، ولباسُه التقوى، وزينتُه الحياء، ورأس ماله الفقه[٤].

ورُوي عن وَهْب أنه قال في مواعظه: يا ابنَ آدم؛ لا أقوى من خالق، ولا أضعف من مخلوق، ولا أقدر من طالب، ولا أضعف من مطلوب في يد طالبه[٥]. يا ابن آدم؛ إنه قد ذهب منك ما لا يرجعُ إليك، وأقام معك ما سيذهب عنك، أَقْصِرْ عن تناول ما لا تَنال، وعن طلب ما لا تُدرك، وعن ابتغاء ما لا يوجد. يا ابن آدم؛ انظر إلى الدهر تجده ثلاثة أيام: يوماً مضى لا ترتجيه، ويوماً لابدّ منه، ويوماً يجيءُ[٦] لا تأمنه، فأمس شاهد مقبول، وأمين مؤدٍّ، وحكم نافذ الحكم، واليوم صديق مودّع وهو سريع الظَّعْن، وغداً مظنون. يا ابن آدم؛ مضت أصول نحن فروعُها، فما بقاء الفروع بعد الأصول؟! يا ابن آدم؛ إنما أهل هذه الدنيا ـ أو الدار ـ سَفْر؛ لا يَحُلُّون عُقَد الرِّحال إلا في غيرها، وإنما يتبلَّغُون بالعواري، فما أحسن الشكر للمنعم، والتسليم للمُعير[٧].

(١) تحرفت في (ص) (والكلام منها) إلى: برغوث.

(٢) تاريخ دمشق ١٧/ ٩٥٠ . وينظر «علل» أحمد ٢/ ٣٩٦ .

(٣) لم أعرف أبا أحمد العجلي، وقد سلف ذكره أكثر من مرة، وصاحب «الثقات» هو أحمد العجلي، والكلام في «ثقاته» ص٤٦٧ بنحوه.

(٤) مكارم الأخلاق (٩٧) لابن أبي الدنيا، وتاريخ دمشق ١٧/ ٩٥٩ (مصورة دار البشير). وكلمة (عريان) بين قوسين عاديين منهما.

(٥) في «حلية الأولياء» ٤/ ٣٠ : ولا أقدرَ ممن طَلِبتُه في يده، ولا أضعف ممن هو في يد طالبه.

(٦) في (ص) (والكلام منها): نحن فيه، بدل: يجيءُ. والمثبت من «الحلية» ٤/ ٣٠ .

(٧) الكلام في «الحلية» ٤/ ٣٠ـ٣١ ، و«الصفوة» ٢/ ٢٩١ـ٢٩٢ بأطول منه وباختلاف يسير.

وقال أبو نُعيم بإسناده عن بكّار بن عبد الله قال: سمعتُ وَهْبَ بنَ منبّه يقول: مرَّ عابد على عابد، فقال: مالك؟ قال: أعجبُ من فلان، كان قد بلغ من عبادته، ثم مالت به الدنيا، فقال: لا تعجب ممَّن مال إلى الدنيا، ولكن العجب ممَّن استقام[١].

وقال أبو نُعيم بإسناده عن ابن المبارك، عن أشرس، عن وَهْب قال: قرأتُ في بعض الكتب أن منادياً ينادي من السماء الرابعة كل صباح أبناءَ الأربعين: زرعٌ قد دنا حصادُه. أبناءَ الخمسين: ماذا قدَّمتُم وماذا أخَّرتُم. أبناءَ الستين: لا عُذر لكم، ليت الخلق لم يُخلقوا، وإذ[٢] خُلقوا؛ علموا لماذا خُلقوا، قد أتتكم الساعة، فخذوا حذركم[٣].

وروى أبو نُعيم أيضاً أنه قال: قرأتُ في التوراة: أيُّما دار بُنيت بقوَّة الضعفاء؛ جُعلت عاقبتُها إلى الخَراب، وأيُّما مالٍ جُمع من غير حِلِّهِ كانت عاقبتُه إلى الفقر[٤].

وقال أيضاً: صلَّى وَهْبٌ وطاوسُ الغداة بوضوء العتمة أربعين سنة[٥].

وكان وَهْب يعظ عطاء الخُراساني فقال: ويحك يا عطاء، ألم أُخبَر أنك تحملُ علمك إلى أبواب الملوك وأبناء الدنيا! ويحك يا عطاء، تأتي من يُغلق عنك بابه ويُظهر فقره، وتدع من يفتح لك بابه ويظهر غناه ويقول: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر: ٦٠]. ويحك يا عطاء، اِرْضَ بالدُّون من الدنيا مع سلامة الدين، ولا ترض بالكثير من الدنيا مع ذهاب الدين.

وفي رواية: اِرْضَ بالدُّون من الدنيا مع الحكمة، ولا ترضَ بالدُّون من الحكمة مع الدنيا. ويحك يا عطاء، إن كان يغنيك ما يكفيك (فإن أدنى ما في الدنيا يكفيك، وإن

---

(١) حلية الأولياء ٤/ ٥١، وصفة الصفوة ٢/ ٢٩٣.

(٢) في (ص) (والكلام منها): وإذا. والمثبت من «الحلية» ٤/ ٣٣.

(٣) الخبر في «حلية الأولياء» ٤/ ٣٣ من طريق بكّار بن عبد الله بن وهب، وليس من الطريق التي ذكرها المصنف، وذكره ابن الجوزي أيضاً في «صفة الصفوة» ٢/ ٢٩٣ من طريق بكّار.

(٤) حلية الأولياء ٤/ ٣٨، وصفة الصفوة ٢/ ٢٩٤.

(٥) لم أقف عليه في «الحلية». وهو في «صفة الصفوة» ٢/ ٢٨٨، و«المنتظم» ٧/ ١١٥ (ترجمة طاوس).

كان لا يغنيك ما يكفيك) فليس في الدنيا شيءٌ يكفيك، ويحك يا عطاء، إنما بطنُك بحرٌ من البحور، ووادٍ من الأودية، وليس يملؤه إلا التراب[١].

وروى أبو نُعيم عن منير مولى الفضل بن أبي عيَّاش قال: كنتُ قاعداً عند وَهْب، فجاءه إنسان فقال: مررتُ بفلان وهو يشتُمك. فغضب وقال: ما وجدَ الشيطان رسولاً غيرك؟! قال: فما برحتُ من عنده حتى جاءه ذلك الرجل الشاتم، فسلَّم على وَهْب، فردَّ عليه، ومدَّ يده فصافَحه وأجلسه إلى جنبه[٢].

وقال إبراهيم بن عمر: قال وَهْب: إذا مدحك الرجل بما ليس فيك؛ فلا تأمن أن يذمَّك بما ليس فيك[٣].

وقال الهيثم: قال وَهْب: مكتوبٌ في التوراة: أنا الله، قلوبُ الملوك بيدي، أُقلِّبُها كيف شئتُ، فمن كان على الطاعة؛ جعلتُ الملوك عليهم رحمة، ومن كان على المعصية؛ جعلت الملوك (عليهم) نقمة][٤].

وقال المثنَّى بن الصبَّاح: أقام وَهْب أربعين سنة لم يُفرش له فراش.

وكان يحفظُ كلامَه في كل يوم، فإن سَلِمَ أفطر تلك الليلة، وإلَّا طوى. وسرد الصومَ أربعين سنة.

[وقال المثنَّى بن الصبَّاح: ولِيَ وَهْب القضاء لعروة بن محمد السعدي في أيام عمر ابن عبد العزيز[٥].

---

(١) حلية الأولياء ٤/ ٤٣، وصفة الصفوة ٢/ ٢٩٤ـ٢٩٥ (وما بين قوسين عاديين منهما). وذكره ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٤٨/ ٢٤ـ٢٥ (طبعة مجمع دمشق) في ترجمة عطاء الخُراساني.

(٢) حلية الأولياء ٤/ ٧١، وتاريخ دمشق ١٧/ ٩٥٩ (مصورة دار البشير)، وصفة الصفوة ٢/ ٢٩٥.

(٣) تاريخ دمشق ١٧/ ٩٦٠ (مصورة دار البشير)، وصفة الصفوة ٢/ ٢٩٥.

(٤) بنحوه في «العقد الفريد» ١/ ٧، وكلمة (عليهم) بين قوسين عاديين منه، وذكره أبو نعيم في «حلية الأولياء» ٢/ ٣٧٨ عن مالك بن دينار. ومن قوله: هذا صورة ما ذكره ابن سعد (أوائل الترجمة)... إلى هذا الموضع ـ وهو ما بين حاصرتين ـ من (ص).

(٥) ينظر «المعرفة والتاريخ» ٢/ ٤٩.

واختلفوا في وفاته؛ فذكرنا عن الواقدي أنه مات في سنة عشر ومئة.

قال هشام: وفي سنة عشر ومئة مات الحسن وابن سيرين بالبصرة، ومات وَهْب بن مُنبّه بصنعاء. وقال (غيره: مات)[1] وهب بن منبّه سنة أربع عشرة ومئة، وقيل: سنة ستَّ عشرة ومئة، والأول أصحّ][2].

ولما وليَ يوسف بن عمر العراق بكى صالح بن طريف ـ وكان سيّداً ـ وقال: شهدتُ هذا الخبيث وقد ضرب وَهْبَ بنَ منبّه...[3] حتى قتله. يعني يوسف بن عمر.

أسند وَهْب عن جماعة من الصحابة، منهم معاذ بن جبل، وابنُ عُمر، وابنُ عَمرو، وابن عباس، وجابر بن عبد الله، والنعمان بن بشير، وأبو هريرة، وأنس، وأبو سعيد الخُدري، وعبد الله بن الزُّبير، وغيرهم.

وروى عنه طاوس، وعَمرو بن دينار، وموسى بن عقبة في آخرين.

أبو جعفر القارىء المدني

واسمه يزيد بن القعقاع، مولى عبد الله بن عيَّاش بن أبي ربيعة [بن المغيرة المخزومي] مولى [عتاقة، وهو] من الطبقة الثالثة من أهل المدينة، وكان إمامَ أهلها في القراءة[4]. [فلذلك سُمِّيَ القارىء.

وقال هشام: غزا مع مولاه بلاد الروم، وأخذ القراءة عن مولاه، وابن عبَّاس، وأبي هريرة، وهم أخذوا القراءة عن أُبيّ بن كعب، وأخذها أُبيٌّ عن النبي ﷺ].

ومسحت أمُّ سلمة رضي الله عنها على رأسه وهو صغير، ودَعَتْ له بالبركة.

---

(١) ما بين قوسين عادين زيادة من عندي لضرورة السياق. وينظر «تاريخ دمشق» ١٧/ ٩٦٦ (مصورة دار البشير).

(٢) من قوله: وقال المثنى بن الصبَّاح: وليَ وهب القضاء... إلى هذا الموضع (وهو ما بين حاصرتين) من (ص).

(٣) ثمة كلمة في هذا الموضع في (ب) و(خ) (والكلام منهما) رسمها: بالقن. والخبر في «الكنى والأسماء» ٢/ ٦٧٧ ، و«مختصر تاريخ دمشق» ٢٨/ ٨٨ ، وليس فيهما هذه اللفظة.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٢٦ .

[وكان يُقرئ الناس في مسجد رسول الله ﷺ.

وقال نافع بن أبي نُعيم، هو أحد القرَّاء السبعة، قال:] ولما مات وغُسِّل نَظروا ما بين منحره إلى فؤاده مثل ورقة المصحف، فقالوا: هذا نور القرآن، ثم صار ذلك البياض غُرَّة بين عينيه[١].

واختلفوا في وفاته، فقال ابن سعد: توفي في خلافة مروان بن محمد، وكان ثقة قليل الحديث[٢]، وحكى أبو القاسم الهُذَلي في كتاب «الكامل» أنه توفِّي سنة عشر ومئة[٣].

وروى ابن أبي الدنيا عن سليمان العمري قال: رأيتُ أبا جعفر القارئ في المنام على ظهر الكعبة، فقلتُ: أبا جعفر؟ قال: نعم، أَقْرِئْ إخواني السلام منّي، وأَخْبِرْهم أنَّ الله تعالى جعلني مع الشهداء الأحياء المرزوقين، وأَقْرِئْ أبا حازم السلام، وقل له: يقول لك أبو جعفر: الكَيْسَ الكَيْس، فإن الله وملائكته يتراءَوْن مجلسك بالعشيَّات[٤].

[وهذا أبو حازم الأعرج صاحب الموعظة لسليمان بن عبد الملك، وسنذكره في سنة أربعين ومئة في خلافة المنصور].

أسند أبو جعفر عن مولاه عبد الله، وعن ابن عمر، وأبي هريرة، وزيد بن أسلم.

وروى عنه أبو معشر نَجِيح، وعبد العزيز الدراورديّ، وغيرهما[٥].

---

(١) أخرجه المِزّي في «تهذيب الكمال» ٣٣/ ٢٠١ ـ٢٠٢ بإسناده إلى نافع، دون قوله: ثم صار البياض...إلخ فهو في «تاريخ دمشق» ١٨/ ٣٦٨ (مصورة دار البشير) من طريق أخرى وما سلف بين حاصرتين من (ص).

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٢٦.

(٣) من قوله: واختلفوا في وفاته... إلى هذا الموضع، مثبت من (ص)، ووقع الكلام في (خ) مختصراً.

(٤) المنامات لابن أبي الدنيا (٣٢١)، ومن طريقه أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ١٨/ ٣٧٠ (مصورة دار البشير).

(٥) ينظر «تاريخ دمشق» ١٨/ ٣٦٣، و«تهذيب الكمال» ٣٣/ ٢٠٠. وما سلف بين حاصرتين من (ص).

السنة الحادية عشرة بعد المئة

فيها عزلَ هشامُ بنُ عبد الملك أشرسَ بنَ عبد الله السُّلَميَّ عن خُراسان، وولَّاها الجُنيد بن عبد الله المُرِّي[١].

وسببُه ما فعل بأهل الذِّمَّة، وانتقضت عليه السُّغْد وبخارى، واستجاشوا عليه بخاقان[٢]، وفَتَحَ على المسلمين باباً واسعاً، وذهبت الأموال، وضعفت العساكر من سوء تدبير أشرس مع الذين أعاد عليهم الجزية، فكتب أعيان أهل خُراسان ووجوهُ القبائل إلى هشام بذلك، فعزم على عزله، وتوقَّف حتى ينظر من يصلح، فأهدى الجُنيد إلى أمِّ الحكم[٣] بنت يحيى بن الحكم امرأة هشام قلادةً من جوهر لم يُرَ مثلُها، وأهدى لهشام أُخرى مثلَها، فأعجَبْتُه، فولَّاه خُراسان، فقدمَها وأشرسُ يُقاتل أهلَ بُخارى والسُّغْد، فقال الجُنيد: من يسير معي إلى ما وراء النهر؟ فقيل له: حطَّان[٤] بن محرز السُّلَمي، وكان نائبَ أشرس على خُراسان، فسار معه، وقطع النهر، وخافَ من التُّرك، فأرسل إلى أشرس أن يُمدَّه بخيل[٥]، فأرسل إليه عامرَ بنَ مالك الحِمَّاني، فلما كان عامرٌ ببعض الطريق؛ عرضَ له التُّرك والسُّغْد ليمنعوه[٦] قبل أن يصل إلى الجُنيد وضايقوه، فدخل عامر حائطاً هناك وقاتلوه، وخاقانُ على تلٍّ واقفٌ ينظر، وأشرف عامرٌ على التَّلف، فلحقه جماعةٌ من القبائل، فقاتلوا التُّرك، فهزموهم، وهُزم خاقان، وخرج عامر من الحائط، وسار ليلقى الجُنيد وقد صار في سبعة آلاف، فلقيَ الجُنيدَ.

---

(١) كذا في (ب) و(خ) و«المنتظم» ٧/ ١٤٣ . ولم يرد الكلام في (ص). والصواب: الجُنيد بن عبد الرحمن، كما في «تاريخ» الطبري ٧/ ٦٧ وغيره من المصادر. وله ترجمة في «تاريخ دمشق» ٤/ ٤٤ (مصورة دار البشير). وتحرفت لفظة: المُرِّي في (ب) و(خ) إلى: المزني.

(٢) سلف هذا الكلام أوائل سنة (١١٠).

(٣) في «تاريخ» الطبري ٧/ ٦٧ : أم حكيم.

(٤) كذا في (ب) و(خ). وفي «تاريخ» الطبري ٧/ ٦٨ : الخطاب. وفي «الكامل» ٥/ ١٥٦ : حطاب

(٥) بعدها في (ب) و(خ) (والكلام منهما): فارس، وهو سهو فيما يبدو، اشتبهت بكلمة: فأرسل، التي بعدها.

(٦) في «تاريخ» الطبري٧/ ٦٨ : ليقطعوه.

فلما قربوا من بِيكَنْد؛ جاءهم خاقانُ في جيوشه، واقتتلوا، فظهرَ عليهم خاقان، ثم أنزل الله نصرَه على المسلمين، فهزموا العدوَّ، وأسروا ابنَ أخي خاقان، فبعث به الجُنيد إلى هشام، ثم عاد الجُنيد إلى مَرْوٍ سالماً غانماً[1].

وكان نَصْرُ بنُ سيَّار على بَلْخ، فعزله الجُنيد، وولَّى على الثغور جماعةً من الأعيان[2].

وفيها غزا معاوية بنُ هشام الصائفة، ووغلَ في بلد الروم، وغزا أيضاً أخوه سعيد بن هشام، فوصل إلى قيسارية.

وولَّى هشامٌ الجرَّاحَ بنَ عبد الله الحَكَميَّ على أرمينية[3].

وحجَّ بالناس إبراهيم بن هشام وهو على ولايته، وعلى العراق خالدٌ القَسْريّ، وعلى خُراسان الجُنيد[4].

وفيها توفّي

جرير [الشاعر

البصري؛ قال الزُّبير بن بكّار: هو جرير] بن عطيَّة بن حُذيفة - و[حذيفة] هو الخَطَفَى[5] - بن بدر بن سَلَمة بن عَوْف بن كُليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، أبو حزرة.

وذكره محمد بن سلَّام في الطبقة الأولى من شعراء الإسلام[6] وقال: وُلد لسبعة أشهر، وعاش ثمانين سنة، وكانت وفاتُه باليمامة بعد الفرزدق بأربعين يوماً.

---

(١) ينظر تفصيل الخبر في «تاريخ» الطبري ٧/ ٦٧-٦٨ .

(٢) ينظر «تاريخ» الطبري ٧/ ٦٩ .

(٣) المصدر السابق ٧/ ٦٧ .

(٤) تاريخ الطبري ٧/ ٦٩ . ومن قوله: فيها عزل هشام بن عبد الملك أشرس (أول السنة)... إلى هذا الموضع، ليس في (ص).

(٥) الكلام بعده ليس في (ص) حتى قوله: أبو حزرة، وجاء بدله في (ص) ما صورتُه: قال الجوهري: الخَطَفَى: هو لقب عوف جدُّ جرير بن عطية الشاعر. وقال أبو عبيدة: الخَطَفَى: هو حُذيفة جدُّ جرير، وإنما لقِّب به لسرعة مشيه.

(٦) طبقات فحول الشعراء ٢/ ٣٧٤ ، لكن ليس فيه الكلام الآتي. وهو بنحوه في «الشعر والشعراء» ١/ ٤٦٤ . وينظر «الأغاني» ٨/ ٥٠ ، و«المنتظم» ٧/ ١٤٤ ، و«مختصر تاريخ دمشق» ٦/ ٤٨ (ووقعت ترجمة جرير ضمن خرم في «تاريخ دمشق»).

[وقال الجوهري: والجرير حبل يجعل للبعير بمنزلة العِذار للدابة غير الزِّمام، وبه سمّي الرجل جريراً[(١)].

وقال الهيثم:] وكان جرير يقدَّم على الفرزدق والأخطل.

وقال الجاحظ: الشعر أربعة[(٢)] أصناف: مديح، وافتخار، وهِجاء، ونَسِيب، وفي جميعها جريرٌ مقدَّم، فإنه قال في الافتخار:

إذا غَضِبَتْ عليكَ بنُو تميمٍ ... رأيتَ الناسَ كلَّهُمُ غِضابا

وقال في المديح:

ألستُم خيرَ من ركب المَطَايا ... وأندى العالمينَ بطونَ راحِ

وقال في النَّسِيب:

إنَّ العيون التي في طَرْفها مرضٌ[(٣)] ... قَتَلْنَنَا ثمَّ لم يُحيينَ قَتْلَانا

وقال في الهجو:

فغُضَّ الطَّرْفَ إنك من نُمَيْرٍ ... فلا كعباً بلغتَ ولا كِلابا[(٤)]

و[قال القُتبي:][(٥)] كان جرير ديِّناً عفيفاً. قال: ما عشقتُ قطّ فأحتاجَ أن أُشبِّب بالحُرَم، ولو عشقتُ لشَبَّبْتُ تشبيباً تسمعُه العجوز فتبكي على شبابها.

[وروي أنه كان يشبِّب].

وقال عثمان الليثي[(٦)]: رأيتُ جريراً وما يضمُّ شفتيه من التسبيح. قلت: وما ينفعُك هذا وقد قذفتَ المُحْصَنات؟! فقال: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾[هود: ١١٤].

---

(١) الصحاح ٢/ ٦١١ (جرر). والعِذار: ما سال من اللِّجام على خدّ الفرس. وهذا الكلام الواقع بين حاصرتين من (ص).

(٢) في النسخ الخطية: الشعراء أربعة. وهو خطأ.

(٣) في (ص): حَوَرٌ. وكذا في رواية «الأغاني» ٨/ ٦ .

(٤) ينظر «طبقات فحول الشعراء» ٢/ ٣٧٩-٣٨٠، و«الأغاني» ٨/ ٦، و«المنتظم» ٧/ ١٤٤-١٤٥، و«مختصر تاريخ دمشق» ٦/ ٤١ .

(٥) ما بين حاصرتين من (ص)، والكلام بنحوه في «الشعر والشعراء» ١/ ٤٦٦ ، وبنحوه أيضاً في «الأغاني» ٨/ ٤٣ ، و«المنتظم» ٧/ ١٤٥ ، ونُسب فيهما للعتبي.

(٦) كذا في (ب) و(خ): الليثي. وفي (ص): العتبي. وفي «مختصر تاريخ دمشق» ٨/ ٤٠ : البتِّي، وفي «تاريخ الإسلام» ٣/ ٢١ ، و«سير أعلام النبلاء» ٤/ ٥٩١ : التيمي. ولم أعرفه.

وفَدَ جرير على عبد الملك فاستأذنَه في الإنشاد، فقال له: ألستَ القائلَ في الحجَّاج ابن يوسف:

هذا ابنُ يوسفَ فاعْقِلُوا وتَفَهَّمُوا ... بَرِحَ الخفاءُ فليس حين تَنَاجي

مَنْ سَدَّ مُطَّلَعَ النِّفاقِ عليكُمُ ... أمْ مَنْ يصولُ كصَوْلَةِ الحجَّاجِ

أمْ مَنْ يغارُ على النساءِ حفيظةً ... إذْ لا يَثِقْنَ بغَيْرةِ الأزواجِ

قال له: يا أمير المؤمنين، إنما الحجَّاج سيفُك، فإذا مدحناه فإنَّما نمدحُك. فأذنَ له فقال:

أتصحُو أم فُؤادُك غيرُ صاحِ ... عشيَّةَ هَمَّ صَحْبُكَ بالرَّوَاحِ

فعَجِلَ عليه عبد الملك وقال: بل فؤادُك يا ابن اللَّخْناء. فقال:

تقولُ العاذلاتُ علاكَ شَيْبٌ ... أهذا الشَّيْبُ يمنعُني مِراحي[1]

ثِقي باللهِ ليس له شريكٌ ... ومِن عندِ الخليفةِ بالنجاحِ

ألستُم خيرَ مَنْ ركبَ المطايا ... وأندى العالمين بُطونَ راحِ

فطرب عبد الملك، وجعل يقلِّبُ كفَّيه ويردِّدُ البيت ويقول: مَنْ مَدَحَنا فليَمْدَحْنا كذا. وأمرَ له بمئة ناقة برِعائها، فقال جرير: يا أمير المؤمنين، اجْعَلْها سُودَ الحَدَق. ففعل[2].

قال المصنف رحمه الله: فهذه من أبيات طويلة منها:

أغِثْني يا فِداكَ أبي وأمّي ... بسَيْبٍ منك إنك ذو ارْتياحِ

فإني قد رأيتُ عليَّ حقّاً ... زيارتيَ الخليفةَ وامتداحي

سأشكرُ إن رَدَدْتَ عليَّ ريشي ... وأنْبَتَّ القَوَادم في جَناحي

أبَحْتَ حِمَى تِهامةَ بعد نَجْدٍ ... وما شيءٌ حَمَيْتَ بمستباحِ

لكم شُمُّ الجبالِ من الرَّوَاسي ... وأعظمُ سَيْلِ[3] معتلجِ البِطاحِ

رأى الناسُ البصيرةَ فاستقاموا ... وبيَّنَتِ المِراضُ من الصحاحِ

---

(١) في (ب) و(خ) (والكلام منهما): براح، والمثبت من «الديوان» ١/ ٨٧. والمِراح: المرح.

(٢) بنحوه في «العقد الفريد» ٢/ ٨٢-٨٣. وينظر أيضاً «الأغاني» ٨/ ٦٦-٦٧.

(٣) في (ب) و(خ) (والكلام منهما): نسل، والمثبت من «الديوان» ١/ ٩٠.

دخل أعرابي على عبد الملك فمدحه فأعجبه، فقال: من أنت يا أعرابي؟ فقال: من عُذْرَة، فقال: أولئك أفصحُ الناس، فهل تعرفُ أهجى بيتٍ في الإسلام؟ قال: نعم، قولُ جرير:

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنَّك من نُمَيْرٍ فلا كعباً بَلَغْتَ ولا كِلابا

فقال: أحسنت. فهل تعرفُ أمْدَحَ بيت قيل في الإسلام؟ قال: نعم، قولُ جرير:

ألَسْتُم خيرَ مَنْ ركبَ المطايا وأنْدَى العالمينَ بطونَ راحِ

فقال: أحسنت يا أعرابي، فهل تعرفُ أرقَّ بيتٍ قيلَ في الإسلام؟ قال: نعم، قولُ جرير:

إنَّ العيونَ التي في طَرْفِها مَرَضٌ قَتَلْنَنا ثم لم يُحيينَ قَتْلَانا

قال: أحسنتَ يا أعرابي. فهل تعرفُ جريراً؟ قال: لا والله، وإني إلى رؤيته لمشتاق. فقال: هذا جرير، وهذا الأخطل، وهذا الفرزدق. فأنشأ الأعرابي يقول:

فحيَّا الإلهُ أبا حَزْرَةٍ وأرْغَمَ أنفَكَ يا أخْطَلُ
وجَدُّ الفرزدقِ أتْعِسْ به ودَقَّ خَياشِيمَه[1] الجَنْدَلُ

فقال الفرزدق:

يا أرغم[2] الله أنفاً أنتَ حامِلُهُ يا ذا الخَنَا ومقالِ الزُّورِ والخَطَلِ
ما أنتَ بالحَكَم التُّرْضَى حُكُومتُهُ ولا الأصيلِ ولا ذي الرأيِ والجَدَلِ

وقال الأخطل:

يا شَرَّ مَنْ حَمَلَتْ ساقٌ على قَدَمٍ ما مِثْلُ قولكَ في الأقوام يُحْتَمَلُ
إنَّ الحكومة ليست في أبيك ولا في معشرٍ أنتَ منهم إنهم سَفِلُ

وقال جرير:

---

(١) في (ب) و(خ) (والكلام منهما): خياشمك. والمثبت من «البداية والنهاية» ١٣/ ٤٣ ، و«مختصر تاريخ دمشق» ٦/ ٤٢ . وكذا نقله محقق «ديوان» الأخطل بإثره ص ٣٩١ .

(٢) في (ب) و(خ): ما أرغم... والمثبت من «البداية والنهاية» ١٣/ ٤٣ ، وملحق «ديوان» الأخطل ص ٣٩٠ . وفي «مختصر تاريخ دمشق» ٦/ ٤٢ : قد أرغم... قوله: الخنا، أي: الفُحش في المنطق، وبنحوه الخَطَل.

شَتَمْتُما قائلاً بالحقِّ مقتدياً[١] عند الخليفةِ والأقوالُ تنتَضِلُ
شَتَمْتُماه على رَفْعي ووَضْعِكما لازلتُما في انحطاطٍ أيُّها السَّفِلُ

ثم قام جرير، فقبَّل رأس الأعرابيِّ وقال: يا أمير المؤمنين، جائزتي له. وكانت خمسةَ عشرَ ألفاً في كل سنة، فقال عبد الملك: وله مثلُها من مالي. فأعطاه إياها[٢].

[وقال هشام ابن الكلبيّ:] كان عبد الملك يفضّل الأخطل على جرير، فحضرا يوماً عنده، فأنشد الأخطل:

وإني لَقوَّامٌ مقاماتٍ[٣] لم يكن جريرٌ ولا مولى جريرٍ يقومُها

فقال جرير: أجل والله، إنك تقومُ[٤] إلى الخمر فتشربه، وإلى الخنزير فتذبحه وتأكله، وإلى الصليب فتسجد له وتقبِّله، وجريرٌ ما يفعل شيئاً من ذلك[٥].

ومن أحسن ما قال جرير:

إنَّ الذين غَدَوْا بقلبك[٦] غادروا وَشَلاً بعينك مايزالُ مَعِينا[٧]
غَيَّضْنَ مِنْ عَبَراتهنَّ وقُلْن لي ماذا لَقِيتَ من الهوى ولَقِينا

وسمع ابنُ السائب المخزومي[٨] هذين البيتين - وكان من ظراف الناس، وكان صائماً - وقد قام إلى صلاة المغرب، فلمَّا صلَّى المغرب وقُدِّمت إليه المائدة قال:

---

(١) كذا في (ب) و(خ) وأصل «مختصر تاريخ دمشق» ٦/ ٤٢ (كما ذكر محققوه في حاشيته). وفي «البداية والنهاية» ١٣/ ٤٣، وملحق «ديوان» جرير ٢/ ١٠٣٤: مهتدياً.

(٢) الخبر في «تاريخ دمشق» من رواية الكلبي، كما في «مختصره» ٦/ ٤١ - ٤٣، وكذا أورده ابن كثير في «البداية والنهاية» ١٣/ ٤٢-٤٣ من رواية هشام بن محمد الكلبي عن أبيه. وهو في «الأغاني» ٨/ ٤٠ - ٤٢ بنحوه أطول منه، من رواية المدائني. ومن قوله: وفد جرير على عبد الملك فاستأذنه في الإنشاد... إلى هذا الموضع، ليس في (ص).

(٣) في (ص): مقاماً. وفي «مختصر تاريخ دمشق» ٦/ ٤٤: مقاوم.

(٤) في (ص): لتقوم.

(٥) الخبر في «تاريخ دمشق» كما «مختصره» المذكور في التعليق قبله. ولم يرد الكلام بعده في (ص) حتى نهاية الترجمة.

(٦) كذا في (ب) و(خ)، و«المنتظم» ٧/ ٣٣٠. وفي «تاريخ بغداد» ١١/ ٢١٤، و«الديوان» ١/ ٣٨٦: بلُبِّك.

(٧) قال ابن حبيب في شرح «الديوان»: الوَشَل: الماء السائل شيئاً بعد شيء. والمَعِين: الظاهر.

(٨) هو عبد الله بن السائب، أبو السائب المخزومي المديني، ذكره الخطيب في «تاريخ بغداد» ١١/ ١٣١ وقال: «قدم الأنبار على أبي العبّاس السفّاح»، وأورد له هذا الخبر في ترجمة عبد الله بن عبد الرحمن المدائني =

امرأتُه طالق، وكلُّ مملوك له حرٌّ إن أفطر الليلة إلا على هذين البيتين. وهما من أبيات، منها ـ وهو أوَّلُها ـ:

ما للمنازل لا تُجيب حَزِينا ... أصَمِمْنَ أم قَدُمَ المَدَى[(١)] فَبَلِينا
ولقد تكنَّفني[(٢)] الوُشاةُ فصادفوا ... حِصْناً بسرِّكِ يا أُميمُ حَصِينا[(٣)]
قد هاجَ ذِكْرُكِ والصبابةُ والهوى ... داءً تمكَّنَ في الفؤاد مكينا[(٤)]

وقال الأصمعي: أحسنُ ما قيل في ملاطفة الإخوان:

إلى الله أشكو أنَّ بالغَوْر حاجةً ... وأُخرى إذا أبصرتُ نجداً بدا ليا
فقولا لواديها الذي نزلَتْ به ... أَوَاديَ ذي القَيْصُوم أمْرَعْتَ واديا[(٥)]
وإني لأستحيي أخي أن أرى له ... عليَّ من الفضل الذي لا أرى ليا[(٦)]

وقال جرير:

يا أختَ ناجيةَ السلامُ عليكمُ ... قبلَ الرَّحيلِ[(٧)] وقبلَ لَوْمِ العُذَّلِ
لو كنتُ أعلمُ أنَّ آخِرَ عهدِكُمْ ... يومَ الرَّحيلِ فعلتُ ما لم أفعلِ

وقال:

يا أمَّ عمرٍو جزاكِ الله صالحةً[(٨)] ... رُدِّي عليَّ فؤادي كالذي كانا
قد خُنْتِ مَنْ لم يكن يخشى خِيانَتَكُمْ ... ما كنتِ أوَّلَ موثوقٍ بمن[(٩)] خانا

= ١١/ ٢١٤، وأورده أيضاً ابن الجوزي في «المنتظم» ٧/ ٣٢٩ في وفيات سنة (١٣٥). وأبو السائب هذا من ولد عبد الله بن السائب أبي السائب المخزومي المكّي الصحابي. ينظر «جمهرة أنساب العرب» ص ١٤٣.

(١) في (ب) و(خ) (والكلام منهما): الهوى، والمثبت من «الديوان» ١/ ٣٨٦، و«المنتظم» ٧/ ١٤٧.

(٢) في «الديوان» ١/ ٣٨٧، و«المنتظم»: تَسَقَّطني.

(٣) في المصدرين السابقين: حَصِراً بسرِّك يا أُميم ضنينا.

(٤) هذا البيت في «المنتظم» ٧/ ١٤٧، وليس في «الديوان».

(٥) القيصوم: نوع من النبات قريب من نوع الشِّيح، ويكثر في البادية. وأمْرَعَ المكانُ: أخصبَ بكثرة الكلأ.

(٦) الأبيات في «المنتظم» ٧/ ١٤٦ مع ثلاثة أخرى، وفيه: الذي لا يرى ليا. والبيتان الأوَّلان ضمن قصيدة في «ديوان» جرير ص ٤٩٨ـ٤٩٩ (طبعة دار صادر) والأول منها فيه ١/ ٧٥ (بشرح ابن حبيب).

(٧) في طبعتي الديوان: ص ٣٥٧ و٢/ ٩٣٩. يا أمَّ ناجيةَ... قبل الرَّواح...

(٨) في «الديوان» بطبعتيه المذكورتين ص ٤٩١ و١/ ١٦١، و«المنتظم» ٧/ ١٤٦: مغفرة.

(٩) في المصادر السابقة: به.

إنَّ العيونَ التي في طَرْفِها مَرَضٌ قَتَلْنَنا ثم لم يُحيينَ قَتْلانا
يَصْرَعْنَ ذا اللُّبِّ حتى لا حِراكَ بهِ وهُنَّ أضْعَفُ خلقِ اللهِ أرْكانا
أتْبَعْتُهُمْ مُقْلَةً إنسانُها غَرِقٌ هل ما ترى تاركٌ[1] للعين إنسانا
يا حَبَّذا جَبَلُ الرَّيَّانِ من جَبَلٍ وحَبَّذا ساكنُ الرَّيَّانِ مَنْ كانا
هَلْ يَرْجِعَنَّ وليس الدهرُ مُرْتَجِعاً عيشٌ[2] بها طالما احْلَوْلَى وما لانا

ومن شعره:

لمَّا تذكَّرْتُ بالدَّيْرَيْنِ أرَّقَني صوتُ الدَّجاجِ وقَرْعٌ بالنَّواقِيسِ
فقلتُ للرَّكْبِ إذْ جدَّ الرَّحيلُ بنا يا[3] بُعْدَ يَبْرِينَ من باب الفَراديسِ[4]!
هل دعوةٌ من جبال الثلج مُسْمِعةٌ أهلَ الإِياد وَحَيّاً بالنَّباريسِ[5]
يَخْزَى الوشيظُ إذا قال الصميمُ[6] لهم عُدُّوا الحصى ثم قيسوا بالمقاييسِ
وابنُ اللَّبونِ إذا ما لُزَّ في قَرَنٍ لم يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ البُزْلِ القَناعِيسِ[7]
قد جَرَّبَتْ عَرَكي في كلِّ معتركٍ غُلْبُ الأسودِ فما بالُ الضغابيسِ[8]

---

(١) في (ب) و(خ) (والكلام منهما): نازل. والمثبت من المصادر السابقة.

(٢) في (ب) و(خ): عيشاً. والمثبت من المصادر السابقة.

(٣) في «الديوان» ص ٢٥٠ (طبعة صادر)، و«المنتظم» ٧/ ١٤٧ : ما. وهو في «معجم البلدان» ٥/ ٤٢٧ بمثل روايتنا.

(٤) يَبْرين: من أصقاع البحرين (منطقة الأحساء)، ينظر «معجم البلدان» ٥/ ٤٢٧ . وباب الفراديس بدمشق.

(٥) جبال الثلج؛ ذكر ابنُ حبيب في «شرح الديوان» ١/ ١٢٧ أنها بالشام. والإياد: موضع بالحَزْن لبني يربوع بين الكوفة وفَيْد، والنَّباريس: شباك لبني كليب، وهي الآبار المتقاربة. ينظر الشرح المذكور، و«معجم البلدان» ١/ ٢٨٧ و٥/ ٢٥٦ وأورد فيه ياقوت بيت جرير هذا في الموضعين المذكورين.

(٦) الوشيظ: التابع، والصميم من كل شيء: المحض الخالص. ووقع في (ب) و(خ): مجرى، بدل: يخزى، والمثبت من «الديوان» ص ٢٥٠ (طبعة دار صادر).

(٧) ابن اللَّبون: ولد الناقة الذي دخل في السنة الثالثة، والقَرَن: الحَبْل الذي يُقرن به البعيران، والبُزْل: جمع بازل، وهو البعير الذي طلع نابُه، وذلك في السنة الثامنة أو التاسعة، والقناعيس: جمع قِنْعاس، وهو من الإبل: العظيم.

(٨) الضَّغابيس: جمع ضُغْبُوس، وهو الرجل الضعيف. ينظر «القاموس». وتُنظر الأبيات في «الديوان» ٢٤٩ـ٢٥١ (طبعة دار صادر) ضمن قصيدة.

ودخل جرير على عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين، قد قلتُ فيك ثلاثة أبيات، ما قالت العربُ مثلها، ولن أُنشدك إيَّاها إلا كلّ بيت بعشَرة آلاف درهم. فقال: هاتها، للهِ أبوك. فقال:

رأيتُكَ أمسِ خيرَ بني[1] مَعَدٍّ ... وأنتَ اليومَ خيرٌ منك أمسِ
وبيتُكَ في المناقب خيرُ بيتٍ[2] ... وغَرْسُكَ في المغارس خَيْرُ غَرْسِ
وأنتَ غداً تزيدُ الضِّعْفَ ضِعْفاً ... كذاك تَزيدُ سادَةُ عبدِ شمسِ[3]

فأمر له بثلاثين ألفاً.

وكان السبب في وقوع الهجاء بين الفرزدق وجرير أن جريراً كان يُهاجي البَعِيث - واسمُه خِداش بن بِشْر المجاشعي - فأعانه الفرزدق على جرير، فصار جرير يهجوهما، ثم أعان الأخطل الفرزدق على جرير.

والغالبُ على شعر الفرزدق أنه كان يفخر بآبائه، وكان جرير يُعيِّر الفرزدق بأن قومه أجاروا الزُّبير رضي الله عنه وقتلوه[4].

عطيَّة بن سَعْد[5]

ابن جُنادة العَوْفيّ، من جُذيلة، أبو الحسن، من الطبقة الثانية من التابعين من أهل الكوفة، وكانت أمُّه أمَّ ولد.

---

(١) في (ب) و(خ): من، بدل: بني. والمثبت من «المنتظم» ٧/ ١٤٥ والمصادر المذكورة معه لاحقاً.

(٢) في «المنتظم»: ونبتُك... نبتٍ.

(٣) الخبر في «المنتظم» ٧/ ١٤٥ - ١٤٦ . وذكر أبو الفَرَج في «الأغاني» ١٨/ ١٣٥ البيت الأول والثالث لأعشى بني ربيعة في مدح عبد الملك بن مروان، ونسبهما ابن عبد ربه في «العقد الفريد» ٥/ ٣٣٩ لأعشى هَمْدان، وأوردهما بنحوهما ٢/ ١٣٧ .

(٤) بعده في (خ) ما صورتُه: آخر الجزء السادس، والحمد لله وحده، يتلوه إن شاء الله تعالى في الجزء السابع عطية بن سعد بن جُنادة العوفي من جديلة. وصلى الله على محمد وآله وسلم.

(٥) جاء في (خ) قبل هذه الترجمة ما صورتُه: الجزء السابع من تاريخ مرآة الزمان للشيخ الإمام العالم العلامة شمس الدين أبي المظفَّر يوسف سبط ابن الجوزي. بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

وخرج مع ابن الأشعث على الحجَّاج، فلما انهزم ابنُ الأشعث هرب عطيَّة إلى فارس، فكتب الحجَّاج إلى محمد بن القاسم الثقفيّ أن ادْعُ عطيَّة، فإن لعنَ عليَّ بنَ أبي طالب؛ وإلَّا فاضْرِبْه أربع مئة سوط واحْلِقْ رأسه ولحيتَه. فدعاه، فأقرأه كتابَ الحجَّاج، فأبى عطيَّة أن يفعل، ففعل به محمد ذلك.

فلما وليَ قُتيبةُ خراسان؛ خرج عطية إليه، فلم يزل بخراسان حتى وليَ عُمر بنُ هُبيرة العراقَ، فكتب إليه يستأذنُه في القدوم، فأذِنَ له، فقدم الكوفةَ، فلم يزل بها إلى أن توفِّي في سنة إحدى عشرة ومئة.

وكان ثقةً، وله أحاديثُ صالحة، ومن الناس من لا يحتجُّ بحديثه[١].

وقد روى عن ابنِ عباس، ومعظمُ رواياته عنه في التفاسير[٢].

الفرزدق الشاعر

واسمُه هَمَّام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عِقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع ابن دارم، أبو فراس المجاشعي البصري، والفرزدق لقب له.

[قال الجوهري: الفَرَزْدَقَةُ: القطعة من العجين، وأصله بالفارسية: برازدة، وبه سُمِّيَ الفرزدق، واسمه همَّام، فإذا جمعت قلت: فرازق[٣].

وقال الفرَّاء: الفرزدق: الرغيف الحُوَّارَى[٤] الواسع، شُبِّه وجهُه به لِسَعَتِه.

وقال أبو نصر بن ماكولا: كان الفرزدق يُكنى في شبابه أبا مكيَّة[٥].

وقال عثمان بن أبي شيبة:] أحيا جدُّه صعصعة في الجاهلية ألف موؤودة، وحمل على ألف فرس، وكان الفرزدق يفتخرُ به وقال:

---

(١) طبقات ابن سعد ٨/ ٤٢١ .

(٢) لم ترد هذه الترجمة في (ص).

(٣) في (ص) (والكلام منها): فرازدق، والمثبت من «الصحاح» ٤/ ١٥٤٣ ؛ قال الجوهري بعده: لأن الاسم إذا كان على خمسة أحرف كلها أصول حذفتَ آخر حرف منه في الجمع، وكذلك في التصغير، وإنما حذفت الدال من هذا الاسم لأنها من مخرج التاء، والتاء من حروف الزيادات، فكانت بالحذف أولى.

(٤) الحُوَّارَى: الدقيق الأبيض. ولم أقف على قول الفراء.

(٥) الإكمال ٧/ ٥٧ (الكنى والآباء من باب فراس).

ومـنّـا الـذي مـنـعَ الـوائـدات وأحـيـا الـوئـيـدَ فـلـم يُـوأَدِ

وقال ابن الكلبي: قدم صعصعة على رسول الله ﷺ [فأسلم] وعلَّمه آياتٍ من القرآن، وقال: يا رسول الله، قد أحييتُ ألف موؤدة، اشتريتُ كلَّ واحدة بناقتين عُشَرَاوَيْن(١) وحملتُ على ألف فرس، فهل لي من أجر؟ فقال: «ما أحييتَ فمن باب البرِّ، لك أجرُه، وقد منَّ الله عليك بالإسلام»(٢).

[ذكر طرف من أخبار الفرزدق:

روى هشام بن الكلبي عن أبيه قال:] دخل غالب [بن صعصعة] على عليّ عليه السلام ومعه ابنُه الفرزدق صغيراً، فقال علي رضي الله عنه: مَنْ أنت؟ قال: غالب بن صعصعة المجاشعي، فقال: ذو الإبل الكثيرة؟ قال: نعم. قال: فما فعلت إبلك؟ قال: نكَّبَتْها النوائب، ودَهَمَتْها الحقوق. فقال: ذلك خيرُ سُبُلها. ثم قال له: من هذا الفتى معك؟ قال: ابني، وإنه يقول الشعر. قال: علِّمْه القرآن، فهو خيرٌ له من الشِّعر. قال الفرزدق: فما زال ذلك في نفسي حتى قَيَّدْتُها بقيد، وقلت: واللهِ لا أَنْزِعُه من رِجْلي حتى أحفظَ القرآن. فما نزعتُه حتى حفظتُه(٣).

[قال ابن الكلبي:] ومات غالب بِسِيفِ كاظمة(٤)، فدُفن على رابية، فجعل الفرزدق ذلك المكان حِمًى لا يستجيرُ به أحدٌ إلا أجاره، ولا يلوذُ به عانٍ إلا فكَّه، ولا يأتيه غارم إلا أدَّى عنه.

فلما عزم على هجو بني جعفر بن كلاب لشيءٍ جرى بينهم؛ جاءت امرأةٌ من بني جعفر إلى قبر غالب، فضربت عليه فسطاطاً، واستجارت به، وكان ابنُها نافع قد هجا

---

(١) مثنّى عُشَراء، وهي من النوق ما مضى على حملها عشرة أشهر.

(٢) الخبر في «الأغاني» ٢١/ ٢٨٣ مطول، وأخرجه مطولاً أيضاً الطبراني في «الكبير» ٨/ (٧٤١٢) وفي إسناده الطفيل بن عمرو؛ قال الذهبي في «ميزان الاعتدال» ٢/ ٣٠٨: لا يُعرف، ونقل فيه عن البخاري قوله: لا يصحُّ حديثه.

(٣) معجم الشعراء ص ٤٦٦، والمنتظم ٧/ ١٤٩، ومختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ١١٩ (ووقعت ترجمة الفرزدق ضمن خرم في «تاريخ دمشق»). والكلام السابق واللاحق الواقع بين حاصرتين من (ص).

(٤) السِّيف (بكسر السين): ساحل البحر، وكاظمة: جوٌّ على سِيف البحر في طريق البحرين من البصرة، بينها وبين البصرة مرحلتان (المرحلة: المسافة التي يقطعها السائر في نحو يوم) ينظر «معجم البلدان» ٤/ ٤٣١.

الفرزدق، فجاء الفرزدق إلى قبر أبيه فرآها هناك، فأخذَتْ حَصَياتٍ من القبر، وقالت: أنا مستجيرة بصاحب هذه التربة من هجائك. فأجارها، فلما هجا بني جعفر ووصل إليها، قال:

عجوزٌ تُصلِّي الخمسَ عاذَتْ بغالبٍ　　فلا والذي عاذَتْ به لا أَضِيرُها
وإني على إشفاقها من مخافتي　　وإنْ عَقَّها بي نافعٌ لَمُجيرُها[1]

وعاذ بقبره مكاتَبٌ قد عجز عن نجومه[2] وقال:

بقبر ابنِ ليلى غالبٍ عُذتُ بعد ما　　خَشِيتُ الرَّدَى أو أنْ أُرَدَّ إلى[3] قَسْرِ

فقال: كم كتابُك؟ قال: أربعون ألفاً[4]. فأدَّاها عنه.

[وقال الزُّبير بن بكَّار:] وقدم الفرزدق على معاوية وابنِه يزيد وعبدِ الملك [بن مروان] وسليمان [بن عبد الملك] وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه.

[وقال العتبي:] ودخل [الفرزدق] على سليمان بن عبد الملك فقال له: من أنت؟ كأنه لا يعرفُه. فقال الفرزدق: أوَ ما تعرفُني يا أمير المؤمنين؟! قال: لا. قال: أنا الذي منهم أوفى العرب، وأسود العرب، وأجود العرب، وأحلم العرب، وأفرس العرب، وأشعر العرب. فقال: بيِّنْ ما تقول. فقال: أمَّا أوفى العرب؛ فحاجب بن زُرارة الذي رهن قوسه عن جميع العرب، فوفَى بذلك، وأما أسود العرب؛ فقيسُ بنُ عاصم الذي وفدَ على النبيِّ ﷺ، فبسط له رداءَه وقال: «هذا سيِّدُ أهلِ الوَبَر». وأمَّا أحلم العرب؛ فالأحنف بنُ قَيْس الذي يُضربُ المَثَلُ بحلمه، وأمَّا أجودُ العرب فعتَّاب بن وَرْقاء الخُزاعي، وأما أفرس العرب؛ فالحَرِيش بن عبد الله السعدي، وأما أشعر العرب؛ فها أنا بين يديك. فغضب سليمان، وساءه ما سمع من افتخاره، ولم يقدر على إنكاره، فقال له: ارجع على عقبيك، فلا شيء لك عندنا. فرجع وهو يقول:

أتيناك لا من حاجةٍ عَرَضَتْ لنا　　إليك ولا من قلَّةٍ في مُجاشعِ

---

(١) الخبر في «تاريخ دمشق» كما في «مختصره» ٢٧/ ١٢٤.
(٢) أي: عجز عن أداء الأقساط التي كاتبَ عليها سيِّده ليَعتِق.
(٣) في «مختصر تاريخ دمشق» ٢٧/ ١٢٤: على.
(٤) في المصدر السابق: ألف درهم، بدل: أربعون ألفاً.

ثم دخل عليه بعد ذلك وأنشده:

وَرِثْتُمْ قناةَ المُلكِ لا عن كَلالةٍ عن ابنَيْ منافٍ عبدِ شمسٍ وهاشمِ[(١)]

فأجازَه ووصلَه.

وكان الفرزدق يهاجي جريراً ويُهاجيه جرير، ومع هذا فكان كلٌّ واحد منهما يراعي صاحبه.

ولمَّا هجا الفرزدق هشام بن عبد الملك بقوله:

يُقلِّبُ عيناً لم تكُنْ لخليفةٍ[(٢)]

في نور زين العابدين. قول الفرزدق[(٣)]:

هذا الذي تعرف البطحاءُ وطأتَهُ[(٤)]

وحبس هشام الفرزدق بعُسْفان؛ دخل جرير[(٥)] على هشام[(٦)] وقال له: إن كنت تريد [أن] تبسط يدك على مُضَر؛ فأطلقْ لها شاعرها. يعني الفرزدق. فأطلقه.

[وقد ذكرنا القصة] ولم يكن هشام في ذلك الوقت وليَ الخلافة[(٧)].

---

(١) العقد الفريد ٢/ ١٩٣ـ١٩٤ دون قوله: ثم دخل عليه بعد ذلك وأنشده...إلخ. والكلام السالف بين حاصرتين من (ص).

(٢) هو صدر بيت، وعجزُه: مُشوَّهةً حَوْلاءَ جَمّاً عيوبُها. وهو في «العقد الفريد» ٥/ ٣٢٥ ، وللبيت رواية بنحوها في «الأغاني» ٢١/ ٣٧٨ ، وأوله: يقلِّبُ رأساً...

(٣) كذا وقع الكلام في (ب) و(خ)، وليس في (ص). ولعل فيه سقطاً. وينظر التعليق التالي.

(٤) هو صدر بيت، وعجزه: والبيتُ يعرفُه والحِلُّ والحَرَمُ، وهو من قصيدة طويلة يمدح بها زينَ العابدين رضي الله عنه لما تجاهله هشام بن عبد الملك. ينظر «الأغاني» ٢١/ ٣٧٦ـ٣٧٨ ، و«تاريخ دمشق» ٤٩/ ١٢٦ـ١٢٨ (طبعة مجمع دمشق ـ ترجمة علي بن الحسين). ومن قوله: وكان الفرزدق يهاجي جريراً... إلى هذا الموضع، ليس في (ص). وينظر التعليق التالي.

(٥) قوله: دخل جرير؛ جواب قوله: ولما هجا الفرزدق هشام... كما هو الكلام في (ب) و(خ). ولم يرد الكلام السابق في (ص)، وجاءت عبارة (ص) هنا بلفظ: ورُوي أن هشام بن عبد الملك حبس الفرزدق بعسفان، ودخل جرير...إلخ.

(٦) في (ص): على وطأته هشام (؟).

(٧) بنحوه في «العقد الفريد» ٥/ ٣٢٥ . والكلام بين حاصرتين من (ص).

و[قال أبو عبيد:] جلس الفرزدق يوماً عند الحسن البصري، فجاءه رجل فقال: يا أبا سعيد، إنَّا نكون في هذه البعوث والسرايا، فنُصيبُ المرأة من العدوّ، وهي ذاتُ بَعْل، أفَتَحِلُّ لنا من غير أن يطلِّقها زوجُها؟ فقال الفرزدق: قد أجبتُ عن هذا في قولي:

وذاتِ حليلٍ أنكحَتْنا رماحُنا ... حلالٌ لمن يَسبِي[1] وإنْ لم تُطلَّقِ

فقال الحسن: صدق.

و[قال أبو عبيدة:] كانت هند[2] بنت صعصعة عمَّة الفرزدق تقول: مَنْ جاءت من نساء العرب بأربعة مثل مثالي[3] يحلُّ لها أن تضع خمارها عندهم؛ فصِرْمَتي لها[4]: أبي صعصعة، وأخي غالب، وخالي الأقرع بن حابس، وزوجي الزِّبْرِقان بن بدر. فسُمِّيَتْ ذاتَ الخمار.

[قلت:] وقد روى صعصعة [أبو هذه] الحديثَ [عن رسول الله ﷺ، فأخرج له الإمام أحمد في «المسند» حديثاً واحداً، فقال: حدثنا يزيد بن هارون بإسناده] عن صعصعة بن معاوية عمِّ الفرزدق أنه أتى النبيَّ ﷺ، فقرأ عليه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾، فقال: حسبي، لا أُبالي أن [لا] أسمعَ غيرَها[5].

حديث النَّوَار[6] [زوجة الفرزدق]

[حكى أبو عَمرو الشَّيباني قال:] كانت النَّوَار ابنة عبد الله بن أعين [بن ضُبيعة] المجاشعي، وكان قد بعثه عليٌّ عليه السلام إلى البصرة أيام الحَكَمين، فقتلَتْه الخوارج

(١) في «طبقات فحول الشعراء» ٢/ ٣٣٦، و«الأغاني» ٢١/ ٣٠٤: حلالاً لمن يبني، وفي «العقد الفريد» ٥/ ٣٨٣، و«مختصر تاريخ دمشق» ٢٧/ ١٢٧-١٢٨: أنكحتها رماحنا.

(٢) في «العقد الفريد» ٢/ ١٩٦، و«ثمار القلوب» ص ٢٩٥: هُنيدة.

(٣) في ا لمصدرين السابقين: كأربعتي، بدل: مثل مثالي.

(٤) الصِّرْمة: القطعة من النخل أو الإبل.

(٥) مسند أحمد (٢٠٥٩٣). والكلام بين حاصرتين من (ص).

(٦) بفتح النون وتخفيف الواو.

غِيلةً، فخطب ابنتَه النَّوَارَ رجل من قريش، فبعثت إلى الفرزدق، وكانت ابنةَ عمِّه، فقالت: أنتَ أولى الناس بي، فزوِّجْني من هذا الرجل. فقال: أشْهِدِي عليكِ أنك [قد] فوَّضْتِ أمركِ إليَّ، وقد رضيتِ بمن أزوِّجُكِ. ففعلت.

فلما اجتمع الناسُ خطب الفرزدق وقال: إن النَّوَار [قد] فوَّضَتْ أمرَها إليَّ، فاشْهَدُوا أني قد تزوَّجْتُها على مئة ناقة سُود الحَدَق.

وبلغها فأبت، ونافَرَتْه إلى عبد الله بن الزُّبير، فلما قدما مكةَ نزلت على زوجة عبد الله، وهي بنتُ منظور بن زبَّان، ونزل الفرزدق على حمزة بن عبد الله [بن الزبير]. فكان كلما أصلح حمزة مع أبيه نهاراً أفسدَتْه بنتُ منظور ليلاً، فتحاكما إلى ابن الزبير، فحكم على الفرزدق، فقال [الفرزدق]:

أمَّا البنونَ فلم تُقبل شفاعتُهم ... وشُفِّعَتْ بنتُ منظورِ بنِ زَبَّانا

ليس الشفيعُ الذي يأتيك متَّزراً ... مثلَ الشفيعِ الذي يأتيك عُرْيانا

وبلغ ابنَ الزُّبير، فقال للنَّوار: هذا خبيثُ اللسان، وسيهجوني وأضربُ عنقَه، فإن أحببتِ ذلك فافعلي. فقالت: قد أجزتُ نكاحه. فزوَّجَه بها، فأقامَتْ عنده زماناً، تارةً ترضى به، وتارةً تسخط(١).

فجاء [يوماً] إلى حلقة الحسن وقال له: يا أبا سعيد، إني قد طلَّقتُ النَّوار ثلاثاً. ثم ندم وأتبع الثلاث نفسه(٢)، فقال له الحسن: واللهِ لئن رجعتَ لأرجمنَّك بأحجارك. فمضى وهو يقول:

نَدِمْتُ ندامةَ الكُسَعِيِّ(٣) لمَّا ... غَدَتْ منِّي مطلَّقةً نَوارُ

وكانت جنَّتي فخرجتُ منها ... كآدمَ حين أخرجه الضِّرارُ

---

(١) ينظر: العقد الفريد ٦/ ١٢٤، الأغاني ٩/ ٣٢٧ و٢١/ ٢٩٢-٢٩٣، والتذكرة الحمدونية ٩/ ١٩٣.

(٢) في «العقد الفريد» ٦/ ١٢٥ أن الفرزدق قال لصاحبه (وهو راويته): امْضِ بنا إلى حلقة الحسن، فإني أريد أن أطلق النَّوَار، فقال له صاحبُه: إني أخاف أن تتبعَها نفسُك.

(٣) هو رجل رمى فأصاب، فظنَّ أنه أخطأ، فكسر قوسه، فلما علم؛ ندم على كسر القوس، فضُرب به المثل في كل أمر كان فيه ندم. (المعارف ص ٦١٢). وتنظر قصة الكُسَعيّ في «مجمع الأمثال» ٢/ ٣٤٨ في المَثَل: أندم من الكُسَعيّ.

فأصبحتُ الغداةَ ألومُ نفسي بأمرٍ ليس لي فيه خيارُ
وكنتُ كفاقئٍ عينَيْهِ عمداً فأصبحَ ما يضيءُ له النهارُ[(١)]

ثم راجعها، وماتت عنده، وأوصَتْ أن يصليَ عليها الحسن، فصلَّى والفرزدق حاضرٌ، فلما سُوِّيَ عليها قام فقال:

أخافُ وراءَ القبر إن لم يُعافِني أشدَّ من القبر التهاباً وأضْيَقا
إذا جاءني يومَ القيامة قائدٌ عنيد وسوَّاقٌ يسوقُ[(٢)] الفرزدقا
لقد خابَ من أولاد آدمَ مَنْ مَشَى إلى النار مغلولَ القِلادةِ أزْرَقا
يُساقُ إلى نار الجحيم مُسَرْبَلاً سَرابِيلَ قَطْرانٍ لباساً مُحَرَّقا
إذا شربوا فيها الصديدَ رأيتَهم يذوبون من حرِّ الحميم تمزُّقا

فبكى الحسن وقال: يا همَّام، ماذا أعدَدْتَ لهذا اليوم؟ فقال: شهادةُ أن لا إله إلا الله [وأن محمداً رسول الله] منذ ثمانين [أو سبعين] سنة، قال الحسن: قد كنتَ من أبغض الناس إليّ، وإنك اليوم لأحبُّ الناس إليّ[(٣)].

[وفي رواية: فبكى الحسن وقال: يا همَّام، ما أعددتَ لهذا اليوم؟ فكم من مُحْصَنَةٍ قد قَذَفْتَها! فقال: هل لي من توبة؟ قال: نعم. فقال: أستغفر الله. فقال الحسن: نحن وإياك على الأثر، فقال الفرزدق:

ولسنا بأبقى بعدهم[(٤)] غير أنَّنا أقمنا قليلاً بعدهم وترحَّلُوا][(٥)]

فلما مات الفرزدق رؤي في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: نفعتني الكلمة التي راجعتُ الحسنَ فيها عند القبر[(٦)].

[وقد ذكرنا اجتماع الحسن والفرزدق عند جنازة أبي رجاء العُطاردي وقول الفرزدق: يا أبا سعيد، يزعم الناس أنه قد اجتمع في هذه الجنازة خير الناس وهو

---

(١) ينظر: «العقد الفريد» ٦/ ١٢٥، و«الأغاني» ٢١/ ٢٩٠.
(٢) في «الأغاني» ٢١/ ٣٩٢، و«المجالسة وجواهر العلم» (١٦٨٩) عنيف وسوَّاق يقود.
(٣) الخبر في «تاريخ دمشق» كما في «مختصره» ٢٧/ ١٣١-١٣٢. وينظر المصدران السالفان.
(٤) في «مختصر تاريخ دمشق» ٢٧/ ١٣٢: بأنجى منهم.
(٥) المصدر السابق. والكلام بين حاصرتين من (ص).
(٦) مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ١٣٨.

أنت، وشرُّ الناس وهو أنا. فقال الحسن: لا أنا خيرُ الناس، ولا أنت شرُّ الناس. ما أعددتَ لهذه الحفرة؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله. فقال: نِعم العُدَّة، خُذوها من غير فقيه][1].

ومن شعره:

إن تُنصفونا يا آلَ مروانَ نقتربْ ... إليكمْ وإلَّا فأْذنوا بِبِعادِ

ولولا بنو مروانَ كان ابنُ يوسفٍ ... كما كان عبداً من عبيد إيادِ[2]

وقيل: هي لمالك بن الرَّيْب[3].

وقال الفرزدق:

إذا ما الدَّهْرُ جرَّ على أُناسٍ ... كَلاكِلَهُ[4] أناخَ بآخرينا

فقُلْ للشامتين بنا أفِيقُوا ... سيَلْقَى الشامتونَ كما لَقِينا

[حديث دارة الجُلْجُل[5]]

روى ابنُ الكلبيّ عن أبيه، عن الفرزدق قال: مُطرنا في بعض السنين، فخرجتُ إلى ظاهر البصرة على بغلة، فأبعدتُ، وإذا بنسوة في غدير ماء إلى حلوقهنّ مستنقعاتٍ، فقلتُ: سبحان الله! ما أشبه هذا اليوم بدارة جُلْجُل. فنادَتْني واحدةٌ منهن: يا صاحبَ البغلة، حدِّثْنا عن دارة جُلْجُل. فقلت: نعم، كان امرؤ القيس بن حُجْر الكِنْدي يَهْوَى عُنيزة بنتَ عمِّه، فخرجَ يوماً في طلبها على ناقة، فوجدها مع أترابٍ لها في غدير يقال له: دارة جُلْجُل وهنَّ في الغدير إلى حلوقهنَّ مثل ما أنتنَّ. فأخذَ ثيابَهنّ وقال: لا أُعطيكنّ منها شيئاً حتى تخرجَ كلُّ واحدة منكنّ مجرَّدة، فتأخذ ثيابَها.

---

(١) الكلام بين حاصرتين من (ص). وينظر «الأغاني» ٢١/ ٣٩٢، والمصدر السابق ٢٧/ ١٣٢.

(٢) ديوان الحماسة ٢/ ١٠٩-١١٠ (بشرح التبريزي).

(٣) الشعر والشعراء ٢١/ ٣٥٤، وعيون الأخبار ١/ ٢٣٦ وفيه: بتعادي، بدل: ببعاد.

(٤) جمع كِلْكِلَة، وهي الجماعة. وفي «الأغاني» ٢١/ ٣٩٦: بِكَلْكَلِهِ. ولم يرد هذان البيتان ولا اللذان قبلهما في (ص).

(٥) قيل: هي من ديار الضِّباب بنجد فيما يواجه ديار فزارة. ينظر «معجم البلدان» ٢/ ١٥٠.

ثم نزل الفرزدق عن البغلة، وأخذ ثيابهنَّ وقال: هكذا أفعل بكنّ؛ كما فعل امرؤ القيس. فنادته واحدةٌ منهنَّ وقالت: ويحك! إن امرأ القيس كان عاشقاً عُنيزة، أفعاشقٌ أنتَ بعضنا؟ قال: أتشبّه به.

قال: وتعالى النهار، فخرجت عُنيزة من الغدير وحدَها خوفاً من أهلها، فرآها مُقبلةً ومُدبرة، وخرج الباقيات، فقُلْنَ: يا امرأ القيس، قد أجَعْتَنا وحبستَنا، فما أنت صانعٌ بنا؟ فقال: هذه ناقتي لكُنَّ. فنَحَرَها، وأجَّجَ ناراً وأطعمهنَّ، فقالت واحدة: أنا أحملُ طِنْفِسَته[١]، وقالت أخرى: وأنا أحملُ رَحْلَه، وقالت عُنيزة: وأنا أحملُه على غارب جملي[٢]، فكان إذا مالَ ليُقبِّلها؛ مال الخِدْر، فيكاد أن يقع، فلذلك قال:

ألا ربَّ يومٍ لكَ منهنَّ صالحٍ ... ولا سيَّما يوماً[٣] بدارة جُلْجُلِ
ويومَ عَقَرْتُ للعَذَارى مَطِيَّتي ... فواعَجَباً من رَحْلِها المُتَحمِّلِ

وأنشد الأبيات.

فقلن النساء[٤] للفرزدق: ولابدَّ لك أن تفعل بنا ما فعل امرؤ القيس بصواحبات عُنيزة؟ قال: نعم. فهمست واحدة منهنَّ إلى صواحباتها بشيءٍ لم أفهمه، فقالت: أُدْنُ منَّا لتنالَ بُغْيتَك. قال: فدنوتُ، وانغطَطْن في الغدير، ثم خرجت كلُّ واحدة منهنَّ وفي يدها طين قد ملأت يدها منه، فتعادَيْن نحوي، وضَرَبْنَ بذلك الطين وجهي وعيني، فامتلأَتْ عيناي، وتلوَّثَتْ ثيابي، ووقعْتُ على وجهي لا أدري أين أنا، فأخَذْنَ ثيابي وبغلتي ومَضَيْنَ، وبقيتُ مكاني مَغْشياً عليَّ إلى الليل، فقمتُ وغسلتُ وجهي، وأتيتُ منزلي على أقبح حال، وإذا بالبغلة يقودُها إنسان ويقول: أخَوَاتُك يُسلِّمْنَ عليك، ويُقلْنَ: طلبتَ منَّا ما لا يمكن دفعُه إليك، وقد بعثنا إليك زوجتَك البغلة، فافعلْ بها سائر ليلتك، وهذا كيسٌ فيه دراهم، فإذا أصبحتَ؛ فادفَعْه إلى الحمّامي.

قال الفرزدق: واللهِ ما رأيتُ مثلهنَّ[٥].

---

(١) الطِّنفسة: البساط، أو ما يوضع فوق الرَّحْل.

(٢) غارب الجمل: ما بين سنامه وعنقه، وهو الذي يُلْقَى عليه خِطامُه إذا أُرسل ليرعى حيث شاء.

(٣) في «ديوان» امرىء القيس ص ١٠: يومٌ.

(٤) كذا في (ص) (والكلام منها). وهي لغة.

(٥) في «الأغاني» ٢١/ ٣٤٣، و«المنتظم» ٧/ ١٥٢ (والخبر فيهما بنحوه): ما مُنيت بمثلهنَّ.

وقد أشرنا إلى طرف من القصة في صدر الكتاب في ترجمة امرىء القيس.

وقال أبو عمرو بن العلاء: كان الفرزدق أروى الناس للأشعار. وقد ذكرنا مدحه لأهل البيت][١].

ذكر وفاته:

قال أبو عمرو بن العلاء: حضرتُ الفرزدق عند وفاته، فما رأيتُ أحسنَ ثقة بالله منه[٢].

[واختلفوا فيها؛ فقال الواقدي: مات في سنة إحدى عشر ومئة. وقال الهيثم: في سنة عشر ومئة.

وقال أبو عمرو بن العلاء:] وقدم جرير من اليمامة بعد موته، فاجتمع إليه الناس، فما أنشدهم، ولا كلَّمهم كلمةً. قالوا: فما الذي بك؟ قال: أطفأ ـ واللهِ ـ موتُ الفرزدق جمرتي وأسالَ عَبْرتي وقرَّب منيَّتي. ثم شخص إلى اليمامة، فنُعي لنا في شهر رمضان بعد الفرزدق[٣].

وقال [أبو] الهيثم الغَنَويّ: كان جرير بالبادية، فنُعي إليه الفرزدق، فاعترض الطريق، فإذا بأعرابيّ على قَعُود، فقال [له جرير]: من أين؟ قال: من البصرة. قال: فما الخبر؟ قال: رأيت جنازةً عظيمة فيها الحسن البصري فسألتُ عنها، فقيل: جنازة الفرزدق.

قوله: رأيتُ جنازة عظيمة فيها الحسن البصري، فيه نظر لأنه ذُكر وفاة الحسن رحمة الله عليه في سنة عشر ومئة، والفرزدق في سنة إحدى عشرة إلا أن تكون تأخَّرت وفاة الحسن رحمة الله عليه[٤].

---

(١) من قوله: حديث دارة الجُلجُل... إلى هذا الموضع، من (ص).

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ١٣٧ .

(٣) المصدر السابق ٢٧/ ١٣٨ .

(٤) من قوله: رأيتُ جنازة عظيمة... إلى هذا الموضع، ليس في (ص).

فبكى جرير بكاءً شديداً، فقيل له: أتبكي على رجل يهجوك وتهجوه منذ أربعين سنة؟! فقال: إليكم عنّي، فواللهِ ما تسابَّ رجلان، ولا تناطح كبشان؛ فمات أحدهما؛ إلا تَبِعَه الآخر عن قريب. ثم قال:

لعمري لئن كانَ المُخَبِّرُ صادقاً ... لقد عَظُمتْ بلوى تميمٍ وجَلَّتِ
فلا حملَتْ بعدَ الفرزدقِ حُرَّةٌ ... ولا ذاتُ حملٍ في نِفاسٍ تعلَّتِ
هو الوافدُ المجبورُ والدافع الأذى[(١)] ... إذا النَّعلُ يوماً بالعشيرة زَلَّتِ

[وفي رواية أن جريراً قال:

ماتَ الفرزدقُ بعد ما جدَّعْتُهُ[(٢)] ... ليتَ الفرزدقَ كان عاشَ طويلا

فقيل له: بئس ما قلت! أتهجو ابنَ عمِّك بعد الموت، لو رثيته كان أولى بك. فقال: واللهِ إني لأعلم أن بقائي بعده قليل. فعاش أربعين يوماً[(٣)].

وقيل: إن جريراً مات بعده بأربعة أشهر، وإنهما ماتا في سنة عشر ومئة، ويدلُّ عليه أنَّ الحسن صلى عليه إن ثبتت الرواية.

واختلفوا في مقدار عمره، فقال هشام:] عاش تسعين سنة. وقيل: قارب المئة، ومات بعلَّة الدُّبَيْلة[(٤)].

وأسند [الفرزدق] عن عليّ، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخُدري، والحُسين بن عليّ، ﵃، [وقد ذكرنا أنه لقيه في طريق العراق وهو متوجّه إليها].

وروى عن الفرزدق أولاده، وهم: لَبَطَة، وخَبَطَة، ورَكَضَة، وسبطة، والحنطبا.

---

(١) كذا في النسخ (ب) و(خ) و(ص). وفي «مختصر تاريخ دمشق» ٢٧/ ١٣٨ (والكلام من أصله «تاريخ دمشق»): هو الوافد المحبوّ والرافع الثَّأَى. وفي «طبقات فحول الشعراء» ٢/ ٤١٧، و«الأغاني» ٢١/ ٣٨٧ (والبيتان الأخيران فيه): هو الوافد المأمون والراتق الثَّأَى. وفي «ديوان» جرير ٢/ ٦٣٦: هو الوافد المحبوّ والحاملُ الثَّأَى. والثَّأَى: الجِراح.

(٢) في «الأغاني» ٢١/ ٣٨٧: جرَّعتُه.

(٣) ينظر: طبقات فحول الشعراء ٢/ ٤١٦، والأغاني ٨/ ٨٨ و٢١/ ٣٨٧، والتذكرة الحمدونية ٤/ ٢٢٩.

(٤) ينظر الأغاني ٢/ ٣٨٧، والمنتظم ٧/ ١٥٢.

قال لَبَطَة: حدثنا أبي قال: لقيَني أبو هريرة، فقال: كم من محصنة قذفتَها! ثم نظر إلى قدميّ، فرآهما صغيرتين، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لي حوضاً كما بين أَيْلة وعَمَّان» فإن قدرتَ أن يكون لقدميك عنده موضع؛ فافعل. قال: فقلت: ذنوبي كثيرة. فقال: لا تيأس(١).

وكانت وفاته بالبصرة، ولم يبقَ له عقب(٢).

وروى عنه الكُميت الشاعر، وخالد الحذَّاء.

يزيد بن عبد الله بن الشِّخِّير

[أخو مُطرِّف، وكنيتُه] أبوالعلاء، [وهو] من الطبقة الثانية من أهل البصرة. وكان يقول: أنا أسنُّ من الحسن بعشر سنين، وأخي مُطرِّف أسنُّ مني بعشر سنين(٣).

وحكى أبو نُعيم أنه كان يقول(٤): لأن أُعافَى فأشكر؛ أحبُّ إليَّ من أن أُبْتَلَى فأصبر.

ثم يقول: اللهمَّ، أيُّ ذلك كان خيراً لي فعجِّلْ به.

وكان إذا قرأ في المصحف؛ غُشِيَ عليه، وكان ثقةً صالحاً، وكانت وفاته بالبصرة، وروى عن أبيه وغيره(٥).

---

(١) بنحوه في «تاريخ دمشق» ٦٠/ ٢ (طبعة مجمع دمشق ـ ترجمة لَبَطَة)، و«مختصر تاريخ دمشق» ٢٧/ ١١٨ (ترجمة الفرزدق). ومتن الحديث المذكور صحيح. ينظر «مسند» أحمد (٢١٣٢٧).

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ١٣٨ . والكلام السالف بين حاصرتين من (ص).

(٣) طبقات ابن سعد ٩/ ١٥٦ . وما سلف بين حاصرتين من (ص).

(٤) في (ب) و(خ): وكان يقول... بدل قوله: وحكى أبو نعيم...إلخ. والمثبت من (ص). والكلام في «حلية الأولياء» ٢/ ٢١٢ .

(٥) بنحوه في «طبقات» ابن سعد ٩/ ١٥٦ .

فهرس الموضوعات